

السلوك لمعرفة دول الملوك

تأليف

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عليّ بن عبد القادر العُبيدي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر عطا

الجزء الثاني

سنة ٦٦٢ هـ - ٧١٧ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ-١٩٩٧م

دار الكتب العلمية
بيروت _ لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

سنة اثنتين وستين وستمائة

استفتح السلطان هذه السنة بالجلوس فى دار العدل فأحضرت إليه ورقة مختومة مع خادم أسود تتضمن مرافعة فى شمس الدين شيخ الحنابلة، أنه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته، لأنه ما جعل للحنابلة نصيبا فى المدرسة التى أنشاها بجوار قبة الملك الصالح، ولا ولى حنبليا قاضيا، وذكر أشياء فادحة فيه. فبعث السلطان بها إلى الشيخ، فأقسم أنه ما جرى منه شىء، «وإنما هذا الخادم طردته من خدمتى». فقال السلطان: «ولو شَتَمْتَنى أنت فى حل» وأمر فضرب الخادم مائة عصا.

وفى المحرم: نودى بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعمم بعمامة ولا تتزيا بزى الرجال، ومنْ فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة وطُلب الطواشى شجاع الدين مرشد الحموى إلى قلعة الجبل، وأنكر عليه السلطان اشتغال مخدومه صاحب حماة باللهو، وقرّر معه إلزام الأجناد بإقامة البزك وتكميل العدد، وكتب له تقليدا وسافر إلى حماة. وقدم للأمير جلال الدين يشكر ابن الدوادار المجاهد دوادار الخليفة ببغداد - وكان قد تأخر حضوره فأحسن إليه السلطان وأعطاه إمرة طبلخاناه.

وفى يوم الأحد الخامس من صفر: اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب فى إيوانهم. وفُوّض تدريس الحنفية للصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين بن العديم، وتدريس الشافعية للشيخ تقى الدين محمد بن الحسن بن رزين، والتصدير لإقراء القرآن للفقيه كمال الدين المحلى، والتصدير لإفادة الحديث النبوى للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطى.

وذكروا الدروس ومدّت الأسمطة، وأنشد جمال الدين أبو الحسين الجزار يومئذ:-

ألا هكذا يبنى المدارس من بنى	ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا
لقد ظهرت الظاهر المَلْك همة	بها اليوم فى الدارين قد بلغ المنى
تجمع فيها كل حسن مفرّق	فراقت قلوبا للأنام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه	النفيسة منها فى سرور وفى هنا
وما هى إلا جنة الخلد أزلفت	له فى غد فاختار تعجيلها هنا

وأنشد عدّة من الشعراء أيضا ومنهم السراج الورّاق[1]، والشيخ جمال الدين يوسف ابن الخشاب، فخلع عليهم وكان يوما مشهودا. وجعل السلطان بهذه المدرسة خزانة كتب جليلة، وبنى بجانبها مكتبا للسبيل، وقرّر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم والكسوة فى فصل الشتاء والصيف.

وفيه ورد الخبر مع الحاج بأنه خُطب للسلطان بمكة، وأن الصدر جمال الدين حسين ابن الموصلى، كاتب الإنشاء المتوجه إلى مكة، تسلم مفتاح الكعبة وقَفَله بالقفل المسير صحبته، وأباح الكعبة للناس مدة ثلاثة أيام بغير شىء يؤخذ منهم. وفيه قرئ كتاب وقف الخان بمدينة القدس فى مجلس السلطان بقلعة الجبل، وحضر قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز قراءته، وكتب به عدة نسخ. ووقف السلطان أيضا اصطبلين تحت القلعة، يعرف أحدهما بجوهر النوبى، على وجوه البر.

وفيه ورد الخبر بأنه رُتّب بمدينة الخليل السماط والرواتب للمقيمين والواردين، وكان قد بطل ذلك من مدة أعوام كثيرة.

وفيه سار السلطان إلى وَسِيم[2] ومضى إلى الغربية، فصار يسير منفردا فى خفية ويسأل عن والى الغربية الأمير ابن الهمام وعن سيرة نوابه وغلمانه ومباشريه، فذكرت له عنه سيرة سيئة، فقبض عليه وأدبه وأقام غيره، وشُكى إليه من ظلم بعض المباشرين النصارى، فأمر به فشُنِق من أجل أنه تكلم بما يوجب ذلك. ودخل السلطان دمياط، ثم عاد إلى أشموم، وسار من المنزلة إلى الشرقية. وفيه سأل الفرنج أن يؤذن لهم فى زراعة ما بيدهم من بلاد الشام وتقويتها بجملة من الغلال، فتقررت الهدنة معهم إلى أيام، وأذن لهم ذلك فزرعوا.

وفى يوم الجمعة حادى عشريه: مات الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور أبو إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان صاحب حمص، عن غير ولد ولا أخ ولا ولى عبد. فبعث السلطان إلى الأمير عز الدين بيليك العلائى أحد الأمراء، فتسلّمها فى سابع عشريه وحلّف الناس بها للملك الظاهر، وتسلم الرحبة أيضا، وبعث السلطان إليها عشرين ألف دينار عينا، وولّى مدينة حران الأمير جمال الدين الحاكى، وولى مدينة الرقة أميرا

---

(١) عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الوراق: شاعر مصر فى عصره. كان كاتبا لواليها الأمير يوسف بن سباسلار. له ديوان شعر الكبير، فى سبعة مجلدات، اختار منه الصفدى «لمع السراج – خ» وله «نظم درة الغواص –خ». و«شرحه – خ» فى أوقاف بغداد. توفى بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢: ١٠٧، والنجوم الزاهرة ٨: ٨٣ وآداب اللغة ٣: ١٠ والأعلام ٥/ ٦٣.

(٢) هى بلدة من مديرية الجيزة غربى ناحية إمبابة. انظر معجم البلدان ٤/٩٢٩.

آخر. وورد الخبر بأن متملك جزيرة دَهْلَك[١] ومتملك جزيرة مَواكِن[٢]، يتعرضان إلى أموال من مات من التجار فسير السلطان إليها أحد رجال الحلقة رسولا، ينكر عليهما.

وفى هذه السنة: بلغ ثمن القرط[٣] الذى قضمته الخيول السلطانية وجمال المُناخات[٤] بأرض مصر، ما مبلغه خمسون ألف دينار.

وفى هذه السنة: ارتفعت الأسعار بمصر، فبلغ الأردب القمح نحو المائة درهم نقرة، فأمر السلطان بالتسعير فاشتد الحال وعدم الخبز.

وبلغ القمح مائة درهم وخمسة دراهم الأردب، والشعير إلى سبعين درهما الأردب، والخبز ثلاثة أرطال بدرهم، واللحم كل رطل بدرهم وثلث، وبلغ بالإسكندرية الأردب القمح ثلاثمائة وعشرين درهما من الوَرِق.

ثم اشتد الحال بالناس حتى أكلوا ورق اللفت والكرنب ونحوه، وخرجوا إلى الريف فأكلوا عروق الفول الأخضر.

فلما كان يوم الخميس سابع ربيع الآخر: نزل السلطان إلى دار العدل وأبطل التسعير، وكتب إلى الأهراء[٥] ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضعفاء الناس، ويكون البيع

---

(١) جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم فى البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يوميمن، وحواليها ثلاثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون، وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعدوا جبلا عاليا يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه نارا فيخرج المسلمون إليهم فى السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك هاجر أصحاب النبى ﷺ إلى النجاشى، وفى هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولى القضاء فيها بعد الأربعمائة محمد بن يونس، مالكى من أهل الأندلس، ومن هذه الجزيرة يحمل العبيد والإماء من الحبشة إلى سائر الآفاق وأهل اليمن والحجاز ومكة يستحسنون اتخاذ السرارى منهم ويفضلونهن على جميع ما يتخذون، وفى هذه الجزيرة فعاصى اللؤلؤ الجيد. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٤٤ وابن خلكان ٦/ ٣٠٠ وتقويم البلدان ٣٧١ ومعجم البلدان.

(٢) هى سواكن الحالية وتقع على الساحل البحر الأحمر وسواكن هذه بقرب جزيرة عيذاب وهى ذات مرسى ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البجاة وبلاد الحبشة ويخرج منها رقيق البجاة والحبشة واللؤلؤ الجيد، وفيها قطاط برية فى عظم الكلب الكبير تؤذى الناس، وأهلها مسلمون. انظر: معجم البلدان ٣/١٨٢ الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٣٢ وتقويم البلدان ٣٧ ونخبة الدهر ١٥١.

(٣) القرط هو: الذى تُعْلَفُهُ الدوابُّ، وهو شبيه بالرُّطبة. انظر: لسان العرب (قرط).

(٤) المناخات جمع مناخ، وهى الأمكنة المخصصة لأنواع الجمال السلطانية.

(٥) فى اللسان الأهراء متاع البيت ووقع فى صبح الأعش: الأهراء السلطانية هى الأماكن التى تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالسلطان وهى مثل الشون، غير أنها توضع بها الغلال للطوارئ الاقتصادية أما الشون فيوضع فيها ما يستهلك. انظر: صبح الأعش ٤/ ٣٣.

من ويبتين إلى ما دون ذلك حتى لا يشترى من يخزن.

ونودى للفقراء فاجتمعوا تحت القلعة، ونزل الحجاب إليهم فكتبوا أسماءهم، ومضى إلى كل جهة حاجب فكتب ما بقى فى القاهرة ومصر من الفقراء، وأحضروا عدّتهم فبلغت ألوفا.

فقال السلطان: «والله لو كانت عندى غلة تكفى هذا العالم لفرّقتها».

ثم أخذ ألوفا منهم، وأعطى لنواب ابنه الملك السعيد مثل ذلك، وأمر ديوان الجيش فكتب باسم كل أمير جماعة على قدر عدته، وأعطى الأجناد والمفاردة من الحلقة والمقدمين والبحرية، وعزل التركمان ناحية والأكراد ناحية. وأمر أن يعطى كل فقير كفايته مدّة ثلاثة أشهر، وأعطى للتجار طائفة من الفقراء، وأعطى الأغنياء على اختلاف طبقاتهم كل أحد بقدر حاله. وأمر أن يُفرّق من الشون السلطانية على أرباب الزوايا فى كل يوم مائة أردب، بعد ما يعمل خبزا بجامع ابن طولون.

ثم قال السلطان: «هؤلاء المساكين قد جمعناهم اليوم وانقضى نصف النهار، فادفعوا لكل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا، ومن غدٍ يتقرر الحال» ففرّق فيهم جملة كبيرة.

وأخذ الصاحب بهاء الدين طائفة العميان، وأخذ الأتابك جماعة التركمان، فلم يبق أحد من الخواص ولا من الطاشى ولا من الحجاب، ولا من الولاة وأرباب المناصب وذوى المراتب وأصحاب المال، حتى أخذ جماعة من المساكين. وقال السلطان للأمير صارم الدين المسعودى والى القاهرة: «خذ مائة فقير أطعمهم لله». فقال الأمير: «قد فعلتُ ذلك، وأخذتُهم دائما». فقال السلطان: «ذلك فعلتَه ابتداء من نفسك، وهذه المائة خذها لأجلى» فأخذ مائة مسكين أخرى.

وشرع الناس فى فتح المخازن وتفرقة الصدقات، فانحط السعر عشرين درهما الأردب، وقلت الفقراء. واستمرّ الحال إلى شهر رمضان، فدخل المغل الجديد وانحل السعر فى يوم واحد أربعين درهما الأردب.

وفى اليوم الذى جلس فيه السلطان بدار العدل، رُفعت إليه قصة ضُمان دار الضرب فيها بوقف الدراهم، وسألوا إبطال الدراهم الناصرية، وأن ضمَانهم مبلغ مائتى ألف وخمسين ألف درهم، فأمر السلطان أن يحط من ضمانهم مبلغ خمسين ألف درهم، وقال: «لا نؤذى الناس فى أموالهم».

وفى العشرين من ربيع الآخر: كانت زلزلة عظيمة هدمت عدّة أماكن.

وفى ثالث عشريه: رُسم بمسامحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزى بما وجب للديوان فى تركة أبيهن - وكان قد مات بدمشق فى رابع عشر المحرم - وهو مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، خارجا عن ماله من الأملاك والغلال والخيل. وكتب السلطان بذلك إلى الشام، وقصد بذلك أن يفهم أمراءه أن من مات فى خدمته وحَفِظ يمينه، ينظر فى أمر ورثته ويبقى عليهم ما يخلفه.

ومات الأمير شهاب الدين القيمرى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية، فأعطى ابنه إقطاعه وهو مائة طواش.

ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين والى سَرْمِيْن[1] أبقى السلطان إقطاعه بيد إخوته وغلمانه، كل ذلك استجلابا للقلوب.

وفيه ورد الخبر أن هيتوم ملك الأرمن جمع وسار إلى هرقلة، ونزل على قلعة صَرْخد. فخرج البريد من قلعة الجبل إلى حماة وحمص بالمسير إلى حلب، فخرجوا وأغاروا على عسكر الأرمن، وقتلوا منهم وأسروا. فانهزم الأرمن واستنجدوا بالتتار، فقدم منهم من كان فى بلاد الروم - وهم سبعمائة فارس - فلما وصلوا إلى حارم رجعوا من كثرة الثلج، وقد هلك منهم كثير.

وورد الخبر بأن خليج الإسكندرية قد انسد وامتلأت فوهته بالطين، وقل الماء فى ثغر الإسكندرية بهذا السبب، فسيّر السلطان الأمير عز الدين أمير جاندار فحفره، وبعث الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الأستادار لحفر بحر جزيرة بنى نصر عند قلة ريها.

وفى جمادى الأول: سافر الأمير سيف الدين بلبان الزينى أمير علم إلى الشام برسم تجهيز مهمات القلاع، وعَرْض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور، وإلزام الأمراء بتكميل العَدد والعُدة، وإزاحة الأعذار بسبب الجهاد. وكتب على يده عدة تذاكر بما يعتمده، وأن يحمل من دمشق خزانة كبيرة إلى البيرة برسم نفقاتها. ورحلت جماعة من عرب خفاجة كانوا قد وردوا بكتب من جماعتهم بالعراق، يخبرون فيها بأنهم أغاروا على التتار حتى وصلت غاراتهم باب مدينة بغداد، ويخبرون بأحوال مدينة شيراز، فأجيبوا وأحسن إليهم. وفيه توجه قصاد إلى الملك بركة، وأسْلَم عالم كبير على يد السلطان من التتار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والأسرى ومن النوبة القادمين من عند ملكها، ففرّق فيهم فى يوم واحد الأمير بدر الدين الخازندار مائة وثمانين فرسا.

---

(١) هى بلدة من أعمال حلب. انظر: معجم البلدان ٨٣/٣.

وفى جمادى الآخرة: قبض على جاسوسين من التتار. وتنجّز البرج الذى بناه السلطان فى قارّة[١]، وشرع فى بناء برج أكبر منه لحفظ الطرقات من عادية الفرنج.

واهتم ملك الأرمن بالمسير إلى بلاد الشام، وأعدّ ألف قباء تترى وألف سراقوج[٢]، ألبسها الأرمن ليوهم أنهم نجدة من التتر ولما ورد الخبر بذلك خرج البريد إلى دمشق بخروج عسكرها إلى حمص، وخروج عسكر حماة، وألا يخرج عربان الشام فى هذه السنة إلى البرية. فخرجت العساكر، ووالت الغارات من كل جهة، فانهزم الأرمن، ونزل العسكر على أنطاكية فقتل وأسر وغنم، وأغار العسكر أيضا ببلاد الساحل على الفرنج حتى وصل إلى أبواب عكا.

وشرع السلطان البناء فى شقيف تيرون، وكان قد خرب من سنة ثمان وخمسين وستمائة، فلما تم بناؤه حَمل إليه زردخاناه وذخائر، وبعث إلى عسكر الساحل مائتى ألف درهم فرقت فيهم. وورد البريد بأن جماعة من شيراز، ومن أمراء العراق وأمراء خفاجة، وصلوا وافدين إلى الأبواب السلطانية.

وفى أول رجب: رفعت قصة بأن على باب المشهد الحسينى مسجدا إلى جانبه موضع من حقوق القصر قد بيع بستة آلاف درهم حملت إلى الديوان. فأمر السلطان بردها وعَمَل الجميع مسجدا، وأمر بعمارته، ووقف أحد الجند بيتيم معه ذكر أنه وصيه، فقال السلطان لقاضى القضاة: «إن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده، ويُجعل اليتيم من الأوشاقية، فإذا مات اليتيم أخذ الوصى موجوده، أو يكبر اليتيم فلا يجد شيئا ولا تقوم له حجة على موجوده، أو يموت الوصى فيذهب مال اليتيم فى ماله، والرأى أن أحدا من الأوصياء لا ينفرد بوصية، وليكن نظر الشرع شاملا، وأموال اليتامى مضبوطة، وأمناء الحكم يحاققون على المضروف». وطلب السلطان نوّاب الأمراء ونقباء العساكر وأمرهم بذلك، فاستمرّ الحال عليه

وفى ثالثه: قدم الوافدون من شيراز، ومقدمهم الأمير سيف الدين بكلك، ومعهم سيف الدين اقتبار الخوارزمى جمدار جلال الدين خوارزم شاه، وغلمان أتابك سعد، وهم شمس الدين سنقرجاه ورفقته. ووصل صحبتهم مظهر الدين وشاح بن شهرى، والأمير حسام الدين حسين بن ملاح أمير العراق، وكثير من أمراء خفاجة. فتلقاهم السلطان بنفسه، وأعطى سيف الدين بكلك إمرة طبلخاناه، وأحسن إلى سائرهم.

---

(١) هى قرية جنوب حمص، على مسافة ستة وثلاثين ميلا منها، وتقع على الطريق بين حمص ودمشق. انظر: معجم البلدان ١٢/٤، ١٣.

(٢) على هامش ط: هى قلنسوة تترية.

وفى شعبان: أمر السلطان الأمراء والأجناد والمماليك بعمل العدد الكاملة، فوقع الاهتمام من كل أحد بعمل ذلك، وكثر الازدحام بسوق السلاح، وارتفع سعر الحديد وأجْر الحدادين وصناع آلات السلاح، ولم يبق لأحد شغل إلا ذلك، حتى صار العسكر لا ينفق متحصله فى شىء سوى السلاح، ولا يشتغل أحد منهم إلا بنوع من أنواع الحرب كالرمح ونحوه، وتفننوا فى أنواع الفروسية. وورد كتاب أمير المدينة النبوية أنه سار مع كسوة الكعبة حتى علقها فى البيت.

وفى شهر رمضان: تنجزت كسوة قبر النبى ﷺ، وتعيّن سفرها مع الطواشى جمال الدين محسن الصالحى. ووقع الشروع فى تجهيز الشمع والبخور وَالزَّيْت وَالطِّيبِ.

وخرج البريد إلى الأمير ناصر الدين القيمرى بالغارة على قَيْسَارِيّة[(١)] وَعَثْلِيث[(٢)] فساق إلى باب عثليث ونهب وقتل وأسر، ثم ساق إلى قيسارية ففعل مثل ذلك بالفرنج. وكان الفرنج قد قصدوا يافا، فخافوا ورجعوا عنها.

وفيه جرى السلطان على عادته فى إجراء الصدقات مطابخ القاهرة ومصر برسم الفقراء، فكان يصرف فى كل ليلة من ليالى رمضان جملة كبيرة من الخبز واللحم المطبوخ، وجرى أيضًا على عادته فى عتق ثلاثين نسمة على عادة ملوك الماضين، سوى من أعتقه من مماليكه. وورد الخبر بأن الفرنج أخذوا أخيذة كبيرة للمسلمين، فكتب إلى نوّاب الشام بالاجتهاد فى ردّها، فورد كتاب الأمير ناصر الدين القيسرى بأن الفرنج ردّوها، وكانت تشتمل على عالم كبير من الناس وجملة من المواشى. فسمع فى ساعة ردها من اختلاف الأصوات بدعاء الرجال والنساء وبكاء الأطفال، ما تكاد ترق له الحجارة.

وقدم البريد من البيرة أن صارم الدين بكتاش الزاهدى أغار على باب قلعة الروم مرارا.

وورد كتاب الملك شارل أخى الفرنسيس ملك الفرنج، ومعه هدية وكتاب

---

(١) مدينة بالشام على ساحل البحر كبيرة عظيمة لها ربع عامر وحصن منيع، بينها وبين يافا ثلاثون ميلا، وكانت من أمنع مدن فلسطين، افتتحها معاوية فى خلافة عمر بن الخطاب، فيها الكروم والبساتين وماؤها من العيون، ومنها تسقى كرومهم، وفى سنة سبع ومائة هـ افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة قيسارية عنوة، وتخرج منها فتسير فى رمال مقدار ثمانية فراسخ حتى تنتهى إلى مدينة صور. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٨٦، نزهة المشتاق ١١٥ والمقدسى ١٤٧ واليعقوبى ٣٢٩ وعن فتحها على يد معاوية انظر فتوح البلدان ١٦٧. معجم البلد ٤/٢١٤.

(٢) حصن بساحل الشام بين حيفا وقيسارية. انظر: معجم البلدان ٣/ ٦١٦.

أستاداره: «بأن مندوبه أمرَه أن يكون أمْرُ الملك الظاهر نافذا فى بلاده، وأن أكون نائب الملك الظاهر كما أنا نائبه».

وفى يوم الجمعة خامس عشريه: قرئ مكتوب فى جامع مصر بإبطال ما قرّر على ولاية مصر من الرسوم، وهى مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم نقرة. وورد الخبر بأن الأشكرى عوّق الرسل إلى الملك بركة بالهدية عن المسير إليه، حتى هلك أكثر ما معهم من الحيوان، فأحضر السلطان البطاركة والأساقفة، وسألهم عمن خالف الأيمان وما كتب به الأشكرى، فأجابوا بأنه يستحق أن يحرم من دينه، فأخذ السلطان خطوطهم بذلك، وأخرج لهم حينئذ نسخ أيمان الأشكرى، وقال: «إنه قد نكث بإمساك رسلى، ومال إلى جهة هولاكو». ثم جهز إليه الراهب الفيلسوف اليونانى، ومعه قسيس وأسقف، بحرمانه من دينه، وكتب له كتابا أغلظ فيه. وكتب السلطان أيضا إلى الملك بركة كتابا وسيره إلى الأمير فارس الدين أقوش المسعودى المتوجه بالهدية إلى الملك بركة. فلما وصلوا إلى الأشكرى أطلقهم لوقته، فساروا إلى الملك بركة.

وقدم البريد من البلاد الشامية بأن عدّة من التتار ومن الأتراك والبغاددة قد قصدوا البلاد مستأمنين، فأمر السلطان بجمع الأمراء وأعلمهم بذلك، وقال: «أخشى أن يكون فى مجيئهم من كل جهة ما يستراب منه، والرأى أن نخرج إليهم، فإن كانوا طائعين عاملناهم بما ينبغى، وإلا فنكون على أهبة. ومن احتاج من العسكر إلى شىء أعطيته، وما أنا إلا كأحدكم يكفينى فرس واحد، وجميع ما عندى من خيل وجمال ومال كله لكم ولمن يجاهد فى سبيل الله».

فأشار الأمراء عليه بسلطنة ولده، ليكون مقيما بديار مصر فى غيبته.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشر شوال: أركب السلطان ابنه الملك السعيد بشعار السلطنة، وخرج بنفسه فى ركابه وحمل الغاشية راجلا بين يديه، فأخذها منه الأمراء، ورجع إلى مقر ملكه ولم تزل الأمراء والعساكر فى خدمته إلى باب النصر، ودخلوا به من القاهرة رجالة يحملون الغاشية، وقد زينت المدينة أحسن زينة، واهتم الأمراء بنصب القباب: فسار الملك السعيد، والأمير عز الدين أيدمر الحلى راكب إلى جانبه وقد تقرّر أن يكون أتابكه، والنياب الأطلس والعتابى تفرش تحت فرسه، حتى عاد إلى قلعة الجبل ولم يبق أمير حتى فرش من جهته الثياب الحرير، فاجتمع من ذلك أحمال تفرّقها المماليك السلطانية. وكتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر تقليد الملك السعيد، بتفويض عهد السلطنة له.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: اجتمع الأمراء والقضاة والفقهاء، وقرئ التقليد المذكور، وشُرع فى ختان الملك السعيد، فأمر السلطان الناس بالتأهب للعرض عليه بالأسلحة وآلات الحرب. وقدمت طائفة من جهة التتار المستأمنة، فكتب السلطان إلى أمراء خفاجة بخدمتهم. وظهر كوكب الذؤابة بالشرق وذؤابته نحو الغرب. وصار يطلع قبيل الفجر، ويتقدم قليلا قليلا حتى صار يطلع مرتفعا، وأضاء ذنبه كثيرا و لم يتغير عن منزلة الهَقْعَة وبعده منها إلى جهة المشرق نحو رمح طويل. واستمرّ من آخر رمضان إلى أوّل ذى القعدة، وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم فى الجو، وظهر أيضا فى الغرب مما يلى الشمال، بعد عشاء الآخرة فى ليال عديدة من أخريات رمضان وأوائل شوال، خطوط مضيئة شبه الأصابع مرتفعة فى جو السماء. واحمرّت الشمس فى رابع شوّال قبيل الغروب، وذهب ضوءها حتى صارت كأنها منكسفة إلى أن غربت، فلما كان بعد عشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك.

وأحضر من المقس ظاهر القاهرة طفل ميت، له رأسان وأربع أعين وأربع أرجل وأربع أيدى، وُجِد بساحل المقس.

وفيه قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل صاحب الكرك، وورد الخبر بوصول الرسل إلى الملك بركة، وإكرامه إياهم وتجهيزه لهم.

وفى أوّل ذى القعدة: جلس السلطان لعرض العساكر عند طلوع الشمس، وقد ملأوا الدنيا، فساق كل أمير فى طلبه وهو لابس لامة حربه، وجرّوا الجنائب وعليها عُدد الحرب، وأمر السلطان ألا يلبس أحد فى هذا اليوم إلا شعار الحرب. فما زال السلطان جالسا على الصُّفَّة التى بجانب دار العدل، والعساكر تسوق وهى لابسة، وديوان الجيش بين يديه، والعساكر تعبر خمسة، ثم عبرت عشرة عشرة. وكاد الناس يهلكون من الزحام وحُمُوّ الحديد، فعبروا بغير حساب. وهلك عدة من الناس فى الزحام، منهم أيبك مملوك الأمير عز الدين أيدمر الحلى، فدفن ثم نبش ودفن فى قبر آخر. فقال فى ذلك القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

ما نقلوا أيبك من قبره ... لحادث كلاّ ولا عن ثبور
لكبه فى يوم عرض قضى ... والعرض لابد له من نشور

وأراد السلطان بركوب العسكر فى يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا استعار شيئا، فكان من يعرض يدخل من باب القرافة، ويخرج من جهة الجبل إلى باب النصر إلى

الدهليز المضروب هناك. فلما قرب غروب الشمس ركب السلطان بقباء أبيض لا غير، وساق فى وسط العساكر اللابسة - ومعه يسيرٌ من سلاح داريته وخواصه - إلى الدهليز، فنزل به ورتب المنازل، ثم عاد إلى القلعة وقت المغرب. ثم إن الناس اهتموا باللعب، ولبَّسوا خيولهم النّشاهِيرْ[١] والبرلسم [٢] البحرية، والمراوات[٣] والأهلة الذهب والفضة، والأطلس الخطابى[٤].

ونزل السلطان وجانبه تجر، فكان منظرا يبهر العيون حسنه. وكان الذى دخل فى المراوات من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصى. وساق السلطان إلى ميدان العيد وقُدّامه جنائبه، وشَرط لكل أمير يصيب القَبَق[٥] فرسا من الجنائب بما عليه من التشاهير، وخلعة لكل مفردى أو مملوك أو جندى. وساق هو والأمراء، ثم المفاردة والبحرية والظاهرية والحلقة والأجناد، ودخل الناس بالرماح بكرة النهار. ونزل السلطان وقت الصلاة للصلاة وإطعام الطعام، ثم ركب الناس ولبسوا، وركب السلطان لرمى النشاب وأعطى وخلع.

وفى هذا اليوم: حضر رسل الملك بركة، فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن زيهم واهتمام السلطان وبهجة الخيول وجلالة الفرسان ما بهر عقولهم، ووقفوا بجانب السلطان يشاهدون حركات العساكر وإصابة رميها. واستمر ذلك أياما.

وفى تاسعه: خلع السلطان على الملوك والأمراء والبحرية والحجاب والحلقة، وأرباب العمائم والوزراء والقضاة وذوى البيوت، وحضروا بالخلع، واستمر اللعب بقية النهار. فسألت الرسل عن العساكر، هل هى عساكر مصر والشام، فقيل لهم: «هذا عسكر مصر فقط، غير من فى الثغور مثل إسكندرية ودمياط ورشيد وقوص، والمجردين والذين سافروا فى إقطاعاتهم». فكثر تعجّبهم من ذلك.

وفى عاشره: عُمل السماط بقلعة الجبل، وحضر الملك السعيد وفى خدمته أولاد الملوك وأولاد الأمراء. فختن الملك السعيد، ثم ختن ابن الأمير عز الدين الحلى الأتابك، وابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الرومى، وابن الأمير سيف الدين سكز، وابن حسام الدين ابن بركة خان، وابن الملك المجاهد ابن صاحب الموصل، ثم أولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة، وابن فخر الدين الحمصى، وعدّة من أولاد الأمراء.

---

(١) هى الأشرطة التى توضع حول صدر الحصان.

(٢) هى السروج الحربية.

(٣) هى قطع المعدن التى يزان بها سرج الحصان.

(٤) هى نوع من أنواع الحرير يصنع فى تبريز. انظر: معجم البلدان ١/ ٨١٢.

(٥) وصف المصنف فى خططه هذه اللعبة ٢/ ١١١ بأنها من ألعاب الرماية.

وكان ذلك بعدما عمل لعدّة من الأيتام وأبناء الفقراء بمصر والقاهرة كسوة، فأحضروا فى هذا اليوم وختنوا. ومنع السلطان الأمراء والخواص من التقدمة التى جرت العادة بها للملوك فى مثل هذا المهم، فلم يقدّم أحد من الخاصة شيئا ألبتة.

ولما انقضى هذا المهم خرج السلطان إلى الطَرّانَة[١] وسار إلى وادى هُبَيْب[٢] ونزل الأديرة التى هناك، ومضى إلى تروجة وسار منها إلى الحمامات، وسلك إلى العقبة وضرب الحلقة برسم الصيد، وأدركه عيد النحر هناك. وجرد جماعة لأخذ عربان بلغه كثرة فسادهم، وأحضر هوارة وعرب سليم، وألزمهم بإشهاد كتب عليهم بعمارة البلاد، وألا يؤوا أحدا من أهل الفساد. ثم عاد إلى ثغر الإسكندرية، وعمّ المفاردة والأمراء والخواص بتفرقة المال والقماش، ولعب الكرة بالميدان، وزار الشاطبى. ثم سار إلى القاهرة، فنزل تروجة، ورسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزار على عرب برقة، وألزمه بجباية زكاة المواشى وأخذ عُشر الزروع والثمار بفريضة الله، فالتزم بذلك. وأنعم عليه بسنجق ونقارات، وتوجه لحفظ البلاد واستخرج الزكاة والعشور من العربان ببرقة.

ووصل السلطان إلى قلعة الجبل، فقدم شِحْنَة تكريت بجماعة. وجهز السلطان الأمير أمين الدين موسى بن التركمانى، ومعه عدة من الرماة والمقاتلة. وخزانة مال وعدة خلع، وكثير من أمراء عربان الكرك وبحريتها، ومبلغ من الغلال والذخائر. فساروا إلى خيبر واستولوا على قلعتها.

وكثر فى هذه السنة قتل الناس فى الخليج، وفُقِد جماعة، والتبس الأمر فى ذلك. ثم ظهر بعد شهر أن امرأة جميلة يقال لها غازية كانت تخرج بزينتها ومعها عجوز، فإذا تعرض لها أحد قالت له العجوز: «لا يمكنها المصير إلى أحد، ولكن من أرادها فليأت منزلنا»، فإذا وافى الرجل إليها خرج إليه رجال فقتلوه وأخذوا ما معه. وكانت المرأة فى كل قليل تنتقل من منزل إلى منزل، حتى سكنت خارج باب الشعرية على الخليج. فأتت العجوز إلى ماشطة مشهورة بالقاهرة واستدعتها إلى فرح، فسارت الماشطة معها بالحلى على العادة ومعها جاريتها، ودخلت الماشطة وانصرفت جاريتها، فقتل الجماعة الماشطة وأخذوا ما كان معها. وجاءت جاريتها إلى الدار تطلب مولاتها فأنكروها، فمضت إلى الوالى وعرّفته الخبر، فركب إلى الدار وهجمها فإذا بالصبية والعجوز، فقبض عليهما وعرضهما على العذاب، فأقرتا فحبسهما. واتفق أن رجلا خارجا لفقد

---

(١) هى بلدة واقعة على الشاطئ الغربى لفرع رشيد. انظر: الخطط التوفيقية ٣٤/١٣.

(٢) هو وادى النطرون. انظر: الخطط التوفيقية ٤٨/١٧.

أحوالهما، فقُبض عليه وعوقب فدل على رفيقه، فإذا هو صاحب أقمنة طوب فعوقب أيضا. فوجد أنهم كانوا إذا قتلوا أحدا ألقوه فى القمين حتى تحترق عظامه، وأظهروا من الدار حفائر قد ملئت بالقتلى، فسُمِّروا جميعا. ثم انطلقت المرأة بعد يومين، فأقامت قليلا وماتت، ثم عملت الدار التى كانوا بها مسجدا، وهو المعروف بمسجد الخَنَاقة.

وفى هذه السنة: وقف السلطان عدّة قرى بأعمال الشام والقدس، لصرف ريعها فى خبز ونعال لمن يرد إلى القدس من المشاة، ومبلغ فلوس. وأنشأ خانا وفرنا وطاحونا، وجعل النظر فى ذلك للأمير جمال الدين محمد بن نهار.

وفيها قبض الأشكرى صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد صاحب بلاد الروم. وسبب وجود عز الدين عند الأشكرى هو اختلافه مع أخيه ركن الدين قلج أرسلان، حتى غلبه أخوه ففر منه، وملك أخوه ركن الدين قلج أرسلان بلاد الروم. فمضى عز الدين إلى الأشكرى، فآواه وأنزله ومن معه من الأمراء، وقام بأمرهم مدّة، حتى بلغه أنهم قصدوا قتله وأخذ المملكة منه، فقبض عليهم واعتقل عز الدين، وكحل أصحابه كلهم فأعماهم.

وفيها ولى محيى الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الأسدى الشافعى قضاء حلب، عوضا عن ابن عمه كمال الدين أبى بكر أحمد المتوفى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابن شادى صاحب الكرك، مقتولا بقلعة الجبل، عن ثلاثين سنة.

ومات الملك الأشرف موسى بن المنصور بن إبراهيم بن المجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور بن شيركوه بن شادى صاحب حمص، عن خمس وثلاثين سنة بها، وهو آخر من ملك حمص من أولاد شيركوه.

ومات الأمير حسام الدين لاجين العزيزى الجوكندار بدمشق، عن نحو خمسين سنة.

وتوفى قاضى قضاة دمشق عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن جمال الدين أبى القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن الحرستانى الدمشقى الشافعى، وهو معزول وبيده خطابة الجامع وتدريس الحديث بالأشرفية، عن خمس وخمسين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة بحلب كمال الدين أبو بكر أحمد بن زين الدين أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن علوان الأسدى الشافعى، المعروف بابن الأستاذ، عن إحدى وخمسين سنة.

وتوفى شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى[1] عن ست وسبعين سنة، فى ثامن رمضان، ومولده فى جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وتوفى الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيى القبارى بالإسكندرية، عن خمس وسبعين سنة.

* * *

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى الأوسى، شرف الدين، المعروف بابن قاضى حماة: شاعر، فقية. ولد فى دمشق وسكن حماة. وتوفى بها. انظر: فوات الوفيات ١/٢٨٩ - ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١٤ وصلة التكملة للحسينى وتعليقات عبيد، والأعلام ٤/٢٥،٢٦.



سنة ثلاث وستين وستمائة

فى المحرم توجه الملك الظاهر من قلعة الجبل إلى الصيد فأقام برسيم، ثم صار إلى العباسية ورمى البندق، وادّعى له جماعة منهم الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث صاحب الكرك. فورد الخبر بنزول التتر على البيرة، فجهز السلطان من فوره الأمير بدر الدين الخازندار على البريد، ليخرج أربعة آلاف فارس من بلاد الشام.

وركب السلطان من موضعه وساق إلى القلعة، وكانت الخيول على الربيع، فلم يقم بقلعة الجبل بعد عوده من الصيد غير ليلة. وعين الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت لتقدمة العساكر، ومعه من الأمراء فخر الدين الحمصى، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، والأمير علاء الدين كشتغاى الشمسى، وعدّة من الأمراء والحلقة تبلغ أربعة آلاف فارس، فخرجوا من القاهرة جرائد فى رابع شهر ربيع الأول. ثم عين الأمير جمال الدين المحمدى، والأمير جمال الدين أيدغدى الحاجى، ومعهما أربعة آلاف أخرى، فبرزوا ثانى يوم خروج الأمير عز الدين إيغان إلى ظاهر القاهرة، وساروا فى عاشره.

وفى يوم السبت رابع ربيع الآخر: شرع السلطان فى السفر، وخرج بنفسه فى خامس شهر ربيع الآخر ومعه عساكر كثيرة، فوقع فناء فى الدواب هلك منها عدد كثير، وصارت الأموال مطروحة، والسلطان لا يَقصر فى المسير. فلما شُكى إليه قلة الظهر قال: «ما أنا فى قيد الجمال، أنا فى قيد نصرة الإسلام».

ونزل السلطان غزة فى العشرين منه، فورد الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا، فكتم ذلك و لم يعلم به سوى الأمير شمس الدين سنقر الرومى والأمير سيف الدين قلاوون فقط.

وكتب السلطان للأمير إيغان: «متى لم تدركوا قلعة البيرة؟ وإلا سقت إليها بنفسى جريدة»، فساق الأمير إيغان العسكر، ورحل السلطان من غزة، ونزل قريبا من صيداء، فركب للصيد فتقطر عن فرسه وتهشم وجهه، فتجلد ورحل، وأتاه قَسْطِلان يافا بتقادم.

ونزل السلطان بِيُبْنَى فى سادس عشريه، فورد البريد من دمشق وهو فى الحمام

بالدهليز، فلم يمهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان: فإذا هو يتضمن بأن بطاقة الملك المنصور صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالعساكر، صحبة الأمير عز الدين إيغان وجماعة الأمراء - يوم الإثنين، وأن التتار عندما شاهدوهم هربوا، ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم، وكان من حين كتابتها بالبيرة إلى حين وصولها يبنى أربعة أيام، ثم توالت كتب الأمراء بالبشارة، فكتب بذلك إلى القاهرة وغيرها. واستشهد على البيرة الأمير صارم الدينبكناش الزاهدى، وترك موجودا كبيرا وبنتا واحدة، فرسم السلطان أن يكون جميع الإرث لها لا يشاركها فيه أحد وكتب السلطان بعمارة ما خرب من البيرة، وحَمْل آلات القتال والأسلحة إليها من مصر والشام، وأن يعبأ فيها كلْ ما يحتاج إليه أهلها فى الحصار لمدة عشر سنين. وكتب للأمراء ولصاحب حماة بالإقامة على البيرة، حتى ينظف الخندق من الحجارة التى ردمها العدو فيه، فكانت الأمراء تنقل الحجارة على أكتافها مدّة. وبعثوا بخبر ذلك إلى السلطان وهو واقف على سور قيسارية ليهدمه بنفسه، وفى يده القَطَّاعَة وقد تجرحت يده. فكتب جوابهم: «إنا بحمد الله ما تخصصنا عنكم براحة ولا دعة، ولا أنتم فى ضيق ونحن فى سعة. ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليل والنهار، وناقل الأحجار ومرابط الكفار. وقد تساوينا فى هذه الأمور، وما ثَمَّ ما تضيق به الصدور».

وكتب السلطان إلى القاهرة باستدعاء مائتى ألف درهم ومائتى تشريف، وإلى دمشق بتجهيز مائة ألف درهم ومائة تشريف، وحمل جميع ذلك إلى البيرة. وكتب إلى الأمير إيغان بأن يحضر أهل قلعة البيرة ويخلع على سائر من فيها من أمير ومأمور وجندى وعامى، وينفق فيهم المال حتى الحراس وأرباب الضوء، فاعتمد ذلك كله وكتب إلى الديار المصرية بتبطيل المِزْر، وأن تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه، وأن يسقط ارتفاعه من الديوان، «ومن كان له على هذه الجهة شىء نعوضه من مال الله الحلال»، فاعتمد ذلك، وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهة المزر.

ثم ركب السلطان من العوجاء بعد ركوب الأطلاب للتصيد فى غابة أرسوف، ورسم للأمراء من أراد منهم الصيد فليحضر، فإن الغابة كثيرة السباع وساق إلى أرسوف وقيسارية، فشاهدهما وعاد إلى الدهليز، فوجد أخشاب المنجنيقات قد أحضرت بصحبة زرد خاناه، فأمر بنصب عدة مجانيق وعملها. وجلس السلطان مع الصناع يستحثهم، فعمل فى يوم واحد أربع منجنيقات كبار سوى الصغار. وكتب إلى القلاع بطلب المجانيق والصناع والحجارين، ورسم للعسكر بعمل سلالم. ورحل

السلطان إلى قريب عيون الأَسَاوِر[١] من وادى عـارَة وعَرْعَـرة، فلما كـان بعد عشاء الآخر أمر العسكر كله فلبسـوا آلـة الحرب، وركـب آخر الليـل وسـاق إلى قيسـارية، فوافاها بكرة نهار الخميس تاسع جمـادى الأولى على حـين غفلـة مـن أهلهـا، وضـرب عليها بعساكره. وللوقت ألقى الناس أنفسهم فى خندقها، وأخذوا السِّـكَك [٢] الحديـد التى برسم الخيول - مع المَقاوِد والشُّبَح[٣]، وتعلقوا فيها من كل جانب حتـى صعـدوا، وقد نُصبت المجانيق ورمى بها. فحرقوا أبواب المدينة واقتحموها، ففر أهلهـا إلى قلعتهـا، وكانت من أحصن القلاع وأحسنها وتعرف بـالخضراء وكـان قـد حمـل عليهـا الفرنـج العُمُد الصوان، وأتقنوها بتصليب العمد فى بنيانها، حتى لا تعمل فيها النقـوب ولا تقـع إذا عُلِّقَـت، فاستمر الزحـف والقتـال عليهـا بالمجانيق والدبابـات والزحافـــات ورمـى النشاب. وخرجت تجريـدة مـن عسـكر السـلطان إلى بيسـان مـع الأمـير شـهاب الديـن القيمرى، فسيّر جماعة من التركمان والعربان إلى أبواب عكا، فأسروا جماعة من الفرنج.

هذا والقتال مُلِحٌّ على قلعة قيسارية، والسلطان مقيم بأعلى كنسية تجاه القلعـة ليمنـع الفرنج من الصعود إلى علو القلعة، وتارة يركـب فى بعض الدبابـات ذوات العجـل التـى تجرى حتى يصل إلى السور ليرى النقوب بنفسه. وأخذ السلطان فى يده يوما من الأيـام ترسا وقاتل، فلم يرجع إلا وفى ترسه عدة سهام.

فلما كان فى ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى: سلم الفرنج القلعة بمـا فيهـا، فتسلق المسلمون من الأسوار، وحرقوا الأبـواب ودخلوهـا مـن أعلاهـا وأسـفلها، وأذّن بالصبح عليها. وطلع السلطان ومعه الأمراء إليها، وقسّم المدينة علـى الأمـراء والممـاليك والحلقة، وشرع فى الهدم ونزل وأخذ بيده قطاعة وهدم بنفسه. فلما قارب الفـراغ مـن هدم قيسارية بعث السلطانُ الأمير سـنقر الرومـى والأمـير سيف الديـن المستعرب فـى جماعة، فهدموا قلعة كانت للفرنج عنـد المُلُوحـة[٤] قريـب دمشـق - وكـانت عاتيـة - حتى دكوها دكا.

---

(١) هى منزلة قرب قيمون والرملة من أعمال فلسطين. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢١٨.

(٢) السكك جمع سكة، وهى الوتد الذى يربط به مقود الحصان، وكل مسمار عند العرب سَكٌّ. انظر: محيط المحيط ولسان العرب (سك).

(٣) جمع شبحة، هى مدك الشىء بين أوتاد، أو الرحل بين شيئين وهى السلسة التى يربط بها قدم الحصان فى أحد طرفيها عروة وتزرر فى القدم، وفى طرفها الآخر وزة تدق فـى الأرض انظـر: محيط المحيط (شبح).

(٤) قرية كبيرة من قرى حلب، وتقع فى الجنوب الشرقى منها. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٦٨.

وفي سادس عشريه: سار السلطان جريدة إلى عثليث، وسيّر الأمير سنقرا السلاح دار، والأمير عز الدين الحموى، والأمير سنقرا الألفى إلى حيفا. فوصلوا إليها، ففرّ الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها، فدخلها الأمراء بعد ما قتلوا عدّة من الفرنج وبعد ما أسروا كثيرا، وخربوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها فى يوم واحد، وعادوا بالأسرى والرءوس والغنائم سالمين. ووصل السلطان إلى عثليث فأمر بتشعيثها وقطع أشجارها، فقطعت كلها وخربت أبنيتها فى يوم واحد. وعاد إلى الدهليز بقيسارية، وكمّل هدمها حتى لم يدع لها أثرا، وقدمت منجنيقات من الصبيبة وزرد خاناه من دمشق، وورد عدّة من الفرنج للخدمة، فأكرمهم السلطان وأقطعهم الإقطاعات.

وفي تاسع عشريه: رحل السلطان من قيسارية، وسار من غير أن يعرف أحد قصده فنزل على أرسوف مستهل جمادى الآخرة، ونقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال الشاهقة وعمل منها ستائر، وحفر سربين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقّفه بالأخشاب. وسلم أحدهما للأمير سنقر الرومى، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير شمس الدين الذكر الكركى، وجماعة غيرهم. وسلم الآخر للأمير سيف الدين قلاوون، والأمير علم الدين الحلبى الكبير، والأمير سيف الدين كرمون، وجماعة غيرهم. وعمل السلطان طريقا من الخندقين إلى القلعة، وردمت الأحطاب فى الخندق، فتحيل الفرنج وأحرقوها كلها. فأمر السلطان بالحفر من باب السربين إلى البحر، وعمل سروبا تحت الأرض يكون حائط خندق العدو ساترا لها، وعمل فى الحائط أبوابا يرمى التراب منها وينزل فى السروب حتى تساوى أرضها أرض الخندق. وأحضر المهندسين حتى تقرر ذلك، وولى أمره للأمير عز الدين أيبك الفخرى. فاستمر العمل، والسلطان بنفسه ملازم العمل بيده فى الحفر وفى جر المنجنيقات ورمى التراب ونقل الأحجار، أسوة لغيره من الناس. وكان يمشى بمفرده وفى يده ترس، تارة فى السرب وتارة فى الأبواب التى تفتح، وتارة على حافة البحر يرامى مراكب الفرنج. وكان يجر فى المجانيق، ويطلع فوق الستائر يرمى من فوقها، ورمى فى يوم واحد ثلاثمائة سهم بيده. وحضر فى يوم إلى السرب وقد فى رأسه خلف طاقة يرمى منها، فخرج الفرنج بالرماح وفيها خطاطيف ليجبذوه[1] فقام وقاتلهم يدا بيد - وكان معه الأمير سنقر الرومى، والأمير بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، فكان سنقر يناوله الحجارة - حتى قتل فارسين من الفرنج، ورجعوا على أسوأ حال. وكان

---

(١) الجبذ لغة فى الجذب عند البصريين، ونحاة الكوفة يعدونه من القلب المكانى. ينظر: المزهر للسيوطى (باب القلب المكانى).

يطوف بين العساكر في الحصار بمفرده، ولا يجسر أحد ينظر إليه ولا يشير إليه بأصبعه.

وحضر فى هذه الغزاة جمع كبير من العباد والزهاد والفقهاء وأصناف الناس، ولم يعهد فيها خمر ولا شيء من الفواحش. بل كانت النساء الصالحات يسقين الماء فى وسط القتال، ويعملن فى جَرِّ المجانيق. وأطلق السلطان الرواتب من الأغنام وغيرها لجماعة من الصلحاء، وأعطى الشيخ على البكا جملة مال. ولا سُمِع عن أحد من خواص السلطان أنه اشتغل عن الجهاد فى نوبته بشغل، ولا سيَّر أميرٌ غلمانه فى نوبته واستراح. بل كان الناس فيها سواء فى العمل، حتى أثرت المجانيق فى هدم الأسوار، وفرغ من عمل الأسربة التى بجانبى الخندق، وفتحت فيها أبواب متسعة.فلما تهيأ ذلك وقع الزحف على أرسوف فى يوم الخميس ثامن رجب، ففتحها الله فى ذلك اليوم عندما وقعت الباشورة. فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلَّقوا وطلعوا القلعة، ورُفعت الأعلام الإسلامية على الباشورة، وحَفَّت بها المقاتلة وطَرَحت النيران فى أبوابها.

هذا والفرنج تقاتل، فدفع السلطان سنجقه للأمير سنقر الرومى وأمره أن يؤمن الفرنج من القتل، فلما رآه الفرنج تركوا القتال. وسُلِّم السنجق للأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط الحاجب، ودُلِّيت له الحبال من القلعة فربطها فى وسطه والسنجق معه، ورُفع إليها فدخلها وأخذ جميع سيوف الفرنج وربطهم بالحبال وساقهم إلى السلطان والأمراء صفوف وهم ألوف.

وأباح السلطان القلعة للناس، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شيء كثير، وكان فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض السلطان لشيء منه، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال ووجد فيها عدَّة من أسرى المسلمين فى القيود فأطلقوا، وقيد الفرنج بقيودهم، وعين السلطان جماعة مع الأسرى من الفرنج ليسيروا بهم، وقسم أبراج أرسوف على الأمراء، وأمر أن يكون أسرى الفرنج يتولون هدم السور، فهدمت بأيديهم.

وأمر السلطان بكشف بلاد قيسارية وعَمَلِ متحصلها، فعملت بذلك أوراق، وطَلَب قاضى دمشق وعدوله ووكيل بيت المال، وتقدم بأن يُمَلَّك الأمراء المجاهدون من البلاد التى فتحها الله عليه ما يأتى ذكره. وكتبت تواقيع كل منهم من غير أن يطلعوا على ذلك، فلما فَرَغت التواقيع فُرِّقت على أربابها، وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك، ونسخته:

«أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود، وتمكينه الذى رفلت به الملة الإسلامية فى أصفى البرود، وفتحه الذى إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لأمر ما يسود من يسود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد الكفار بالسيف البتار، وأعلمهم لمن عقبى الدار، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشى والإبكار، فإن خير النعمة وردت بعد اليأس، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس، فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسبابا، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبوابا، وهزمت من التتار والفرنج العدوين، ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين، وجعلت عساكر الإسلام تذل الفرنج بغزوهم فى عقر الدار، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار، وتقود مَنْ فَضَلَ عن شِبَع السيف الساغب إلى حلقات الإسار، ففرقة منها تقتلع للفرنج قلاعا وتهدم حصونا، وفرقة تبقى ما هدم للتتار بالمشرق وتعليه تحصينا، وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعا شاهقة وتقسم هضابا سامقة. فهى بحمد الله البانية الهادمة، والقاسمة الراحمة. كل ذلك بمن أقامه الله وجرد سيفا فَفَرَى، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيرا فسار إلى مواطن الظفر وَسَرَى، وكونته السعادة ملكا إذا رأته فى دستها قالت تعظيما له ما هذا بَشَرا. وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس، جعل الله سيوفه مفاتح البلاد، وأعلامه أعلاما من الأسنة على رأسها نار بهداية العباد، فإنه آخذ البلاد ومعطيها، وواهبها بما فيها. وإذا عامله الله بلطفه شَكَر، وإذا قدر عفى وأصلح فوافقه القدر، وإذا أهدت إليه النصرة فتوحات قسمها فى حاضريها لديه متكرما وقال لمن حضر، وإذا خوّله الله تخويلا وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للأسوار، والدماء للبتار، والرقاب للإسار، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار. ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة فى الصحائف لصِفَاحِه[1] من الأجور، وما تطوى عليه طربات السير التى غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمةَ الثغور».

فتى جعل البلاد من العطا	فأعطى المدْن واحتقر الضياعا
سمعنا بالكرام وقد أرانا	عيانا ضعف ما فعلوا سماعا
إذا فعل الكرام على قياس	جميلا كان ما فعل ابتداعا

ولما كان بهذه المثابة، وقد فتح الفتوحات التى أجزل الله بها أجره وضاعف ثوابه، وله أولياء النجوم ضياء، وكالأقدار مضاء، وكالعقود تناسقا، وكالوَبْل تلاحقا إلى

---

(١) صفح الشيء عُرْضُ وجهه، وصفح السيف وصفحُهُ: عرْضُهُ. انظر: لسان العرب (صفح).

الطاعة وتسابقا، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ، وبعزائمهم تستخلص، وأن يؤثرهم على نفسه، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه، ويبقى للولد منهم وولد الولد، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد، ويعيش الأبناء فى نعمته كما عاش الاباء، وخير الإحسان ما شمل وأحسنه ما خلد. فخرج العالى لازال يشمل الأعقاب والذرارى، وينير إنارة الأنجم الدرارى، أن يُمَلِّك أمراؤه وخواصه الذين يُذكرون، وفى هذا المكتوب يُسطرون، ما يُعَيَّن من البلاد والضياع، على ما يُشرح ويبين من الأوضاع، وهو الأتابك فارس الدين أقطاى الصالحى عَتِّيل بكمالها، الأمير جمال الدين إيدغدى العزيزى النصف من زِيتا، الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى نصف طُوْركَرَم، الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طوركرم، الأمير شمس الدين الذكر الكركى ربع زيتا، الأمير سيف الدين قلج البغدادى ربع زيتا، الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحى أفْرَاسِينْ بكمالها، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى باقة الشرقية بكمالها، الأمير عز الدين أيدمر الحلبى الصالحى نصف قَلَنْسُوَة، الأمير شمس الدين سنقر الرومى نصف قلنسوة، الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى نصف طَيِّبة الاسم، الأمير عز الدين إيغان سم الموت نصف طيبة الاسم، الأمير جمال الدين أقوش النجيبى نائب سلطنة الشام أم الفَحم بكمالها من قيسارية، الأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحى بَتان بكمالها، الأمير جمال الدين أقوش المحمدى نصف بُورِين، الأمير فخر الدين ألطنبا الحمصى نصف بورين، الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى الناصرى نصف بيزّين، الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحى نصف بيزّين، الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث ثلث حَلْبة، الأمير شمس الدين سلار البغدادى ثلث حلبة، الأمير صارم الدين صراغان ثلث حلبة، الأمير ناصر الدين القيمرى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين بلبان الزبنى الصالحى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين إيتامش السعدى نصف يمّا، الأمير شمس الدين آقسنقر السلاح دار نصف يمّا، الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة، الملك المظفر صاحب سنجار نصف دَنَّابة، الأمير بدر الدين محمد بى ولد الأمير حسام الدين بركة خان دير القُصُوْن بكمالها، الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار نصف الشُوَيْكة، الأمير سيف الدين كرمون أغا التترى نصف الشويكة، الأمير بدر الدين الوزيرى نصف طُبَرْس، الأمير ركن الدين منكورس الديدارى نصف طبرس، الأمير سيف الدين قشتمر العجمى عَلاّر بكمالها، الأمير علاء الدين أخو الدويدار نصف عَرْعَرَا، الأمير سيف الدين قَفْجَق البغدادى نصف عرعرا، الأمير سيف الدين دكجل

البغدادى نصف فَرْعُوْن، الأمير علم الدين سنجر الأزكشى نصف فرعون، الأمير علم الدين طرطج الأسدى أَقْتَابَة بكمالها، الأمير حسام الدين إيمتش بن أطلس خان سِيْدا بكمالها، الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس الصُّفْرا بكمالها، الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى نصف أَرْقاح، الأمير شمس الدين سنقر الألفى نصف أرقاح، الأمير علم الدين طيبرس الظاهرى نصف باقة الغربية، الأمير علاء الدين التنكرى نصف باقة الغربية، الأمير عز الدين الأتابك الفخرى القصير بكمالها، الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الظاهرى أَخْصاص بكمالها، الأمير ركن الدين بيبرس المغربى نصف قَفّين، الأمير شجاع الدين طغربل الشبلى أمير مهمندار نصف كفر راعى، الأمير علاء الدين كندغدى الحُبيشى مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعى، الأمير شرف الدين بن أبى القاسم نصف كسفا، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى نصف كسفا، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور أستادار العالية نصف بَرْنِيْكِيَّة، الأمير علم الدين سنجر الحلى الغزاوى نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر نائب أمير جاندار نصف حانُوْتا من أرسوف، الأمير سيف الدين بيدغان الركنى فَرْدِيْسِيَا بكمالها من قيسارية، الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الكرك ثلث حَبْلَة من أرسوف، الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومى ثلث حبلة، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهرى ثلث حبلة، الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ثلث جُلْجُوْلِيَّة، الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ثلث جلجولية، الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومى ثلث جلجولية.

وكُتب من كتاب التمليك الشرعى الجامع نسخ، وفُرّقت على كل أمير نسخة، وخُلع على قاضى دمشق وعاد إلى بلده. ونُقلت المنجنيقات إلى القلاع، وهى الكرك وعجلون ونحوهما.

ورحل السلطان من أرسوف بعد استكمال هدمهما فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى شهر رجب إلى غزة وسار منها إلى مصر، فخرج الملك السعيد والأتابك عز الدين الحلى نائب السلطنة إلى لقائه ببركة الحجاج، فلقوه هناك. ودخل السلطان من القاهرة فى يوم الخميس حادى عشر شعبان والأسرى بين يديه حتى خرج من باب زويلة، وصمد إلى قلعة الجبل فاستراح. وعَرَض ما حصّله الأمير عز الدين الحلى، والصاحب بهاء الدين بن حنا من الخزائن، ولم يترك أحدا من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى، ولا أحدا من خواصه ولا بَزْدَارِيته، وبردِدَارِيّته وسائر حواشيه، حتى عمَّ الجميع بالخلع وأحسن إلى رسل الملك بركة، وكتب إلى اليمن وإلى الأنبرور بالبشارة، وأخرج جملة من الدراهم والغلة والكساوى تصدّق بها على الفقراء.

وكان قد كثر الحريق بالقاهرة ومصر فى مدّة سفر السلطان، وأشيع أن ذلك من النصارى. ونزل بالناس من الحريق فى كل مكان شدّة عظيمة، ووُجد فى بعض المواضع التى احترقت نفط وكبريت. فأمر السلطان بجمع النصارى واليهود، وأنكر عليهم هذه الأمور التى تفسخ عهدهم وأمر بإحراقهم. فجَمع منهم عالم عظيم فى القلعة، وأحضرت الأحطاب والحَلْفَاء، وأمر بإلقائهم فى النار، فلاذوا بعفوه وسألوا المنّ عليهم. وتقدم الأمير فارس الدين أقطاى أتابك العساكر فشفع فيهم، على أن يلتزموا بالأموال التى احترقت، وأن يحملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار. فأفرج عنهم السلطان، وتولى البطرك توزيع المال، والتزموا ألا يعودوا إلى شيء من المنكرات، ولا يخرجوا عما هو مرتّب على أهل الذمة، وأطلقوا.

وكان الأمير زامل بن على لا تزال الفتنة بينه وبين الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة. فلما طلعت العساكر إلى الشام مع الأمير طيبرس قبضوا على زامل بالبلاد الحلبية، وحُمل إلى قلعة عجلون. ثم نُقل إلى القاهرة واعتقل، ثم أفرج عنه وصار يلعب مع السلطان فى الميدان، وحضر الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا وأحمد بن حجى[1] والأمير هارون، وأصلح السلطان بينهم وبين زامل، وردّ على زامل إقطاعه وإمرته، وأذن لهم فى السفر. فساروا حتى دخلوا إلى الرمل، فساق زامل وهجم على بيوت عيسى وأفسد، وقبض على قصّاد السلطان المتوجهين إلى شيراز، وأخذ منهم الكتب وسار بها إلى هولاكو وأطمعه فى البلاد، فأعطاه هولاكو إقطاعا بالعراق.

وسافر زامل إلى الحجاز فنهب وقتل، وعاد إلى الشام، وكان السلطان قد أعطى إقطاعه لأخيه أبى بكر، فضاقت عليه الأرض، وكتب يطلب من السلطان العفو، فقرر السلطان معه الحضور إلى مدة عيّنها له، وأنه متى تأخر عنها فلا عهد له ولا أيمان فلما تأخر عن المدة المعينة وحضر بعدها قبض عليه، واعتقل بقلعة الجبل.

وفى خامس عشريه: جلس السلطان بدار العدل، وطلب تاج الدين بن القرطى، فلما حضر قال السلطان له: «أضجرتنى مما تقول. عندى مصالح لبيت مال المسلمين، فتحدث الآن بما عندك». فتكلم القرطى فى حق قاضى القضاة، وفى حق صاحب سواكن، وقال: إن الأمراء الذين ماتوا أخذ ورثتهم أكثر من حقوقهم. فأمر السلطان

---

(١) أحمد بن حجى بن بريد البرمكى، شهاب الدين، أمير آل مرى فى بادية الشام. توفى فى بصرى بالشام. انظر: النجوم الزاهرة ٣٥٧/٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٣ والأعلام ١/ ١١٠.

بإحضار زيَار[١]، وأراه لمن حضر وقال: «من يصبر على هذا الزيار يُسْتَكْثَر عليه إقطاع، أو يستكثر على ورثته موجود يخلفه لهم؟»، وأنكر عليه وأمر به فحبس وتحدث السلطان فى أمر الجند، وأنهم إذا كانوا فى البيكار وفى مواطن الجهاد لا يصل إليهم شاهد، فيُشْهِد أحدهم أصحابه عند موته، فإذا حضروا لا تقبل شهادتهم، وتضيع أموال الناس بهذا السبب. وقال: «الرأى أن كل أمير يعين من جماعته من فيه دين وخير ليسمع قوله، وكل مقدم وكل جماعة من الجند يعين من فيها ممن هو من أهل الخير والصلاح، لتسمع أقوالهم، حتى تحفظ أموال الناس». فسرّ الأمراء بذلك، وشرع قاضى القضاة فى اختيار الناس الجياد من الجند لذلك.

وجلس السلطان فى تاسع عشريه بدار العدل، فوقف شخص وشكا أن من سكن فى شىء من الأملاك الديوانية لا يُمَكن من الخلو، فأنكر السلطان ذلك وأمر بتمكين الساكن من الخلو عند انقضاء الإجارة. ووردت رسل الأنبرور، ورسل الملك الأشكرى، بالهدايا.

وفى سابع شهر رمضان: قدمت العساكر من البيرة، مع الأمير جمال الدين المحمدى، والأمير عز الدين إيغان. وقدمت هدية ملك الكرج. وورد الخبر باستيلاء عز الدين الكندرى نائب الرحبة على قرقيسياء[٢]، وقتلوا من كان فيها من التتر والكرج، وأسروا نيفا وثمانين رجلا فى نصف شهر رمضان.

وفيه رسم بتحصيل المراكب لتفرق فى بحر أشموم، فلما كان ثانى شوال سار السلطان إلى أشموم بنفسه، وقسم عمل البحر على الأمراء، وعمل بنفسه وحمل القفة مملوءة بالتراب على كتفه، والناس تشاهده فوقع الاجتهاد فى الحفر، واستمر السلطان على العمل بنفسه فى كل يوم، وصار يركب فى المراكب وتُفَرّق المراكب قدامه. فتنجّز العمل فى ثمانية أيام، وتكامل الحفر فى بحر أشموم، وفى الجهة التى من ناحية جَوْجَر[٣] وسار السلطان إلى منزلة ابن حسون، وعاد إلى قلعة الجبل فى حادى عشريه.

---

(١) شىء يجعل فى فم الدابة إذا استصعبت لتنقاد وتذل، وهى - أيضا - آلة حربية تشبه القوس الذى يرمى به البندق. انظر: لسان العرب.

(٢) كورة من كور ديار ربيعة بين الحيرة والشام، وفى الجانب الشرقى من الفرات، فتحها عنوة عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، وإلى قرقيسيا فر زفر بن الحارث العامرى ثم الكلابى بعد وقيعة مرج راهط وكان مع الضحاك بن قيس الضهرى. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٥٥- معجم ما استعجم ٣/ ١٠٦٦.

(٣) بليدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٧٨.

ورسم بإبطال حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة كبيرة، وكتب توقيع بإبطالها، وكتب أيضا بمسامحة الأعمال الدقهلية والمرتاحية أربعة وعشرين ألف درهم نقرة عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدى[1] وتوجه شجاع الدين بن الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولا، ومعه ثلاث عُمَر اعتمر بها عنه بمكة، عُمِلت فى أوراقَ مذهبة، وشيء من ماء زمزم ودهن بلسان وغيره.

وفى آخره: نزل بالسلطان وعك، فدارى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلا.

وفى ذى القعدة: قدم الراهب كرنانوس بكتاب الملك الأشكرى. وكان الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى يكره قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ويضع من قدره ويحطّ عليه عند السلطان، بسبب تشدّده فى الأحكام وتوقّفه فى القضايا التى لا توافق مذهبه. فاتفق جلوس السلطان بدار العدل فى يوم الإثنين ثانى عشر ذى الحجة، فرفع إليه بنات الملك الناصر قصة فيها أن ورثة الناصر اشتروا دار قاضى القضاة بدر الدين السنجارى فى حياته، فلما مات ذكر ورثته أنها وقف. فعندما قُرئت أخذ الأمير أيدغدى يحط على الفقهاء وينقصهم، فقال السلطان للقاضى تاج الدين: «يا قاض! هكذا تكون القضاة؟». فقال تاج الدين: «يا مولانا! كل شاة معلقة بعُرقوبها». قال: «فكيف الحال فى هذا؟» قال: «إذا ثبت الوقف يعاد الثمن من الورثة». فقال السلطان: «فإذا لم يكن مع الورثة شيء؟» قال القاضى: «يرجع الوقف إلى أصله، ولا يستعاد الثمن». فغضب السلطان من ذلك، وما تمّ الكلام حتى تقدم رسول أمير المدينة النبوية وقال: «يا مولانا السلطان! سألتُ هذا القاضى أن يسلم إلى مبلغ ربع الوقف الذى تحت يده، لينفقه صاحب المدينة فى فقراء أهلها، فلم يفعل». فسأل السلطان القاضى عما قاله، فقال: «نعم». قال السلطان: «أنا أمرتُه بذلك فكيف رددتّ أمرى؟» قال: «يا مولانا! هذا المال أنا متسلمه وهذا الرجل لا أعرفه، ولا يمكننى أن أسلمه لمن لا أعرفه، ولا يتسلمه إلا من أعرف أنه موثوق بدينه وأمانته، فإن كان السلطان يتسلمه منى أحضرته إليه». فقال السلطان: «تنزعه من عنقك وتجعله فى عنقى؟» قال: «نعم». قال السلطان: «لا تدفعه إلا لمن تختاره». ثم تقدم بعض الأمراء وقال: «شهدت عند القاضى فلم تسمع شهادتى فى ثبوت الملك وصحته»، فسأل السلطان القاضى عن ذلك فقال: «ما شهد أحد عندى حتى أثبته»، فقال الأمير: «إذا لم تسمع قولى فمن تريد؟» قال السلطان: «لم لا سمعت قوله؟» فقال: «لا حاجة فى ذكر ذلك». فقال الأمير أيدغدى: «يا قاضى! مذهب الشافعى لك، ونولى من كل مذهب

---

(١) اسم موضع قرب فم خليج الإسكندرية.

قاضيا». فصغى السلطان لقول أيدغدى وانقضى المجلس، إلى أن كان يوم الإثنين تاسع عشره، ولى السلطان القاضى صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الأذرعى الحنفى[١] مدرس المدرسة الصالحية، والقاضى شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح ابن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن على بن عمر بن عبد الله بن إدريس ابن إدريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب السبكى المالكى، والقاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلى[٢] ليكونوا قضاة القضاة بديار مصر، وجعل السلطان لهم أن يولوا فى سائر الأعمال المصرية، مضافا لقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وأبقى على ابن بنت الأعز النظر فى مال الأيتام والمحاكمات المختصة ببيت المال، وكتب لكل منهم تقليدا وخلع عليهم. فصار بديار مصر قضاة القضاة من حينئذ أربعة، يحكم كل منهم بمذهبه، ويلبس كل منهم الطرحات[٣] فى أيام الخدمة السلطانية. ورسم السلطان أيضا لمجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر ابن العديم بخطابة القاهرة.

وفى رابع عشرى ذى الحجة: قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الرومى واعتقل، وتقدم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ألا يجتمع بأحد، فاحتجب عن الاجتماع بالناس، وفيها تولى الأمير نور الدين على بن مجلى المكارى نيابة حلب، عوضا عن أيدكين الشهابى.

وفيها نزل السلطان من قلعة الجبل بالليل متنكرا، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعرّاها سروالها بيده، ولم يجسر أحد ينكر عليه. فلما أصبح السلطان قطع أيدى جماعة من نوّاب الولاة والمقدمين، والخفراء وأصحاب الرباع بالقاهرة.

---

(١) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى: شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم. من أهل أذرعات (بقرب دمشق) أقام فى دمشق يدرس ويفتى، وانتقل إلى القاهرة فولى قضاء القضاة فى أيام الظاهر بيبرس. ثم استعفاه من القضاء بالقاهرة، وعاد إلى دمشق. فدرس بالظاهرية. وولى القضاء قبل وفاته. فباشر مدة ثلاثة أشهر. ومات بدمشق. انظر: الدارس ٥٤٣/١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٨١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٧ ومرآة الجنان ١٨٨/٤ وفهرست الكتبخانة ١٤٨/٣ والفوائد البهية ٨٠ والأعلام ١٣٨/٤.

(٢) محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على، أبو عبد الله شمس الدين بن أبى السرور المقدسى الحنبلى، نزيل مصر: وأول من ولى قضاء القضاة بالديار المصرية. ولد وتفقه بدمشق. وأقام مدة ببغداد وسكن مصر إلى أن مات. انظر: الشذرات ٣٥٣/٥ والأعلام ٢٩٦/٥، ٢٩٧.

(٣) جمع طرحة، وهى من مميزات لباس قضاة القضاة فى عصر المماليك بمصر.

وفيها ولى السلطان إمرة عرب آل فضل لعيسى بن مهنا، فسار وطرد التتار عن البيرة وحران[١]، وفيها هلك القان هولاكو بن طولوخان بن جنكيزخان - فى تاسع عشر شهر ربيع الأول بالقرب من كورة مراغة - بالصرع، عن نيف وستين سنة، منها مدّة سلطته عشر سنين. وقام من بعده ابنه أباغا، وجهز جيشا لحرب الملك بركة خان، فانهزم هزيمة قبيحة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الباروقى، نائب السلطنة بديار مصر ودمشق، وهو معزول بالقصير[٢] من عمل مصر، عن أربع وستين سنة.

وتوفى قاضى القضاة بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن على السنجارى الشافعى، وهو معروف، بالقاهرة عن نيف وستين سنة.

وتوفى نجم الدين أبو المظفر فتح بن موسى بن حماد القصرى المغربى، قاضى سيوط بها.

* * *

(١) مدينة من ديار مصر، قديمة عتيقة لا يدرى متى بنيت ويقال بناها هران أخو إبراهيم عليه السلام وهو أبو لوط عليه السلام ويقال هارن وإليه تنسب حران. وهى من غر البلاد لكنها قليلة الماء والشجر ولها رساتيق وعمارات وموضعها فى مستوى من الأرض يحيط بها جبل شامخ مسافة يومين. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩١، ١٩٢ ونزهة المشتاق ٢٠٠ وابن حوقل ٢٠٤ والكرخى ٥٤ والمقدسى ١٤١، وابن جبير ٢٤٤: ٢٤٧.

(٢) موضع قرب عيذاب. انظر: معجم البلدان ٣٦٧/٤.

سنة أربع وستين وستمائة

فى المحرم: عقد الأمير سيف الدين قلاوون عنده على ابنة الأمير سيف الدين كرمون التترى الوافد. فنزل السلطان من قلعة الجبل، وضرب الدهليز بسوق الخيل، عندما دخل الأمير قلاوون عليها. وقام السلطان بكل ما يتعلق بالأسمطة، وجلس على الخوان، ولم يبق أحد من الأمراء حتى بعث إلى قلاوون الخيل وبقج الثياب، وأرسل إليه السلطان تعابى[1] قماش وخيلا وعشرة مماليك، فقبل قلاوون المتقدمة واستعفى من المماليك، وقال: «هؤلاء خوشداشيتى فى خدمة السلطان»، فأعفى.

وفيه كتب إلى دمشق بثلاثة تقاليد: أحدها بتقليد شمس الدين عبد الله محمد بن عطا الحنفى قاضى القضاة، والآخر بتقليد زين الدين أبى محمد عبد السلام بن على بن عمر الزواوى[2] المالكى قاضى القضاة المالكية، والثالث بتقليد شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى[3] قاضى القضاة الحنابلة. فصار بدمشق أربعة قضاة، وكان قاضى القضاة الشافعى شمس الدين أحمد بن خلكان، فصار الحال كما هو بديار مصر، واستمر ذلك. واتفق أنه لما قدمت عهود القضاة الثلاثة لم يقبل المالكى ولا الحنبلى، وقبل الحنفى فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك، وأخذ ما بأيديهما من الوظائف إن لم يفعلا، فأجابا. ثم أصبح المالكى وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بإلزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلى من تناول جامكية على القضاء. وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة كل واحد منهم لقبه شمس الدين:

أهل دمشق استرابوا   من كثرة الحكام

---

(1) هى جمع تعبية ويقصد بها قطع من قماش. انظر: صبح الأعشى ٤/ ٤٢.

(2) عبد السلام بن على بن عمر بن سيد الناس، أبو محمد الزواوى المالكى: أول من ولى قضاء المالكية بدمشق، لما صار القضاة أربعة. وانتهت إليه رياسة الإقراء فيها. ولد ببجاية، وانتقل شابا إلى مصر، ثم استقر بدمشق سنة ٦١٧هـ . وتوفى بها. انظر: غاية النهاية ٣٨٦/١ والأعلام ٤/ ٦.

(3) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى الجماعيلى الحنبلى، أبو الفرج شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفى فى دمشق. وهو أول من ولى قضاء الحنابلة. استمر فيه نحو ١٢ عاما ولم يتناول عليه «معلوما» ثم عزل نفسه. انظر: المقصد الأرشد والنجوم الزاهرة ٣٥٨/٧ وفوات الوفيات ٢٦٢/١ والذيل على طبقات الحنابلة ٣٠٤/٢ والأعلام ٣٢٩/٣.

إذ هم جميعا شموس وحالهم في ظلام

وقال الآخر:

بدمشق آية قد ظهرت للناس عاما

كلما وُلِّى شمس قاضيا زادت ظلاما

وكان استقلالهم بالقضاء في سادس جمادى الأولى.

وفيه وردت رسل الأنبرور، ورسل الفنش، ورسل ملوك الفرنج، ورسل ملك اليمن، ومعهم هدايا إلى صاحب قلاع الإسماعيلية. فأخذت منهم الحقوق الديوانية عن الهدية، إفسادا لنواميس الإسماعيلية، وتعجيزا لمن اكتفى شرّهم بالهدية.

وفي ثامن صفر: كانت وقعة بين الأمير علم الدين سنجر الباشقردى نائب حمص، وبين البرنس بيمند بن بيمند ملك الفرنج بطرابلس، انهزم فيها الفرنج. وفيه كُتب إلى دمشق بعمل مراكب، فعُملت وحملت إلى البيرة. وفيه توجّه السلطان إلى الإسكندرية، واهتم بحفر خليجها وباشر الحفر بنفسه، فعمل فيه الأمراء وسائر الناس، حتى زالت الرمال التي كانت على الساحل بين النقيدى وفم الخليج، ثم عدى السلطان إلى بر أَبْيار[1]، وغرّق هناك عدّة مراكب، وألقى فوقها الحجارة، ثم عاد إلى قلعة الجبل، وحفر بحر مصر بنفسه وعسكره، ما بين الروضة والمنشاة بجوار جرف الروضة، وجهز المحمل وخلع على المتوجّه به إلى الحجاز، وهو الأمير جمال الدين [...[2]...] نائب دار العدل، وسيّر معه مبلغ عشرة آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله ﷺ، وسُيّرت الغلال لجرايات الصناع.

وفي جماد الأولى: قدم فخر الدين بن جلبان من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى، قد افتكّهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق. فحضر عدّة من النساء والأطفال، فسيّرت النساء إلى دمشق ليزوِّجهن القاضي من أكفائهن. وفيه سافر الأمير جمال الدين بن نهار المهمندار الصالحي لبناء جسر على نهر الشَّرِيْعَة، ورسم لنائب دمشق بحمل كل ما يحتاج إليه من الأصناف. وفيه كمل بناء الدار الجديدة عند باب السر المطل على سوق الخيل من قلعة الجبل، فعمل بها دعوة للأمراء.

وفي جمادى الآخرة: سار الأمير أقوش السفيرى، ومعه أربعون ديوانا لاستخراج زكاة عرب بلاد المغرب، فوصل إليهم وأخذ منهم الزكاة التي فرضها الله وأخذ منهم الحقوق.

---

(١) هي بلدة من مديرية الغربية بقسم محلة منوف. انظر: الخطط التوفيقية ٨/ ٢٨.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

وفى ثالث رجب: اهتم السلطان بأمر الغزو، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم، فتأخروا. فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال، فعلّقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تأديبا، لكونهم ما سارعوا إلى إحضار الأجناد، فحضروا بأجمعهم.

وخرج السلطان فى مستهل شعبان، ورحل فى ثالثه وسار إلى غزة. وقدم الأمير أيدغدى العزيزى، والأمير قلاوون، فى عدّة من العسكر إلى العوجاء. ومضى السلطان إلى الخليل ثم إلى القدس، ومنع أهل الذمة من دخول مقام الخليل، وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك، فأبطله واستمر منعهم. وسار السلطان إلى عين جالوت ووصل العسكر إلى حمص، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد، وأخذوا قلعة عرْقَة[1] وحَلْبَاء والقُلَيْعات[2] وهدموها، فلما ورد الخبر بذلك جرّد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار، والأمير عز الدين أوغان، فى عدّة من العسكر إلى صور فأغاروا على الفرنج، وغنموا وأسروا كثيرا. وتوجه الأمير إيتامش إلى صيداء، وصار السلطان إلى مدينة عكا، وبعث الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير بدر الدين بيسرى إلى جهة القَرْن[3]، وأرسل الأمير فخر الدين الحمصى إلى جبل عاملة. فأغارت العساكرعلى الفرنج من كل جهة، وكثرة المغانم بأيديهم حتى لم يوجد من يشترى البقر والجاموس وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف. ونزل عسكر السلطان على صور، وأقام السلطان فى جهة عكا، والأمير ناصر الدين القيمرى فى عثليث، فطلب أهل عكا من الأتابك التحدث فى الصلح. فاهتم السلطان بأمر صفد، وأحضر العساكر المجردة، ورحل الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح بالدهليز السلطانى ونزل على صفد، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان فى جماعة، وحاصروها.

هذا والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر، وعمل عدّة مجانيق. ثم رحل والعساكر لابسة، وساق إلى قرب باب عكا، ووقف على تل الفضول. ثم سار إلى عين جالوت، ونزل على صفد يوم الإثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها، فقدم عليه رسول متملك صور ورسول الفداوية، ورسول صاحب بيروت، ورسل صاحب يافا، ورسل صاحب صهيون. وصار السلطان يباشر الحصار بنفسه، وقدمت المجانيق من

---

(١) بكسر أوله موضع من ثغور مرعس من بلاد الروم. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٠٩ ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٣٤، ومعجم البلدان عرقة: بلد من العواصم بين رفنية وطرابلس وعرقة بفتح العين وهى من نواحى الروم.

(٢) اسم حصن قرب طرابلس.

(٣) إحدى قرى دمشق.

دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد - وقد عجزت الجمال عن حملها، فسار إليها الرجال من الأجناد والأمراء، لحملها على الرقاب من جسر يعقوب، وسار السلطان بنفسه وخواصه، وجَرَّ الأخشاب مع البقر هو وخواصه، فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجرّ، وهو لا يسأم من الجرّ ولا يبطله، إلى أن نُصبت المجانيق رُمى بها فى سادس عشريه، وصار السلطان يلازم الوقوف عندها وهى ترمى.

وأتت العساكر من مصر والشام، فنزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر فخرج الأمير بدر الدين الأيدمرى للتهنئة بالعيد، فوقع حجر على رأسه، فرسم السلطان بألا يجتمع أحد لسلام العيد، ولا يبرح أحد من مكانه خشية انتهاز العدو غِرَّة العسكر ونودى يوم عيد الفطر فى الناس: «من شرب خمرا أو جلبها شُنق».

وفى ثانيه: وقع الزحف على صفد، ودفع الزرّاقون النفط. ووعد السلطان الحجارين أنه من أخذ أوّل حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثانى والثالث إلى العشرة. وأمر حاشيته بألا يشتغلوا بخدمته. فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قُتل جَرَّه رفيقه ووقف موضعه، وتكاثرت النقوب ودخل النقابون إليها، ودخل السلطان معهم، وبذل السلطان فى هذا اليوم من المال والخلع كثيرا، ونصب خيمة فيها حكماء وجرائحية وأشربة ومآكل، فصار من يُجرح من العربان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها.

وفى ثامنه: كانت بين الفريقين أيضا مَقَاتل.

وفى ليلة رابع عشره: اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة، فتفرق الناس من شدة التعب، فغضب السلطان من ذلك وأمر خواصه بالسَّوْق إلى الصاواوين وإقامة الأمراء والأجداد بالدبابيس، وقال: «المسلمون عل هذه الصورة، وأنتم تستريحون؟»، فأقيموا، وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا، وقيّدهم وسجنهم بالزردخاناه، ثم شُفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم، وضُربت الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان، فأمنهم السلطان على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شىء من الفِضيات، ولا يتلفوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم، وأن يفتشوا عند خروجهم، فإن وُجد مع أحد منهم شىء من ذلك انتقض العهد.

ولم تزل الرسل تتردد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره، ثم طلعت السناجق الإسلامية، وكان لطلوعها ساعة مشهودة. هذا والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم، ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم، فوجد معهم ما يناقض الأمان من

السلاح والفضيات، ووجد معهم عدّة من أسرى مسلمين أخرجوهم على أنهم نصارى. فأخذ ما وُجد معهم وأنزلوا عن خيولهم، وجعلوا فى خيمة ومعهم من يحفظهم. وتسلم المسلمون صفد، وولى السلطان قلعتها الأمير مجد الدين الطورى، وجعل الأمير عز الدين العلائى نائب صفد، فلما أصبح حضر إليه الناس، فشكر اجتهادهم واعتذر إليهم مما كان منه إلى بعضهم، وأنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم، وقال: «من هذا الوقت نتحالل»، وأمرهم فركبوا. وأُحضرت خيالة الفرنج وجميع من صفد، فضربت أعناقهم على تل قرب صفد حتى لم يبق منهم سوى نفرين: أحدهما الرسول، فإنه اختار أن يقم عند السلطان ويسلم، فأسلم وأقطعه السلطان إقطاعا وقرّبه، والآخر تُرِك حتى يخبر الفرنج بما شاهده. وصعد السلطان إلى قلعة صفد، وفرق على الأمراء العدد الفرنجية والجوارى والمماليك، ونقل إليها زردخاناه من عنده، وحمل السلطان على كتفه من السلاح إلى داخل القلعة، فتشبه به الناس ونقلوا الزردخاناه فى ساعة واحدة. واستدعى السلطان الرجال من دمشق للإقامة بصفد، وقرّر نفقة رجال القلعة فى الشهر مبلغ ثمانين ألف درهم نقرة واستخدم على سائر بلاد صفد، وعمل بها جامعا فى القلعة وجامعا بالربض ووقف على المجنون نصف وربع الحباب[1]، وللربع الآخر على الشيخ إلياس، ووقف قرية منها على قبر خالد بن الوليد بحمص.

وفى سابع عشريه: رحل السلطان من صفد إلى دمشق، فنزل الجسورة وأمر ألا يدخل أحد من العسكر إلى دمشق، بل يبقى العسكر على حاله حتى يسير إلى سِيْس[2] ودخل السلطان إلى دمشق جريدة، فبلغه أن جماعة من العسكر قد دخلوا إلى دمشق، فأخرجهم مُكتّفين بالحبال. وأقام الملك المنصور صاحب حماة مقدّما على العساكر وسيرهم معه، وفيهم الأمير عز الدين أوغان، والأمير قلاوون، فساروا فى خامس ذى القعدة إلى سيس.

وفى ثالث ذى القعدة: مات كرمون أغا.

وفى ثامنه: أنعم السلطان على أمراء دمشق وقضاتها وأرباب مناصبها بالتشاريف، ونظر فى أمر جامع دمشق، ومنع الفقراء من المبيت فيه، وأخرج ما كان به من الصناديق التى كانت للناس.

وفى عاشره: جلس الأتابك – هو والأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق – لكشف ظلامات الناس والتوقيع على القصص، بدار السعادة. وخرج السلطان للصيد

---

(١) هى إحدى بلاد وادى القرى، بين دمشق والمدينة. انظر: معجم البلدان ٨١/٤.

(٢) هى عاصمة أرمينية الصغرى، موقعها بين أنطاكية وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٢١٧/٣.

فضرب عدّة حلق، وسار إلى جَرُوْد[١] ثـم إلى أَفَامِيةَ[٢]، وجهزّ السلطان إلى مصر شخصا كان قد حضر إلى دمشق و ادّعى أنه مبارك بن الإمام المستعصم وصحبته جماعة من أمراء العربان، فلم يعرفه جلال الدين بن الدوادار ولا الطواشى مختار، وتبين كذبه فسير إلى مصر تحت الاحتياط، وجهّز السلطان بعده شخصا آخر أسود إلى مصر، ذكر أنه من أولاد الخلفاء، فسُيِّر إلى مصر أيضا، وكان قد وصل إلى دمشق فى ذى القعدة.

وفيه استولى السلطان على هُوْنَيْن[٣] وتِبْنين وعلى مدينة الرملة، فعمرها وصيّر لها عملا وولّى فيها. وفيه أبطل السلطان ضمان الحشيشة الخبيثة، وأمر بتأديب من أكلها، وقدم رسول الاسبتار ملك الفرنج، يسأل استقرار الصلح على بلادهم من جهة حمص وبلاد الدعوة، فقال السلطان: «لا أجيب إلا بشرط إبطال ما لكم من القطائع على مملكة حماة وهى أربعة آلاف دينار، وما لكم من القطيعة على بلاد أبى قبيس[٤] وهى ثمانمائة دينار، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهى ألف ومائتا دينار ومائة مدّ حنطة وشعير نصفين». فأجابوا إلى إبطال ذلك، وكتبت الهدنة وشُرط فيها الفسخ للسلطان متى أراد، ويعلمهم قبلُ بمدّة. وورد الخبر بأن فرنج عكا وجدوا أربعة من المسلمين فى طين[٥] شيحا فشنقوهم، فرسم السلطان بالإغارة على بلاد الفرنج، فقتلت العساكر منهم فوق المائتين، وساقوا جملة من الأبقار والجواميس وعادوا. وورد كتاب والى قوص[٦] أنه وصل إلى عيذاب، وبعث عسكرًا إلى سواكن، ففر صاحب سواكن، ففر صاحب سواكن، وعادوا إلى قوص وقد تمهدت البلاد، وصارت رجال السلطان بسواكن.

وفى يوم الإثنين النصف من ذى الحجة: جلس الأمير عز الدين الحلى نائب السلطنة بديار مصر، ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة، بدار العدل على العادة: وإذا بإنسان يخرق الصفوف - وبيده قصة - حتى وقف قدام الأمير، ووثب عليه بسكين

(١) إقليم من أعمال غوطة دمشق. انظر: معجم البلدان ٢/١٣٠.

(٢) هى إحدى بلاد حمص. انظر: معجم البلدان ١/٣٢٣.

(٣) هى بلد فى جبال عاملة قرب بانياس. انظر: معجم البلدان ٤/٩٩٦.

(٤) حصن فى مقابلة شيزر. انظر: معجم البلدان ١/١٠٣.

(٥) المقصود هنا الأرض الزراعية الواقعة قرب جبل شيحان.

(٦) مدينة مصرية كبيرة فى البلاد المصرية فى الجهة الشرقية من النيل، و هى أزلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوائل وبينها وبين أسوان غيران منحوته فى جبال. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٨٤ والإدريسى ٤٩.

أخرجها من تحت ثيابه، وطعنه فى حلقه. فأمسك الأمير بيده فجرحها، ورفسه برجله ونام على ظهره، فوقع المجرم وقصد أن يضرب الأمير ضربة أخرى، أو يضرب الصاحب، فرجعت السكين فى فؤاد الأمير صارم الدين المسعودى، فمات من ساعته، فقام الأمير فخر الدين والى الجيزة وقبض عليه ورماه، فوقع على قاضى القضاة، وأخذته السيوف حتى هلك. وحُمل الأمير عز الدين الحلى إلى داره بالقلعة، وحضر المزينون إليه فوجدوا الجرح بين البلعوم والمنحر، وكان الذى ضربه جندارٌ به شعبة من جنون، وتعاطى أكل السمنة فقوى جنه وكتب بهذا الحادث إلى السلطان، فوافاه الخبر وهو راجع من أفامية، فشق عليه ذلك وقال: «والله يهون على موت ولدى بركة، ولا يموت الحلى». فقال له الأتابك: «يا خوند! والله طيبتَ قلوبنا إذا كنت تشتهى لو فديتَ غلاما من غلمانك بولدك وولى عهدك». ثم ورد الخبر بعافية الحلى مع مملوكه، فخلع عليه السلطان وأعطاه ألفَ دينار، وأعطى رفيقه ثلاثة آلاف درهم نقرة، وأحسن إلى ورثة الصارم المسعودى.

وأما الملك المنصور ومن معه، فإنهم ساروا إلى حصن دَيْر بساك[1] ودخلوا الدَّرْبَنْد[2]، وقد بنى التَّكَفُوْر[3] هيتوم بن قسطنطين بن باساك ملك الأرمن على رءوس الجبال أبراجا - وهو الذى تزهّد فيما بعد، وترك الملك لولده ليفون - فاستعدّ ووقف فى عسكره، فعندما التقى الفريقان أسِر ليفون ابن ملك سيس، وقتل أخوه وعمه، وانهزم عمه الآخر، وقتل ابنه الآخر، وتمزق الباقى من الملوك - وكانوا اثنى عشر ملكا - وقُتلت أبطالهم وجنودهم. وركب العسكر أقفيتهم وهو يقتل ويأسر ويحرق، وأخذ العسكر قلعة حصينة للديوية[4]، فقُتلت الرجال وسُبيت النساء وفرّقت على العسكر وحُرقت القلعة بما فيها من الحواصل. ودخلوا سيس فأخرجوها وجعلوا عاليها سافلها، وأقاموا أياما يحرقون ويقتلون ويأسرون. وسار الأمير أوغان إلى جهة الروم، والأمير قلاوون إلى المصيصة وأذنة[5] وأياس وطرسوس، فقتلوا وأسروا وهدموا عدة قلاع وحرقوا هذا وصاحب حماة مقيم بسيس، ثم عادوا إليه و قد اجتمع معهم من الغنائم ما لا يعد ولا يحصى، حتى أبيع رأس البقر بدرهمين و لم يوجد من يشتريه.

---

(١) موقع قرب أنطاكية. انظر: معجم البلدان ٢/٦٤٦.

(٢) لفظ فارسى ومن معانيه المضايق والطرقات والمعابر الضيقة.

(٣) لفظ أرمنى معناه الملك المتوج.

(٤) لعلها قلعة العامدين وهى حصن بأرمينية الصغرى.

(٥) واد من أودية القبلية. انظر: معجم البلدان ١/٢٨٠.

فورد الخبر بذلك والسلطان فى الصيد بجرود، فأعطى المبشر ألف دينار وإمرة طبلخاناه. ودخل السلطان إلى دمشق، وتجهز وخرج للقاء العسكر فى ثالث عشر ذى الحجة فشكى إليه وهو بقارا[١] من أهلها وهم نصارى: أنهم يتعدون على أهل الضياع، ويبيعون من يقع إليهم إلى الفرنج بحصن عكا، فأمر العسكر بنهبهم فنهبوا، وقتل كبارهم وسبى النساء والأولاد، وقدم عليه العسكر المجهز إلى سيس، وقدموا له نصيبه من الغنائم ففرق الجميع على عساكره، وأحسن إلى متملك سيس ومن معه من الأسرى. وعاد السلطان إلى دمشق فى رابع عشريه - ومتملك سيس بين يديه - وخلع على الأمراء والملوك والأجناد، فامتلأت بالمكاسب، وأبيع من الجواهر والحلى والدقيق والحرير ما لا يحصى كثرة، ولم يتعرض السلطان لشىء من ذلك، وعاد صاحب حماة إلى مملكته، بعد ما أنعم عليه السلطان بكثير من الخيول والأموال والخلع.

وفيها قدمت رسل الملك أبغا بن هولاكو بهدايا وطلب الصلح وفيها أمر السلطان بجمع أصحاب العاهات، فجُمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة، ونُقلوا إلى مدينة الفيوم وأُفرِدت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم، فلم يستقرّوا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة وفيها اشتد إنكار السلطان للمنكر، وأراق الخمور وعفّى آثار المنكرات، ومنع الحانات والخواطئ بجميع أقطار مملكته بمصر والشام، فطهرت البقاع من ذلك. وقال القاضى ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبى بكر بن قاسم بن مختار بن المنير[٢] قاضى الإسكندرية، لما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفى متوليها أثر المحرمات:

ليس لإبليس عندنا أرب ... غير بلاد الأمير مأواه
حَرَمْتَهُ الخمرَ والحشيشَ معا ... حَرَمْتَهُ ماءه ومرعاه

وقال أبو الحسين الجزار:

قد عُطِّل الكوب من حَبابه ... وأخْلِىَ الثغر من رِضابه
وأصبح الشيخ وهو يبكى ... على الذى فات من شبابه

وفيها قدم علىٌّ بن الخليفة المستعصم من الأسر عند التتار.

* * *

(١) تقع هذه البلدة على الطريق من دمشق إلى حمص. انظر: معجم البلدان. ٤/ ١٢، ١٣

(٢) ابن المنير السكندرى (٦٢٠ - ٦٨٣هـ = ١٢٢٣ - ١٢٨٤م) أحمد بن محمد بن منصور من علماء الإسكندرية وأدبائها. ولى قضاءها وخطابتها مرتين. انظر: فوات الوفيات ٧٢/١ والأعلام ٢٢٠/١.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى، بعد فَتْح صفد.

وتوفى الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أمين الدين أبى الغنائم سالم ابن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى، ناظر الدواوين بها، عن تسع وستين سنة.

وتوفى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم الموقانى المقدسى الشافعى، المحدث الأديب.

* * *

سنة خمس وستين وستمائة

فى المحرم: بعث السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الساقى، والأمير شهاب الدين بوزيا، فى عدّة من العسكر ورجال جَبَلِيّة[1] فقطعوا أقصاب الفرنج، وعادوا إلى صفد. وفيه قدمت نجدة للفرنج من قبرص، وعدّتها نحو ألف ومائة فارس، وأغاروا على بلد طبرية، فخرج العسكر إلى عكا، وواقع الفرنج فقتلوا منهم كثيرًا، وانهزم الباقى إلى عكا وعَمل فيها عزاء من قُتل.

وفى ثانية: خرج السلطان من دمشق بعساكره إلى الفَوّار يريد الديار المصرية، وسار منه جريدة إلى الكرك ونزل ببركة زَيْزَاء، وركب ليتصيد فتقطّر عن فرسه فى ثامنه، وتأخر هناك أياما حتى صلح مزاجه، وأكثر من الإنعام على جميع عساكره وأمرائه بجميع كلفهم من غلات الكرك، وعمّ بذلك الخواص والكتاب، وفرّق فيهم جملا كثيرة من المال. واستدعى السلطان أمراء غزة وأحسن إليهم، وطلب الأميرَ عز الدين أيدمر نائب الكرك وأعطاه ألف دينار وخلع عليه، وسير الخلع إلى أهل الكرك ثم سار فى محفة على أعناق الأمراء والخواص إلى غزة، وسار منها إلى بلبيس، فتلقاه ابنه بركة فى ثالث صفر ومعه الأمير عز الدين الحلى، وزينت القاهرة، فلم يزل السلطان موعوكا إلى غرة شهر ربيع الأوّل، فركب الفرس وضربت البشائر لعافيته، وسار إلى باب النصر فأقام هناك إلى خامسه.

وصعد السلطان إلى القلعة، وقدم عليه رسول التكفور هيتوم صاحب سيس يشفع فى ولده للسلطان، ففَكّ قيده فى ثانى عشريه وكتب له مُوَادَعَة[2] على بلاده إلى سنة، وركب مع السلطان لرماية البندق فى بركة الجب.

وفى آخر ربيع الأول: بعث السلطان الأتابك فارس الدين أقطاى المستعرب، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا، لكشف مكان يعمله جامعا بالحسينية. فسارا واتفقا على مناخ الجمال السلطانية، فلما عادا قال السلطان: «لا والله! لا جعلت الجامع مكان الجمال، و أولى ما جعلت ميدانى الذى ألعب فيه الكرة

---

(١) المقصود بهذا الوصف أهل البلاد الجبلية بالشام.

(٢) يقال الوديع: الرجل الهادى الساكن ذو الدعة، ويقال: ذو وداعة، ودع يودع دعة ووداعة، والمقصود بالموادعة أى المهادنة. ينظر: لسان العرب (ودع).

- وهو نزهتى - جامعا» وركب السلطان فى ثامن ربيع الآخر ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة إلى ميدان قراقوش، ورتب بناءها جامعا، وأن يكون بقية الميدان وقفا عليه. عاد إلى المدرسة التى أنشأها بين القصرين، وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء، فقال: «هذا مكان جعلته لله تعالى، فإذا مِتُّ لا تدفنونى هنا، ولا تغيروا معالم هذا المكان». وصعد إلى القلعة.

وفيه وردت مكاتبة المنصور صاحب حماة، يستأذن فى الحضور إلى مصر ليشاهد عافية السلطان، فأجيب إلى ذلك وقدم فى سابع عشريه. فخرج السلطان إلى لقائه بالعباسية، وبعث إليه وإلى من معه التشاريف، وعاد إلى القلعة. فسأل المنصور الإذن بالمسير إلى الإسكندرية فأذن له، وسار معه الأمير سنقرجاه الظاهرى، وحملت له الإقامات حتى عاد.

وفى يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر: أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة، وكانت قد بطلت منه منذ ولى قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد ظل كذلك إلى أن سكن الأمير عز الدين أيدمر الحلى بجواره، فانتزع كثيرا من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة، وتبرع له بمال جزيل، واستطلق له من السلطان مالا، وعمر الواهى من أركانه وجدرانه وبيّضه وبلطه ورمّ سقوفه، وفرشه واستجد به مقصورة وعمل فيه منبرا، فتنازع الناس فيه هل تصح إقامة الجمعة فيه أم لا، فأجاز ذلك جماعة من الفقهاء، ومنع منه قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وغيره، فشكى الحلى ذلك إلى السلطان، فكلم فيه قاضى القضاة فصمَّم على المنع، فعمل الحلى بفتوى من أجاز ذلك وأقام فيه الجمعة. وسأل السلطان أن يحضر فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضى القضاة، فحضر الأتابك والصاحب بهاء الدين وعدّة من الأمراء والفقهاء، ولم يحضر السلطان ولا قاضى القضاة تاج الدين. وعمل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بالجامع مقصورة، ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى، ورتب محدثا يسمع بالحديث النبوى والرقائق، ورتب سبعة لقراءة القرآن العظيم، وعمل على ذلك أوقافا تكفيه.

وفى جمادى الآخرة: وصلت رسل الدعوة بجملة من الذهب، وقالوا: «هذا المال الذى كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين، لينفق فى المجاهدين». وقد كان أصحاب بيت الدعوة فيما مضى من الزمان يَقْطَعُون مصانعات[1] الملوك، ويجبون

(١) يقصد بها المداراة للحكام والملوك.

القطيعة من الخلفاء، ويأخذون من مملكة مصر القطيعة فى كل سنة، فصاروا يحملون القطيعة لذلك الظاهر لقيامه بالجهاد فى سبيل الله.

وفيه عمرت قلعة قاقُوْن عوضا عن قيسارية وأرسوف، وعمرت الكنيسة التى كانت للنصارى هناك جامعا. وسكن هناك جماعة فصارت بلدة عامرة بالأسواق، وفيه أمر السلطان باستخراج الزكاة من سائر الجهات: فاستخرج من بلاد المغرب زكاة مواشيهم وزكاة زروعهم، واستخرج من جهات سواكن وجزائرها الزكاة. وبعث السلطان إلى الحجاز الأمير شكال بن محمد، فطلب العِدَاد من الأمير جماز أمير المدينة النبوية، فدافعه فمضى إلى بنى خالد يستعين بهم على عرب جماز، ثم خاف وبعث إلى السلطان يطلب إرسال من يستخلفه على استخراج حقوق الله.

وفى سابع عشريه: توجه السلطان فى جماعة من أمرائه إلى الشام، وترك أكثر العساكر بالديار المصرية. و كان معه المنصور صاحب حماة، فنزل السلطان غزة، ومضى صاحب حماة إلى مملكته بعد زيارة القدس فقدمت رسل الفرنج على السلطان بغزة، ومعهم الهدايا وعدّة من أسرى المسلمين، فكسا الأسرى وأطلقهم. ورحل السلطان إلى صفد، فورد الخبر عليه هناك بتوجه التتار إلى الرحبة، فسار إلى دمشق مسرعا فدخلها فى رابع عشر رجب، وجاء الخبر بقدوم التتار إلى الرحبة، وأن أهلها قتلوا وأسروا منهم كثيرا وهزموهم، فأقام بدمشق خمسة أيام، وعاد إلى صفد فى رابع عشريه. ورتّب السلطان أمر عمارة صفد، وقسم خندقها على الأمراء، وأخذ لنفسه نصيبا وافرا عمل فيه بنفسه، فتبعه الأمراء والناس فى العمل ونقل الحجارة ورمى التراب وصاروا يتسابقون، فوردت عليه رسل الفرنج يطلبون الصلح، فرأوا الاهتمام فى العمارة.

ثم إنه بلغه فى بعض تلك الأيام أن جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى صحوة، فَسَرَى ليلة ببعض عسكره و أمر بالركوب خفية فركب وقد اطمأن الفرنج، فلم يشعروا به إلا وهو على باب عكا، ووضع السيف فى الفرنج، وصارت الرءوس تحمل إليه من كل جهة، وكان الحر، فعملت عباءة على رمح ليستظل بها، وبات تلك الليلة وأصبح على حاله، ثم عاد إلى صفد، وقدمت رسل سيس بالهدية، فرأوا رسل الفرنج ورأوا رءوس القتلى على الرماح. وقدمت الأسرى من هذه الغارة فضربت أعناقهم، وطلب السلطان رسل الفرنج وقال لهم: «هذه الغارة فى مقابلة غارتكم على بلاد الشقيف» وردّهم من غير إجابتهم إلى الصلح.

ثم ركب السلطان فى حادى عشرى شعبان وساق من صفد إلى عكا، فلما علم به الفرنج حتى وقف على أبوابها، فقسم البنائين والحجارين والناس على البساتين والأبنية والآبار لهدمها، فاقتسموا ذلك وشرعوا فى الهدم وقطع الأشجار. وعمل السلطان اليزك بنفسه على باب عكا، وصار واقفا على فرسه وبيده رمح مدّة أربعة أيام، حتى تكامل الإحراق والهدم وقطع الأشجار. ثم رجع إلى صفد، فوردت رسل سيس ورسل بيروت فأجيبوا عن مقاصدهم.

وفى شهر رمضان: وردت رسل صور يطلبون استمرار الهدنة، فأجيبوا إلى الصلح، وكُتبت هدنة لمدّة عشر سنين لصور وبلادها - وهى مائة قرية إلا قرية - بعد ما أحضروا دية السابق شاهين الذى قتلوه لأولاده - وهى خمسة عشر ألف دينار صورية، قاموا بنصفها وأمْهِلوا بالباقى - وأحضروا أيضا عدّة أسرى مغاربة. وقدمت رسل بيت الاسبتار من الفرنج يطلبون الصلح على حصن الأكراد والمرقب، فأجيبوا وتقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، وبطلت القطائع عن بلاد الدعوة وعن حماة وشيزر وأفامية وعن أبى قبيس، وقد تقدم ذلك، وبطل أيضا ما كان على عَيْناب، وهو خمسمائة دينار صورية وعن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم.

وقدم الشريف بدر الدين ملك بن منيف بن شيحة من المدينة النبوية يشكو من الشريف جماز أمير المدينة، وأن الإمرة كانت نصفين بين أبيه ووالده جماز. فكُتب لجماز أن يسلمه نصف الإمرة، وكُتب له تقليد بذلك وبنصف أوقاف المدينة النبوية التى بالشام ومصر وسُلِّمت إليه، فامتثل جماز ما رُسم به.

وفى ذى الحجة: نزحت بئر السقاية التى بالقدس حتى اشتد عطش الناس بها، فنزل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة، فأعلمَ الأمير علاء الدين الحاج الركنى نائب القدس، فأحضر الأمير بنائين وكشف البناء، فأفضى بهم فى قناة إلى تحت الصخرة، فوجدا هناك بابًا مقنطرا قد سُدَّ، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يغرقهم، فكُتب بذلك إلى السلطان، وأنه لما نقص ماء السقاية دخل الصناع فوجدوا سدّا نقب فيه الحجارون قدر عشرين يوما، ووُجد سقف مُقَلْفَط[(١)] فنُقِب فيه قدر مائة وعشرين ذراعا بالعَمَل[(٢)]، فخرج الماء وملأ القناة.

---

(١) اسم مفعول من قلفط، يقال قلفط السفينة: حدر ألواحها بالليف وجعل فى خللها القار. انظر: لسان العرب.

(٢) المقصود الذراع المعمارى، الذى تقاس به أرض البنيان، وقياسه ثلاثة أشبار بشبر الرجل المعتدل. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٤٤٦/٣.

وفي هذه السنة: أنشأ السلطان قنطرة على بحر أبي المنجا بناحية بيسوس[1] وتولى عملها الأمير عز الدين أيبك الأفرم، فجاءت من أعظم القناطر. وفيها أنشأ السلطان القصر الأبلق بدمشق بالميدان الأخضر على نهر بَرَدَى، فتولى عمل ذلك الأمير أقوش النجيبي نائب دمشق، فعمره بالرخام الأبيض والأسود، وجعل جانبا عظيما منه تحف به البساتين والأنهار من كل ناحية، و لم يعمل بدمشق قبله مثله. ومازال عامرا تنزله الملوك إلى أن هدمه تيمورلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة، عند حريق دمشق وخرابها.

وفيها جلس منكوتمر بن طغان بن باتوتان بن دوشى خان بن جنكيزخان على كرسى مملكة القفجاق صَرَاى، عوضا عن الملك بركة خان ين دوشى خان بن جنكيزخان، بعد وفاته هذه السنة. وكان بركة خان قد مال إلى دين الإسلام، وهو أعظم ملوك التتر، وكرسى مملكته مدينة صراى.

وفيها مات قاضى القضاة تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم العلامى الشافعى، المعروف بابن بنت الأعز، فى سابع عشرى شهر رجب، من إحدى وخمسين سنة، فولى قضاء القاهرة والوجه البحرى تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى، وولى قضاء مصر محيى الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن على بن صدقة بن حفص، المعروف بابن عين الدولة، فى يوم الخميس تاسع شعبان، بمرسوم ورد عليه عقيب وفاة تاج الدين ابن بنت الأعز، بأن يتولى قضاء مصر والوجه القبلى. وفيها حج الأمير الحلى، وتصدق بمال بعثه به السلطانُ الملك الظاهر، وحج الصاحب محيى الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا.

ومات فى هذه السنة الأمير ناصر الدين حسن بن عزيز القيمرى، نائب السلطنة بالساحل.

وتوفى شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان – المعروف بأبى شامة[2] – المقدسى الشافعى، بدمشق عن ست وستين سنة.

* * *

---

(١) وهى قرية صغيرة بمديرية القليوبية الحالية، وموقعها على الشاطىء الشرقى لفرع دمياط. انظر: الخطط التوفيقية ١٠/٢٥.

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى، أبو القاسم شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث، أصله من القدس، ومولده فى دمشق، وبها منشأه ووفاته. ولى بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، ودخل عليه اثنان فى صورة مستفتين فضرباه، فمرض ومات. وقد لقب أبو شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. انظر: فوات الوفيات ١/٢٥٢ وبغية الوعاة ٢٩٧ وابن شقدة وغربال الزمان والبداية والنهاية ١/٣٦٥ والنعيمى ١/٢٣ وطبقات الشافعية ٦٧٥ والأعلام ٣/٢٩٩.

سنة ست وستين وستمائة

فى صفر: وردت الزكاة والعشر من المدينة النبوية، وعدّتها مائة وثمانون جملا ومبلغ عشرة آلاف درهم، فاستقل السلطان ذلك وأمر بردّه، فورد بنو صخر وبنو لام وبنو عنزة من عرب الحجاز، والتزموا بزكاة الغنم والإبل، فبعث السلطان معهم شادين لاستخراج ذلك. وفيه قسّمت عمارة صفد على الأمراء، وأخذ السلطان لنفسه نصيبا وافرا، وأقيم فى عمارة القلعة وأبراجها الأمير سيف الدين الزينى، وعُمِل لها أبواب سرّ إلى الخندق، فلما كملت كتب على أسوارها: «﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1]، ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها، وتكميل عمارتها، وبعد ما خلصها من أسر الفرج الملاعين، وردها إلى يد المسلمين ونقلها من حوزة الدنيوية إلى حوزة المؤمنين، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرّة، وجعلها للكفار خسارة وحسرة، واجتهد وجاهد حتى بدّل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرءوس، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام، ومن سكنها من المجاهدين، فليجعل له نصيبا من أجره، ولا يخله من الترحم فى سرّه وجهره، فقد صار يقال عمر الله صرحها، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين».

وفيه كتب السلطان إلى الملك منكوتمر القائم مقام الملك بركة، بالتعزية والإغراء بولد هولاكو. وفيه رسم السلطان بعمارة مسجد الخليل عليه السلام، فتوجه الأمير جمال الدين بن نهار لعمل ذلك، حتى أنهى عمارته. وفيه سار السلطان من صفد إلى القاهرة، فدخل قلعة الجبل سالما فى [...[3]...] وقدمت رسل السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول[4] الملك اليمنى، بعشرين فرسا عليها لامة الحرب،

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور نور الدين) بن على بن رسول التركمانى اليمنى شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد بمكة وولى بعد مقتل أبيه (سنة ٦٤٧هـ) بصنعاء طالت مدته. واستمر إلى أن توفى بقلعة تعز. انظر: العقود اللؤلؤية ١/٥٠، ٨٥، ٨٨ - ٢٨٤ وابن=

وفيلة وحمارة وحشية عنابية اللون وعدّة تحف وطرف، فجُهزت له خلعة وسنجق، وهدية فيها قميص من ملابس السلطان كان قد سأل فيه ليكون له أمانا، وسُيّر إليه أيضا جَوْشَن[١] وغيره من آلة الحرب، وقيل له: «قد سيّرنا إليك آلة السلم وآلة الحرب مما لاصق جسدنا فى مواطن الجهاد» وكتب له المقام العالى المولوى السلطانى، وكتب له السلطان بخطه المملوك.

وفيه اجتاز السلطان على السَّدِيْر[٢] قرب العباسية، فأعجبه فاختار منه مكانا بنى فيه قرية سماها الظاهرية، وعمر بها جامعا. وبينا هو فى الصيد هناك إذ بلغه حركة التتار على حلب، فعاد إلى القلعة وأمر بخروج الخيام. فلم يعجبه خيام جماعة فأدَّبهم وجرسهم. وخرج البريد إلى الشام بتجهيز العساكر، فلما خرجوا وساروا إلى بانياس أخرج البريدى كتبا مختومة باسم الأمير علم الدين الحصنى والأمير بدر الدين الأتابكى، وفيها منازلتهم للشقيف، فلم يشعر الفرنج إلا بالعساكر على قلعة الشقيف.

وسار السلطان من مخيمه بباب النصر فى ثالث جمادى الآخرة إلى غزة، فبلغه عن جماعة من الجمالين أنهم تعرّضوا إلى زرع فقطع أنوفهم، وبلغه عن الأمير علم الدين سنجر الحموى أنه ساق فى زرع، فأنزله عن فرسه وأعطاه بما عليه من السرج واللجام لصاحب الزرع ثم رحل السلطان إلى العوجاء.

فلما كان يوم العشرين منه: ساق السلطان من العوجاء إلى يافا، وحاصرها حتى ملكها من يومه، وأخذ قلعتها وأخرج من كان فيها، وهدمها كلها وجمع أخشابها ورخامها وحمله فى البحر إلى القاهرة، فعُمل من الخشب مقصورة الجامع الظاهرى بالحسينية، ومن الرخام بحرابه. وأمر السلطان ببناء الجوامع بتلك البلاد، وأزال منها ومن قرية المنكرات[٣]، ورتب الخفراء على السواحل وألزمهم بدركها. ورسم أن المال المتحصل من هذه البلاد لا يخلط بغيره، وجعله لمأكله ومشربه. وأعطى الأمير علاء

=الوردى ٢/ ٢٤٠ وابن الفرات ٨/ ٢٠٢ وأنباء الزمن والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤١ والنجوم الزاهرة ٧١/٨ والفهرس التمهيدى ٥٣٤ والكتبخانة ٤١/٦ ومعجم المطبوعات ١٤١٧ والأعلام ٨/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) الجوشن: الصدر، والدرع، وجمع جواشن. انظر المعجم الوسيط ١٥٣/١.

(٢) بالعراق وهو سودا النخل، وقيل السدير النهر الذى هناك وقيل هو قصر عظيم من إنشاء ملوك لخم فى القديم وسمى سديرا لأن العرب لما نظرت إلى سواد نخله سدرت أعينهم. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٠٨ ومعجم ما استعجم (الخورنق) ٣/ ٧٢٩، معجم البلدان ٦١/٣

(٣) قرية قرب بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣٥٤/٤.

الدين الحاج طيبرس منها قرية، وأعطى الأمير علم الدين سنجر الحموى قرية، و ملكهما إياهما وأنزل التركمان بالبلاد الساحلية لحمايتها، وقرر عليهم خيلا وعدة، فتجدد له عسكر بغير كلفة، وفيه رسم بتجديد عمارة الخليل عليه السلام، ورسم أن يكون عمل الخوان الذى يَمُدّ ناصيةً عن مسجد الخليل.

وجهز السلطان عسكرا إلى الشقيف، ثم سار إليها بنفسه فنزل عليها فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب، وقَدِم الفقهاء للجهاد، ونصب السلطان عليها ستة وعشرين منجنيقا، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب، وأخرج منها نساء الفرنج وأولادهم إلى صور، وقيّد الرجال كلهم وسلّمهم للعساكر. وهدم السلطان قلعة استجدها الفرنج هناك، واستناب على القلعة الأخرى الأمير صارم الدين قايماز الكافرى، ورتّب بها الأجناد والرجالة، وقرّر فيها قاضيا وخطيبا، وولى أمر عمارتها الأمير سيف الدين بلبان الزينى. وفيه وردت كتب من الكرج.

وفى شعبان: وصل رسول صاحب بيروت بهدية وتجار كانوا قد أخذوهم فى البحر من سنين، فما زال السلطان حتى خلّصهم وخلّص أموالهم.

وفى عاشره: رحل السلطان من الثقيف إلى قرب بانياس، وبعث الأثقال إلى دمشق وجهّز الأمير عز الدين أوغان بجماعة لجهة، وجهز الأمير بدر الدين الأيدمرى فى جماعة إلى جهة أخرى، فحفظت العساكر الطرقات.

ثم سار السلطان إلى طرابلس وخيم عليها فى النصف منه، وناوش أهلها القتال وأخذ برجا كان هناك، وضرب أعناق من كان من الفرنج، وأغارت العساكر على من فى تلك الجبال، وغنموا شيئا كثيرا وأخذوا عدة مغاير بالسيف، وأحضروا المغانم والأسرى إلى السلطان فضرب أعناق الأسرى، وقطع الأشجار وهدم الكنائس، وقسّم الغنائم فى العسكر.

ودخل السلطان عن طرابلس فى رابع عشريه، فتلقاه صاحب صافيتا وأنطرسوس بالخدمة، وأحضر ثلاثمائة أسير كانوا عنده، فشكره السلطان و لم يتعرض لبلاده، ونزل السلطان على حمص، وأمر بإبطال الخمر والمنكرات. ثم دخل إلى حماة ولا يعرف أحد أى جهة يقصد، فرتب العسكر ثلاث فرق: فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخازندار، وفرقة مع الأمير عز الدين إيغان، وفرقة مع السلطان، فتوجه الخازندار إلى السُّوَيْدِيَّة[1]،

---

(١) هى مدينة أنطاكية على البحر وبها يقع نهر أنطاكية المسمى بالعاصى. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٣٠ ونزهة المشتاق ١٩٥.

وتوجه إيغان إلى درب بساك، فقتلوا وأسروا، ونزل السلطان أفامية، ووافاه الجميع على أنطاكية.

وأصبح أول شهر رمضان: والسلطان مغير على أنطاكية، وأطاقت العساكر بها من كل جانب، فتكملوا بخيامهم فى ثالثه. وبعث السلطان إلى الفرنج يدعوهم وينذرهم بالزحف عليهم، وفاوضهم فى ذلك مدّة ثلاثة أيام وهم لا يجيبون، فزحف عليها وقاتل أهلها قتالا شديدا، وتسور المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة، ونزلوا المدينة ففر أهلها إلى القلعة، ووقع النهب والقتل والأسر فى المدينة، فلم يُرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف، وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفرّ منها أحد، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوى النساء والأولاد، فبعثوا يطلبون الأمان فأمنوا، وصعد السلطان إليهم ومعه الحبال، فكتفوا وفرّقوا على الأمراء، والكتاب بين يدى السلطان ينزلون الأسماء.

وكانت أنطاكية للبرنس بيموند بن بيموند، وله معها طرابلس، وهو مقيم بطرابلس وكتبت البشائر بالفتح إلى الأقطارالشامية والمصرية والفرنجية، وفى الجملة كتاب إلى صاحب أنطاكية - وهو يومئذ مقيم بطرابلس - وهو من إنشاء ابن عبد الظاهر رحمه الله تعالى.

وسلم السلطان القلعة إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، وأمر بإحضار المغانم لتقتسم، وركب وأبعدَ عن الخيام وحمل ما غنمه وما غنمته مماليكه وخواصه، وقال: «والله ما خبأت شيئا مما حمل إلى ولا خليت مماليكى يخبئون شيئا، ولقد بلغنى أن غلاما لأحد مماليكى خبأ شيئا لا قيمة له فأدّبته الأدب البالغ، ويتبقى لكل أحد منكم أن يخلص ذمته، وأنا أحلّف الأمراء والمقدمين، وهم يحلفون أجنادهم ومضافيهم». فأحضر الناس الأموال والمصاغ الذهب والفضة حتى صارت تلاً بها، وقسّمت فى الناس، وطال الوزن فقسّمت النقود بالطاسات، وقسّمت الغلمان على الناس، فلم يبق غلام إلا وله غلام، وتقاسم النساء والبنات والأطفال، وأبيع الصغير باثنى عشر درهما والجارية بخمسة دراهم، وأقام السلطان يومين وهو يباشر القسمة بنفسه، وقصر الناس فى إحضار الغنائم فعاد السلطان مغضبا، فلم تزل الأمراء به يلتزمون بالاجتهاد والاحتراز ويعتذرون إليه، حتى وقف على فرسه وما ترك شيئا حتى قسّمه.

ثم ركب السلطان إلى القلعة وأحرقها، وعم بالحريق أنطاكية، فأخذ الناس من

حديد أبوابها ورصاص كنائسها ما لا يوصف كثرة، وأقيمت الأسواق خارج المدينة، فقدم التجار من كل جهة. وكان بالقرب من أنطاكية عدة حصون، فطلب أهلها الأمان، فتوجّه إليهم الأمير بيليك الأشرفى و تسلمها فى حادى عشره، وأسر من فيها من الرجال.

وكان التكفور هيتوم ملك سيس لم يزل يسأل فى إطلاق ولده ليفون، ويعرض فى فدائه الأموال والقلاع، وكان التتر قد أسروا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من حلب، لما ملكوها من الملك الناصر، فاقترح السلطان على سيس إحضار سنقر عوضا عن ولده ورد القلاع التى أخذها من مملكة حلب، وهى بَهَسْنا ودَرْبَسّاك ومَرْزَبان ورَعْبان وشِيح الحديد، فسأل هيتوم المهلة سنة إلى أن يبعث إلى الأرْدو[1] فلما كان فى هذه الأيام، بعث هيتوم إلى السلطان بأنه وجد سنقر، وأنه أجيب إلى إطلاقه، فكتب إليه بإحضاره. فأحْضَر هيتوم كتاب سنقر إلى السلطان بأماير[2]، إلا أنه غيّر قوله فى تسليم القلاع، فكُتب إليه. «إذا كنت تقسو على ولدك وولى عهدك، فأنا أقسو على صديق ما بينى وبينه نسب، ويكون الرجوع منك لا منى. ونحن خلف كتابنا، فمهما شئت افعل بسنقر الأشقر» فلما وصلت إليه الكتب من أنطاكية خاف، وتقّرر الصلح على تسليم قلعة بَهسْنا[3] ودر بساك وكل ما أخذه من بلاد الإسلام، وأن يرد الجميع بحواصلها كما تسلمها، ويطلق سنقر الأشقر، ويطلق السلطان ولَده وابن أخيه وغلمانهما، وأنه يحضر رهينة حتى يتسلم السلطان القلاع، فكتبت الهدنة بأنطاكية، وتوجه الأمير بلبان الرومى للدوادار، والصدر فتح الدين بن القيسرانى كاتب الدرج. لاستحلافه، وتوجه الأمير بدر الدين يحكا الرومى لإحضار الملك ليفون من مصر على البريد فى ليلة الثالث عشر من رمضان، فوصل إلى القاهرة وخرج منها ثانى يوم دخوله بالملك ليفون، فوصل إلى دمشق ليلة الإثنين سادس عشريه، فكان بين خروجه من أنطاكية وعوده إلى دمشق ثلاثة عشر يوما، وحلف التكفور هيتوم صاحب سيس فى سابع عشريه، فانتظم الصلح.

ورحل السلطان من أنطاكية إلى شيزر، وسار منها على البرّية إلى حمص وهو يتصيد

---

(١) الأرذو لفظ مغولى معناه المعسكر. انظر: ابن أبى الفضائل، المنهج السديد ١١٦، ١١٧.

(٢) الأماير جمع أمارة، ومعناها العلامة المكتوبة أو الشفوية التى تتخذها اللهجات الرسمية وغيرها بمثابة علامة سرية متفق عليها، للاطمئنان على صحة ما يتبادل من مراسلات أو مشافهات بين طرفين.

(٣) هى قلعة بين مرعش وسميساط. انظر: معجم البلدان ١/ ٧٧.

فدخل حماة فى ثلاثة نفر: وهم الأمير بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير حسام الدين الدوادار، ونزل العسكر حماة. ثم سار السلطان من حمص إلى دمشق، فدخلها فى سادس عشريه، والأسرى بين يديه و ليفون ابن صاحب سيس فى خدمته، فأحسن إليه، وحلف ليفون للسلطان فى ثالث شوّال على النسخة التى حلف عليها أبوه، وهو قائم مكشوف الرأس، وسار إلى بلاده فى حادى عشره صحبة الأمير بجكا على البريد، حتى قرّره فى مملكته. ووصلت الرهائن فأحسن السلطان إليهم وأكرمهم، ومازالوا إلى أن تسلم نواب السلطان القلاع من أهل سيس، فأعيدت الرهائن إليهم بما أنعم عليهم، وعندما وصل ليفون إلى سيس أطلق سنقر الأشقر، وبعث به إلى السلطان فتلقاه السلطان وهو فى الصيد من غير أن يعرف أحد بقدومه، وقدم به وهو مختف وأنزله عنده فى الدهليز، وبات معه. فلما أصبح، واجتمع الناس فى الخدمة، خرج السلطان ومعه سنقر الأشقر، فبهت الناس لرؤيته، وأخرج له السلطان المال والخلع والحوائص، والخيل والبغال والجمال والمماليك، وسائر ما يحتاج إليه، وحمل إليه الأمراء التقادم، وبالغ السلطان فى الإحسان إليه، وبنى له دارا بقلعة الجبل ولما حضر سنقر إلى القاهرة أعطاه السلطان إمرة، وعَمله من خواصه.

وفى ثالث عشره: تسلم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى أستادار السلطان حصن بفراس من الفرنج الداويه و كانوا قد فروا عنها وتركوا الحصن خاليا حتى لم يبق بها سوى عجوز واحد، فوجدها الأمير شمس الدين عامرة بالحواصل والذخائر، وفيه وردت رسل صاحب عكا بهدية، فحصل الاتفاق على أن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع، وأن تكون مدينة عكا وبقية بلادها مناصفة هى وبلاد الكِرْمِل[1]، وأن بلاد صيدا الوطاة للفرنج والجبليات للسلطان، وأن الهدنة لعشر سنين، وأن الرهائن تطلق وبعث السلطان لصاحب عكا هدية فيها عشرون نفسا من أسرى أنطاكية، وتوجه القاضى محيى الدين عبد الظاهر والأمير كمال الدين بن شيت لاستحلافه، فدخلا عكا فى عشرى شوّال، وقد وصّاهما السلطان ألا يتواضعا له فى جلوس ولا مخاطبة، فلما دخلا كان الملك على كرسى، فلم يجلسا حتى وضع لهما كرستين جلسا عليهما قبالته، ومدّ الوزير يده ليأخذ الكتاب فلم يرضيا حتى مدّ الملك يده وأخذه، و لم يوافق على أشياء فتركوه و لم يحلف.

وفى ثامن عشر ذى القعدة: خرج السلطان من دمشق وسار إلى القاهرة، فخرج

---

(١) حصن من حصون أوغة من بلاد الإفرنج الساحلية مشرفا. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٩٣، آثار البلاد ٦٠٧ نقلا عن العذرى، معجم البلدان ٢٦٧/٤.

الملك السعيد إلى أم الباردة وهى السعيدية، وعيّد مع السلطان بها. وسارا إلى قلعة الجبل فى حادى عشر ذى الحجة، وحمل السلطان عن الناس كلفة الزينة. وفيها مات السلطان ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، ملك الروم. وقام من بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وعمره أربع سنين، فقام بأمر المملكة معين الدين سليمان البَرْوَاناه[١] وكان موت ركن الدين خنقا بالوتر، وذلك أن معين الدين البرواناه اتفق مع التتر المقيمين معه على قتل ركن الدين فخنقوه.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن الشهيد أبى صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبى كاتب الإنشاء، ظاهر صور من الساحل.

وتوفى الصاحب عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن منصور بن محمد بن وداعة الحلبى وزير دمشق، بالقاهرة.

وتوفى الأديب عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الموصلى[٢] بدمشق، عن ثلاث وثمانين سنة. ومات الأمير عماد الدين أبو حفص عمر بن هبة الله ابن صديق الخلاطى الأديب الفاضل بحماة، عن ثمان وستين سنة.

وتوفى الشيخ المعتقد أبو داود مُسَلْم السُلَمى شيخ الطائفة المسلمية، فى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول، ودفن بالقرافة، وكان فى ابتداء أمره قاطع طريق، وأخذ عن الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ مرزوق، وقدم القاهرة، وعنى به الصاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا.

* * *

---

(١) البرواناه لفظ فارسى معناه الحاجب.

(٢) على بن عدلان بن حماد بن على الربعى الموصلى: فاضل انفرد بمعرفة الألغاز. وكان من أذكياء العالم. ولد بالموصل. وتصدر بجامع الصالح (ظاهر القاهرة) وكانت له اليد الطولى فى حل التراجم والألغاز. ومات بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٥٩ وبغية الوعاة ٣٤٣ وصلة التكملة والمخطوطات المصورة ١/٣٧٩ والأعلام ٤/ ٣١٢.

سنة سبع وستين وستمائة

فى أول المحرم: ركب السلطان حتى شاهد جامعه بظاهر القاهرة، وسار لفتح بحر أبى المنجا، وعاد إلى القلعة. وفيه احتفل السلطان برمى النشاب وأمور الحرب، وبنى مسطبة بميدان العيد خارج باب النصر من القاهرة، وصار ينزل كل يوم من الظهر ويرمى النشاب، فلا يعود من الميدان إلى عشاء الآخرة، وأخذ السلطان يحرّض الناس على الرمى والرهان، فما بقى أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله تحريض الناس على لعب الرمح ورمى النشاب.

وفيه قدمت الرسل من جميع الأقطار تهنئ السلطان بما فتحه ا لله عليه.

وفى يوم الخميس تاسع صفر: جلس الملك بركة فى مرتبة الملك، وحضر الأمير فقبّلوا الأرض، وجلس الأمير عز الدين الحلى والأمير فارس الدين الأتابك بين يديه، والصاحب بهاء الدين وكتاب الإنشاء والقضاة والشهود، وحلف له الأمراء وسائر العساكر.

وفى ثالث عشره: ركب الملك السعيد الموكب كما يركب والده وجلس فى الإيوان وقرئت عليه القصص.

وفى العشرين منه: قرئ بالإيوان تقليده بتفويض السلطنة إليه، واستمر جلوسه فى الإيوان مكان والده لقضاء الأشغال، وصار يوقع ويطلق ويركب فى الموكب، وأقام السلطان الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائبا عنه، عوضا عن الأمير عز الدين الحلى.

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة: خرج السلطان، ومعه الأمير عز الدين الحلى وأكابر الأمراء فى عدّة من العسكر يريد بلاد الشام، وترك أكثر العسكر عند الملك السعيد، فلما وصل إلى غزة أنفق فى العسكر، ونزل أرسوف لكثرة مراعيها، فقدم عليه كتاب متملك سيس بأن رسول رسول أبغا بن هولاكو قدم ليحضر إلى السلطان، فبعث إليه الأمير ناصر الدين بن صيرم مشدّ حلب ليتسلمه من سيس، ويحترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدّث مع أحد فسار به إلى دمشق، و لم يحتفل به عند وصوله إلى دمشق، وأنزل فى قلعتها، فورد الخبر بذلك، فركب السلطان من أرسوف وترك الأثقال بها، وأخذ معه الأمراء ودخل إلى دمشق، وأحضر الرسول إليه، فكان من جملة كتابه: «إن الملك أبغا لما

خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد، ومن خالفه هلك وقتل. فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلّصت منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا».

وكان فى المشافهة: «أنت مملوك وأبِعْتَ فى سيواس، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض؟» فأجيب وأعيد الرسول.

وفى أوّل شعبان: مات الأمير عز الدين الحلى بدمشق.

وفيه خرج السلطان من دمشق، وودّع الأمراء كلهم وسيرهم إلى مصر، ولم يتأخر عنده من الأمراء الكبار سوى الأمير الأتابك، والمحمدى، والأيدمرى، وابن أطلس خان، وأقوش الرومى. فسار بهم إلى قلعة الصبيبة ثم إلى الشقيف وصفد، وكتب بحضور الأثقال إلى خربة اللصوص من أرسوف، فأحضرها الأمير آقسنقر الفارقانى الأستادار، وقدم السلطان إليها فأقام بها أياما. وخطر للسلطان أن يتوجه إلى ديار مصر خفية، فكتم ذلك وكتب إلى النوّاب بمكاتبة الملك السعيد والاعتماد على أجوبته، ورتب أنه كلما جاء بريد يقرأ عليه وتخرج علائم على بياض تكتب عليها الأجوبة.

فلما كان فى رابع عشره: أظهر السلطان أنه تشوش فى بدنه، واستدعى الحكماء إلى الخيمة، ووقع احتفال فى الظاهر بتوعكه، وأصبح الأمراء فدخلوا عليه وشاهدوه مجتمعا على هيئة متألم، وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشربة. وتقدم السلطان إلى الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير سيف الدين بكتوت جرمك الناصرى، بالتوجه إلى حلب على خيل البريد وصحبتهما بريدى، فتوجهوا ليلة السبت سادس عشره، وكان السلطان قد أوصاهم أنهم إذا ركبوا يأتوا خلف الدهليز، حتى يتحدّث معهم مشافهة، وجهز السلطان الأمير آقسنقر الساقى على البريد إلى مصر، وأعطاه تركاشه وأمره أن يقف خلف خيمة الجمدارية من وراء الدهليز، فوقف حيث أمر، ولبس السلطان جوخة مقطّعة، وتعتم بشاش دخانى عتيق، وقصد أن يخرج به الحراس، فوجد قماش نوم لبعض المماليك، فاستدعى خادما من خواصه وقال: «أنا خارج بهذا القماش، احمله وامش قدّامى فإن سألك أحد فقل هذا بعض معه قماش بعض الصبيان، حصل له مرض وما يقدر يحضر الخدمة الليلة، وخارج إليه بقماشه». فخرج السلطان بهذه اليلة ولم يفطن به أحد، وكان قد أسرّ إلى الأمير شمس الدين الفارقانى أنه يغيب مدة أيام عيّنها.

ولما خرج السلطان من الدهليز مشى إلى الجهة التى واعد آقسنقر الساقى إليها، وكان قبل ذلك قد أقام هناك أربعة أرؤس من الخيل سيّرها مع الأمير بهاء الدين أمير آخور، وأمره أن يقف بها فى مكان فأخذ آقسنقر الخيل، وسيّر بهاء الدين أمير آخور إلى التل، فوجد الأيدمرى ورفقته، فصار إليهم السلطان واختلط بهم فى السَّوْق وهم لا يعرفونه، فلما طال سَوْقهم قال السلطان للأيدمرى: «تعرفنى» فقال: «إى وا لله» وأراد أن ينزل عن فرسه ليقبِّل الأرض، فمنعه. وقال السلطان لجرمك: «تعرفنى؟» فقال: «إيش هذا يا خوند؟» فقال له: «لا تتكلم». وكان معهم الأمير علم الدين شُقَير مقدّم البريدية، فصارت جملتهم خمسة أنفس، ومعهم أربعة جنائب من خيل السلطان الخاص، فساقوا إلى القصير المعينى ووافوه نصف الليل، فدخل السلطان إلى الوالى ليأخذ فرسه، فقام إليه بنحو خمسين راجلا ليهاوشه وقال: «الضيعة ملك السلطان، ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا، تروحوا وإلا قتلناكم». فتركوه وساقوا إلى بيسان، وأتوا دار الوالى وقالوا: «نريد خيلا للبريد»، فأنزلهم وقعد السلطان عند رجلى الوالى وهو نائم، ثم التفت إلى الأيدمرى وقال: «الخلائق على بابى، وأنا على باب هذا الوالى لا يلتفت إلى، ولكن الدنيا نوبات». وطلب السلطان من الوالى كوزا، فقال: «ما عندنا كوز إن كنت عطشان اخرج واشرب من برَّا»، فأحضر إليه الأيدمرى كرازا[1] شرب منه. وركبوا وصبحوا بجينين، فوجدوا بها خيلا للبريد عُرْجًا مُعقَّرة[2]، فركب السلطان منها فرسا لم يكد يثبت عليه من رائحة عقوره. وساروا فلما نزلوا تل العجول بقى كل منهم ماسكا فرسه، فلما وصلوا إلى العريش قام السلطان والأمير جرمك ونَقِّيا الشعير، وقال السلطان لجرمك: «اين السلطنة والأستادار وأمير جاندار، وأين الخلق الوقوف فى الخدمة؟ هكذا تخرج الملوك من ملكهم، وما يدوم إلا ا لله سبحانه».

ولم يبق معهم من الجنائب الأربعة إلا الذى على يد السلطان يقوده، ووصل معه إلى الصالحية، وصعدوا إلى القلعة ليلة الثلاثاء الثلث الأوّل من الليل، فأوقفهم الحرّاس حتى شاوروا الوالى، ونزل السلطان فى باب الإسطبل وطلب أمير آخور، وكان قد رتّب مع زمام الأمر ألا يبيت إلا خلف باب السر، فدق السلطان باب السر وذكر للزمام العلامة التى بينه وبينه، ففتح الباب ودخل السلطان ورفقته. وأقاموا يوم الثلاثاء والأربعاء، وليلة الخميس الحادى والعشرين من شعبان، ولا يعلم بالسلطان أحد إلا الزمام فقط، وصار

(١) الكراز. القارورة، قال ابن دريد: لا أدرى أعربى أم عجمى، غير أنهم قد تكلموا بها: والجمع كرزان، وكرز وكرز وكارز ومكرز وكريز وكريز وكراز: أسماء، وكراز فرس حصين بن علقمة. انظر: لسان العرب ٣٨٥٣. يقصد به كوز ضيق الرأس.

(٢) المراد وصف خيل البريد بأنها كانت مجرحة الظهر.

السلطان يتفرج فى الأمراء بسوق الخيل، فلما قدَّم الفرس للملك السعيد يوم الخميس على العادة قَدَّم أمير آخور للسلطان فرسا آخر، وعندما خرج الملك السعيد ليركب ما أحسّ إلا والسلم قد خرج إليه، فرعب وقبّل له الأرض، وركب السلطان وخرج على غفلة و[......][1] بغلس، فأنكر الأمراء ذلك وأمسكوا قبضات سيوفهم، ونظروا فى وجه السلطان حتى تحقّقوه، فقبّلوا له الأرض، وساق السلطان إلى ميدان العيد، وعاد إلى القلعة وأقام بقية يوم الخميس ويوم الجمعة ولعب بالكرة يوم السبت. وتوجه يوم الأحد إلى مصر، ورمى الرجال بالشوانى قدّامه، وركب فى الحراريق وعاد إلى القلعة، فلما كان ليلة الإثنين خامس عشرى شعبان، ركب السلطان خيل البريد من القلعة، وعاد إلى معسكره بخربة اللصوص.

وأما ما جرى فى معسكرالسلطان بالخربة، فإن الأمير شمس الدين الفارقانى لما أصبح، وقد فارق السلطان الدهليز، أظهر الأمراء أن السلطان منقطع لضعف حصل له، واستدعى الأطباء وسألهم عما يصلح للمتوعك الذى يشكو صداعا وخَدَرا[2] وعطشا، وأوهمهم أن السلطان يشكو ذلك، فوضعوا له ما يوافق. وأمر الأميرُ شمس الدين الشراب دارية فأحضروا الشراب، ودخل إلى الدهليز بنفسه ليوهم العسكر صحة ذلك، إلى أن وصل ليلة الجمعة تاسع عشريه إلى قرب الدهليز، فأمر السلطان الأيدمرى وجرمك بالتوجه إلى خيامهما، وأخذ على يده جراب البريد وفى كفّه فُوْطة[3]، ومشى على قدميه إلى جهة الحراس، فمانعه حارس وأمسك طوقه، فانجذب منه السلطان ودخل باب الدهليز. وبات السلطان، فلما أصبح أحضر الأمراء وأعلمهم أنه كان متغير المزاج، وركب فضربت البشائر لعافية السلطان، ومشى كل ما وقع على العسكر، ولم يعلم به سوى الأتابك والأستادار والدوادار وخوّاص الجامدارية وكانت فى هذه المدة ترد المكاتبات وتكتب أجوبتها كما رتب السلطان، والأحوال جميعها ماشية كأنه حاضر لم يختل شيء من الأمور، وقصد بما فعل أن يكشف حال مملكته ويعرف أحوال ابنه الملك السعيد فى مصر، فتم له ما أراد.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) الخدر: الذلالٌ يغشى الأعضاء: الرجل واليد والجسد، وقد خدرت الرجل تخدر، والخدر من الشراب والدواء: فتور يعترى الشارب وضعف، ابن الأعرابى الخدرة ثقل الرجل خدر، وأخدره ذلك، والخدر فى العين: فتورها، وقيل هو ثقل فيها من قذى يصيبها، وعين خدراء: خدرة والخدر: الكسل والفتور وخدرت عظامه. انظر لسان العرب ١١١٩، (خدر).

(٣) ثوب قصير غليظ يكون متزرًا يجلب من السند، والفوطة هى مرادف [illegible]، وهى قطعة من قماش من الحرير السكندرى، تحمل فيها الأوراق الرسمية. انظر: لسان العرب (فوط).

وكتب السلطان بإزالة الخمور وإبطال الفساد والخواطئ من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فطهرت كلها من المنكر، ونهبت الحانات التى جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها، وسلبت جميع أحْوَال[١] المفسدات وحبسن حتي يتزوجن، وفى كثير من المفسدين، وكتب السلطان إلى جميع البلاد بمثل ذلك، وحطّ المقرر على هذه الجهة من المال، وعوّض المقطعين جهات حلالا.

وورد الخبر بحصول زلزلة فى بلاد سيس خرب منها قلعة سَرْفَنْد وعدّة قلاع، وهلك كثير من الناس حتى سال النهر دما، وتلفت عدّة جهات. وورد الخبر بأن الفرنج شنعوا بموت السلطان، وحضر رسولهم يطلب المهادنة: وكان قد هرب من المماليك السلطانية أربعة وصاروا إلى عكا، فبعث السلطان بإحضارهم فامتنع الفرنج من إحضارهم إلا بعوض، فأنكر السلطان ذلك وأغلظ عليهم، فسيروا المماليك وقد نَصّروهم، فعند ذلك قبض السلطان على رسل الفرنج وقيّدهم، وكتب إلى النواب بوقوع الفسخ، وأغار عليهم الأمير أقوش الشمسى وقتل وأسر منهم جماعة. وركب السلطان فى العشرين من رمضان وساق إلى صور، وقتل وأسر جماعة، وعاد إلى المخيم وأمهل مدة، ثم جرد طائفة لأخْذ المَغَلّ وقَطْع الميرة عن صور.

وفى سادس عشريه: تسلم نواب السلطان بَلاَطُنُس[٢] من عز الدين عثمان صاحب صهيون، وهى حصن عظيم، وفيه سارت العساكر من البيرة إلى كَرْكَر[٣] فأحرقوا وغنموا، وأخذوا قلعة كانت بينها وبين كختا[٤]، وقتلوا رجالها وغنموا كثيرا، وأخرجوا منه الخمس للديوان.

وفيه كان خلف فى مكة بين الشريف نجم الدين أبى نمى وبين عمه الشريف بهاء الدين إدريس أميرى مكة، ثم اتفقا فرتّب لهما السلطان عشرين ألف درهم نقرة فى كل سنة، ألا يؤخذ بمكة من أحد مكس، ولا يمنع أحد من زيارة البيت ولا يتعرض لتاجر، وأن يخطب باسم السلطان فى الحرم والشارع، وتضرب السكة باسمه، وكُتب لهما تقليد بالإمارة، وسُلمت أوقاف الحرم التى بمصر والشام لنوّابهما.

وفيه سلم السلطان للشريف شمس الدين قاضى المدينة النبوية وخطيبها ووزيرها - وقد حضر فى رسالة الأمير عز الدين جماز أمير المدينة - الجمال التى نهبها أحمد بن

(١) الأحوال جمع محال، ومعناها هنا الأموال.

(٢) حصن بساحل الشام مقابل اللاذقية. انظر: معجم البلدان ١/ ٧١٠.

(٣) على هامش ط: حصن على الفرات بين آمد وملطية.

(٤) هى قلعة قديمة على نهير كختاسو.

حَجّى[1] لأشراف المدينة، وهى نحو الثلاثة آلاف جمل، وأمره أن يوصلها لأربابها وفيها قدم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى شيخ خدام الحجرة النبوية، فأكرمه السلطان وضرب له خيمة بشِقّة[2] على باب الدهليز، وناله زيادة على مائتى ألف درهم نقرة، وسافر صحبة القاضى والجمال مع الركب الشامى، وجهز من الكسوة لمكة والمدينة.

وفيه قدم رسول الفرنج من بيروت بهدية وأسارى مسلمين، فأطلقوا بباب الدهليز، وكتبت لهم هدنة. وفيه وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى الدهليز ومعه جماعة من أمراء العرب، فأوهمه السلطان أنه يريد الحركة إلى العراق، وأمره بالتأهب ليركب إذا دعى، وأمره فانصرف إلى بلاده، وكان السلطان فى الباطن إنما يريد بحركته الحجاز.

وفيه أعطى السلطان ناصرَ الدين محمد ولد الأمير عز الدين أيدمر الحلى إمرة أربعين فارسا، ورسم للأمير قلاوون والأمير أوغان والأمير بيسرى والأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح أن يباشروا الحوطة على رمال الحلى لورثته، ولم يتعرض السلطان لشىء من موجوده مع كثرته.

ودخل شوّال: والسلطان على عزم الحركة للحجاز، فأنفق فى العساكر جميعها، وجرّد عدة مع الأمير أقوش الرومى السلاح دار ليسيروا مع السلطان، وجرّد البقية مع الأمير آقسنقر الفارقانى الأستادار إلى دمشق، فنزلوا بظاهرها وأقاموا بها، ثم توجّه السلطان إلى الحج ومعه الأمير بدر الدين الخازندار، وقاضى القضاة صدر الدين سليمان الحنفى، وفخرالدين بن لقمان، وتاج الدين بن الأثير، ونحو ثلاثمائة مملوك وأجناد من الحلقة إلى الحجاز، وذلك أن الأمير جمال الدين ابن الداية الحاجب كتب إلى السلطان: «إنى أشتهى التوجّه بصحبة السلطان إلى الحجاز» فأمر بقطع لسانه، فما تفوّه أحد بعدها بذلك.

وسار السلطان من الفوّار يوم الخميس خامس عشريه، ووصل إلى الكرك مستهل

---

(١) أحمد بن حجى بن بريد البرمكى، شهاب الدين: أمير آل مرى (بكسر الميم وفتح الراء) فى بادية الشام. عرَّفه ابن كثير بملك عرب آل مرى وقال ابن تغرى بردى: من فرسان العرب المشهورين، كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويؤدون له الخفر، وكذلك صاحب المدينة الشريفة، وكانت له المنزلة العالية عند الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك، كانوا يداورونه ويتقون شره. وكان يزعم أنه من نسل الوزير جعفر بن يحيى البرمكى من أخت الخليفة هارون الرشيد التى قتل جعفر بسببها. وكانت بينه وبين عيسى بن مهنا أمير آل فضل منافسة. توفى فى بصرى الشام. انظر: النجوم الزاهرة ٣٥٧/٧، البداية والنهاية ٣٠٣/١٣ الأعلام ١١٠/١.

(٢) على هامش ط: الشقة جنس من الثياب وتصغيرها شقيقة.

ذى القعدة، وكان قد دبّر أموره خفية من غير أن يطلع أحد على ذلك، حتى أنه جهز البشماط[1] والدقيق والروايا والقرب والأشربة، والعربان المتوجهين معه والمرتبين فى المنازل، ولا يشعر الناس بشىء من ذلك، فلما وصل الكرك وجد الأمور كلها مجهزة، فأعطى المجردين معه بقدر الشعير كفايتهم. وسار الثقل فى رابعه، وتبعهم السلطان فى سادسه ومعه المجردون، فنزل الشوبك ورسم بإخفاء خبره، وتوجه فى حادى عشره، وسار البريد إلى مصر، فجهزت الكتب إليه مع العربان من جهة الكرك فكتبت أجوبتها من هناك.

ووصل السلطان إلى المدينة النبوية فى خامس عشريه، فلم يقابله جماز ولا مالك أميرا المدينة وفرّا منه، ورحل منها فى سابع عشريه، وأحرم فدخل مكة فى خامس ذى الحجة، وأعطى خواصه جملة من المال ليفرقوها سرّا، وفرّق كساوى على أهل الحرمين وصار كواحد من الناس، لا يحجبه أحد ولا يحرسه إلا الله، وهو منفرد يصلى ويطوف ويسعى، وغسل البيت، وصار فى وسط الخلائق، وكل من رمى إليه إحرامه غسله وناوله إياه. وجلس على باب البيت، وأخذ بأيدى الناس ليطلعهم إلى البيت، فتعلق بعض العامة بإحرامه ليطلع فقطعه، وكاد يرمى السلطان إلى الأرض، وهو مستبشر بجميع ذلك، وعلق كسوة البيت بيده وخواصه، وتردد إلى من بالحرمين من الصالحين.

هذا وقاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى مرافقه طول الطريق، يستفتيه ويتفهم منه أمر دينه، ولم يغفل السلطان مع ذلك تدبير الممالك، وكتاب الإنشاء تكتب عنه فى المهمات، وكتب إلى صاحب اليمن كتابا ينكر عليه أمورا، ويقول فيه: «سطرتها من مكة المشرفة، وقد أخذت طريقها فى سبع عشرة خطوة» - يعنى بالخطوة المغزلة ويقول له: «الملك هو الذى يجاهد فى الله حق جهاده، ويبذل نفسه فى الذب عن حوزة الدين، فإن كنت ملكا فأخرج التتار».

وأحسن السلطان إلى أميرى مكة، وهما الأمير نجم الدين أبى نمى والأمير إدريس بن قتادة، وإلى أمير ينبع وأمير خُلَيْص[2] وأكابر الحجاز وكتب منشورين لأميرى مكة، فطلبا منه نائبا تقوى به أنفسهما، فرتب الأمير شمس الدين مروان نائب أمير جاندار بمكة، يرجع أمرهما إليه ويكون الحل والعقد على يديه، وزاد أميرى مكة مالا وغلالا فى كل سنة بسبب تسبيل البيت للناس، وزاد أمراء الحجاز إلا جماز ومالك أميرا المدينة، فإنهما انتزحا من بين يديه.

---

(١) على هامش ط: يقصد به البقسماط.

(٢) حصن بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٣/٤٦٧.

وقضى السلطان مناسك الحج وسار من مكة فى ثالث عشره، فوصل إلى المدينة فى العشرين منه، فبات بها وسار من الغد، فجدّ فى السير ومعه عدّة يسيرة حتى وصل إلى الكرك بكرة يوم الخميس سلخه، ولم يعلم أحد بوصوله إلا عند قبر جعفر الطيارة بمؤتة، فالتقوه هناك. ودخل السلطان مدينة الكرك وهو لابس عباءة، وقد ركب راحلة، فبات بها ورحل من الغد.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين أيدمر الحلى الصالحى نائب السلطنة، عن نيف وستين سنة، بدمشق فى أوّل شعبان. ومات الأمير أسد الدين سليمان بن داود بن موسك الهذبانى، بعد ما ترك الخدمة تعففا، وله فضل ونظم جيد.

وتوفى مجد الدين أبو محمد عبد المجيد بن أبى الفرج بن محمد الرُّوْذَرَاوَرى بدمشق.

وتوفى نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن إبراهيم، الشهير بسيبويه المغربى النحوى، عن سبع وستين سنة بالقاهرة، وله شعر جيد.

وتوفى شيخ الأطباء بدمشق شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبى[1] وله شعر جيد.

* * *

(١) على بن يوسف بن حيدرة الرحبى، شرف الدين: طبيب، من العلماء الشعراء، مولده ووفاته فى دمشق. خدم فى البيمارستان الكبير، وتولى تدريس الطب مدة وصنف كتبا. انظر: طبقات الأطباء ٢/ ١٩٥، ٢٠١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٥ والدارس ٢/ ١٣٠ وأخبار التراث العربى ٦٥/ ٢٥ والأعلام ٥/ ٣٤.

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها صلى الملك الظاهر صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك، وركب فى مائة فرس وبيد كل فارس فرس، وساق إلى دمشق. هذا والناس بمصر والشام لا يعرفون شيئا من خبر السلطان: هل هو فى الشام أو الحجاز أو غيره، ولا يستطيع من مهابته والخوف منه أحد أن يتكلم، فلما قارب السلطان دمشق سير أحد خواصه على البريد بكتب إلى دمشق، وفيها البشارة بسلامته وقضاء الحج، فأحضر الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق الناس لسماع كتب البشارة، فبينا هم فى القراءة إذ بلغهم أن السلطان فى الميدان، فساروا إليه فإذا هو بمفرده، وقد أعطى فرسه لبعض منادية سوق الخيل، فقبل النائب له الأرض وحضر الأمير آقسنقر الأستادار والأمراء المصريون، فأكل السلطان شيئا وقام يستريح، وانصرف الناس، فركب السلطان فى نفر يسير وتوجه إلى حلب، وحضر أمراء دمشق للخدمة فلم يجدوا السلطان، ودخل السلطان إلى حلب والأمراء فى الموكب، فساق إليهم وبقى ساعة ولا يعرفه أحد، حتى فطن به بعضهم فنزلوا وقبلوا الأرض. ودخل السلطان دار نائب السلطنة وكشف القلعة، وخرج من حلب ولم يعرف به أحد، فوصل دمشق فى ثالث عشره، ولعب فيها بالكرة، وركب فى الليل وسار إلى القدس، وزار الخليل وتصدق. وكان العسكر المصرى قد صار به الأمير آقسنقر الفارقانى من دمشق ونزل بتل العجول، فخرج السلطان من القدس إلى تل العجول. وكل ذلك فى عشرين يوما، ما غير السلطان فيها عباءته التى حج فيها.

ثم سار السلطان من تل العجول بالعساكر فى حادى عشريه إلى القاهرة، فخرج الملك السعيد إلى لقائه بالصالحية، وعاد معه إلى قلعة الجبل، فأقام السلطان بها إلى ثانى عشر صفر، ثم خرج منها ومعه الأمراء والمقدمون، فركب فى الحراريق إلى الطرّانة، ودخل السلطان البرية وضرب حلقة، فأحضر إلى الدهليز ثلاثمائة غزال وخمس عشرة نعامة: أعطى عن كل غزال بَغْلِطَاق[1] بسنجاب، وعن كل نعامة فرسا ثمينا بسرجه ولجامه.

[ودخل] السلطان إلى الإسكندرية في حادى عشريه، وكان الصاحب بهاء الدين بن

---

(١) على هامش ط: البغلطاق لفظ فارسى، وهو قباء بلا أكمام أو بأكمام قصيرة جدا يلبس تحت الفرجية.

حنا قد سبق إليها وحصل الأموال والقماش، فخلع السلطان على الأمراء، وحمل إليهم التعابى والنفقة، ولعب الكرة ظاهر الإسكندرية، وتوّجه إلى الحمامات ونزل باللَّيُونْة[١] وابتاعها من وكيل بيت المال، فبلغه هناك حركة التتار، وأنهم واعدوا فرنج الساحل، فعاد إلى قلعة الجبل، فورد الخبر بغارة التتار على السَّاجُور[٢] بالقرب من حلب، فجرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار فى جماعة من العسكر، وأمره أن يقيم فى أوائل البلاد الشامية على أهبة.

وسار السلطان من قلعة الجبل فى ليلة الإثنين حادى عشرى ربيع الأول ومعه نفر يسير فوصل إلى غزة، ثم دخل دمشق فى سابع ربيع الآخر، ولحق الناس فى الطريق مشقة عظيمة من البرد، فخيم على ظاهر دمشق. ووردت الأخبار بانهزام التتار عندما بلغهم حركة السلطان، وكأن قد ألقى الله فى أنفس الناس أن السلطان وحده يقوم مقام العساكر الكثيرة فى هزيمة الأعداء، وأن اسمه يرد الأعداء من كل جانب، فورد الخبر بأن جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب، وبعثوا إلى أبغا بن هولاكو بأنهم واصلون لمواعدته من جهة سيس فى سفن كثيرة، فبعث الله على تلك السفن ريحا أتلفت عدّة منها، ولم يسمع بعدها لمن بقى فى الأخرى خبر. وورد الخبر أنه قد خرج فرنج عكا وخيموا بظاهرها، وركبوا وأعجبتهم أنفسهم بمن قدم إليهم من فرنج الغرب، وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جينين وعسكر صفد، فخرج السلطان من دمشق على أنه يتصيد فى مرج بَرْغُوْث[٣] وبعث من أحضر إليه العدد ومن أخرج العساكر كلها من الشام، فتكاملوا عنده بكرة يوم الثلاثاء حادى عشريه بمرج برغوث، وساق بهم إلى جسر يعقوب فوصل آخر النهار، وساق بهم فى الليل فأصبح فى أول المرج.

وكان السلطان قد سيرّ إلى عساكر عين جالوت وعساكر صفد بالإغارة فى ثانى عشريه، فإذا خرج إليهم الفرنج انهزموا منهم، فاعتمدوا ذلك، ودخل السلطان الكمين، فعندما خرج جماعة من الفرنج لقتال عسكر صفد تقدم إليهم الأمير إيغان، ثم بعده الأمير جمال الدين الحاجبى، ومعهما أمراء الشام. ثم ساق الأمير أيتمش السعدى، والأمير كندغدى أمير مجلس، ومعهما مقدمو الحلقة، فقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال، وتبع السلطان مقدمى الحلقة، فما أدركهم إلا والعدو قد انكسر، وصارت الخيالة بخيلها مطرحة فى المرج. وأسر السلطان كثيرا من أكابرهم، ولم يعدم من المسلمين سوى الأمير فخر الدين ألطونبا الفائزى، فسارت البشائر إلى البلاد.

---

(١) هى بلدة من أعمال مريوط. انظر: ابن دقماق، كتاب الانتصار ١٢٩/٥.

(٢) هو نهر بجهات منبج. انظر: معجم البلدان ٨/٣.

(٣) جهة على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب. انظر: أبا شامة، كتاب الروضتين ٣٨٤.

وعاد السلطان إلى صفد والرءوس بين يديه، وتوجه منها إلى دمشق فدخلها فى سادس عشريه، والأسرى ورءوس القتلى قُدامه، وخلع على الأمراء، ثم سار إلى حماة وخرج منها إلى كفر طاب، ولم يعلم أحد قصده، وفرق العساكر وترك النقل، وأخذ خِيَار عسكره وساق إلى جهة المرقب (١) فأصابته مشقة زائدة من كثرة الأمطار، فعاد إلى حماة وأقام بظاهرها تسعة عشر يوما، وتوجه على جهة المرقب، فانتهى إلى قريب بلاد الإسماعيلية، وعاقته الأمطار والثلوج فعاد.

ثم ركب السلطان فى ثالث جمادى الآخرة بمائتى فارس من غير سلاح، وأغار على حصن الأكْرَاد (٢) وصعد الجبل الذى عليه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم، وقال يستخف بهم: «خلوا الفرنج يخرجوا، فما نحن أكثر من أربعين فارسا بأتبية بيض»، وعاد إلى مخيمه، ورعى الخيول مروجها وزروعها.

وفى أثناء ذلك حضر إلى خدمة السلطان كثير من أصحاب البلاد المجاورة، فلم يبق أحد إلا وقدم على السلطان مثل: صاحب حماة، وصاحب صهيون، إلا نجم الدين حسن بن الشعرانى صاحب قلاع الإسماعيلية، فإنه لم يحضر بل بعث يطلب تنقيض القطيعة التى حملوها لبيت المال، بدلا مما كانوا يحملونه إلى الفرنج. وكان صارم الدين مبارك بن الرضى - صاحب العُلَيْقَه(٣) - قد تغير السلطان عليه من مدّة، فدخل صاحب صهيون بينه وبين السلطان فى الصلح، وأحضره إلى الخدمة، فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالا، وأعطاه طبلخاناه، وعزل نجم الدين حسن بن الشعرانى وولده من نيابة الدعوة، وتوجّه صارم الدين إلى مَصْيَاف كرسى بلاد الإسماعيلية فى سابع عشرى جمادى الآخرة، وصحبته جماعة لتقرير أمره.

ويقال: بل الذى قام فى حقه الملك المنصور صاحب حماة، وإنه شفع فيه إلى أن عفى عنه السلطان، وحضر بهدية فأكرمه السلطان، وكتب له منشورًا بالحصون كلها: وهى قلعة الكَهف وقلعة الخَوَابِى والمَيْنَقَه والعُلَيْقَة والقُدْموس والرُّصافة(٤)، ليكون نائبا

---

(١) هو بلد وحصن بساحل الشام، بينه وبين سوس ثمانية أميال. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥٠٠

(٢) يقع هذا الحصن على الجبل الذى يقابل حمص جهة الغرب، بين بعلبك وحمص. انظر: معجم البلدان ٢/٢٧٦و الروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٢ وانظر تفصيلا مفصلا له فى الأملاق الخطيرة (الجزء الخاص بلبنان والأردن وفلسطين) ١٥.

(٣) هى إحدى حصون الإسماعيلية بالشام.

(٤) تقع فى غربى الرقة. انظر: معجم البلدان ٣/ ١١٢.

عن السلطان، وكتب له بأملاكه التى كانت بالشام على أن تكون مَصْيَاف وبلادها خاصا للسلطان. وبعث السلطان معه نائبا بمصياف، وهو الأمير بدر الدين العديمى أحد مفاردة الشام، وجرّد معه جماعة من شيزر وغيرها، فلما وصلوا إلى مصياف امتنع أهلها من تسليمها لصارم الدين، وقالوا: «لا نسلمها إلا لنائب السلطان»، فقال العديمى: «أنا نائب السلطان». فلما فتحوا هجم صارم الدين عليهم وقتل منهم جماعة، وتسلم الحصن فى نصف رجب، فلم يجد نجم الدين وولده بـدًّا من الدخول فى الطاعة، فسألا فى الحضور فأجيبا، وحضر نجم الدين حسن وعمره تسعون سنة، فرق له السلطان وولاه النيابة شريكا لصارم الدين بن الرضى، وقرر عليه حمل مائة وعشرين ألف درهم نقرة فى كل سنة، وتوجه نجم الدين وترك ابنه شمس الدين فى الخدمة. وتقرر على صارم الدين بن مبارك بن الرضى فى كل سنة ألفا دينار، فصارت الإسماعيلية يؤدون المال بعد ما كانوا يجبون من ملوك الأرض القطائع.

ثم رحل السلطان من حصن الأكراد إلى دمشق، فدخلها فى ثامن عشريه وقدم الخبر بأن الفرنسيس وعدة من ملوك الفرنج قد ركبوا البحر ولا يُعلم قصدهم، فاهتم السلطان بالثغور والشوانى، وسار إلى مصر فدخلها فى ثانى شوال. وفيه تمت عمارة الجامع الظاهرى بالحسينية خارج القاهرة، فرتب السلطان أوقافه، وجعل خطيبه حنفى المذهب، ووقف عليه حكر ما بقى من الميدان. وفيه بعث السلطان عدة رسل بهدايا إلى بلاد الفرنج.

وفى هذه السنة: قتل الشريف إدريس بن قتادة بخليص، بعد أن ولى مكة منفردا أربعين يوما، فاستبد ابن أخيه أبو نمى بإمرة مكة وحده.

وفيها مات الطواشى جمال الدين محسن الصالحى النجمى، شيخ الخدام بالمسجد النبوى.

وفيها تنكر الخان منكوتمر بن طغان، ملك التتر ببلاد الشمال، على الأشكرى ملك قسطنطينية، فبعث الخان جيشا من التتر حتى أغاروا على بلاده، وحملوا عز الدين كيقباد بن كيخسرو - وكان محبوسا كما تقدم فى القلعة - وساروا به وبأهله إلى منكوتمر، فأكرمه وزوّجه وأقام معه حتى مات فى سنة سبع وسبعين، فسار ابنه مسعود ابن عز الدين وملك بلاد الروم، كما سيأتى ذكره إن شاء الله.

وفيها انقرضت دولة بنى عبد المؤمن بقتل الواثق أبى العلاء إدريسى - المعروف بأبى دبوس - بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على[1]، فى محرم

---

(١) إدريسى بن محمد بن عمر بن عبد الله المؤمن الكومى، أبو العلاء، ويقال له أبو دبوس،=

على يد بنى مرين. وبنو مرين قبيلة من البربر - يقال لهم حمامة - كان مقامهم قبلى تازا[١]، فخرجوا عن طاعة الموحدين بنى عبد المؤمن، وتابعوا الغارات حتى ملكوا مدينة فاس، سنة بضع وثلاثين وستمائة: وأول من اشتهر منهم أبو بكر بن عبد الحق ابن محبو بن حمامة، ومات سنة ثلاث وخمسين. فملك بعده يعقوب بن عبد الحق، وقوى أمره وحصر مراكش وبها أبو دبوس، وملكها وأزال ملك بنى عبد المؤمن فى أول سنة ثمان وستين هذه، وملك مراكش.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة بدمشق محيى الدين أبو الفضل يحيى بن محيى الدين أبى المعالى محمد ابن زكى الدين أبى الحسن على بن المجد أبى المعالى محمد بن زكى الدين أبى الفضل يحيى بن على بن عبد العزيز العثمانى المعروف بابن الزكى القرشى الأموى الشافعى، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى الوزير الصاحب زين الدين أبو يوسف يعقوب بن عبد الرفيع بن بكر بن مالك القرشى الزبيرى، عن اثنتين وثمانين سنة بالقاهرة، بعد عزله ومحنته، وله شعر جيد.

وتوفى زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى الحنبلى[٢] وقد انتهى إليه علو الإسناد، عن ثلاث وتسعين سنة بدمشق.

وتوفى الولى العارف داود الأعزب بناحية تَفَهْنا[٣]، فى ليلة الجمعة سابع عشرى جمادى الآخرة، وبها دفن، وقبره مشهور يتبرك الناس بزيارته، ومناقبه وكراماته شهيرة قد جُمعت فى مجلد.

=الملقب بالواثق با لله المعتمد عليه: آخر ملوك دولة «الموحدين» بالمغرب، ولى بمراكش بعد مقتل المرتضى المؤمنى (سنة ٦٦٥هـ) واستقر سنتين وأحد عشر شهرا وعشرة أيام. وكانت أيامه نكدة، كثر الخارجون عليه، وقوى أمر «المرينيين»، فقتلوه فى معركة بظاهر مراكش. وبموته انقرضت دولة «الموحدين». انظر: جذوة الاقتباس ٩٦، والاستقصاء ١/٢٠٨، والنجوم الزاهرة ٧/٢٣٠، وشذرات الذهب ٥/٣٢٧، والحلل الموشية ١٢٧، والأعلام ١/٢٨٠.

(١) موضع بالشام. انظر: معجم البلدان ١/٨١١.

(٢) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى، أبو العباس، زين الدين: نساخ، من شيوخ الحنابلة، عالم بالحديث. ولد بفندق الشيوخ (من أرض نابلسى) وانتقل إلى دمشق، وتوفى بها. انظر: المنهج الأحمد والمقصد الأرشد وفوات الوفيات ١/ ٤٦ ونكت الهميان ٩٩ والأعلام ١/١٤٥.

(٣) هى قرية بمركز زفتى من مديرية الغربية، وتقع على طريق السكة الحديدية بين بنها وزفتى. انظر: الخطط التوفيقية ١٠/ ٣٩.

وتوفى الولى العارف تقى الدين أبو المكارم عبد السلام بن سلطان بن [...[1]...] الماجرى من هوارة، فى يوم الأحد ثامن ذى الحجة، بناحية قليب[2]. وله كرامات كثيرة، وأخذ الطريق عن الشيخ أبى الفتح الواسطى عن الشيخ أحمد بن أبى الحسن الرفاعى، وقبره يُزار بقليب ويتبرك به.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) هضيبة القَليب جبل الشربة انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٤٤.

سنة تسع وستين وستمائة

فى المحرم: ورد كتاب بيسو نوغاى قريب الملك بركة ملك التتار، وهو أكبر مقدمى جيوشه، يخبر فيه أنه دخل فى دين الإسلام، فأجيب بالشكر والثناء عليه. وفيه ورد الخبر بمسير الفرنسيس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها، فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته، وأمرهم بحَفْرَ الآبار فى الطرقات برسم العساكر، وشرع فى تجريد العساكر، فورد الخبر بموت الفرنسيس وابنه وجماعة من عسكره، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار، وأن الفرنج رحلوا عن تونس فى خامس صفر.

وفى سابعة: توجه السلطان إلى عسقلان؛ ليهدم ما بقى منها خوفا من مجىء الفرنج إليها، فنزل عليها وهدم بنفسه ما تأخر من قلعتها وأسوار المدينة حتى سوّى بها الأرض وعاد إلى قلعة الجبل فى ثامن ربيع الأول.

وفى حادى عشريه: هلك الملك المجير هيتوم بن قنسطنطين متملك سيس.

وفى عاشر جمادى الآخرة: سار السلطان من القاهرة – ومعه ابنه الملك السعيد – إلى الشام، فدخل دمشق فى ثامن رجب، وخرج إلى طرابلس فقتل وأسر. واتصلت الغارات إلى صافِيتا وتسلم السلطان صافيتا من الفرنج الديوية وأنزلهم منها، وعدتهم سبعمائة رجل سوى النساء والأطفال، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد مثل تل خليفة وغيره.

وفى تاسع رجب: نازل السلطان حصن الأكراد، وقدم عليه صاحب حماة وصاحب صهيون، وصاحب دعوة الإسماعيلية الصاحب نجم الدين.

وفى آخره: نصب السلطان عدة مجانيق على الحصن، إلى أن أخذ القلعة عنوة فى سادس عشر شعبان فطلب أهلها الأمان فأمنهم السلطان على أن يتوجهوا إلى بلادهم، فخرج الفرنج منها فى رابع عشريه، ورتب السلطان الأمير صارم الدين الكافرى نائبا بحصن الأكراد، وأمر بعمارته.

وبعث صاحب أنطرسوس – وهو مقدم بيت الداوية يطلب الصلح من السلطان، فصولح على أنطرسوس خاصة، خارجا عن صافيتا وبلادها. واسترجع السلطان منهم

جميع ما أخذوه فى الأيام الناصيرية، وعلى أن جميع ما لهم من المناصفات والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين الإسبتار، وعلى ألا تجدّد عمارة فى المرقب، فتمَّ الصلح، وأخلى الفرنج عدة حصون تسلمها السلطان.

وفى سابع عشر رمضان: نازل السلطان حصن عَكار[١]ونصب عليه المجانيق، وجدّ أهله فى المناضلة وقاتلهم السلطان قتالا شديدا، فقتل الأمير ركن الدين منكورس الدوادارى وهو يصلى فى خيمته بحجر منجنيق أصابه.

ولما كان فى تاسع عشريه: سأل الفرنج الأمان، ورفعت السناجق السلطانية على الأبراج، وخرجوا منه فى سلخه، وعيّد السلطان بالحصن، ورحل إلى مخيمه بالمرج، وكتب إلى متملك طرابلس يحذره وينذره.

وفى رابع شوّال: ركب السلطان بجميع عساكره جريدة من غير ثقل يريد طرابلس، وساق إليها، فبينا هو عازم على ذلك، إذ ورد عليه الخبر بأن ملك الإنكتار وصل إلى عكا فى أواخر رمضان، بثلاثمائة فارس وثمانى بطس وشوانى ومراكب تكملة ثلاثين مركبا، غير ما سبقه صحبة أستاداره، وأنه يقصد الحج إلى القدس، فغيّر السلطان عزمه ونزل قريبا من طرابلس، وبعث إليهم الأتابك والأمير الدوادار فاجتمعا بصاحبها، وجرت أمور آخرها أنهم سألوا السلطان الصلح فكتبت الهدنة لمدة عشر سنين، وجهز الأمير فخر الدين بن جلبان، والقاضى شمس الدين الإخنائى شاهد الخزانة، بثلاثة آلاف دينار مصرية لفكاك الأسرى، وعاد السلطان إلى مخيمه، وسار إلى حصن الأكراد فدبر أمر عمارته، ورتب أحوال تلك الجهات.

وفى حادى عشره: استولى السلطان على حصن العُلَيْقَة من حصون الإسماعيلية، واستخدم به الرجال، ورحل إلى دمشق فدخلها للنصف منه، ورحل منها فى رابع عشريه، فنزل صفد وحمل منها المجانيق إلى القُرَيْن[٢] وساق إليه ونازله حتى أخذه فى ثانى ذى القعدة، وركب منه فما أصبح إلا على أبواب عكا مُطّلِبا، فما تحرك أحد من الفرنج، فعاد إلى مخيمه بالقرين، وهدم القلعة فى رابع عشرى ذى القعدة، ورحل منه إلى قريب عكا، ونزل اللّجُوْن[٣].

---

(١) حصن على جبل موقعه شمالى طرابلس.

(٢) هو حصن فى أرض معليا قرب صفد.

(٣) بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلا. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٥١.

وكان السلطان قد كتب إلى مصر بتسفير الشوانى لقصد قبرص، فسارت فى شوال حتى قاربت قبرص، فانكسرت كلها. وشعر بهم أهل قبرص فأسروا جميع من كان فيها من الرجال، وبعث صاحب قبرص كتابا إلى السلطان يقرّعه فيه بأن شوانى مصر - وهى أحد عشر شينيا - خرجت إلى قبرص فكسرها الريح، وأخذتها وأُسرت من فيها فلما قرأه السلطان قال: «الحمد لله! منذ ملكنى الله تعالى الملك ما خُذلت لى راية، وكنت أخاف من إصابة عين، فبهذا ولا بغيره» وكتب إلى القاهرة بإنشاء عشرين شينيا، وإحضار خمس شوانى كانت بقوص، وكتب إلى قبرص جوابا أرعد فيه وأبرق.

وقدمت رسل صاحب صور تطلب الصلح، فوقع الاتفاق على أن يكون للفرنج من بلاد صور عشرة بلاد فقط، ويكون للسلطان خمسة بلاد يختارها، وبقية البلاد تكون مناصفة، ووقع الحلف على ذلك. وسار السلطان إلى القاهرة، ودخل قلعة الجبل فى ثانى عشر ذى الحجة، فبلغه أن الشهرزورية قد عزموا على سلطنة الملك العزيز عثمان بن صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، وكان السلطان قد جعلة أحد أمراء مصر، فقبض عليه وعلى عدة أمراء منهم الأمير بهاء الدين يعقوبا؛ وقبض أيضا على عدة أمراء كانوا قد اتفقوا على قتله وهو بالشقيف: منهم الأمير علم الدين سنجر الحلبى، والأمير أقوش المحمدى، والأمير أيدغدى الحاجبى، والأمير إيغان سم الموت، والأمير سنقر المساح، والأمير بيدغان الركنى، والأمير طرطح الآمدى وسجنهم بقعلة الجبل.

و فيه جهز السلطان الأمير آقسنقر الفارقانى بعسكر إلى الشام، وفيه وردت هدية صاحب اليمن، وفيها تحف ودب أسود وفيل. وفيه أكثر السلطان من الركوب إلى مصر لمباشرة عمل الشوانى، حتى كملت ضعفى ما انكسر.

وفى سابع عشريه: أمر السلطان بإهراق الخمور، وأبطل ضمانها وكان فى كل سنة ألف دينار، وكتب بذلك ترقيما قرئ على المنابر.

وفيه خلع السلطان بالميدان، وفَرّق على ألف وسبعمائة شخص لثمان خيل، وفرّق ألفا وثمانمائة فرس، كل ذلك وهو جالس حتى فرغ وفيه لازم السلطان الصناعة بمصر عدّة أيام لرمى النشاب. وفيه ورد الخبر بأن الفرنج أغاروا على جهة الشّاغُور، وأخذوا غلة وخربوا وأحرقوا غلالا.

وفيها عزل شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان عن قضاء الشافعية بدمشق، وأعيد عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الباقى بن خليل بن مقلد بن جابر،

الشهير بابن الصائغ.

وفيها وصل سيل عظيم إلى دمشق، فأخذ كثيرا من الناس والدواب، وقلع الأشجار وردم الأنهار، وخرب الدور وارتفع حتى نزل مرامى السور، وذلك زمن الصيف.

وفيها ولى قضاء المالكية بمصر نفيس الدين أبو البركات محمد المخلص ضياء الدين أبى الفخر هبة الله بن كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر المالكى. ولم يحج أحد فى هذا العام من مصر، لا فى البرّ ولا فى البحر. وهجم مكة سيل عظيم فى شعبان حتى دخل الكعبة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير علم الدين سنجر الصيرفى، فى سادس صفر بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة المالكى شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن على بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب السبكى، فى ليلة الخامس والعشرين من ذى القعدة، عن أربع وثمانين سنة. وولى بعده قضاء المالكية بالقاهرة نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضى المخلص ضياء الدين هبة الله أبو الفخر بن كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر.

وتوفى الشريف إدريس بن على بن قتادة بن إدريس الحسنى أمير مكة، قتيلا بظاهر مكة، فانفرد بعده أبو نمى بن أبى سعد.

وتوفى قاضى حماة شمس الدين أبو الظاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور البارزى الجهنى الحموى الشافعى، عن تسع وثمانين سنة بحماة.

وتوفى الأديب تاج الدين أبو المكارم محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن شِقير المغربى الحنفى[1] بدمشق، عن ثلاث وستين سنة.

---

(١) محمد عبد المنعم بن نصر الله التنوخى، أبو المكارم، المعروف بابن شقير: شاعر، دمشقى المولد والوفاة. له اشتغال بفقه الحنفية والحديث. أصله من معرة النعمان (بسورية) كان يلقب بالهدهد. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٢٩ والجواهر المضية ٢/ ٨٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٣ وصلة

وتوفى قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين[1] المرسى الصوفى بمكة، عن نحو خمسين سنة.

* * *

التكملة والأعلام ٦/ ٢٥٠.

(١) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلى المرسى الرقوطى، قطب الدين، أبو محمد: من زهاد الفلاسفة. درس العربية والآداب فى الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر أمره. وصنف كتاب «الحروف الوضيعة فى الصور الفلكية». كفره كثير من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية. انظر: جلاء العينين ٥١ وفوات الوفيات ١/ ٢٤٧ ونفح الطيب ١/ ٤٢١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٢٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٢ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦١ ولسان الميزان ٢/ ٣٢٩ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٨٨ ودار الكتب ١/ ٢٤٤ والأعلام ٣/ ٢٨٠.

سنة سبعين وستمائة

أهلّت والسلطان متشدّد فى إراقة الخمور وإزالة المنكرات، فكان لذلك يوما مشهودا. وفيه أفرج السلطان عن الأمير سيف الدين بيدغان الركنى، وأعطاه إقطاعا بالشام، ثم أحضره بعد قليل، هو وسيف الدين ملاجا الركنى، واشتراهما ورتبهما سلاح دارية وورد الخبر باختلاف الحال بين عيسى بن مهنا وبين العربان، وأنه يريد التوجه إلى التتار. فخشى السلطان أنه إن استدعاهم لا يحضروا، وإن توجه إلى الشام تسحبوا، فكتم أمره.

ونزل السلطان إلى الميدان فى سابعه، وفرّق فى خواصه مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، واثنى عشر ألف دينار عينا، ونيفا وستين حياصة، وأمر بتجهيز العساكر إلى عكا بعد الربيع، ولازم النزول إلى الصناعة فى كل يوم حتى تنجزت الشوانى، ونزل الأمير آقسنقر الفارقانى بمن معه من العسكر على جينين.

فلما كان ليلة السابع عشر: منه توجه السلطان بعد المغرب، ومعه جماعة يسيرة من خواصه، وأخفى حركته ورسم بأن أحدا من المجردين معه لا يشترى عليقا ولا مأكولا، وقرر لهم ما يحتاجون إليه. وسار إلى الزَّعْقَة(١)، ثم عرج منها فى البرية إلى الكرك، ودخلها من غير أن يعلم به أحد فى سادس صفر، ونزل قلعتها. وقرّر السلطان فى نيابة الكرك علاء الدين أيدكين الفخرى، ونقل الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك إلى نيابة الشام، ولم يظهر السلطان ذلك حتى نسلم أيدكين نيابة الكرك فى ثامنه، واستدعى عز الدين أيدمر وأفهمه أنه طلبه لنيابة حصن الأكراد.

وسار السلطان إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشره من غير أن يعلم أحد بحضوره، وكان قبل دخوله إلى دمشق قد كتب القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر بين يديه ثمانين كتابا فى يوم وليلة، إلى النواب والأمراء بتفويض نيابة الشام لعز الدين أيدمر الظاهرى، عوضا عن أقوش النجيبى، وسير السلطان تشريفا للنجيبى نائب دمشق، وأمره أن يتوجه إلى مصر ويسلم الأمر لعز الدين أيدمر، فاعتمد ذلك.

وأنفق السلطان فيمن خرج معه مالا وافرا وخيولا، وركب بهم فى ليلة السادس

---

(١) هى بلدة واقعة قرب الحدود بين مصر والشام.

عشر منه، ونــزل خــارج حماة بالجَوْسَق[1]، ونـزل صـاحب حماة فـى خيمـة. ورتـب السلطان أستادارا وأمير جاندار وحاشية السلطنة، فإنه كان قد خرج من مصـر جريـدة، وقام له صاحب حماة بالأسمطة، وقدم عليه وهو بحماة جماعة من أكابر العرب فأكرمهم، وكتم عنهم أمره وما أظهر لهم شيئا، وكتب إلى عيسى بن مهنا يطلب منه خيولا عيّنهـا له ليطمّنه، وكتب إليه: «إنك بعثتَ وأنا بمصر تطلب الحضـور، فكتبتُ إليـك لا تحضـر حتى أطلبك، وقد حضرتُ إلى حماة فإن أردتَ الحضور فاحضر». فحضر عيسى وسـأله السلطان عما نقل عنه، فقال: «نعم! والصدق أنجى من الكذب» فأحسـن السلطان إليـه وإلى أكابر العرب.

وفى سادس عشريه: قدم شمس الدين بـن نجم الديـن صـاحب الدعـوة الإسماعيليـة، فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر، واستمرت مضايقة حصونهـم حتـى تسـلم نواب السلطان حصن الخَوَابِى وحصن العُلَيْقَة.

وفى أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الآخـرة، مـن غير أن يعلم أحد قصده، وسار على طريـق حلـب، ثـم عـرج مـن شيزر وأصبح علـى حمص، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكّار وكشف أمورهمـا، وسـار إلى دمشـق، وكتـب إلى مصر كتابـا يقـول فيـه لأكـابر الأمـراء: «ولدكـم» - ولبقيتهـم أخوكـم - ووالدكم يسلم عليكم ويتشوّق إليكم، وإيثاره ألا يفارقكم. وإنما قدّمنـا راحتكـم علـى راحتنـا؛ فطالمـا تعبـوا واسـترحنا ونعلمهـم بـالمتجددات ليكونـوا لهـا كالمشـاهدين وكمشاركينا فى أكثر المجاهدين: فمنها حديث الإسماعيلية وحديـث العربـان، وقـد ورد الخبر بحركة التتار، ولو عدنا لجفلت أهل البلاد. وأما الفرنج فعملوا سـلالم مـن حديـد، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت، فلما وصلنا البلاد انعكست آمالهم ومما يـدل على التمكين تارة بالسيف وتـارة بالسـكين، أن صـاحب مَرَقِيـة[2] الـذى أخذنـا بـلاده توجه إلى التتار مستصرخا، وسيرنا وراءه فداوية، وقـد وصـل أحدهـم وذكـر أنهـم قـد قفزوا عليه وقتلوه، وبلغتنا حركة التتـار وأنـا والله لا أبيـت إلا وخيلـى مشـدودة، وأنـا لابس قماشى حتى المهماز».

وورد الخبر بأن التتار أغاروا على عين تاب، وتوجهوا على العَمْـق فـى نصـف ربيـع الأوّل، فكُتب إلى مصر بتجريد الأمير بيسـرى بثلاثـة آلاف فـارس. وخـرج البريـد مـن دمشق فى الثالثة من يوم الأحد ثـامن عشـره، فدخـل القـاهرة الثالثـة مـن ليلـة الأربعـاء

---

(١) معرب اللفظ الفارسى كوسك، ومعناه القصر، ويجمع على جواسق. انظر: محيط المحيط.

(٢) هى قلعة بساحل الشام قرب حمص. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥٠١.

حادى عشريه، فخرج بيسرى والعسكر بكـرة يـوم الأربعـاء المذكـور. وقـدم التتـار إلى حارم وقتلوه جماعة، وتـأخر العسـكر الحلبـى إلى حمـاة، ووصـل آقسـنقر بالعسـكر مـن جينين، فجفل أهل دمشق، وبلغ ثمن الجمل ألف درهم، وأجرته إلى مصر مـائتى درهـم. ودخل الأمير بيسرى بالعسكر المصرى إلى دمشق فى رابع ربيع الآخر، فخرج السـلطان بالعساكر إلى حلب، وجرّد الأمير آقسنقر ومعـه عـدة مـن العربـان إلى مرعـش، وجـرّد الحاج طيبرس الوزيرى والأمير عيسى بـن مهنـا إلى حـرّان والرّهـا. فوصـل العسـكر إلى حرّان وقتل من فيها من التتار، وهزم باقيهم.

فورد الخبر بأن الفرنج قد أغاروا على قاقون[1] بمواعـدة التتـار، وقتـل الأمـير حسـام الدين الأستادار، وجرح الأمير ركن الديـن الجـالق، ورحـل بجكـا العلائـى والى قـاقون، فخرج السلطان من حلب، ومنع أحدا أن يتقدم حتى لا يعلم الفرنج خـبره، ودخـل إلى دمشق وبين يديه عدة من التتـار المأسورين مـن حـران، وسـار الأمـير أقـوش الشمسـى بعسكر عين جالوت، فولى الفرنـج منهزمـين مـن قـاقون، وتبعهـم العسـكر فاسـترجعوا منهم عدّة من التركمان، وقتلوا كثيرًا حتى أنه عـدّ مـا تلـف مـن خيـل الفرنـج وبغـالهم فكان خمسمائة رأس.

وخرج السلطان من دمشق فى ثـالث جمـادى الأولى، ومعـه عسـاكر مصـر والشـام للغلوة على عكا، فتكاثرت الأمطار عليه فى مـرج برغـوث، وزاد الأمـر عـن الوصـف، فكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلون به، فرد السلطان عسكر الشام وسـار إلى مصـر، فدخل قلعة الجبل فى ثالث عشريه.

وقدمت هدية صاحب تونس، وفى مكاتبته تقصير فى المخاطبة، ففرّقت هديتـه علـى الأمراء، وكتب إليه بالإنكار عليه فى التظاهر بـالمنكرات واستخدام الفرنـج، وكونـه لم يخرج لما نازلوه، وكان مستخفيًا، وقيل له: «مثلـك لا يصلـح أن يلـى أمـور المسـلمين»، وخوّف وأنذر، وقدمت رسـل رجـار وهـو يشـفع فـى صـاحب عكـا، والسـلطان فـى الصناعة جالس بين الأخشاب والصناع، والأمراء تحمل بأنفسـهم آلات الشـوانى وهـى تمدّ فراعهم ما شاهدوا.

وفى رجب: خرج السلطان متصيّدا بجهة الصالحية، فورد الخبر بحركة التتار فعـاد إلى القلعة، وخرج فى ثالث شعبان إلى الشام، وأتته رسل الفرنج بعكا - وهو بالسَوَاد[2] -

---

(١) حصن بفلسطين قرب الرملة. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٩٩.

(٢) موضع بنواحى البلقاء. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٧٤.

تطلب الهدنة، فسار وبعث إليهم الأمير فخر الدين أغار القرى، والصدر فتح الدين ابن القيسرانى كاتب الدرج، فى حادى عشرى رمضان، ونزل السلطان بمروج قيسارية فعقد الهدنة مع الفرنج لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة ساعات من التاريخ المذكور وخرج أهل عكا لمشاهدة العسكر، فركب السلطان ولعب هو وجميع العسكر بالرمح.

ورحل السلطان إلى دمشق فدخلها ثانى شوال، وحضرت رسل التتار فى طلب الصلح. فجهز السلطان إليهم الأمير مبارز الدين الطورى أمير طير، والأمير فخر الدين القرى الحاجب، ومعهما الرسل وهدية لأبغا بن هولاكو وغيره، فساروا فى خامس عشره، فلما قدما على أبغا أكرمهما وأخلع عليهما وأعادهما.

وفيه كثر اشتغال السلطان بعمل النشاب بيده، فاقتدى به جميع الأمراء والخواص، وكتب إلى الملك السعيد وسائر النواب بذلك، فلم يبق أحد إلا وهو متوفر على العمل. وعمل السلطان جملة نشاب بيده، نحتها وريشها ونصلها.

فلما صحى السلطان توجه إلى حصن الأكراد، ووصل إليه فى حادى عشرى ذى الحجة، وشاهد العمارة به، وأمر جميع من معه من الأمراء بنقل حجارة المنجنيق إلى داخل القلعة، ونقل معهم بنفسه، ثم نزل وعمل بيده فى مرئة مكان بالخندق، وحفر بنفسه، ثم سار إلى حصن عكّار، وعمل فى عمارته بيده أيضا، وأمر برمى المنجنيقات ليعرف مواضع سقوط أحجارها، وعاد إلى حصن الأكراد، وخلع على من به من الأمراء وأرباب الوظائف، وخرج يتصيد، فكان الذى خلعه خمسمائة تشريف على من أحضر إليه الصيد.

وفى هذه السنة: امتحن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن على بن سرور بن واقع بن حسن بن جعفر[1] المقدسى الحنبلى: وذلك أن القضاة الأربعة الذين ولّاهم السلطان الملك الظاهر بديار مصر، كان كل منهم يستنيب قضاة عنه فى النواحى، وكان لتقى الدين شبيب الحرانى أخ ينوب عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى بالمحلة فعزله، فغضب شبيب لذلك، وكتب ورقة للسلطان بأن عند القاضى القضاة شمس الدين الحنبلى ودائع للتجار من أهل بغداد وحران والشام، بجملة

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على، أبو عبد الله شمس الدين بن أبى السرور المقدسى الحنبلى، نزيل مصر: وأول من ولى قضاء القضاة بالديار المصرية. ولد وتفقه بدمشق. وأقام مدة ببغداد وسكن مصر إلى أن مات. انظر: الشذرات ٥/ ٣٥٣ والأعلام ٥/ ٢٩٦، ٢٩٧.

كبيرة وقد ماتوا، فاستدعاه السلطان وسأله عن ذلك، فأنكر وحلف وورى فى يمينه، فأمر السلطان بالهجم على داره، فوُجد فيها كثير مما ادعاه شيب: بعضه قد مات أهله، وبعضه لقوم أحياء فأخذ السلطان مما وجد لمدة الزكاة سنين، وسلم لمن كان حيا وداعته وغضب السلطان عليه واعتقله، وأوقع الحوطة على داره فى يوم الجمعة ثانى شعبان.

وسار السلطان إلى الشام قاضى شمس الدين الحنبلى فى الاعتقال بمصر، فتسلط شبيب عليه وادعى أنه حَشَوِى[1]، وأنه يقدح فى السلطان، وكتب بذلك محضرًا، فأمر الأمير بدر الدين بيليك نائب السلطنة بعقد مجلس، فعقد فى يوم الإثنين حادى عشره، وحضر الشهود، فنكل بعضهم وأقام بعضهم على شهادته فأحْرَق النائب بمن شهد وجرسهم[2]، وذلك أنه تبين له تحامل تقى الدين شبيب على القاضى، واعتقل شبيب ووقعت الحوطة على موجوده، وأعيد القاضى إلى اعتقاله بقلعة الجبل، فأقام معتقلا سنتين، و لم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدًا.

وفيها قدم الشريفان جماز وغانم بن إدريس مكة، وملكاها أربعين يوما، ثم قدم أبو نمى فملكها منهما. وفيها ولدت زرافة بقلعة الجبل فى جمادى الآخرة، فأرضتها بقرة، وفيها ولدت امرأة بدمشق فى بطن واحد سبعة بنين وأربع بنات، وكانت مدة حملها أربعة أشهر وعشرة أيام، فماتوا كلهم وعاشت الأم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

تاج الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن رضى الدين أبى عبد الله محمد بن عماد الدين أبى حامد محمد بن يونس الموصل الشافعى، عن اثنتين وسبعين سنة ببغداد.

وتوفى كمال الدين أبو الفضل سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلى الشافعى، بدمشق عن سبعين سنة.

وتوفى عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سنى الدين أبى الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى، بها عن سبعين سنة.

---

(١) كانت أحد التهم التى توجه إلى من يثبت صفات الله كاليد والساق والعين، فأهل السنة والجماعة يثبتون تلك الصفات بلا تحريف ولا تكيف ولا تعطيل ولا تشبيه، وأدعيائهم يعتبرون ذلك من التجسيم والحشو.

(٢) جرس القوم وسمع بهم وأشهر عيوبهم. انظر: محيط المحيط.

وتوفى أمين الدين أبو الحسن على بن عثمان بن على بن سليمان الإربلى الأديب الشاعر، وقد ترك الجندية وتنتك، عن ثمان وستين سنة، بطريق الفيوم.

ومات ببلد الخيل عليه السلام الشيخ على البكا، الرجل الصالح، فى أوّل شهر رجب، وله كرامات كثيرة.

* * *

سنة إحدى وسبعين وستمائة

فى خامس المحرم: دخل السلطان إلى دمشق، وقد تواترت الأخبار بحركة التتار، فركب خيل البريد من دمشق فى ليلة سادسه بعد عشاء الآخرة، ومعه الأمير بيسرى، والأمير أقوش الرومى، وجرمك السلاح دار، وجرمك الناصرى، وسنقر الألفى السلاح دار، وعلم الدين شقير مقدّم البريد. وساق فدخل قلعة الجبل فى يوم السبت ثالث عشره على حين غفلة، ولم يشعر الناس إلا وقد دخل باب القلعة راكبا، ثم ركب إلى الميدان ولعب بالكرة، وأمر بتجهيز العساكر إلى الشام. وكتب السلطان إلى الأمراء المقيمين بدمشق، وذكر فى الكتب أنه سطرها من البيرة بحكم أنه توجه لتدبير أمورها، وسير علائم بخطه ليكتب عليها من دمشق أجوبة البريد للأطراف، وكان الأمير سيف الدين الدوادار قد أقام بقلعة دمشق ليجهز الكتب والبريدية.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: ركب السلطان إلى مصر، وركب فى البحر ولعبت الشوانى قدّامه.

وفى ليلة الأربعاء سابع عشره: جُهّز العسكر المجرد إلى الشام.

وفى ليلة تاسع عشره: توجه السلطان إلى الشام بمن حضر معه على البريد، فدخل قلعة دمشق ليلا.

وفى صفر: قدمت رسل الملك أبغا ورسل الروم، فلم يُحتفل بهم، وأمِرُوا أن يضربوا جُوكا قدّام نائب حلب وقدّام صاحب حماة. وكان مجيؤهم بأن يحضر سنقر الأشقر حتى يمشى فى الصلح، ثم غيّروا كلامهم وقالوا: «يمشى السلطان أو من يكون بعده فى المنزلة إلى أبغا لأجل الصلح» فقال السلطان للرسل: «بل أبغا إذا قصد الصلح يمشى هو فيه أو أحد من إخوته» وأمر السلطان بلبس العساكر فلبسوا عُدَد الحرب ولعبوا فى الميدان خارج دمشق، والرسل تشاهد ذلك، ثم سُفّروا فى رابع ربيع الأوّل. وفيه تسلم السلطان سهيرن من سابق للدين وفخر الدين ولدى سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس بعد موته، وكان هذا بوصيته لهما بذلك، فأمَّرهما السلطان وأحسن إليهما، وقدم أهلهما إلى دمشق.

وفى خامس جمادى الأولى: ورد الخبر بنزول التتار على البيرة ونصبهم المجانيق عليها

وأنهم قد حفظوا مخاوض الفرات ونزلوا عليها، ليعوقوا من يصل إليهم. فجهز السلطان الأمير فخر الدين الحمصى بعدة من عسكر مصر والشام إلى جهة حارم، وجهز الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الزربرى فى جماعة، ورحل هو من ظاهر دمشق فى ثامن عشر جمادى الأولى، ومعه مراكب مفصلة محمولة. وجدّ للسلطان فى المسير حق وصل إلى الفرات، فوجد التتار على الشط، فألقى المراكب التى حملها معه فى الفرات وأشحنها بالمقاتلة، فتراموهم والتتار. واقتحم الأمير قلاوون الألفى الصالحى الفرات، فخاض ومعه عدّة وافرة، وصدم التتار صدمة فرّقهم بها ومزّقهم، فألقت الأطلاب أنفسها فى الفرات، وساقوا فيها عوما الفارس إلى جانب الفارس، وهم متماسكون بالأعنة ومجاديفهم ورماحهم، وعليهم وعلى خيولهم الحديد، وازدحموا فى الماء، فكان لقعقعة السلاح وأمواج الماء هول مفزع وطلع السلطان فى أوّلهم، وصلى فى منزلة العدو ركعتين شكرًا لله تعالى، وبث العساكر يمينًا وشمالا، فقتلوا وأسروا عددًا كثيرًا.

وبات العسكر ليلة الإثنين، فورد الخبر بهزيمة التتار من البيرة مع مقدمهم درباى، وتَرْكِهم الأثقال والأزواد، وأن أهل البيرة أخذوا ذلك فتقووا به وأقام السلطان ينتظر من يلاقيه من التتار فلم يأت أحد، فعدى بجميع عساكره فى الفرات كما فعلوا أول مرة ونزل بهم فى ذلك ما لا يوصف من كثرة المشقة، وعَظُم الهول حتى طلعت العساكر إلى البر وسار السلطان إلى البيرة، وخلع على نائبها وأعطاه ألف دينار، وعم بالتشاريف والأنعام أهل البيرة، وفرق فيهم مائة ألف درهم فضة، وجرّد هناك عدّة من العسكر زيادة على من كان فيها، وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث جمادى الآخر والأسرى بين يديه.

وخرج السلطان إلى مصر، فوصل قلعة الجبل فى خامس عشريه، وأفرج عن الأمير عز الدين الدمياطى، وأنزله بدار الوزارة وأجرى عليه الرواتب، ثم استدعاه وشرب معه القِمِز[١]، وقد حضر أكابر الأمراء لذلك، فلما ناوله السلطان الهَنّاب[٢]بيده وهو مملوء قال عز الدين: «يا خوند لقد شبنا وشاب نبيذنا». وعمّ السلطان بالخلع الأمراء والوزراء والقضاة والمقدمين، وجهز رسل الملك منكوتمر ورسل الملك الأشكرى ورسل الدعوة، فساروا فى شعبان.

وفى ثانى عشر شوال: قبض على الشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى شيخ السلطان، وكان السلطان قد استدعاه إلى القلعة، وأحضر جماعة ليحاققوه على أشياء كبيرة بدت منه كاللواط والزنا وغيره، فأمر السلطان باعتقاله، وسجن بقلعة الجبل.

(١) القمزة هى كتلة من التمر، جمع قمز، وهو نوع من النبيذ الذى يصنع منه. انظر لسان العرب.

(٢) على هامش ط: قدح الشراب.

وفى ثانى عشرى ذى الحجة: استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية: وهى المَيْنَقَة والقُدْمُوْس[١] والكَهْف، وأقيمت هناك الجمعة وتُرُضِّى عن الصحابة بها، وعُفِّيت المنكرات منها، وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره.

وفى هذه السنة: سار والى قوص من أسوان حتى قارب دنقلة من بلاد النوبة، وقتل وأسر ثم عاد. وفيها استولى السلطان على عامة مدن برقة وحصونها. وفيها حصل الاحتفال بأمر الشوانى ونصب المجانيق على أسوار الإسكندرية، فكمل هناك نصب مائة منجنيق، وذلك لكثرة الإشاعة بحركة الفرنج لقصد ثغور ديار مصر. وفيها فتحت قلعة كَيْنُوْك من بلاد الأرمن، على يد الأمير حسام الدين لاجين العنتابى. وفيها تنحزت عمارة صخرة بيت المقدس. وفيها نزل السلطان يعوم فى النيل وهو لابس زردية مُسْبَلَة[٢]، وعمل بسطا كبيرة، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار، والأمير علاء الدين أيدغدى الأستادار، وجرها وجر فرسين - وهو يعوم لابس الزردية - من البر إلى البر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أبو صاح عبيد الله بن الكمال أبى القاسم عمر بن الشهيد شهاب الدين أبى صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبى، بها عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى فخر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغنى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلى، عن نحو ستين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموى[٣].

وتوفى الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان الحسينى، الناسخ الكاتب المجود المؤرخ، عن تسع وستين سنة.

* * *

---

(١) تقع بين ملطية وسميساط. انظر: يا قوت، معجم البلدان ٢/ ٢١٨.

(٢) على هامش ط: أى أن زردية السلطان كانت واسعة مرخاة وتطفو على الماء.

(٣) إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن قرناص الخزاعى الحموى، مخلص الدين، أبو إسحاق: شاعر أديب، من أهل حماة. له «ديوان شعر». انظر: النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٧ وهدية العارفين ١/ ١٢ والأعلام ١/ ٦٣.

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

فى المحرم: نُقض باب القصر المعروف بباب البحر تجاه المدرسة الكاملية بين القصرين لأجل نقل عمد منه لبعض العمائر السلطانية، فوجد فيه صندوق فى داخله صورة من نحاس أصفر، مُفَرّغ على كرسى شكل هرم ارتفاعه قدر شبر بأرجل نحاس، والصنم جالس عليه ويداه مرتفعتان تحملان صفحة دورها ثلاثة أشبار مكتوبة بالقبطى، وإلى جانب الكتابة فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة، وإلى الجانب شكل ثان وعلى رأسه صليب، وشكل ثالث فى يده عكاز وعلى رأسه صليب. ووجد مع هذا الصنم فى الصندوق لوح من ألواح الصبيان، قد تكشط أكثر ما فيه من الكتابة وبقى فيه بيبرس، فَتُعُجِّب من ذلك.

وفيه وردت الأخبار بحركة الملك أبغا، فخرج السلطان من قلعة الجبل فى ليلة سادس عشريه، ومعه الأمير سنقر الأشقر، والأمير بيسرى، والأمير أنامش السعدى. فلما وصل السلطان عسقلان كتب إلى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر، صحبه الأمير بيليك الخازندار، ورسم بأن كل من فى سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الغزاة، وأن تخرج كل قرية من قرى الشام رجَّالة يركبون الخيل على قدر حالهم، ويقوم من بالقرية بكلفة من يتوجه، ودخل السلطان إلى دمشق فى سابع عشر صفر.

فخرج من عساكر مصر فى حادى عشره عدة أربعة آلاف فارس، صحبة مقدميهم: وهم الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، وجمال الدين أقوش الرومى، وعلاء الدين قطليجا، وعلم الدين ططح. ثم خرج فى ثامن عشره الأمير بيليك الخازندار بطائفة، فورد مرسوم السلطان على الأمير بيليك بالنزول قريبا من يافا، وعندما قارب عسكر مصر دمشق ركب السلطان من دمشق فى نحو أربعين نفسا جرائد بغير ركيدار، وقد طلب العسكر وقارب المنزلة فاعترض السلطان العسكر، وكان قد تلثم هو وجماعته، فظنّهم حجاب من بعض التركمان، فأمروهم بالترجل فأبوا، وساق السلطان بمفرده، وجاء خلف سناجق وحسر لثامه عن وجهه، فعرفه السلاح دارية، ودخل السلطان وساق فى ركبه، فنزل الناس وقبلوا الأرض، وسار حتى نزل ورتب العسكر. وأصبح السلطان فركب فى موكبه، وقضى أشغال الناس إلى أن أمسى، ثم

ركب بمن حضر معه إلى دمشق، وأصبح راكبا فى موكبه. وفى مدة غيبته كان الأمير سيف الدين الدوادار يرتب الأمور بدمشق، ويكتب الأجوبة على علائم فوق أوراق بيض.

وفيه فرّ الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج من التتار إلى السلطان بيبرس. وكان الملك فرج فى أول أمره أمير طشت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وكان له سميساط، وبعد وفاة جلال الدين سَلَك قلعة كِيْرَان[1] وعدّة قلاع بناحية تَقْجَوَان[2] ثم وصل الملك فرج هذا إلى بلاد السلاجقة الروم، فَقْطع بها ناحية أَفْصَرَا. وكان بهادر قد كاتب السلطان بيبرس وراسله وتقرب إليه بإعلامه بحقيقة أخبار العدو فعلم به التتار فأمسكوه وحملوه إلى الأردو، فهرب وحضر إلى البيرة، ووصل إلى دمشق وبها الملك الظاهر، فأكرمه وأعطاه بمصر إمرة عشرين فارسا. وخرج السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى رابع عشرى جمادى الآخرة. فتواترت الأخبار بحركة التتار، فرسم للأمير عيسى بن مهنا أمير العرب بالغارة، فأغار ووصل إلى الأنبار فى ثامن عشر شعبان، فظن التتار أن السلطان قد قدم، فانهزموا إلى أبغا، فرجع إلى بلاده.

وفى نصف شعبان: أفرج عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى.

وفى شهر رمضان: رسم للعسكر بالتأهب للعب القبق ورمى النشاب، فركب من كل عشرة فارسان فى أحسن زيهم وقت الحرب، وركب السلطان فى مماليكه ودخلوا فى الطعن بالرماح، ثم أخذ السلطان الحلقة ورمى النشاب، وجعل لمن أصاب من الأمراء فرسا من خيله الخاص بتشاهيره، وقلسلقة والبحرية بغلطاق. فاستمر ذلك أياما، تارة يكون اللعب فيها بالرمح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس، وفرّق السلطان فيها من الخيل والبغالطيق جملة. وساق السلطان يوما عادته فى اللعب، وسل سيفه فسلت مماليكه سيوفها، وحمل هو ومماليكه الخواص حملة وحمل واحد واصطدموا، فكان منظرا مهولا، وأطلق السلطان من التشاريف ما عمّ به سائر من فى خدمته: من ملك وأمير ووزير، ومقدمى الحلقة والبحرية، ومقدمى المماليك والمفردية، ومقدمى البيوتات السلطانية، وكل صاحب شغل وجميع الكتاب والقضاة، وسائر أرباب الوظائف.

وفى يوم عيد الفطر: خُتن الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان وعدّة من أولاد الأمراء، وجرى السلطان على عادته فى عدم تكليف الناس، فلم يقبل من أحد هدية

---

(١) هى مدينة بآذربيجان بين تبريز وبيلقان. انظر: معجم البلدان ٣٣٢/٤.

(٢) هى بلدة من نواحى أيران.

ولا تقدمة، ولم يبق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف، إلا المغانى وأرباب الملاهى فإنه لم تنفق لهم فى طول أيامه سلعة، ولا نالهم منه رزق ألبتة.

وفى ثانى عشر شهر رمضان: سار الملك السعيد من قلعة الجبل فى عدّة من الأمراء جريدة إلى الشام، من غير أن يعلم به أحد، فدخل دمشق فى سادس عشريه على حين غفلة من النائب، بحيث لم يشعر به العسكر إلا وهو بينهم فى سوق الخيل، فقبلوا له الأرض، ودخل الملك السعيد إلى القلعة وأراد لعب القبق خارج دمشق، فمنعته كثرة الأمطار.

وفى ليلة عيد الفطر: خلع الملك السعيد على أمراء الشام والمعكمين والمفاردة والأكابر، وخرج يتصيد بالمرج، وسار إلى الشقيف وصفد، وتوجه إلى القاهرة فوصل قلعة الجبل فى حادى عشرى شوال.

وفى هذه السنة: كان بمصر وأريافها وباء، هلك فيه خلق كثير أكثرهم النساء والأطفال. وحصل فى بلاد الرملة وبلاد القدس مرض وحميات، فقدم رجل نصرانى إلى الأمير غرس الدين بن شاور والى الرملة، وقال له: «هذه الآبار قد حاضت، كما جرى فى السنة التى جاء فيها التتار فيها إلى الشام. وإن الفرنج بعثوا إلى قرية عابُوْد[1] فى الجبل، و أخذوا من مائها وصبوه فى الآبار فزال الوخم»، وأشار بعمل ذلك فبعث والى الرملة إلى القرية المذكورة، وأخذ من مائها وصبه فى الآبار التى بيافا، وكان الماء قد كثر فيها فنقصت إلى حدّها المتعارف، وكُتب إلى السلطان بذلك وقيل له: «إن هذه الآبار إناث تحيض، وآبار الجبل ذكور ومنها آبار قرية عابود المذكورة».

وفيها ولى تقى الدين أبو عبد الله محمد بن [......][2] بن يحيى الرقى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة محيى الدين محمد بن الأستاذ.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير فارس الدين أقطاى الصغير المستعرب الصالحى النجمى، أتابك العساكر بديار مصر، عن سبعين سنة فى تاسع جمادى الأولى.

ومات الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل، دَاوَدَار السلطان.

وتوفى قاضى حلب محيى الدين أبو المكارم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الشافعى بها، وقد قدم القاهرة ودرّس بالمَسْرُوْرِية[3].

---

(١) هى قرية جبلية بنواحى بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٨٣.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) اسم مدرسة كانت فى الأصل دار الشمس الخواص مسرور. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/٣٧٨.

وتوفى قاضى قضاة دمشق كمال الدين أبو الفتح عمر بن شدّاد بن على التقايسى الشافعى، عن سبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى مؤيد الدين أبو المعالى أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن القلانسى التميمى، خارج دمشق عن ثلاث وسبعين سنة، بعد ما قدم القاهرة.

وتوفى النحوى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجَيّانِى بدمشق، عن بضع وسبعين سنة.

وتوفى تقى الدين أبو إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن أبى اليسر التنوخى المعوى، المحدث الأديب كاتب الإنشاء، عن ثلاث وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن على بن نصر الحرانى، مدرس دار الحديث الكاملية، عن خمس وثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى جمال الدين أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد بن علاقة الأنصارى، عن ست وثمانين سنة.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبى بالإسكندرية، عن بضع وثمانين سنة.

ومات ببغداد العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى(١) الإمام المشهور، فى ذى الحجة. و قد خدم أولا صاحب الألموت، ثم خدم هولاكو وحظى عنده، وعمل له رصدا بمراغة، وصنّف كتبا عديدة. وقد توفى فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

* * *

(١) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسى: فيلسوف. كان رأسا فى العلوم العقلية، وعلامة بالأرصاد والرياضيات. علت منزلته عند «هولاكو» فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس (قرب نيسابور) وابتنى بمراغة قبة ورصدا عظيما، واتخذ خزانه ملأها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة، احتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافا تقوم بمعاشهم. وكان «هولاكو» يمده بالأموال، وصنف كتبا جليلة. وله شعر كثير بالفارسية. وتوفى ببغداد. انظر: فوات الوفيات ٢/ ١٤٩ والوافى ١/ ١٧٩ وابن الوردى ٢/ ٢٢٣ وشذرات الذهب ٥/ ٣٣٩ ومفتاح السعادة ١/ ٢٦١ ونشر دار الكتب ١/ ٥١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٧ والفهرس التمهيدى ٤٧٢ و ٤٨٧ و ٥١٦ وآداب اللغة ٣/ ٢٣٤ والذريعة ١/ ٢٦ ثم ٤/ ٥٠ ومعجم المطبوعات ١٢٥٠ وإغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٦٧ والأعلام ٧/ ٣٠، ٣١.

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فى المحرم: قدم الملك المنصور محمد صاحب حماة إلى قلعة الجبل، ومعه أخوه الملك الأفضل على، وولده المظفر تقى الدين محمود فأنزل بمناظر الكبش، وعندما حل بها وصل إليه الأمير آقسنقر الفارقانى الأستادار بالسماط، فمدّه بين يديه ووقف كما يقف بين يدى السلطان فلم يدعه الملك المنصور يقف وما زال به حتى جلس، فلما فرغ السماط قُدِّمت الخلع والتعابى وغيرها.

وفى ثامن صفر: توجه السلطان من قلعة الجبل، وسار إلى الكرك فأقام بها ثلاثة عشر يوما، وكشف أحوال الشوبك، وعاد إلى قلعة الجبل ثانى عشرى ربيع الأول. ثم توجه إلى العباسية ومعه الملك السعيد، فصرع الملك أوزة خبية. وقيل له: «لمن تدعى؟» فقال: «لمن أدعو بحياته، ومن أتقرْب إلى ا لله بدعواته، الذى حسبى افتخارا أن أقول والدى، ومن يتمرن لصرع أعدائه ساعدى»، فقبله السلطان ووهبه من كل شىء.

وفيها تحيل السلطان على استخلاص رؤساء الشوانى الذين أسروا بقبرص ميناء نمسون، وكان الفرنج لما كسرت الشوانى على قبرص وأسروا من فيها، السلطان الأمير فخر الدين المقرى الحاجب إلى صور لابتياع الأسرى، فتغالى الفرنج الرؤساء وباعوا القوّاد والرماة لطائفة منهم، فغادوا بهم أسرى أطلقهم السلطان، وبقى الاحتفاظ على الرؤساء وهم ستة: منهم رئيس الإسكندرية ورئيس دمياط، فحبسوهم بعكا فى قلعتها. فبعث السلطان إلى الأمير سيف الدين خطابا - وهو بصفد - يأمره بالتحيّل فى سرقتهم، فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى وصل إليهم بمبارد ومناشير، وسُرقوا من جبّ قلعة عكا، وساروا فى مركب إلى خيل قد أعدت لهم، فركبوها ووصلوا إلى القاهرة. ولم يشعر بهم الفرنج حتى قدموا على السلطان، فكانت بعكا لأجلهم فتنة بين الفرنج.

وقدم كتاب متملك الحبشة وهو الحَطّى يعنى الخليفة، يخاطب السلطان فيه بعبارة: «أقل المماليك يقبّل الأرض وينهى»، وسأل فيه أن يجُهَّزْ له مِطْران من عند البطرك، فأجيب. وسار السلطان إلى الإسكندرية، وأمر ببناء ما تهدم من المنار، وعاد إلى قلعته. وكتب السلطان بأن تخرج عساكر حلب للغارة، فخرجت وأغارت على بلاد سيس، وغنموا وقلعوا أبواب رَبَض مرعش.

وفى ثالث شعبان: توجه السلطان من قلعة الجبل إلى الشام، فدخل دمشق فى سلخه، وخرج منها فى سابع رمضان فدخل حماة، ثم صار منها بالعساكر والعربان. وجرد السلطان عيسى بن مهنا، والأمير حسام الدين العنتابى، بعسكر إلى البيرة، وجهّز الأمير قلاوون الألفى والأمير بيليك الخازندار، بعسكر إلى بلاد سيس، فساروا وهجموا النصِّيصَة(١)على الأرمن، وقتلوا من بها، وكانت المراكب قد حُملت معهم على البغال وهى مفصلة، ليعدوا فيها من نهر جَهَان(٢) والنهر(٣) الأسود، فلم يحتج إليها.

ووصل السلطان على الأثر بعد ما قطع بعساكره النهر الأسود وقاسوا مشقة، وملكوا الجبال وغنموا عنها ما لا يحصى كثرة، ما بين أبقار وجواميس وأغنام. فدخل السلطان إلى سيس وهو مُطّلب فى تاسع عشريه وعيّد بها، وانتهبها وهدم قصور التكفور ومناظره وبساتينه، وبعث إلى دَرْبَنْد(٤)الروم، فأحضر إليه من سبايا التتار عدّة نساء وأولاد، وسيّر إلى طرسوس، فأحضر إليه منها ثلاثمائة رأس من الخيل والبغال، وبعث إلى البحر عسكرا فأخذ مراكب، وقتل من كان فيها. وانبثت الغارات فى الجبال، فقتلوا وأسروا وغنموا. وبعث السلطان إلى أَيَاس(٥) بالعساكر، وكانت قد أخليت، فنهبوا وحرقوا وقتلوا جماعة، وكان قد فرّ من أهلها نحو الألفين – ما بين فرنج وأرمن – فى مراكب، فغرقوا بأجمعهم فى البحر، واجتمع من الغنائم ما لا يحصره قلم لكثرته، ووصلت العربان والعسكر إلى البيرة وساروا إلى عين تاب وغنموا، فانهزم التتار منهم وعادوا. فرحل السلطان من سيس إلى المصيصة من الدربند، فلما قطعه جعل الغنائم بمرج أنطاكية حتى ملأته طولا وعرضا، ووقف بنفسه حتى فرّقها، ولم يترك صاحب سيف ولا قلم حتى أعطاه، ولم يأخذ لنفسه منها شيئا. فلما فرغ من القسمة سار إلى دمشق، فدخلها فى النصف من ذى الحجة.

وفيها ولى قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم، بعد وفاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعى.

* * *

---

(١) مدينة على شاطىء نهر جيحان وتقارب طرسوس. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥٥٧.

(٢) يخرج هذا النهر من بلاد الروم عند زبطرة. انظر: معجم البلدان ١/ ١٧٠.

(٣) منبعه فى بلاد الروم، ومجراه غربى بلاد المصيصة وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٤/ ٨٣٤.

(٤) باب من الأبواب. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٤٩.

(٥) هى ثغر بأرمينية الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

ومات فيها من الأعيان

قاضى القضاة الحنفى بدمشق شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن الحسن بن عطاء الأذرعى، عن ثمان وسبعين سنة.

وتوفى أمين الدين أبو بكر محمد بن على بن موسى بن عبد الرحمن الخزوجى[١] المحلى النحوى الأديب.

وتوفى الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الأسدى الدمشقى المعروف باليغمورى[٢]، بالمحلة من أعمال القاهرة، عن نيف وسبعين سنة.

وتوفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن مسلم بن منصور بن فتوح بن العماد الهَمْدَانى، الإسكندرى الملكى المؤرخ، عن ست وستين سنة بالإسكندرية.

* * *

(١) محمد بن على بن موسى، أبو بكر، أمين الدولة، الأنصارى المحلى، نحوى، من أهل المحلة (بمصر) درس النحو وتوفى بالقاهرة. له شعر حسن وكتب. انظر: مفتاح السعادة ١/ ١٥٧ ومخطوطات الظاهرية ٢٩٦ ودار الكتب ٢/ ٢٣١ والمخطوطات المصورة ١/ ٩، ٤١٥ وصلة التكملة والأعلام ٦/ ٢٨٢.

(٢) يوسف بن أحمد بن محمود، أبو المحاسن اليغمورى: باحث دمشقى يعرف بالحافظ اليغمورى. له كتاب «نور القبس». انظر مجمع اللغة العربية ٤٦/ ٨٠٧ والأعلام ٨/ ٢١٤.

سنة أربع وسبعين وستمائة

فى ثامن المحرم: وصل الأمير سيف الدين بلبان الدوادار إلى طرابلس فى تجمل كبير، ومعه كتاب السلطان إلى متملكها، فما زال حتى قرّر عليه فى كل سنة عشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيرًا.

وفى رابع عشريه: خرج الأمير بدر الدين الخازندار من دمشق لإحضار الملك السعيد، ومعه أولاد الأمراء، فوصل إلى قلعة الجبل وخرج بالملك السعيد على خيل البريد فى سلخه، فوصل إلى دمشق فى سادس صفر، وتلقاه السلطان ودخل به إلى قلعة دمشق.

وفى صفر: هذا توجه السلطان أبو يوسف بن عبد الحق ملك المغرب لجهاد الفرنج، فقتل الطاغية فى المعركة فى نحو ستة آلاف، و لم يقتل من المسلمين إلا نحو ثلاثين رجلا وبلغت الغنائم من البقر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا، وبلغ الأسرى سبعة آلاف أسير، وعجزت القدرة عن إحصاء الغنم، حتى أبيعت الشاة بدرهم، وحمل الكراع[١] على أربعة عشر ألف وستمائة جمل.

وفيها نبش عمال بنى مرين قبور خلفاء الموحدين، وأخرجوا عبد المؤمن بن على وابنه يعقوب المنصور من قبريهما، وقطعت رأسهما، وضربت أعناق من كان بجبل تِيْنتَمِل[٢] وصلبوا بمراكش وأخذت أموالهم. وفيها بنيت فاس الجديد[٣] وصارت دار ملك بنى مرين.

وفى ثالث عشرى جمادى الأولى: أخذ السلطان القُصَيْر[٤] حصن أنطاكية، وحمل أهله إلى الجهات التى قصدوها. وقدم الخبر بورود التتار إلى البيرة، فجمع السلطان للعساكر وأنفق، وخرج من دمشق إلى حمص، فجاء الخبر برجوع التتار فعاد إلى دمشق.

وفى هذه الأيام: اختلفت أمراء الروم على البرواناه، ففارقه جماعة من قيسارية، وقدم

---

(١) ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤونة.

(٢) بلد بجبال مراكش فى الجنوب الغربى من مدينة مراكش نفسها.

(٣) تتكون مدينة فاس المعروفة من بلدين فاس البالى، وفاس الجديد.

(٤) من أعمال الأردن حنوب أنطاكية. انظر: يا قوت، معجم البلدان ٤/ ٣٦٧.

منهم إلى السلطان الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير، والأمير سنان الدين موسى بن طرنطاى، ونظام الدين أخو مجد الدين الأتابك بعيالاتهم؛ يريدون الانتماء إليه، فجهزهم السلطان إلى القاهرة، ثم إن محمود بن الخطير سعى بهم، فاعتقلوا بقلعة الجبل مدة ثم أطلقوا.

وفى مستهل رجب: توجه السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى ثامن عشره، وقدمت هدية صاحب اليمن، ومن جملتها كَرْكَدَن وفيل وحمار وحش عتابى، فسيّر السلطان إليه هدية مع رسله، وجهز السلطان هدية للملك منكوتمر مع الأمير عز الدين أيبك الفخرى، وجهز رسل الأشكرى، ورسل الملك الفنش ورسل جَنَوَة.

وفيها حضر ابن أخت ملك النوبة واسمه مشكد متظلما من داود ملك النوبة، فجرّد السلطان معه الأمير آقسنقر الفارقانى، بعدة من العسكر وأجناد الولاة والعربان، ومعه الزرّاقون والرماة ورجال الحراريق والزردخاناه، فخرج فى مستهل شعبان حتى عدى أسوان، وقاتل الملك داود ومن معه من السودان، فقاتلوه على النُجُب، وهزمهم وأسر منهم كثيرًا. وبث الأمير آقسنقر الأمير عز الدين الأفرم، فأغار على قلعة الدقم، وقتل وسبى، ثم توجه الأمير سنقر فى أثره يقتل ويأسر حتى وصل إلى جزيرة ميكائيل - وهى رأس جنادل النوبة - فقتل وأسر وأقر الأمير آقسنقر قمر الدولة صاحب الجبل - وبيده نصف بلاد النوبة - على ما بيده، ثم واقع الملك داود حتى أفنى معظم رجاله قتلا وأسرا، وفرّ داود بنفسه فى البحر وأسر أخوه شنكو، فساق العسكر خلفه ثلاثة أيام، والسيف يعمل فيمن هناك حتى دخلوا كلّهم فى الطاعة، وأسرت أم الملك داود وأخته.

وأقيم مشكد فى المملكة، وألبس التاج وأجلس فى مكان داود، وقررت عليه القطيعة فى كل سنة وهى فيلة ثلاثة، وزرافات ثلاث، وفهود إناث خمس، و صهب جياد مائة، و أبقار جياد منتخبة مائة وقرّر أن تكون البلاد مشاطرة، نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها، وأن تكون بلاد العِلى وبلاد الجبل للسلطان - وهى قدر ربع بلاد النوبة - لقربها من أسوان، وأن يحمل القطن والتمر مع الحقوق الجارى بها العادة من القديم وعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل فاختاروا الجزية، وأن يقوم كل منهم بدينار عينا فى كل سنة. وعملت نسخة يمين بهذه الشروط، وحلف عليها مشكر وأكابر النوبة، وعملت أيضًا نسخة للرغبة بأنهم يطيعون نائب السلطان

مادام طائعا، ويقومون بدينار عن كل بالغ. وخربت كنيسة سرس، التى كان يزعم داود أنها تحدّثه بما يؤدّيه، وأخذ ما فيها من الصلبان الذهب وغيرها، فجاءت مبلغ أربعة آلاف وستمائة وأربعين دينارا ونصف، وبلغت الأوانى الفضة ثمانية آلاف وستمائة وستين دينارا. وكان داود قد عمرها على أكتاف المسلمين الذين أسرهم من عيذاب وأسوان، وقُرّر على أقارب داود حمل ما خلفه من رقيق وقماش إلى السلطان، وأطلقت الأسرى الذين كانوا بالنوبة من أهل عيذاب وأسوان، وردّوا إلى أوطانهم. من العسكر من الرقيق شيئًا كثيرًا، حتى أبيع كل رأس بثلاثة دراهم، وفضل بعد القتل والبيع عشرة آلاف نفس، وأقام العسكر بمدينة دمقلة سبعة عشر يوما، وعادوا إلى القاهرة فى خامس ذى الحجة بالأسرى والغنائم، فرسم السلطان للصاحب بهاء الدين بن حنا أن يستخدم عمالا على ما يستخرج من النوبة من الخراج والجزية بدمقلة وأعمالها، فعُمل لذلك ديوان.

وفى ثانى عشره: اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلعة الجبل، وعُقد للملك السعيد على غازية خاتون ابنه الأمير قلاوون الألفى، بوكالة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة عن الملك السعيد. فقبل العقد عن الأمير قلاوون الأميرُ آقسنقر الفارقانى، على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار، المعجّل منها ألفا دينار، وكتب الصداق بخط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وإنشائه، ومن جملته: «هذا كتاب تحاسدت رماح الخط وأقلام الخط على تحريره، وتنافست مطالع الأنوار ومشارق الأنوار على تسطيره، وأضاء نوره بالجلالة وأشرق، وهطل نوره بالإحسان وأغدق، وتناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل فقال الاعتراف هذا ما تصدق، وقال العرف هذا ما أصدق».

وفيه شنق السلطان الطواشى شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز - وكان قد تمكن منه تمكنا عظيما - من أجل أنه شرب الخمر، وعلقه تحت قلعة الجبل.

وعندما انقضى أمر العقد، ركب السلطان من يومه على الهجن فى نفر يسير، وسار إلى الكرك فدخلها فى ثالث عشريه، وهو يريد القبض على الأمير سابق الدين عبية، فلما بلغه حضور السلطان قدم عليه، فرعى له ذلك وزاد إقطاعه، ونظر السلطان فى أمر أهل الكرك، وقطع أيدى ستة منهم اتهموا بأنهم قد عزموا على إثارة فتنة، ورتب رجالا بها عوضا عمن كان فيها. وفيها أقام حجاج مصر بمكة ثمانية عشر يوما، وبالمدينة النبوية عشرة أيام، وهذا لم يعهد مثله.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير، أحد الأمراء الأكابر بدمشق، فى ثالث عشر ربيع الأوّل.

ومات الأمير حسام الدين قيماز الكافرى، نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات.

وتوفى سعد الدين أبو العباس الخضر بن التاج أبى محمد عبد الله بن العماد أبى الفتح عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى[١]شيخ الشيوخ بدمشق، بها عن نيف وثمانين سنة.

وتوفى تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابدين الحسين بن محمد بن على التميمى الصرخدى الحنفى، بدمشق عن ست وتسعين سنة.

وتوفى زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن جبريل، الإنشاء بقلعة الجبل فى [.......][٢].

وتوفى كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن على بن إسحاق بن على شيث الأموى [.......][٣].

وتوفى الأديب أبو الحسن على بن أحمد بن العُقَيب العامرى ببعلبك.

* * *

(١) عبد الله بن عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى السرخسى ويسمى بعبد السلام أبو محمد، تاج الدين: مؤرخ باحث، خراسانى الأصل. كان شيخ الشيوخ بدمشق، ومولده ووفاته فيها. زار المغرب سنة ٥٩٣هـ فأقام إلى سنة ٦٠٠هـ: وعاد إلى دمشق مارا بمصر. انظر: مرآة الزمان ٧٤٨/٨ ونفح الطيب ٢/ ٧٣٧ وشذرات الذهب ٥/ ٢١٤ والأعلام ٤/ ١١٠.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة خمس وسبعين وستمائة

فى المحرّم: سار السلطان من الكرك، فدخل إلى دمشق فى رابع عشره، وقدم عليه عدّة من أمراء الروم مغاضبين للبرواناه، وهو معين الدين سليمان بن على بن محمد بن حسن، وكان منهم الأمير حسام الدين بَينجَار الرومى، وبهادر ولده، وأحمد بن بهادر، واثنا عشر من أمراء الروم بأولادهم ونسائهم، من جملتهم قرمشى وسكتاى ابنا قراجين بن جيفان نوين، فأحسن السلطان إليهم، وبعث حريمهم إلى القاهرة، وأجرى عليهم الأرزاق، ثم وصل الأمير سيف الدين جندر بك صاحب الأَبُلُسْتِين[1]، والأمير مبارز الدين سوار بن الجاشنكير، فى كثير من أمراء الروم، فتلقاهم السلطان بنفسه وأكرمهم، ثم كتب السلطان إلى الأمراء بمصر يستشيرهم فى بعث عسكر إلى الروم، وأن يحضر الأمير بيسرى والأمير أقش بما يتفق الرأى عليه، فحضرا على البريد، ووصل أيضا الأمير سنقر الأشقر، وتتابع وصول حريم أمراء الروم، فأكرمهم السلطان وجهّزهم إلى القاهرة، وسار السلطان إلى حلب، وجرّد منها الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى فى عسكر، فوصلوا إلى عين تاب.

وعاد السلطان من حلب إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى رابع عشر ربيع الأول، ورسم بتجهيز مهمات العرض، فأخذ الناس فى التجهيز، وغلت الخيول والأسلحة، وعدم صنّاع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء، وعزّ وجود صنّاع النشاب ومقوّمى الرماح.

وفى خامس جمادى الأولى: وقع العرض، فركبت العساكر بكمالها فى يوم واحد وقد لبسوا أجمل العدد، وقصد السلطان بركوبهم فى يوم واحد حتى لا يستعير أحد من أحد شيئا، وفرّق السلطان على مماليكه العدد الجليلة، وركب الأمراء الروميون ومن حضر من الرسل، وعرض الجميع على السلطان، ونزلوا من الغد فى الوطاقات للعب، وقد لبس المماليك السلطانية الجواشن والخوذ، وعملت الأبرجة الخشب على الفيلة، ودخلوا فى الحلقة وساقوا. ثم نُصب القبق بالميدان الأسود تحت القلعة ورموا النشاب، وأنعم السلطان على كل من أصاب القبق من الأمراء بفرس من الجنائب الخاص، بسرجه ولجامه وتشاهيره بالمراوات الفضة وغيرها، وأنعم على من أصاب من المماليك

---

(١) هى مدينة ببلاد الروم قريبة من أفسوس. انظر: معجم البلدان ١/ ٩٤.

والأجناد بالخلع. كل ذلك والسلطان يسعى، وقد تنوع فى لامات حربه، وصار يأخذ بقلوب الناس ويحسن إليهم وساق السلطان بالرمح أحسن سَوْق حتى تعجبوا من فروسيته، إلى أن انقضى النهار على هذا.

وفى اليوم الثالث: ركب السلطان، ولعب الناس ورموا فى القبق، والسلطان يطاعن بالرمح. وفى الغد ترتب العسكر من جهتين، واصطدما وتطاعنت الفرسان، وكان السلطان بينا يراه الناس آخرا قد شاهدوه أوّلا، وهو لا يسأم من الكر والفر، وشاهد الناس منه ومن الملك السعيد ما يبهر العقول، وتواصل الطعن بغير جراح، والسلطان بين تلك الصفوف لا يخاف.

وكان قفجاقى الأصل، طويل القامة أسمر اللون، فى عينيه زرقة وبإحدى عينيه نقطة صغيرة، صوته جهوريا، وكان شجاعا عسوفا عجولا. وكان قد حضر من البلاد مع تاجر إلى حماة ومعه مملوك آخر، فلما عرضا على الملك المنصور محمد صاحب حماة لم يعجبه، وأبيع بدمشق بثمانمائة درهم، فردّ مشتريه لبياض فى إحدى عينيه، فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو بحماة معتقل بها، وأقام فى خدمته مدّة ثم أخذ منه الملك الصالح، فترقّى فى الخلع، وتنقلت به الأحوال إلى ملك مصر والشام.

وكانت الأمراء تخافه مخافة شديدة، حتى إنه لما مرض لم يدخل أحد منهم عليه إلا بإذن. وكان مقداما خفيف الركاب طول أيامه يسير على الهجن وخيول البريد؛ لكشف القلاع والنظر فى الممالك، فركب للعب الكرة فى الأسبوع يومين بمصر ويوما بدمشق، وفى ذلك يقول سيف الدولة المَهْمَنْدار[1] من أبيات يمدحه بها:

يوما بمصر ويوما بالحجاز وبالشام　　يوما ويوما فى قرى حلب

وكانت عدّة عسكره اثنى عشر ألفا، ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب. وكان هؤلاء خاصته، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى، فإن اشتد به الأمر استدعى الأربعة آلاف الثالثة. وافتتح من البلاد قيسارية وأرسوف وهدمها، وفتح صفد وعمرها، وفتح طبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وخربها. واستولى على بغراس والقُصَير وحصن الأكراد والقُرين وحصن عكّار وصافيتا ومرقية وحلبا، وناصَفَ الفرنج المرقب وبانياس وأنطرسوس، وأخَذَ من

---

(١) صاحب هذه الوظيفة هو الذى يتصدى لتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٥/ ٤٥٩.

متملك سيس دربساك ودركوش وتلميش وكفر دنين ورعبان ومرزبان، ومَلَكَ دمشق وعجلون وبصرى، وصرخد والصّلت وحمص، وتدمر الرحبة وتل باشر، وصهيون وبلاطنس، وقلعة الكهف والقدموس والمينقة والعليقة والخوابى والرصافة ومصياف، والكرك والشوبك وبلاد الحلب وشيزر وبلاد النوبة وبرقة، وسائر إقليم مصر والشام، ومَلَك قيسارية من بلاد الروم. وقد قال فيه بعض الأدباء:

تدّبر الملك من مصر إلى يمن   إلى العراق وأرض الروم والنوبى

وله عدة أوقاف بمصر: منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم، وهو من أكثر الأوقاف نفعا، ومنها تربة الظاهرية بالقرافة، والمدرسة الظاهر بخط بين القصرين من القاهرة، والجامع الظاهرى خارج باب الفتوح من القاهرة. وعمر السلطان بيبرس الجسر الذى يسلك عليه إلى دمياط، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة، وعمر قنطرة بحر انصباب السيل، ووقفوا وقفة رجل واحد. وقدّم السلطان عدة من مماليكه وخواصه، فقاتلوا قتالا شديدا، ثم ردفهم بنفسه، وحمل وحملت العساكر معه حملة شديدة. فترجل التتار عن خيولهم، وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى عظم القتل فيهم، فولى طائفة منهم وأدركهم العسكر فأحاط بهم. ونجا معين الدين سليمان البرواناه زعيم الروم، فانهزم أصحابه، وصار هو إلى قيسارية فوصلها بكرة يوم الأحد ثانى عشر ذى القعدة، وأشار على سلطانها غياث الدين كيكاوس بن كيخسرو وجماعة الأمراء بالخروج منها، فإن التتر المنهزمين متى دخلوا قيسارية قتلوا كل من فيها حنقا على المسلمين، ثم أخذ البرواناه السلطان غياث الدين كيكاوس بن كيخسرون صاحب الروم، وجماعة من أعيان البلد، وصار بهم إلى تَوْقَات، وبينها وبين قيسارية مسيرة ثلاثة أيام.

وأما السلطان فإنه نزل بعد هزيمة التتار فى منزلتهم، وأحضر إليه من أسر من أمراء المغول، فعفا عنهم وأطلقهم. وقتل فى المعركة الأمير ضياء الدين بن الخطير، والأمير سيف الدين قيران العلائى أحد مقدمى الحلقة، وسيف الدين قفجاف الجاشنكير، وعدة من العسكر، وجرح جماعة. وقتل قتاوون مقدم التتار فى المعركة، وأمر السلطان بقتل من أسر من التتار، وأبقى من أسر من أمراء الروم وأعيانهم معه، وفيهم أم البرواناه، وابنه مهذب الدين علىّ وابن ابنته.

وجردّ السلطان الأمير سنقر الأشقر فى جماعة؛ لإدراك المنهزمين من التتر وللتوجه إلى قيسارية، وكتب معه كتابا إلى أهل قيسارية بالأمان وإخراج الأسواق والتعامل بالدراهم الظاهرية، فمرّ الأمير سنقر بفرقة من التتار معهم البيوت، فأخذ منهم جانبا،

وأدركه الليل فتفرق من بقى منهم.

ورحل السلطان فى يوم السبت حادى عشره يريد قيسارية الروم، فاستولى فى طريقه على عدّة بلاد. وفى يوم الأربعاء خامس عشرة تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابر والنساء والأطفال، واحتف به الفقراء الصوفية وتواجدوا، إلى أن قرب من دهليز السلطان غياث الدين صاحب الروم وخيامه، وقد نصبت فى وطاة بالقرب من المناظر التى كانت لملوك الروم، فترجل وجوه العساكر المصرية والشامية على طبقاتهم، ومشوا بين يديه إلى أن وصلها، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، وأقبل الروم من كل جهة، وضُربت نوبة آل سلجوق على عادتها، وحضر أصحاب الملاهى كما هى عادة الروم، فَنُهُوا عن الضرب بالآلت وعن الغناء أيضا، وقيل لهم: «هذه الهيئة لا تتفق عندنا، وما هذا موضع الغناء، بل موضع الشكر». وشرع السلطان فى إنفاق المال، وعيّن لكل جهة شخصان وكتب إلى أولاد قرمان[1] أمراء التركمان، وأكد عليهم فى الحضور، واستمال النازحين، فما خرج البرواناخ عن المطاولة إلى أن علم السلطان منه أنه لا يحضر.

وركب السلطان فى يوم الجمعة سابع عشريه وعلى رأسه جتْر بنى سلجوق، ودخل قيسارية دار السلطنة، وعبر القصور وجلس على آل سلجوق، وأقبل الناس للهناء وقبلوا الأرض، وحضر القضاه والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية وأعيان قيسارية وذوو المراتب، على عادة الملوك السلجوقية فى أيام الجمع، ووقف أمير المحفل - وهو عندهم ذو حرمة ومكانة، ويلبس أكبر ثوب وعمامة - فرتب المحفل على قدر الأقدار، وانتصب قائما بين يدى السلطان منتظرا ما يشير به. وقرأ القراء أحسن قراءة، ورفعوا أصواتهم بالتلحين العجيب إلى أن فرغوا، فأنشد أمير المحفل بالعربية والعجمية مدائح فى السلطان، ومُدّ سماط الطعام فأكل من حضر، ثم أحضرت دراهم عليها السكة الظاهرية. وتهيأ السلطان لصلاة الجمعة، وقام السلطان إلى الجامع، وخطب الخطيب بنعوته وصلّى، وخطب له الخطباء بجوامع قيسارية وهى سبعة، فلما قضى السلطان صلاة الجمعة، حُمِل إليه ما تركته كُرْجى خاتون امرأة البرواناه من الأموال التى لم تقدر على حملها معها، وما خلفه سواها ممن انتزح معها، وظهر لها ولزوجها معين الدين البرواناه موجود نفيس، فأخذ السلطان ذلك.

وبعث البرواناه يهنئ السلطان بيبرس بجلوسه على تخت الملك، فكتب إليه أن يفد

---

(١) تأسست دولة بنى قرمان بجهات أرمناك وقسطمونى بجنوبى آسيا الصغرى، فى أواسط القرن السابع.

عليه ليقرّه مكانه، فبعث يسأل النظرة إلى خمسة عشر يوما. ورجا البرواناه بذلك أن يصل الملك أيضا - وكان قد أرسل يستحثه على القدوم بنفسه - ليدرك الملك الظاهر وهو ببلاد الروم، فلما بلغ السلطان ذلك خرج من قيسارية فى ثانى عشريه، بعد ما أعطى الأمراء والخواص الخيول والأموال. ولما وصل السلطان إلى خان كيقباد بعث إلى الأرمن بجهة الرمانة لأمير طيبرس الوزيرى، فحرق وقتل وسبى من بها من الأرمن وعاد، وسبب ذلك أنهم كانوا قد أخفوا جماعة من التتر، فسار السلطان إلى الأبلستين، ومرّ على مكان المعركة ليرى رمم القتلى من التتار، فذكر أهل الأبلستين أنهم عدّوا من القتلى ستة آلاف وسبعمائة وستين، وضاع الحساب بعد ذلك، فأمر السلطان بجمع من قُتل من عساكره ودفنوا، وتَرَكَ منهم قليلا بغير دفن، وقصد بذلك نكاية التتار فى إظهار كثرة من قُتل منهم وقلة من قُتل من عسكره، ثم رحل.

ودخل السلطان إلى الدربند فى رابع ذى الحجة، وأصاب الناس فيه مشقّة عظيمة، ونزل بحارم فى سادسه وعيّد هناك، فورد كتاب الأمير شمس الدين محمد بن قرمان أمير التركمان، يتضّمن أنه جمع التركمان وحضر فى عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل مُتَرْكَشَة[1] للخدمة، فوجد السلطان قد عاد، وحضر أيضا أمراء بنى كلاب، ووفود التركمان، ثم رحل السلطان طالبا دمشق.

وقدم الملك أبغا بن هولاكو بالتتار لمحاربة السلطان، فوافاه البرواناه فى الطريق. وكان السلطان قد رحل فتبعه أبغا، وسار إلى الأبلستين حتى عاين القتلى بالمعركة وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل، مع كثرة رمم التتار التى هناك فشق عليه ذلك، وكان قد وشى إليه بالبرواناه أنه هو الذى كاتب الملك الظاهر حتى أقدمه إلى بلاد الروم، فخنق لقلة عدد قتلى الروم. وعاد أبغا إلى قيسارية، فنهبها وقتل من ببلاد الروم من المسلمين، وأغار التتار مسيرة سبعة أيام، فيقال إنه قتل من الفقهاء والقضاة والرعايا ما يزيد على مائتى ألف نفس، ولم يقتل أحدا من النصارى. وشمل القتل من أرزن الروم إلى قيسارية، فيقال إن عدة القتلى كانت خمسمائة ألف، ثم سار أبغا ومعه السلطان غياث الدين صاحب الروم، ووكل بالبرواناه من يحفظه. وسار السلطان بيبرس من حارم إلى أنطاكية، ونزل بمروجها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت، أحد أمراء مصر، وهو بقلعة الجبل

(١) الجنود المتركشة هى التى تكون حاملة تركاشها، والتركاش جعبة النشاب.

مسجونا، فدفن خارج باب النصر. وفيها حج الصاحب تاج الدين حنا، وكان بمكة غلاء عظيم.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحرّانى الحنفى بدمشق، بعد ما أقام بالقاهرة عينا، وكان قد ولى قضاء بعض الأعمال.

وتوفى بدر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن القُوَيرة، الحنفى الفقيه الأديب، نحو أربعين سنة بدمشق.

وتوفى فخر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبد الحق الكنانى الشاطبى، الحنفى النحوى الأديب، عن ستين سنة بدمشق.

وتوفى قطب الدين أبو المعالى أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عُصْرون التميمى الموصلى الشافعى، عن ثلاث وثمانين سنة بحلب.

وتوفى الأديب شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيبانى التَّلَّعْفَرِى[1]، عن اثنتين وثمانين سنة بحماة.

ومات الشيخ العباس خضر بن أبى بكر بن موسى المهرانى العَدَوى الكردى، فى محبسه بقلعة الجبل، فى يوم الخميس سادس المحرم عن نيف وخمسين سنة، ودفن بزاويته خارج باب الفتوح.

ومات متملك تونس أبو عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص[2]، فى عاشر ذو الحجة، فكانت مدته ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وبويع بعده ابنه أبو زكريا يحيى الواثق.

* * *

---

(١) محمد بن يوسف بن مسعود الشيبانى، شهاب الدين، أبو عبد الله، التعفرى: شاعر. نسبته إلى «تل أعفر» بين سنجار والموصل. ولد وقرأ بالموصل وسافر إلى دمشق ثم طرده الأشرف موسى إلى حلب فضاقت عليه الأرض فيها، فعاد إلى دمشق فساءت حاله، فقصد حماة، وتوفى فيها. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٧٧ ومعجم البلدان ٢/ ٤٠٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥ وابن الفرات ٧/ ٩٦ - ٧٩ والأعلام ٧/ ١٥١.

(٢) المستنصر الأول (٦٢٥ - ٦٧٥هـ = ١٢٢٨ - ١٢٧٧م). محمد بن يحيى بن عبد الواحد ابن أبى حفص الهنتاتى، أبو عبد الله، أمير المؤمنين المستنصر بن السعيد: من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع له فيها بعد وفاة أبيه (سنة ٦٤٧هـ). وكان شجاعا حازما خبيرا بسياسية الملك فيه شدة وعنف. انظر: دول الإسلام الذهبى ٢/ ١٣٦ والدولة الحفصية ٥٥، ٦٨ والخلاصة النقية ٦٢ وابن خلدون ٦/ ٢٨٠ وخلاصة تاريخ تونس ١٠٨ وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٩ والأعلام ٧/ ١٣٨.

سنة ست وسبعين وستمائة

فى خامس المحرم: دخل السلطان من أنطاكية إلى دمشق بعساكره، ونزل بالقصر الأبلق، فكثرت الأخبار بقدوم أبغا إلى الأبلستين وأنه يريد بلاد الشام، فضرب الدهليز على القصر ليخرج السلطان إلى لقائه، فورد الخبر برجوع ألبغا إلى بلاده فردّ الدهليز إلى دمشق.

ولما كان فى يوم الخميس رابع عشره: جلس السلطان لشرب القمز، وقد عظم سروره وفرحه وتناهى سعده، فأكثر من الشرب، وانقضى المجلس فتوعك بدنه، وأصبح يشكو فتقياً، وركب بعد الصلاة إلى الميدان، ثم عاد إلى القصر الأبلق آخر النهار وبات فيه، فلما أصبح وهو يشكو حرارة فى باطنه، استعمل دواء لم يكن عن رأى طبيب، فلم ينجح وتزايد ألمه، فاستدعى الأطباء، فأنكروا استعماله الدواء، واتفقوا على أخذ مسهل وسقوه فلم يفد، فحركوه بدواء آخر فأفرط به الإسهال، وتضاعفت الحمى ورمى دما يقال إنه كبده، فعولج بجواهر ومات.

وقال الشيخ قطب الدين اليونينى[1] فى تاريخه: إن الظاهر كان مولعا بعلم النجوم، فقيل له أنه يموت بدمشق فى سنة ست وسبعين هذه ملك بالسم، فاهتم من ذلك ويقال إنه كان فيه حد، فلما دخل معه إلى بلاد الروم الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن الملك المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، أبلى فى المصاف بلاءً عظيما أنكى به العدو، وتعجب الناس لعظم شجاعته، فأثر ذلك عند السلطان. واتفق أن السلطان كان منه ذلك اليوم فتور، وظهر عليه الخوف والندم على ما فعله من تورط نفسه وعساكره ببلاد الروم، فأنكر عليه الملك القاهر وقَبح فعله، فأسرّ له السلطان ذلك إلى أن قدم دمشق، فسمع السلطان الناس تلهج مما فعله الملك القاهر فى وقت المصاف، فاشتد حنقه وأخذ يتحيل فى سمه، ليصح فيه ما دلت عليه النجوم من موت ملك بالشام، فإنه يطلق عليه اسم الملك؛ فعمل دعوة لشرب القمز حضرها الملك

---

(١) موسى بن محمد بن أبى الحسين أحمد اليونينى البعلبكى، قطب الدين أبو الفتح: مؤرخ، أصله من بعلبك. ولد وتوفى بدمشق. وصار شيخ بعلبك بعد وفاة أخيه على وكان فاضلا مليح المحاضرة، معظما جليلا. له «مختصر مرآة الزمان». انظر: المقصد الأرشد والدرر الكامنة ٤/ ٣٨٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٦ والفهرس التمهيدى ٣٩٣ والأعلام ٧/ ٣٣٨.

القاهر، وقد أعدّ السلطان سمّا من غير أن يشعر به أحد. وكان له ثلاث هنابات تختص به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها غيره، أو من يكرمه فيناوله أحدها بيده، فلما قام الملك القاهر لقضاء حاجته، جعل السلطان السم الذى أعده فى هناب وأمسكه بيده، فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه، فقبل الأرض وشرب جميع ما فيه وقام السلطان لقضاء حاجة، وأخذ الساقى المناب من يد الملك القاهر، وملأه على العادة من غير أن يشعر بما عمله السلطان من السم فيه، وأمسكه بيده ووقف مع السقاة، فلما عاد السلطان من الخلاء تناول ذلك المناب بعينه، وشرب ما فيه وهو لا يعلم أنه المناب المسموم، فعندما شربه أحس بالتغير، وعلم أنه قد شرب بقايا السم الذى كان فى المناب، فتقيأ فلم يفد، وما زال به حتى مات.

وذكر ركن الدين بيبرس المنصورى المؤرخ[١] أن القمر خسف جميع جرمه، ودلّ على موت رجل جليل القدر، فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف، وقصد صرف ذلك إلى غيره، فسم الملك القاهر فى كأس قمز، وأحسّ الملك القاهر بالشر فقام، وغلط الساقى فملأ الكأس وسقاه السلطان، فأحس بالنيران وأقام أياما يشكو ولا يعلم الأطباء، حتى تمكن منه ومات.

وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشرى المحرم بعد الزوال، فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما، وقد تجاوز الخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوما.

وفى يوم الثلاثاء: أنعم السلطان على جميع الأمراء والمقدمين والقضاة والمتعممين بالتشاريف، ولبس السلطان تشريفا كاملا بشربوش، ثم أنعم به على الأمير سيف الدين قلاوون الألفى، ولعبوا على عادتهم. وحصل الاهتمام بأمر السماط، ونقل له من أصناف الحوائج ما لا يعد، وسيق من الأغنام ألوف كثيرة. ومُدّت الأسمطة، وحضر السلطان والناس فى خدمته إلى أن أخذوا حاجتهم من الطعام والحلاوات، ثم نُقل جميع ذلك وأخذ. وحضرت التقادم، فقبل السلطان منها اليسير مثل تقصيلة أو رمح أو شىء لطيف، وما قام من مجلسه حتى أنعم بذلك فى وقته، ودخل الملك السعيد على ابنة الأمير قلاوون.

---

(١) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. وكان من مماليك المنصور قلاوون، له تصانيف منها «زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة» و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية.». انظر: ديوان الإسلام ٨/ ٢٣٢ - ٢٧٦ والأعلام ٢/ ٨٠.

وشرع السلطان فى السفر لأخذ بلاد الروم وبعث إلى الأمراء الروميين الخيول والخيام وكل ما يصلح من أمور السفر. وتقرّر الأمير آقسنقر الفارقانى نائب الغيبة بقلعة الجبل، ومعه الصاحب بهاء الدين بن حنا، ليكونا فى خدمة الملك السعيد. وتعين الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين لوزارة الصحبة(١).

وخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس العشرين من رمضان، ورحل فى يوم السبت ثانى عشريه ومعه الأمراء والعساكر الإسلامية يريد البلاد الشامية، فدخل دمشق يوم الأربعاء سابع عشر شوّال، وخرج منها إلى حلب فى العشرين منه، فوصل إلى حلب مستهل ذى القعدة، وخرج منها يوم الخميس ثانيه إلى حَيْلاَن(٢) وجرّد السلطان الأمير نور الدين على بن مجلى نائب حلب ليقيم على الفرات بعسكر حلب ويحفظ معابر الفرات، لئلا يدخل أحد من التتار إلى بلاد الشام، ووصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا.

وكان السلطان منذ خرج من مصر إلى أن وصل إلى حلب، لم يمرّ بمملكة إلا أخذ معه عسكرها وخزائنها وأسلحتها، فترك بعض الثقل بحيلان، وصار منها يوم الجمعة ثالثه إلى عين تاب، وقطع الدربندربات فى وطأة(٣). وتوجهت العساكر جرائد على الأمر المعهود، وخففوا كل شىء وتقدم الأمير سنقر الأشقر جاليشا(٤) فى عدة من العسكر، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التتار ومقدمهم يسمى كراى، فانهزموا قدامه وأسر منهم جماعة، وكان ذلك يوم الخميس تاسع الشهر. وبلغ ذلك الملك أبغا، فجهّز جماعة من عرب خفاجة لينازلوا عسكر حلب على غرّة، فبلغ ذلك نائب حلب وهو على الفرات، فركب إليهم وقاتلهم وهزمهم، وأخذ منهم ألفاً ومائتى جمل.

وورد الخبر على السلطان بأن عسكر التتار ومقدمهم تتاوون وعسكر الروم ومقدمهم معين الدين البرواناه، قد اتفقوا جميعا على لقائه، فرتب عساكره وتأهب للقاء، وطلع بعساكره على جبال تشرف على صحراء هوتى من بلد أبلستين. وترتب المغول أحد عشر طلبا، كل طلب يزيد على ألف فارس، وعزلوا عسكر الروم عنهم

---

(١) صاحب هذا المنصب وزيرا متنقلا، يرافق السلطان فى أسفاره وحروبه ليقوم بوظيفة الوزير ويصرف شؤونها معه.

(٢) هى من قرى حلب. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨٢.

(٣) يقال: وطئَ الشىء يطؤه وطئًا: داسه. انظر: لسان العرب (وطء).

(٤) على هامش ط: الطليعة.

وجعلوه طلبا بمفرده لئلا يكون محاصرا عليهم، وأقبلوا فانصبت الخيول الإسلامية عليهم من جبل أبى المنجا، وهى أجل قناطر أرض مصر. وعمل قناطر السباع بين القاهرة ومصر على الخليج الكبير، وحفر خليج الإسكندرية وبحر طناح وبحر الصماصم بالقليوبية، وحفر خليج سردوس[1]، وأصلح بحر دمياط وردم فمه بالصخور.

ومن غريب أمره أنه أوّل ما فتح من البلاد قيسارية من بلاد الساحل وآخر ما فتح مدينة قيسارية من بلاد الروم. وأول جلوسه على مرتبه الملك يوم الجمعة سابع عشرى ذى القعدة، وآخر جلوسه على تخت الملك بسلطنة آل سلجوق فى قيسارية الروم يوم الجمعة سابع عشرى ذى القعدة، وأوّل من بنى مدينة أنطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر، والذى أخربها الملك الظاهر. وأول من قام بدولة الترك السلجوقية ركن الدين طغرلبك، والملك الظاهر ركن الدين بيبرس هو القائم فى الحقيقة بدولة الترك من يوم وقعة المنصورة. وركن الدين طغرلبك هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة البساسيرى، وركن الدين بيبرس هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة هولاكو. والخطبة بديار مصر كانت بعد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى للظاهر لإعزاز دين الله[2] وكذا وقع له، فقد كانت الخطبة بعد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى للملك الظاهر بيبرس.

وكان راتب مخابزة وعليقة لخاصة نفسه ومماليكه، فى كل سنة مائة ألف وعشرين ألف أردب، وكان يطعم فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان خمسة آلاف نفس، ويكسو فى كل سنة ستمائة كسوة خارجا عما يطلقه من يده من الكساوى، وكان له من الخبز ألفا قنطار وخمسمائة فى كل يوم. إلا أنه كان كثير المصادرات للدواوين، كثير الجباية للأموال من الرعية. وأحدث وزيره ابن حنا فى أيامه حوادث جليلة، وقاس أملاك الناس بمصر والقاهرة، وصادر أرباب الأموال حتى هلك كثير منهم تحت العقوبة، وأخذ جوالى الذمة مضاعفة، وأمر بإحراقهم كلهم، وجمع لهم الأحطاب وحفر لهم حفرة عظيمة قدّام دار النيابة بقلعة الجبل، ثم عفى عنهم وقرر عليهم أموالا

(١) أحد فروع النيل، ومخرجه من سردوس بين باسوس وقليوب. انظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار ١/ ٧.

(٢) على (الظاهر لإعزاز دين الله) بن منصور (الحاكم بأمر الله) بن العزيز ابن الفاطمى العبيدى، أبو الحسن: من ملوك الدولة الفاطمية. كانت له مصر والشام وخطبة إفريقية. ولى بعد وفاة أبية (سنة ٤١١هـ) ودامت دولة الظاهر قرابة ستة عشر عاما. مولده ووفاته بالقاهرة. انظر: اتعاظ الحنفا ٢٧١ وابن خلدون ٤/ ٦١ وابن الأثير ٩/ ١١٠ و١٥٤ وابن إياس ١/ ٥٨ وابن خلكان ١/ ٣٦٦ والأعلام ٥/ ٢٥.

أخذت منهم بالمقارع، ومات أكثرهم فى العقوبة. ولما توجه السلطان بيبرس إلى بلاد الروم كلّف أهل دمشق جباية مال لإقامة الخيل، وفرض عليهم ألف ألف درهم نقرة تُجبى من المدينة ومن الضياع.

ولم يل الوزارة له سوى الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا، وقضاته بمصر قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب، بن بنت الأعز إلى أن أحدث القضاة الأربعة، واستمر ذلك من بعده. ورؤى السلطان بيبرس بعد موته فى النوم، فقيل له: «ما فعل الله بك؟» فقال: «ما رأيت شيئا أشد على من ولاة قضاة أربعة، وقيل لى فَرقتَ الكلمة». وكان كل من ولاه بيبرس فى مملكة أو عمل أبقاه، ولم يغير عليه ولا يعزله. وتزوج بيبرس من النساء - وهو ببلاد غزة، قبل أن يلى الملك - امرأة من طائفة الشهر زورية، ثم طلقها بالقاهرة. وتزوج ابنه حسام الدين بركة خان بن دولة خان التترى، وابنة الأمير سيف الدين نوكلى التترى، وابنة الأمير سيف الدين كراى بن تماجى التترى، وابنة الأمير سيف الدين [......(1)] التترى. وولد له من الأولاد عشرة، الذكور منهم ثلاثة - وهم الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان، ووُلد فى صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بمنزلة العُش(2)، من بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمى، والملك العادل بدر الدين سلامش، والملك المسعود نجم الدين خضر -، والإناث سبع.

ولما مات السلطان بيبرس كتم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة موته عن العساكر، وحمله فى محفة من القصر الأبلق خارج دمشق إلى القلعة فى الليل، وجعله فى تابوت وعلقه فى بيت، وأشاع أنه مريض ورتب الأطباء على العادة، ثم أخذ العساكر والخزائن، ومعه محفة محمولة وأوهم أن السلطان فيها مريض، وخرج من دمشق يريد مصر، فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان. واستمر الحال على ذلك حتى وصلت العساكر إلى القاهرة، وصعدت الخزائن والمحفة إلى قلعة الجبل، فأشيع حينئذ موته. وبالجملة فلقد كان من خير ملوك الإسلام.

* * *

السلطان الملك السعيد ناصر الدين

محمد بركة قان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى. لما

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) من ضواحى القاهرة. انظر: ابن أبى الفضائل، النهج السديد ٢٩١.

مات الملك الظاهر بدمشق، كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى الملك السعيد وهو بقلعة الجبل كتابا بموت أبيه، فأظهر الملك السعيد عند ورود الكتاب فرحا كبيرا، وأخلع على من أحضره، وأشاع أن الكتاب يتضمن البشارة بعود الملك الظاهر إلى ديار مصر، وأصبح فركب الأمراء على العادة تحت القلعة، من غير أن يظهر عليهم شيء من الحزن.

وسار الأمير بيليك بالمحنة والأطلاب، حتى قدم إلى القاهرة يوم الخميس سادس عشر صفر وهو تحت السناجق الظاهرية، وصعد قلعة الجبل. وجلس الملك السعيد بالإيوان، وسلم إليه الأمير بيليك الخزائن والعساكر ووقف بين يديه، فصاح الحجاب حينئذ. «يا أمراء ترحموا على السلطان الملك الظاهر». فارتفع الضجيج والعويل، ووقع الأمراء إلى الأرض يقبلونها للملك السعيد، فجددت الأيمان، وحلف له سائر العسكر والقضاة والمدرسين والأعيان، وتولى تحليفهم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بحضرة القضاة. فأقر الملك السعيد الأمير بدر الدين بيليك على نيابة السلطنة، وأقرّ الصاحب بهاء الدين ابن حنا على وزارته، وخلع عليهما وعلى الأمراء والمقدمين والقضاة وأرباب الوظائف.

وفى يوم الجمعة سابع عشريه: دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد، وصلى بها على الملك الظاهر صلاة الغائب. وخرج البريد إلى دمشق بموت الملك الظاهر، وتحليف العساكر للملك السعيد فحلفوا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول: ركب الملك السعيد بالعصائب على عادة أبيه، ومعه الأمراء والأعيان وعليهم الخلع، وسيّر إلى تحت الجبل الأحمر، وعاد إلى القلعة من غير أن يشق القاهرة، وكان يوما مشهودًا.

وفى سادس ربيع الآخر: مات الأمير بدر الدين بيليك النائب، واتهم أن الملك السعيد سمّه - وذلك أنه اختص بجماعة من المماليك الأحداث، فأوهموه من الأمير بيليك، وكانت جنازته حفلة، ومن بعده اضطربت أمور الملك السعيد. وأقام الملك السعيد بعده فى نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى، وكان حازما، فضم إليه جماعة منهم شمس الدين أقوش، وقطليجا الرومى، وسيف الدين قلج البغدادى، وسيف الدبن بيجو البغدادى، وعز الدين ميغان أمير شِكَار[1]، وسيف الدين بكتمر السلاح دار فثقل الأمير آقسنقر على خاصكية[2] السلطان، وحدثوا السلطان فى أمره،

(١) صاحب هذه الوظيفة يتحدث على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها، وعلى سائر أمور الصيد. انظر: القلشندى، صبح الأعشى ٤/ ٢٢.

(٢) قسم من المماليك السلطانية، يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغارا=

واستعانوا بالأمير سيف الدين كُونْدُك الساقى - وكان الملك السعيد قد قدّمه وعظّمه، لأنه ربى معه فى المكتب، فقبض على آقسنقر وهو جالس فى باب القُلة، وسجن وأهين ونتفت لحيته وضرب، ثم أخرج بعد أيام يسيرة ميت. فاستقر بعده فى النيابة الأمير شمس الدين سنقر الألفى المظفرى، فكرهه الخاصكية وقالوا: «هذا ما هو من الظاهرية»، وخيلوا الملك السعيد منه أنه يريد أن يثور بخشداشيته مماليك الملك المظفر قطز، فعزله سريعا. وولى الأمير سيف الدين كوندك الساقى نيابة السلطنة - وهو شاب، فعضده الأمير سيف الدين قلاوون الألفى ومال إليه.

وكان من جملة المماليك السلطانية الخاصكية شخص يعرف بلاجين الزينى، وقد غلب على الملك السعيد فى سائر أحواله، وضم إليه عدّة من الخاصكية، وأخذ لاجين لهم الإقطاعات والأموال الجزيلة، وصاركلما انحل خُبْز أخذه لمن يختار، وتنافر النائب والمذكور، فتورغّرت بينهما الصدور، ودبت بينهما عقارب الشرور، وأعمل كل منهما مكره فى أذية الآخر، وضم النائب إليه جماعة من الأمراء الكبار، وصار العسكر حزبين، فآل الأمير إلى ما آل إليه من الفساد.

وتغير السلطان على الأمراء، وقبض فى سابع عشره على الأمير جودى القيمرى الكردى فنفرت منه قلوب الأمراء لا سيما الصالحية: مثل الأمير سيف الدين قلاوون، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير علم الدين سنجر الحلبى، والأمير بدر الدين بيسرى، وأقرانهم فإنهم كانوا يأنفون من تملك الملك الظاهر عليهم، ويرون أنهم أحق منه بالملك، فصار ابنه الملك السعيد يضع من أقدارهم، ويقدّم عليهم مماليك الأصاغر، ويخلو بهم وكانوا صباح الوجوه، ويعطيهم مع ذلك الأموال الكثيرة، ويسمع من رأيهم ويبعد الأمراء الكبار.

واستمر الحال على هذا إلى أن كان يوم الجمعة خامس عشريه، وفيه قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير بدر الدين بيسرى، وسجنهما بالقلعة ثلاثة وعشرين يوما، فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء، ودخل خاله الأمير بدر الدين محمد بركة خان إلى أخته أم السلطان، وقال لها: «قد أساء ابنك التدبير بقبضه على مثل هؤلاء الأمراء الأكابر، والمصلحة أن ترديه إلى الصواب، لئلا يفسد نظامه وتقصر أيامه». فلما بلغ الملك السعيد ذلك قبض عليه. واعتقله، فلم تزل به أمه تعنفه وتتلطف به، حتى أطلقهم وخلع عليهم وأعادهم إلى ما كانوا عليه، وقد تمسكت عداوته من قلوبهم.

=ويجعلهم حرسه الخاص.

وتوهم منه بقية الأمراء، وخشوا أن يعاملهم كما عامل الأمير بيليك الخازندار، مع حفظة له الملك وتسليم الخزائن والعساكر إليه، فلم يكافئه إلا بأن قتله بالسم. فاجتمع الأمراء وهمّوا أن يخرجوا عنه إلى بلاد الشام، ثم اتفقوا وصعدوا إلى قلعة الجبل، ومعهم مماليكهم وألزامهم وأجنادهم وأتباعهم، ومن انضم إليهم من العساكر، فامتلأ منهم الإيوان ورحبة القصر، وبعثوا إلى الملك السعيد: «بأنك قد أفسدت الخواطر، وتعرضت إلى أكابر الأمراء، فإما أن ترجع عما أنت عليه: وإلا كان لنا ولك شأن». فلاطفهم فى الجواب، وتنصل مما كان منه، وبعث إليهم التشاريف فلم يلبسوها، وترددت الأجوبة بينهم وبينه إلى أن تقرر الصلح، وحلف لهم أنه لا يريد بهم سوءا، وتولى تحليفه الأمير بدر الدين الأيدمرى وفرضوا وانصرفوا.

وكتب السلطان الملك السعيد إلى دمشق أن يدفن الملك الظاهر داخل المدينة فاشترى الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام دار العقيقى داخل باب الفرج تجاه المدرسة العادلية بستين ألف درهم، وجعلها مدرسة وبنى بها قبة، وابتدأ بالعمارة فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى، وفرغ منها فى آخر جمادى الآخرة. وخرج من القاهرة الأمير علم الدين سنجر المعروف بأبى خرص، والطواشى صفى الدين جوهر الهندى، وسار إلى دمشق فدخلاها فى ثالث رجب فلما كان فى ليلة الجمعة خامسه، حمل الملك الظاهر من قلعة دمشق ليلا على أعناق الرجال، ووضع فى جامع بنى أمية وصلى عليه، وحمل حتى دفن بالقبة من المدرسة التى بنيت له، بحضور نائب الشام، وألحده قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد أبو المفاخر المعروف باب الصائغ، وترتب القراء من ثانى يوم، ثم وقف عز الدين بن شداد وكيل الملك السعيد هذه المدرسة، ووقف عليها قرية من شعرا بانياس، وغير ذلك.

وفى ثامن عشر ذى القعدة: صرف قاضى القضاة محيى الدين عبد الله بن عين الدولة عن قضاء مصر والوجه القبلى، وأضيف إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين، فكمل له قضاء القضاة بديار مصر، وأعيد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان إلى قضاء دمشق فى سابع عشر ذى الحجة، فكانت مدة عزله سبع سنين.

وفيها ولى شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبى المعالى أحمد بن الخليل ابن سعادة الخوى قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة تقى الدين محمد بن حياة الرّقى.

وفى هذه السنة عمّ ماء النيل أرض مصر كلها، ورخص سعر الغلة حتى أبيع الأردب القمح بخمسة دراهم، والأردب الشعير بثلاثة دراهم، والأردب من بقية الحبوب بدرهمين.

وفيها قتل الملك أبغا البرواناه فى صفر، واسمه معين الدين سليمان بن على بن محمد ابن حسن، ومعنى البرواناه الحاجب، وكان شجاعا حازما كريما عارفا، فيه دهاء ومكر.

وفيها عزل نفسه قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز الحنفى من القضاء فى سلخ المحرم، فشغر منصب قضاء الحنفية بعده.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة، فى سادس شهر ربيع الآخر، وكان جوادا عارفا بالتاريخ جيد الكتابة.

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم ابن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى وهو مصروف، فى يوم السبت ثانى عشرى المحرم، ودفن بالقرافة، وله من العمر ثلاث وسبعون سنة.

وتوفى قاضى القضاة بحلب تقى الدين أبو عبد الله محمد بن حياة بن يحيى بن محمد الرّقى الشافعى بتبوك، وهو عائد من الحج.

وتوفى الشيخ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن الحسن بن الحسين ابن جمعة بن حرام النّوَوى(١) الشافعى، عن نيف وأربعين سنة، بقرية نَوَى.

وتوفى الواعظ نجم الدين أبو الحسن على بن على بن أسفنديار البغدادى بدمشق، عن ستين سنة.

وتوفى الشريف شهاب الدين أحمد بن أبى محمد الحسينى الواسطى الغرّافى،

---

(١) يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحورانى، النووى: الشافعى أبو زكريا، محيى الدين: علامة بالفقة والحديث. مولده ووفاته فى نوا (من قرى حوران، بسورية)، وإليها نسبته. تعلم فى دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. انظر: طبقات الشافعية للسبكى ٥/ ١٦٥ وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة والنعيمى ١/ ٢٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨ ومفتاح السعادة ١/ ٣٩٨ والأعلام ٨/ ١٤٩، ١٥٠.

بالإسكندرية.

وتوفى الشيخ نظام الدين أبو عمرو عثمان بن أبى القاسم عبد الرحمن بن رشيق المالكى.

وتوفى أبو الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الربعى الموصلى النحوى المترجم، بالقاهرة.

* * *

سنة سبع وسبعين وستمائة

فى سابع عشرى المحرم: عمل عزاء الملك الظاهر، عند تمام سنة من وفاته، بالأندلس من قرافة مصر، ومدت هناك الأسمطة فى الخيام للقراء والفقهاء، وفرّقت الأطعمة على أهل الزوايا، وكان من الأرقات العظيمة، لكثرة من اجتمع فيه من الناس على اختلاف طبقاتهم، وعُمل مجمع آخر بجامع ابن طولون، وفى الجامع الظاهرى، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الصالحية، ودار الحديث الكاملية، والخابقاه الصلاحية سعيد السعداء، والجامع الحاكى وعمل للتكارزة[1] والفقراء خوان حضَره كثير من أهل الخير.

وفى عاشر جمادى الأولى ولى قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الحنفى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن العديم بحكم وفاته. فلما مات صدر الدين بعد أربعة أشهر، ولى عوضا عنه فى تاسع عشرى رمضان حسام الدين حسن بن أحمد بن حسن الرازى. قاضى الروم الواصل من قيسارية.

[وفى[2]] **شوّال** خرج الملك السعيد من قلعة الجبل يريد التفرج فى دمشق، ومعه أخوه نجم الدين خضر، وأمه وأمراؤه وعساكره، فدخل إلى دمشق فى خامس ذى الحجة.

وفى سلخ ذى القعدة مات الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، فكتب من دمشق بالحوطة على وجوده. وقبض الملك السعيد على الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين، وأخذ خطه بمائة ألف دينار، وسيّره على البريد إلى مصر، ليستخرج منه ومن أخيه تاج الدين محمد وابن عمه عز الدين محمد بن أحمد بن على تكملة ثلاثمائة ألف دينار واستقر فى الوزارة عوضا عن الصاحب بهاء الدين بن حنا قاضى القضاة وعز الدين الخضر بن الحسن السنجارى، وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وجفون كامنة، فبلغ من التمكن فى أولاده وأمواله ما كان يؤمله. وساعده على ذلك عدّة من الأمراء: منهم عز الدين الأفرم، وبدر الدين بيسرى، الحاقى تقومهم من بهاء الدين بن حنا. وولى وزراة الصحبة فخر الدين بن لقمان، عوضا عن تاج الدين محمد بن حنا.

(١) التكاردة أهل بلاد التكرور، وهى أحد الأقاليم الإفريقية الواقعة فى الجهة الجنوبية الغربية من مصر. انظر: صبح الأعشى ٥/ ١١٠.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى سادس عشرى ذى الحجة: جلس الملك السعيد بدار العدل فى دمشق، وأسقط عن أهل الشام ما كان قد قرره الملك الظاهر عند سفره إلى بلاد الروم على البساتين فى كل سنة، وفيه أشار خاصكية السلطان عليه بإبعاد الأمراء الأكابر عنه، فجّهز الأمير قلاوون الألفى بعسكر، وجهز الأمير بيسرى بعسكر، وأنفق فيهم الأموال، فساروا إلى جهة سيس، وفى نفوسهم من ذلك إحن.

وفيها ولى الأمير علاء الدين أيدغدى الكبكى نيابة حلب، عوضا عن الأمير نور الدين على بن مجلى الهكارى. وفيها كثر الرخاء بمصر حتى أبيع ثلاثمائة أردب فولا بمبلغ تسعمائة درهم، انصرف منها حمولة ومكوس، بحيث لم يتأخر منها غير خمسة وثمانين درهما.

وفيها مات عز الدين كيكاوس ملك الروم، بعد ما جرت له خطوب. فملك أبغا ابن هولاكو من بعده ابنه مسعود بن كيكاوس سبواس وأرزن الروم وأرزنكان[1]. وفيها حصلت زحمة عظيمة بباب العمرة من المسجد الحرام بين الحجاج عند خروجهم إلى العمرة بعد صلاة الصبح، فمات منهم ستة وثلاثون إنسانًا، وذلك فى ثالث عشر ذى الحجة.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أقوش النجيبى الصالحى نائب الشام، فى خامس ربيع الأول بالقاهرة، عن نحو سبعين سنة. ومات الأمير شمس الدين آقسبقر القارقانى الصالحى قائد السلطنة، عن نحو خمسين سنة. ومات الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى نائب حلب، وهو مصروف، عن نحو خمسين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم، عن أربع وستين سنة. ومات قاضى القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الفضل سليمان ابن أبى العز ابن وهيب الأذرعى[2]، بعد ثلاثة أشهر من ولايته، عن ثلاث وثمانين سنة. ومات الوزير الصاحب بهاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن سليم بن حنا،

---

(١) اسم هذا البلدان أرزنجان وهى بلدة من أرمينية. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٠٥.

(٢) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى: شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم من أهل أذرعات (بقرب دمشق) أقام فى دمشق يدرس ويفتى، وانتقل إلى القاهرة فولى قضاء القضاة. مات بدمشق. انظر: الدارس ١/ ٥٤٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٨١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٧ ومرآة الجنان ٤/ ١٨٨ وفهرست الكتبخانة ٣/ ١٤٨ والأعلام ٣/ ١٣٨.

سلخ ذى القعدة. وتوفى مجد الدين أبو عبد الله

وتوفى نجم الدين أبو المعالى محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيبانى الدمشقى(١) الصوفى الأديب، عن أربع وسبعين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب جمال الدين عمر بن إبراهيم بن أبى بكر الهذبانى الإربلى، بالقاهرة.

وتوفى الأديب موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارى البعلبكى، بالقاهرة .

* * *

(١) محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر، أبو المعالى، نجم الدين الشيبانى شاعر غزل. مولده ووفاته فى دمشق. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢١٦ - ٢٢٠ والوافى بالوفيات ٣/ ١٤٢ وابن الفرات ٧/ ١٣١ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٩ والأعلام ٦/ ١٥٣.

سنة ثمان وسبعين وستمائة

فى المحرم: قرر الخاصكية مع الملك السعيد القبض على الأمراء عند عودهم من سيس، وعينوا إقطاعتهم لأناس منهم، وكان الأمير كوندك النائب مطلع على ذلك. واستغرق السلطان فى لذاته، وبسط يده بعطاء الأموال الكثيرة لخاصكيته، وخرج عن طريقة أبيه، وفى أثناء ذلك حدث بين الأمير كوندك النائب وبين الخاصكية منافرة، بسبب أن السلطان أطلق لبعض السكة ألف دينار فتوقف النائب فى إطلاقها، فاجتمع الخاصكية عند النائب وقاضوه فى أمر المبلغ، وأسمعوه ما يكره، وقاموا على حَرَد، وتكلموا مع السلطان فى عزله عن النيابة، فامتنع، وأخذ الخاصكية فى الإلحاح عليه بعزل كوندك، وعجز عن تلافى أمرهم معه.

وأما الأمراء فإنهم غزوا سيس وقتلوا وسبوا، وسار الأمير بيسرى إلى قلعة الروم، وعاد هو والأمراء إلى دمشق ونزلوا بالمرج، فخرج الأمير كوندك إلى لقائهم على العادة، وأخبرهم بما وقع من الخاصكية فى حقهم وحقه، فحرَّك قوله ما عندهم من كوامن الغضب، وتحالفوا على الاتفاق والتعاون، وبعثوا من المرج إلى السلطان يعلمونه أنهم مقيمون بالمرج، وأن الأمير كوندك شكى إليهم من لاجين الزينى شكاوى كثيرة، «ولابد لنا من الكشف عنها»، وسألوا السلطان أن يحضر إليهم حتى يسمعوا كلامه وكلام كوندك.

فلما بلغ بذلك السلطان ذلك لم يعبأ بقولهم، وكتب إلى من معهم من الأمراء الظاهرية يأمرهم بمفارقة الصالحية ودخول دمشق. فوقع القاصد الذى معه الكتب فى يد أصحاب كوندك، فأحضر إلى الأمراء ووقفوا على الكتب التى معه، فرحلوا من فورهم ونزلوا على الجورة من جهة داريا، وأظهروا الخلاف، ورموا الملك السعيد بأنه قد أسرف وأفرط فى سوء الرأى وأفسد التدبير.

فخاف السلطان عند ذلك سوء العاقبة، وبعث إليهم الأمير سنقر الأشقر، والأمير سنقر التكريتى الأستادار، ليلطفا بهم ويعملا الحيلة فى إحضارهم، فلم يوافقوا على ذلك. وعادا إلى السلطان فزاد قلقه، وترددت الرسل بينه وبين الأمراء، فاقترحوا عليه إبعاد الخاصكية، فلم يوافق، وبعث السلطان بوالدته مع الأمير سنقر الأشقر لتسترضيهم، فحدثتهم وخضعت لهم فما أفاد فيهم ذلك شيئا، وعادت بالخيبة.

فرحل الأمراء بمن معهم من العساكر إلى مصر، وتبعهم الملك السعيد ليلحقهم ويتلافى أمرهم فلم يدركهم، فقاد إلى دمشق وبات بها. وأصبح الملك السعيد فجهز أمه وخزائنه إلى الكرك، وجمع من بقى من عساكر مصر والشام، واستدعى العربان وأنفق فيهم. وسار من دمشق بالعساكر يريد مصر، فنزل بلبيس فى نصف ربيع الأول، وكان قد سبقه الأمير قلاوون بمن معه إلى القاهرة، ونزلوا تحت الجبل الأحمر.

فبلغ ذلك الأمراء الذين بقلعة الجبل، وهم الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار، والأمير أقطوان الساقى، والأمير بلبان الزرْبَقى، فامتنعوا بها وحصّنوها، وتقدموا إلى متولى القاهرة فسد أبوابها، فراسلهم قلاوون والأمراء فى فتح أبواب القاهرة، ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويُبْصِروا أولادهم، فإن عهدهم بَعُد بهم. ونزل الأمير لاجين البركخاى وأيبك الأفرم وأقطوان إلى الأمراء لمعرفة الخبر، فقبضوا عليهم وبعثوا إلى القاهرة ففتحت أبوابها، ودخل كل أحد إلى داره، وسجن الثلاثة الأمراء فى دار الأمير قلاوون بالقاهرة، وزحفوا إلى القلعة وحاصروها، وقد امتنع بها بلبان الزريقى.

وأما السلطان فإنه لما نزل بلبيس وبلغه خبر الأمراء، خامر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه فى بلبيس، وعادوا إلى دمشق وبها الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام، فصاروا إليه، ولم يبق مع السلطان إلا مماليكه، ومنهم الأمير لاجين الزينى، ومغلطاى الدمشقى، ومغلطاى الجاكى، وسنقر التكريتى، وأيدغدى الحرانى، والبكى الساقى، وبكتوت الحمصى، وصلاح الدين يوسف بن بركة خان، ومن يجرى مجراهم، ولم يبق معه من الأمراء الكبار إلا الأمير سنقر الأشقر فقط، فسار السلطان من بلبيس، ففارقه سنقر الأشقر من المَطَرِية[1] وأقام بموضعه.

وبلغ الأمراء أن السلطان جاء من خلف الجبل الأحمر، فركبوا ليحولوا بينه وبين القلعة، وكان الضباب كثيرا فنجا منهم، واستتر عن رؤيتهم وطلع إلى القلعة، فلما انكشف الضباب بلغ الأمراء أن السلطان بالقلعة، فعادوا إلى حصارها، وعندما استقر السلطان بالقلعة تشاجر لاجين الزينى مع الزربقى، فنزل الزربقى إلى الأمراء وصار معهم، وتبعه المماليك شيئا بعد شىء. وصار السلطان يشرف من برج الرَّفْرَف المطل على الإسطبل، ويصيح بهم: «يا أمراء! أرجع إلى رأيكم، ولا أعمل إلا ما تقولونه»، فليجبه أحد منهم، وأظهروا كتبا عنه يطلب فيها جماعة من الفداوية لقتلهم، وأحاطوا

(١) قرية بقرب عين شمس القديمة بالشمال الشرقى من القاهرة. انظر: معجم البلدان ٥/٥٦٠.

بالقلعة وحصروه، وكان الأمير سنجر الحلبى معتقلا بالقلعة، فأخرجه السلطان وصار معه، فاستمر الحصار مدّة أسبوع.

وكان الذى قام فى خَلْع السلطان جماعة كثيرة من الأمراء، وهم الأمير بيسرى، والأمير قلاوون، والأمير أيتمش السعدى، والأمير أيدكين البندقدار، والأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، والأمير بيليك الأيدمرى، والأمير سنقر البكتوتى، والأمير سنجر طردج، والأمير بلبان الحبيشى، والأمير بكتاش النجمى، والأمير كشتغدى الشمسى، والأمير بلبان الهارونى، والأمير بجكا العلائى، والأمير بيبرس الرشيدى، والأمير كندغدى الوزيرى، والأمير يعقوبا الشهرزورى، والأمير أيتمش بن أطلس خان، والأمير بيدغان الركنى، والأمير بكتوت بن أتابك، والأمير كندغدى أمير مجلس، والأمير بكتوت جرمك، والأمير بيبرس طقصو، والأمير كوندك النائب، والأمير أيبك الحموى، والأمير سنقر الألفى، والأمير سنقر جاه الظاهرى، والأمير قلنج الظاهرى، والأمير ساطلمس، والأمير قجقار الحموى، ومن انضاف إليهم من الأمراء الصغار ومقدمى الحلقة، وأعيان المفاردة والبحرية[1] ولما طال الحصار بعث السلطانُ الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد، يقول: «يا أمراءإيش غرضكم؟» فقالوا: «يخلع الملك السعيد نفسه من الملك ونعطيه الكرك»، فأذعن السعيد لذلك، وحلف له الأمراء، وحضر الخليفة والقضاة، الأعيان، وأنزل بالملك السعيد، وأشهد عليه أنه لا يصلح للملك.

وخلع السعيد نفسه، وحلف أنه لا يتطرق إلى غير الكرك، ولا يكاتب أحدا من النواب، ولا يستميل أحد من الجند، وسُفر من وقته إلى الكرك مع الأمير بيدغان الركنى، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر، فكانت مدّة ملكه من حين وفاة أبيه إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وثمانية أيام، فوصل إلى الكرك وسَلّمها فى خامس عشرى جمادى الآخرة، واحتوى على ما فيها من الأموال وكانت شيئا كثيرا.

ولم يقتل فى هذه الحركة سيف الدين بكتوت الخمصى، فإنه كان بينه وبين سنقرجاه الظاهرى مشاجرة، فلما طلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل يوم وصوله من بلبيس صادفه سنقر جاه – وهو من حزب الأمير قلاوون ومن معه –، فطعنه فى حلقه فحمل إلى قبة القَلَنْدَرِية[2]، فمات من يومه ودفن بها، وكانت أيامه رخية الأسعار.

* * *

---

(١) طائفة من الأجناد السلطانية، وكان عملهم المبيت بالقلعة وحول دهاليز السلطان فى السفر كالحرس. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٤/ ١٦.

(٢) زاوية خارج باب النصر من الجهة التى فيها الترب والمقابر بالقاهرة. انظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/ ٤٣١.

السلطان الملك العادل بدر الدين سُلاَمِش(١)

وهو ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى. لما تم خلع الملك السعيد وسافر إلى الكرك، عرض الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون الألفى فامتنع وقال: «أنا ما خلعتُ الملك السعيد طمعا فى السلطنة، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية الملك الظاهر». فاستُحْسِن ذلك منه، لأن الفتنة سكنت فإن الظاهرية كانوا معظم العسكر، وكانت القلاع بيد نواب الملك السعيد، وقصد قلاوون بهذا القول أن يتحكم حتى يغير النواب ويتمكن مما يريد، فمال الجميع إلى قوله وصوبوا رأيه، واستدعوا سلامش، واتفقوا أن يكون الأمير قلاوون أتابكه، وأن يكون إليه أمر العساكر وتدبير الممالك، فحضر سلامش وله من العمر سبع سنين وأشهر، وحلف العسكر جميعه على إقامته سلطانا، وإقامة الأمير قلاوون أتابك العساكر، ولقبوه الملك العادل بدر الدين، فاستقر الأمر على ذلك. وأقيم الأمير عز الدين أيبك الأفرم فى نيابة السلطنة، واستقر قاضى القضاة برهان الدين خضر بن الحسن السنجارى فى الوزارة.

وأما عسكر الشام فإنه لما سار من بلبيس ودخل إلى دمشق، وكان بحلب الأمير عز الدين إزدمر العلائى، والأمير قراسنقر المعزى، والأمير أقوش الشمسى، والأمير برلغو، فى نحو ألفى فارس، فساروا إلى دمشق ولقوا العسكر القادم من بلبيس، فاتفقوا مع الأمراء الذين بدمشق على إقامة الأمير أقوش الشمسى مقدما على الجيوش، والقبض على الأمير عز الدين أيدمر نائب دمشق، لأنه ترك ابن أستاذه وخامر عليه ورجع من بلبيس، فأخذه الأمير أقوش إلى داره، فجاء الأمير أزدمر العلائى وركن الدين الجالق إلى دار أقوش، وأخذ الأمير أيدمر وصعدا به إلى قلعة دمشق، وسلماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى نائب القلعة.

فلما تقرّر الحال على إقامة الملك العادل سلامش والأمير قلاوون كُتب إلى الشام بذلك، وسار الأمير جمال الدين أقوش الباخلى وشمس الدين سنقرجاه الكنجى بنسخة الأيمان، فحلف الناس بدمشق كما وقع الحلف بمصر.

وفى النصف من جمادى الأولى: استقر قاضى القضاة صدر الدين عمر ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين بحكم عزله. و صُرِف أيضا قاضى القضاة

---

(١) انظر: ابن إياس ١/ ١١٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٨٦ والنهج السديد ٤٧١ والأعلام ١٠١/٣.

معز الدين النعمان الحسن بن يوسف الخطيبى الحنفى، وقاضى القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن مخلص الدين هبة الله بن كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر المالكى، ثم أعيدا، وولى عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدس الحنبلى[١] قاضى القضاة الحنابلة، واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى نيابة السلطنة بدمشق، فدخلها فى ثامن جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء والعسكر، فعامله الناس معاملة الملوك، وأنزل الأمير سنجر الدوادارى من القلعة لمباشرة الشدّ، وقُرئ تقليد النيابة يوم الجمعة بمقصورة الخطابة، و لم يحضر النائب قراءته.

وفى تاسع رجب: قُبض على فتح الدين عبد الله بن محمد بن القيسرانى، وزير دمشق. وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش الشمسى فى نيابة السلطنة بحلب، عوضا عن أيدغدى الكبكى.

وشرع الأمير قلاوون فى القبض على الأمراء الظاهرية، فقبض على أعيانهم وبلغهم إلى الثغور فسحنوا بها، وأمسك أيضا كثيرا من الظاهرية وملأ الحبوس بهم، وأعطى قلاوون ومنع وقطع، ووصل واستخدم وعزل، فكان صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك. واشتغل الأمير بيسرى باللهو والشرب، فانفرد الأتابك قلاوون بالمملكة وأخد فى تدبير أحواله وفرق قلاوون على المماليك واستمالهم، وقرب الصالحية وأعطاهم الإقطاعات، وكبر منهم جماعة كانوا قد نُسُوا وأهملوا، وسَّير عدّة منهم إلى البلاد الشامية واستنابهم فى القلاع، وتتبع ذراريهم وأخذ كثيرا منهم كانوا قد تصنفوا بالصنائع والحرف، فرتب طائفة منهم فى البحرية، وقرر لجماعة منهم جامكية، فعادت لهم السعادة، وقوى بهم جانبه وتمكنت أسبابه، ثم جمع قلاوون الأمراء فى العشرين من رجب وتحدث معهم فى صغر سن الملك العادل، وقال لهم: «قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل»، إلى أن اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه، وبعثوا به إلى الكرك وكانت مدّة ملكه مائة يوم، و لم يكن حظه من الملك سوى الاسم فقط، وجميع الأمور إلى الأتابك قلاوون.

* * *

---

(١) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض، أبو حفص، عز الدين الشامى المقدسى الحنبلى المعروف بابن عوض: قاضى القضاة بالديار المصرية. أفتى ودرس توفى بالقاهرة. انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٣٦ ومجلة الكتاب ٤/ ١٣٠١ والأعلام ٥/ ٥٢.

السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون
الألفى الصالحى النجمى العلائى

كان من جنس القبجاق، ومن قبيلة برج أغلى، فجلب إلى مصر وهو صغير، واشتراه الأمير علاء الدين آقسنقر الساقى العادلى أحد مماليك الملك العادل أبى بكر بن أيوب بألف دينار، فعرف من أجل ذلك بالألفى.

فلما مات أستاذه الأمير علاء الدين صار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عدة من المماليك، فعرفوا بالعلائية، وذلك فى سنة سبع وأربعين وستمائة. وجعل الملك الصالح قلاوون من جملة المماليك البحرية، ومازال حتى كانت وفاة الملك الصالح، ثم إقامة شجر الدر بعد الملك توران شاه بن الصالح. فلما قام المعز أيبك فى سلطنة مصر، وقتل الفارس أقطاى، خرج قلاوون من مصر فيمن خرج من البحرية. وتنقلت به الأحوال حتى صار أتابك العساكر بديار مصر فى سلطنة الملك العادل سلامش بن الظاهر، فى سابع شهر ربيع الآخر، وصار يذكر اسمه مع اسم العادل على المنابر وتصرف تصرف الملوك مدة ثلاثة أشهر، إلى أن وقع الاتفاق على خلع العادل وإقامة قلاوون.

فأجلس قلاوون على تخت الملك فى يوم الأحد العشرين من رجب، وحلف له الأمراء وأرباب الدولة، وتلقب بالملك المنصور، وأمر أن يكتب فى صدر المناشير والتواقيع والمكاتبات لفظ «الصالحى»، فكتب بذلك فى كل ما يكتب عن السلطان، وجعل عن يمين البسملة تحتها بشىء لطيف جدًا. وخرج البريد بالبشائر إلى الأعمال، وجهزت نسخة اليمين إلى دمشق وغيرها، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل، وأقيمت له الخطبة بأعمال مصر.

وأول ما بدأ به السلطان قلاوون إبطال زكاة الدولبة[١]، وكانت مما أجحفت بالرعية، وأبطل مقرر[٢] النصارى، وكان له منذ أحدث ثمان عشرة سنة، وانحطت الأسعار.

ووصل البريد إلى دمشق، وعليه لاجين الصغير والأمير ركن الدين بيبرس الجالق، فى ثامن عشريه، بعد يومين وسبع ساعات من مفارقة قلعة الجبل، ولم يعهد مثل هذا. فحلفت عساكر دمشق، وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة ثانى شعبان، وزينت المدينة سبعة أيام.

---

(١) زكاة الدولبة هذه كانت تفرض على كل مستخدم للدواليب أى العجلان.

(٢) قال المقريزى بأن هذا المقرر كان يجبى من أهل الذمة وهو دينار. انظر خطط المقريزى.

وأفرج السلطان عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى، وأقامه فى نيابة السلطنة بديار مصر، وأقر الصاحب برهان الدين السنجارى على وزارته، ولازم الجلوس بدار العدل فى يومى الإثنين والخميس.

وفى يوم السبت ثالث شعبان: ركب السلطان الملك المنصور قلاوون بشعار السلطنة وأبهة المملكة، وشق القاهرة وهى مزينة، فكان يومًا مشهودًا، لأنه أول ركوبه. وكتب السلطان إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر كتابا، بخط القاضى عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، ويخبره فيه بركوبه، وخاطبه بالمملوك. وأعفى تقى الدين التكريتى مما عليه من البواقى(١)، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق. وصام الناس شهر رمضان يوم الجمعة، على اختلاف شديد وشك كبير.

وفى ثالثه: استقر الأمير جمال الدين أقش الشريفى أمير جاندار، فى نيابة السلطنة بالصلت والبقاء.

وفى ثامنه: أفرج عن فتح الدين عبد الله بن القيسرانى وزير دمشق، بعد ما اعتقل بقلعة الجبل زيادة على ثلاثين يوما.

وفى عاشره: استقر الأمير فخر الدين الطنبا فى نيابة السلطنة بالقصر الذى بالقرب من أنطاكية، واستقر الأمير علم الدين سنجر المنصورى فى نيابة السلطنة ببلاطنس، واستقر الأمير فخر الدين أياز الملوحى فى ولاية الأعمال الغربية، عوضًا عن الأمير ناصر الدين بيليك بن المحسنى الجزرى.

وفى رابع عشره: استقر الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر، عوضًا عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم، بحكم رغبته عن ذلك وسعيه فى استقرار حسام الدين طرنطاى. وذلك أنه تمارض، فلما عزم السلطان على عيادته صنع له طبيبه شيئًا تهيج به وجهه واصفر، ودخل عليه السلطان فتألم له وسأله عن حوائجه، فأشار عليه أن يقدم مماليكه وأثنى عليهم، ثم قال: «وتعفينى من النيابة»، وأظهر العجز عنها. فلم يوافقه السلطان على ذلك، فأخذ يلح عليه، فقال له السلطان: «فأشر على بمن يصلح لها، فقال: طرنطاى»، فوافق قوله غرض السلطان.

---

(١) لفظ اصطلاحى كان يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج. انظر المواعظ والاعتبار.

وفى سابع عشره: قبض على الأمير نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، وعلى عدة من الناصرية.

وفى سادس عشريه: صرف الصاحب برهان الدين خضر السنجارى عن الوزارة، وقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسى، وأخذت خيولهما وخيول أتباعهما. وسجنا بدار الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وأحيط بسائر أتباعهما، وألزموا بمائتى ألف وستة وثلاثين ألفا.

وفى ثانى شوال: استقر القاضى فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء فى الوزارة، بعد ما حمل إليه الأمير علاء الدين كندغدى الشمسى الأستادار خلع الوزارة إلى بيته بقلعة الجبل، وامتنع امتناعًا شديدًا فلم يسمع منه وألبسه الخلع، وباشر عوضًا عن الصاحب برهان الدين السنجارى. وأفرج عن السنجارى، فلزم مدرسة أخيه بالقرافة.

وفيه استقر القاضى فتح الدين محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى قراءة البريد وتلقى الأجوبة، عوضًا عن ابن لقمان.

وفيه قبض على جماعة من الأمراء: منهم الأمير علاء الدين مغلطاى الدمشقى، وسيف الدين بكتمر الأمير آخورى قرطاى المنصورى، وصارم الدين الحاجب، واعتقلوا. وفوضت وزارة دمشق لتقى الدين توبه ناظر الخزانة، وخلع عليه الوزراء وتلقب بالصاحب.

وفى تاسعه: خرج الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى على عسكر من القاهرة إلى جهة الشوبك وكان قد بعث إليها الملك السعيد بركة قان بن الظاهر وهو بالكرك الأمير حسام الدين لاجين رأس نوبة الجمدارية السعيدية، وتغلب عليها، وبعث السعيد إلى النواب أيضًا يدعوهم إلى القيام معه، فسار الأمير بدر الدين الأيدمرى ونزل على الشوبك، وضايقها حتى تسلمها فى عاشر ذى القعدة، بعد ما فر منها الملك نجم الدين خضر بن الظاهر، ولحق بأخيه السعيد فى الكرك.

وقدمت رسل الفونش بكتب للملك السعيد وهدية، فقبض على هديتهم وكتبهم، وأعيدوا فى خامس عشر شوال.

وفى حادى عشريه: قبض على الملك الأوحد[....][١] وأخيه شهاب الدين محمد، ولدى الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب الكرك، واعتقلا.

وفيه استقر الأمير بدر الدين بيليك الطيارى فى نيابة السلطنة بقلعة صفد، ونقل الأمير علم الدين سنجر الكرجى إلى الولاية، ونقل الأمير سيف الدين بلبان الجوادى إلى خزندارية القلعة.

وفى ثالث عشريه: استقر شرف الدين أبو طالب بن علاء الدين[....][٢] بن النابلسى ناظر النظار بديار مصر، عوضًا عن نجم الدين بن الأصفونى فى الوجه القبلى، وعن تاج الدين بن السنهورى فى الوجه البحرى.

وفى رابع عشريه: صرف النصارى من ديوان الجيوش، وأقيم بدلهم كتاب مسلمون، فاستقر أمين الدين شاهد صندوق النفقات فى كتابة الجيش، عوضًا عن الأسعد إبراهيم النصرانى.

وفيه هدم دير الخندق[٣] خرج باب الفتوح من القاهرة، واجتمع لهدمه عالم كثير، وكان يومًا مشهودًا.

وفى خامس عشريه: وصل الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى ظاهر القاهرة، فركب السلطان إلى لقائه، وأنزله بمناظر الكبش، واهتم به اهتماما زائدا. ورسم بتضمين الخمر، فظهر شرب الخمر، وكثرت السكارى وزال الاعتراض عليهم، فلم يقم ذلك غير أيام قلائل حتى رسم فى سادس عشريه بإراقة الخمور وإبطال ضمانها، ومنع من التظاهر بشىء من المسكرات.

وفى يوم الجمعة سابع عشريه: كتبت تقاليد القضاة الأربعة، واستقر الحال على أن يكون قاضى القضاة صدر الدين عمر، ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى، هو الذى يولى فى أعمال مصر قضاة ينوبون عنه فى الأحكام، وأن قاضى القضاة معز الدين الحنفى، وقاضى القضاة المالكى، وقاضى القضاة عز الدين الحنبلى، يحكمون بالقاهرة ومصر خاصة، بغير نواب فى الأعمال، فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريها ، عمره القائد جوهر الصقلى عوضا عن دير هدمه فى القاهرة.

وأمر السلطان بإحضار الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى من دمشق تحت الحوطة، فلما وصل اعتقل بقلعة الجبل.

وفى ثانى ذى القعدة: ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، وهو أول ما ركب إليه. وفرق السلطان فيه مائة وبضعًا وثلاثين فرسًا بسروج مخلاة، وخلع على الأمراء خلعًا سنية.

وفى خامسه: حمل إلى المنصور صاحب حماة تقليد باستقراره بحماة، وسير السلطان له السناجق، وأربعة صناديق ذهبًا وفضة، وأربعة صناديق ثيابًا من الإسكندرية والعتابى، وعدة من الخيل، وخلع عليه وعلى من يلوذ به، وأذن له فى العود فسافر فى تاسعه. وخرج السلطان معه لوداعه، وأقام نهاره بناحية بهتيت[1]، ثم عاد إلى القلعة.

وفى حادى عشره: مات الملك السعيد بركة قان بن الظاهر بيبرس بالكرك، وكان قد ركب فى الميدان فتقنطر عن فرسه وهو يلعب بالكرة، فصدع وحم أيامًا، ومات وعمره نيف وعشرون سنة، فاتهم أنه سم.

وورد الخبر بوفاته فى العشرين منه، فعمل له السلطان عزاء بالإيوان من قلعة الجبل، وجلس كثيبًا ببياض، وقد حضر العلماء والقضاة والأمراء والوعاظ والأعيان، فكان يومًا مشهودًا.

وأقام القراء شهرًا يقرأون القرآن، وكتب إلى أعمال مصر والشام بأن يصلى عليه صلاة الغائب. وعندما مات السعيد أقام الأمير علاء الدين أيدغدى الحرانى نائب الكرك نجم الدين خضر بن الظاهر ملكا مكان أخيه بالكرك، ولقبه الملك المسعود. فتحكم عليه مماليكه وأساءوا التدبير، وفرقوا الأموال ليستجلبوا الناس، فصار إليهم من قطع رزقه، وحضر إليهم طائفة من البطالين فساروا إلى الصلت واستولوا عليها، وبعثوا إلى صرخد فلم يتمكنوا منها، وأتتهم العربان وتقربوا إليهم بالنصيحة، وأخذوا مالا كثيرا من المسعود ثم تسللوا عنه.

ولم يزل المسعود فى إنفاق المال حتى فنيت ذخائر الكرك التى كان الملك الظاهر قد أعدها لوقت الشدة، وبعث المسعود إلى الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق يستدعيه، فجرد السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك.

وفيه استقر شهاب الدين غازى بن الواسطى فى نظر حلب، وقرر له فى الشهر

---

(١) هى قرية من قرى مديرية القليوبية بضواحى القاهرة.

أربعمائة درهم وستة مكاكى قمح ومكوكان شعير، وأضيف معه جلال الدين بن الخطير فى الاستيفاء.

واستقر الطواشى افتخار الدين فى خزندارية حلب، وبدر الدين بكتوت القطزى شاد الدواوين بها، واستقر جمال الدين إبراهيم بن صصرى فى نظر دمشق، بعد وفاة علم الدين محمد بن العادلى. واستقر الأمير سيف الدين بلبان الطباخى فى نيابة حصن الأكراد.

وفى رابع ذى الحجة: استقر الأمير عماد الدين داود بن أبى القاسم فى ولاية نابلس.

وفى سابعه: سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم بالعساكر من القاهرة إلى جهة الكرك.

وفى تاسعه: أفرج عن الأمير غرس بن شاور من الاعتقال، واستقر فى ولاية الرملة.

وفى ثامن عشره: تسلم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى قلعة الشوبك من نواب الملك السعيد بالأمان، ووردت كتبه بذلك فى ثالث عشريه، فسيرت الخلع لمن بها، ودقت البشائر بقلعة الجبل، وكتب بالبشارة إلى الأقطار.

وفيه استقر مجد الدين عيسى بن الخشاب محتسبًا بالقاهرة.

وفيه استقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المنصورى، المعروف بلاجين الصغير، فى نيابة قلعة دمشق. فلما وصل إليها كما تقدم، وحلف سنقر الأشقر وخلع عليه، تحيل منه الأمير سنقر الأشقر نائب الشام، وجمع الأمراء وأوهمهم أن السلطان قد قتل وهو يشرب القمز، ودعاهم إلى طاعته وحلفهم على موافقته. وتلقب بالملك الكامل، وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة رابع عشريه.

وقبض على الأمير ركن الدين بيبرس العجمى المعروف بالجالق المنصورى لامتناعه من الحلف، وقبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب القلعة، وعلى الصاحب تقى الدين توبة التكريتى. وبعث الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى إلى المماليك، ليحلف أهلها ويقيم فى القلاع من يختاره. وكتب إلى مهنا وإلى أحمد بن حجى يعلمهما، فقدما عليه واستوزر مجد الدين إسماعيل بن كسيرات الموصلى، وأقر فى وزارة الصحبة عز الدين أحمد بن ميسر المصرى.

وانتقل بأهله من دار السعادة التى يسكنها النواب إلى القلعة، وأمر بغلق باب النصر، وفتح باب سر القلعة المقابل لدار السعادة بجوار باب النصر. فتطير الناس من ذلك،

وقالوا: «أَغْلَقَ باب النصر، وانتقل من دار السعادة، واستوزر ابن كسيرات؟، فهذا أمر لا يتم»، وكان كذلك.

وكان وفاء النيل بمصر ستة عشر ذراعًا، فى ثالث ربيع الآخر. وحج بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقش الباخلى، وسار الركب فى سابع عشر شوال، وقاضيه فخر الدين عثمان ابن بنت أبى سعيد.

وفيها ولى نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى ابن سنى الدولة قضاء حلب، عوضًا عن شهاب الدين محمد بن أحمد الخوى.

وفيها أنعم السلطان على أربعين من مماليكه بإمريات: منهم كتبغا، وسنجر الشجاعى، وأيبك الخازندار، وقبجق، ولاجين، وبلبان الطباخى، وكراى، وسنقر جركس، وأقوش الموصلى، وطقصوا، وأزدمر العلائى، وبهادر أص رأس نوبة، وبكتوت بكجا، وتغريل السلحدار، وسنقر السلحدار. وأنعم على جماعة من عدته أيضًا بإمريات: منهم كشكل، وأيدمر الجناحى، وقيران الشهابى، ومحمد الكورانى، وإبراهيم الجاكى وإخواته. وأنعم على عدة من المماليك الظاهرية بإمريات: منهم الحاج بهادر، وسنجر المسرورى.

وفيها ترك السلطان ركوبه مدة، وسبب ذلك تغير قلوب الصالحية والظاهرية ومكاتبتهم سنقر الأشقر. فلما بلغ السلطان هذا عنهم خشى من اغتيالهم إياه، وأخذ فى التدبير عليهم، فكثرت قالة العامة، وجهروا بقولهم فى الليل تحت القلعة بأصوات عالية «يابو عيشه اركب وكن طيب، يابوعيشه» وصاروا يلطخون رنك[1] السلطان فى الليل بالقذر، فيتغافل عنهم، وهو يسمع صياحهم فى الليل ويبلغه فعلهم برنكه. وزادوا حتى شافهوا أمراءه بالسب، وهم يعرضون عنهم.

وفيها ظهر بالقاهرة ومصر رجلان من بزدارية الأمير جمال الدين أقوش الملقب بهيطلية، عرف أحدهما بالجاموس لسواد لونه، وعرف الآخر بالمحوجب. وأفسدا فسادًا كثيرًا، وشغفا بشرب الخمر، وصارا يكتبان الأوراق للأعيان بطلب شىء من إحسانهم ويوصلونها إليهم، فإن لم يبعث لهم المكتوب إليه بشىء، وإلا أتوه ليلا. وشنع أمرهما، حتى إنهما ليمشيان فى مواضع النزه وسيوفهما على أكتافهما فلا يجسر أحد عليهما. ورتب لهما الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة جماعة لتقبض عليهما، فكانا يحملان فى مائة رجل، ويحوط عنهم. وهجما القاهرة فى الليل، وأخذا والى الطوف وعلقاه بذراعه، وقطعا أنف المقدم وأذنيه، وتتبعا كل من أرصدة الوالى لأخذهما.

---

(١) الرنك ـ لفظ فارسى معناه اللون.

فذعر الناس منهما، إلى أن كانا ليلة ببستان فى المطرية وخرجا منه يريدان القاهرة، فصدفهما مملوك الوالى وهو سائر إلى بلبيس ومعه غلامه، وقد عرفهما. فضرب بسهمه وأصاب رجلى أحدهما فسقط، وهم الآخر بصعود حائط البساتين فوقع و انكسرت رجله، ووقع الصوت فى البستان. فنزل غلام المملوك وكتف الجاموس، وأخرج الناس المحوجب من البستان، وساروا بهما مربوطين إلى القاهرة. فطلع بهما الوالى إلى السلطان ومعه مملوكه، وكان زريا قصيرًا لا يؤبه إليه، فعجب السلطان من ذلك، وسألهما على لسان الحاجب: «كيف مسككما هذا بمفرده وأنتما لا تهابان رجالا كثيرة؟» فقالا: «إذا نزل القضاء قلت الحيلة، وا لله لقد كنا إذا رأينا عشرين فارسًا أو مائة راجل خرجنا عنهم سالمين بعدما ننال منهم، فلما فرغ الأجل عندما وقع نظرنا على هذا ارتعدت فرائصنا حتى ما قدرنا على الحركة» فرسم بتسميرهما فسمرا عند باب زويلة، وشهرا عدة أيام، وخلع على المملوك وأنعم عليه بألف درهم وإقطاع فى الحلقة، وهو أول من أخذ من مماليك الأمراء إقطاعا فى الحلقة.

وفيها خلع متملك تونس الأمير أبو زكريا يحيى الواثق بن أبى عبد ا لله محمد المستنصر بن السعيد أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص فى غرة ربيع الآخر، فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، وقام بعده عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد[1].

* * *

ومات فى هذه السنة

الأمير أقش الشهابى أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير الطنبا فخر الدين الحمصى، فى سادس عشر رمضان.

ومات علم الدين إسحاق بن العادلى ناظر دمشق، فى خامس عشرى شوال.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشيخ، فى ذى الحجة.

---

(١) أبو إسحاق (٦٨٢هـ=١٢٨٣م) إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد الحفصى المهنتاتى، أبو إسحاق: أمير المؤمنين بتونس وبلاد إفريقية. كان قبل تمليكه مقيما فى الأندلس فبلغه موت أخيه المستنصر (محمد بن يحيى) أمير تونس وما يليها، فركب البحر ولحق بتلمسان فامتلك بجاية ثم تغلب على حامية تونس وكانت قد بايعت ليحيى بن المستنصر، ولقب بالواثق با لله، فلما علم باستفحال أمر إبراهيم خلع نفسه، فدخل إبراهيم تونس وتمت له البيعة سنة ٦٧٨هـ. انظر الخلاصة النقية ٦٥، وابن خلدون ٢٩٧/٦ الأعلام ٨٠/١.

ومات الأمير ناصر الدين بلبان النوفلى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير علم الدين بلبان المشرفى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير سيف الدين جمق أحد الطبلخاناه.

ومات شرف الدين أبو بكر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد عبد السلام ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الحموى الجوينى، شيخ الشيوخ بدمشق، فى ثامن شوال، دفن بقاسيون.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمى، خال الملك السعيد بن الظاهر، فى تاسع ربيع الأول بدمشق.

ومات الأمير نور الدين على ابن الأمير عز الدين مجلى الهكارى نائب حلب بها، عن سبع وتسعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة محيى الدين أبو الصلاح عبد الله بن شرف الدين أبى المكارم محمد بن عين الدولة الشافعى، فى خامس رجب وهو مصروف، وقد أناف على ثمانين سنة.

* * *

سنة تسع وسبعين وستمائة

في يوم الخميس أول المحرم: ركب الملك الكامل سنقر الأشقر بشعار السلطنة من قلعة دمشق إلى الميدان الأخضر، وبين يديه الأمراء مشاة بالخلع، ثم عاد.

وفى يوم الجمعة ثانيه: خطب له على منبر الجامع بدمشق، وكَتَب إلى الأمير عز الدين الأفرم وهو بالكرك يعتذر عن قيامه، وأتبع الكتاب بعسكر. فلما ورد كتابه جهزه الأفرم إلى السلطان بمصر، فكتب السلطان عند وروده إلى الأشقر يقبح فعله، وكتب أمراء مصر إليه بذلك، ويحثونه على الإذعان وترك الفتنة. وسار بالكتب بلبان الكريمى، فوصل دمشق فى ثامنه، وخرج سنقر الأشقر إلى لقائه وأكرمه، ولم يرجع عما هو فيه.

واستقر الأفرم بغزة، فوافاه عسكر سنقر الأشقر بها، فاندفع من قدامهم إلى الرمل، وملك العسكر غزة واطمأنوا، فطرقهم الأفرم وأوقع بهم فانهزموا إلى الرملة، وأسر منهم الأمير بدر الدين كنجك الخوارزمى، الأمير بدر الدين بيليك الحلبى، وبهاء الدين يمك الناصرى، وناصر الدين باشقرد الناصرى، وعلم الدين سنجر التكريتى، وسنجر البدرى، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون، وغنم منهم مالا وخيولا وأثقالا كثيرة. وبعث الأفرم بالبشارة على يد ناصر الدين محمد ولد الأمير بكتاش الفخرى، فقدم فى خامس عشره بالأمراء المأسورين، فعفا السلطان عنهم وأحسن إليهم، وأعادهم على أخبازهم وجعلهم فى العسكر.

وفى رابع عشره: مات الأمير علاء الدين كندغدى الحبيشى من ضربة بسكين، ضربه بها سنقر الغتمى الأشقر الأستادار، وقبض عليه وسمر على باب زويلة.

ولما بلغ سنقر الأشقر كسرة عسكره، جمع وحشد وبعث إلى الأمراء بغزة يعدهم ويستميلهم، فقدم عليه شهاب الدين أحمد بن حجى أمير العربان بالبلاد القبلية، والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير العربان بالبلاد الشرقية والشمالية، وأتته النجدات من حلب وحماة ومن جبال بعلبك، واستخدم عدة كبيرة وبذل فيهم المال، وكثرت عنده بدمشق الأرجاف أن عسكر مصر قد سار إليه، فاشتد استعداده. وجرد السلطان من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، ومعه الأمير بدر الدين الأيدمرى

والأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان فى أربعة آلاف فارس. فسار إلى غزة، واجتمعوا مع الأمير عز الدين الأفرم والأمير بدر الدين الأيدمرى، وساروا جميعًا والمقدم عليهم علم الدين سنجر الحلبى، فرحل عسكر سنقر الأشقر من الرملة إلى دمشق. فخرج سنقر الأشقر فى ثانى عشر صفر بعساكره وخيم بالجسورة خارج دمشق، ونزل عسكر مصر الكسوة والعقوة فى يوم الإثنين سابع عشره بالجسورة. فوقعت الحرب فى تاسع عشره، وثبت سنقر الأشقر وأبلى بلاء عظيما، ثم خامر من عسكره طائفة كبيرة إلى عسكر مصر، وانهزم كثير منهم، ورجع عسكر حلب وحماة عنه إلى بلادهم، وتخاذل عنه عسكر دمشق، وحمل عليه الأمير سنجر الحلبى فانهزم منه. وهرب سنقر الأشقر وتبعه من خواصه الأمير عز الدين أزدمر الحاج، والأمير علاء الدين السبكى، والأمير شمس الدين قراسنقر المعزى، والأمير سيف الدين بلبان الحبيشى، وساروا معه هم والأمير عيسى بن مهنا إلى برية الرحبة وأقاموا بها أياما، وتوجهوا إلى الرحبة، وكان سنقر قبل ذلك قد بعث حرمه وأمواله إلى صهيون. وأسر يومئذ أحد عشر أميرًا: منهم بدر الدين سنجق البغدادى، وبدر الدين بيليك الحلبى، وعلم الدين سنجر التكريتى، وبهاء الدين تملك الناصرى، وباشقرد الناصرى، ونوديه الناصرى.

ولما انهزم سنقر الأشقر تفرق عسكره فى سائر الجهات، وغلقت أبواب دمشق، وزحف عسكر مصر إليها وأحاطوا بها، ونزلوا فى الخيام ولم يتعرضوا لشىء. وأقام الأمير سنجر الحلبى بالقصر الأبلق فى الميدان الأخضر خارج دمشق، فلما أصبح أَمَرَ فنودى بالأمان. وكان بقلعة دمشق الأمير سيف الدين الجكندار، وهو متولها من جهة سنقر الأشقر، فأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق، والأمير حسام الدين لاجين المنصورى، والصاحب تقى الدين توبه، وحلفهم ألا يؤذوه إذا أطلقهم. ثم فتح باب القلعة، ونزل لاجين إلى باب الفرج فوقف عليه، ومنع العسكر من دخول المدينة.

ونودى بإطابة قلوب الناس وزينة البلد، فوقف البشائر بالقلعة. وقدم كثير ممن كان مع سنقر الأشقر فأمنهم الأميرسنجر الحلبى، وحضر أحمد بن حجى بأمان. وقتل فى هذه الوقعة الأمير ناصر الدين محمد بن الأتابك وكان شجاعًا، ونور الدين على بن الطورى، وكان شجاعًا، وثمانية من جند دمشق، واثنان من عسكر مصر، وجرح الأمير بكتاش الفخرى[... [1]] وكتب إلى السلطان بذلك على يد ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، فلما قدم على السلطان فى أول ربيع الأول أنعم عليه بإمرة عشرة، وهو أول من تأمر من أولاد الأمراء فى الدولة المنصورية.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

واستقر فى نيابة الأمير بدر الدين بكتوت العلائى، واستقر الوزير تقى الدين توبه على حاله، واستقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى فى نيابة حلب، بعد الأمير جمال الدين أقش الشمسى نائب حلب.

وفى خامس عشرى أبيب وهو فى صفر: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعًا.

وفى رابع عشرى صفر: سار الأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان فى عدة من الأمراء ومعه ثلاثة آلاف فارس من دمشق، فى طلب شمس الدين سنقر الأشقر، وتبعهم فى أول ربيع الأول الأمير عز الدين الأفرم على عسكر آخر. وكان سنقر الأشقر قد أقام عند الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، ثم فارقه وسار إلى الرحبة، وقد تركه كثير ممن كان معه، فامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبى نائب القلعة بالرحبة من تسليمها إلى سنقر الأشقر. فلما أيس منه سنقر كتب إلى الملك أبغا بن هولاكو يحثه على الحضور لأخذ البلاد الشامية، وكتب معه أيضًا الأمير عيسى بمثل ذلك[1]. فبلغهما خبر توجه العساكر من دمشق، فسار سنقر فى البرية إلى صهيون فتحصن بها، ولحق به الأمير عز الدين الحاج أزدمر فى طائفة، فبعثه إلى قلعة شيزر فأقام بها، وبلغ ذلك العساكر المتوجهة من دمشق فنازلت شيزر.

وفى هذه المدة أوقعت الحوطة بدمشق على الصاحب مجد الدين إسماعيل بن كسيرات وزير سنقر الأشقر، وعلى جمال الدين بن صصرى ناظر دواوين دمشق، واعتقلا على مال ألزما به.

وضرب الزين وكيل بيت المال، ورسم على قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان، واتهم بأنه أفتى سنقر الأشقر بجواز قتال السلطان، وورد كتاب السلطان من مصر بشنقه.

ثم ورد بريد من مصر إلى الشام بأمان أهل دمشق، فقام فى حق قاضى القضاة شمس الدين الأمير علم الدين الحلبى، وقال: «قد ورد كتاب السلطان بأمان من سمعه من أهل دمشق، وقد سمعه ابن خلكان فهو آمن من القتل».

وصرف ابن خلكان عن قضاة دمشق فى حادى عشرى من صفر، وعرض القضاء على قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن

---

(١) انظر بيبرس المنصورى زبدة الفكر ٩/١٠٤ والنويرى نهاية الإرب ٢٩/٢٧٠.

الصائغ، فامتنع من ذلك، ففوض لنجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن أحمد بن يحيى ابن سنى الدولة.

واعتقل ابن خلكان فى رابع عشريه بالخانقاه النجيبية، ثم أفرج عنه فى تاسع ربيع الأولى بكتاب السلطان. فثار عليه ابن سني الدولة، وألزمه أن يخرج من المدرسة العادلية، ورسم عليه في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول حتى ينتقل عنها، وشدد عليه بسبب ذلك ولم يمهل، فشرع ابن خلكان فى نقل كتبه وأمتعته فى الرابعة من النهار، وإذا بالطلب قد أتاه فظن أنه من جهة الاستحثاث فى النقلة، فأراهم الاهتمام بذلك، فقيل له قد حضر البريد من مصر، فخاف من حلول البلاء به، وتوجه إلى نائب دمشق، فإذا بكتاب السلطان يتضمن إنكار ولاية ابن سنى لما به من الصَّمَم، ويقول: «إنا قد عفونا عن الخاص والعام، وما يليق أن نخص بالسخط أحدًا على انفراده، وغير خاف ما يتعلق بحقوق القاضى شمس الدين بن خلكان وقديم صحبته، وأنه من بقايا الدولة الصالحية، وقد رسمنا بإعادته إلى ما كان عليه من القضاء»، فخلع عليه الأمير علم الدين الحلبى، وركب ابن خلكان من ساعته إلى المدرسة العادلية، ونزلها وقت الظهر وباشر الحكم، فعدّ ذلك من الفرج بعد الشدة، وكانت مدة ابن سنى الدولة عشرين يومًا.

وفى حادى عشر شهر ربيع الأول: فوضت نيابة دمشق إلى الأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصورى، وقد كتب تقليده وتوجه به بكتوت العلائى، وولى الأمير بدر الدين بكتوت العلائى شد الدواوين بدمشق، والصاحب تقى الدين توبة التكريتى وزارة الشام، وأُقْطِع الأمير فخر الدين عثمان بن مانعن بن هبة، والأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر، إقطاع الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، واستقرا فى إمرة آل فضل وآل على على أن ينزل فخر الدين من الرَّسْتَن إلى المَلُّوْحة، وتكون منزلة شمس الدين من الملوحة إلى الفرات، وأعطى أيضًا الأمير حسام الدين دراج إمرة آل عامر، وتكون منزلته من الرستن إلى العقابيات.

وتوجه شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخاص تركى من القاهرة إلى الملك منكوتمر فى البحر، ومعهما كتاب السلطان إلى الملك غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقى. وتوجه الأمير ناصر الدين بن المحسنى الجزرى والبطرك أنباسيوس، فى الرسالة إلى الملك الأشكرى.

وفى ثالث ربيع الآخر: ورد رسول صاحب تونس بكتابه.

وفى سابعه: قدم الأمير عز الدين أزدمر العلائى إلى قلعة الجبل، فأنعم عليه بخبز

الأمير قيران البندقدارى، المنتقل إليه عن علم الدين سنجر الدواداری.

وفى النصف منه: قدم الأمير بدر الدين بكتوت ابن الأتابك.

وفى ثامن عشريه: كسر الخليج الذى بظاهر المقس، وورد المفرد فى ثالث عشريه.

وفى سادس عشريه وهو أول أيام النسىء: وفى النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان إلى القياس وخلق العمود، ثم ركب فى الحراقة وكسر الخليج الكبير، فكان يوما مشهودًا.

ونودى فى نهاره إصبعان من ستة عشر ذراعا، وكتبت البشائر بالوفاء على العادة.

وفيه صرف الأمير علم الدين أقش البدرى والى قلعة الشوبك، وقرر عوضه الأمير علم الدين سنجر الإيغانى.

وفى سابع عشريه: مات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار[1] والى مصر، وأحيط بتركته، وقرر عوضه الأمير عز الدين أيبك الفخرى.

وفى أول جمادى الأولى: كان يوم النوروز بمصر.

وفى تاسعه: وصل الأمير سيف الدين الحبيشى إلى قلعة الجبل.

وفى خامس عشريه: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاثة وعشرين إصبعًا من سبعة عشر ذراعا، وأعطى الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى تكملة مائة فارس، ورسم بإيقاع الحوطة على تقى الدين توبة وزير الشام: فقبض على موجوده وسجن.

وفى ثالث جمادى الآخرة: وصل الأمير علم الدين سنجر الحلبى من بلاد الشام، فركب السلطان إلى لقائه وخلع عليه وعلى من كان معه من الأمراء، وأنعم على كل منهم بألف دينار.

وفى سادسه: خلع على الأمير سيف الدين بلبان الرومى، وجعل دوادار العلامة لا غير، مع القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر.

وورد الخبر بمسير التتار إلى البلاد الشامية، وأنهم قد افترقوا ثلاث فرق: فرقة سارت من جهة بلاد الروم ومقدمهم صمغار وتنجى وطرنجى، وفرقة من جهة الشرق ومقدمهم بيدو بن طوغاى بن هولاكو وصحبته صاحب ماردين، وفرقة فيها معظم العسكر وشرار المغل منكوتمر بن هولاكو. فخرج من دمشق الأمير ركن الدين إياجى

---

(١) لفظ لوظيفة معروفة فى الأنظمة الحكومية.

على عسكر، وانضم مع العسكر المحاصر لشيزر، وخرج من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش النجمى على عسكر. واجتمع الجميع على حماة، وراسلوا الأمير سنقر الأشقر فى إخماد الفتنة والاجتماع على قتال التتر، فبعث إليهم عسكرا من صهيون أقام حول صهيون، ونزل الحاج أذدمر من شيزر وخيم تحت قلعتها.

ووقعت الجفلة فى البلاد الحلبية، فسار منها خلق كثير إلى دمشق فى النصف من جمادى الآخرة، وكثر الاضطراب فى دمشق وأعمالها، وعزم الناس على تركها والمسير إلى ديار مصر.

فلما كان فى حادى عشريه:هجمت طوائف التتار على أعمال حلب، وملكوا عين تاب وبغراص ودربساك، ودخلوا حلب وقد خلت من العسكر، فقتلوا ونهبوا وسبوا، وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء. وأقاموا بها يومين يكثرون الفساد بحيث لم يسلم منهم إلا من اختفى فى المغائر والأسرية، ثم رحلوا عنها فى يوم الأحد ثالث عشريه عائدين إلى بلادهم بما أخذوه، وتفرقوا فى مشاتيهم.

وفى يوم الإثنين سابع عشريه: أركب السلطان ولده علاء الدين أبا الفتح عليا بشعار السلطنة، ولقبه بالملك الصالح وجعله ولى عهده، فشق القاهرة من باب النصر إلى قلعة الجبل. وكتب له تقليد بخط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر من إنشائه، أجاد فيه وأبلغ، وخطب للملك الصالح بعد ذلك على منابر مصر كلها بعد والده، وكتب إلى البلاد الشامية بذلك.

وفى آخره: عزل السلطان الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان عن وزارة الديار المصرية، فعاد إلى ديوان الإنشاء، وكتب مع كتاب الإنشاء، وتصرف بأمر صاحب ديوان الإنشاء، وفوضت الوزارة بعده إلى الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى.

وتوجه السلطان من مصر بالعساكر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتار، بعد ما أنفق فى كل أمير ألف دينار، وفى كل جندى خمسمائة درهم، واستخلف على مصر بقلعة الجبل ابنه الملك الصالح عليا. فسار السلطان إلى غزة، وقدم عليه بغزة من كان فى البلاد الشامية من عساكر مصر، وقدم عليه أيضًا طائفة من أمراء سنقر الأشقر فأكرمهم. ولم ينزل السلطان بغزة إلى عاشر شعبان، فرحل منها عائدًا إلى مصر، بعد أن بلغه رجوع التتر، وكانت غيبته خمسين يومًا. وولى الأمير بدر الدين درباس ولاية جينين ومرج بنى عامر.

وفيها ولى الأمير نجم الدين إبراهيم بن نور الدين على بن السديد ولاية مصر، عوضًا عن الأمير عز الدين أيبك الفخرى. وسفر الأمير سيف الدين باسطى نائبًا بقلعة صرخد، والأمير عز الدين أيبك الفخرى واليًا بالقلعة المذكورة.

وفى يوم السبت سادس عشرى شهر رمضان: صرف قاضى القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عن قضاء القضاة بديار مصر، وكان قد سلك فى ولايته طريق الخير والصلاح، وتحرى الحق والعدل وتصلب فى الأحكام، واستقر عوضًا عنه قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الحموى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بكتاش النجمى إلى حمص بجردا، وخرج الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى لحفظ الساحل من الفرنج. وكتب السلطان إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد بغزو الفرنج بالمرقب، لمساعدتهم التتار عند وصولهم حلب، فجمع التركمان وغيرهم، وحمل المجانيق والآلات، ونازل المرقب، فانهزم المسلمون ونهبهم الفرنج، وعدم من المسلمين مقدار مائتى فارس وراجل. فكبر ذلك على السلطان، وتحرك للسفر وخرج فى أول ذى الحجة، واستخلف ابنه الملك الصالح، وخيم بمسجد تبر. ورتب السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى. فى استخراج الأموال وتدبير أمور المملكة، وجعله فى خدمة الملك الصالح مع الوزير برهان الدين السنجارى. وأقام القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر بالقاهرة لقراءة البريد وتنفيذ الأشغال، وأقر فى نيابة السلطنة بديار مصر الأمير زين الدين كتبغا المنصورى.

وقدم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من العراق، وترامى على السلطان، فعفا عنه وأكرمه، وركب إلى لقائه وأحسن إليه.

* * *

ومات فى هذه السنة

الشيخ الصالح المعمر طير الجنة، ودفن بقرافة مصر.

ومات الأديب الشاعر جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد ابن على الجزار، فى ثانى عشر شوال.

ومات الأمير الكبير جمال الدين أقوش الشمسى نائب حلب بها، فى خامس المحرم، وهو الذى قتل كتبغا نوين مقدم التتار يوم عين جالوت، وهو الذى أمسك الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى، وولى نيابة حلب بعده علم الدين سنجر الباشقردى.

ومات الأمير على بن عمر الطورى، وقد أناف على تسعين سنة، وكان أحد أبطال المسلمين، وله شهرة عند الفرنج، وتنقل فى ولايات عديدة.

ومات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار والى مصر فى ربيع الأول، بعد ما ولى مصر عدة سنين، وكان خبيرًا عظيم السمن.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن النن البغدادى الشافعى بالإسكندرية، عن ثمانين سنة.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن بركة خان خال الملك السعيد، وهو بدمشق.

* * *

سنة ثمانين وستمائة

فيها سار السلطان قلاوون من ظاهر القاهرة، فأتته رسل الفرنج وهو بمنزلة الروحا فى تقرير الهدنة، فتقررت بين مقدم بيت الإسبتار وسائر الإسبتارية بعكا، وبين السلطان وولده الملك الصالح لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم السبت ثانى عشرى المحرم.

وتقررت الهدنة أيضًا مع متملك طرابلس الشام بيتند بن بيمند لمدة عشر سنين، أولها سابع عشرى شهر ربيع الأولى. وعادت الرسل، وتوجه الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب لتحليف الفرنج ومقدم الإسبتار على ذلك، فخلفهم.[1]

(١) ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج على ما نذكر. وفيها تقررت الهدنة بين السلطان وولده معا، وبين مقدم بيت الإسبتار وجميع الإخوة الإسبتارية لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات، أول ذلك يوم السبت ثانى عشر محرم سنة ثمانين وستمائة، الموافق الثالث من شهر إيار سنة ألف وخمسمائة واثنتين وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى، على جميع بلاد السلطان وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع، والمدن والحصون والبلاد والقرى، والمزارع والأراضى والموانى والبحور، والمراسى والثغور، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة، وعلى التجار والمسافرين فى البر والبحر والسهل والجبل، فى الليل والنهار، وعلى قلعة المرقب وربض المرقب بحقوقه وحدوده. وتقررت الهدنة مع متملك طرابلس بيمند بن بيتمند، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات يتبع بعضها بعضًا، أولها يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة. الموافق للخامس من تموز سنة ألف وخمسمائة واثنين وتسعين للإسكندر، وآخرها سابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة النبوية. وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح أعز الله نصرهما، قريبها وبعيدها، سهلها وجبلها، غورها ونجدها، قديمها ومستجدها، وما هو مجاور لطرابلس ومحدد لها من المملكة البعلبكية جميعها، وجبالها وقراها الرحلية والجبلية، وجبال الضنيين والغضبين وما هو من جملتها وحقوقها، وعلى الفتوحات المستجدة: وهى حصن الأكراد وبلاده وأفليس وبلادها، والقليعات وبلادها، وصافيتا وبلادها ، وميعار وبلادها، وأطليعا وبلادها، وحصن عكا وبلاده، ومراقية ومدينتها وبلادها، ومناصفاتها: وهى بلاد الكمة وجميع بلاد هذه الجهات التى ذكرناها، ومناصفات المرقب التى دخلت فى الصلح مع بيت الإسبتار وبلده ومدينته وبلادها، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى، وبلاد الست وبلاطنس وبلادها، وقرفيص وبلادها، وجبلة وبلاد اللاذقية وأنطاكية وبلادها، والسويدية وميناؤها، وحصن بغراس وبلاده، وحصن دير كوش وبلاده وشقيف تاميس وبلاده، وكفر دنين وبلاده، والدربساك وبلاده، وثغرى الشغر وبكاس وبلادهما، والقصير وبلاده، وصهيون وبلادها، وبرزية=

وفيه بلغ الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى أن الأمير سيف الدين كوندك الظاهرى السعيدى قد وافق عدة من الظاهرية والسعيدية على الفتك بالسلطان عند المخاضة بنهر الشريعة، بعد الرحيل من بيسان، فأعلم السلطان بذلك. واتفق ورود كتب من عكا تتضمن أن السلطان يحترز على نفسه، فإن عنده جماعة من الأمراء قد اتفقوا على قتله، وكاتبوا الفرنج بأنهم لا يصالحون، فإن الأمر لا يبطئ، فاحترز السلطان على نفسه.

وهم كوندك بأن يغتال السلطان وهو بمنزلة الروحا، فوجده قد تحفظ واستعد. ثم إن السلطان رحل من الروحا، ولاطف الأمر حتى اجتمع الأمراء عنده فى حمراء

=وأعمالها، والقلعية وأعمالها، وعيدوا وأعمالها، ومصياف وبلادهما، وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع: وهى القدموس والكهف والمينقة والخوابى والرصافى والقليعة والعليقة، والمملكة الحلبية وحصونها ومدنها وبلادها، وشيزر وأبو قبيس وبلادها، والمملكة الحموية وبلادها، والمملكة الحمصية وبلادها، وجميع ما لمولانا السلطان من ممالك وحصون وبلاده، وقلاع وثغور وأبراج، وموان وسواحل وبرور وأنهار، وبساتين ومصايد وملاحات، وسهل وجبل وعامر ودائر، وجميع الأمطار مصريها وشاميها وساحليها وحجازيها وغربها وشرقها وما سيفتحه الله على يده ويد ولده ويد عساكره وجنودهما من الممالك والحصون وعلى بلاد الإبرنس: وهى طرابلس وما هو داخل بها ومحسوب منها، وجميل وبلادها، ومدينة البثرن وأعمالها، وصنم جبيل وبلاده وعرقا وبلادها المعينة فى الدهنة وعدتها إحدى وخمسون ناحية، وما هو للخيالة والكنائس وعدتها أحد وعشرون بلدًا، وما هو للفارس رحار دلالولاى من قبلى طرابلس يكون مناصفة، وعلى أن يستقر برج اللازقية وما تجدد فيه الخاص الإبرنس. ويستقر النواب من الجهتين بمدينة اللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية بيبرس. وكذلك فى رعايا مدينة اللاذقية وبلادها، على ما تضمنته الهدنة الظاهرية بيبرس، وعلى أن يكون على جسر أرتوسية من غلمان السلطان لحفظ الحقوق والغلات ستة عشر نفرًا: وهم المشد وغلامه، والشاهد وغلامه، والكاتب وغلامه، وعشرة أنفار رحالة فى خدمة المشد، ويكون لهم فى الجسر بيوت يسكنون فيها على العادة، ولا يحصل منهم مضرة لرعية الإبرنس، وأن يمنعوا ما يجب منعه من الممنوعات، وألا يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها، وما يعبر من غلالها ومن أراضيها، مما يستغل منها ومن بلادها على ما تشهد به الهدنة، من الصيفى والشتوى، وغير ذلك مما يتعلق بعرقا وبلادها، ولا يعارضهم المشد فيه وما خلا ذلك مما يعبر من بلاد مولانا السلطان تؤخذ عليه الحقوق ، ولا تدخل إلى طرابلس غلة محمية باسم الإبرنس ولا أصحابه إلا وتؤخذ الحقوق عليها، وعلى أن الإبرنس لا يستجد خارج مدينته، ولا فى البلاد التى وقعت الهدنة عليها بناء يمنع ويدفع، وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة من الأخرى. وكذلك مولانا السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل مجاورة للبلاد التى وقعت الهدنة عليها، ولا ينتقض ذلك بموت أحد من الجهتين ولا بتغيره، ولا برجل غريبة من الفرنج أو التتار بل تكون هذه الهدنة باقية، ومتى جاءت رجل غريبة يداريهم عن بلاده وعن نفسه، ولا يدخل فى مشورة تؤدى إلى اعتماد سوء أو مكروه ولا يحسن لأحد من أعداء مولانا السلطان، ولا يتفق عليه برمز ولا خط، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة. فتقرر الحال على ذلك، وعادت رسل كل جهة إليها.

بيسان، فونج كوندك ومن معه وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج، فلم ينكروا وسألوا العفو.

فأمر السلطان بهم فقبض عليهم وهم: كوندك، وأيدغمش الحكيمى، وبيبرس الرشيدى، وساطلمش السلاح دار الظاهرى، وعلى ثلاثة وثلاثين من الأمراء البرانية[١] والمماليك الجوانية، وفر عشرة أمراء ومائتا فارس فأخذوا من بعلبك وصرخد، وأخذ كوندك الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة، ومضى به إلى بحيرة طبرية، وضرب عنقه ثم غرقه بها هو والبقية. فركب الأمير سيف الدين أيتامش السعيدى والأمير سيف الدين بلبان الهارونى، فى نحو ثلاثمائة من البحرية الظاهرية والتتار الوافدية، وتوجهوا إلى سنقر الأشقر بصهيون. فخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى والأمير ركن الدين طقصوا الناصرى فى أثرهم، فلم يدركهم، وأوقعت الحوطة على موجود من قتل ومن هرب.

وسار السلطان إلى دمشق فدخلها فى تاسع عشر المحرم، وهو أول قدومه إليها فى سلطنته، فكان يومًا مشهودًا، وقد اجتمع له عسكر عدته خمسون ألفًا.

وفى ثانى عشرى المحرم: صرف ابن خلجان عن قضاء دمشق، وأعيد عز الدين محمد بن الصائغ. واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق نجم الدين أحمد بن شمس الدين عبد الرحمن الحنبلى، وكان قضاء الحنابلة قد شغر من دمشق منذ عزل نفسه قاضى القضاة شمس الدين، فاستقر ابنه نجم الدين بتعيين والده.

وفى عاشر المحرم: مات قاضى القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى بمصر، فاستقر عوضه فى نظر التربة الصالحية بخط بين القصرين الطواشى حسام الدين بلال المغيثى اللالا.

واستقر فى نظر المشهد الحسينى بالقاهرة القاضى برهان الدين[... [٢]] بن الطرائفى كاتب الإنشاء، فورد مرسوم السلطان من دمشق بولاية الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى الأستادار نظر المشهد الحسينى، وولاية القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز المدرسة الصالحية والتربة الصالحية عوضًا عن أخيه، مضافًا لما بيده من نظر الخزائن المعمورة، وأن يكتفى بمعلوم المدرسة والتربة والمناصب التى كانت بيد أخيه، وبتوفر معلومه عن نظر الخزائن.

---

(١) يطلق هذا اللفظ على المماليك والأمراء الذين ليسوا من الخاصكية.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى ربيع الأول: صرف الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى عن الوزارة بمصر، وقبض عليه وعلى ولده واعتقلا بقلعة الجبل.

وفى صفر: جرد السلطان من دمشق الأمير عز الدين أيبك الأفرم والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى فى عدة من الأجناد، فساروا إلى شيزر، فبعث سنقر الأشقر يطلب الصلح على أن يسلم شيزر، ويعوض عنها الشغر وبكاس وكانتا قد أخذتا منه ومعهما فامية وكفر طلب وأنطاكية وعدة ضياع، مع ما بيده من صهيون وبلاطنس ونرزية واللاذقية، وشرط أيضًا أن يكون أميرًا بستمائة فارس، ويؤمر من عنده من الأمراء، فأجيب إلى ذلك.

وحضر فى رابع ربيع الأول الأمير علم الدين سنجر الدوادارى، ومعه رسول سنقر الأشقر بنسخة يمينه على ما تقرر، فحلف له السلطان وكتب له تقليدًا بالبلاد المذكورة، ونعت فيه بالأمير وخوطب فى مكاتباته بالمقر العالى المولوى السيدى العالى العادلى الشمسى، ونودى فى دمشق باجتماع الكلمة. وجهزت رسل سنقر الأشقر، ومعهم الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، فحلفاه وعادا فى ثانى عشره، فضربت البشائر.

وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر من الأقمشة والأوانى وغيرها شيئًا كثيرًا، وعادت العساكر من شيزر إلى دمشق.

وفى يوم الخميس أول شهر ربيع الأول وهو خامس عشرى بؤونة: كان قاع النيل بمصر ستة أذرع وثمانية عشر إصبعًا.

وقدمت رسل الملك المسعود خضر بن الظاهر صاحب الكرك فى طلب الصلح والزيادة على الكرك، ليكون له ما كان للناصر صلاح الدين داود. فلم يجب السلطان إلى ذلك، فترددت الرسل بينهما إلى أن تقرر أن يكون له من حد الموجب إلى الحسا، وأن تجهز إليه إخوته الذكور والإناث، وترد عليهم الأملاك الظاهرية.

وتوجه الأمير بدر الدين بيليك المحسنى السلاح دار والقاضى عماد الدين بن الأثير ليحلفاه، فانبرم الصلح فى أوائل شهر ربيع الأول، وشهر النداء بذلك فى دمشق.

وفى هذا الشهر: دارت الجهة المفردة بدمشق وأعمالها وضمنت بألفى ألف درهم فى كل سنة.

فلما كان يوم الأحد خامس عشريه: خرج مرسوم بإراقة الخمور وإبطال هذه الجهة الخبيثة، فبطل ذلك.

وفيه عزل برهان الدين الخضر السنجارى عن الوزارة وصودر وأهين.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: وصلت أم الملك السعيد ناصر الدين محمد بن بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس وهو معها فى تابوت إلى ظاهر دمشق، فرفع فى ليلة الخميس العشرين منه بحبال إلى أعلى السور، وأرخى وحمل إلى تربة والده الملك الظاهر، وألحده مع أبيه قاضى القضاة عز الدين بن الصائغ.

فلما كان بكرة يوم الخميس: حضر السلطان والأمراء وسائر الأعيان وكثير من القراء والوعاظ إلى القبر، فكان وقتًا مشهودًا.

وفى هذا اليوم: أوفى النيل بمصر ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، ووافقه رابع عشر مسرى، فكتب إلى السلطان بذلك.

وفى شهر ربيع الآخر: ولى نظر الإسكندرية كمال الدين بن سلامة، بعد وفاة رشيد الدين[.... [1]] بن بصاقة.

وفى جمادى الأولى: شنق بالقاهرة رجلان: أحدهما مر به سقاء فزحمه بحمله حتى أتلف ثيابه فضربه بسكين قتله، فشنق، والآخر جندى طالب خياطا بمتاع له عنده، فلما مطله ضربه فمات، فشنق أيضًا.

وفيه مات رسول ملك الفرنج، فأحيط بموجوده. وفيه قبض على شخص يعرف بالكريدى فى طريق مصر كان يقطع الطريق على الناس، فسمر على جمل وأقام أيامًا يطاف به أسواق مصر والقاهرة، فقطع عنه الموكل به الأكل والشرب، فلما طالب بذلك قال له الموكل به: «إنما أردت أن أهون عليك لتموت سريعًا، حتى تستريح مما أنت فيه»، فقال له: «لا تقل كذا، فإن شر الحياة خير من الموت»، فناوله ما أكله وسقاه. فاتفق أنه وقعت فيه شفاعة فأطلق وسجن، فعاش أيامًا ثم مات فى السجن.

وفى عاشر جمادى الآخرة وهو تاسع عشرى توت: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعًا وأربعة أصابع.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفي هذا الشهر: ثار العشير ونهبوا مدينة غزة، وقتلوا خلقا كثيرًا وأفسدوا، فبعث السلطان الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى على عسكر من دمشق، وخرج من القاهرة الأمير شمس الدين سنقر البدوى على عسكر.

وفيه ورد الخبر بدخول منكوتمر أخى أبغا بن هولاكو بن طُلُوى بن جنكزخان إلى بلاد الروم بعساكر المغل، وأنه نزل بين قيسارية والأبلستين. فبعث السلطان الكشافة، فلقوا طائفة من التتر أسروا منهم شخصًا وبعثوا به إلى السلطان، فقدم إلى دمشق فى العشرين من جمادى الأولى، فآتاه السلطان ولم ينزل به حتى أعلمه أن التتر فى نحو ثمانين ألفًا، وأنهم يريدون بلاد الشام فى أول رجب.

فشرع السلطان فى عرض العساكر، واستدعى الناس، فحضر الأمير أحمد بن حجى من العراق فى جماعة كبيرة من آل مراتكون زهاء أربعة آلاف فارس، شاركين فى السلاح على الخيول المسومة، وعليهم القزغندات الحمر من الأطلس المعدنى والديباج الرومى، وعلى رءوسهم البيض[1] مقلدين سيوفهم وبأيديهم الرماح، وأمامهم العبيد تميل على الركائب وترقص بتراقص المهارى[2] وبأيديهم الجنائب ووراءهم الظعائن[3] والحمول[4] ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية سافرة فى الهودج، وهى تغنى:

---

(١) البيض جمع بيضة وهى الخوذة من الحديد يلبسها الجندى لوقاية الرأس. سميت بذلك لأنه على شكل بيضة النعام. وابتاض الرجل: لبس البيضة. انظر: محيط المحيط. لسان العرب ٣٩٨.

(٢) إبل مهرية: منسوبة إلى مهرة ابن حيدان - أبو قبيلة - وهم حى عظيم. والجمع مَهارىٌّ ومَهارٍ ومَهَارَى، مخففة الياء. انظر: لسان العرب.

(٣) الظعائن: والظعينة: الجمل يظعن عليه، والظعينة: الهودج تكون فيه المرأة، وقيل: هو الهودج، كانت فيه أو لم تكن، والظعينة: المرأة فى الهودج، سميت به على حد تسمية الشىء باسم الشىء لقربه منه، وقيل: سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة، ولا تسمى ظعينة إلا وهى فى هودج، وعن ابن السكيت: كل امرأة ظعينة فى هودج أو غيره، والجمع ظعائن وظعن وظعن وأظعان وظعنات، (الأخيرتان جمع الجمع)، قال بشر بن أبى خازم:

لهم ظعنات يهتدين براية كما يستقل الطائر المتقلب

وقيل: كل بعير يوطأ للنساء فهو ظعينة، وإنما سميت النساء ظعائن لأنهن يكن فى الهوادج، يقال: هى ظعينته وزوجه وقعيدته وعرسه، وقال الليث: الظعينة الجمل الذى يركب، وتسمى المرأة ظعينة لأنها تركبه، وقال أبو زيد: لا يقال حمول ولا ظعن إلا للإبل التى عليها لهوادج، كان فيها نساء أو لم يكن، فيه فليست بظعينة؛ قال عمرو بن كلثوم:

قفى قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

قال ابن الأنبارى: الأصل فى الظعينة المرأة تكون هودجا، ثم كثر ذلك حتى سموا زوجة الرجل ظعينة، وقال غيره: أكثر ما يقال الظعينة للمرأة الراكبة. انظر: لسان العرب ٢٧٤٨.

(٤) الحمول جمع حمل وهو كالظعينة الجمل الذى يحمل عليه الهودج أو الهودج نفسه.

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ... ليالى لاقينا جذام وحميرا
ولما لقينا عصبة تغلبية ... يقودون جردًا للمنية ضمرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ... ببعض أبت عيدانه أن تنكسرا
سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

فقال رجل: «هكذا يكون ورب الكعبة». فكان كما قال، فإن الكسرة كانت أولا على المسلمين، ثم كانت النصرة لهم، واستحر القتل بالتتار كما ستراه. وقدمت نجدة من الملك المسعود خضر، وقدمت عساكر مصر وسائر العربان والتركمان وغيرهم. فوردت الأخبار بمسير التتر، وأنهم انقسموا فسارت فرقة مع الملك أبغا بن هولاكو إلى الرحبة ومعه صاحب ماردين، وفرقة أخرى من جانب آخر، فخرج بجكا العلائى فى طائفة من الكشافة إلى جهة الرحبة. وجفل الناس من حلف إلى حماة وحمص حتى خلت من أهلها، وعظم الإرجاف. وتتابع خروج العساكر من دمشق إلى يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة، فخرج السلطان إلى المرج بمن بقى من العساكر وأقام به إلى سلخ الشهر، ثم رحل يريد حمص فنزل عليها فى حادى عشر رجب ومعه سائر العساكر، وحضر الأمير سنقر الأشقر من صهيون ومعه أيتمش السعدى، وأزدمر الحاج، وسنجر الدوادارى، وبيجق البغدادى، وكراى، وشمس الدين الطنطاش، ومن معهم من الظاهرية، فسر السلطان بذلك وأكرمهم وأنعم عليهم، وكان ذلك فى ثانى عشره فنزل سنقر الأشقر على الميسرة، وقويت الأراجيف بقرب العدو.

وفى ثالث عشره: اجتمع الناس بأسرهم فى جامع دمشق، وتضرعوا إلى الله وضجوا وبكوا، وحملوا المصحف العثمانى على الرءوس، وخرجوا من الجامع إلى المصلى خارج البلد وهم يسألون الله النصر على الأعداء.

ووصل التتار إلى أطراف بلاد حلب، وقدم منكوتمر إلى عين تاب، ونازل الملك أبغا قلعة الرحبة فى سادس عشرى جمادى الآخرة، ومعه نحو ثلاثة آلاف فارس. وتقدم منكوتمر قليلاً قليلا حتى وصل حماة، وأفسد نواحيها وخرب جواسق الملك المنصور صاحب حماة وبستانه فورد الخبر إلى السلطان بذلك وهو على حمص، وأن منكوتمر فى خمسين ألفًا من المغل وثلاثين ألفًا من الكرج والروم والأرمن والفرنجة، وأنه قد قفز إليه مملوك الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق ودله على عورات المسلمين.

ثم ورد الخبر بأن منكوتمر قد عزم أن يرحل عن حماة[1]، ويكون اللقاء في يوم الخميس رابع عشر رجب. واتفق عند رحيله أن يدخل رجل منهم إلى حماة وقال للنائب: «اكتب الساعة إلى السلطان على جناح الطائر بأن القوم ثمانون ألف مقاتل، في القلب منهم أربعة وأربعون ألفًا من المغل وهم طالبون القلب، وميمنتهم قوية جدا، فيقوِّى ميسرة المسلمين، ويحترز على السناجق». فسقط الطائر بذلك وعلم بمقتضاه، وبات المسلمون على ظهور خيولهم.

وعند إسفار الصباح من يوم الخميس رابع عشر شهر رجب: ركب السلطان ورتب العساكر: فجعل في الميمنة الملك المنصور صاحب حماة، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى، والأمير عز الدين أيبك الأفرم، والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى، ومضافيهم، وجعل في رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، وآل فضل وآل مرا وعربان الشام، ومن انضم إليهم، وجعل في الميسرة الأمير سنقر الأشقر ومن معه من الأمراء، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، والأمير علم الدين سنجر الحلبى، والأمير بجكا العلائى، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى، والأمير سيف الدين حيرك التترى، ومضافيهم، وجعل في رأس الميسرة التركمان بجموعهم، وعسكر حصن الأكراد، وجعل في الجاليش وهو مقدمة القلب الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر، ومن معه من مضافيه، والأمير ركن الدين أياجى الحاجب والأمير بدر الدين بكتاش بن كرمون، والمماليك السلطانية. ووقف السلطان تحت الصناجق، ومعه خاصته وألزامه وأرباب الوظائف، فكانت عمدة حلقته أربعة آلاف فارس وهي أقوى وأشد، وعدة مماليك السلطان ثمانمائة مملوك. وكان في العسكر حشو كثير من الأمراء الأكراد والتركمان سوى أمراء مصر والشام. ثم اختار السلطان من مماليكه مائتي فارس، وانفرد عن العصائب ووقف على تل، فكان إذا رأى طُلْبا قد اختلّ أردفه بثلاثمائة من مماليكه.

فأشرفت كراديس التتار وهم مثلا عساكر المسلمين، ولم يعتدوا منذ عشرين سنة مثل هذه العدة، ولا جمعوا مثل جمعهم هذا، فإن أبغا عرض من سيره صحبة أخيه منكوتمر فكانوا خمسة وعشرين ألف فارس منتخبة. فالتحم القتال بين الفريقين بوطاة حمص، قريبًا من مشهد خالد بن الوليد، ويوم الخميس رابع عشر رجب، من ضحوة النهار إلى آخره، وقيل من الساعة الرابعة. فصدمت ميسرة التتار ميمنة المسلمين صدمة شديدة ثبتوا لها ثباتا عظيما، وحملوا على ميسرة التتار فانكسرت وانتهت إلى القلب وبه

---

(١) سبق ترجمتها.

منكوتمر. وصدمت ميمنة التتر ميسرة المسلمين، فانكسرت الميسرة وانهزم من كان فيها، وانكسر جناح القلب الأيسر. وساق التتر خلف المسلمين حتى انتهو إلى تحت حمص وقد غلقت أبوابها، ووقعوا فى السوقة والعامة والرجالة والمجاهدين والغلمان بظاهر حمص، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وأشرف الناس على التلاف.

ولم يعلم المسلمون من أهل الميسرة بما جرى للمسلمين أهل الميمنة من النصر ولا علم التتار الذين ساقوا خلف المسلمون ما نزل بميسرتهم من الكسرة، ووصل إلى بعض المنهزمين إلى صفد، وكثير منهم دخل دمشق، ومر بعضهم إلى غزة، فاضطرب الناس بهذه البلاد وانزعجوا انزعاجًا عظيما.

وأما التتر الذين ساقوا خلف المنهزمين من المسلمين أصحاب الميسرة، فإنهم نزلوا عن خيولهم وأيقنوا بالنصر، وأرسلوا خيولهم ترعى فى مرج حمص، وأكلوا ونهبوا الأثقال والوطاقات والخزانة وهم يحسبون أن أصحابهم ستدركهم، فلما أبطأوا عليهم بعثوا من يكشف الخبر، فعادت كشافتهم وأخبرتهم أن منكوتمر هرب، فركبوا وردوا راجعين. هذا ما كان من أمر ميمنة التتار وميسرة المسلمين.

وأما ميمنة المسلمين فإنها ثبتت وهزمت ميسرة التتار حتى انتهت إلى القلب، إلا الملك المنصور قلاوون فإنه ثبت تحت الصناجق، ولم يبق معه غير ثلاثمائة فارس، والكوسات تضرب. وتقدم سنقر الأشقر، وبيسرى، وطيبرس الوزيرى، وأمير سلاح، وأيتمش السعدى، ولاجين نائب دمشق، وطرنطاى نائب مصر، والدواداری، وأمثالهم من أعيان الأمراء، إلى التتار، وأتاهم عيسى بن مهنا فيمن معه، فقتلوا من التتار مقتلة عظيمة.

وكان منكوتمر مقدم التتار قائمًا فى جيشه، فَلَمَا أراده الله من هزيمته نزل عن فرسه ونظر من تحت أرجل الخيل، فرأى الأثقال والدواب فاعتقد أنها عساكر، ولم يكن الأمر كذلك، بل كان السلطان قد تفرقت عنه عساكره ما بين منهزم ومن تقدم القتال، حتى بقى معه نحو الثلاثمائة فارس لا غير. فنهض منكوتمر من الأرض ليركب فتقنطر عن فرسه، فنزل التتر كلهم لأجله وأخذوه. فعندما رآهم المسلمون قد ترجلوا حملوا عليهم واحدة كان الله معهم فيها، فانتصروا على التتار.

وقيل إن الأمير عز الدين أزدمر الحاج حمل فى عسكر التتار وأظهر أنه من المنهزمين، فَقَدمهم وسأل أن يُوْصَل إلى منكوتمر، فلما قرب منه حمل عليه وألقاه عن فرسه إلى الأرض، فلما سقط نزل التتار إليه من أجل أنه وقع، فحمل المسلمون عليهم عند ذلك،

فلم يثبت منكوتمر وانهزم وهو مجروح، فتبعه جيشه وقد افترقوا فرقتين: فرقة أخذت نحو سلمية والبرية، وفرقة أخذت جهة حلب والفرات.

وأما ميمنة التتار التى كسرت ميسرة المسلمين، فإنها لما رجعت من تحت حمص كان السلطان قد أمر أن تلفَّ الصناجق ويبطل ضرب الكوسات، فإنه لم يبق معه إلا نحو الألف، فمرّت به التتار ولم تعرض له، فلما تقدموه قليلاً ساق عليهم، فانهزموا هزيمة قبيحة لا يلوون على شىء. وكان ذلك تمام النصر، وهو عند غروب الشمس من يوم الخميس. ومر هؤلاء المنهزمون من التتار نحو الجبل يريدون منكوتمر، فكان ذلك من تمام نعمة الله على المسلمين، وإلا لو قدر الله أنهم رجعوا على المسلمين لما وجدوا فيهم قوة، ولكن الله نصر دينه، وهزم عدوه مع قوتهم وكثرتهم. وانجلت هذه الواقعة عن قتلى كثيرة من التتر لا يحصى عددهم.

وعاد السلطان فى بقية يومه إلى منزلته بعد انقضاء الحرب، وكتب البطائق بالنصرة ولم يفقد كثيرَ شىء من ماله، فإنه كان قد فرق ما فى الخزائن على مماليكه أكياسًا فى كل كيس ألف دينار ليحملوه على أوساطهم فسلم له المال. وبات ليلة الجمعة إلى السحر فى منزلته، فثار صياح لم يشك الناس فى عود التتار، فبادر السلطان وركب وسائر العساكر، فإذا العسكر الذى تبع التتار وقت الهزيمة قد عاد.

وقتل من التتار فى الهزيمة أكثر ممن قتل فى المصاف، واختفى كثير منهم بجانب الفرات. فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار التى على الفرات، فاحترق منهم طائفة عظيمة، وهلك كثير منهم فى الطريق التى سلكوها من سلمية.

وفى يوم الجمعة: خرج من العسكر طائفة فى تتبع التتار، مقدمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، ورحل السلطان من ظاهر حمص إلى البحيرة[1] ليبعد عن الجيف. وقتل من التتار صمغار، وهو من أكبر مقدميهم وعظمائهم، وكانت له إلى الشام غارات عديدة.

واستشهد من المسلمين زيادة على مائتى رجل: منهم الأمير عز الدين أزدمر الحاج وهو الذى جرح منكوتمر مقدم التتار وألقاه عن فرسه وكان سبب هزيمتهم، وكان من أعيان الأمراء، وتحدثه نفسه أنه يملك فعوضه الله الشهادة، والأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار الظاهرى، وعلم الدين سنجر الإربلى، وبدر الدين بكتوت الخازندار،

---

(١) البحيرة: موضع من أعمال الطايف قرب لية من قرى البحرين لعبد القيس. انظر معجم البلدان.

وشمس الدين سنقر العرسى، وشهاب الدين توتل الشهرزورى، وسيف الدين بلبان الحمصى، وناصر الدين محمد بن جمال الدين صبرم الكاملى، وعلاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بكتمر الساقى العزيزى، وناصر الدين محمد بن أيبك الفخرى، وبدر الدين بيليك الشرفى، وشرف الدين بن علكان، وصاحب الموصل، والقاضى شمس الدين بن قريش كاتب الدرج وقد عدم فلم يعرف له خبر، وهو آخر من مات من كتاب الملك الكامل محمد بن العادل، وكان قد كتب له ولابنيه العادل والصالح ولمن بعدهما من المملوك.

وأما أهل دمشق فإنه لما كان بعد صلاة الجمعة، فى اليوم الثانى من الوقعة، سقط الطائر بالنصرة، ودقت البشائر بقلعة دمشق وسر الناس سرورًا كبيرا، وزينت القلعة والمدينة. فلما كان بعد نصف الليل من ليلة السبت وصل جماعة كثيرة من المنهزمين وأخبروا بما شاهدوا من الكسرة، ولم يكن عندهم علم بما تجدد بعدهم من النصرة، فارتجت دمشق واضطرب الناس، وأخذوا فى أسباب الرحيل، وفتحت أبواب دمشق، ولم يبق إلا خروج الناس منها على وجوههم هاربين فورد بعد ساعة البريد يخبر النصر، وكانت موافاته عند أذان الفجر، فقرئ كتابه بالجامع فاطمأن الناس.

وورد الخبر إلى مصر فى يوم الخميس حادى عشرى شهر رجب، على جناح الطائر فى بطاقة من قاقون، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول، ووصل بعض الأمراء إلى قطيا منهم ابن الأيدمرى.

وقد كان أهل مصر صاروا يقنتون فى صلواتهم، وكثرت قراءة صحيح البخارى، وأقبل الناس على تلاوة القرآن، وتجمعوا فى المشهد الحسينى وفى الجوامع والمساجد، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم. فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر، وجرد الملك الصالح فى الحال عسكرًا عليه الأمير صارم الدين أزبك الفخرى فى كثير من العربان إلى قطيا، لرد المنهزمين وإعادتهم إلى السلطان، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة، فاعتمد ذلك.

ولم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار، وإذا بالطيور قد وقعت محلقة تحمل البطائق المخلقة، وتخبر فيها بالبشائر العظمى من كسر التتار.

وقدمت البريدية بكتب البشائر أيضًا، فدقت البشائر وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل، وكُتِب إلى أعمال مصر بالزينة. وكَتَب الملك الصالح إلى السلطان والده يشفع فى المنهزمين ويسأل العفو عنهم، وكتب أيضًا إلى الأمير بدر الدين بيسرى يؤكد عليه فى الشفاعة فيهم.

واتفق أن الأمير طرنطاى النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر، فأسرهم وفيهم حامل حرمدانة، فوجد فى الحرمدان كتبا من الأمراء مثل سنقر الأشقر، وأيتمش السعدى، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر إلى التتار، يحرضونهم على دخول الشام، ويعدونهم بالمساعدة على أخذها فشاور طرنطاى السلطانَ عليها، فأَمَر بغسلها فغسلت، ولم يطلع عليها أحد.

وأما السلطان فإنه وادع الأمير سنقر الأشقر، ورده ومن حمص إلى عمله بصهيون على عادته، ورد معه من كان عنده من الأمراء: وهم أيتمش السعدى، وسنجر الدواداری، وكراى التترى، وغيرهم.

ورحل السلطان إلى دمشق، فقدمها يوم الجمعة ثانى عشرى رجب، فكان يومًا عظيما إلى الغاية عظم فيه سرور الناس وكثر فرحهم، وقال فيه الشعراء عدة قصائد.

وفى سابع: ورد الخبر إلى القاهرة. يعود السلطان إلى دمشق، وأنه عندما استقر بها جرد العسكر مع الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى الرحبة، ليدفع من عليها من التتار.

وأما أبغا بن هولاكو ملك التتار فإنه لم يشعر وهو على الرحبة إلا وقد وقعت بطاقة من السلطان إلى نائب الرحبة، بما مَنَّ الله به من النصر وكسرة التتار. فعندما بلغه ذلك بِدَقِّ بشائر القلعة رحل إلى بغداد.

ووصل الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى حلب، وبعث فى طلب التتار إلى الفرات، ففروا من الطلب وغرق منهم خلق كثير. وعبرت طائفة منهم على قلعة البيرة، فأتلهم أهلها وقتلوا منهم خمسمائة، وأسروا مائة وخمسين. وتوجه منهم ألف وخمسمائة فارس إلى بغراس، وفيهم أكابر أصحاب سيس وأقاربهم فخرج عليهم الأمير شجاع الدين السِّيْنانى بمن معه، فقتلهم وأسرهم عن آخرهم بحيث لم يفلت منهم إلا دون العشرين. وتوجه منهم على سلمية نحو أربعة آلاف، فأخذ عليهم نواب الرحبة الطرقات والمعابر، فساروا فى البرية فماتوا عطشًا وجوعا، ولم يسلم منهم إلا نحو ستمائة فارس.

فخرج إليهم أهل الرحبة فقتلوا أكثرهم، وأحضروا عدة منهم إلى الرحبة ضربت أعناقهم بها. وأدرك بقية التتر الملك أبغا، وفيهم أخوه منكوتمر وهو مجروح، فغضب عليه وقال: «لِمَ لا مُتَّ أنت والجيش ولا انهزمت» وغضب أيضًا على المقدمين. فلما دخل أبغا بغداد سار منها إلى جهة هَمَذان وتوجه منكوتمر إلى بلاد الجزيرة فنزل بجزيرة ابن عمر، وكانت الجزيرة لأمه قد أعطاها إياها أبوه هولاكو لما أخذها.

وفى يوم الإثنين حادى عشريه: قدم الأمير بدر الدين الأيدمرى بمن معه من العسكر، بعدما أنكى فى التتار. ورسم السلطان أن تكون البشائر إنعامًا على من ذكر: وهى القاهرة ومصر على يد الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار الرومى، وقوص والوجه القبلى خلا الفيوم على يد الأمير بدر الدين بيدر المنصورى أمير مجلس، والفيوم على يد الأمير علم الدين سنجر أمير خور، والإسكندرية على يد الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار، ودمياط على يد الأمير بدر الدين بيليك أبو شامة المحسنى، والغربية على يد الأمير أيبك السلاح دار المنصورى، وأشموم على يد الأمير شمس محمد بن الجَمِقْدَار نائب أمير جاندار.

وورد كتاب السلطان إلى قلعة الجبل ليجهز إلى الملك المظفر شمس الدين بن رسول باليمن بما مَنَّ الله به من النصر على التتار، فكتب قريبه الملك الصالح كتابا من إنشاء محيى الدين بن عبد الظاهر، خوطب فيه: أعز الله أنصار المقام العالى المظفرى الشمسى.

وفى شهر رجب: رتب السلطان غرس الدين بن شاور فى ولاية لد والرملة، عوضًا عن سعد الدين بن قلج، بحكم انتقاله منها إلى ولاية بلد الخليل عليه السلام. ورتب تقى الدين توبة فى نظر النظار بالشام، شريكا للقاضى تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى. ورتب الأمير علم الدين سنجر الدوادارى شادًا ومدبرا من غزة إلى الفرات.

وفيه ثارت العشران ونهبوا نابلسى، وقتلوا مقتلة عظيمة، فركب الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى من غزة وقبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم، وسجن كثيرًا منهم بصفد، ورتب الأمير علاء الدين أيدغدى الصرخدى نائبًا بالبلاد الغزاوية والساحلية لردع العشرين.

وفيه قُرِّر الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد فى تدريس المدرسة بجوار قبة الشافعى من قرافة مصر، على عادة القاضى تقى الدين بن رزين بعد وفاته.

واستقر الشيخ علم الدين[......][1] ابن بنت العراقى فى تدريس المشهد الحسينى بالقاهرة.

وفيه وصل الأمير شهاب الدين أحمد ابن والى القلعة أمير شكار من دمشق لتخريج الجوارح وإصلاحها.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بازى المنصورى نائبًا بحمص، ومعه الأمير صارم الدين الحمصى مساعدًا له.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

واستقر الأمير جمال الدين أقش الحمصى نائبًا فى مدينة نابلس، عوضًا عن زين الدين قراجا البدرى.

وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين قطز المنصورى، والأمير سنجر الحموى أبو خرص.

وفيه كانت وقعة فى صحراء عيذاب بين عرب جهينة[١] ورفاعة[٢] قتل فيها جماعة، فكتب إلى الشريف علم الدين صاحب سواكن بأن يوفق بينهم ولا يُعِينَ طائفة على أخرى، خوفًا على فساد الطريق.

وفيه ولى زين الدين بن القماح نظر البحيرة، عوضًا عن موفق الدين بن الشماع. واستقر شمس الدين محمد بن القاضى علم الدين بن القماح فى الإعادة بمدرسة الشافعى من القرافة، بتوقيع شريف.

وفى شعبان: افترق بنو صورة بناحية المنوفية من أعمال مصر فرقتين، وحشدوا وركبوا بآلات الحرب، فخرج إليهم عدة من أجناد الحلقة، ورُسِم بأخذ خيلهم وسلاحهم، فسكن ما كان بينهم.

وفى يوم الأحد ثانى شعبان: سار السلطان من دمشق، وكتب إلى مصر بتجهيز الزينة ونصب القلاع، وأن يتقدم إلى نواب الأمراء بالشروع فى تقسيم المواضع لقلاعهم والاهتمام بالزينة.فرتبت الإقامات فى عاشره على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وجعل فى كل منزلة من الدقيق ستين قطعة، وشعيرا أربعمائة أردب، وأغناما مائة رأس، ودجاجا مائتى طائر، وحمامًا خمسين طائرا، وأتبانا مائة حمل، وحطب سَنطٍ مائة قنطار.

وخرج السلطان من غزة بكرة يوم الخميس ثالث عشره، ووصل قطيا يوم الإثنين سابع عشره، وقد تأخرت العساكر وراءه، ونزل غَيْفَة يوم الخميس العشرين منه وخيم بها.

---

(١) جهينة بن زيد بن ليث، من قضاعة: جد جاهلى. السنبة إليه «جهنى» نزل كثيرون من بنيه بعد الإسلام بالكوفة والبصرة وصعيد مصر، وبعضهم فى بلاد إخميم وحلب وغربها من البلاد الشامية.ولايزال منهم كثيرون الآن على شاطئ البحر الأحمر، من جنوبى ديرة «بلى» إلى جنوبى ينبع. وفى جنوبى سنار، بالسودان، قبيلة تدعى جهينة، قد تكون من جهينة قضاعة، كان لها ذكر فى حروب المهدى والتعايش بالسودان. انظر سبائك الذهب ٢٣ واللباب ١:٢٥٩ وقلب جزيرة العرب ١٣٧ ٢:١١٢.

(٢) نسبة إلى رفاعة جد جاهلى، من جهينة. وهو رفاعة بن نصر مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة، مازالت منازل بنيه بين ينبع والوجه، فى الحجاز. ومن نسله عمرو بن مرة الصحابى. وينسب إليه الرفاعيون فى «الكاملين» على النيل الأزرق بالسودان. انظر: اللباب ١:٤٧٢، ومعجم قبائل العرب ٢:٤٣٩.

ودخل الأمير شرف الدين الجاكى المهمندار من الدهليز السلطانى لترتيب رسل الملوك الذين بالقاهرة، وخروجهم إلى لقاء السلطان.

وخرج الملك الصالح والأمير زين الدين كتبغا[1] نائب السلطنة إلى الملتقى، واستمر الأمير علم الدين سنجر المنصورى بقلعة الجبل.

فصعد السلطان إلى قلعته فى يوم السبت ثانى عشريه تحت صناجقه، وأسرى التتار بين يديه، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهى مكسورة. فبعث السلطان بالأسرى وطبول التتار وحِتْر منكوتمر من جهة باب النصر حتى شقوا القاهرة إلى باب زويلة، وساروا إلى القلعة، ولم يشق السلطان القاهرة، وكان يومًا مشهودًا اجتمع الناس فيه من الأقطار، وكثر فرحهم وسرورهم.

وفى يوم الأحد ثالث عشرى شعبان: أفرج السلطان عن الأمير ركن الدين منكورس الناصر الفارقانى.

وفيه دخل السلطان إلى الخزانة الشريفة، ورتب الخلع لسائر الأمراء والخواص والكتاب بالدرد الذين كانوا فى الخدمة.

وفى يوم الخميس سابع عشريه: جلس السلطان، وأحضرت هدية الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول صاحب اليمن على يد رسله: وهم مجد الدين بن أبى القاسم، والقاضى محيى الدين يحيى بن البَيْلَقَانى. فقبل السلطان هديته، وكانت من طرائف اليمن، من العود والعنبر والصينى ورماح القنا وغير ذلك.

وفى تاسع عشريه: أعيد إقطاع الأمير سيف الدين أيتمش السعدى إليه، وهوناى وطنان وَإمرَة مائة فارس، وكان قد أخذه عند توجهه إلى سنقر الأشقر الأمير عز الدين

---

(١) كتبغا بن عبد الله المنصورى، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية. فى مصر والشام. أصله من سبى التتار من عسكر «هولاكو» أخذه الملك «المنصور» قلاوون فى وقعة حمص الأولى (سنة ٦٥٩هـ) وجعله من مماليكه، فنسب إليه (المنصورى) وتقدم فى الخدمة إلى أن ولى السلطنة محمد بن قلاوون فجعله «نائب السلطنة» وخلع محمد لصغر سنه، فتسلطن كتبغا (سنة ٦٩٤هـ) وتلقب بالملك العادل. ثم قصد الشام فخلفه الأمير لاجين بمصر، واستولى على كرسى السلطنة وأرسل إليه يأمره بخلع نفسه، فأذعن كتبغا وأشهد على نفسه بالخلع، وهو فى دمشق سنة (٦٩٦هـ) ومدته سنتان و٥١ يومًا. ثم أوعز إليه بالسفر إلى «صرخد» فأقام بها معززًا مكرمًا إلى سنة ٦٩٩هـ وعاد محمد بن قلاوون إلى السلطنة فأنعم على العادل كتبغا بمملكة حماة وأعمالها فانتقل إليها (سنة ٦٩٩هـ) واستمر إلى أن توفى بها. ثم نقلت جثته إلى دمشق. وكان شجاعًا دينًا. ابن إياس ١٣٣:١١ والنجوم الزاهرة ٥٥:٨ وفوات الوفيات ١٣٨:٢. الأعلام ٥ -٢١٩.

أيبك الأفرم، وأعيد على الأفرم إقطاعه القديم ممن أخذه.

وفيه أُقِرَّ الأمير سيف الدين قطز.

وفيه فوض قضاء الشافعية إلى وجيه الدين عبد الوهاب بن حسين المهلبى الهنسى فى سابع شعبان، عوضًا عن تقى الدين محمد بن رزين بحكم وفاته.

وفيه قبض على الأمير ركن الدين بيبرس الحلبى المعروف بأياجى الحاجبى، من أجل أنه انهزم على حمص.

وفى يوم السبت سادس رمضان: حضرت رسل الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر بن على بن رسول متملك اليمن، وسألوا أن يكتب لمرسلهم أمان على قميص، وتعلم عليه العلامة السلطانية، فأجيبوا إلى ذلك. وجهزت إليه هدايا وتحف فيها قطعة زمرد، وعدة من أكاديش التتار وشىء من عددهم.

وفيه عملت نسخة حَلِف السلطانِ للملك الأشكرى صاحب القسطنطينية، وكانت رسله قد وصلت بنسخة يمينه فى تاريخ موافق آخر المحرم سنة ثمانين وستمائة.

وفيه ولى الأمير بهاء الدين قراقوش قوص وأخميم، عوضًا عن الأمير بيبرس مملوك علاء الدين حرب دار.

وفى شوال: سار المحمل إلى الحجاز على العادة.

وفى يوم الخميس أول ذى القعدة: استقر عز الدين أيبك الفخرى واليًا بقوص وأخميم، عوضًا عن قراقوش.

وفى خامسه: قبض على الأمير أيتمش السعدى وعلى عدة من الأمراء واعتقلوا، وقبض أيضًا بدمشق على الأمير سيف الدين بلبان الهارونى وسيقران الكردى وغيرهما، وذلك لأنهم كانوا ممن كان مع سنقر الأشقر.

وفيه سافر الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى الجزرى الحاجب والقاضى شرف الدين إبراهيم بن فرج كاتب الدرج، إلى اليمن من جهة عيذاب، فى الرسالة عن السلطان.

وفى ذى القعدة: أخرج السلطان جميع نساء الملك الظاهر بيبرس وخدامه من القاهرة، وبعثهم إلى الكرك.

وفى أول ذى الحجة: فوض قضاء المالكية بديار مصر إلى تقى الدين أبى على

الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الفقيه الإمام مفتى الفرق جلال الدين أبى محمد بن عبد الله بن شاس الجذامى السعدى المالكى، عوضًا عن قاضى القضاة نفيس الدين محمد بن سكر، بحكم وفاته.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

القان أبغا بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان بنواحى هَمذَان عن نحو خمسين سنة، منها مدة ملكه سبع عشرة سنة، وقام فى الملك بعده أخوه تَكُدَار بن هولاكو.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعى بدمشق عن خمس وثمانين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الألفى نائب السلطنة بديار مصر، فى السجن بالإسكندرية عن نحو أربعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى ابن عيسى بن موسى بن نصر الله العامرى الحموى الشافعى، عن سبع وسبعين سنة:

وتوفى قاضى دمشق نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة الشافعى، عن أربع وستين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة صدر الدين أبو حفص عمر بن تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العلامى الشافعى، عن خمس وخمسين سنة.

وتوفى موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع الشيبانى الموصلى الكَوَاشِيِّ، عن تسعين سنة بالموصل.

وتوفى الحافظ شمس الدين أبو حامد محمد بن على بن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى[1]، بدمشق عن ست وسبعين سنة.

وتوفى المسند شمس الدين أبو الغنائم مُسَلَّم بن محمد بن مسلم بن مكى بن خلف بن علان القيسى الدمشقى ناظر الدواوين بدمشق، عن ست وثمانين سنة بها.

وتوفى الشريف شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن

---

(١) ابن الصابونى (٦٠٤-٦٨١هـ-١٢٠٧-١٢٨٢م) محمد بن على بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودى، بن الصابونى من حفاظ الحديث العارفين برجاله. من أهل دمشق. له كتاب تكملة إكمال الإكمال فى رجال الحديث جعله ذيلا لكتاب ابن نقطة الذى ذيل به «الإكمال» لابن ماكولا. قال ابن ناصر الدين. اختلط قبل موته بسبتة أو أكثر. انظر المتسطرفة ٨٨، والشذرات ٣٦٩/٥ والتبيان الوافى ١٨٨/٤ وتعليقات عبيد. الأعلام ٢٨٢/٦.

عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبى إبراهيم محمد الممدوح الحسنى، كاتب الإنشاء بحلب، عن خمس وثلاثين سنة بها.

وتوفى الأديب الكاتب الحاسب علاء الدين أبو الحسن على بن محمود بن الحسن بن نبهان اليَشْكرى، عن خمس وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مكتوم البعلبكى، فى وقعة حمص شهيدا.

وتوفى الأديب بدر الدين أبو المحاسن بن يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى الدمشقى، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق.

ومات منكوتمر بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان، بجزيرة ابن عمر مكمودًا عقب كسرته على حمص.

ومات علاء الدين عَطا مَلِك بن محمد الجوينى صاحب الديوان ببغداد، بعدما نقم عليه الملك أبغا ونسبه إلى مواطأة المسلمين، فقبض عليه وأخذ أمواله. وكان صدرًا كبيرًا فاضلا، وله شعر حسن، وولى بعده بغداد ابن أخيه هارون بن محمد الجوينى.

* * *

سنة إحدى وثمانين وستمائة

فى مستهل صفر: قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، والأمير كشتغدى الشمسى. فأغلق باب زويلة وعامة الأسواق، وارتجت القاهرة حتى نودى: «من أغلق دكانه شنق»، ففتحت الأسواق.

وفى ربيع الأول: وصلت رسل الأشكرى ورسل ألفونس بهدية.

وفى حادى عشر ربيع الآخر: استقر فى الوزارة نجم الدين حمزة بن محمد الأصفونى.

وفى آخر جمادى الآخرة: استعفى قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن حسن البهنسى من قضاء القاهرة والوجه البحرى، وذكر أنه يضعف عن الجمع بين قضاء المدينتين مصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى، فأعفى من قضاء القاهرة والوجه البحرى. وفوض السلطان ذلك فى أول رجب لشهاب الدين محمد الخوى، وكان يلى أولا قضاء الغربية من أعمال مصر، فنقل منها إلى قضاء القاهرة، وانفرد للبهنسى قضاء مصر والوجه القبلى.

وفى شعبان: حُلِّف الشريف أبو نمى أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة لهما، وأنه التزم تعليق الكسوة الواصلة من مصر على الكعبة فى كل موسم، وأنه لا يعلق عليها كسوة غيرها، وأن يقدم عَلَم الملك المنصور على كل علم فى كل موسم، وألا يتقدمه عَلم غيره، وأن يسبل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمِّين، وأن يحرس الحاج ويؤمنهم فى سربهم، وأن يستمر بإفراد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصورى، وأن يفعل الخدمة فى فِعل المخلص الولى للسلطان، ويمتثل مراسمه امتثال النائب للمستنيب.

وفيه وصلت رسل الملك أحمد أغا سلطان بن هولاكو، وهم الشيخ قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازى قاضى سيواس، والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين بن التِّيْتى، وزير ماردين. وكانوا عند قدومهم إلى البيرة قد سار إليهم الأمير حسام الدين لاجين الرومى والأمير سيف الدين كبك الحاجبان، وقد أمرا أن يبالغا فى

الاحتراز على الرسل وإخفائهم عن كل أحد. واحترزا عليهم حتى لم يشاهدهم أحد، وسارا بهم فى الليل حتى قدموا قلعة الجبل بكتاب الملك أحمد: وفيه أنه مسلم، وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف، وأمر بتجهيز الحجاج.

وسأل اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة والحرب، وأنه ظفر بجاسوس وعادة مثله أن يقتل فجهزه إلى الأبواب السلطانية، وقال إنه لا حاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم بعد الاتفاق واجتماع الكلمة، وبالغ فى استجلاب خاطر السلطان. وتاريخ الكتاب فى جمادى الأولى، وأنه كتب بواسط.

فأجيب بتهنئته بالإسلام، والرضى بالصلح(١)، وأعيدت الرسل وقد أكرموا من غير

---

(١) نسخة الكتاب الواصل من جهة المذكور، ومخبرا بانتقاله إلى ملة الإسلام، هو ومن معه من التتار: «بسم الله الرحمن الرحيم، بقوة الله تعالى، بإقبال قا آن كذا قرمان أحمد إلى سلطان مصر. أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى، بسابق عنايته ونور هدايته، قد كان أرشدنا فى عنفوان الصبا وريعان الحداثة إلى الإقرار بربوبيته، والاعتراف بوحدانيته، والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات والسلام بصدق نبوته، وحسن الاعتقاد فى أوليائه الصالحين من عباده فى بريته، **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾**. فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين، وإصلاح أمور المسلمين، إلى أن أفضت بعد أبينا الجيد وأخينا الكبير نوبة الملك إلينا، فأفاض علينا من جلابيب ألطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه، وجلا هدى المملكة على يدنا، وأهدى عقيلتها إلينا، فيجتمع عندنا فى قوريلتاى المبارك ـ وهو المجمع الذى تنقدح فيه الآراء - جميع الإخوان والأولاد، والأمراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد. واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير فى إنقاذ الجم الغفير من عساكرنا التى ضاقت الأرض برحبها من كثرتها، وامتلأت الأرض رعبا لعظم صولتها وشديد بطشتها إلى تلك الجهة بهمة تخضع لها شم الأطواد وعزمة تلين لها صم الصلاد. ففكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه، واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه، فوجدناه مخالفا لما كان فى ضميرنا من اقتناء الخير العام، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام، وألا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء، وتجرى به فى الأقطار رخاء نسائهم الأمن والأمان، وتستريح به المسلمون فى سائر الأمصار فى مهاد الشفقة والإحسان، تعظيما لأمر الله وشفقة على خلق الله. فألهمنا الله تعالى إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن الثائرة، وإعلام من أشار بذلك الرأى بما أرشدنا إليه من تقديم ما يرجى به شفاء مزاج العالم من الأدواء وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء، وإننا لا نحب المسارعة إلى هز النصال للنضال إلا بعد إيضاح المحجة، ولا نأذن لها إلا بعد تبين الحق ووضوح الحجة. وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعى الصلاح، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح، أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن، الذى هو نعم العون لنا فى أمور الدين، فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه. وأنفذنا أقضى القضاة وقطب الملة والدين، والأتابك بهاء الدين، اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة، ليعرفاهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما ينطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا، وبينا لهم أنا لهم من الله على=

.. ..

=بصيرة، وأن الإسلام يجب ما قبله، وأنه تعالى ألقى فى قلبنا أن نتبع الحق وأهلـه، ويشاهدون عظيـم نعمة الله على الكافة بما دعانا إليه من تقديم أسباب الإحسان، ولا يحرموها بالنظر إلى سالف الأحوال فكل يوم هو فى شأن، فإن تطلعت نفوسهم إلى دليل يستحكم بسببه دواعى الاعتماد، وحجة يثقون بها من بلوغ المراد، فلينظروا إلى ما ظهر من أثرنا مما اشتهر خبره، وعم أثره. فإنا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى بإعلاء أعلام الدين، وإظهاره فى إيراد كل أمر وإصداره تقديمًا، وإقامة نواميس الشرع المحمدى على مقتضى قانون العدل الأحمدى إجلالا وتعظيما. وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور، وعفونا عن كل من اجترح سيئة أو اقترف، وقابلناه بالصفح وقلنا عفى الله عما سلف، وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين، من المشاهد والمساجد والمدارس، وعمارة بقاع البر والربط الدوارس، وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة إلى مستحقها لشروط واقفها، ومنعنا أن يلتمس شىء مما استحدث عليها، وألا يغير أحد مما قرر أولا فيها. وأمرنا بتعظيم أمر الحاج وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها وتسيير قوافلها. وإنا أطلقنا سبيل التجار المترددين إلى تلك البلاد، ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وحرمنا على العساكر والقراغول والشحانى فى الأطراف التعرض بهم مصادرهم ومواردهم. وقد كان صادف قراغولنا جاسوسًا فى زى الفقراء كان سبيل مثله أن يهلك، فلم يهرق دمه لحرمة الله تعالى، وأعدناه إليهم. ولا يخفى عليهم من ما كان فى إنقاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين، فإن عساكرنا طالما رأوهم فى زى الفقراء والنساك وأهل الصلاح، فساءت ظنونهم فى تلك الطوائف، فقتلوا منهم من قتلوا وفعلوا بهم ما فعلوا، وارتفعت الحاجة بحمد الله إلى ذلك، بما صدر إذننا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم. فإذا أمعنوا الفكر فى هذه الأمور وأمثالها لا يخفى عليهم أنها أخلاق جبلية طبيعية، وعن شوائب التكلف والتصنع عرية، وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعى المضرة التى كانت موجبة المخالفة، فإنها كانت بطريق الدين والذب عن حوزة المسلمين، فقد ظفر بفضل الله تعالى فى دولتنا النور المبين، وإن كان لما سبق من الأسباب، فمن تحرى الآن طريق الصواب، فإن له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد رفعنا الحجاب، وأتينا بفضل الخطاب وعرفناهم ما عزمنا عليه بنية خالصة لله تعالى على استئنافها، وحرمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها، لنرضى بها الله والرسول وتلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول، وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة، وتتجلى بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والغمة، فيسكن فى سابغ ظلمها البوادى والحواضر، وتقر القلوب التى بلغت من الجهد الحناجر. ويعفى عن سالف الهنات والجرائر. فإن وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم، وانتظام أمور بنى آدم. فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى، وسلوك الطريقة المثلى، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد، وبذل الإخلاص بحيث تنعمر تلك المدائن والبلاد، وتسكن الفتنة الثائرة، وتغمد السيوف الباترة، وتحل الكافة أرض الهوينى وروض الهدون، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون، وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة، فقد شكر الله مساعينا، وأبلى عذرنا، ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**﴾، والله الموفق للرشاد والسداد، وهو المهيمن على البلاد والعباد، وحسبنا الله وحده». كتب فى (مدينة) واسط. (فى شهر) جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة، بمقام الأوطاق. =

.. ..

أما نسخة جواب السلطان الصادر إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، بقوة الله تعالى، بإقبال دولة السلطان الملك المنصور، كلام قلاوون إلى السلطان أحمد، أما بعد حمد الله الذى أوضح بنا ولنا الحق منهاجا، وجاء بناء فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، والصلاة على سيدنا ونبينا محمد الذى فضله الله على كل نبى نجى به أمته وعلى كل نبى ناجى، صلاة تنير ما دجا وتجير من داجى فقد وصل الكتاب الكريم، المتلقى بالتكريم، المشتمل على النبأ العظيم، من دخوله فى الدين، وخروجه عمن خلف من العشيرة والأقربين. ولما فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخبر المعلم، والحديث الذى صحح عند أهل الإسلام، وأصح الحديث ما روى عن مسلم، وتوجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه فى أن يثبته على ذلك بالقول الثابت، وأن ينبت حَبٍّ حُبٍّ هذا الدين فى قلبه كما أنبته أحسن النبت من أخشن المنابت. وحصل التأمل للفصل المبتدأ بذكره من حديث إخلاصه النية، فى أول العمر وعنفوان الصبا والإقرار بالوحدانية، ودخوله فى الملة المحمدية، بالقول والعمل والنية، فالحمد لله على أن شرح صدره للإسلام، وألهمه شريف هذا الإلهام، كحمدنا لله على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المقال والمقام، وثبت أقدامنا فى كل موقف اجتهاد وجهاد تتزلزل دونه الأقدام، وأما إفضاء النوبة فى الملك وميراثه بعد والده وأخيه الكبير إليه، وإفاضة جلابيب هذه المواهب العظيمة عليه، وتوقله الأسرة التى طهرها إيمانه، وأظهرها سلطانه، فقد أورثها الله من اصطفاه من عباده، وصدق المبشرات له من كرامة أولياء الله وعباده. وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد، والأمراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد فى مجمع قوريلتاى الذى تنقدح فيه زند الآراء وأن كلمتهم اتفقت على ما سبقت به كلمة أخيه الكبير فى إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب، وأنه فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم، وانتهت إليه أهواؤهم، فوجده مخالفا لما فى ضميره، إذ قصده الصلاح، ورأيه الإصلاح، وأنه أطفأ تلك الثائرة، وسكن تلك النائرة، فهذا فعل الملك المتقى، المشفق من قومه على من بقى، المفكر فى العواقب بالرأى الثاقب، وإلا فلو تركوا وآراؤهم حتى تحملهم العزة، لكانت هذه الكرة هى الكرة، لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، ولم يوافق قول من ضل ولا فعل من غوى. وأما القول منه بأنه لا يحب المسارعة إلى المقارعة، إلا بعد إيضاح المحجة، وتركيب الحجة، فبانتظامه فى سلك الإيمان صارت حجتنا المتركبة، على من غدت طواغيته عن سلوك هذه المحجة متنكبة، فإن الله تعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لنصر هذه الملة، وجهادنا واجتهادنا إنما هو على الحقيقة لله. وحيث قد دخل معنا فى الدين هذا الدخول، فقد ذهبت الأحقاد وزالت الذحول، وبارتفاع المنافرة، تحصل المظافرة، فالإيمان كالبنيان يشد بعضه ببعض، ومن أقام مناره فله أهل بأهل فى كل مكان وجيران بجيران فى كل أرض. وأما ترتيب هذه القواعد الجمة على أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن، أعاد الله من بركاته، فلم تر لولى قبله كرامة كهذه الكرامة، والرجاء ببركاته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار للإسلام دار إقامة، حتى تتم شرائط الإيمان، ويعود شمل الإسلام مجتمعًا كأحسن ما كان، ولا ينكر لمن لكرامته ابتداء هذا التمكن فى الوجود، أن كل حق ببركته إلى نصابه يعود. وأما إنفاذ أقضى القضاة قطب الملة والدين، والأتابك بهاء الدين الموثوق بنقلها فى إبلاغ رسائل هذه البلاغة، فقد حضروا وأعادوا كل قول حسن من حوالى أحواله وخطرات خاطره، ومنتظرات ناظره، ومن كل ما يشكر =

.. ..

=ويحمد، ويعنعن حديثهما فيه عن مسند أحمد. وأما الإشارة إلى أن النفوس إن كان لها تطلع إلى إقامة دليل، تستحكم به دواعى الود الجميل، فلينظر إلى ما ظهر من مآثره فى موارد الأمر ومصادره، ومن العدل والإحسان بالقلب واللسان، والتقدم بإصلاح الأوقاف والمساجد والربط وتسبيل السبل للحج إلى غير ذلك. فهذه صفات من يريد لملكه الدوام، فلما ملك عدل ، و لم يمل إلى لوم من عدى ولا لوم من عذل، على أنها وإن كانت من الأفعال الحسنة، والمثوبات التى تستنطق بالدعاء الألسنة، فهى واجبات تؤدى وقربات بمثلها يبدى ، وهو أكثر من أنه بإجراء أجر غيره يفتخر، أو عليه يقتصر أو له يدخر. بل إنما يفخر الملوك الأكابر برد ممالك على ملوكها، ونظم ما كانت عليه فى سلوكها، وقد كان والده فعل شيئا مع الملوك السلجوقية وغيرهم، وما كان أحد منهم بدينه يدين، ولا دخل معه فى دين وأقرهم فى ملكهم وما زحزحهم عن ملكهم. ويجب عليه ألا يرى حقا مغتصبا ويأتى إلا رده، ولا باعا ممتدا بالظلم ويرضى إلا صده، حتى أن أسباب ملكه تقوى، وأيامه تتزين بأفعال التقوى. وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحانى بالأطراف التعرض إلى أحد بالأذى، وإصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى، فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا أيضًا بمثله إلى سائر نوابنا بالرحبة والبيرة وعينتاب، وإلى مقدمى العساكر بأطراف تلك الممالك، وإذا اتحد الإيمان، وانعقدت الأيمان، تحتم هذا الإحكام وترتب عليه جميع الأحكام. وأما الجاسوس الفقير الذى أمسك وأطلق، وأن بسبب من يتزيا من الجواسيس بزى الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصلحاء رجما بالظن، فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان فتحه، وزند من ذلك الطرف كان قدحه ، وكم من متزى بفقير من ذلك الجانب سيروه وإلى الاطلاع على الأمور سوروه، وأظفر الله منهم بجماعة كبيرة فرفع عنهم السيف، و لم يكشف ما غضوه بخرقة الفقر بلم ولا كيف. وأما الإشارة إلى أن باتفاق الكلمة تنجلى ظلم الاختلاف. وتدر بها من الخيرات الأخلاف. ويكون بها صلاح العالم، وانتظام شمل بنى آدم، فلا راد لمن فتح أبواب الاتحاد، وجنح إلى السلم فما حاد ولا حاد، ومن ثنى عنانه عن المكافحة، كان كمن مد يد المصالحة للمصافحة، والصلح وإن كان سيد الأحكام، فلابد من أمور تبنى عليها قواعده، ويعلم من مدلولها فوائده، فالأمور المسطورة فى كتابه هى كليات لازمة يعمر بها كل مغنى ومعلم، إن تهيأ صلح أو لم، وثم أمور لابد وأن تحكم، وفى سلكها عقود العهود تنظم، قد تحملها بلسان المشافهة التى إذا أوردت أقبلت إن شاء الله عليها وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحرزه سطور الطروس. وأما الإشارة إلى الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾، فما عن هذا النسق من الود ينسج، ولا على هذا السبيل ينهج، بل الفضل للمتقدم فى الدين، ونصره عهود ترعى. وإفادات تستدعى، وما برح الفصل للأولوية وإن تناهى العدد للواحد الأولى، ولو تأمل مورد هذه الآية فى غير مكانها لتروى وتأول. وعندما انتهينا إلى جواب ما لعله بحث عنه الجواب من فصول المكاتبة، سمعنا المشافهة التى على لسان أقضى القضاة قطب الدين فكان منها ما يناسب ما فى هذا الكتاب من دخوله فى الدين وانتظام عقده بسلك المؤمنين، وما بسطه من معدلة وإحسان، مشكورة بلسان كل إنسان، فالمنة لله عليه فى ذلك فلا يشينها منه بامتنان، وقد أنزل الله على رسوله فى حق من امتن بإسلامه بـ﴿قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾. ومن المشافهة أن الله قد أعطاه من العطاء، ما أغناه عن امتداد الطرف إلى ما فى يد غيره من أرض وماء،=

أن يعلم الناس بدخولهم ولا خروجهم. وساروا سرًّا كما قدموا سرًّا ليلة السبت ثانى رمضان صحبة الحاجبين، فوصلوا إلى حلب فى سادس شوال وعبروا إلى بلادهم.

وفى رمضان: وصل الأمير شمس الدين سنقر الغُتْمى ورفقته، الذين خرجوا إلى بيت بركة فى الرسالة.

وفيه قبض على الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى وعلاء الدين أقطوان الساقى، وشهاب الدين قرطاى، واعتقلوا.

وفيه استقر الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصورى فى نيابة السلطنة بحلب، عوضًا عن علم الدين سنجر الباشقردى، وعمرَّ جامعها وقلعتها وكانا قد خربهما التتار.

وفيه قدم الشيخ على الإوِبْرَانى، وكان قد أسلم وخدم الفقراء، وسلك طريق الله وظهرت على يده كرامات، وتبعه جماعة من أولاد المغل، فسار بهم إلى الشام ومصر، ومثل بحضرة السلطان من قلعة الجبل فى ثامن عشر ذى القعدة، ومعه إخوته الأقوش وعمر وطوخِى وجُوبَان، وجماعة غيرهم. فأحسن السلطان إليه وإلى مَنْ معه، ورتب بعضهم فى جملة الخاصكية، ثم نقل إلى الإمرايات منهم الأقوش وتمر وعمر وهم إخوة.

ثم ظهر من الشيخ على ما أوجب أن يسجن، فسجن هو والأقوش، ومات تمر وعُمر فى الخدمة.

=فإن حصلت الرغبة فى الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل، فالجواب أن ثم أمورا متى حصلت عليها الموافقة ابتنى على ذلك حكم المصاحبة والمصادفة، ورأى الله والناس كيف يكون تصافينا، وإذلال عدونا وإعزاز مصافينا ، فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقرابة، وما ثم أمر هذا الدين واستحكم فى صدر الإسلام إلا بمضافرة الصحابة. فإن كانت له رغبة إلى الاتحاد، وحسن الوداد، وجميل الاعتضاد ، والاستناد إلى من يشتد الأزر به عند الاستناد، فالرأى إليه فى ذلك. ومن المشافهة أنه إن كانت الرغبة ممتدة الأمل إلى ما فى يده من أرض وماء، فلا حاجة إلى إنفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود، فالجواب عن ذلك، أنه إذا كف كف العدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك ، وسكنت الدهماء ، وحقنت الدماء ، وما أحقه بأن لا ينه عن خلق ويأتى مثله، ولا يأمر ببر وينسى فعله، وبلاد قنعرطاى بالروم وهى بلاد فى أيديكم، وخراجها يجبى إليكم وقد سفك فيها وفتك، وسبى وهتك، وباع الأحرار، وأبى إلا التمادى على الإصرار والإضرار. ومن المشافهة أنه إن حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الغارات، ولا يفتر عن هذه الإثارات، فنعين مكانًا يكون فيه اللقاء، ويعطى الله النصر لمن يشاء، فالجواب عن ذلك أن الأماكن التى اتفق فيها ملتقى الجمعين مرة ومرة، قد عاف مواردها من سلم من أولئك القوم، وخاف أن يعاودها فيعاوده مصرع ذلك اليوم، فوقت اللقاء علمه عند الله فلا يقدر، وما النصر إلا من عند الله لمن أقدر لا لمن قدر، ولا نحن ممن ينتظر فلتة، ولا له إلى غير ذلك لفتة، وما أمر ساعة النصر إلا كساعة لا يتأتى إلا بغته، والله الموفق لما فيه صلاح هذه الأمة، والقادر على إتمام كل خير ونعمة.

وفى حادى عشريه: وقعت نار بدمشق أقامت ثلاثة أيام، فاحترق فيها شىء كثير، منها سوق الكتبيين، واحترق لشمس الدين إبراهيم الجزرى الكتبى خمسة عشر ألف مجلد سوى الكراريس.

وفى يوم عرفة: قبض بدمشق على الأمير عز الدين أيبك كرجى أمير علم، والأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين أيدمر النائب بدمشق، وعلى زين الدين بن الشيخ على، واعتقلوا، وفيه تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون بخوند أَشْلُوْن ابنة الأمير سكناى ابن قراجين بن جنغان نوبن القادم إلى القاهرة فى الدولة الظاهرية، وهى أم الملك الناصر محمد.

وتزوج الملك الصالح على ابن السلطان بخوند منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصورى، فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء مُهِمَّ أشلون يوم زُفَّتْ إلى السلطان، ففتنه حسنها حتى كاد يهلك، فمازال السلطان بطرنطاى النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها فطلقها.

وأفرج السلطان عن أبيها نوكيه من سجن الإسكندرية، وأحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة، وعقد العقد على خمسة آلاف عينا عُجِّل منها ألف دينار.

وفيها بلغ السلطان أن ملك الكرج توماسوطا بن كليارى خرج من بلاده، ومعه رفيق له اسمه طيبغا بن انكواد يريد زيارة القدس سرا، فحفظت عليه الطرقات من كل جهة، فلم يصل إلى موضع منذ خرج من بلده إلى أن قدم القدس إلا ويصل خبره وهيئة حاله إلى السلطان. فقبض عليه بالقدس، وأحضر إلى قلعة الجبل هو ورفيقه واعتقلا.

وانتهت زيادة النيل فى هذه السنة إلى سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا. وخرج من القاهرة بالمحمل الأمير ناصر الدين ألطنبغا الخوارزمى، ومعه كسوة الكعبة، وسار بالسبيل حسام الدين مظفر أستادار الفارقانى. وحج الأمير علاء الدين البندقدارى فى ركب كبير.

وفيها ولى نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الشيبانى قضاة الشافعية بحلب، عوضًا عن تاج الدين أبى المعالى عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن علوى السنجارى.

وفيها فى آخر شوال خلع متملك تونس أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، وكانت مدته ثلاث سنين وسبعة أشهر. وقام من بعده الدعى

أحمد بن مرزوق بن عمار المسبلى الخياط، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن المستنصر.

وفيها أقيم فى الملك تكدار بن هولاكو، بعد موت أخيه أبغا بن هولاكو فى المحرم، فأظهر أنه أسلم وتسمى أحمد سلطان. ترك أبغا ولدين هما أرغون وكيختو .

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شمس الدين أبو العباس أحمد بن بهاء الدين أبى بكر بن خلكان البرمكى الإربلى الشافعى، المؤرخ قاضى دمشق فى رجب.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق زين الدين أبو محمد عبد الكريم بن على بن عمر الزواوى المالكى، بعد ما عزل نفسه، عن اثنتين وتسعين سنة بدمشق.

وتوفى برهان الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر بن عيسى المراغى الفقيه الشافعى، وقد أناف على خمس وسبعين سنة بدمشق.

ومات الصاحب علاء الدين عطا ملك ابن الصاحب بهاء الدين محمد بن محمد الجوينى مدبر دول العراق، بناحية أران. وله فضل وشعر جيد.

وتوفى المسند برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى بن الدرجى القرشى الدمشقى الحنفى، عن اثنتين وثمانين سنة.

ومات الأمير حسام الدين بشار الرومى وهو أحد من قدم فى الأيام الظاهرية بيبرس من بلاد الروم بعد ما بلغ مائة وعشرين سنة، وناب وحج وترك الإمرة وعوض عنها براتب أجرى عليه.

وتوفى زين الدين إدريس خطيب الجامع الأزهر.

وتوفى السديد عبد الله الماعز. وقد باشر ديوان المرتجع فى الأيام الظاهرية، فنقله المنصور قلاوون إلى ديوانه.

ومات أيضًا منكوتمر بن طوغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان، ملك التتر ببلاد الشمال. وملك بعده أخوه تدان منكو، وجلس على كرسى الملك بمدينة صراى.

* * *

سنة اثنين وثمانين وستمائة

فى المحرم: وصل الملك المنصور صاحب حماة، فركب السلطان إلى لقائه، وأنزله بمناظر الكبش وأقيم بواجبه.

وفيه استخرجت الجوالى من الذمة، وكانت العادة أن تستخرج فى شهر رمضان، فأخر استخراجها إلى المحرم رفقًا بهم، وحضر الصاحب نجم الدين الأصفونى بدار العدل تحت القلعة لاستخراجها.

وفيه رسم أن تكون جوالى الذمة بالقدس وبلد الخليل، وبيت لحم وبيت جالا، مرصدة لعمارة بركة فى بلد الخليل.

وفى سادسه: توجه السلطان إلى بر الجيزة، وسار إلى البحيرة لحفر الخليج المعروف بالطبرية، ومعه صاحب حماة.

وأقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بالقلعة، ومعه الأمير قراسنقر الجركندار، وعلاء الدين أيدغدى السلاح دار، وعز الدين أيبك الخازندار، ورتب مع الأمير علم الدين الخياط والى القاهرة عدة من أصحاب الأمراء، يطوفون كل ليلة من بعد العصر حول القلعة وفى ظواهر القاهرة. ونودى على الأجناد فى القاهرة بالخروج لحفر الخليج، ووقع العمل فيه فكان طوله ستة آلاف وخمسمائة قصبة فى عرض ثلاث قصبات وعمق أربع قصبات بالقصبة الحاكمية، وفرغ من عمله فى عشرة أيام. فحصل بسببه نفع كبير، وروى منه ما لم يكن قبل ذلك يروى. وفيه وصل من الشروق تسعة عشر وافدًا بأولادهم.

وفى رابع عشره: وصلت رسل صاحب بلاد سيلان من أرض الهند واسمه أبو نكيه بكتابه. وهو صحيفة ذهب عرض ثلاثة أصابع فى طول نصف ذراع بداخلها شىء أخضر يشبه الخوص، مكتوب فيه بقلم لم يوجد فى القاهرة من يحسن قراءته، فسئل الرسل عنه فقالوا «إنه يتضمن السلام والمحبة وإنه ترك صحبة صاحب اليمن وتعلق بمحبة السلطان، ويريد أن يتوجه إليه رسول، وذكر أن عنده أشياء عدها من الجواهر والفيلة والتحف ونحوها، وأنه عبأ تقدمة إلى أبواب السلطان، وأن فى مملكة سيلان سبعا وعشرين قلعة، وبها معادن الجواهر والياقوت، وأن خزائنه ملآنة من الجواهر».

وفى رابع صفر: عاد المنصور صاحب حماة بلده، وخرج السلطان معه لوداعه.

وفى خامس ربيع الأول: جرت الهدنة بين السلطان وبين الفرنج بعكا مدة عشر سنين، أولها خامس المحرم من هذه السنة[١].

---

(١) وفى يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول من هذه السنة جرت الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الحكام بعكا، على ما تقرر بينه وبينهم فى شرحها، نصها: استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبى الفتح قلاوون الملكى الصالحى وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين على، خلد الله سلطانهما، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التى انعقدت عليه هذه الهدنة، وهم: السنجال كفيل المملكة بعكا، وحضرة المقدم عبد الجليل إفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، والمقدم إفرير نيكول للورن مقدم بيت الاسبتار، والمرشان الأجل إفرير كورات نائب مقدم بيت الإسبتار الأمن، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول، سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية، صلوات الله على صاحبها وسلامه، الموافق للثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى، على جميع بلاد السلطان الملك المنصور وولده، وهى التى فى تملكهما وتحت حكمهما وطاعتهما، وتحويه يدهما يومئذ من جميع الأقاليم والممالك والقلاع والحصون ، والأعمال والمدن والقرى والمزارع والأراضى، وهى مملكة الديار المصرية حرسها الله تعالى، وما بها من الثغور والقلاع والحصون الإسلامية، وثغر دمياط وثغر الإسكندرية المحروسين، ونستروه ونستريه، وما ينسب إليها من الموانئ والسواحل والبرور، وثغر فوة وثغر رشيد، والبلاد الحجازية، وثغر غزة المحروس، وما معها من الموانئ والبلاد، والمملكة الكركية والشوبكية وأعمالها، والصلت وأعمالها، وبصرى وأعمالها، ومملكة بلاد الخليل صلوات الله عليه وسلامه، ومملكة القدس الشريف وأعمالها، والأردن وبيت لحم وأعماله وبلادها، وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها، ومملكة يافا والرملة وميناؤها وأعمالها، وقيسارية وجميع ما هو داخل فيها ومحسوب منها، وبيت جبيرل، ومملكة نابلس وأعمالها، ومملكة الأطرون وأعمالها وميناؤها وسواحلها وأعمالها، وأرسوف وأعمالها، وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها، ولد وأعمالها وأعمال العوجاء وما معها من الملاحة، وبلاد الفتوح السعيد وأعمالها ومزارعها، وبيسان وأعمالها وبلادها، والطور وأعمالها، واللجون وأعمالها. وعين جالوت وأعمالها، والقسمون كذا وأعماله، وما ينسب إليه، وطبرية وبحيراتها وأعمالها وما معها، والمملكة الصفدية وما ينسب إليها، وتبنين وهونين وما معها من البلاد والأعمال، والشقيف المعروف بشقيف أرنون وما معه من البلاد والأعمال وما هو منسوب إليه، وبلاد القرون وما معه خارجًا عما عين فى هذه الهدنة، ونصف مدينة إسكندرونة، ونصف ضيعة مارن، بقراهما وكرومهما وبساتينهما وحقوقهما، وما عدا ذلك من أعمال إسكندرونة المذكورة يكون جميعه بحدوده وبلاده لمولانا السلطان ولولده، والنصف لمملكة عكا. والبقاع العزيزى وأعماله، ومشغر وأعمالها، وشقيف ترون وأعمالها، والمغاير جميعها ـ زلايا وغيرها، وبانياس وأعمالها وقلعة الصبيبة وما معها من البحيرات وأعمالها، وكوكب وأعمالها وما معها، وقلعة عجلون وأعمالها، ودمشق والمملكة الدمشقية وما لها من القلاع والبلاد والممالك والأعمال، وقلعة بعلبك وما معها وأعمالها، ومملكة حمص وما لها من الأعمال والحدود، ومملكة حماة ومدينتها وقلعتها وبلادها وحدودها، وبلاطنس وأعمالها، وفتوحات حصن الأكراد وأعماله،=

.. ..

=وصافيثا وأعمالها، وميعار وأعمالها، والعريمة وأعمالها، ومرقية وأعمالها، وحلب وحصن عكار وأعماله وبلاده ، والقليعات وأعمالها، وقلعة شيزر وأعمالها، وأفامية وأعمالها، وجبلة وأعمالها، وأبو قبيس وأعماله، والمملكة الحلبية وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد والحصون، وأنطاكية وأعمالها وما دخل منها فى الفتوحات المباركة، وبغراس وأعمالها، والدربساك وأعماله، والراوندان وأعمالها، وحارم وأعمالها، وعينتاب وأعمالها، وتيزين وأعمالها، وشيخ الحديد وأعماله، وقلعة نجم وأعمالها، وشقيف ديركوش وأعمالها، والشغر وأعمالها، وبكاس وأعماله، والسويداء وأعمالها، والباب وبزاعا وأعمالها، والبيرة وأعمالها، والرحبة وأعمالها، وسلمية وأعمالها، وشميميس وأعمالها، وتدمر وأعمالها، وما هو منسوب إلى جميع ذلك ما عين وما لم يعين، وجميع ما هو لمولانا السلطان ولولده من البلاد التى عينت فى هذه الهدنة المباركة، والتى لم تعين. وعلى جميع العساكر وعلى جميع الرعايا، من سائر الناس أجمعين، على اختلافهم وتغاير أنفارهم وأجناسهم وأديانهم القاطنين فيها والمترددين إليها ومنها ومن سائر بلاد المسلمين، وعلى جميع التجار والسفار والمترددين فى البر والبحر، والسهل والجبل، فى الليل والنهار، يكونون آمنين مطمئنين فى حالتى صدورهم وورودهم، على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وحريمهم وبضائعهم وغلمانهم، وأتباعهم ومواشيهم ودوابهم، وعلى جميع ما يتعلق بهم، وكل ما تحوى أيديهم من سائر الأشياء على اختلافها من الحكام بمملكة عكا: وهم كفيل المملكة، والمقدم إفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، والمقدم إفرير نيكول الورن مقدم بيت اسبتار الأمن، والمرشان إفرير كورات نائب مقدم بين اسبتار الأمن، ومن جميع الفرنج الإخوة، والفرسان الداخلين فى طاعتهم وتحوية مملكتهم الساحلية، ومن جميع الفرنج على اختلافهم، الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى الهدنة، وكل واصل إليها فى بر وبحر، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم، ولا ينال بلاد مولانا السلطان الملك المنصور قلاوون وولده الملك الصالح، ولا حصونها ولا قلاعهما، ولا بلادهما ولا ضياعهما، ولا عساكرهما ولا جيوشهما، ولا عربهما، ولا تركمانهما، ولا أكرادهما ولا رعاياهما، على اختلاف الأجناس والأنفار، ولا ما تحويه أيديهم من المواشى والأموال والغلال وسائر الأشياء منهم بغدر ولا سوء، ولا يخشون من جهتهم أمرًا مكروهًا ولا إغارة ولا تعرضا ولا أذية، وكذلك كل ما سيفتحه ويضيفه مولانا السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح، على يدهما وعلى يد نوابهما وعساكرهما، من بلاد وحصون وقلاع وملك وأعمال وولايات، برًا وبحرًا، سهلا ووعرًا. وكذلك جميع بلاد الفرنج التى استقرت الآن عليها هذه الهدنة المباركة ، وهى: مدينة عكا وبساتينها وأراضيها وطواحينها، وما يختص بها من كرومها، وما لها من حقوق حولها، وما تقرر لها من بلاد فى هذه الهدنة، وعدتها بما فيها من مزارع ثلاث وسبعون ناحية خاصة للفرنج، وكذلك حيفا والكروم والبساتين، المارة بحيفا سبع نواحى، وكذلك مارينا بأرضها المعروفة بها تكون للفرنج، وكذلك دير السياج ودير مار إلياس يكون للفرنج. ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصا عفا والمنصورة، وباقى بلاد الكرمل ثلاث عشرة ناحية للفرنج، وعثليث القلعة والمدينة والبساتين التى قطعت والكروم وفلاحتها وأراضيها تكون لها ويكون لها من البلاد ست عشرة ناحية، ويكون خاصا لمولانا السلطان ما يذكر: وهو قرية الهراميس بكمالها وحقوقها ومزارعها، وبقية بلاد عثليث تكون مناصفة خارجا عما للخاص الشريف وعما لخاص عثليث يكون مناصفة: وهى ثمانى نواحى، وفلاحة الإسبتار بعمل قيسارية تكون خاصا للفرنج بما=

.. ..

=فيها، ونصف إسكندرونة، ونصف قرية مارن بما فيها للفرنج، وما عدا ذلك يكون خاصًا لمولانا السلطان. مهما كان فى إسكندرونة وقرية مارن من الحقوق والغلة يكون مناصفة، وصيدا القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب إليها خاصًا للفرنج، ويكون لها من البلاد خاصا خمس عشرة ناحية، وما فى الوطاة من أنهار ومياه وعيون، وبساتين وطواحين وقنى، ومياه جارية وسكور لهم بها عادة قديمة تسقى أراضيهم، يكون خاصًا لهم ، وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان ولولده بكمالها. وتكون جميع هذه البلاد العكاوية، وما عين فى هذه الهدنة المباركة من البلاد الساحلية، آمنة من السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح، وآمنة من عساكرهما وجنودهما ومن فى خدمتهما. وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة فى هذه الهدنة المباركة، الخاص منها وما هو مناصفة، مطمئنة هى ورعاياها وسائر أجناس الناس فيها، والقاطنين بها والمترددين إليها، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، والمترددين إليها من جميع بلاد الفرنجة والتجار والسفار، والمترددين منها وإليها فى بر وبحر، فى ليل أو نهار، وسهل وجبل، آمنين على النفوس والأموال والأولاد، والمراكب والدواب وجميع ما يتعلق بهم، وكل ما تحويه أيديهم من الأشياء على اختلافها، من السلطان وولده، ومن جميع من هو يجب عليه طاعتهما، لا ينالهم ولا ينال هذه البلاد المذكورة التى انعقدت الهدنة عليها سوء ولا ضرر ولا إغارة، ولا ينال إحدى الجهتين المذكورتين الإسلامية والفرنجية من الأخرى ضرر ولا أذية، ويكون ما تقرر أنه يكون خاصًا للفرنج حسبما بين أعلاه لهم، وما تقرر أن يكون للسلطان وولده يكون خاصا لهما، والمناصفات تكون كما شرح، ولا يكون للفرنج من البلاد والمناصفات إلا ما شرح فى هذه وعين فيها من البلاد. وعلى أن الفرنج لا يجددون فى غير عكا وعثليث وصيدا، مما هو خارج عن أسوار هذه الجهات الثلاث المذكورات سورا، ولا قلعة ولا برجا ولا حصنا قديما ولا مستجدًا. وعلى أنه متى هرب أحد كائنا من كان من بلاد السلطان وولده إلى عكا البلاد الساحلية المعينة فى هذه الهدنة، وقصد الدخول فى دين النصرانية وتنصر بإرادته، يرد جميع ما يروح معه ويبقى عريانا، وإن كان يقصد الدخول فى دين النصرانية ولا يتنصر، رد إلى أبوابها العالية بجميع ما يروح معه، بعد أن يعطى الأمان. وكذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة. ويقصد الدخول فى دين الإسلام، وأسلم بإرادته، يرد جميع ما معه ويبقى عريانا، وإن كان ما يقصد الدخول فى دين الإسلام ولا يسلم، يرد إلى الحكام بعكا، وهم كفيل المملكة والمقدمون، بجميع ما يروح معه بشفاعة، بعد أن يعطى الأمان. وعلى أن الممنوعات المعروف منعها قديما تستقر على قاعدة المنع من الجهتين، ومتى وجد صحبة أحد من تجار بلاد السلطان وولده من المسلمين وغيرهم، على اختلاف أديانهم وأجناسهم، شىء من الممنوعات بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، مثل عدة السلاح وغيره، تعاد على صاحبه الذى اشتراه منه، ويعاد إليه ثمنه، ويؤخذ ماله استهلاكا، ولا يؤذى بسبب ذلك، لا هو ولا ماله. وكذلك إذا طلع تجار الفرنج من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، ووجد معهم شىء من الممنوعات مثل عدة سلاح وغيره، يعاد على صاحبه الذى اشتراه منه، ويعاد إليه ثمنه ويرد، ولا يؤخذ ماله استهلاكا، ولا يؤذى. وللسلطان ولولده أن يفصلا فيمن يخرج من بلادهما من رعيتهما، على اختلاف أديانهم وأجناسهم، بشىء من الممنوعات. وكذلك كفيل المملكة بعكا والمقدمون لهم أن يفصلوا فى رعيتهم الذين=

.. ..

=يخرجون بالممنوعات من بلادهم الداخلة فى هذه الهدنة. ومتى أخذت أخيذة من الجانبين، أو قتل قتيل من الجانبين، على أى وجه كان - والعياذ با لله - ردت الأخيذة بعينها إن كانت موجودة، أو قيمتها إن كانت مفقودة. والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه: فارس بفارس، وبركيل ببركيل، وتاجر بتاجر، وراجل براجل، وفلاح بفلاح، فإن خفى أمر القتيل والأخيذة كانت المهلة فى الكشف أربعين يوما، فإن ظهرت الأخيذة أو تعين أمر المقتول ردت الأخيذة بعينها. ويكون العوض عن القتيل بنظيره، وإن لم تظهر كانت اليمين على والى المكان المدعى عليه، وثلاثة نفر يقع اختيار المدعى عليهم من تلك الولاية. وإن امتنع الوالى عن اليمين حلف من الجهة المدعية ثلاثة نفر تختارهم الجهة الأخرى، وأخذت قيمتها. وإن لم ينصف الوالى ولا رد المال أنهى المدعى أمره إلى الحكام من الجهتين، وتكون المهلة بعد الإنهاء أربعين يوما. ويلزم الولاة من الجهتين بالوفاء بهذا الشرط، ومتى أخفوا قتيلا أو أخيذة، أو قدروا على أخذ حق ولم يأخذه كل واحد فى ولايته، ويتعين على الذى يوليه من ملوك الجهتين إقامة السياسة فيه: من أخذ الروح والمال، والسبق والإنكار العام على من يتعين عليه الإنكار، إذا فعل ذلك فى ولايته وأرضه. وإن هرب أحد بمال واعترف ببعضه، وأنكر ما ادعى به عليه، لزمه أن يحلف أنه لم يأخذ سوى ما رده، فإن لم يقتنع المدعى بيمين الهارب حلف والى تلك الولاية أنه لم يطلع على أنه وصل معه غير ما رده، وإن أنكر أنه لم يصل إليه شىء أصلا يستحلف الهارب أنه لم يصل معه للمدعى شىء، ويحلف والى تلك الجهات على أنه لم يصل شىء. على أنه إذا انكسر مركب من مراكب تجار السلطان وولده، التى انعقدت عليها الهدنة، ورعيتهما من المسلمين وغيرهم، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، فى ميناء عكا وسواحلها والبلاد الساحلية التى انعقدت عليها الهدنة، كان كل من فيها آمنا على الأنفس والأموال والأمتعة والمتاجر، فإن وجد أصحاب هذه المراكب التى تنكسر تسلم مراكبهم وأموالهم إليها، وإن عدموا بموت أو غرق أو غيبة فيحتفظ بموجودهم، ويسلم لنواب السلطان وولده. وكذلك المراكب المتوجهة من هذه البلاد الساحلية المنعقدة عليها الهدنة للفرنج يجرى لها مثل ذلك فى بلاد السلطان وولده، ويحتفظ بموجودها إن يكن صاحبها حاضرا، إلى أن يسلم لكفيل المملكة بعكا والمقدمين. ومتى توفى أحد من التجار المترددين، الصادرين والواردين، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، من بلاد السلطان وولده، فى عكا وصيدا وعثليث والبلاد الساحلية الداخلية فى هذه الهدنة، يحتفظ على ماله إلى أن يوصل إلى نوابها. وكذلك التجار الصادرين والواردين، المترددين من عكا وصيدا وعثليث، والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، إذا توفى أحد فى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة يحتفظ على المال إلى حين يسلم، إلى كفيل المملكة بعكا والمقدمين. وعلى أن شوانى السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لا تتعرض لأذية من البلاد الساحلية التى انعقدت عليها هذه الهدنة، ومتى قصدت هذه المذكورة جهة غير هذه الجهات، وكان صاحب تلك الجهات معاهدا للحكام بمملكة عكا، فلا تدخل إلى البلاد التى انعقدت عليها هذه الهدنة ولا تتزود منها. وإن لم يكن صاحب تلك الجهة التى تقصدها الشوانى المنصورة معاهدًا للحكام بمملكة عكا والبلاد التى انعقدت عليها الهدنة، فلها أن تدخل إلى بلادها وتتزود منها. وإذا تكسر شىء من هذه الشوانى والعياذ با لله ، فى ميناء من موانى البلاد التى انعقدت عليها الهدنة وسواحلها، فإن كانت قاصدة من له مع مملكة عكا ومقدمى مونها عهد، ولم يكن لهم معهم عهد، فيلزم. كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت حفظها، ويمكن=

.. ..

=رحالها من الزوادة وإصلاح ما انكسر منها والعود إلى البلاد الإسلامية، ويبطل حركة ما ينكسر منها - والعياذ با لله - أو يرميه البحر. هذا إذا كانت قاصدة بلاد من له مع مملكة عكا ومقدميها عهد، فإن لم يكن لها معهم عهد فلها أن تتزود وتعمر رحالها من البلاد المنعقدة عليها الهدنة، وتتوجه إلى الجهة المرسوم لها بقصدها، ويعتمد هذا الفصل من الجهتين. وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجية وغيرهم من حوا البحر، بقصد الحضور لمضرة السلطان وولده فى بلادهما المنعقدة عليها هذه الهدنة، فيلزم نائب المملكة والمقدمين بعكا أن يعرفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة فى الهدنة بمدة شهرين. وإن وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين، فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمين بريئين من عهدة اليمين فى هذا الفصل. ومتى تحرك عدد من جهة البر من التتار وغيرهم، فأى من سبق الخبر إليه من الجهتين يعرف الجهة الأخرى بما سبق الخبر إليه من أمرهم. وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية - والعياذ با لله - عدو من التتار وغيرهم فى البر، وانحازت العساكر الإسلامية من قدام العدو، ووصل العدو إلى القرب من البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة وقصدوها بمضرة، فلكفيل المملكة بعكا والمقدمين بها أن يدرأوا عن نفوسهم ورعيتهم وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه. وإن حصل - والعياذ با لله - جفل من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر، ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم. وعلى أن النائب بمملكة عكا والمقدمين يوصون فى سائر البلاد الساحلية التى وقعت الهدنة عليها، أنهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم، ولا من حمل ماء، وإن ظفروا بأحد منهم يمسكوه، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحبها وتسلم إليه. وكذلك يعتمد مولانا السلطان وولده، ويعتمد فى أمر الحرامية هذا الاعتماد من الجهتين. وعلى أن الرهائن بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، كل من عليه مبلغ أو غلة، فيحلف والى المكان الذى منه الرهينة، ويحلف المباشر والكاتب فى وقت واحد هذا الشخص رهينة أن عليه كذا وكذا من دراهم أو غلة أو بقر أو غيره. فإذا حلف الوالى والمباشر والكاتب قدم نائب السلطان وولده على ذلك يقوم أهل الرهينة عنه بما للفرنج عليه ويطلقونه. وأما الرهائن الذين أخذوا منسوبا إلى الجفل والاختشاء أنهم لا يهربون إلى الإسلام، ويمتنع الولاة والمباشرون من اليمن عليهم، فأولئك يطلقون. وعلى أنه لا يجدد على التجار المسافرين، الصادرين والواردين، من الجهتين حق لم تجر به عادة، ويجرون على عوائدهم المستمرة إلى آخر وقت، وتؤخذ منهم الحقوق على العادة المستقرة، ولا يجدد عليهم رسم ولا حق لم تجر به عادة، وكل مكان عرف باستخدام الحق فيه استخرج بذلك المكان من غير زيادة من الجهتين. ويكون التجار والسفار والمترددون آمنين مطمئنين مخفرين من الجهتين، فى حالتى سفرهم وإقامتهم، وصدورهم وورودهم، بما فى صحبتهم من الأصناف والبضائع التى هى غير الممنوعة. وعلى أن ينادى فى البلاد الإسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة فى هذه الهدنة، أنه من كان من فلاحى بلاد الإسلام يعود إلى بلاد المسلمين مسلمًا كان أو نصرانيا، وكذلك من كان من فلاحى بلاد الفرنج يعود إلى بلاد الفرنج مسلمًا كان أو نصرانيا، مغروقا قراريا من الجهتين، ومن لم يعد بعد المناداة يطرد عن الجهتين. ولا يمكن فلاحو بلاد المسلمين من المقام فى بلاد الفرنج المنعقدة عليها هذه الهدنة، ولا فلاحو بلاد الفرنج من المقام فى بلاد المسلمين التى انعقدت عليها هذه الهدنة، ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان.=

.. ..

=وعلى أن تكون كنيسة الناصرية، وأربع بيوت من أقرب البيوت إليها، لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب، كبيرهم وصغيرهم، على اختلاف أحناسهم وأنفارهم، من عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة. ويصلى بالكنيسة الأقساء والرهبان، وتكون البيوت المذكورة لزوار كنيسة الناصرة خاصة، ويكونون آمنين مطمئنين فى توجههم وحضورهم إلى حدود البلاد الداخلة فى هذه الهدنة. وإذا نقبت الحجارة التى بالكنيسة المذكورة ترمى برا، ولا يحط منها حجر على حجر لأجل بنايته، ولا يتعرض إلى الأقساء ولا الرهبان، وذلك على وجه الهبة لأجل زوار دين الصليب بغير حق. ويلزم السلطان وولده حفظ هذه البلاد المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة، من نفسهما وعساكرهما وجنودهما، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين والمفسدين، ممن هو داخل تحت حكمهما وطاعتها. ويلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظ هذه البلاد الإسلامية المشروحة التى انعقدت عليها الهدنة، من نفسهم وعساكرهم وجنودهم، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين، ممن هو داخل تحت حكمهم وطاعتهم، بمملكتهم الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة. ويلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت بها، الحكام بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، القيام بما تضمنته هذه الهدنة من الشروط جميعها، شرطا شرطا وفصلا فصلا، والعمل بأحكامها والوقوف عند شروطها إلى انقضاء مدتها، ويفى كل منهم بما حلف به من الأيمان المؤكدة من أنه يفى بجميع ما فى هذه الهدنة على ما حلفوا به. تستمر هذه الهدنة المباركة بين السلطان وولده وأولادهما وأولاد أولادهم، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث، وهم السنجال أود، والمقدمون المذكورون فلان وفلان إلى آخرها، لا تتغير بموت أحد ملوك الجهتين، ولا بتغير مقدم وتولية غيره، بل تستمر على حالها إلى آخرها وانقضائها، بشروطها المحررة وقواعدها المقررة كاملة تامة. ومتى انقضت هذه الهدنة المباركة، أو وقع - والعياذ با لله - فسخ، كانت المهلة فى ذلك أربعون يوما من الجهتين، وينادى برجوع كل أحد إلى وطنه بعد الإشهار، ليعود الناس إلى مواطنهم آمنين مطمئنين ، ولا يمنعوا من السفر من الجهتين، ولا تبطل بعزل أحد من الجهتين، وتستمر أحكامها متتابعة متوالية بالسنين والشهور والأيام إلى انقضائها. ويلزم المعزول والمتولى حفظها والعمل بشروطها إلى آخر مدتها المعينة، وتستمر هذه الهدنة بشروطها وفصولها وفروعها وأصولها، ويجرى الحال فيها على أجمل الحالات إلى آخرها، وعلى جميع وقع الرضا والصلح والاتفاق، وحلف عليها من الجانبين.

وا لله الموفق. نسخة اليمين التى حلف السلطان الملك المنصور عليها فى هذه الهدنة المباركة: «أقول وأنا.... وا لله وا لله وا لله وبا لله وبا لله وبا لله وتا لله وتا لله وتا لله وا لله العظيم الطالب الغالب، والضار النافع، والمدرك المهلك، عالم ما بدا وما خفا، عالم السر والعلانية، الرحمن الرحيم. وحق القرآن ومن أنزله، ومن أنزل عليه وهو محمد بن عبد ا لله ﷺ، وما يقال فيه من سورة سورة وآية آية، وحق شهر رمضان، إننى أفى بحفظ الهدنة المباركة، التى استقرت بينى وبين مملكة عكا والمقدمين بها، على عكا وعثليث وصيدا وبلادهم، التى تضمنتها هذه الهدنة، التى مدتها عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها أن يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة ، من أولها إلى آخرها، وأحفظها وألتزم بجميع شروطها المشروحة فيها، وأجرى على أحكامها إلى القضاء مدتها، ولا أتاول فيها ولا فى شيء منها، ولا أستفتى فيها طلبا لنقضها، مادام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليث، وهم كافل المملكة بعكة، ومقدم بيت الديوانية، ومقدم بيت=

وفي عاشره: ولى الصاحب برهان الدين السنجارى تدريس المدرسة بجوار الشافعي من القرافة.

=الإسبتار، ونائب مقدم بيت إسبتار الأمن الآن، ومن يتولى بعدهم فى كفالة مملكة، أو مقدم بيت عنهم، بهذه المملكة المذكورة، وافين باليمين التى يحلفون بها لى ولولدى الملك الصالح ولأولادى، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن، عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها، إلى انقضاء مدتها، ملتزمين بأحكامها. وإن نكثت فى هذه اليمين فيلزمنى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المشرفة، حافيا حاسرًا ثلاثين حجة، ويلزمنى صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها، ويذكر بقية شروط اليمين، والله على نقول وكيل». نسخة يمين الفرنج التى حلفوا بها فى هذه الهدنة: والله والله والله وبالله وبالله وبالله وتالله وتالله وتالله وحق المسيح وحق المسيح وحق المسيح وحق الصليب وحق الصليب وحق الصليب وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد، المكنى بها عن الأب والإبن والروح القدس إله واحد. وحق اللاهوت المكرم الحال فى الناسوت المعظم، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى ومرقس ولوقا ويحنا، وحق صلواتهم وتقديساتهم، وحق التلاميذ الاثنى عشر، والاثنين وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين بالبيعة، وحق الصوت الذى نزل من السماء على نهر الأردن فزجره، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وحق الست مارية أم النور مارت مريم، ويوحنا المعمودين ومرتمان ومرتمانى، وحق الصوم الكبير، وحق دينى ومعبودى وما أعتقده من النصرانية، وما تلقته من الآباء والأقسام المعمودية، إننى من وقتى هذا وساعتى هذه، قد أخلصت نيتى، وأصفيت طويتى، فى الوفاء للسلطان المنصور ولولده الملك الصالح ولأولادهما، بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التى انعقد الصلح عليها، على مملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها الداخلة فى هذه الهدنة المسماة فيها، التى مدتها عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشر أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى، وأعمل بجميع شروطها شرطا شرطا، وألتزم الوفاء بكل فصل فى هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدتها. وإنى والله والله وحق المسيح وحق الصليب وحق دينى لا أتعرض إلى بلاد السلطان وولده، ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين، ولا إلى من يتردد منها إلى البلاد الداخلة فى هذه الهدنة، بأذية ولا ضرر، فى نفس ولا فى مال. وإنى والله وحق دينى ومعبودى أسلك فى المعاهدة والمهادنة، والمصافاة والمصادقة، وحفظ الرعية الإسلامية والمترددين من البلاد السلطانية، والصادرين منها وإليها، طريق المعاهدين المتصادقين، كف الأذية والعدوان عن النفوس والأموال، وألتزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها، مادام الملك المنصور وافيا باليمين التى حلف بها على الهدنة، ولا أنقض هذه اليمين ولا شيئًا منها، ولا أستثنى فيها ولا فى شىء منها طلبا لنقضها. ومتى خالفتها أو نقضتها فأكون بريئًا من دينى واعتقادى ومعبودى، وأكون مخالفا للكنيسة، ويكون على الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة، حافيًا حاسرًا، ويكون على فك ألف أسير مسلمين من أسر الفرنج وإطلاقهم، وأكون بريئًا من اللاهوت الحال فى الناسوت، واليمين يمينى ، وأنا فلان، والنية فيها بأسرها نية السلطان الملك المنصور، ونية ولده الملك الصالح، ونية مستحلفى لها بها على الإنجيل المكرم، لا نية غيرها، والله والمسيح على ما نقول وكيل.

وفى[.....][1] مات الصاحب نجم الدين حمزة الأصفونى، وولى شرف الدين أبو طالب بن النابلسى نظر الوجه القبلى، ونقل القاضى عز الدين بن شكر من نظر ديوان الجيش إلى نظر الوجه البحرى، وخلع عليهما. وبقى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدير المماليك، وهما بين يديه يصرفان المهمات.

وفيها خرجت تجريدة من قلعة كركر إلى حصار قلعة قطيبا إحدى قلاع آمد، فأخذوها من أيدى التتار، وأقيم فيها الرجال وعملت بها الأسلحة والغلال، فصارت من حصون الإسلام المنيعة.

وأخذت أيضًا قلعة كختا من النصارى بسؤال أهلها، فتسلمها أمراء السلطان بمدينة حلب، وشحنت بالأسلحة وغيرها، وصارت مسلطة على الأرمن.

وفى جمادى الأولى: خرج أرغون بن أبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان، فسار إليه وقتله وهزمه ثم أسره، فقامت الخواتين مع أرغون، وسألن الملك تكدار أحمد فى الإفراج عنه وتوليته خراسان، فلم يرض بذلك.

وكانت المغل قد تغيرت على تكدار، لكونه دخل فى دين الإسلام وإلزامه لهم بالإسلام، فثاروا وأخرجوا أرغون من الاعتقال، وطرقوا ألناق نائب تكدار ليقتلوه ففر منهم فأدركوه وقتلوا تكدار أيضًا، وأقاموا أرغون بن أبغا ملكا. فولى أرغون وزارته سعد الدولة اليهودى، وولى ولديه خرابندا وقازان خراسان، وعمل أتبكهما الأمير نوروز.

ومات الأشكرى متملك قسطنطينية واسمه ميخائيل، وملك بعده ابنه الدوقش.

وفى النصف من جمادى الأولى: توجه السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، فنزل غزة فى سابع جمادى الآخرة، وقبض على غرس الدين بن شاور متولى رملة ولدّ، وولى عوضه الأمير علم الدين سنجر الصالحى، وعزل عماد الدين بن أبى القاسم عن القدس، بنجم الدين السونجى.

ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة ثامن شهر رجب، فرسم أن كل من استخدم ترد جامكيته على ما كانت عليه فى الدولة الظاهرية وتستعاد منه الزيادة، فاستخرج من ذلك مال كبير.

وفى يوم الجمعة حادى عشرى رجب: عوق قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصارى المعروف بابن الصائغ، ثم صرف عن القضاء بدمشق، وطولب بثمانية آلاف دينار أودعها عنده الطواشى ريحان الخليفتى وأوصاه عيلها، وطولب بعدة ودائع أخرى، فقام فى حقه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام والأمير حسام الدين طرنطاى نائب مصر، ومازالا حتى أفرج عنه فى ثامن عشرى شعبان، ولزم داره.

واستقر عوضه فى قضاء دمشق بهاء الدين يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على بن محمد بن على الزكى[1].

وفيه استقر شرف الدين بن مزهر فى نظر الشام ثالثًا للناظرين.

واستقر قراسنقر نائبًا بحلب، عوضًا عن سنجر الباشقردى وقيل بل كان ذلك فى سنة إحدى وثمانين كما تقدم، وأنعم على الباشقردى بإقطاع بدر الدين الأزدمر بمصر.

واستقر بدر الدين بكتوت السعدى نائبًا بحمص.

وفى ثانى رمضان: خرج السلطان من دمشق، ودخل قلعة الجبل يوم الخميس رابع عشريه، وخرج المحمل على العادة.

وفى هذه السنة: غارت العساكر على بلاد الأرمن، ووصلوا إلى مدينة أياس وقتلوا ونهبوا وحرقوا، واقتتلوا مع الأرمن عند باب إسكندرونة[2] وهزموهم إلى تل حمدون، وعادوا سالمين ظافرين بالغنائم.

وفيها كانت وقعة ببلاد بيروت مع فرج قبرس حين قصدهم بلاد الساحل، قتل فيها عدة من الفرنج، وأسر منهم زيادة على ثمانين رجلا، وأخذت منهم غنائم كثيرة.

وفيها وصلت رسل تدان منكو بن طوغان بن باطو بن دوشى بن جنكزخان ملك القبجاق، بكتاب خطه بالقلم المغلى: يتضمن أنه أسلم، ويريد أن ينعت نعتًا من نعوت

---

(١) ابن الزكى (٦٤٠-٦٨٥هـ=١٢٤٣-١٢٨٧م) يوسف بن يحيى بن محمد بن زكى الدين على القرشى الدمشقى، أبو الفضل، بهاء الدين: آخر القطان من بنى الزكى من فقهاء الشافعية. ولى القضاء بدمشق سنة ٦٨٢هـ إلى أن توفى. قال العمارى: هو ذكى بيت الزكى، كان أديبا إخباريا كثير المحفوظ، علامة، مليح الفتاوى. انظر شذرات الذهب ٢٩٤/٥، الطبقات الوسطى للسبكى، الفرق الإسلامية، الأعلام٢٥٧/٨.

(٢) إسكندرونة: مدينة أو حصن بينه وبين أنطاكية خمسة وأربعون ميلاً، وهو حصن على ساحل البحر فيه نخيل وزروع كثيرة وغلات، وبينها وبين المصيصة أربعون ميلاً. انظر معجم البلدان، والروض المعطار ٥٦، ونزهة المشتاق ١٩٥.

أهل الإسلام، ويجهز له علم خليفتى وعلم سلطانى يقاتل بهما أعداء الدين. فجهزت الرسل إلى الحجاز، ثم عادوا وساروا إلى بلادهم بما سألوا فيه.

وفيها اشتريت الدار القطبية بخط بين القصرين من القاهرة، من خالص مال السلطان، وعوض سكانها عنها قصر الزمرد برحبة باب العيد، فى ثامن عشرى شهر ربيع الأول.

وقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى عمارتها مارستانًا[1] وقبة ومدرسة باسم

---

(١) ذكر عمارة التربة المنصورية والمدرسة والبيمارستان ومكتب السبيل. قال: ولما رأى السلطان الملك المنصور التربة الصالحية أمر بإنشاء تربة ومدرسة وبيمارستان ومكتب سبيل فاشتريت الدار القطبية وما يجاورها ـ وهى بين القصرين ـ من خالص مال السلطان، وعوض سكان الدار القطبية بالقصر المعروف بقص الزمرد. وكان انتقال سكان القطبية منها إلى قصر الزمرد ثانى عشر ربيع الأول من السنة ، ورتب الأمير علم الدين الشجاعى مشدا على العمارة، فأظهر من الاهتمام بالعمارة والاحتفال ما لم يسمع بمثله، فعمرت فى أيسر مدة، ونجزت العمارة فى شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وإذا شاهد الرائى هذه العمارة العظيمة وسمع أنها عمرت هذه المدة القريبة، ربما أنكر ذلك. ولما كملت العمارة وقف السلطان من أملاكه القياسر والرباع ، والحوانيت والحمامات، والفنادق والأحكار، وغير ذلك، والضياع بالشام، ما يحصل من أحل ذلك وريعه وغلاته فى كل شهر جملة كثيرة. وحعل أكثر ذلك على البيمارستان ثم القبة، ورتب وقف المدرسة إلا أنه يقصر عن كفايتها، ورتب لمكتب السبيل من الوقف بالشام ما يكفيه. ولما تكامل ذلك ركب السلطان وشاهده، وحلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء. فأخبرنى بعض من شهد السلطان وشهد عليه، أنه استدعى قدحًا من الشراب فشربه، وقال: «قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى». أوقفه السلطان على الملك والمملوك، والكبير والصغير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، وحعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة، ومن مات جهز وكفن ودفن. رتب فيه الحكماء الطبائعية والكحالين، والجرائحية. والمجبرين لمعالجة الرمدى والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرحال والنساء، ورتب به الفراشين والفراشات والقومة، لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم فى الحمام، وقرر لهم على ذلك الجامكيات الوافرة. عملت التخوت والفرش والطراريح، والأنطاع والمخدات واللحف والملاوات، لكل مريض فرش كامل. أفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم: فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها، وحعلت قاعة للرمدى، وقاعة للجرحاء، وقاعة لمن أفرط به الإسهال، وقاعة للنساء، ومكان حسن للممرورين من الرحال، ومثله للنساء. والمياه تجرى فى أكثر هذه الأماكن. أفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين، وتركيب الأكحال والشيافات والسفوفات، وعمل المراهم والأدهان، وتركيب الدرياقات ، وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة، ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك من جميع ما يحتاج إليه. رتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء، لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة، ولم يحضر السلطان ـ أثابه الله ـ هذا المكان المبارك بعده فى المرضى، يقف عندها المباشر ويمنع من عداها، بل جعله سبيلا لكل–

.. ..

=من يصل إليه فى سائر الأوقات، غني وفقير. لم يقتصر أيضًا فيه علـى مـن يقيـم بـه للمرضـى ، بـل يرتب لمن يطلب وهو فى منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية، حتى أن هؤلاء زادوا فـى وقت من الأوقات على مائتين، غير من هو مقيم بالبيمارستان. لقـد باشـرته فـي شـوال سـنة ثـلاث وسبعمائة، وإلى آخر رمضان سنة سبع وسبعمائة، فكان يصرف منـه فـى بعـض الأيـام مـن الشـراب المطبوخ خاصة ما يزيد على خمسة قناطير بالمصرى فى اليوم الواحد، للمرتبين والطوارئ، غير السـكر والمطابيخ من الأدوية، وغير ذلك من الأغذية والأدهان والدرياقات وغيرها. رتب فى البيمارستان من المباشرين والأمناء من يقوم بوظائفهن وابتياع ما يحتاج إليه من الأصناف، وضبط ما يدخل إلى المكان وما يخرج منه خاصة، من غير أن يكون لهـم تعلق فـى اسـتخراج الأمـوال، وإنمـا يبتـاعون الأصنـاف ويحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج، ويكتبون فى كل شهر عمل اسـتحقاق لسـائر أربـاب الجامكيات والجرايات من سائر أرباب الوظائف والمباشـرين ، يكتبـه العـامل ويكتـب عليـه الشـهود، ويأمر الناظر بصرفه، ويخلد ديـوان الصنـدوق، ويصـرف علـى حكمـه. هـذه الطائفـة مـن المبشـرين بالبيمارستان هم مباشرو الإدارة. أما مباشرو الصندوق والرباع، فإليهم يرجع تحرير جهـات الأوقـات فى الخلق والسكون والمعطل، واستخراج الأموال ومحاسبات المسـتأجرين، وصـرف الأمـوال بمقتضـى حوالة مباشرى الإدارة، ومباشرة العمارة، وعمل الاسـتحقاق، لا يتصرفـون فـى غـير ذلـك، كمـا لا يتصرف مباشرو الإدارة فى صرف الأموال إلا حوالة بأوراقهم. أما العمـارة فلهـا مباشـرون يتفـردون بها، من ابتياعه الأصناف واستعمال الصناع ومرمة الأوقاف، وغير ذلك مما يدخل فى وظيفتهم، وهـم يحيلون بثمن الأصناف على الصندوق، كما يفعل فى الإدارة، وينقل عليهم من الصندوق من المال مـا يصرفونه لأرباب الأحر خاصة، ويكتبـون فـى كـل شـهر عمـل استحقاق بثمـن الأصنـاف وأربـاب الأحر، ويخصمونه بما أحالوا به على الصندوق، وما وصل إليهـم مـن المـال، ويسـوقونه إلى قـابض أو متأحر، وترفع كل طائفـة مـن هـؤلاء المبشـرين حسـباناتهم، مياومـة ومشـاهرة ومسـاناة، إلى النـاظر والمستوفى. هذا ما بالبيمارستان. أما القبة المباركة المنصورية وهى التربة، فإنه رتب فيها خمسون مقرئًا يقرءون كتاب الله تعالى ليلا ونهارًا بالنوب، وجعل لكل منهم فى كل شهر عشـرون درهـمـا. رتـب بها إمام على منهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وله فـى كـل شـهر ثمـانون درهمًـا مـن أصـل الوقف، وفى كل سنة فى ليلة ختم صـلاة قيـام رمضـان خلعـة مـن خزانـة السـلطان كاملـة مسـخية مقتدرة. رتب بها رئيس ومؤذنون يعلنون الأذان بالمئذنة الكبرى، ويقيمـون الصـلاة، ويبلغـون خلـف الإمام، وهم سبعة نفر: الرئيس وله فى كل شهر أربعون درهمًا، والمؤذنون ستة لكـل منهـم فـى كـل شهر ثلاثون درهمًا. رتب بها درس تفسير لكتاب الله تعالى، فيه درس يلقيـه مـدرس، رتـب لـه فـى كل شهر أربعون درهمًا. طلبة عدتهم ثلاثون، لهم فى كل شهر ثلاثمائة درهم، ودرس حديـث يذكـر فيه حديث رسول الله ﷺ، له مدرس وطلبة، لهم فى كل شهر نظير ما لمدرس التفسير ومعيده وطلبته، وزيادة على ذلك قارئ يقرأ الحديث بين يدى المدرس فى أوقات الدروس، ويقـرأ ميعـادًا للعـوام بـين يديه أيضًا فى صبيحة كل يوم أربعاء، رتب له فى كل شهر ثلاثون درهمًا. رتـب لخـازن كتبهـا فـى كل شهر أربعون درهمًا ، وخزانة كتبهـا مـن الختمـات الشـريفة والربعـات المنسـوبة الخـط، وكتـب التفسير والحديث والفقه، واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء، شيء كثير. رتـب بهـا الخـدام اللازمة، يقيمون بالقبة لحفظ حواصلها ومنع من يعبر إليها فى غير أوقات الصلوات، وهم ستة لكل=

السلطان الملك المنصور قلاوون، فأظهر من الاهتمام فى العمارة ما لم يسمع بمثله. وفيها قدم الشيخ عبد الرحمن فى الرسالة من الملك أحمد أغا سلطان إلى البيرة، وعلى رأسه الجِتْر كما هى عادته فى بلاد التتر، فتلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسى أحد أمراء حلب، ومنعه من حمل الجِتْر والسلاح، وعدل به عن الطريق المسلوك إلى أن أدخله حلب ثم إلى دمشق، فوصلها ليلة الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة، من غير أن يُمَكِّنَ أحدًا من الاجتماع به ولا من رؤيته. ولما وصل إلى دمشق أنزل بقلعتها، فأقام بقاعة رضوان من القلعة إلى أن وصل السلطان إلى دمشق فى سنة ثلاث وثمانين. وأجْرِى عليه فى كل يوم ألف درهم، ومأكل وحلوى وفاكهة بألف أخرى.

وفيها استدعى تاج الدين السنهورى من دمشق، واستقر فى نظر الدواوين بديار مصر، عوضًا عن عز الدين إبراهيم بن مقلد بن أحمد بن شكر، رفيقًا لشرف الدين بن النابلسى.

وتزوج الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان باردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، أخت زوجة أخيه الملك الصالح على.

وفيها ولى مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى قضاء الحنفية بحلب، عوضًا عن نجم الدين أبى حفص عمر بن نصر بن منصور الأنصارى البيسانى، مدة يسيرة ثم عزل.

=منهم فى كل شهر خمسون درهمًا، وغير هؤلاء من القومة والفراشين والبوابين. أما المدرسة المباركة المنصورية، فإنه رتب بها إمام شافعى المذهب، له فى كل شهر ثمانون درهمًا، ورئيس ومؤذنون يعلنون بالأذان بالمأذنة الكبرى المذكورة، هم ومؤذنون القبة بالتربة، وهم رئيس وأربعة مؤذنون، لهم فى كل شهر نظير ما لمؤذنى القبة. رتب بها متصدر لإقراء كتاب الله عز وجل، ورتب له فى كل شهر أربعون درهمًا. رتب بها دروس للمذاهب الأربعة: الشافعية والمالكية والحنيفية والحنابلة، لكل طائفة مدرس له فى كل شهر مائتا درهم، وثلاثة معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهمًا. خمسون طالبًا، لجميعهم فى كل شهر سبعمائة وخمسون درهمًا، وغير هؤلاء من القومة والفراشين وبواب واحد. أما مكتب السبيل، فإنه رتب فيه فقيهان يعلمان من كان صغيرًا من أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، ورتب لها جامكية فى كل شهر وجراية فى كل يوم، وهى لكل منهما فى كل شهر ثلاثون درهمًا، وفى كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال، وكسوة فى الشتاء، وكسوة فى الصيف، ورتب للأيتام لكل منهم فى كل يوم رطلان خبزًا، وكسوة فى الشتاء، وكسوة فى الصيف. تنوع السلطان أجزل الله ثوابه فى وجوه البر والقربات، وهذه الجهات المباركة المبرورة باقية مستمرة، يزيد وقفها وينمو لحسن نية واقفها. قدس الله روحه، ونور ضريحه.

وفى أوائل هذه السنة: تحرك سعر الغلة حتى بلغ الأردب القمح خمسة وثلاثين درهما، فكرة السلطان ذلك وتوجه بالعسكر إلى الشام تخفيفًا عن الناس، فلم ينحط السعر، فجمع الأمراء وأراد أن يكتب بفتح أهراء مصر أدخله حلب ثم إلى دمشق، فواصلها ليلة الثلاثاء وبَيْع الغلة منها بسعر خمسة وعشرين درهما الأردب، فقال له الأيدمرى: «قلوب الناس متعلقة بما فى الأهراء، فإنها خزانة المسلمين، كلما نظروا إليها ملآنة شبعت نفوسهم، وما يؤمن ارتفاع السعر أيضًا. والرأى أن الأمراء بأسرهم يكتبون بفتح شونهم وبَيْع القمح بخمسة وعشرين درهما الأردب، فإذا وقع البيع منها دفعة واحدة مع بقاء الأهراء ملآنة رجى انحطاط السعر، والأمراء لا يضرهم إذا نقصت شونهم نصف ما فيها». فأعجب السلطان ذلك، وكتب الأمراء بفتح شونهم ففتحت، وبيع القمح منها بخمسة وعشرين درهما الأردب، فانحط السعر إلى عشرين ثم إلى ثمانية عشر، واستمر كذلك حتى قدم الجديد من المَغَل.

وفيها قتل متملك الروم غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباد، وأقيم بعده مسعود بن عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، وهو آخر من سمى بالسلطان من السلجوقية ببلاد الروم، وقد افتقر وانكشف حاله ومات قريب سنة ثمان عشرة وسبعمائة.

وفيها كانت وفاة الشيخ الإمام عماد الدين بن الفضل محمد ابن قاضى القضاة شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى، ببستانه بالمزة[1] فى يوم الإثنين سابع عشر صفر، وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع الجبل، ودفن بتربة فيها قبر أخيه علاء الدين، رحمهما الله تعالى. وكان شيخ الكتابة أتقن الخط المنسوب، وبلغ فيه مبلغًا عظيما حتى أتقن قلم المحقق، وكتبه أجود من شيخ الصناعة ابن البواب.

وفيها توفى الصاحب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن أبى القاسم بن أبى طالب بن كسيرات الموصلى، وكانت وفاته فى سابع عشرى رمضان بداره بجبل الصالحية، وكان رحمه الله تعالى كثير المروءة واسع الصدر، كثير الهيبة والوقار جميل الصورة حسن المنظر والشكل، كثير التعصب لمن يقصده محافظًا على مودة أصدقائه وقضاء حوائجهم، كثير التفقد لهم. وأصله من الموصل من بيت الوزارة، كان والده

---

(١) المزة: بالكسر ثم التشديد: وهى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق. انظر معجم البلدان ٥/١٢٢.

وزير الملك المنصور عماد الدين زنكى ابن الملك العادل نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر، ثم باشر نظر الخزانة للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ، ثم نقله إلى نظر الجزيرة العُمَرية لما فتحها، ووصل إلى الشام صحبة الملك المجاهد سيف الدين إسحاق لما وصل فى الدولة الظاهرية، وسكن دمشق وولى نظر البر بها، ثم نقل إلى نظر نابلس، ثم أعيد إلى دمشق فباشر نظر الزكاة بها، ثم انتقل إلى صحابة الديوان بالشام إلى أن ملك سنقر الأشقر دمشق، فاستوزره كما تقدم، وبطل بعد ذلك عن المباشرة، وسكن داره التى أنشأها بجبل قاسيون جوار البيمارستان، فكان بها إلى أن مات.

قال شمس الدين الجزرى: قلت له يوما وقد أضرت به البطالة: «يا مولانا لو ذكّرتَ أحدًا من أصحابك الأمراء حتى يذكر بك السلطان أو نائب السلطنة، فكاتَبَ فى أمرك، فإن لك خدما وتفضلاً على الناس، فنظر إلى وأنشد:

لذّ خُمولى وحَلا مُرَّه وصاننى عن كل مخلوق
نفسىَ معشوقى ولى غِيرَةٌ تمنعنى عن بذل معشوقى

وفيها فى يوم الخميس عاشر شهر رمضان: توفى الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن الملك الناصر صلاح الدين دواد ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب، وكانت وفاته بدمشق، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة، ودفن بالتربة المعظمية. وكان - رحمه الله تعالى - قد جمع بين الرياسة والفضيلة والعقل الوافر والخصال الجميلة، وكان محانبا الناس محبوب الصورة، رحمه الله تعالى.

وفيها فى سادس عشرى شعبان: توفى القاضى عز الدين إبراهيم بن الصاحب الوزير الأعز فخر الدين أبى الفوارس مقدام ابن القاضى كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر. وكان قد ولى نظر الجيوش بالديار المصرية فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة، كما تقدم. رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة العابد الزاهد شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر القدسى شيخ الحنابلة بالشام. وكان قد ولى قضاء القضاة على كره منه سنة أربع وستين وستمائة كما تقدم، ثم ترك الحكم وتوفر على العبادة والتدريس وأشغال الطلبة والتصنيف. ويقال إنه قُطْب بالشام، واسْتُدِلَ على ذلك بمراء توافقت عليها جماعة

تعرفه فى سنة سبع وسبعين وستمائة أنه قُطب، وكان أوحد زمانه. وكانت وفاته فى يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر منها، ودفن بقاسيون بتربة والده قدّس الله روحه. ومولده فى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ولما مات رثاه المولى الفاضل شهاب الدين محمود كاتب الإنشاء بقصيدة أولها:

ما للوجود وقد علاه ظلام أعَرَاهُ خطبٌ أم عَدَاه مرام؟
أم قد أصيبَ بشمسه فغدا وقد لبست عليه حدادَها الأيامُ

وجاء منها:

لكم الكرامات الجليلات التى لا تستطيع جحودها الأقوام

وهى قصيدة تزيد على ستين بيتًا. ورثاه جماعة رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الأمير علاء الدين كندغدى المشرقى الظاهرى المعروف بأمير مجلس، كان من أعيان الأمير بالديار المصرية، وظَهَر قبل وفاته بمدة يسيرة أنه باق على الرق، فاشتراه السلطان الملك المنصور بجملة وأعتقه وقرّبه لديه، وكان شجاعًا بطلا مقدامًا. وكانت وفاته بالقاهرة فى يوم الجمعة مستهل صفر، ودفن بمقابر بباب النصر، رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجى بن يزيد البرمكى أمير آل مرا، وكانت وفاته ببُصْرَى. وكانت غراته تنتهى إلى أقصى نجد والحجاز، وأكثرهم يؤدون إليه أتاوة فى كل سنة، فمن قطعها منهم أغار عليه، وكان يدّعى أنه من نسل جعفر البرمكى[١] من العباسة[٢] أخت الرشيد، ويقول إنه تزوّجها ورزق منها أولادًا، ولما

---

(١) جعفر البرمكى. (١٥٠ - ١٨٧هـ= ٧٦٧-٨٠٣م) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، أبو الفضل: وزير الرشيد العباسى، وأحد مشهورى البرامكة ومقدميهم. لد ونشأ فى بغداد ، واستوزره هارون الرشيد، ملقيًا إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخى. انقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة، نقمته المشهورة، فقتله فى مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد سنة. وكانت لجعفر توقعات جميلة. وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس، قالوا فى وصف حديثه: «جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة، وإفهامًا يغنيه عن الإعادة» وكان كاتبًا بليغًا، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها. والبرامكة يرجعون فى أنسابهم إلى الفرس. انظر تاريخ الطبرى: حوادث سنة ١٨٧ والبيان والتبيين ١:٥٨ والجهشيارى ٢٠٤ ومواضع أخرى منه. والبداية والنهاية ١٠:١٨٩،١٩٤ وابن خلكان ١:١٠٥ وتاريخ بغداد ٧:١٥٢ والنجوم الزاهرة ٢:١٢٣.

(٢) العباسة علية بنت المهدى بن المنصور، من بنى العباس: أخت هارون الرشيد: أديبة شاعرة،=

جرى على البرامكة ما جرى هرب أولاده منها إلى البادية، فأخذهم جده، وا لله أعلم. وكان يقول للقاضى شمس الدين ابن خلكان «أنت ابن عمى» وكان بينهما مهاداة، وانتفع ابن خلكان به وباعتنائه عند السلطان.

وفيها فى سابع عشرى المحرم: كانت وفاة شمس الدين عيسى بن الصاحب برهان الخضرى السنجارى، كان ينوب عن والده فى الوزارة الأولى فى سنة ثمان وسبعين وستمائة، وولى نظر الأحباس ونظر خانقاه سعيد السعداء، ثم ولى بعد ذلك تدريس المدرسة الصلاحية المعروفة بزين التجار، ثم قبض عليه مع والده بعد انفصاله من الوزارة الثانية كما تقدم. فلما أفرج عنه سكن المدرسة المعزية بمصر، وكان بها إلى أن توفى، وكان حسن الصورة والشكل، رحمه ا لله تعالى.

وفيها فى سادس شوال: توفيت زوجة السلطان الملك المنصور والدة ولده الملك الصالح علاء الدين على، رحمهما ا لله تعالى.

وفيها فى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى: توفى الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيى بت جعفر القرشى التزمنتى الشافعى، مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة، وأحد المعيدين بمدرسة الشافعى. رحمه ا لله تعالى.

وفيها فى يوم السبت ثانى عشرى رجب: توفى الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار أغاى عأحد الأمراء بالديار المصرية، وكانت وفاته بدمشق لما كان السلطان بها، ودفن بظاهرها عند قباب التركمان بميدان الحصا، رحمه ا لله تعالى.

* * *

=تحسن صناعة الغناء. من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانه. كان أخوها إبراهيم ابن المهدى يأخذ الغناء. كان فى جبهتها يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجواهر لتستر وجهها وهى أول من اتخذها. قال الصولى: لا أعرف لخلفاء بنى العباس بنتا مثلها. كانت أكثر أيام ظهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب، فإذا لم تصل اشتغلت بلهوها. وكان أخوها الرشيد يبالغ فى إكرامها ويجلسها معه على سريره وهى تأبى ذلك وتوفيه حقه ـ تزوجها موسى بن عيسى العباس.

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

فى المحرم: توجه عسكر إلى الكرك، وعليه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى والأمير طقصوا، فضايقوا الكرك ورَعَت خيولهم مزارعها.

وفى ثانى عشره: ولى الشيخ معز الدين النعمان الحنفى تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين، بعد موت عز الدين الماردينى.

واستقر سيف الدين[....][1] فى ولاية قوص، عوضًا عن بهاء الدين قراقوش.

واستقر مجد الدين عمر بن عيسى الحَرَامى فى ولاية سُيُوط، عوضًا عن سيف الدين.

استقر عز الدين أيدمرى الكوجى فى ولاية أخميم، عوضًا عن بلبان الفارسى.

واستقر شهاب الدين قرطاى الجاكى فى ولاية قليوب، عوضًا عن حسان الدين لؤلؤ الكهارى.

وفى ثانى عشريه: استقر الأمير شمس الدين إبراهيم بن خليل الطورى فى ولاية الروحا والطرق السالكة إلى الفرنج وإلى عثليث وحيفا وعكا، عوضًا عن الأمير نور الدين، وأقطع إمرة عشرة.

وفى أول صفر: توجه الأمير سيف الدين المهرانى إلى ولاية البهنسا والأشمونين، عوضًا عن كيكلدى والى البهنسا، وعن فخر الدين بن التركمانى والى الأشمونين.

وورد الخبر بقتل القان تكدار ويدعى أحمد أغا سلطان بن هولاكو، وتَمَلَّك أرغون ابن أبغا بن هولاكو من بعده.

وفى أول ربيع الآخر: ورد الخبر بحركة الفرنج لأخذ الشام، فتجهز السلطان للسفر وركَب بعساكره فى يوم الأحد ثامن جمادى الأولى، وتوجه من قلعة الجبل إلى دمشق.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: حضر الموفق أحمد بن الرشيد أبى حليقة إلى الدهليز السلكانى، وأسلم وتسمى بأحمد.

فخلع السلطان عليه، ورسم له بمساواة أخويه فى العلوم لما أسلما، وكتب له بذلك.

---

(١) بياض فى الأصل.

وفى رابع عشره: كتب بولاية الأمير عماد الدين أحمد بن قباخل البحيرة.

وفى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة: دخل السلطان إلى دمشق، فقدم القصاد من بلاد التتار بقتل أحمد أغا وولاية أرغون.

وفى تلك الليلة: ألبس السلطان ألفًا وخمسمائة من مماليكه أقبيه أطلس أحمر بطرزٍ وكلفتات زركش وحوائص ذهب، وأشعل بين يديه ألفًا وخمسمائة شمعة مع كل مملوك شمعة. واستدعى عبد الرحمن الموصلى فى السنة الماضية من بلاد التتار، فحضر ومعه رفقته الأمير صمداغو التترى والصاحب شمس الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين التبتى المعروف بابن الصاحب وزير ماردين. فقدموا للسلطان تحفًا منها نحو ستين حبل لؤلؤ كبارا، وحجر ياقوت أصفر زنته ما ينيف على مائتى مثقال، وحجر ياقوت أحمر، وقطعة بلخش زنتها اثنان وعشرون درهما، وأدوا رسالة الملك أحمد أغا، فلما فرغوا ردهم السلطان إلى مكانهم، ثم استدعاهم واستعادهم كلامهم، ثم ردهم إلى مكانهم، وأحضرهم مرة ثالثة وسألهم، عن أشياء، فلما علم ما عندهم أخبرهم أن مرسلهم الذى بعثهم قد قتل، وتَمَلكَ بعده أرغون بن أبغا. ثم ردهم إلى قاعة بقلعة دمشق، ونقلهم من قاعة رضوان التى كانوا بها منذ وصلوا إلى دمشق، واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية، وطولبوا بما معهم من المال لأحمد أغا، فأنكروا أن يكون معهم مال فتوجه إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار، وقال: «قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان، فليجمع كل أحد قماشه» فقاموا يحملون أمتعتهم وخرجوا فأوقفهم فى دهليز الدار وفتشهم، وأخذ منهم جملة كبيرة من الذهب واللؤلؤ ونحوه، منها سبحة لؤلؤ كانت للشيخ عبد الرحمن قوِّمَت بمائة ألف درهم، واعتقلوا فمات عبد الرحمن فى ثامن عشرى رمضان بالسجن، وضيق على البقية ثم أطلقوا، ما خلا الأمير شمس الدين محمد ابن الصاحب فإنه نقل إلى قلعة الجبل بمصر واعتقل بها.

وفيه عزل الأمير علم الدين سنجر الدويدارى من شد الدواوين بدمشق، وأضيف إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار بدمشق.

ونقل ناصر الدين الحرّانى من ولاية مدينة دمشق إلى نيابة حمص، وأضيفت ولاية دمشق إلى الأمير طوغان والى البر.

وفيه خرج السلطان من دمشق يريد مصر، بظاهر دمشق.

فلما كانت ساعات من يوم الأربعاء حادى عشرى شعبان: حَطم سيل بعد مطر عظيم، فحمل أثقال الأمراء والأجناد وخيولهم وجمالهم، فعدم للأمير بدر الدين بكتاص ما تزيد قيمته على أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم، وانتهى السيل إلى باب الفراديس، فكسر أقفاله وما خلفه من المتاريس. ودخل الماء إلى إلى المدرسة المقدمية، وبقى كذلك حتى ارتفع النهار.

ثم حدث بعد يومين: مطر شديد هدم عدة مساكن بدمشق وظواهرها، فتلف للناس ما لا يحصى، فأنعم السلطان على الأجناد كل واحد بأربعمائة درهم.

ورحل السلطان من دمشق فى رابع عشريه، فوصل قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان. فقدم الخبر من مكة بأن الشريف أبا نمى طرد جند اليمن واستبد بها، وكان من خبره أن مكة كانت بينه وبين قتادة، وكان يؤخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهما، ومن حاج مصر على الجمل مبلغ خمسين درهما مع كثرة النهب والعسف فى جباية ما ذكر، فمازال الظاهر بيبرس حتى صار يؤخذ من حاج مصر مبلغ ثلاثين درهما على كل جمل. فجرد المظفر صاحب اليمن إلى مكة عسكرا عليه أسد الدين جغريل، فملكها بعد حرب، فجمع قتادة وأبو نمى العربَ لحربه، فوقع الاتفاق بينهما أن تكون مكة بينهم نصفين. ثم اختلفا بعد مدة، وانفرد أبو نمى وقوى وأخرج عسكر اليمن، واشتد على الحجاج فى الجباية. فرسم السلطان بسفر ثلاثمائة فارس صحبة الأمير علاء الدين سنجر الباشقردى، وأنفق فى كل فارس ثلاثمائة درهم، وكتب بخروج مائتى فارس من الشام فتوجهوا صحبة الحاج. فكانت بينهم وبين أبى نمى وقعة، وأخربوا الدرب. وكان الحاج كثيرًا، فإنها كانت وقفة الجمعة.

وورد الخبر بموت الملك المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، وكانت وفاته فى حادى عشر شوال، ففُوِّضت حماة لولده الملك المظفر تقى الدين محمود، وجهز إليه التقليد والتشريف صحبة الأمير جمال الدين أقش الموصى الحاجب، ومعه عدة تشاريف لجماعة من أهل بيته.

وفى ذى القعدة: قبض على الأمير علم الدين سنجر الحلبى، واعتقل بقلعة الجبل.

وورد الخبر بوفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن

فضل بن ربيعة، وكانت وفاته فى تاسع ربيع الأول، فاستقر فى إمرة العرب ابنه حسام الدين مهنا بن عيسى.

وفى هذه السنة: نجزت عمارة المارستان الكبير المنصورى والمدرسة والقبة.

وفى النصف من ذى الحجة: توجه السلطان إلى دمشق.

وفى هذه السنة: سَرَح الملك الصالح على ومعه أخوه خليل إلى العباسة، ومعهما الأمير بيبرس الفارقانى وإليه يومئذ أمر رماة البندق، فأقاموا أيامًا فى الصيد، ومعهم جماعة كثيرة من الرماة. فصرع الصالح طيرًا خطّته الرماة، وصرع أخوه خليل بعده طيرًا آخر. فبعث الفارقانى يبشر السلطان بذلك، ويستأذنه لمن يَدعِى فى الرمى الملك الصالح، فرسم أن يدعى للمنصور صاحب حماة.

فسفر طير الصالح إلى حماة، ومعه هدية سنية وكتاب السلطان وكتاب ابنه الصالح. فخلع المنصور على البريدى القادم بذلك، ووضع الطير على رأسه، وبعث هدية فيها عشرة أنداب بندق ذهب كل ندب خمس بندقات، زنة كل بندقة عشرة دنانير، وعشرون ندب فضة زنة البندقة مائة درهم، وبدلة حرير غيار زركش فيها ألف دينار، وحياصة مكللة، وجراوة زركش فيها البندق المذكور، وعشرون قوسًا، وعدة تحف بلغت قيمة ذلك ثلاثين ألف دينار.

وفيها كانت حرب بمكة سببها أن أبا نمى بلغه توجه العسكر، فلم يخرج إلى لقاء الحاج وبعث قواده فقط، فلم يرض الباشقردى إلا بحضوره واستعد للحرب، وقد وقف أبو نمى بمن معه ليمنع من دخول مكة، ورموا بالحجارة فرماهم الترك بالنشاب، وأحرق الباب ودخل العسكر. فقام البرهان خضر السنجارى حتى أخمد الفتنة، وحملت خلعة أبى نمى إليه، وقضى الناس حجهم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

صاحب حماة الملك المنصور محمد ابن المظفر محمود بن المنصور محمد ابن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى، عن إحدى وخمسين سنة.

ومات الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن فضل بن البيعة، بعد عشرين سنة من إمارته.

ومات القان تكدار ويدعى أحمد سلطان بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان، عن سبع وثلاثين سنة بالأردو، منها مدة ملكه سنة وأشهر.

وتوفى قاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصارى الشافعى، وهو معزول، عن خمس وخمسين سنة.

وتوفى قاضى حلب نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الأنصارى البيسانى الشافعى وهو معزول، عن نيف وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى حماة شمس الدين أبو الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى، قريبًا من المدينة النبوية، ودفن بالبقيع[1]، عن خمس وسبعين سنة.

وتوفى قاضى الإسكندرية ناصر الدين أحمد بن وجيه الدين أبى المعالى محمد بن منصور بن أبى بكر بن القاسم بن المنير الجذامى الإسكندرية المالكى بها، عن ثلاث وستين سنة.

وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمسانى بمصر، عن سبع وسبعين سنة.

وقتل الدعى أحمد بن مرزوق بن ابى عماد المسيلى[2] الخياط، متملك تونس، وكان

---

(١) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهى داخل المدينة. انظر معجم البلدان.

(٢) المسيلى (٦٨٣هـ=١٢٨٤م) أحمد بن مرزوق: متسلط فى المغرب أصله من بجاية (بإفريقية) ولحق بصحراء سجلماسة فادعى أنه من آل البيت وإنه الفاطمى المنتظر فأعرض البدو عنه، فرحل إلى أطراف طرابلس الغرب فالتقى بفتى اسمه «نصير» كان مولى للواثق الحفصى يحيى بن محمد فأعلمه نصير بأنه قريب الشبه من الفضل بن الواثق وكان الفضل قد قتل مع أبيه قتلهما إبراهيم بن يحيى وأراه أنه إذا تسمى بالفضل وادعى أنه ابن الواثق أفلح. فوافقه ابن أبى عمارة وأظهر أنه «الفضل» وأنه لم يقتل، فصدقه أهل تلك النواحى وبايعوه بالخلافة. كثر جمعه فاستولى على طرابلس، وزحف إلى قابس سنة ٦٧١هـ، فبايع له عاملها عبد الملك بن مكى، واستولى على عدة إيالات وعظم شأنه. بلغ خبره أبا إسحاق إبراهيم بن يحيى (أمير المؤمنين بتونس) فجهز جيشا لمقاتلته فلم يفده، ونزل ابن أبى عمارة بالقيروان فبايع له أهلها وهم لا يرتابون فى أنه الفضل بن الواثق، واقتدى بهم أهل المهدية وصفاقس، وكثر الإرجاف بتونس فارتحل إبراهيم بن يحيى بجيشه إلى ظاهر البلد، فقصده الدعى (ابن أبى عمارة) وقرب من تونس، فلحق به معظم جيش إبراهيم. خاف إبراهيم على نفسه ففر إلى بجاية. ودخل الدعى تونس ثم سير إلى إبراهيم جيشا قتله فى بجاية. أقام الدعى بتونس سلطانا على المغرب=

قد قدم من أطرابلس، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن المستنصر، وقتل إبراهيم بن يحيى، فمشى أمره على الناس مدة سنة وستة أشهر.

وبويع بعده الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد فى رابع عشرى ربيع الآخر.

* * *

=مدة ثلاث سنوات، ثم ضعف أمره بظهور أخ لإبراهيم يعرف بأبى حفص المستنصر با لله - عمر بن يحيى فاتخذل الدعى واختفى فأخرجه أبو حفص ومثل به وقتله. انظر الخلاصة النقية ٦٥، ابن خلدون ٣٠٢/٦، الأعلام ٢٥٦/١.

سنة أربع وثمانين وستمائة

فى يوم السبت سادس عشر المحرم: ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فى الساعة السابعة بطالع برج السرطان، وكان مولده بقلعة الجبل، فقدمت البشارة بذلك على أبيه وهو بمنزلة خربة اللصوص قبل قدومه إلى دمشق.

وقدم السلطان دمشق فى ثانى عشريه، ثم سار منها ونازل حصن المرقب وهو حصن الإسبتار ثمانية وثلاثين يومًا، حتى أخذه من الفرنج عنوة يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، وأخرج من فيه إلى طرابلس.

وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر بتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، يلومه على مكاتبة التتار والاستنجاد بهم ويدعوه إلى الحضور، فوبخه تاج الدين ولامه حتى أناب ووعد بإرسال ولده.

وفى ثامن ربيع الآخر: استقر الشيخ المهذب أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبى الحسن بن شمويل الطبيب فى رئاسة اليهود، وكتب له توقيع برئاسة سائر طوائف اليهود من الربانيين والقرائين والسامرة، بالقاهرة ومصر وسائر ديار مصر.

وفى سابع جمادى الأولى: قدم السلطان إلى دمشق، وفوض وزارة دمشق للقاضى محيى محمد بن النحاس ناظر الخزانة، عوضًا عن تقى الدين توبة التكريتى.

وفى خامس عشره: عزل طوغان عن ولاية دمشق، وبقى على ولاية البر، واستقر فى ولاية دمشق عز الدين محمد بن أبى الهيجاء.

وسار السلطان من دمشق يوم الإثنين ثامن عشره، فوصل قلعة الجبل يوم الثلاثاء تاسع عشرى شعبان، وكان قد أقام فى تل العجول مدة أيام.

وفى سابع رمضان: قدمت رسل الفرنج بتقادم من عند الأنبرور، ومن عند الجنوية، ومن عند الأشكرى.

وفى حادى عشره: استقر القاضى مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة فى رئاسة الأطباء، ومعه أخواه علم الدين إبراهيم وموفق الدين أحمد، وكتب بذلك توقيع سلطانى، واستقر مهذب الدين فى تدريس الطب بالمارستان.

وفي خامس عشره: استقر القاضي تقي الدين أبي الحسن علي ابن القاضي شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الشيخ جلال الدين أبي محمد عبد الله بن شاس المالكي السعدي[1]، في تدريس المدرسة المنصورية.

وفي أول ذي القعدة: وصلت رسل صاحب اليمن بتقادمه: وهي ثلاثة عشر طواشيًا، وعشرة أفراس وفيل وكركدن وثماني نعاج، وثمانية طيور ببغاء، وثلاث قطع عود تحمل كل قطعة على رجلين، وحمل رماح قنا، وبهار حمل سبعين جملا، وقماش حمل على مائة قفص، ومن تحف اليمن مائة طبق. فقبل ذلك، وأنعم على رسله وعليه كالعادة.

وفي سادس ذي الحجة: احترقت الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية من قلعة الجبل.

وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر محمد الأيكي الفارسي في مشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، بعد وفاة الشيخ صاين الدين حسن البخاري.

وفيها استقر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن بهرام الشافعي في قضاء الشافعية بحلب، عوضًا عن مجد الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكي المارديني.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحي نائب حلب، وهو من جملة أمراء مصر بالقاهرة.

وتوفي رشيد الدين أبو محمد شعبان بن علي بن سعيد البصراوي الحنفي، بدمشق عن نحو ستين سنة.

وتوفي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الشاطبي الأنصاري النحوي اللغوي الأديب المؤرخ، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

---

(١) ابن شاس (٦١٦هـ-١٢١٩م) عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس بن نزار، الجذامي السعدي المصري، جلال الدين أبو محمد: شيخ المالكية في عصره بمصر. من أهل دمياط. مات فيها مجاهدا، والإفرنج محاصرون لها، من كتبه «الجواهر الثمينة» في فقه المالكية. انظر خطط مبارك ٥٣/١١، وشذرات الذهب ٦٩/٥، شجرة النور١٦٥ـ كشف الظنون ٦١٣، الأعلام ٤/١٢٤.

وتوفى الحافظ علاء الدين أبو القاسم على بن بلبان الناصرى[١] عن اثنتين وسبعين سنة بدمشق، قدم القاهرة.

وتوفى الواعظ زين الدين أبو العباس أحمد بن الأشبيلى بالقاهرة.

وتوفى الأمير مجيد الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن تميم الدمشقى بحماة.

* * *

(١) ابن بلبان (٦٧٥-٧٣٩هـ=١٢٢٦-١٣٣٩م) على بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسى، المنعوت بالأمير: فقيه حنفى، سكن القاهرة وتوفى بها. من كتبه «المقاصد السنية فى الأحاديث الإلهية»، و«الأحاديث العوالى»، و«شرح تلخيص الجامع الكبير للخلاطى» و«السيرة النبوية» مختصر، و«المناسك» و«الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان» و«تحفة الصديق فى فضائل أبى بكر الصديق». انظر الفوائد البهية ١١٨، الجواهر المضية ٣٥٤/١، والدرر الكامنة ٣٢/٣، وبغية الوعاة ٣٣١. مخطوطات الظاهرية ٨٩. الأعلام ٢٦٧/٤،٢٦٨.

سنة خمس وثمانين وستمائة

فى ثانى المحرم: سار الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى الكرك، فتلقاه عسكر دمشق صحبة الأمير بدر الدين الصوابى، فتوجه معه إليها، وضايقها وقطع الميرة عنها حتى بعث الملك المسعود خضر ابن الظاهر بيبرس يطلب الأمان. فبعث إليه السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار من قلعة الجبل بالأمان فنزل الملك المسعود وأخوه بدر الدين سلامش إلى الأمير طرنطاى فى خامس صفر. واستقر الأمير عز الدين أيبك الموصلى نائب الشوبك فى نيابة الكرك.

ووردت البشارة بأخذ الكرك إلى قلعة الجبل فى ثامنه. وقدم الأمير طرنطاى بأولاد الظاهر إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائة فى ثانى عشر ربيع الأول.

وأكرم السلطان الملك المسعود وسلامش، وأمر كل منهما إمرة مائة فارس، وصارا يركبان فى الموكب والميادين، ورتبا يركبان مع الملك الصالح على.

وفيه قدم راجح وزير أبى نمى يشكو من الباشقردى، وبتعذر عن تأخر حضوره فقبل السلطان عذره وطلب منه خجرة وضربا للسلطان، ووعد بإرسال ثمنها إليه.

وفى يوم الخميس رابع عشر صفر: حصل وقت العصر بناحية الغسولة من معاملة مدينة حمص أمر غريب: وهو أن سحابة سوداء أرعدت رعدًا شديدًا، وخرج منها دخان أسود اتصل بالأرض على هيئة ثعبان فى ثخن العمود الكبير الذى لا يحضنه إلا عدة من الرجال، رأسه فى عنان السماء وذنبه يلعب فى الأرض، شبه الزوبعة الهائلة. وصار يحمل الأحجار الكبار ويرفعها فى السماء مثل رمية سهم وأزيد، فتقع على الأرض وتصدم بعضها بعضًا، فيسمع لها أصوات مرعبة وتبلغ من هو عنها ببعيد.

واتصل ذلك بأطراف العسكر المجرد بحمص، وعليه الأمير بدر الدين بكتوت العلائى وهم زيادة على ألفى فارس، فما مَرَّ بشىء إلا رفعه فى الهواء كرمية سهم وأكثر: فحمل السروج والجواشن وآلات الحرب وسائر الثياب، وحمل خرجا من أدم فيه تطابيق نعال للخيل من حديد حتى علا رمية سهم، ورفع الجمال بأحمالها حتى ارتفعت قدر رمح عن الأرض، وحَمَل كثيرا من الجند والغلمان، فتلف شىء كثير جدا.

ثم غاب الثعبان وقد توجه فى البرية نحو المشرق، ووقع بعده مطر.

وفى سلخه: عزل محيى الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس عن وزارة دمشق، وأعيد تقى الدين توبة.

وفى سابع رجب: توجه السلطان إلى الكرك، فوصلها وعَرَض حواصلها ورجالها وشحن بها ألفى غرارة قمح، وقرر بها بحرية ورتب أمورها، ونظف البركة، وجعل فى نيابة الكرك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، ونَقَل عز الدين أيبك إلى نيابة غزة، ثم نقله إلى نيابة صفد.

وانتهت زيادة ماء النيل فى حادى عشرى شعبان إلى سبعة عشر ذراعًا وإصبعين.

وسار السلطان من الكرك وأقام فى غاية أرسوف حتى وقع الشتاء وأمِنَ حركة العدو، ثم عاد إلى مصر فوصل قلعة الجبل فى رابع عشر شوال، فأفرج عن الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى والأمير جمال الدين أقش الفارسى.

وفى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى: استقر تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز قضاء مصر والوجه القبلى بعد وفاة وجيه الدين البهنسى. واستمر شهاب الدين محمد الخولى على قضاء القاهرة واستقر فى قضاء القضاة المالكية زين الدين على ابن مخلوف ناظر الخزانة، عوضًا عن تقى الدين حسين بن عبد الرحيم بن شاس.

وفى ذى الحجة: استقر الأمير علم الدين أبو خرص الحموى نائبًا بحماة. وفيها كانت وقعة بين الأمير بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد وبين أهل حصن المرقب، بسبب أخذهم قافلة تجارة قتلة فيها عدة من مماليكه وجرح هو فى كتفه، فكتب بمنازلة، فخرج إليه عاكز الشام، ولم تزل عليه حتى أخذته بعد حروب شديدة فى يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، واستقر الطباخى نائبًا به.

وفيها شنع موت الأبقار بأرض مصر، حتى إن شخصًا كان له ثلاثمائة وأربعين رأسًا ماتوا بأجمعهم فى نحو شهر، وارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى دمشق بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على ابن محمد بن على بن عبد العزيز بن الزكى الأموى الشافعى، عن ست وأربعين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن سديد الدين أبى عبد الله الحسينى المهلبى البهنسى الشافعى، فى مستهل جمادى الآخرة.

وتوفى جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الوائلى الشريشى[١] المالكى بدمشق، عن أربع وثمانين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى ناصر الدين أبو محمد عبد الله ابن إمام الدين أبى حفص عمر بن على الشيرازى البيضاوى الشافعى قاضى شيراز، بمدينة تبريز.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن عبد الله شاس السعدى المالكى، عن ثمانين سنة.

وتوفى المسند بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيبانى الصالحى، عن ثمان وثمانين سنة بدمشق، قدم القاهرة.

وتوفى الأديب معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد القهرى، عن ثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن الخيمى الأنصارى، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

وفيها مات ملك المغرب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر حمامة المرينى، فى آخر المحرم. وقام من بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب[٢]. وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة.

* * *

---

(١) الشريشى (٦٠١-٦٨٥هـ=١٢٠٤-١٢٨٦م) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سبحان الوائلى البكرى الشريشى المالكى، أبو بكر، جمال الدين: فقيه، نحوى: ولد فى شريش، ورحل إلى المشرق، فسمع بالإسكندرية ودمشق وحلب وإربل وبغداد وأقام بدمشق، يفتى ويدرس. طلب للقضاء فيها فامتنع وتوفى بها. له (شرح ألفية ابن معطى) فى النحو، مجلدان، وكتاب فى الاشتقاق. انظر نفح الطيب ٤٣٢/١، بغية الوعاة ١٨، شذرات الذهب ٣٩٢/٥ ابن الفرات ٤٦/٨، الكتبخانة ٣١/٤. الأعلام ٣٢٣/٥.

(٢) ابن يعقوب ملك المغرب (٦٣٨-٧٠٦هـ=١٢٤٠-١٣٠٧م) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، السلطان الناصر لدين الله، أبو يعقوب من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى. بويع له بعد وفاة أبيه (سنة ٦٨٥هـ) بعهد منه، وكان فى الجزيرة الخضراء، فرحل إلى فارس. بعث إلى (ابن الأحمر) فاجتمع به فى ظاهر (مربالة) ونزل له عن جميع ثغور الأندلس التى كانت فى حوزة أبيه، محتفظًا بالجزيرة ورندة وطريف وافترقا على صفاء. وعاد إلى فاس. انظر الاستقصا ٣٢/٢-٤٣، جذوة الاقتباس ٣٤٤، الحلل الموشية ١٣٣، روضة النسرين ١٦الأنيس المطرب القرطاس ٢٧٥. الأعلام ٢٥٩/٨.

سنة ست وثمانين وستمائة

فى يوم الأحد نصف المحرم: استقر برهان الدين خضر السنجارى فى قضاء القاهرة والوجه البحرى، عوضًا عن قاضى القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد الخويى.

ونقل الخويى عن قضاة القاهرة إلى قضاة دمشق، عوضًا عن بهاء الدين يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على بن الزكى. فنزل قاضى القضاة برهان الدين السنجارى من القلعة، وجلس للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين، ورسم له أن يجلس فى دار العدل فوق قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز. فشق ذلك على ابن الأعز، وسعى أن يعفى من حضور دار العدل، فلم يشعر إلا وقد مات البرهان السنجارى فى تاسع صفر فجأة عن سبعين سنة، فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوما.

فاستقر ابن بنت الأعز فى قضاء القاهرة، وجمع له بين قضاء البلدين، ونزل فصلى على السنجارى وهو بالشريف.

وفى هذه السنة: توجه الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة على عسكر كثير؛ لقتال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بصهيون.

وسبب ذلك أن السلطان لما نازل المرقب وهى بالقرب من صهيون، لم يحضر إليه سنقر الأشقر وبعث إليه ابنه ناصر الدين صمغار، فأسرها السلطان فى نفسه، ولم يمكن صمغار من العود إلى أبيه وحمله معه إلى مصر، واستمر الحال على ذلك حتى هذه السنة فسار طرنطاى ونازل صهيون حتى بعث الأشقر يطلب الأمان فأمنه، ونزل سنقر إليه ليسلم الحصن، فخرج طرنطاى إلى لقائه ماشيا، فنزل سنقر عندما رآه وتعانقا.

وسار سنقر إلى مخيم طرنطاى، وقد خلع طرنطاى قباءه وفرشه على الأرض ليمشى عليه سنقر، فرفع سنقر القباء عن الأرض وقبله ثم لبسه، فأعظم طرنطاى ذلك من فعل سنقر وشق عليه وخجل، وأخذ يعامل سنقر من الخدمة بأتم ما يكون.

وتسلم طرنطاى حصن صهيون، ورتب فيه نائبًا وواليًا وأقام به رجالا، بعد ما أنفق فى تلك المدة أربعمائة ألف درهم فى العسكر الذى معه، فعتب عليه السلطان بسبب ذلك.

ثم سار طرنطاى إلى مصر ومعه سنقر الأشقر حتى قرب من القاهرة، فنزل السلطان من قلعة الجبل، وهو وابنه الملك الصالح على، وابنه الملك الأشرف خليل، وأولاد الملك الظاهر، فى جميع العساكر إلى لقاء سنقر الأشقر. وعاد به إلى القلعة، وبعث إليه الخلع والثياب والحوائص الذهب والتحف والخيول، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس وقدمه على ألف، فَلاَزَم سنقر الخدمة مع الأمراء إلى سابع عشرى شهر رجب.

وخرج السلطان من قلعة الجبل سائرًا إلى الشام، فأقام بتل العجول ظاهر غزة.

وفى ثانى عشرى شعبان: انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا.

وفى هذه السنة: وصل من دمشق إلى القاهرة ناصر الدين محمد ابن الشيخ عبد الرحمن المقدسى، ليرافع قاضى القضاة بدمشق بهاء الدين بن الزكى، فوردت وفاته فعدل عنه إلى غيره.

واجتمع ناصر الدين بالأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الدولة، وقرر معه أن ملكة خاتون ابنة الأشرف موسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب باعت أملاكها بدمشق، وأنه يثبت سفهها، وأن عمها الصالح عماد الدين إسماعيل كان قد حجر عليها وذلك حتى يسترجع الأملاك ممن اشتراها، ويرجع عليهم بما أخذوه من ريعها، ثم يشترى الأملاك للخاص. فأعجب ذلك الشجاعى، وكتب يطلب سيف الدين أحمد السامرى من دمشق، فإنه ابتاع قرية حرزما، فوصل إلى القاهرة فى رمضان، وطولب بالقرية المذكورة فادعى أنه وقفها، فأخذ ابن الشيخ عبد الرحمن فى عمل محضر بأن ابنة الأشرف حال بيع حرزما وغيرها كانت سفيهة من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا، ثم إنها صلحت واستحقت رفع الحجر عنها من مدة كذا، ولفق بينة شهدت عند بعض القضاة، وأثبت ذلك. فبطل البيع من أصله، وألزم السامرى بما استأداه من ريع حرزما عن عشرين سنة، وهو مبلغ مائتى ألف وعشرة آلاف درهم من فضة، واعتد له بنظير الثمن الذى دفعه، واشترى منه أيضًا سبعة عشرة سهمًا من قرية الزنبقية بمبلغ تسعين ألف درهم، وحمل بعد ذلك مبلغ مائة ألف وأربعين ألف درهم إلى بيت المال.

واستقر ابن الشيخ عبد الرحمن وكيل السلطان، فشرع فى فتح أبواب البلاء على أهل الشام، وعمل عيد الفطر يوم الأحد من رؤية. وإنما ثبت عند الملك الصالح على أن السلطان صام شهر رمضان فى مدينة غزة يوم الجمعة على الرؤية، فأثبت القاضى

المالكى أن أول شوال يوم الأحد، فأمسك كثير من الناس عن الفطر، وأفطروا يوم الإثنين. وأما السلطان فإنه عاد من تل العجول، ووصل قلعة الجبل فى ثالث عشرى شوال.

وفى سادس ذى الحجة: توجه الأمير علم الدين سنجر المسرورى المعروف بالخياط متولى القاهرة، والأمير عز الدين الكورانى، إلى غزو بلاد النوبة. وجرد السلطان معهما طائفة من أجناد الولايات بالوجه القبلى والقراغلامية، وكتب إلى الأمير عز الدين أيدمر السيفى السلاح درا متولى قوص أن يسير معهما بعدته ومن عنده من المماليك السلطانية المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص، وعربان الإقليم: وهم أولاد أبى بكر وأولاد عمر، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز وبنى هلال، وغيرهم. فسار الخياط فى البر الغربى بنصف العسكر، وسار أيدمر بالنصف الثانى من البر الشرقى، وهو الجانب الذى فيه مدينة دمقلة.

فلما وصل العسكر أطراف بلاد النوبة أخلى ملك النوبة سمامون البلاد، وكان صاحب مكر ودهاء وعنده بأس. وأرسل سمامون إلى نائبة بجوائز ميكائيل وعمل الدَّو واسمه جريس ويعرف صاحب هذه الولاية عند النوبة بصاحب الجبل يأمره بإخلاء البلاد التى تحت يده أمام الجيش الزاحف، فكانوا يرحلون والعسكر وراءهم منزلة بمنزلة حتى وصلوا إلى ملك النوبة بدمقلة، فخرج سمامون وقاتل الأمير عز الدين أيدمر قتالاً شديدًا، فانهزم ملك النوبة وقتل كثير ممن معه واستشهد عدة من المسلمين. فتبع العسكر ملك النوبة مسيرة خمسة عشر يوما من رواء دمقلة إلى أن أدركوا جريس وأسروه، وأسروا أيضًا ابن خالة الملك وكان من عظمائهم، فرتب الأمير عز الدين فى مملكة النوبة ابن أخت الملك، وجعل جريس نائبًا عنه، وجرد معهما عسكرًا، وقرر عليهما قطيعة يحملانها فى كل سنة، ورجع بغنائم كثيرة ما بين رقيق وخيول وجمال وأبقار وأكسية.

وفى هذه السنة: أمطرت المدينة النبوية فى ليلة الرابع من المحرم مطرًا عظيما فوكفت سقوف المسجد النبوى والحجرة الشريفة، وخربت عدة دور وتلف نخل كثير من السيول ثم عقب ذلك جراد عظيم صار له دوى كالرعد، فأتلف التمر وجريد النخل وغيره من المزارع، وكانت الأعين قد أتلفها السيل، وخرب عين الأزرق حتى

عادت ملحًا أجاجا، فكتب بذلك إلى السلطان، وأن الحجرة الشريفة عادتها أن تكسى في زمن الخلفاء إذا ولى الخليفة، فلا تزال حتى يقوم خليفة آخر فيكسوها، وأن المنبر والروضة يبعث بكسوتهما فى كل سنة، وأنهما يحتاجان إلى كسوة.

وفيها جهز السلطان هدية سنية إلى بر بركة، ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع قرم، وأن تكتب عليه ألقاب السلطان، وجهز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ

وفيها نزل تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوشى بن جنكزخان عن مملكة التتر ببلاد الشمال. وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء، وأشار أن يملكوا ابن أخيه تلابغا ابن منكوتمر بن طغان، فملكوه عوض تدان.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن بن على السنجارى الشافعى، فى تاسع صفر، عن سبعين سنة.

وتوفى قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن القسطلانى التوزرى المالكى، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وقد أناف على السبعين.

وتوفى عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصقلى الحرانى المسند المعمر، وقد أناف على التسعين، بالقاهرة.

وتوفى الأديب ضياء الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عفيف الأنصارى الغرناطى بالإسكندرية، وقد أناف على التسعين.

وتوفى أبو العباس أحمد بن عمر الأنصارى المرسى المالكى(١)، بالإسكندرية.

---

(١) الربعى (٧٢٥-٧٩٥هـ=١٣٢٥-١٣٩٣م) أحمد بن عمر بن على بن هلال، أبو العباس شهاب الدين الربعى: فقيه مالكى من المفتين. عرف نفسه بقوله «الربعى نسبا ـ من ربيعة الفرس بن نزار» المالكى منهبا، الإسكندرى مولدا، القاهرى دارا، نزيل دمشق المحروسة ووفاته بها. كان ماهرا فى الأصول، حسن الخط. له «شرح جامع الأمهات» لابن الحاجب فى الفقه ثمانية أسفار كبار و«ناضرة العين ـ خ». انظر مخطوطة الفتح المقدس. والديباج ٨٢، وشذرات الذهب ٣٣٧/٦، والأزهرية ٤٤٦/٣، والدرر الكامنة ٢٣٢/١، وكشف الظنون ١٩٢١، وأخبار التراث، العدد: ٦٤ص٣٦، وشجرة ٢٢٣ الرقم ٧٩٧. والأعلام ١٨٧/١.

وتوفى بدر الدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين أبى عبد الله محمد بن مالك الأنصارى الجيانى النحوى بدمشق، وقد أناف على الأربعين.

وتوفى الأديب شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بنيمان بن أبى الجيش بن عبد الجبار بن سليمان الإربلى الحلبى الشاعر بدمشق، عن تسعين سنة.

وتوفى أبو الحسن فضل بن على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الأنصارى الحموى ببلبيس.

وتوفى الطبيب عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس بن أحمد بن عبيد الربيعى الدنيسرى بدمشق، عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى الشيخ إبراهيم بن أبى المجد الدسوقى، بناحية دسوق من الغربية، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة تخمينا، وقبره إحدى المزارات التى تحمل إليها النذور ويتبرك بها.

* * *



سنة سبع وثمانين وستمائة

فى المحرم: استدعى ناصر الدين محمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن موسى أبو المكارم، المعروف بابن المقدسى، جماعة من أهل دمشق إلى القاهرة، فحضر عز الدين حمزة بن القلانسى، ونصير الدين بن سوند، وشمس الدين محمد بن يمن، والجمال بن صَصْرىَ، وقاضى القضاة حسام الدين الحنفى، والصاحب تقى الدين توبة، وشمس الدين بن غانم، وغيره.

فألزم القلانسى بمائة وخمسين ألف درهم، وابن سويد بثلاثين ألف درهم، وابن يمن عن قيمة أملاك مائة ألف درهم وتسعين ألف درهم، وابن صصرى بثلاثمائة ألف درهم، وحسام الدين بثلاثة آلاف درهم، وابن غانم بخمسة آلاف درهم.

فاعتذروا أنهم قد حضروا على البريد، وأن أموالهم بدمشق، وسألوا أن يقرر عليهم ما يحملونه. فخافه الشجاعى أنهم إذا دخلوا دمشق تشفعوا فسوحموا بما عليهم، فطلب تجار الكارم بمصر وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة مالا، ففعلوا ذلك.

وكتبت على الدماشقة مساطير بما اقترضوه من تجار الكارم، وحملوا ما أخذوه إلى بيت المال، وأذن لهم فى العود إلى دمشق، فلم يجدوا بدا من وفاء التجار.

ثم استقر ابن صصرى ناظر الدواوين بدمشق، فانتدب النجيب كاتب بكجرى أحد مستوفيى الدولة لمرافعة الشجاعى، وبرز له بمرافقة القاضى تقى الدين نصر الله بن فخر الدين الجوجرى، وأنهى إلى السلطان عنه أمورًا وحاققه بحضرته السلطان.

ومما قاله إنه باع جملة من السلاح ما بين رماح ونحوها مما كان فى الذخائر السلطانية للفرنج، فلم ينكر الشجاعى ذلك، وقال: «بعته بالغبطة الوافرة والمصلحة الظاهرة، فالغبطة أننى بعتهم من الرماح والسلاح ما عتق وفسد وقل الانتفاع به، وأخذت منهم أضعاف ثمنه، والمصلحة أن تعلم الفرنج أنا نبيعهم السلاح هوانا بهم، واحتقارًا بأمرهم وعدم مبالاة بشأنهم». فمال السلطان لذلك وقبله.

فقال النجيب: «يا مكثل الذى خفى عنك أعظم مما لمحت. هذا الكلام أنت صورته بخاطرك لتعده جوابا، وأما الفرنج وسائر الأعداء فلا يحملون بيع السلاح لهم على ما زعمت أنت، ولكنهم يشيعون فيما بينهم، ويتناقله الأعداء إلى أمثالهم، بأن صاحب مصر والشام قد احتاج حتى باع سلاحه لأعدائه».

فلم يحتمل السلطان هذا، وغضب على الشجاعى وعزله فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الأول، وأمر بمصادرته على جملة كثيرة من الذهب، وألزمه ألا يبيع فى ذلك شيئًا من خيله ولا سلاحه ولا رخته، بل يحمل المطلوب ذهبًا، وعصره بالمعاصير بين يديه حتى حمل ما طلب منه.

فبلغه الناس ما اعتمده الشجاعى من الظلم فى مصادرة جماعة، وأن فى سجنه كثيرًا من المظلومين قد مرت عليهم سنون وهم فى السجن، وباعوا موجودهم حتى أعطوه فى التراسيم، وفيهم من استعطى وسأل بالأوراق. فرسم السلطان للأمير بهاء الدين بغدى الدوادارى بالكشف عن أمر المصادرين ومطالعته بحالهم، فخرج لذلك وسأل، فكثرت القالة بما فيه أهل السجون من الفاقة والضرورة، ففوض أمرهم إلى الأمير طرنطاى، فكشف عنهم وأفرج عن سائرهم.

وفى ليلة الإثنين سادس عشره: وقع الحريق بخزائن السلاح والمشهد الحسينى بالقاهرة. فطفئ.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: استقر فى الوزارة بديار مصر الأمير بدر الدين بيدرا، عوضًا عن سنجر الشجاعى، بعدما عرضت على قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز فامتنع، وشرط على الأمير بيدرا أنه يشاور ابن بنت الأعز، ويعتمد ما يشير به. وكان ابن بنت الأعز إذا دخل على السلطان، وهو يومئذ ناظر الخزانة، ويقول له: «يا قاضى إيش حال ولدك بيدرا فى وزارته»؟ فيقول: «يا خوند ولد صالح دخلت بولايته الجنة، وأزلت الظلم، واستجلبت لك الدعاء، والذى كان يحصل بالعسف حصل باللطف».

وصار ابن بنت الأعز كل يوم أربعاء يدخل على بيدرا ويقرر معه ما يفعل، ثم استناب بيدرا ضياء الدين عبد الله النشائى وصار يجلس معه.

واستقر تقى الدين نصر الله فى نظر الدواوين شريكا لثلاثة، وهم: تاج الدين بن السنهورى، وكمال الدين الحرابى، وفخر الدين بن الحلبى صاحب ديوان الصالح على، وخلع عليه.

وفى أول ربيع الآخر: استقر الجمال بن صصرى فى نظر الدواوين بدمشق، وخلع عليه وسافر من القاهرة هو والقاضى تاج الدين[....][1] بن النصيبينى كاتب الدرج بحلب، بعدما أفرج عنه.

---

(١) بياض فى الأصل.

وفيه أيضًا استقر ركن الدين بيبرس أمير جاندار بدمشق، وسافر هو وشمس الدين[... [(١)]] بن غانم، وقد سومح بما كان قد قرر عليه.

واستقر تقى الدين توبة فى نظر الدواوين بدمشق أيضًا. وتوجه ناصر الدين محمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسى إلى دمشق، متحدثًا فى وكالة السلطان ونظر سائر الأوقاف الشامية، ونظر الجامع الأموى والمارستان النورى وبقية المارستانات، ونظر الأشراف والأيتام والأسرى والصدقات والخوانك والربط والأسود وغير ذلك.

وسافر معه شمس الدين القشتمرى، وصارم الدين الأيدمرى؛ ليكونا مشدين.

فقدم دمشق وتتبع عوارت الناس، وتصدى لإثبات سفه من باع شيئًا من الأملاك كما فعل فى أمر ابنة الأشرف، فلم يوافقه القضاة بدمشق ولا النائب، وشرع فى مناكدة الناس.

وفى تاسعه: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، بعد ما أخذ منه خمسة وستون ألف دينار عينا، سوى ما أخذ السلطان وغيره من موجوده.

وعزل بيدرا عن الوزارة فى تاسع عشره، واستدعى قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، وخلعت عليه خلع الوزارة ونزل. فتعفف عن التصرف والكتابة فى أشياء، وباشر الوزارة مع قضاء القضاة ونظر الخزانة، وصار يجلس فى اليوم الواحد تارة فى دست الوزارة وتارة فى مجلس الحكم وتارة فى ديوان الحكم، ولم يوف منصب الوزارة حقه لتمسكه بظاهر الأمور الشرعية. ثم ثقلت عليه الوزارة فتوفر منها، وأعيد الأمير بدر الدين بيدرا إليها فى [... [(٢)]] وكان حينئذ أمير مجلس، ثم نقل إلى الأستادارية مع الوزارة، واستقر كذلك إلى آخر الدولة المنصورية.

وفيه كتب إلى الأكابر ببلاد السند والهند والصين واليمن صورة أمان لمن اختار الحضور إلى ديار مصر وبلاد الشام، من إنشاء فتح الدين بن عبد الظاهر، وسُيِّر مع التجار.

وفى أول جمادى الأولى: وردت كتب الأمير علم الدين سنجر المسرورى الخياط من دمقلة، بفتحها والاستيلاء عليها وأسر ملوكها، وأخذ تيجانهم ونسائهم. وكان الكتاب على يد ركن الدين منكورس الفاقانى، فخلع عليه وكتب معه الجواب بإقامة

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) بياض فى الأصل.

الأمير عز الدين أيدمر والى قوص بدمقلة، ومعه من رسم لهم من المماليك والجند والرحال، وأن يحضر الأمير علم الدين ببقية العسكر. وجهز من قلعة الجبل سعد ابن أخت داود، ليكون مع الأمير أيدمر لخبرته بالبلاد وأهلها، فسار وقد أعطى سيفًا محلى، فأقام بقوص.

وفيه استقر زين الدين[..... [1]] بن رشيق فى قضاء الإسكندرية، عوضًا عن زين الدين بن المنير.

وفى سابع عشره وهو خامس عشر بؤونة من أشهر القبط: ـ أخذ قاع النيل بمقياس الروضة، فكان أربعة أذرع وستة وعشرين أصبعا. فيه فوضت حسبة دمشق لشرف الدين أحمد بن عيسى السيرحى.

وفى تاسع رجب: وصل الأمير علم الدين سنجر المسرورى من بلاد النوبة، ببقية العسكر المخلف بدمقلة مع عز الدين أيدمر، ووصل معه ملوك النوبة ونساؤهم وتيجانهم وعدة أسرى كثيرة، فكان يوما مشهودا.

وفرق السلطان الأسرى على الأمراء وغيرهم، فتهاداهم الناس، وبيعوا بالثمن اليسير لكثرتهم.

وخلع على الأمير علم الدين وعمل مهمندارا عوضًا عن الأمير شرف الدين الجاكى، بحكم استقراره فى ولاية الإسكندرية عوضًا عن حسام الدين بن شمس الدين ابن باخل، بحكم عزله والقبض عليه ومصادرته.

وأما النوبة فإنه سمامون ملكها رجع بعد خروج العسكر إلى دمقلة، وحارب من بها وهزمهم، وفر منه الملك وجرتس والعسكر المجرد، وساروا إلى القاهرة، فغضب السلطان وأمر بتجهيز العسكر لغزو النوبة.

وفى يوم الأحد خامس عشره: خرج السلطان مبرزًا بظاهر القاهرة يريد الشام، فركب معه ابنه الملك الصالح وحضر السماط، ثم عاد الصالح إلى قلعة الجبل آخر النهار، فتحرك عليه فؤاده فى الليل وكثر إسهاله الدموى وأفرط، فعاد السلطان لعيادته فى يوم الأربعاء ثامن عشره ولم يفد فيه العلاج، فعاد السلطان إلى الدهليز من يومه، فأتاه الخبر بشدة مرض الملك الصالح، فعاد إلى القلعة.

وصعدت الخزائن فى يوم الثلاثاء أول شعبان، وطلعت السناجق والطلب فى يوم

---

(١) بياض فى الأصل.

الأربعاء ثانيه. فمات الصالح بكرة يوم الجمعة رابعه من دوسنطاريا كبدية، وتحدثت طائفة بأن أخاه الملك الأشرف خليلا سمه.

فحضر الناس للصلاة عليه، وصلى عليه بالقلعة قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز إمامًا، والسلطان خلفه فى بقيه الأمراء والملك الأشرف خليل. ثم حملت جنازته، وصلى عليه ثانيًا قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطبى الحنفى خارج القلعة، ودفن بتربة أمه قريبًا من المشهد النفيسى.

وترك الصالح ابنًا يقال له الأمير مظفر الدين موسى، من زوجته منكبك ابنة نوكاى. واشتد حزن السلطان عليه، وجلس للعزاء فى يوم الأحد ثالث يوم وفاته بالإيوان الكبير. وأنشئت كتب العزاء إلى النواب بالمماليك، ورسم فيها ألا يقطع أحد شعرًا ولا يلبس ثوب حداد ولا يغير زيه.

وفى مدة مرض الملك الصالح جاد السلطان بالمال وأكثر من الصدقات، واستدعى الفقراء والصالحين ليدعوا له، وبعث إلى الشيخ محمد المرجانى يدعوه فأبى أن يجتمع به، فحل إليه مع الطواشى مرشد خمسة آلاف درهم ليعمل بها وقتًا للفقراء، حتى يطلبوا ولد السلطان من الله تعالى، فقال له: «سلم على السلطان، وقل له متى رأيت فقيرًا يطلب أحدًا من الله؟ فإن فرغ أجله فوالله ما ينفعه أحد، وإن كانت فيه بقية فهو يعيش». ورد المال فلم يقبل منه شيئًا.

وطلع الشيخ عمر خليفة الشيخ أبى السعود إلى السلطان، وقد دعاه ليدعو للصالح، فقال له: « أنت رجل بخيل ما يهون عليك شىء، ولو خرجت للفقراء عن شىء له صورة لعملوا وقتًا، وتوسلوا إلى الله أن يهبهم ولدك لكان يتعافى». فأعطاه السلطان خمسة آلاف درهم عمل بها سماعًا، ثم عاد إلى السلطان وقال: «طيب خاطرك، الفقراء كلهم سألوا الله ولدك، وقد وهبه لهم». فلم يكن غير قليل حتى مات الصالح.

فرأى السلطان فى صبيحته الشيخ عمر هذا، فقال له: «يا شيخ عمر أنت قلت إن الفقراء طلبوا ولدى من الله ووهبه لهم»، فقال على الفور: «نعم الفقراء طلبوه، ووهبهم إياه ألا يدخل جهنم، ويدخله الجنة»، فسكت السلطان.

وفى حادى عشر شعبان: فوض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فركب بشعار السلطنة من قلعة الجبل إلى باب النصر، وعبر إلى القاهرة وخرج من باب زويلة، وصعد إلى القلعة وسائر الأمراء وغيرهم فى خدمته، ودقت البشائر. وحلف القضاة له جميع العسكر، وخلع على سائر أهل الدولة، وخطب له

بولاية العهد واستقر على قاعدة أخيه الصالح على، وكتب بذلك إلى سائر البلاد، وكتب له تقليد فتوقف السلطان من الكتابة عليه.

وفى ثانى شهر رمضان: استقر فى حسبة دمشق شمس الدين محمد بن السلموس، عوضًا عن ابن السيرجى.

وفى رابع شوال: استقر بدر الدين محمد بن جماعة(١) خطيبًا بالقدس، عوضًا عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشى القدسى، بحكم وفاته، وكانت ذلك بعناية الأمير علم الدين سنجر الدوادارى، لصحبة بينهما.

واستقر فى تدريس القيمرية بدمشق عوضًا عن ابن جماعة علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز فى سابع عشره.

وفى ذى الحجة: استقر علم الدين سنجر المسرورى فى ولاية البهنسا، وولى معه عز الدين مقدام نَظَرَها، واستقر قاضى القضاة جمال الدين[...](٢) الزواوى فى قضاء المالكية بدمشق.

وفى هذه السنة: ورد كتاب نائب الشام بأن الفرنج بطرابلس نقضوا الهدنة، وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم، وصار بأيديهم عدة أسرى. وكانوا لما مَلَكَ السلطان قلعة المرقب قد بعثوا إليه هدية، وصالحوه على ألا يتركوا عندهم أسيرًا، ولا يتعرضوا لتاجر ولا يقطعوا الطريق على مسافر، فتجهز السلطان لأخذ طرابلس.

وفيها قدم الشريف جماز بن شيحة من المدينة النبوية ومَلَكَ مكة، فجاء الشريف أبو نمى فى آخر السنة وملكها منه.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الصالح على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، وقد أناف على الثلاثين، فى رابع شعبان.

---

(١) ابن جماعة (٨٣٣-بعد ٩٠١هـ=١٤٢٩-بعد ١٤٩٦م) محمد بن إبراهيم بن عبد الله، أبو البقاء، نجم الدين بن جماعة المقدسى الشافعى. فقيه، تزيد شيوخه على (٣٠٠) استقر فى مشيخة الصلاحية ببيت المقدس. وخطب بالأقصى وحدث وأفتى وصنف كتبا، منها «الدر النظيم فى أخبار موسى الكليم»، و«النجم اللامع»، «شرح جمع الجوامع» لابن السبكى. نظر الضوء ٦/٢٥٥، الكواكب ١/٢٥ الأعلام ٥/٣٠١.

(٢) بياض فى الأصل.

وتوفى تقى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى الشافعى، عن سبع وثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى المجد أبو المعالى محمد بن خالد بن حمدون الهذبانى الحموى الزاهد المحدث، عن ثمانين سنة بحلب، قدم القاهرة.

وتوفى خطيب القدس قطب الدين أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر القرشى الزهرى، وقد أناف على الثمانين.

وتوفى البرهان أبو عبد الله محمد بن محمد النسفى الحنفى، ببغداد عن نحو تسعين سنة.

وتوفى أمين الدين أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى الشافعى المحدث، عن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة النبوية.

وتوفى الأديب الشاعر ناصر الدين أبو محمد الحسن بن شاور بن طرخان بن النقيب الكنانى[١]، وقد أناف على سبعين سنة، بالقاهرة.

وتوفى الحكم علاء الدين أبو الحسن على بن أبى الحزم ابن النفيس القرشى الدمشقى رئيس الأطباء، عن نحو ثمانين سنة بالقاهرة.

* * *

---

(١) ابن النقيب (٦٨٧هـ=١٢٨٨م) أحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن بن النقيب الكنانى، ناصر الدين، المعروف بالنفيسى: شاعر، من أفاضل مصر. له «ديوان مقاطيع» فى مجلدين، وكتاب «منازل الأحباب ومنارة الألباب» مجلدان وشعره عذب. انظر فوات الوفيات ١/١١٨. الأعلام ٢/١٩٣.



سنة ثمان وثمانين وستمائة

فى يوم الخميس عاشر المحرم: خيم السلطان بظاهر القاهرة، ورحل فى خامس عشره. واستخلف ابنه الملك الأشرف خليلا بالقلعة، والأمير بيدرا نائبًا عنه ووزيرًا، وكتب عند الرحيل إلى سائر ممالك الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس.

وسار إلى دمش فدخلها فى ثالث عشر صفر، وخرج منها فى العشرين منه إلى طرابلس فنانزلها، وقد قدم لنجدة أهلها أربعة شوان من جهة متملك قبرص.

فوالى السلطان الرمى بالمجانيق عليها والزحف والنقوب فى الأسوار، حتى افتتحها عنوة فى السلعة السابعة من يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، بعدما أقام عليها أربعة وثلاثين يومًا، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقًا، وعمل فيها ألف وخمسمائة نفس من الحجارين والزرافين. وفر أهلها إلى جزيرة تجاه طرابلس، فخاض الناس فرسانًا ورجالا وأسروهما وقتلوهم وغنموا ما معهم، وظفر الغلمان والأوشاقية بكثير منهم كانوا قد ركبوا البحر فألقاهم الريح بالساحل، وكثرت الأسرى حتى صار إلى زردخاناه السلطان ألف ومائتا أسير.

واستشهد من المسلمين الأمير عز الدين معن، والأمير ركن الدين منكورس الفارقانى، وخمسة وخمسون من رجال الحلقة.

وأمر السلطان بمدينة طرابلس فهدمت، وكان عرض سورها يمر عليه ثلاثة فرسان بالخيل، ولأهلها سعادات جليلة منها أربعة آلاف نول قزازاة.

وأقر السلطان بلدة جبيل مع صاحبها على مال أخذه منه، وأخذ بيروت وجبلة وما حولها من الحصون.

وعاد السلطان إلى دمشق فى نصف جمادى الأولى، واستقر العسكر على عادته بحصن الأكراد مع نائبه الأمير سيف الدين بلبان الطباخى.

ونزل البزك إلى طرابلس من حصن الأكراد وأضيف إلى الطباخى، واستقر معه خمسمائة جندى وعشرة أمراء طبلخاناه، وخمسة عشر أمراء عشرات، وأقطعوا إقطاعات. ثم عمر المسلمون مدينة بجوار النهر فصارت مدينة جليلة، وهى التى تعرف اليوم بطرابلس.

وقدم على السلطان وهو بطرابلس رسل سيس يسألون مراحمه، فطلب منهم مرعش وبهنا والقيام بالقطيعة على العادة، وأعادهم وقد خلع عليهم.

وخرج الأمير طرنطاى نائب السلطنة إلى حلب. وأقام الأمير سنجر الشجاعى متحدثًا فى الأموال بدمشق، فأوقع الحوطة على تقى الدين توبة، وأخذ حواصله وباعها على الناس بأغلى الأثمان حتى جمع من ذلك خمسمائة ألف درهم، فخاف منه الناس وفر كثير. منهم وعاد طرنطاى فى سابع رجب.

وورد على السلطان كتاب ولده الأشرف بأن سلامش وخضرا ابنى السلطان الظاهر بيبرس قد راسلا الظاهرية، وأنه يخشى عاقبة ذلك. فكتب السلطان بأن يخرجا وأمهما إلى ثغر الإسكندرية، ويحملوا فى البحر إلى بلاد الأشكرى، فأخرجوا ليلا.

وكان فى ذلك أعظم عبرة: فإن الظاهر بيبرس أخرج قاقان وعليا ابنى المعز أيبك إلى بلاد الأشكرى ومعهما أمهما، فعوقب بمثل ذلك وأخرج ولداه وأمهما ليجزى الله كل نفس بما كسبت.

وخرج السلطان من دمشق فى ثانى شعبان، ومعه تقى الدين توبة مقيدًا، وقد نال أهل دمشق ضرر كبير.

فدخل السلطان قلعة الجبل فى آخر شعبان، وجرد الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندرا إلى بلاد النوبة، ومعه من الأمراء قبجاق المنصورى وبكتمر الجوكندار وأيدمر والى قوص، وأطلاب كثير من الأمراء، وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلى ونواب الولاة، ومن عربان الوجهين القبلى والبحرى عدة أربعين ألف راجل، ومعهم متملك النوبة وجريس فساروا فى ثامن شوال، وصحبتهم خمسمائة مركب ما بين حراريق ومراكب كبار وصغار تحمل الزاد والسلاح والأثقال. فلما وصلوا ثغر أسوان مات متملك النوبة، فدفن بأسوان. فطالع الأمير عز الدين الأفرم السلطان بموته، فجهز إليه من أولاد أخت الملك داود رجلا كان بالقاهرة ليملكه، فأدرك العسكر على خيل البريد بأسوان وسار معه. وقد انقسموا نصفين: أحدهما الأمير عز الدين الأفرم وقبجاق فى نصف العسكر من الترك والعرب فى البر الغربى، وسار الأمير أيدمر والى قوص والأمير بكتمر بالبقية على البر الشرقى، وتقدمهم جريش نائب ملك النوبة ومعه أولاد الكنز ليؤمن أهل البلاد ويجهز الإقامات. فكان العسكر إذا قدم إلى بلد خرج إليه المشايخ والأعيان، وقبلوا الأرض وأخذوا الأمان وعادوا، وذلك من بلد الدو إلى جزائر ميكائيل، وهى ولاية جريس وأما ما عدا ذلك من البلاد التى لم يكن لجريس عليها

ولاية، من جزائر ميكائيل إلى دمقلة، فإن أهلها جلوا عنها طاعة لمتملك النوبة. فنهبها العسكر وقتلوا من وجدوه بها، ورعوا الزروع وخربوا السواقى إلى أن وصلوا مدينة دمقلة، فوجدوا الملك قد أخلاها حتى لم يسبق بها سوى شيخ واحد عجوز، فأخبرا أن الملك نزل بجزيرة فى بحر النيل بعدها عن دمقلة خمسة عشر يومًا. فتتبعه والى قوص، ولم يقدر مركب على سلوك النيل هناك لتوعر النيل بالأحجار. وقال فى ذلك الأديب ناصر الدين بن النقيب، وكان ممن جرد إليها:

يا يوم دمقلة ويوم عبيدها ... من كل ناحية وكل مكان
من كل نوبى يقول لأخته ... نوحى فقد سكوا قفا السودان

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

كاتب الإنشاء بحماة نجم الدين أبو محمد عبد الغفار بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن المغيزل العبدى الحموى بها، عن أربع وستين سنة.

وتوفى العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن عباد الأصبهانى، عن اثنين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى الأديب شمس الدين محمد بن العفيف أبى الربيع سليمان بن على بن عبد الله ابن على بن ياسين العابدى التلمسانى.

وتوفى علم الدين أبو العباس أحمد بن يوسف عبد الله بن على الشهير بابن الصاحب صفى الدين بن شكر، بعدما تغير عقله، وقد أناف على الستين.

* * *

سنة تسع وثمانين وستمائة

فى المحرم: سار الأمير طرنطاى النائب إلى بلاد الصعيد ومعه عسكر كبير، فوصل إلى طوخ تجاه قوص، وقتل جماعة من العربان، وحرق كثيرًا منهم بالنار، وأخذ خيولاً كثيرة وسلاحا ورهائن من أكابرهم. وعاد بمائة ألف رأس من الغنم وألف ومائتى فرس وألف جمل، وسلاح لا يقع عليه حصر.

وفيه توجه الأمير سيف الدين التقوى ومعه ستمائة فارس لينزل بطرابلس وهو أول جيش استخدم بطرابلس بعد فتحها، وكان العسكر قبل ذلك بالحصون.

وفى ربيع الأول استدعى الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق إلى القاهرة على البريد، فلما حضر أكرمه السلطان وأكد عليه فى تحصيل الأموال، وأضاف إليه الحصون بسائر الممالك الشامية والساحل وديوان الجيش، وخلع عليه. فعاد إلى دمشق فى العشرين من ربيع الآخر، وقد زاد تجبره وكثر تعاظمه.

وفى جمادى الأولى: قبض على الأمير سيف الدين جرمك الناصرى لمطاوصة جرت بينه وبين الأمير طرنطاى النائب، أغلظ عليه فيها بحضرة الأمراء.

وفى أول جمادى الآخرة: استقر شرف الدين حسن بن أحمد بن أبى عمر بن قدامه المقدسى فى قضاة الحنابلة بدمشق، بعد وفاة قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن القدسى الحنبلى، بأمر السلطان. وكتب توقيعه عن الأمير حسام الدين نائب الشام، فى تاسع الشهر.

وفيه وصل والى قوص بمن معه إلى تجاه الجزيرة التى بها سمامون ملك النوبة، فرأوا بها عدة من مراكب النوبة، فبعثوا إليه فى الدخول فى الطاعة وأمنوه فلم يقبل. فأقام العسكر تجاهه ثلاثة أيام، فخاف من مجىء الحراريق والمراكب إليه، فانهزم إلى جهة الأبواب، وهى خارجة عن مملكته وبينها وبين الجزيرة التى كان فيها ثلاثة أيام. ففارقه السواكرة وهم الأمراء وفارقه الأسقف والقسوس، ومعهم الصليب الفضة الذى كان يحمل على رأس الملك وتاج الملك، وسألوا الأمان فأمنهم والى قوص وخلع على أكابرهم، وعادوا إلى مدينة دمقلة وهم جمع كبير.

فعند وصولهم عدى الأمير عز الدين الأفرم وقبجاق إلى البر الشرقى، وأقام العسكر

مكانه. واجتمع الأمراء بدمقلة، ولبس العسكر آلة الحرب وطلّبوا من الجانبين، وزينت الحراريق فى البحر ولعب الزراقون بالنفلط. ومد الأمراء السماط فى كنيسة أسوس أكبر كنائس دمقلة وأكلوا، ثم ملّكوا الرجل الذى بعثه السلطان قلاوون وألبسوه التاج، وحلفوا وسائر الأكابر، وقرروا البقط المستقر أولا، وعينوا طائفة من العسكر تقيم عندهم وعليها بيبرس العزى مملوك الأمير عز الدين والى قوص. وعاد العسكر إلى أسوان بعدما غاب عنها ستة أشهر، وساروا إلى القاهرة فى آخر جمادى الأولى بغنائم كثيرة. وأما سمامون فإنه عاد بعد رجوع العسكر إلى دمقلة مختفيًا، وصار بطريق باب كل واحد من السواكرة ويستدعيه، فإذا خرج ورآه قبل له الأرض وحلف له، فما طلع الفجر حتى ركب معه سائر عسكره. وزحف سمامون بعسكره على دار الملك، وأخرج بيبرس العزى ومن معه إلى قوص، وقبض على الذى تملك موضعه وعراه من ثيابه، وألبسه جلد ثور كما ذبح بعدما قدَّه سيورًا ولفها عليه، ثم أقامه مع خشبة وتركه حتى مات، وقتل جريس أيضًا. وكتب سمامون إلى السلطان يسأله العفو، وأنه يقوم بالبقط المقرر وزيادة، وبعث رقيقًا وغيره تقدمة فقبل منه، وأقره السلطان بعد ذلك بالنوبة.

وفى ثانى عشرى جمادى الآخرة: كتب بالكشف على ناصر الدين بن المقدسى وكيل السلطان بالشام، فظهرت له أفعال منكرة، وقبض عليه فى تاسع رجب وضرب بالقارع وألزم بمال. ثم رسم بحمله إلى القاهرة، فوجد فى يوم الجمعة ثالث شعبان وقد شنق نفسه، فحضر أولياء والقضاء والشهود وشاهدوه على تلك الصورة، وكتبوا محضرًا بذلك، ودفن واستراح الناس من شره.

وفى رابع رجب: استقر الأمير عز الدين أيبك الموصلى فى تقدمة العسكر بغزة والساحل، عوضًا عن الأمير آقسنقر كرتيه.

وفى شعبان: خرج مرسوم السلطان ألا يستخدم أحد من أهل الذمة اليهود والنصارى فى شىء من المباشرات الديوانية، فصرفوا عنها.

وفيه ثار أهل عكا بتجار المسلمين وقتلوهم، فغضب السلطان وكتب إلى البلاد الشامية بعمل مجانيق وتجهيز زردخاناة لحصار عكا. وذلك أن الظاهر بيبرس هادنهم، فحملوا إليه وإلى الملك المنصور هديتهم فى كل سنة، ثم كثر طمعهم وفسادهم وقطعهم الطريق على التجار، فأخرج لهم السلطان الأمير شمس الدين سنقر المساح على عسكر، ونزلوا اللجون على العادة فى كل سنة، فإذا بفرسان من الفرنج بعكا قد خرجت

فحاربوهم، واستمرت الحرب بينهم وبين أهل عكا مدة أيام. وكتب إلى السطان بذلك، فأخذ فى الاستعداد لحربهم. فشرع الأمير شمس الدين سنقر الأعسر فى عمل ذلك، وقرر على ضياع المرج وغوطة .دمشق مالاً على كل رجل ما بين ألفى درهم إلى خمسمائة درهم، وجبى أيضًا من ضياع بعلبك والبقاع. وسار إلى واد بين جبال عكا وبعلبك لقطع أخشاب المجانيق، فسقط عليه ثلج عظيم كاد أن يهلكه، فركب وساق وترك أثقاله وخيامه لينجو بنفسه، فطمها الثلج تحته إلى زمن الصيف، فتلف أكثرها.

وفى سادس شوال: أفرج عن الأمير الكبير علم الدين سنجر الحلبى، فكانت مدة اعتقاله خمس سنين وتسعة أشهر وأيامًا.

وفى آخر شوال: برز السلطان بظاهر القاهرة، ونزل بمخيمه بمسجد تبر، يريد فتح عكا. فأصابه وعك فى أول ليلة وأقام يومين بغير ركوب، ثم اشتد مرضه وصار الأشرف ينزل إليه كل يوم من القلعة ويقيم عنده إلى بعد العصر ويعود. فكثرت القالة وانتشرت حتى ورد الخبر بحركة العرب ببلاد الصعيد، فأخرج النائب طرنطاى قراقوش الظاهرى والأمير[..(1)..] أبا شامة لتدارك ذلك. واشتد مرض السلطان إلى أن مات بمخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة فى ليلة السبت سادس ذى القعدة، فحمل إلى القلعة ليلاً، وعادت الأمراء إلى بيوتها. وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يومًا، وعمره نحو سبعين سنة. وترك ثلاثة أولاد ذكورًا اشهر وأيامًا: وهم الملك الأشرف خليل الذى ملك بعده، والملك الناصر محمد وملك أيضًا، والأمير أحمد وقد مات فى سلطنة أخيه الأشرف. وترك من البنات ابنتين: وهما التطمش وتعرف بدار مختار وأختها دار عنبر، وزوجة واحدة وهى أم الناصر محمد. وناب عنه بمصر الأمير عز الدين أيبك الأفرم ثم استعفى، فاستقر بعده حسام الدين طرنطاى حتى مات السلطان. وكان نائبة بدمشق بعد سنقر الأشقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المعروف بالصغير، ونوابه بحلب الأمير جمال الدين أقش الشمسى، فلما مات جمال الدين استقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى، وصرف بالأمير قراسنقر الجوكندار. وناب عنه بحصن الأكراد بلبان الطباخى، وبصفد علاء الدين الكبكى، وبالكرك أيبك الموصلى ثم بيبرس الدودار. ووزر له الصاحب برهان الدين خضر السنجارى مرتين، وفخر الدين إبراهيم بن لقمان، ونجم الدين حمزة الأصفونى، وقاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، ثم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وكان يلى شد الدواوين. فإذا لم يكن فى الدولة وزير تحدث فى الوزارة، ثم استقل بالوزارة بعد

---

(1) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

الأصفوانى، وكان جبارًا عسوفًا مهيبًا يجمع المال من غير وجهه، فكرهه كل أحد وتمنوا زوال دولة المنصور من أجله ثم الأمير بدر الدين بيدرا، ومات المنصور وبيدرا وزير. وبلغت عدة مماليكه اثنا عشر ألف مملوك، وقيل سبعة آلاف وهو الصحيح. تأمر منهم كثير، وتسلطنت جماعة. وكان قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص والجركس، وجعلهم فى أبراج القلعة وسماهم البرجية. وكان جميل الصورة مهيبًا، عريض المنكبين قصير العنق، فصيحًا بلغة الترك والقبجاق، قليل المعرفة بالعربية.

* * *

السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل يوم الأحد سابع ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة، وجدد العسكر له الحلف فى يوم الإثنين ثامنه.

وطلب السلطان الملك الأشرف من القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده بولاية العهد، فأخرجه إليه مكتوبا بغير علامة الملك المنصور. وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه إليه ليعلم عليه فلم يرض، وتكرر طلب الأشرف له، وابن عبد الظاهر يقدمه والمنصور يمتنع إلى أن قال له: «يا فتح الدين أنا ما أولى خليلا على المسلمين» فلما رأى الأشرف التقليد بغير علامة قال: «يا فتح الدين إن السلطان امتنع أن يعطينى، وقد أعطانى الله»، ورمى إليه التقليد، فمازال عند ابن عبد الظاهر.

ثم إن الأشرف خلع على سائر أرباب الدولة، وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة ثانى عشره بعد الصلاة، وسير إلى الميدان الأسود تحت القلعة بالقرب من سوق الخيل والأمراء والعساكر فى خدمته. وعاد إلى القلعة قبل العصر مسرعا، فإنه بلغه أن الأمير حسام الدين طرنطاى يريد الفتك به إذا قرب من باب الإصطبل. فلما سير أربعة ميادين، وقد وقف طرنطاى ومن وافقه عند باب سارية، وحاذى السلطان باب الإسطبل، وفى الظن أنه يعطف إلى نحو باب سارية ليكمل التيسير على العادة، حرك فرسه يريد القلعة وعبر من باب الإسطبل، فساق طرنطاى بمن معه سوقا حثيثا ليدركه ففاته. وبادر الأشرف بطلب طرناى، فمنعه الأمير زين الدين كتبغا أن يدخل إليه وحذره منه، فقال: «والله لو كنت نائمًا ما جسر خليل ينبهنى»، وغره إعجابه بنفسه وكثرة أيام سلامته، ودخل ومعه الأمير زين الدين كتبغا. فعندما وصل إلى حضرة الأشرف قبض عليه وعلى كتبغا وسجنا، وقتل طرنطاى فى يوم الإثنين خامس عشره

وقيل يوم الخميس ثامن عشره بعد عقوبة شديدة، وترك بعد قتله فى مجلسه ثمانية أيام، ثم أخرج ليلة الجمعة سادس عشريه فى حصير على جنوية إلى القرافة، فغسل بزاوية أبى السعود وكفنه شيخنا صدقة عنه، ودفنه بظاهر الزاوية ليلا. فلما تسلطن كتبغا نقله إلى مدرسته بالقاهرة ودفنه بها، وهو إلى اليوم هناك.

وكان سبب قتله كراهة الأشرف له من أيام أبيه، فإن طرنطاى كان يطرح جانب الشرف، ويهين نوابه ومن ينسب إليه، ويرجح أخاه الملك الصالح عليه. ولم يتلاف ذلك بعد موت الصالح، بل جرى على عادته فى إهانة من ينسب إليه، وأغرى الملك المنصور بشمس الدين السلعوس ناظر ديوان الملك الأشرف حتى ضربه وصرفه. ثم وشى به إلى الأشرف أنه يريد القبض عليه عند ركوبه إلى الميدان، ويقال إنه لما دخل عليه وجد لابسًا عدة الحرب، وعندما قبض على طرنطاى نزل الشجاعى ـ وكان عدوه- إلى داره، وأوقع الحوطة على موجوده، فوجد له من الذهب العين ألف ألف وستمائة ألف دينار مصرية، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصرى، ومن العدد والقماش والخيول والمماليك والبغال والجمال والغلال، والآلات والأملاك والنحاس المُكفّت والمطعَّم والزردخاناه والسروج واللجم، وقماش الطشتخاناه والركاب خاناه والفراش خاناه، والحوائص والبضائع والمقارضات والودائع، والقنود والأعسال ما لا يحصر.

ولما حملت أموال طرنطاى إلى الأشرف قال: «من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى»، وبعد أيام من مقتل طرنطاى سئل ولده الحضور، فلما وقف بين يدى الأشرف إذا هو أعمى، فبكى ومد يده كهيئة السؤال وقال: «شىء» وذكر أن لأهله أياما ما عندهم ما يأكلون، فرق له السلطان، وأفرج عن أملاك طرنطاى، وقال: «تبلغوا بريعها».

وفيه ولى شرف الدين الحسين بن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد موت نجم الدين أحمد بن قدامة، وتحدث الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى النيابة بعد طرنطاى، من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له تقليد النيابة، ثم استقر فى نيابة السلطنة الأمير بدر الدين بيدرا، وخلع عليه.

وفى تاسع عشر ذى القعدة: طلب الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بالشام، فحضر فى ذى الحجة، فأمر الأشرف بضربه فعوقب مرارًا. واستقر عوضه سيف الدين طوغان المنصورى، وأعيد تقى الدين توبة إلى وزارة الشام، فأوقع الحوطة على موجود سنقر الأعسر.

وفيه أحضر الأمير بدر الدين بكتوت العلائى من حمص إلى القاهرة، وتوجه الأمير حسام الدين سنقر الحسامى بتقليد الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام واستمراره على عادته، فوصل فى ثامن عشره.

وفى هذه السنة: أكثر السلطان من تفرقة الأموال، وأبطل عدة حوادث، ومنها ما كان قد تجدد على الغلة ببلاد الشام، وسامح ما تأخر من البواقى بأرض مصر والشام.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قاضى الحنابلة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، عن نحو أربعين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى، عن أربع وستين سنة بدمشق.

وتوفى رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل ابن مسعود الفارقانى الشافعى، عن تسعين سنة، خارج دمشق مخنوقا.

وتوفى عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميرى الديرينى الشافعى.

وتوفى فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن عز القضاة، بدمشق عن ستين سنة.

وتوفى المحدث شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبى بكر بن المحدث الرسعنى الحنبلى، غريقًا بنهر الأردن، وهو عائد من مصر لدمشق، عن ثمان وستين سنة.

وفيها كانت حرب بين أمير الركب الفارقانى وبين أهل مكة عند ورود الثنية، قتل فيه رجل من بنى حسن، ثم قدم أبو خرص يبشر بسلطة الأشرف خليل، فكانت وقعة أخرى بعد الحج، فبادر الحجاج إلى الرحيل وخرجوا سالمين.

* * *

سنة تسعين وستمائة

فى سادس المحرم: أفرج عن الملك العزيز فخر الدين عثمان بن المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، وكان قد اعتقله الملك الظاهر بيبرس فى رابع عشر ربيع الأول سنة تسع وستين، فأقام فى الاعتقال عشرين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما، ورتب الأشرف له ما يقوم بحاله، ولزم داره واشتغل بالمطالعة والنسخ، وانقطع عن السعى إلا للجمعة أو الحمام أو ضرورة لابد منها.

وفيه كتب الأشرف إلى شمس الدين محمد بن السلعوس وهو بالحجاز كتابا، وكتب بخطه بين الأسطر: «يا شقير يا وجه الخير عجل السير فقد ملكنا»، فلما أتاه الكتاب وهو عائد من الحج انضم الناس إليه، وتوددوا له وبالغوا فى إكرامه، حتى وصل قلعة الجبل يوم عاشوراء.

وكان الأمير سنجر الشجاعى قد تحدث فى الوزارة منذ تسلطن الأشرف، من غير أن يخلع عليه ولا كتب له تقليدًا، فلما كان يوم الخميس ثانى عشره استقر ابن السلعوس فى الوزارة، وخلع عليه وفوض إليه سائر أمور الدولة، وجرد معه عدة من المماليك السلطانية يركبون فى خدمته ويترجلون فى ركابه، ويقفون بين يديه ويمتثلون أمره فتمكن تمكنًا لم يتمكنه وزير قبله فى الدولة التركية، وصار إذا أراد الركوب إلى القلعة اجتمع ببابه نظار الدولة ومشد الدواوين ووالى القاهرة ومصر، ومستوفو الدولة ونظار الجهات ومشدو المعاملات، ونحوهم من الأعيان، ثم يحضر قضاة القضاة الأربعة وأتباعهم فإذا تكامل الجميع ببابه دخل إليه حاجبه وقال: «أعز الله مولانا الصاحب، قد تكمَّل الموكب»، كان علامة تكملة الموكب ببابه حضور القضاة الأربعة، فيخرج حينئذ ويركب والناس سائرون بين يديه على طبقاتهم ومقربهم إليه قاضى القضاة الشافعى وقاضى القضاة المالكى، ومسيرهما معًا بين يديه أمام فرسه، وقدام المذكورين قاضى القضاة الحنفى وقاضى القضاة الحنبلى، ثم نظار الدولة ثم المستوفون بالدولة ثم نظار الجهات على قدر مراتبهم، فلا يزالون حتى يستقر بمجلسه من قلعة الجبل فينصرف القضاة، ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة، ويركبون معه إلى أن يصل داره.

واتفق ليلة أنه تأخر فى القلعة إلى عشاء الآخرة وأغلق باب القلعة، فانقلب الموكب إلى جهة باب الإسطبل، ووقف القضاة على بغلاتهم بظاهر باب الاسطبل حتى خرج

وساروا فى خدمته إلى داره ولم يجسر أحد أن يتأخر قط عن الركوب فى موكبه، وكان مع ذلك لا ينتصب قائمًا لأحد، ولما عظم موكبه وصار الأكابر يزدحمون فى طول الشارع بالقاهرة، ويضيق بهم لكثرة من معه، وتزدحم الغلمان أيضًا، تحول من القاهرة وسكن بالقرافة، وتعاظم فى نفسه واستخف بالناس، وتعدى طور الوزراء، فكان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه فلا يستكمل قائمًا لأحد منهم، ومنهم من لا يلتفت إليه، وإذا استدعى أميرًا قال: «فلان أمير جاندار، أو فلان الأستادار» باسمه من غير نعته، ثم ترقى حتى استخف بنائب السلطنة الأمير بيدرا، وعارضه وتحدث فيما يتحدث فيه، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل السلطان إليه.

واتفق أنه قام يوما من مجلس الوزارة بالقلعة يريد الدخول إلى الخزانة، فصادف خروج الأمراء من الخدمة مع النائب بيدرا، فبادر الأمراء الأكابر إليه وخدموه وقبل بعضهم يده، وفسحوا بأجمعهم له وهموا بالمشى قدامه، فأشار إليهم أن ينصرفوا، فلما وطئ عتبة باب القلعة برجله وافى هناك الأمير بيدرا، وسلم كل منهما على الآخر وأومأ بالخدمة، إلا أن النائب بيدرا خدم الوزير أكثر مما خدمه الوزير، فرجع بيدرا معه ولم يكن يسامته فى المشى، بل كان النائب يتقدم قليلا ويميل بوجهه إليه إذا حدثه الوزير، حتى انتهيا إلى باب الخزانة، فأمسك ابن السلعوس بيد بيدرا النائب، وأشار إليه بالرجوع، وقال: «بسم الله يا أمير بدر الدين» ولم يزده على ذلك.

وفى هذا الشهر: قدمت رسل عكا يسألون العفو، فلم يقبل منهم ما اعتذروا به، وقدم أمراء العربان من كل جهة: فقدم الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل[1] وسابق الدين عبية أمير بنى عقبة، وقدما التقادم، فأنعم عليهم جميعًا وأعيدوا، وقدم الملك المظفر صاحب حماة، فحمل إليه ما جرت به العادة، وكتب تقليده.

وفى يوم الجمعة سابع صفر: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير جرمك الناصرى، وعُدَّ على سنقر الأشقر أنه أفشى سر طرنطاى حتى قبض عليه، بعدما أحسن إليه طرنطاى غاية الإحسان، ومنع الملك المنصور من القبض عليه مرارًا، فلم يرع له ذلك.

وفيه أفرج عن الأمير كتبغا وأعيد إلى إمرته، وأنعم عليه إنعاما زائدًا.

---

(١) مهنا الثانى: بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى، حسام الدين، من آل فضل ويلقب بسلطان العرب: أمير بادية الشام، وصاحب «تدمر» توفى سنة ٧٣٥هـ. انظر ابن خلدون ٤٣٨/٥.وصبح الأعشى ٢٠٦/٤.والدرر الكامنة ٣٦٨/٤، ٣٧٠.والبداية والنهاية ١٧٢/١٤.وغربال الزمان وعشائر الشام ١٠١/١، ١٠٤.والأعلام ٣١٦/٧، ٣١٧.

وفي هذا الشهر: شرع السلطان في الاهتمام بفتح عكا، وبعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار إلى الشام لتجهيز أعواد المجانيق، فقدم دمشق في سلخه وجهزت أعواد المجانيق من دمشق، وبرزت في أول ربيع الأول وتكاملت في ثاني عشره، وسار بها الأمير علم الدين سنجر الدواداري أحد أمراء الشام، ثم فرقت على الأمراء مقدمي الألوف، فتوجه كل أمير ومضافيه بما أمر بنقله منها، وتوجه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام بالجيش من دمشق في العشرين منه، وخرج من القاهرة الأمير سيف الدين طغريل الأيغاني إلى استنفار الناس من الحصون بممالك الشام: فوصل المظفر صاحب حماة إلى دمشق في ثالث عشريه، بعسكره وبمجانيق وزردخاناه، ووصل الأمير سيف الدين بلبان الطباخي نائب الفتوحات بعساكر الحصون وطرابلس، وبالمجانيق والزردخاناه في رابع عشريه، وسار جميع النواب بالعساكر إلى عكا.

وأما السلطان الملك الأشرف، فإنه لما عزم على التوجه إلى عكا، أمر فجمع العلماء والقضاة والأعيان والقراء بالقبة المنصورية، بين القصرين من القاهرة عند قبر أبيه، في ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر، فباتوا هناك وعمل مهم عظيم، وحضر الأشرف بكرة يوم الجمعة إلى القبة المنصورية، وتصدق بجملة كبيرة من المال والكساوى، وفرق على القراء والفقراء مالاً كثيرًا، وفرق في أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط مالاً وثيابا، وعاد إلى القلعة.

وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول: توجه السلطان بالعساكر يريد أخذ عكا، وسير حريمه إلى دمشق فوصلوا إليها في سابع ربيع الآخر، وسار السلطان فنزل عكا في يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، ووصلت المجانيق يوم ثاني وصوله وعدتها اثنان وتسعون منجنيقًا، فتكامل نصبها في أربعة أيام، وأقيمت الستائر ووقع الحصار، وقد أتت جمائع الفرنج إلى عكا أرسالاً من البحر، صار بها عالم كبير، فاستمر الحصار إلى سادس عشر جمادى الأولى، وكثرت النقوب بأسوار عكا، فلما كان يوم الجمعة سابع عشره عزم السلطان على الزحف، فرتب كوساته على ثلاثمائة جمل، وأمر أن تضرب كلها دفعة واحدة، وركب السلطان وضربت فهال ذلك أهل عكا، وزحف بعساكره ومن اجتمع معه قبل شروق الشمس، فلم ترتفع الشمس حتى علت الصناجق الإسلامية على أسوار عكا، وهرب الفرنج في البحر وهلك منهم خلق كثير في الازدحام، والمسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فقتلوا ما لا يحصى عدُّه كثرة، وأخذوا من النساء والصبيان ما يتجاوز الوصف، وكان عند فتحها أن أقبل من الفرنج نحو عشرة آلاف في هيئة مستأمنين، ففرقهم السلطان على الأمراء فقتلوهم عن آخرهم.

وكانت مدة حصار عكا أربعة وأربعين يوما، واستشهد من المسلمين الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ودفن بجلجولية، وعز الدين أيبك العزى نقيب العساكر، وسيف الدين أقش الغتمى، وبدر الدين بيليك المسعودى، وشرف الدين قيران السكزى، وأربعة من مقدمى الحلقة وجماعة من العسكر.

وفى يوم السبت ثامن عشره: وقع الهدم فى مدينة عكا، فهدمت الأسوار والكنائس وغيرها وحرقت، وحمل كثير من الأسرى بها إلى الحصون الإسلامية.

وفتحت صور[1] وحيفا[2] وعثليث[3] وبعض صيدا بغير قتال، و فر أهلها خوفا على أنفسهم، فتسلمها الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى بقية جمادى الأولى، فقدمت البشائر بتسليم مدينة صور فى تاسع عشره، وبتسليم صيدا[4] فى العشرين منه، وأن طائفة من الفرنج عصوا فى برج منها، فأمر السلطان بهدم صور وصيدا وعثليث وحيفا، فتوجه الأمير شمس الدين نبا الجمقدار ابن الجمقدار فى حادى عشريه لهدم صور، واتفق أمر عجيب: وهو أن الفرنج لما قدموا إلى صور كان بها عز الدين نبا واليًا عليها من قبل المصريين، فباع صور للفرنج بمال، وصار إلى دمشق، فقدر الله خرابها على يد الأمير شمس الدين نبا بن الجمقدار[5] واتفق أيضًا أن الشيخ [شرف الدين][6] البوصيرى رأى فى منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكا قائلا ينشده:

قد أخذ المسلمون عكا ... وأشبعوا الكافرين صكا

وساق سلطاننا إليهم ... خيلا تدك الجبال دكا

وأقسم الترك منذ سارت ... لا تركوا للفرنج ملكا

فأخبر بذلك جماعة، ثم سار الأشرف بعد ذلك وفتح عكا وخربها، لم يدع فى بقية الساحل أحدًا من الفرنج، وقال محيى الدين بن عبد الظاهر فى ذلك:

---

(١) مدينة مشهورة على بحر الشام.انظر، معجم البلدان ٣/٤٣٣.

(٢) حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. انظر، معجم البلدان ٢/٣٣٢.

(٣) اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر. انظر، معجم البلدان ٤/٨٥.

(٤) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينهما ستة فراسخ. انظر، معجم البلدان ٣/٤٣٧.

(٥) الجمقدار: هو الشخص الذى يمشى فى المواكب السلطانية عن يمين السلطان ويحمل دبوسا له رأس ضخم مذهب.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

يا بنى الأصفر[1] قد حل بكم ... نقمة الله التى لا تنفصل

قد نزل الأشرف فى ساحلكم ... فأبشروا منه بصفع متصل

وقد أكثر الشعراء فى ذكر هذا الفتح، وقال الشهاب محمود الحلبى كاتب الإنشاء لما عاين فى جوانب عكا، وقد تساقطت أركانها:

مررت بعكا بعد تخريب سورها ... وزند أوار النار فى وسطها وارى

وعاينتها بعد التنصر قد غدت ... مجوسية الأبراج تسجد للنار

وقال ابن ضامن الضبع بعكا:

أدمى الكنائس إن تكن عبثت بكم ... شم الأنوف جحاجح أبطال

فلطالما سجدت لكن فوارض ... الليالى أو تغير حال

فعزاء عن هذا المصاب فإنه ... يوم بيوم والحروب سجال

هذا بذاك ولا نعير دهرنا ... ولكل دهر دولة ورجال

وفى هذه المدة وشى الأمير علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبى خرص إلى السلطان بالأمير حسام الدين لاجين نائب الشام، ثم أوهم لاجين بأن السلطان يريد القبض عليه، فركب لاجين من الوطاق بعكا ليلا يريد الفرار، فساق خلفه الأمير علم الدين سنجر الدواداري وأدركه، وقال له: «بالله لا تكن السبب فى هلاك المسلمين، فإن الناس قد أشرفوا على أخذ عكا، وإن بلغ الفرنج فرارك، وأن العسكر قد ركب خلفك قويت نفوسهم وفتر الحصار» فرجع معه وظن أن الأمر لا يبلغ السلطان، وكان ذلك فى ثامن جمادى الأولى، فلما كان فى صبيحة هذه الليلة خلع السلطان عليه وطيب خاطره، ثم قبض عليه فى ثانى يوم الخلعة، وبعثه إلى قلعة صفد ثم حمل إلى قلعة الجبل بمصر.

ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها فى ثانى عشر جمادى الآخرة، وقد زينت دمشق منذ فتحت عكا فكان يوما عظيما.

وفيه استقر الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى نيابة دمشق، وزاد السلطان فى إقطاعه وراتبه عما كان لنواب الشام، وأذن له أن يطلق من الخزائن ما أراد من غير مشاورة، وجعل له فى كل يوم ثلاثمائة درهم على دار الطعم[2]، واستقر أيضًا الأمير

---

(١) يقصد بهم الدولتين الرومانية والبيزنطية.

(٢) كانت هذه الدار بدمشق بمثابة الوكالة بالديار المصرية. وكان لها مشد يوليه نائب دمشق من-

جمال الدين أقش الأشرفى فى نيابة الكرك، عوضًا عن ركن الدين بيبرس، ونقل بيبرس إلى إمرة بمصر، وقبض أيضًا على الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب قلعة دمشق، وضرب بحضرة السلطان ضربًا كثيرًا، وألبس عباءة[1] واستعمل مع الأسرى فى العمل، وأخرق به وأهين إلى الغاية، ووقعت الحوطة على موجوده، ثم حبس بالقلعة، ثم حمل على البريد إلى مصر، ثم رد من أثناء الطريق بشفاعة بعض الأمراء وأفرج عنه، ثم أعيد لنيابة القلعة، وسبب هذا أن الأمير شرف الدين بن الخطير كان يمزح بحضرة السلطان مع الأمراء، ويومئ إليه السلطان بذلك فيحتمل منه ما يتكلم به، وكان أرجواش على النمط الأول من البعد عن المجون، فقال له ابن الخطير وهو واقف بين يدى الأشرف: «يا مولانا السلطان! كان عند والدك الملوك ببلاد الروم حمار أشهب أعور، أشبه شيء بهذا الأمير علم الدين أرجواش» فضحك الأشرف، وغضب أرجواش وقال: «هذه صبيانية» فحنق منه الأشرف وعمل ما ذكر.

وفى ثامن عشره: عزل طوغان عن شد الدواوين بدمشق، وعيد إلى ولاية البر، واستقر سنقر الأعسر فى شد الدواوين بدمشق.

وفى ثانى رجب: عزل تقى الدين توبة عن وزارة دمشق، واستقر فيها محيى الدين ابن النحاس، ومنع أن يقال له وزير ولكن ناظر الشام.

وفى ثامن عشره: استقر شرف الدين أحمد بن عيسى بن السيرجى فى حسبة دمشق، وعزل تاج الدين بن الشيرازى.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: سار السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل إلى القاهرة من باب النصر فى بكرة يوم الإثنين تاسع شعبان، وخرج من باب زويلة إلى القلعة وقد زينت قبل وصوله بأيام، فكانت زينة لم يسمع بمثلها، وكثر سرور الناس ولعبهم.

وكان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام قد سار فى رابع رجب إلى صيدا، وحاصر البرج حتى فتحه فى خامس عشره، وعاد إلى دمشق يوم رحيل السلطان منها، ثم توجه إلى بيروت، فتلقاه أهلها طائعين فنزل بقلعتها، وقبض على الرجال وقيدهم وألقاهم فى الخندق، وافتتحها فى ثالث عشرى رجب، وعاد إلى دمشق فى سابع عشرى رمضان، ولم يبق فى جميع الساحل من الفرنج أحد.

=بين أمراء العشرات. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ١٨٧/٤.

(١) العباءة: كساء واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب.

وفى شعبان: أوقف الملك الأشرف على القبة المنصورية بين القصرين من قرى عكا الكابرة وتل الميشوح وكردانة، ومن ساحل صور معركة وصريفين، وأوقف أيضًا على المدرسة الأشرفية بجوار السيدة نفيسة قرية الفرح من عكا، وقرية شعر عمر وقرية الحمراء منها، ومن ساحل صور قرية طبرية.

وفى ثامن عشره: أفرج السلطان عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى، وكان السلطان الملك المنصور قلاوون قد اعتقله فى أوائل دولته كما تقدم ذكره، فأفرج الأشرف عنه، وكتب إفراجه وجعل فى كيس حرير أصفر، وختم عليه بخاتم السلطان، وتوجه به إلى الجب[1] الأمير بدر الدين بيدرا النائب والأمير زين الدين كتبغا وعدة من الأمراء، وأخرجوه وقرءوا عليه الإفراج، وأحضروا تشريفة وهموا بكسر قيده، فقال: «لا يفك القيد من رجلى، ولا ألبس التشريف، إلا بعد أن أتمثل بين يدى السلطان» وصمم على ذلك فأعلم السلطان به، فأمر بإحضاره بعد فك قيده وهو بملبوسه الذى عليه فى الجب، فكسر حينئذ قيده ومشى إلى السلطان، فلما عاينه قام إليه وأكرمه وألبسه التشريف وأجلسه بجانبه، وأنعم عليه بالأموال وأنواع الثياب، وأعطاه فى مجلسه إمرة مائة فارس، وعين له إقطاعا وافرا: منه منية بنى خصيب[2] دربستا[3] بجواليها ومواريثها الحشرية[4] ونزل إلى داره، فصار ينتسب إلى الملك الأشرف ويكتب بيسرى الأشرفى، بعدما كان يكتب الشمسى.

وفى رابع رمضان: أفرج عن الأمير الدين شمس سنقر الأشقر، والأمير حسام الدين لاجين الصغير نائب الشام، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا، والأمير شمس الدين سنقر الطويل، وأمروا على عادتهم، وقبض على الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بدمشق، وحمل إلى قلعة الجبل مقيدا، فوصل فى سابع عشره.

وفى هذا الشهر: عزم السلطان على صرف قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز عن وظيفة القضاء وسائر ما بيده من المناصب ، بكثرة حط الوزير ابن السلعوس عليه.

وخرج البريد فى يوم تاسع رمضان بطلب بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله

---

(١) بئر بقلعة الجبل.

(٢) مدينة كبيرة على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٨.

(٣) لفظ ديوانى فارسى معناه كاملا.

(٤) هى ما يتركه من يموت ولا وارث له.

ابن جماعة(١) خطيب القدس، ليلى القضاء بمصر وكان السبب فى طلبه أن ابن بنت الأعز لما عزل استدعى السلطان أعيان الفقهاء الشافعية بمصر والقاهرة، وجعل كل واحد فى مكان فلم يعلم واحد منهم بالبقية، وأحضرهم واحدا واحدا وسأله عن الجماعة من يصلح فيهم لولاية القضاء، فما منهم إلا من أساء القول فى أصحابه ورماه بما لا يليق، فانصرفوا وقد انكف السلطان عن ولايتهم، وأعلم وزيره ابن السلعوس بما قال بعضهم فى حق بعض من الفحش، فأشار السلعوس عليه بولاية ابن جماعة خطيب القدس لصحبة تقدمت له معه، فوصل إلى القاهرة فى يوم الإثنين رابع عشره، وأفطر عند الوزير، وبالغ الوزير فى خدمته، وسار فى موكبه يوم الخميس سابع عشره إلى القلعة، ودخل به على السلطان، فعزل ابن بنت الأعز، وولى ابن جماعة قضاء القضاة، وفوض إليه تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين وخطابة الجامع الأزهر، فكتم ابن جماعة الولاية، وأفطر ليلة الجمعة عند الوزير، فصار يخاطبه بقاضى القضاة، وأعلن بعزل ابن بنت الأعز، فهنأ الناس ابن جماعة، وعندما خرج ابن جماعة من دار الوزير وصل إليه التقليد مع ابن عز الدين الحنبلى، فلما أصبح يوم الجمعة ثامن عشره لبس الخلعة، ومشى الشهود فى خدمته، فركب بالخلعة إلى دار الوزير وخدمه، ثم سار إلى منزله، وركب إلى الجامع الأزهر بالخلعة، فخطب وصلى بالناس وعاد إلى منزله، ثم تحول إلى الصالحية يوم الجمعة خامس عشريه، ودرس بالصالحية فى يوم الأحد ثانى عشرى شوال، وكان درسًا حفلا ويومًا مشهودًا.

وأما ابن بنت الأعز، فإن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى دخل به إلى السلطان وقرر معه أن يوليه قضاء الشام، فلما شعر بذلك ابن السلعوس خشى أن يبقى له حاله فيتمكن بها فى الدولة، فرتب له عدة من الناس ليثوروا به. فلما جلس السلطان بدار العدل رسم لابن السلعوس أن يجهز ابن بنت الأعز قاضيًا بدمشق، ويعنى بتشريفه ويكتب تقليده، فما انفصل مجلس دار العدل حتى أحضر الشريف ابن ثعلب وادعى على ابن بنت الأعز بما قرره معه الوزير ابن السلعوس قبل ذلك، وكان قد جهز آخر إلى أن يفتى بتعزيره، وآخر ليشهد بفسقه. فانتدب السلطان لمرافعته جماعة، ورموه بعظائم بغيًا منهم وعدوانا: منها أنه يشد الزنار من تحت ثيابه، وأنه نصرانى ومازال،

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله. قاض من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين ولد فى حماة، ولى القضاء بمصر، ثم قضاء الشام ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥. والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والفهرس التمهيدى ٥٥٥ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ ودائرة المعارف الإسلامية ١٢١/١. والدرر الكامنة. والأعلام ٢٩٨/٥.

حتى رسم السلطان أن يركب حمارًا ويشهر. فقبض عليه الوزير ونكل به ورسم عليه وطالبه بمال كثير، وشنع فى إهانته، وأراد ضربه فحماه الله منه.

ومازال ابن بنت الأعز فى الإهانة إلى أن أخذ يومًا بالترسيم إلى القلعة وهو ماش والأعوان تحتاطه، فرأى ثلاثة من خواص الأمراء نازلين من القلعة، فقال لهم: «يا أمراء أما تنظرون فى حالى وأما أنا فيه من الإهانة مع هؤلاء الرسل؟» فساءهم ذلك وجردوا دبابيسهم وحطموا يريدون ضرب الرسل، وقالوا: «قاضى القضاة ماش، وأنتم ركاب؟» فقالوا: «الصاحب أمرنا بهذا، ما لنا ذنب ولا نريد هذا الفعل» فشق عليهم ما رأوا وعادوا إلى السلطان، وألقوا سيوفهم وقالوا: «يا خوند قد بلغ الأمر من حال قاضى القضاة أن يمشى والرسل ركاب» وذكروا ما هو فيه من الإهانة، فقال لهم السلطان: يستأهل أكثر من هذا، لأنهم قالوا عنه إنه كافر يشهد الزنار من تحت ثيابه. فقالوا: ياخوند إن كان قاضى القضاة كافرًا فابن السلعوس مسلم، إما تهبه لنا، وإما تمكنا من ابن السلعوس، وإما أن تنفينا».

وكان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح له عناية به أيضًا، فتحدث مع الأمير بيدرا النائب، وكان بيدرا بينه وبين ابن بنت الأعز شحناء، فقال بيدرا لبكتاش: «تحدث مع السلطان فى أمر سنجر الحموى أبى خرص أن يطلقه، وأنا أشفع فى ابن بنت الأعز» فاتفقا على ذلك، وشفع بيدرا فى ابن بنت الأعز، وشفع بكتاش فى أبى خرص، فأفرج السلطان عنهما معًا.

ولزم ابن بنت الأعز داره، ولم يترك بيده شىء من الوظائف، وكان بيده سبعة عشر منصبا وهى قضاء القضاة بديار مصر كلها وخطابة الجامع الأزهر، ونظر الخزانة، ونظر الأحباس، ومشيخة الشيوخ، ونظر التركة الظاهرية بيبرس وأولاده وأوقافه وأملاكه، وعدة تداريس، وكان عندما عزل قد رسِّم عليه فى شوال، وألزم بالإقامة فى زاوية الشيخ نصر المنبجى خارج القاهرة حتى قام بما قرر عليه من المال، بعدما باع ورهن واقترض، ثم انتقل إلى القرافة إلى أن تحدث له الأمير بدر الدين بيدرا فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار ضريح الإمام الشافعى، فوليه وتحول إلى المدرسة المذكورة، فكان هذا سببًا لمحنته الثانية، ويقال إنه حمل من جهته مبلغ ثمانية وثلاثين ألفا.

وفى خامس عشرى رمضان: أفرج السلطان عن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبى على القتى بن الأمير أبى بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسى، ورسم له أن يخطب فى يوم الجمعة، فخطب يوم الجمعة رابع عشر شوال، فخرج بسواده وهو متقلد

سيفًا محلى، وخطب بجامع القلعة وذكر الخطبة التى خطب بها فى أيام الملك الظاهر بيبرس وهى من إنشاء شرف الدين وإلا أنه ذكر فيها الملك الأشرف، وكان بين الخطبتين مدة ثلاثين سنة وتسعة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، فلما فرغ من الخطبة لم يصل بالناس، وقدم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فصلى بهم صلاة الجمعة، واستمر الخليفة يخطب بجامع القلعة، واستناب عنه بالجامع الأزهر صدر الدين عبد البر بن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين.

وفى تاسع شوال: قبض على الأمير سيف الدين قرا رسلان المنصورى والأمير جمال الدين أقوش الأفرم بدمشق، واعتقلا بقلعتها، وأقطع عز الدين أزدمر العلائى إقطاع قرا رسلان، وسنقر المساح إقطاع الأفرم.

وفى ليلة الإثنين رابع ذى القعدة: عمل ختم بالقبة المنصورية، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس، ونزل إليه السلطان والخليفة بكرة يوم الإثنين، فخطب وعليه سواده خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق، وكان يومًا مشهودًا، فرقت فيه صدقات جمة، وكتب إلى نائب الشام بعمل ختم، فاجتمع الناس فى ليلة الثلاثاء حادى عشره بالميدان الأخضر خارج دمشق وختموا القرآن، وحضر الوعاظ والأعيان.

وفى هذا الشهر: قبض بدمشق على الشيخ سيف الدين [.... [1]] الرجيجى وهو من أولاد الشيخ يونس، وحمل إلى قلعة الجبل على البريد.

وفى هذه السنة: كملت عمارة قلعة حلب، وكتب عليها اسم الملك الأشرف.

وفيها أخرج بولدى الملك الظاهر بيبرس، وهما المسعود نجم الدين خضر والعادل بدر الدين سلامش[2] من الاعتقال، ونفيا إلى ملك الفرنج فسار بهما- ومعهما والدتهما- الأمير عز الدين أيبك الموصلى الأستادار إلى الإسكندرية، وحملهم فى البحر إلى القسطنطينية، فلما وصلوا أكرمهم الأشكرى متملكها وأجرى عليهم ما يقوم بهم، وكانت حرمهم معهم.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(١) سلامش بن بيبرس البندقدارى، سيف الدين: الملقب بالعادل ابن الملك الظاهر: من ملوك دولة المماليك بمصر والشام. بويع بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الملك السعيد سنة ٦٧٨هـ وكان عمره لما تسلطن سبع سنوات ونصفا. ويعرف بابن البدوية. وضربت السكة باسمه وقام بتدبير مملكته قلاوون الألفى. وكانت مدة سلطنته الاسمية خمسة أشهر وأياما توفى فى القسطنطينية، وصيرته أمه فى تابوت وحملته معها إلى القاهرة. ودفن بالقرافة. انظر ابن إياس ١/١١٤ والنجوم الزاهرة ٧/٢٨٦ والنهج السديد ٤٧١ والأعلام ٣/١٠٦.

وفيها كملت عمارة قلعة حلب، وكان الأمير قرا سنقر نائب حلب قد شرع فى عمارة حلب، فأحكم بنيانها وأدار سورها وأقام شعائر جامعها، وكان لها منذ خربها هولاكو ثلاث وثلاثين سنة خرابا. ووقع الشروع فى عمارة دمشق من شوال، فبنيت بها الأدر السلطانية والطارمة[١] والقبة الزرقاء، وتولى ذلك الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وبالغ فى تحسينها، فكانت جملة ما عمل فى سقوفها أربعة آلاف مثقال ذهب.

وفيها لم يحج الشريف أبو نمى خوفًا من المصريين.

وفى شهر ربيع الأول منها: مات ملك الططر بفارس، وهو أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكز خان، وملك بعده أخوه كيختو بن أبغا، وترك أرغون ولدين وهما قازان وخربندا، وكانا بخراسان فأفحش كيختو فى الفسق بنسوان المغل واللواط بولدانهم، حتى أبغضته رعيته.

وفيها مات قتيلا تلابغا بن منكوتمر بن طوغان، قتله نغيه بن مغل بن ططر بن دوشى خان بن جنكز خان. وقام بعده فى الملك طقطغا بن منكوتمر بن طوغان، وهو ابن عم تلابغا، فرتب نغيه إخوة طقطغا معه، وهم بزلك وصراى بغا وتدان.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

السلطان الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، ببلد اسطنبول[٢] عن اثنتين وعشرين سنة.

ومات القان أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلوى بن جنكزخان، ملك التتار بفارس فى ربيع الأول، عن نحو سبع سنين من ملكه، وقام من بعده أخوه كيختو بن أبغا.

وتوفى تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى الشافعى[٣] فقيه الشام، عن ست وستين سنة بدمشق.

---

(١) هو بيت من خشب كالقبة وهى تعريب طارم بالفارسية. انظر المعجم الوسيط (طرم).

(٢) هى القسطنطينية.

(٣)عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى البدرى، أبو محمد، تاج الدين الفركاح مؤرخ، من علماء الشافعية. مصرى الأصل، دمشقى الإقامة والشهرة والوفاة. انظر النعيمى ١٠٨/١، وفوات الوفيات ٢٥٠/١، والسبكى ٦٠/٥، والأعلام ٢٩٣/٣.

وتوفى المسند فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المعروف ابن البخارى المقدسى السعدى(١) عن أربع وتسعين سنة بدمشق، وقد انفرد بعلو الإسناد.

وتوفى خطيب حلب شمس الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير بن أحمد بن سليمان الشيبانى الخابورى الشافعى، عن تسعين سنة بحلب.

وتوفى خطيب حماة وفقيهها بدر الدين أبو محمد عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المغيزل العبدى الحموى بها، عن سبعين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى علاء الدين أبو الحسن على بن الكمال أبى محمد عبد الواحد بن عبد الكريم ابن خلف بن نبهان بن الزملكانى الأنصارى الشافعى، بدمشق عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى محيى الدين أبو يعلى محمد بن عمر بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقى بن أمين الدولة الرعبانى الحلبى الحنفى، عن نيف وثمانين سنة بحلب.

وتوفى العفيف أبو الربيع سليمان على بن عبد الله بن على بن ياسين التلمسانى العابدى(٢) عن ثمانين سنة بدمشق.

وتوفى طبيب الشام عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نجم بن طرخان الأنصارى الدمشقى، عن تسعين سنة.

وتوفى الأديب شرف الدين عيسى بن فخر الدين أياز بن عبد الله الوالى.

* * *

---

(١) على بن أحمد بن عبد الواحد السعدى المقدسى الصالحى الحنبلى، فخر الدين أبو الحسن، المعروف بابن البخارى: علامة بالحديث. حدث نحوا من ستين سنة ببلاد كثيرة بدمشق ومصر وبغداد وغيرها. وله شعر جيد. توفى بدمشق. انظر شذرات الذهب ٤١٤/٥،وكشف الظنون ١٦٩٦/٢ والمخطوطات المصورة ١٤٢/٢، والمشيخة الفخرية ٣٧٠٥، والأعلام ٢٥٧/٤.

(١) سليمان بن على بن عبد الله بن على الكومى التلمسانى، عفيف الدين: شاعر كومى الأصل من قبيلة كومة تنقل فى بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال. وكان يتصوف. مات فى دمشق. انظر غربال الزمان. والنجوم الزاهرة ٢٩/٨، والبداية والنهاية ٣٢٦/١٣، آداب اللغة ١١٩/٣، وشذرات الذهب ٤١٢/٥، وفوات الوفيات ١٧٨/٩، والأعلام ١٣٠/٣.

سنة إحدى وتسعين وستمائة

فى رابع عشر صفر: وقع حريق في بعض خزائن قلعة الجبل، تلف فيه كثير من الكتب وغيرها.

وفى حادى عشر ربيع الأول: ختم بالقبة المنصورية. ونزل السلطان وتصدق بمال كثير.

وفى يوم الجمعة تاسع عشريه: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بجامع قلعة الجبل خطبة بليغة حث فيها على الجهاد، وصلى بالناس صلاة الجمعة.

وفيه نودى بالنفير للجهاد، وخرج السلطان فى الثامنة من يوم السبت ثامن ربيع الآخر بجميع عساكره فورد البريد بأن التتار أغاروا على الرحبة[1] واستاقوا مواشى كثيرة، وخرجت إليهم تجريدة من دمشق.

وفى يوم السبت سادس جمادى الأولى: دخل السلطان إلى دمشق، وأنفق فى العساكر يوم الإثنين ثامنه.

وفى نصفه: تزوج الأمير سنقر الأعسر بابنة الصاحب شمس الدين بن السلعوس، على صداق جملته ألف وخمسمائة دينار، المعجل مبلغ خمسمائة دينار.

وفيه وصل الملك المظفر صاحب حماة، وعرض السلطان عساكره، وقدم جيش الشام فسار إلى حلب.

ثم خرج السلطان من دمشق فى الخامسة من يوم الإثنين سادس عشره، فدخل حلب فى ثامن عشريه، وخرج منها فى رابع جمادى الآخرة يريد قلعة الروم[2] فنزل عليها يوم الثلاثاء ثامنه، ونصب عشرين منجنيقا ورمى عليها، وعملت النقوب[3] وعمل الأمير سنجر الشجاعى نائب دمشق سلسلة وشبكها فى شراريف القلعة وأوثق طرفها بالأرض، فصعد الأجناد فيها وقاتلوا قتالا شديدًا. ففتح الله القلعة يوم السبت حادى

---

(١) قرية بحذاء القادسية على مرحلة بين الكوفة. انظر، معجم البلدان ٣/٣٣.

(٢) قلعة غربى الفرات مقابل البيرة، تقع بينها وبين سميساط. انظر، معجم البلدان ٤/١٦٤.

(٣) النون والقاف والباء أصل صحيح يدل على فتح شيء. ونقب الحائط ينقبه نقبا. انظر مقاييس اللغة ٥/٤٦٥.

عشر رجب عنوة، وقتل من بها من المقاتلة، وسبى الحريم والصبيان، وأخذ بترك الأرمن وكان بها فأسر. وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوما، وقد سماها السلطان قلعة المسلمين فعرفت بذلك، وحمل إليها زردخاناه وألفا ومائتى أسير، واستشهد عليها الأمير شرف الدين بن الخطير. فلما وردت البشائر إلى دمشق بفتح قلعة الروم زينت البلد ودقت البشائر، ورتب السلطان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام لعمارة قلعة المسلمين، فعمر ما هدمته المجانيق والنقوب، وخرب ربضها.

وعاد السلطان راجعًا فى يوم السبت ثامن عشره، فأقام بحلب إلى نصف شعبان، وعزل قرا سنقر عن نيابة حلب، وولى عوضه الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى، ورتب بها الأمير عز الدين أيبك الموصلى شاد الدواوين ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها فى الثانية من يوم الثلاثاء عشرى شعبان، وبين يديه بترك الأرمن صاحب قلعة الروم وعدة من الأسرى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان[1] من جهة الساحل، فلقيهم أهل الجبال وعاد بيدرا شبه المهزوم، واضطرب العسكر اضطرابا عظيما، فطمع أهل الجبال فيهم، وتشوش الأمراء من ذلك وحقدوا على بيدرا ونسبوه أنه أخذ منهم الرشوة. فلما عاد إلى دمشق تلقاه السلطان وترجل له عند السلام عليه، وعاتبه سرا فيما كان منه، فمرض بيدرا حتى أشفى على الموت، وتحدث أنه سقى السم، ثم عوفى وتصدق فى رمضان بصدقات جمة، ورد أملاكا اغتصبها لأربابها، وأطلق عدة من سجونه، وجمع الناس فى عاشره بجامع بنى أمية وعمل مهما لقراءة ختمة كريمة.

وفى خامس عشر شهر رمضان: توفى محيى الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر[2] صاحب ديوان الإنشاء، وهو بدمشق، فأجرى السلطان معلومه على ولده علاء الدين على، وجعله من جملة كتاب الإنشاء. وأقر السلطان فى ديوان الإنشاء تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخى الحلبى، عوضا عن ابن عبد الظاهر.

وفيه كثر موتان الجمال حتى حمل الأمراء أثقالهم على الخيل، فأذن السلطان لضعفاء العسكر فى العود إلى القاهرة، فساروا من دمشق فى ثانى عشريه. وحضر الأمير علم الدين سنجر الدوادارى من قلعة الجبل بعدما أفرج عنه، فأنعم عليه بإمرة فى ديار مصر.

---

(١) هى جبال الدرزية – الدروز – بلبنان.

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، فتح الدين: أول من سمى بكاتب السرفى الديار المصرية. كان صاحب ديوان الإنشاء فيها. مولده بالقاهرة، ووفاته بدمشق. انظر حسن المحاضرة ٧٤/٢ والوافى بالوفيات ٣٦٦/٣. وشذرات الذهب ٤١٩/٥. والأعلام ٢٣٤/٦.

وفى ليلة عيد الفطر: فر الأمير حسام الدين لاجين الصغير من داره بدمشق، خوفا من السلطان لما بلغه من أنه يريد القبض عليه، فنودى بدمشق من أظهر لاجين فله ألف دينار ومن أخفاه شنق، وركب السلطان فى خاصته وترك سماط العيد، وساق فى طلب لاجين وأخذ عليه الطريق، ثم عاد بعد العصر فى أسوأ حال من التعب، ولم يجد له أثرا فقلق. واتفق أن لاجين نزل على طائفة من العرب، فقبضوه وأحضروه إلى السلطان فاعتقله. وقبض السلطان علىا الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا حمى لاجين، وحمل هو ولاجين إلى قلعة الجبل بمصر.

وفى سادسه: استقر الأمير عز الدين أيبك الحموى فى نيابة دمشق، عوضا عن الشجاعى واستقر الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى نائبًا بالفتوحات، عوضًا عن بلبان الطباخى بحكم انتقاله إلى نيابة حلب.

وفيه قدم الشجاعى من قلعة المسلمين بعدما عَمَّر ما هدم منها، فشق عليه عزله عن دمشق.

وفى الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء تاسعه: خرج السلطان من دمشق عائدا إلى مصر، بعدما رسم لجميع أهل الأسواق أن يخرج كل واحد منهم وبيده شمعة موقودة عند ركوب السلطان، فخرجوا بأجمعهم ورتبوا من باب النصر إلى مسجد القدم، فعندما ركب السلطان أشعلت تلك الشموع دفعة واحدة، فسار بينها حتى نزل مخيمه. ونقل محيى الدين بن النحاس من نظر دواوين دمشق إلى نظر الخزانة، عوضًا عن أمين الدين بن هلال، وأقيم فى نظر دواوين دمشق جمال الدين بن إبراهيم بن صصرى، واستقر الأمير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار المنصورى مقدم المماليك السلطانية.

وقدم السلطان إلى القاهرة يوم الأربعاء ثانى ذى القعدة، ودخل من باب النصر، وصعد إلى القلعة من باب زويلة. وقد عمل من الزينة والقلاع والتهانئ شيء كثير، وأوقد من الشموع ما يجل وصفه، فإن الناس احتفلوا لذلك احتفالا عظيما فاق جميع ما تقدم فى معناه. وولى صحابه ديوان الإنشاء عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد ابن محمد بن الأثير[1] بعد وفاة والده، فإن والده لم يقم فى كتابة السر إلا نحو شهر، ومات بغزة عند عوده من دمشق فى تاسع عشر شوال.

---

(١) إسماعيل بن أحمد بن سعيد، عماد الدين بن تاج الدين بن الأثير: كاتب من العلماء بالأدب، شافعى، حلبى الأصل، ولى كتابة الدرج بالديار المصرية بعد أبيه مدة وتركها تورعا وقتل بظاهر حمص فى وقعة مع التتار. انظر إحكام الأحكام ٤٣/١. والنجوم الزاهرة ١٩٠/٨. وطبقات الشافعية وكشف الظنون ١١٢٣،١١٦٥،١٣٢٩،١٥١٤، والأعلام ٣٠٩/١.

وفى ذى القعدة: ندب الوزير ابن السلعوس العلم ابن بنت العراقى لمرافعة تقى الدين ابن بنت الأعز، وعقُد له مجلس وادعى عليه العلم المذكور بعظائم، فاستمر فى المحنة بقية السنة.

وفى آخر ذى الحجة: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير سيف الدين جرمك الناصرى، والأمير سيف الدين الهارونى، والأمير بدر الدين بكتوت، واعتقلوا[......][1].

* * *

ومات فيها من الأعيان

الملك المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن المنصور أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق، صاحب ماردين[2] بعدما ملك ثلاثا وثلاثين سنة.

ومات الأمير سنقر الأشقر عن سبعين سنة.

وتوفى كاتب السر فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محيى الدين أبى الفضل عبد الله بن عبد الظاهر، عن أربع وخمسين سنة بدمشق.

وتوفى كاتب السر تاج الدين أبو العباس أحمد بن شرف الدين أبى الفضل سعيد ابن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبى، بغزة.

ومات مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الطبرى المكى الشافعى بالقدس، عن اثنين وستين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى كاتب الإنشاء بدمشق سعد الدين أبو الفضل سعد الله بن مروان أبى عبد الله الفارقى، وهو فى عشر الستين.

وتوفى كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقى بن أمين الدولة الحلبى بالقاهرة عن سبعين سنة.

وتوفى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن خضر بن غزى عامر الأنصارى المصرى المؤدب، فى جمادى الآخرة وهو فى عشر الثمانين، وقد حدث عن ابن باقا ومكرم الفارسى.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) قلعة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر، معجم البلدان ٣٩/٥.

وفيها قبض الأمير بكتوت على الشريف راجح بن إدريس من ينبع[١] وحمله إلى مصر وكانت الخطبة بمكة للأشرف خليل إلى آخر ربيع الأول، ثم انقطعت لانقطاع أخبار مصر، فلما قدم الحجاج وهم قليل حج أبو نمى، وقدم حاج الشام فى ركبين وكانت جفلة بعرفة وعز الماء، فأبيعت الراوية بأربعة دنانير مكية.

* * *

---

(١) قرية بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٥/٤٥٠.

سنة اثنين وتسعين وستمائة

فى ليلة أول المحرم: أخرج من فى الجب من الأمراء: وهم سنقر الأشقر وجرمك والهارونى وبكتوت وبيبرس وطقصوا ولاجين، وأمر بخنقهم قدام السلطان، فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا. وتولى خنق لاجين الأمير قرا سنقر، فلما وضع الوتر فى عنقه انقطع، فقال: «ياخوند مالى ذنب إلا حميى طقصوا وقد هلك، وأنا أطلق ابنته». وكان قرا سنقر له به عناية، فتلطف به ولم يعجل عليه، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه، وانتظر أن تقع به شفاعة. فشفع الأمير بدر الدين بيدرا فى لاجين، وساعده من حضر من الأمراء، فعفى عنه ظنا أنه لا يعيش، فحمل وكان من أمره ما سيذكره إن شاء الله.

وفى أول المحرم: استقر الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصورى فى نيابة طرابلس والحصون، عوضًا عن طغريل الإيغانى، فسار من القاهرة.

وفى رابعه: سار السلطان من قلعة الجبل إلى الصعيد، واستخلف الأمير بيدرا النائب بقلعة الجبل وهو مريض. فانتهى السلطان إلى مدينة قوص[1] ونادى هناك بالتجهيز لغزو اليمن. وكشف الوزير السلعوس الوجه القبلى، فوجد الجارى فى ديوان الأمير بيدرا من الجهات عما هو فى إقطاعاته، وما اشتراه وما حماة أكثر مما هو جار فى الخاص السلطانى، ووجد الشون السلطانية بالوجه القبلى خالية من الغلال وشون بيدرا مملوءة. فأبلغ ذلك إلى السلطان وأغراه ببيدرا حتى تغير عليه، فبلغ الخبر بيدرا فخاف وأخذ يتلافى الأمر، وجهز تقدمة جليلة منها خيمة أطلس أحمر بأطناب حرير وأعمدة صندل محلاة ومفصلة بفضة مذهبة وبسطها من حرير، وضربها بناحية العدوية[2] مع ما أعده. فلما عاد السلطان نزل بها ولم يكترث بالتقدمة، وطلع إلى القلعة، فارتجع عدة من جهات بيدرا للخاص السلطانى.

وفى صفر: وقع بغزة والرملة[3] ولدّ[4] والكرك زلازل عظيمة هدمت ثلاثة أبراج

---

(١) مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر، معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٢) بلد صغيرة خارج القاهرة. انظر ابن دقماق، الانتصار ٤٣/٥.

(٣) مدينة عظيمة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ٦٩/٣.

(٤) قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين. انظر، معجم البلدان ١٥/٥.

من قلعة الكرك، وتوالت الأمطار والسيول حتى خربت طواحين العوجاء[١] وتكسرت أحجارها، ووجد فى السيل أحد عشر أسدًا موتى، وزلزلت أيضًا البلاد الساحلية فانهدمت عدة أماكن، فلما ورد الخبر بذلك خرج الأمير علاء الدين أيدغدى الشجاعى من دمشق لعمارة ما تهدم بمرسوم شريف. وورد كتاب الأمير عز الدين أيبك الرومى من قلعة المسلمين بطلب ثلاثين سراقوجا، حتى إذا وجه لكشف أخبار العدو لبسها من يبعثه فلا يعرف من هم.

وفيه عبَّى السلطان برسم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب تعبئة قماش حرير بسبب زواج ابنته، وأمر بعمل تعبئة لوالدته أيضًا، وجهز ذلك على يد حاجبه من الخزانة. ورسم السلطان ببناء بئر فى العريش[٢] وأخرج لها عدة من الغواصين، فلما تم بناؤها ركّب عليها ساقية.

وفيه قتل علاء الدين[...][٣] البريدى والى الأشمونين[٤] نفسه، فاستقر عوضه بكتمر الموسكى. وقبض على الأمير عز الدين أزدمر العلائى أحد أمراء دمشق، وحمل إلى القاهرة فقدم أول ربيع الأول.

وفيه رسم بتجهيز العساكر إلى دمشق، فسار بها الأمير بيدرا، ثم سار الوزير بالخزائن. وركب السلطان على الهجن فى أول جمادى الأولى ومعه جماعة من أمرائه وخواصه، وسار إلى الكرك من غير الدرب الذى يسلك منه إلى الشام، فرتب أحوالها. وترجه إلى دمشق، فقدمها فى تاسع جمادى الآخرة بعد وصول الأمير بيدرا والوزير بثلاثة أيام، فأمر بالتجهيز إلى بَهَسْنا وأخذها من الأرمن أهل سيس. فقدم رسل سيس يطلبون العفو، فاتفق الحال معهم على تسليم بهسنا[٥] ومرعش[٦] وتل حمدون، فسار الأمير طوغان والى البر بدمشق معهم ليتسلما، وقدم البريد إلى دمشق بتسليمها فى أول رجب، فدقت البشائر.

---

(١) اسم لنهر بين أرسوف والرملة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ٧٤٤/٣.

(٢) مدينة فى مصر تقع على ناحية الشام على ساحل بحر الروم. انظر، معجم البلدان ١١٣/٤.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) هى خامس أعمال الوجه القبلى، وموقعها بين عمل البهنس والمنفلوطية. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٣٩٨/٣.

(٥) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر، معجم البلدان ١٠٧/٥.

(٦) هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. انظر، معجم البلدان ٢٤٠/٣.

واستقر الأمير بدر الدين بكتاش الزردكاش فى نيابة بهسنا، وعين لها قاض وخطيب، واستخدم لها رجال وحفظة. وقدم الأمير طوغان ومعه رسل سيس بالحمل والتقادم إلى دمشق فى ثانى عشريه بعد توجه السلطان، فتبعوه.

وكان السلطان قد خرج فى ثانى رجب إلى حمص ومعه جماعة من العسكر، وقد سير ضعفة العسكر إلى القاهرة، ثم سار من حمص إلى سلمية، وطرق مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن ضية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل، وقبض عليه وعلى إخواته محمد وفضل ووهبة، وبعثهم مع الأمير حسام الدين لاجين إلى دمشق، فقدمها لاجين فى سابعه. وقدم السلطان فى يومه أيضًا، فأقام فى إمرة العرب الأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر بن على بن حُدَيْثَه بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل على. وبعث السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير جاندار إلى الشوبك، فهدم قلعتها و لم يبق منها إلا قلتها فقط.

وفى شهر رجب:وقع ببعلبك أمطار وسيول خارجة عن الحد، ففقد من كرومها ومزارعها ومساكنها ما تزيد قيمته على مائة ألف دينار.

وفى حادى عشره: سار الأمير بيدرا بالعساكر والوزير ابن السلعوس بالخزائن من دمشق، ثم ركب السلطان فى خواصه يوم السبب ثالث عشره، فقدم غزة بكرة الأربعاء سابع عشره، ودخل قلعة الجبل فى ثامن عشريه، وقدم الأمير بيدرا بمن معه أول شعبان.

وفيه ولى طوغان والى البر بدمشق نيابة قلعة المسلمين، وولى أسندمر كرجى برَّ دمشق.

وفى شعبان: استقر شمس الدين أحمد السروجى الحنفى فى قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة، بعد وفاة قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى الأرزنكانى.

وفى أول شهر رمضان: أفرج عن تقى الدين ابن بنت الأعز، بعدما اشتد به البلاء واعتقل فى سجن الحكم وتوعد بالقتل، فعاد إلى بيته بالشافعى من القرافة، ومدح ابن السلعوس بقصدة أراد إنشادها بنفسه فحلف الوزير عليه، فأنشدها أخوه علاء الدين. ثم إنه ثبتت براءته مما رمى به، وتوجه إلى الحج مع الركب.

وفى يوم السبب ثانى شوال: قبض على الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار، وأحيط على جميع موجوده بمصر والشام.

وفى ذى الحجة: رسم بعمل المهم لختان الأمير ناصر الدين محمد أخى السلطان، فنصب القبق تحت القلعة مما يلى باب النصر فى العشرين منه، وفرقت الأموال والخلع على من أصاب فى رميه، وكان قد رسم بعرض العساكر بحضور الأمير بيدرا، فأقامت فى العرض أيامًا، فرمى بيدرا بتغاضيه، وأن بعض العسكر يستعير العدة، فرسم بعرض الجميع جملة واحدة فى الميدان ، فكان يومًا مشهودًا. وممن أصاب فى رمى القبق الأمير بيسرى، فأنعم عليه بخمسة وثلاثين ألف دينار عينًا سوى الخلع وغيرها، وختن الأمير محمد وأولاد الأمراء فى يوم الإثنين فى ثانى عشريه، ونثر الأمراء الذهب حتى امتلأت الطشوت منه.

وفى آخر ذى الحجة: استقر فى كتابة السر القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى[١] عوضًا عن عماد الدين إسماعيل بن الأثير.

وفى هذه السنة: خطب الشريف أبو نمى بمكة للملك الأشرف، بعدما كان يخطب فيها لصاحب اليمن، ونقش السكة أيضًا باسمه، وجهز بذلك محاضر مع[.... [٢]] ابن القسطلانى.

وفيها قدم رسل كيختوا ملك التتار بكتابه يتضمن أنه يريد الإقامة بحلب، فإنها مما فتحه أبوه هولاكو، وإن لم يسمح له بذلك أخذ بلاد الشام. فأجابه السلطان بأنه «قد وافق القان ما كان فى نفسى، فإنى كنت على عزم من أخذ بغداد، وقتل رجاله، فإنى أرجو أن أردها دار إسلام كم كانت، وسينظر أينا يسبق إلى بلاد صاحبه»، وكتب إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات وعرض العساكر.

وفيها وقف الحجاج يوم الإثنين والثلاثاء، ولم يصلوا الجمعة من خوف العطش لقلة الماء. وحلف أمير الركب الشريف أبا نمى يمينًا أنه يتوجه إلى السلطان، وكان قد أعطاه ألف دينار عينًا، بعث بها إليه السلطان من مصر.

وفيها تلف فى البحر ستة عشر مركبًا من جلاب اليمن، أكثرها من عدن.

* * *

---

(١)عبد الوهاب بن فضل الله العمرى القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف، والملك الناصر، وسيف الدين تنكز، ونقله الملك الناصر إلى كتابة السر، فى دمشق فتوفى بها. انظر فوات الوفيات ٢/٢٢. والدرر الكامنة ٢/٤٢٨. والنجوم الزاهرة ٩/٢٤٠. والأعلام ٤/١٨٥.

(٢)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه ابن أيوب بن شادى[١] صاحب حماة، وهو متوجه إلى القاهرة، عن سبع وخمسين سنة.

ومات الأمير علم الدين سنجر الحلبى الثائر بدمشق، وهو من أبناء الثمانين بالقاهرة.

وتوفى قاضى القضاة الحنفى معز الدين أبو عبد الله النعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى، بالقاهرة.

وتوفى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين محمد عبد الظاهر بن نشوان ابن عبد الظاهر السعدى[٢] الكاتب، لسان ديوان الإنشاء، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن على ابن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى، بالقاهرة عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى كمال الدين أبو عباس أحمد بن زيد الدين أبى عبد الله محمد بن رضى الدين أبى محمد عبد القادر بن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن طاهر بن يوسف بن النصيبى الحلبى بها، عن ثلاث وثمانين سنة، له رحلة.

وتوفى قدوة الشام أبو إسحاق إبراهيم بن قدوة الشام يوسف المدعو عبد الله بن يونس بن إبراهيم بن سلمان الأرموى الزاهد، عن سبع وسبعين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب كمال الدين أبو الحسن على بن على بن محمد بن المبارك بن سالم ابن الأعمى[٣] الدمشقى بها، عن اثنتين وثمانين سنة.

* * *

(١)على بن محمود المظفر بن محمد المنصور بن تقى الدين عمر المظفر بن شاهنشاه بن أيوب، نور الدين. انظر ابن الوردى ٢٣٨. والأعلام ٥/٣٠.

(٢)عبد الله عبد الظاهر بن نشوان الجذامى السعدى، محيى الدين، أبو الفضل بن رشيد الدين: قاضٍ أديب مؤرخ. من أهل مصر مولد ووفاة، كان كاتب الإنشاء فى الديار المصرية. انظر بغية الوعاة ٢٨٥، والأعلام ٤/٩٨.

(٣)على بن محمد بن المبارك، كمال الدين ابن الأعمى: شاعر من أهل القاهرة له فى ذم داره قصيدة مشهورة. انظر فوات الوفيات ٢/٨١، وشذرات الذهب ٥/٤٢١، والأعلام ٤/٣٣٤.



سنة ثلاث وتسعين وستمائة

فى ثالث المحرم: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة يريد البحيرة للصيد، ومعه الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس. واستخلف بقلعة الجبل الأمير على الدين سنجر الشجاعى، وقد اشتدت العداوة بين الأمير بيدرا وبين ابن السلعوس. فوصل السلطان إلى تروجة[١] ونزل بها، وتوجه الوزير إلى الإسكندرية ليعبى القماش ويحصل الأموال، بعدما خلع السلطان عليه طرد وحش[٢]. فوجد الوزير أن نواب بيدرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات[٣] فكتب يعرف السلطان ذلك ويغريه ببيدرا، وأنه لم يجد بالثغر ما يكفى الإطلاقات[٤] على جارى العادة. فاشتد غضب السلطان، وطلب بيدرا وسبه بحضرة الأمراء، وتوعده بأنه لابد أن يمكن ابن السلعوس من ضربه بما لا يذكر. فتلطف بيدرا حتى خرج إلى مخيمه وقد اشتد خوفه، فجمع أعيان الأمراء من خشداشيته ومنهم الأمير لاجين والأمير قرا سنقر ومن يوافقه، وقرر معهم قتل السلطان، فإنه كان قد أذن للأمراء الأكابر أن يخرجوا إلى إقطاعاتهم فساروا إليها وبقى فى خواصه إلى يوم تاسوعاء. فتوصل الأمير بيدرا إلى أن أشير على السلطان بتقدم العسكر إلى القاهرة، فبعث الأمير سيف الدين أبا بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار إلى بيدرا يأمره أن يسير تحت الصناجق بالأمراء والعسكر فلما بلّغه نائب أمير جاندار الرسالة نفر فيه، ثم قال له السمع والطاعة، وقد تبين الغضب فى وجهه، فرجع ابن أمير جاندار وحمل الزردخاناه وسار، ورحل الدهليز والعسكر.

وأصبح السلطان يوم عاشوراء، فبلغه أن بتروجة طيرًا كثيرًا، فساق وضرب حلقة صيد، وعاد إلى مخيمه آخر النهار. ثم لما كان الحادى عشر توجه الناس إلى القاهرة، وحضر بيدرا ومن قرر معه قتل السلطان إلى الدهليز، فلم يخرج السلطان وأعطاهم دستورًا[٥] فتوجهوا إلى خيامهم.

---

(١)قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٢٧/٢.

(٢)هذان اللفظان يطلقان على نوع من قماش حرير منقوش بمناظر الصيد والطرد.

(٣)يعنى الأقمشة.

(٤)جمع إطلاق، وهو تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة.

(٥)المقصود بالدستور الإذن.

وركب السلطان جريدة وليس معه سوى الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار، وأراد أن يسبق الخاصكية، فرأى طيرًا فصرع منه بالبندق شيئًا كثيراً ثم التفت إلى أمير شكار وقال: «أنا جيعان، فهل معك ما آكل؟» فقال: «والله ما معى غير رغيف واحد فرُّج فى صولقى[١] ادخرته لنفسى» فقال: «ناولنيه» فناوله ذلك فأكله كله. ثم قال له: «أمسك فرسى حتى أنزل أبول» وكان الأمير شهاب الدين ينبسط مع السلطان، فقال: «ما فيها حيلة، السلطان ركب حصانا وأنا راكب حجر وما يتفقان». فقال له السلطان: «أنزل أنت واركب خلفى حتى أنزل أنا» فنزل وناول السلطان عنان فرسه وركب خلفه، فنزل السلطان وقضى حاجته، ثم قام وركب حصانه، ومسك فرس أمير شكار حتى ركب، وأخذا يتحدثان.

فلما كان وقت العصر: بعث بيدرا من كشف له خبر السلطان، فقيل له ليس معه أحد، كشف بمن وافقه. فلم يشعر السلطان إلا بغبار عظيم قد ثار، فقال لأمير شكار: «اكشف خبر هذا الغبار». فساق إليه فوجد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء، فسألهم فلم يجيبوه. ومروا فى سوقهم حتى وصلوا إلى السلطان وهو وحده، فابتدرا بالسيف وضربه أبان يده، ثم ضربه ثانيا هد كتفه. فتقدم الأمير لاجين إليه وقال له: «يا بيدرا من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته» وضرب السلطان على كتفه حله، فسقط إلى الأرض، فجاءه بهادر رأس نوبة وأدخل السيف فى دبره، واتكا عليه إلى أن أخرجه من حلقه. وتناوب الأمراء ضربه بالسيوف: وهم قرا سنقر، وآقسنقر الحسامى، ونوغاى، ومحمد خواجا، وطرنطاى الساقى، وألطنبغا رأس نوبة، وذلك فى يوم الإثنين ثانى عشر المحرم[....][٢].

فبقى الملك الأشرف ملقى فى المكان الذى قتل به يومين، ثم جاء الأمير عز الدين أيدمر العجمى والى تروجة، فوجده فى موضعه عريانا بادى العورة، فحمله على جمل إلى دار الولاية، وغسله فى الحمام وكفنه، وجعله فى بيت المال بدار الولاية إلى أن قدم الأمير سعد الدين كوجبا الناصرى من القاهرة، وحمله فى تابوته الذى كان فيه إلى تربته بالقرب من المشهد النفيسى ظاهر مصر، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثانى عشرى صفر.

فكانت مدة سلطنتة ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام، وعمره نحو ثلاثين سنة ومات عن ابنتين، ولم يترك ولدًا ذكرًا. وكان ملكا كريمًا شجاعًا مقدامًا، سريع الحركة مظفرًا

---

(١) هو جراب - أو كيس - من جلد يربط على الجانب الأيمن من الحياصة، وتوضع به حاجات السفر من الزاد، وجمعه صوالق.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

فى حروبه: فتح عكا وصور وبيروت وبهسنا وقلعة الروم. وكان مع ما فيه من شدة البادرة حسن النادرة، يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط، لا يُعَلِّم على مكتوب حتى يقرأه كله، ولابد أن يستدرج على الكتاب فيه ما يتبين لهم فيه الصواب. إلا أنه تعاظم فى آخر أيامه وصار لا يكتب اسمه وإنما يكتب «خ» إشارة إلى أول حروف اسمه، ومنع أن يكتب لأحد الزعيمى، وقال: «من زعيم الجيوش غيرى؟» وأبطل من دمشق مكسا[1] كان يؤخذ فى باب الجابية على كل حمل قمح خمسة دراهم، وكتب بخطه الذى يكتب به العلامة بين أسطر المسموح الذى كتب بإبطال ذلك ما نصه: «ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة، ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة».

وأما الأمراء، فإن الأمير زين الدين كتبغا المنصورى كان قد انفرد ومعه جماعة من الأمراء عن الملك الأشرف وساروا للصيد، وبقى فى الدهليز السلطانى من الأمراء سيف الدين برغلى، وركن الدين بيبرس الجاشنكير، وحسام الدين لاجين الأستادار، وبدر الدين بكتوت العلائى، وجماعة من المماليك السلطانية. فلما قتل بيدرا السلطان عاد بمن معه من الأمراء، ونزل بالدهليز وجلس فى دست السلطنة، وقام الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه وحلفوا له، وتلقب بالملك الأوحد وقيل المعظم، وقيل الملك القاهر. ثم قبض بيدرا على الأمير بيسرى والأمير بكتمر السلاح دار أمير جاندار، وقصد قتلهما ثم تركهما تحت الاحتياط لشفاعة الأمراء فيهما، وركب إلى الطرانة فبات بها.

وقد سار الأمراء والمماليك السلطانية ومعهم الأمير برغلى، وهم الذين كانوا بالدهليز والوطاق، وركبوا فى آثار بيدرا ومن معه يريدون القبض عليه. فبلغ الأمير كتبغا ومن معه مقتل السلطان وسلطنة بيدرا، فلحق بمن معه الأمير برغلى ومن معه من الأمراء والمماليك، وجدوا بأجمعهم فى طلب بيدرا ومن معه، وساقوا فى تلك الليلة إلى الطرانة وقد لحق بيدرا بسيف الدين أبى بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار، والأمير صارم الدين[...][2] الفخرى، والأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندار، ومعهم الزرد خاناه، عند المساء من يوم السبت الذى قتل فيه السلطان، فعندما أدركهم تقدم إليه بيبرس أمير جاندار وقال له: «يا خوند هذا الذى فعلته كان بمشورة الأمراء؟» فقال: «نعم أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم، وها هم كلهم حاضرون». ثم شرع يعدد مساوئ الأشرف ومخازيه واستهتاره بالأمراء ومماليك أبيه، إهماله لأمور المسلمين، ووزارته ابن السلعوس، ونفور الأمراء منه لمسكه عز الدين الأفرم وقتل سنقر الأشقر وطقصوا وغيره،

---

(١) المقصود ضريبة.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وتأميره مماليكه، وقلة دينه وشربه الخمر فى شهر رمضان وفسقه بالمردان. ثم سأل بيدرا عن الأمير كتبغا فلم يره فقيل له: «هل كان عند كتبغا من هذه القضية علم؟» قال: «نعم هو أول من أشار بها».

فلما كان يوم الأحد ثانى يوم قتلة الأشرف: وافى الأمير كتبغا فى طلب كبير من المماليك السلطانية عدته نحو الألفى فارس، وجماعة من الحلقة والعسكر ومعهم الأمير حسام الدين لاجين الأستادار الطرانة وبها بيدرا يريدون قتاله. وميز كتبغا أصحابه بعلائم حتى يعرفوا من جماعة بيدرا، وهم أنهم جعلوا مناديل من رقابهم إلى تحت آباطهم. فأطلق بيدرا حينئذ الأميرين بيسرى وبكتمر السلاح دار، ليكونا عونا له فكانا عونا عليه. ورتب كتبغا جماعة ترمى بالنشاب، وتقدم بمن معه وحملوا على بيدرا حملة منكرة، وقصد الأمير كتبغا بيدرا وقد فوَّق سهمه، وقال: «يا بيدرا أين السلطان؟» ورماه بسهم وتبعه البقية بسهامهم، فولى بيدرا بمن معه وكتبغا فى طلبه حتى أدركه. وقتل بيدرا بعدما قطعت يده ثم كتفه كما فعل بالأشرف، وحملت رأسه على رمح وبعث بها إلى قلعة الجبل فطيف بها القاهرة ومصر. ووجد فى جيب بيدرا ورقة فيها: «ما يقول السادة الفقهاء فى رجل يشرب الخمر فى شهر رمضان، ويفسق بالمردان ولا يصلى فهل على قاتله ذنب أو لا؟» فكتب جوابها: «يقتل ولا إثم على قاتله». وعندما انهزم بيدرا هرب لاجين وقرا سنقر، ودخلا القاهرة فاختفيا.

وكان الذى وصل إلى قلعة الجبل بخبر مقتل السلطان سيف الدين سنكو الدوادار. ولما بلغ الأمير علم الدين سنجر الشجاعى قتل السلطان ضم الحراريق والمعادى وسائر المراكب إلى بر مصر والقاهرة، وأمر ألا يعدى بأحد من الأمراء والمماليك إلا بإذنه، فوصل الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء والمماليك، بعد قتل بيدرا وهزيمة أصحابه، فلم يجدوا مركبًا يعدون به النيل. فأشار على من معه من الأمراء وهم حسام الدين لاجين الأستادار، وركن الدين بيبرس الجاشنكير، وسيف الدين برلغى وسيف الدين طغجى، وعز الدين طقطاى، وسيف الدين قطيبة ، وغيرهم أن ينزلوا فى بر الجيزة بالخيام حتى يراسلوا الأمير سنجر الشجاعى، فوافقوه وضربوا الخيام وأقاموا بها، وبعثوا إلى الشجاعى فلم يمكنهم من التعدية. وما زالت الرسل بينهم وبينه حتى وقع الاتفاق على إقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فبعث عند ذلك الحراريق والمراكب إليهم بالجيزة، وعدوا بأجمعهم وصاروا إلى قلعة الجبل فى رابع عشر المحرم.

* * *

السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى العلائى الصالحى(١)

أمه أشلون خاتون ابنة الأمير سكناى بن قراجين بن جنكاى نوين. ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من مصر، فلما قتل أخوه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بالقرب من تروجة، وعدى الأمير زين الدين كتبغا والأمراء، اجتمع بهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ومن كان بالقاهرة والقلعة من الأمراء الصالحية والمنصورية، وقرروا سلطنة الناصر محمد وأحضروه وعمره تسع سنين سوا فى يوم السبت سادس عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأجلسوه على سرير السلطنة. ورتبوا الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة عوضًا عن بيدرا، والأمير علم الدين سنجر الشجاعى وزيرًا ومدبرًا عوضًا عن ابن السلعوس، والأمير حسام الدين لاجين الرومى الأستادار أطابك العساكر، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادارًا، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار دوادارًا، وأعطى إمرة مائة فارس وتقدمة ألف، وجعل إليه أمر ديوان الإنشاء فى المكاتبات والأجوبة والبريد. وأنفق فى العسكر وحلفوا فصار كتبغا هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للملك الناصر من السلطنة إلا اسم الملك من غير زيادة على ذلك، وسكن كتبغا بدار النيابة من القلعة، وجعل الخوان يمد بين يديه.

وأما الشام فإنه كتب إلى دمشق كتاب على لسان الملك الأشرف، ومضمونه: «إنا قد استنبنا أخانا الملك الناصر محمدًا، وجعلناه ولى عهدنا حتى إذا توجهنا إلى لقاء عدو يكون لنا من يخلفنا» ورسم فيه بتحليف الناس للملك الناصر محمد، وأن يقرن اسمه باسم الأشرف فى الخطبة. وتوجه بالكتاب الأمير سيف الدين ساطلمش وسيف الدين بهادر التترى، فدخلا دمشق يوم الجمعة رابع عشريه، وجمع الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب دمشق الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان وحلفهم، وخطب باسم الملك الأشرف والملك الناصر ولى عهده، وكان ذلك من تدبير الشجاعى. فقدم من الغد البريد إلى دمشق بالحوطة(٢) على موجود بيدرا ولاجين وقرا سنقر، وطرنطاى الساقى وسنقرشاه وبهادر رأس نوبة، فظهر قتل الأشرف وإقامة أخيه الناصر بعده.

فاستمر الأمر فى الخطبة بالشام على ذلك إلى حادى عشر ربيع الأول، حتى ورد

---

(١) انظر المخطوطات المصورة والأعلام ٧/١٠.

(٢) الحاء والواو والطاء كلمة واحدة، وهو الشيء يطيف بالشيء. انظر مقاييس اللغة ٢/١٢٠.

مرسوم ناصرى بالخطبة للملك الناصر وحده بالسلطنة، فخطب له كذلك فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول، وتُرحِّم على أبيه المنصور وأخيه الأشرف.

ثم كتب إلى [.....][١] ووقع الطلب على الأمراء الذين كانوا مع بيدرا فى قتل الأشرف، فأول من وجد منهم الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة، والأمير جمال الدين أقش الموصلى الحاجب، فضربت أعناقهما وأحرقت أبدانهما فى المحاير[٢] ثامن يوم سلطنة الناصر. ثم أخذ بعدهما سبعة أمراء: وهم حسام الدين طرنطاى الساقى، ونوغاى السلاح دار، وسيف الدين الناق الساقى السلاح دار، وسيف الدين أروس الحسامى السلاح دار، وعلاء الدين ألطنبغا الجمدار، وأقسنقر الحسامى، وناصر الدين محمد بن خوجا ثم قبض على قوش قرا السلاح دار، وذلك فى العشرين من المحرم فسجنوا بخزانة البنود من القاهرة، وتولى بيبرس الجاشنكير عقوبتهم ليقروا على من كان معهم، ثم أخرجوا يوم الإثنين ثامن عشره، وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة، وسمروا على الجمال وأيديهم معلقة، وشقوا بهم ورأس بيدرا على رمح قدامهم القاهرة ومصر. واجتمع لرؤيتهم من العالم ما لا يمكن حصره، بحيث كادت القاهرة ومصر أن تنهبا. ومروا بهم على أبواب دورهم، فلما جازوا على دار علاء الدين الطنبغا خرجت جواريه حاسرات يلطمن، ومعهن أولاده وغلمانه قد شقوا الثياب وعظم صياحهم. وكانت زوجته بأعلى الدار، فألقت نفسها لتقع عليه فأمسكنها جواريها، وهى تقول: «ليتنى فداك، وقطعت شعرها ورمته عليه» فتهالك الناس من كثرة البكاء رحمة لهم واستمروا على ذلك أيامًا: فمنهم من مات على ظهور الجمال، ومنهم من فكت مساميره وحمل إلى أهله ثم أخذ مرة ثانية وأعيد تسميره فمات.

هذا وجوارى الملك الأشرف وسيال حواشيه قد لبسن الحداد وتذرعن السخام، وطفن فى الشوارع بالنواحات يقمن المآتم، فلم ير بمصر أشنع من تلك الأيام. ثم أخذ بعد ذلك الأمير سيف الدين قجقار الساقى فشنق بسوق الخيل، و لم يوقف لقرا سنقر ولا للاجين على خبر ألبتة.

وبلغ الوزير ابن السلعوس وهو بالإسكندرية مقتل الملك الأشرف، فخرج ليلا وسار إلى القاهرة فنزل بزاوية الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهرى خارج القاهرة وبات عنده. ثم ركب منها بكرة بهيئته ودسته إلى داره، فأتاه القضاة والأعيان

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) جمع جيارة، وهى الفرن التى يحرق بها الجير.

وسلموا عليه، فجرى معهم على عادته من الترفع والكبر، ولم يقم لأحد ولا احتفل بكبير. فقال له بعض أصدقائه: «الرأى أن تختفى حتى تسكن الفتنة» فقال: «هذا لا نفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا، فكيف نختاره لأنفسنا؟» واستمر فى بيته والناس تتردد إليه خمسة أيام، وذلك من أجل أن حرم الملك الأشرف بعثن إلى الأمير كتبغا النائب يشفعن فيه، فإنه من أحباب السلطان وأخصائه. فشق ذلك على الشجاعى وتحدث مع كتبغا وغيره من الأمراء، وحرضهم عليه وأغراهم به، فاستدعاه كتبغا فى اليوم السادس وهو ثانى عشرى المحرم، فركب فى دسته على عادته، فعندما دخل إليه قبض عليه وأسلمه للشجاعى فأحاط به، وأنزله من القلعة ماشيًا إلى داره والأعوان محيطة به، فلم يمكن من العبور إليها. وأخذه أعدى أعاديه الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى شاد الصحبة ليطالبه بالأموال، فضربه ضربا شديدًا بلغ فى مرة واحدة ألفًا ومائة ضربة بالمقارع، فأنكر عليه الشجاعى ذلك ونقل ابن السلعوس إلى الأمير بدر الدين لؤلؤ المسعودى شاد الدواوين ، فعاقبه بأنواع العقوبات وعذبه أشد عذاب، واستخرج منه مالاً كثيرًا: منه مبلغ تسعة آلاف دينار تحت يد شخص بالشام، فكتب التذاكر إلى الشام، وأخذ المبلغ المذكور.

وكانت عقوبة ابن السلعوس فى المدرسة الصاحبية[1] بسويقة الصاحب من القاهرة، وفى كل يوم يضربه لؤلؤ بالمقارع ويخرجه من الصاحبية إلى القلعة وهو على حمار، فيقف له أراذل الناس فى طول الطريق ومعهم المداسات المقطعة ويقولون له: «يا صاحب علّم لنا على هذه» ويسمعونه كل مكروه، فينزل به من الخزى والنكال ما لا يعبر عنه. وكان لؤلؤ هذا ممن أنشأه ابن السلعوس، فإنه كان قد طلب من دمشق لما قتل مخدومه الأمير طرنطاى النائب وكان يلى ديوانه بالشام فأحسن إليه ابن السلعوس وولاه شد الدواوين بمصر، وصار يقف فى خدمته كأنه بعض النقباء، فلا يسميه إلا لؤلؤ، فقدر الله أنه وقع فى يده، فبالغ فى إهانته وصارت العقوبة فى كل يوم تتزايد عليه والشدائد تتضاعف، ويتولى عقوبته شر الظلمة وأبعدهم من الشفقة، إلى أن مات فى يوم السبت عاشر صفر، وقيل خامس عشره، وقيل سابع عشره، وضرب بعد موته ثلاث عشرة مقرعة، ودفن بالقرافة.

وفى تاسع عشر صفر: عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة عن وظيفة القضاء، وأعيد قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز إلى سائر ما كان

---

(١) تنسب هذه المدرسة إلى الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر، وزير السلطان العادل. انظر المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/١٠٤.

بيده من المناصب واستقر ابن جماعة فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى من القرافة، وتدريس المشهد الحسينى بالقاهرة.

وفى هذه المدة: أحكم الشجاعى أمر الوزارة، فاشتدت مهابة الناس له وقويت نفسه، وأحب أن يستبد بالأمور، فشرع فى إعمال التدبير على الأمير كتبغا ليقبض عليه، واستمال الأمراء البرجية والمماليك السلطانية، وفرق فيهم نحو الثمانين ألف دينار سرا، وقرر معهم أن من أتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع كتبغا فإنه يعطيه إقطاعه، وأن الأمير علم الدين سنجر البندقدارى يقبض على كتبغا إذا جلس على السماط. وكان ممن اطلع على هذا الأمير سيف الدين قنغر التترى الوافد فى الدولة الظاهرية وهو من جنس كتبغا، فأعلمه الخبر، فاحترز كتبغا على نفسه وأعلم أصحابه من الأمراء وغيرهم، فلما كان يوم الخميس ثانى عشرى صفر اجتمع الأمراء بمساطب باب القلة من قلعة الجبل على العادة، ينتظرون فتح باب القلعة ليركبوا فى خدمة الأمير كتبغا فى الموكب كما جرت به العادة، فلم يشعروا إلا برسالة قد خرجت على لسان أمير جاندار بطلب جماعة من الأمراء: وهم سيف الدين قبجق، وبدر الدين عبد الله السلاح دار حامل الجتر، وسيف الدين قبلاى، وركن الدين عمر السلاح دار أخو تمر، وسيف الدين كرجى، وسيف الدين طرنجى، وقرمشى السلاح دار، وبورى السلاح دار، ولاجين جركس، ومغلطاى المسعودى، وكرد الساقى، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية. وقام بقية الأمراء للركوب، فبينما هم يسيرون تحت القلعة بالميدان الأسود، جاء الأمير قنغر ومعه ابنه جاورجى، فأخبرا النائب كتبغا أن الأمراء الذين استدعوا اعتقلوا، وأن الشجاعى قد دبر «أنك إذا طلعت قبض عليك وعلى من معك وقت الجلوس على السماط». فعرف كتبغا الأمراء الذين معه بما قال قنغر وولده، فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة.

واستعجل الأمير علم الدين البندقدارى، وعمل ما لا كان ينبغى، وذلك أنه كان فى الموكب سيف الدين برلغى أمير مجلس، وركن الدين بيبرس الجاشنكير الأستادار، فلم يشعر بيبرس إلا وضربة دبوس جاءته فى رأسه أثرت فيه أثرًا بقى فيه بعد ذلك، وقبض عليه وعلى برلغى وبعث بهما إلى الإسكندرية. وعند قبضهما قال سنجر البندقدارى لكتبغا النائب فى جملة كلام فاوضه به: «أين لاجين؟ أحضره» فقال كتبغا: «ما هو عندى» فقال سنجر: «والله هو عندك» وجرد سيفه ليضرب به كتبغا، فبادره من ورائه بكتوت الأزرق مملوك كتبغا وضربه بسيف حل كتفه، ونزل إليه بقية مماليك كتبغا وذبحوه.

وساق كتبغا ومن معه من الأمراء: وهم بيسرى وبكتاش الفخرى أمير سلاح وبكتوت العلائى وبهاء الدين يعقوب ونوكاى وأيبك الموصلى والحاج بهادر وأقسنقر كرتيه وبلبان إلى باب المحروق وخرجوا منه، فنزلوا بظاهر السور ولبسوا عدة الحرب. وبعث كتبغا نقباء الحلقة فى طلب المقدمين وأجناد الحلقة والتتر والأكراد الشهرزورية، فحضروا إليه. وركب الشجاعى وخرج إلى باب القلعة، وحرك الكوسات ليحضر إليه الأمراء وأجناد الحلقة، فإنه كان قد صر [1] عدة صرر من ذهب، وراسل المقدمين وأجناد الحلقة يعدهم إذا وافقوا وقاموا معه، فصار من يحضر إليه يعطيه صرة ذهب على قدره، فلم يحضر إليه هذا اليوم إلا من لا يغنى ولا يجدى مجيئه شيئًا. ثم إن كتبغا بعث إلى السلطان يطلب الشجاعى، وقال له: «قد انفرد هذا برأيه فى القبض على الأمراء ولابد من حضوره، فإنه بلغنا عنه ما أنكرناه». فأرسل السلطان يعرف الشجاعى بذلك، فامتنع أن يحضر إليه، ورجف كتبغا وأخذ يحاصر القلعة وقطع عنها الماء وباتوا على ذلك. فلما كان يوم الجمعة نزل الأمراء البرجية من القلعة على حمية، وقاتلوا كتبغا ومن معه من العساكر، وهزموهم وساقوا خلفهم إلى البئر البيضاء، ومر كتبغا إلى ناحية بلبيس.

وكان بيسرى وبكتاش فى عدة من الأمراء لم يركبوا مع كتبغا فى هذا اليوم، فلما سمعوا بكسرته شق عليهم ذلك وركبوا إلى البرجية وقاتلوهم، وكسروهم حتى ردوا إلى القلعة. فقدم كتبغا بعد كسرته وانضم مع بيسرى وبكتاش، وتلاحق بهم الناس. فجدوا فى حصار القلعة حتى طلع الملك الناصر على البرج الأحمر وتراءى لهم، فنزل الأمراء عن خيولهم إلى الأرض وقبلوا له الأرض، وقالوا: «نحن مماليك السلطان، و لم نخلع يدا من طاعته، وما قصدنا إلا حفظ نظام الدولة واتفاق الكلمة وإزالة الفساد».

واستمر الحصار سبعة أيام، وفى كل يوم ينزل الشجاعى ومعه الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير سيف الدين طغجى فى عدة من المماليك السلطانية، فيكون بينه وبين كتبغا وأصحابه قتال، إلا أنه يتسلل ممن معه فى كل يوم عدة ويصيرون إلى كتبغا. فلما اشتد الحصار طلعت أم السلطان على سور القلعة، وسألت الأمراء عن غرضهم حتى تعمل، فقالوا: «ما لنا غرض إلا القبض على الشجاعى وإخماد الفتنة، ولو بقى من بيت أستاذنا بنت عمياء كنا مماليكها، لاسيما وولده الملك الناصر حاضر وفيه كفاية». فانخدعت لقولهم، واتفقت مع الأمراء حسام الدين الأتابك وغلقوا باب القلة

(١) الصاد والراء أصول، الأول قولهم: يصر الدراهم يصرها صرا، وتلك الخرقة صرة. انظر مقاييس اللغة ٣/٢٨٢.

من القلعة، وصار الشجاعى بداره من القلعة محصورا. فعند ذلك تفرق عنه أصحابه ونزلوا إلى كتبغا، فلم يجد بدا من طلب الأمان فلم تجبه الأمراء، فتحير وقال: «إن كنت أنا الغريم فأنا أتوجه إلى الحبس طوعا منى، وأبرأ مما قيل عنى» وخرج إلى باب الستارة السلطانية وحل سيفه بيده، وذهب نحو البرج ومعه الأمير بهاء الدين الأقوش والأمير سيف الدين صمغار.

وقيل إن الشجاعى لما أبى الأمراء أن يؤمنوه بعثوا آخر النهار عند العصر جماعة فيهم الأقوش إلى عند أم السلطان، وطلبوا الشجاعى ليستشيروه فيما يفعل، فلما حضر تكاثرت عليه المماليك، ووثب عليه منهم أحد مماليك الأقوش وضربه من ورائه بسيف أطار يده، وثنى بأخرى أسقطت رأسه عن بدنه، ورفعت فى الحال على السور. وكان عمره نحو خمسين سنة.

ويقال إنه لما حضر قال له السلطان: «يا عمى لأى شىء هذا الذى أنتم فيه؟» فقال: «لأجلك يا خوند» فقال: «خلونى أعمل شيئًا تبقوا مطمئنين وأنا معكم، وهو أنك تروح يا أمير علم الدين تقعد فى مكان بالقلعة وترسل ورائه الأمراء ليطلعوا، وبعد أيام نوفق بينكم، ونعطيك قلعة بالشام تروح إليها ونستريح منهم». فقام الأمراء الحاضرون وقبضوا عليه، وقيدوه وأخرجوه إلى مكان يسجن فيه، فتوجه به الأقوش نحو البرج الجوانى.

فلما كان فى أثناء الطريق قتله، وقطع رأسه ويده وأخذها فى ذيل قرطيته[1] ونزل إلى سوق الخيل والبرجية والمماليك السلطانية محيطة بباب القلعة، فقالوا له: «ما معك» فقال: «خبز سخن أرسله السلطان إلى الأمراء، ليعلموا أن عندنا الشىء بكثرة» يريد بذلك النجاة منهم. فظنوه صادقًا وتركوه، ولو علموا بأنه معه رأس الشجاعى لما خلص منهم. فصار إلى الأمراء وناولهم الرأس، فبعثوا فى الحال من حلف السلطان والأمراء الذين عنده.

وفتح باب القلعة، وطلع كتبغا والأمراء إلى القلعة وهم راكبون إلى باب القلة، ثانى يوم، ودقت البشائر، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشريه. فنودى بعد ذلك بالأمان، ففتحت أبواب القاهرة وكانت كلها مغلقة إلا باب زويلة، وكذلك الأسواق كانت معطلة فى هذه المدة.

ثم رفع رأس الشجاعى على رمح وطيف بها القاهرة ومصر، ولم يدعوا زقاقا حتى

---

(١) المقصود أن الأقوش أحضر رأس الشجاعى وقد لفه فى بقجة. انظر نهاية الأرب ٢٩/٣٠٧.

طافوا بالرأس فيه، وجبوا عليه مالا كثيرًا. وفى الناس من كان يضرب الرأس بالمداسات، ومنهم من يصفعه ويسبه، وصاروا يقولون: «هذه رأس الملعون الشجاعى». وسرَّ كثير من الناس لموته، فإنه أكثر من المصادرات، ونوَّع الظلم والعسف أنواعا.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، وأعيدت لهم إقطاعاتهم وأموالهم، وجددت الأيمان للسلطان ولنائبه الأمير كتبغا. وأنزل من كان ساكنا فى الأبراج والطباق بقلعة الجبل من المماليك السلطانية الذين رموا بأنهم أثاروا هذه الفتنة، وأسكنت طائفة منهم فى مناظر الكبش بجوار الجامع الطولونى، وطائفة فى دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، وطائفة فى مناظر الميدان الصالحى بأرض اللوق، واعتقلت طائفة.

وفى يوم الخميس تاسع عشريه: استقر فى الوزارة الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا، واستقر ابن عمه عز الدين الصاحب محيى الدين بهاء الدين فى وزارة الصحبة، وصارا يجلسان جميعًا فى شباك الوزارة بقلعة الجبل، والصاحب تاج الدين هو الذى يوقع.

وفى سلخه:[1] أفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم.

وفى ثالث ربيع الأول: أوقعت الحوطة بدمشق على موجود الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وقبض على نوابه.

وفى العشرين من رجب: حلف نائب دمشق والأمراء بها للسلطان ونائبه وولى عهده الأمير كتبغا، ودعى له معه فى الخطبة.

وفى خامس عشريه: ركب الملك الناصر فى أبهة الملك، وشق القاهرة من باب النصر حتى خرج من باب زويلة عائدًا إلى القلعة، وكتبغا والأمراء يمشون فى ركابه، فكان يومًا مشهودًا، ودقت البشائر بالقلعة.

وفى يوم عيد الفطر: ظهر الأمير حسام الدين لاجين الصغير والأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوريان من الاستتار: وكانا وقت فرارهما عند وقعة بيدرا قد أطلعا الأمير سيف الدين بتخاص الزينى مملوك الأمير كتبغا بحالهما، فتلطف مع أستاذه كتبغا فى أمرهما حتى صار يتحدث مع السلطان إلى أن عفا عنهما، ثم تحدث كتبغا مع الأمير بكتاش فى أمرهما، وانتدبه لإصلاح حالهما مع الأمراء، فركب ودار على الأمراء وأعيان المماليك، وأزال ما كان فى نفوسهم من الوحشة. وقرر الحال على أنهما

---

(١) السين واللام والخاء أصل واحد، وسلخت الشهر إذا صرت فى آخر يومه. انظر مقاييس اللغة ٣/٩٤.

يصعدان إلى القلعة يوم العيد، فأتيا سرًّا إلى بيت الأمير كتبغا بقلعة الجبل، فأخذهما معه ودخل إلى السماط، فقبلا الأرض للسلطان على العادة، فأكرمهما وخلع عليهما وأمرهما كما كانا، ونزلا فحمل الأمراء إليهما من التقادم ما يجل وصفه. وكانت هذه الفعلة من كتبغا مع لاجين كعنز السوء بحثت عن حتفها بظلفها، كما ستراه قريبًا من خبرهما إن شاء الله.

وفيه أفرج عن الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وأخوته وأولاده.

وفي هذه السنة: قصر مد النيل ولم يوف، بل كانت نهايته خمسة عشر ذراعًا وثلث ذراع، فغلت الأسعار.

وفيها استقر في قضاء دمشق قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضًا عن قاضي القضاة شهاب الدين محمد الخويي بحكم وفاته.

وفيها سار الشريف أبو نمي أمير مكة يريد مصر حتى يلقى السلطان الملك الأشرف، لأنه حلف على ذلك، فلما نزل ينبع رد إليه الشريف راجح بن إدريس ينبع، وجاءه الخبر بقتل السلطان الملك الأشرف، فرجع من ينبع إلى مكة.

وغلت الأسعار بمكة، فأبيع المد الملح بستة دنانير مكية، وغلت بها المياه في شعبان ورمضان. وقدم حاج اليمن في كثرة، فبلغت الراوية أربعة دنانير، وحمل الماء من عرفة إلى مكة. ثم أغاث الله بالأمطار وكانت بمنى قبله في يوم الأحد، فسار الناس منها يوم الأربعاء ومضوا إلى بلادهم.

وفيها قتل الملك كيختو بن أبغا بن هولاكو. وولي بعده بيدو بن طوغاي بن هولاكو.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي قضاة الشام شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى المهلبي الشهير بابن الخويي الشافعي[1] بدمشق عن سبع وستين سنة، ولي قضاء حلب ودمشق ومصر، ولم يبرح مشكور السيرة.

---

(١) محمد بن خليل بن سعادة الخويي، شهاب الدين، أبو عبد الله قاضي دمشق، وابن قاضيها. مولده ووفاته فيها. ولي قضاء القدس سنة ٦٥٧، ثم قضاء حلب، فقضاء الديار المصرية، ونقل إلى قضاء الشام. وكان فقيها شافعيا باحثا. والخويي نسبة إلى خوى من أعمال أذربيجان. انظر الأنس الجليل ٤٦٦/٢، وفوات الوفيات ١٨٢/٢، والبداية والنهاية ٣٣٧/١٣، وبغية الوعاة ١٠، والدارس ٢٣٧/١، والفهرس التمهيدي ٥٦١، والشذرات ٤٢٣/٥، والأعلام ٣٢٤/٥.

وتوفى الوزير الصاحب فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسعردى[١] عن إحدى وثمانين سنة، وزر مرتين.

وتوفى الوزير الصاحب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبى الرجا بن السلعوس التنوخى، عن خمسين سنة مقتولا.

وتوفى الزاهد المعتقد تقى الدين أبو محمد عبد الله بن على بن محمد بن منجد السروجى[٢] بالقاهرة.

وتوفى المحدث شرف الدين أبو على الحسن بن على بن عيسى بن الحسن بن على ابن الصيرفى اللخمى[٣] عن نحو سبع وستين سنة.

ومات قبلاى خانة بن طلوى بن جنكزخان ملك الصين، وهو أكبر الخانات والحاكم على كرسى مملكة جنكز خان. وكانت مدته قد طالت، فقام فى مملكة الصين بعده ابنه شيردون بن قبلاى.

* * *

(١) إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسعردى ثم المصرى، أبو العباس فخر الدين: وزير، من الكتاب. له شعر. أصله من إسعرد، وتتلمذ للبهاء زهير بمصر. ولى ديوان الإنشاء بها للأيوبيين وكان رئيس الموقعين. وولى الوزارة مرتين. توفى بالقاهرة. انظر النجوم الزاهرة ٣٦٦/٦، والبداية والنهاية ٢٣٧/١٣، ومرآة الزمان ٧٧٨/٨، ٧٧٩، والأعلام ٥٨/١.

(٢) عبد الله بن على بن منجد السروجى، تقى الدين: شاعر، فيه فضل وأدب. ولد فى سروج وتوفى بالقاهرة. انظر العقود اللؤلؤية ٣٠٠/١ والأعلام ١٦٠/٤.

(٣) الحسن بن على بن عيسى اللخمى، أبو محمد شرف الدين بن الصيرفى، محدث مصرى، ولى مشيخة الفارقانية. انظر العبر ٣٩٧/٥، والشذرات ٤٤٧/٥، والتذكرة ٢٨٧/٤، والأعلام ٢٤/٢.

سنة أربع وتسعين وستمائة

فى المحرم: ورد الخبر بأن كيختو بن أبغا بن هولاكو، الذى تسلطن بعد أخيه أرغون فى سنة تسعين، قتل فى سنة ثلاث وتسعين. وملك بعده ابن عمه بيدو، وهو ابن طرغاى بن هولاكو، فخرج عليه غازان بن أرغون بن أبغا نائب خراسان، وكسره وأخذ الملك منه، ويقال إنه أسلم على يد الشيخ صدر الدين بن حمويه الجوينى.

وفى ليلة الأربعاء حادى عشره: اجتمع المماليك الأشرفية الذين بالكبش وخرجوا إلى الإسطبلات التى تحت القلعة، وركبوا الخيول ونهبوا ما قدروا عليه. وداروا على خوشداشيتهم فأركبوهم ومضوا إلى باب سعادة من أبواب القاهرة فأحرقوه، ودخلوا إلى دار الوزارة ليخرجوا من فيها من المماليك، فلم يوافقوهم على ذلك فتركوهم، وقصدوا سوق السلاح بالقاهرة، وفتحوا الحوانيت وأخذوا السلاح، ومضوا إلى خزانة البنود وأخرجوا من فيها من المماليك، وساروا إلى إسطبل السلطان ووقفوا تحت القلعة. فركب الأمراء الذين بالقلعة وقاتلوهم، فلم يثبتوا وانهزموا وتفرقوا. فقبض عليهم من القاهرة وضواحيها و لم يفلت منهم أحد، فضربت رقاب بعضهم بباب القلعة، وقطعت أيدى جماعة وأرجلهم، وغرق كثير منهم، وفيهم من أكحل، وفيهم من قطعت ألسنتهم، ومنهم من صلب على باب زويلة، ومنهم من بقى، وفرق بعضهم على الأمراء وكانوا زيادة على ثلاثمائة مملوك.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: خلع الملك الناصر ابن قلاوون، وكانت أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام، لم يكن له فيها أمر ولا نهى.

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى

كان فى مدة سلطنة الملك الناصر هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للناصر معه تصرف ألبتة. ثم إنه أخذ فى أسباب السلطنة بعد قتل الشجاعى. ولما دخل المحرم انقطع فى دار النيابة وأظهر أنه ضعيف البدن، وباطن أمره أنه يريد أن يقرر أموره فى السلطنة فخرج إليه الناصر وعاده. فلما كانت فتنة المماليك جلس فى صباح تلك الليلة بدار النيابة وجمع الأمراء وقال لهم: «قد انخرق ناموس المملكة، والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنه». فاتفقوا على خلعه وإقامة كتبغا مكانه، وحلفوا له على ذلك، وقدم إليه

فرس النوبة بالرقبة الملوكية، وركب من دار النيابة قبل أذان العصر من يوم أيامه سنة واحدة تنقض ثلاثة أيام الأربعاء حادى عشر المحرم، ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانية، والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس على التخت بأهبة الملك، وتلقب بالملك العادل، فكانت أيامه شر أيام من الغلاء والوباء وكثرة الموتان.

ومن عجيب الاتفاق أن مشرف[١] المطبخ السلطانى بالقلعة ضرب بعض المرقدارية[٢] فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة، فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول: «يا نهار الشوم! إن هذا نهار نحس» فجرى هذا الكلام فى هذا اليوم على ألسنة جميع الناس.

وفيه نقل الملك الناصر محمد من القصر، وأسكن هو وأمه فى بعض قاعات القلعة.

وفى ثانى عشره: مد العادل سماطا عظيما وجلس عليه، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده، وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه. فلما انقضى الأكل خلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر، وخلع على الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى، وجعل أمير جاندار، وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر، واستقر أمير حاجب.

وفى رابع عشره: خرج البريد بالكتب إلى البلاد الشامية بسلطنة العادل كتبغا، وخرجت كتب دمشق على يد الأمير ساطلمش المنصورى، فقدم دمشق فى سابع عشره وحلف النائب والأمراء، ودقت البشائر.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على سائر الأمراء وأرباب الدولة، وأنعم على المماليك المقيمين بدار الوزراة من أجل أنهم امتنعوا من إقامة الفتنة.

وفى يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفتى على رأسه والتقليد بين يديه، وكتبت البشائر بذلك لسائر النواب من إنشاء القاضى جمال الدين محمد بن المكرم بن أبى الحسن بن أحمد الأنصارى.

وشرع السلطان يؤمر مماليكه فأمَّر أربعة: وهم بتخاص وقد جعله أستادارا، وأغرلو

---

(١) أطلق اسم المشرف على الذى يتولى أمر المطبخ السلطانى ويقف على مراقبة الأطبخة به حسب إرشاد أستادار الصحبة. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٥/٤٥٤.

(٢) المرقدار أحد صبيان المطبخ السلطانى، وهو الذى يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ وحفظه. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٥/٤٥٤.

وبكتوت الأزرق[١] وقطلو بك، فركبوا بالإمرة فى يوم واحد. وفوض السلطان وزارة دمشق للصاحب تقى الدين توبة التكريتى[٢] على عادته فى أيام المنصور قلاوون وكتب له برد ما أخذ منه فى الدولة الأشرفية، وسار من القاهرة.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الأولى: عزل الصاحب تاج الدين محمد ابن حنا من الوزارة، واستقر بالقاضى فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلى الدارى وكان ناظر ديوانه وناظر الدواوين فى الوزارة.

وفى هذا الشهر: استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث، وخرج النائب وسائر الناس مشاة. وتزايد الغلاء بديار مصر بعدما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكاكين العلافين، وكانت التقاوى المخلدة[٣] قد أكلت. ولم يكن بالأهراء السلطانية غلال، فإن الأشرف كان قد فرق الغلال وأطلقها للأمراء وغيرهم حتى نفد ما فى الأهراء. وقصر مد النيل كما تقدم، فصار الوزير يشترى الغلال للمئونة بدور السلطان وللعليق، فتزايد الغلاء حتى بلغ تسعين درهما الأردب.

ووقع فى شهر ربيع الأول من هذه السنة: بديار مصر كلها وباء، وعظم فى القاهرة ومصر، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقى الميت مطروحا فى الأزقة والشوارع ملقى فى الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم.

وفى سادس عشرى رمضان: استقر نجم الدين أحمد بن صصرى فى قضاء العسكر بدمشق وسافر من القاهرة، وأنعم على الملك الأوحد شادى بن الزاهر مجير الدين دوادار بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبى بإمرة فى دمشق، فاستقر من جملة أمراء الطبلخاناه بها، وهو أول من أمر طبلخاناه من بنى أيوب فى دولة التركية. فقدم الخبر بموت الملك المظفر شمس الدين أبى المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول[٤] التركمانى

---

(١) سمى الأمير بكتوت بهذا الاسم، لأنه كان أخيف العينين، والأخيف هو الذى تكون إحدى مقلتيه سوداء والأخرى زرقاء. انظر محيط المحيط.

(٢) نسبة إلى تكريت.

(٣) هى التقاوى المحفوظة لأغراض الزراعة.

(٤) يوسف المظفر بن عمر المنصور نور الدين بن على بن رسول التركمانى اليمنى، شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة. وولى بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧هـ بصنعاء. وأحسن صيانة الملك وسياسته. انظر العقود اللؤلؤية ١/ ٥٠،٨٥،٨٨،٢٨٤. وابن=

صاحب اليمن فى شهر رمضان فكانت مدته نحو خمس وأربعين سنة، وكانت سيرته جيدة. وملك بعده ابنه الملك الأشرف ممهد الدين عمر[١] ولى عهدهأيون، فنازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود[٢] وجمع لقتاله، وحاصر عدن ثلاثة عشر يوما وملكها وأخذ الأموال بغير حق، وسار يريد تعز فبعث إليه الأشرف جيشا قاتله وأسره وحمله إليه، فاعتقله.

وفيها استقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة من خطابة الجامع الأموى بدمشق، زيادة على ما بيده من قضائها، فخطب وصلى بالناس يوم الجمعة سادس شوال، وهو أول من جمع له بين القضاء والخطابة بدمشق.

وفيها قبض على الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصورى نائب البلاد الطرابلسية، وحمل إلى القاهرة، فقدمها فى حادى عشر ذى القعدة واعتقل، وأقيم بدله الأمير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى.

وفيها قصر مد النيل وبلغ ستة عشر ذراعا وسبع عشر إصبعا، ثم هبط من ليلته ولم يعد، فتزايد الغلاء واشتد البلاء. وأجدبت بلاد برقة أيضًا، وعم الغلاء والقحط ممالك المشرق والمغرب والحجاز، وبلغ سعر الأردب القمح بمصر مائة وخمسين درهما فضة. وتزايد موت الناس حتى بلغت عدة من أطلق من الديوان فى شهر ذى الحجة سبعة عشر ألفا وخمسمائة، سوى الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك. وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير، وأكل بعضهم لحم بعض. وأناف عدد من عرِّف بموته فى كل يوم ألف نفس، سوى من لم يثبت اسمه فى الديوان. فلما اشتد

=الوردى ٢/٢٤٠ وابن الفرات ٢٠٢/٨ وأبناء الزمن والبداية والنهاية ٣٤١/١٣ والنجوم الزاهرة ٧١/٨ والفهرس التمهيدى ٥٣٤ والكتبخانة ٤١/٦ ومعجم المطبوعات ١٤١٧. انظر مورد اللطافة، لابن تغرى بدرى ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(١) عمر بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، أبو حفص، ممهد الدين، الملك الأشرف: ثالث ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. كان عالما فاضلا حسن السيرة. انتدبه أبوه الملك المظفر للمهمات، ثم نزل له عن الملك قبيل وفاته سنة ٦٩٤هـ فاستمر قرابة سنتين، وتوفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢٨٤/١، و٢٩٧ ومجلة المجمع ٢٢٣/٢٦ وطرفة الأصحاب ٣٦ والأعلام ٦٩/٥.

(٢) داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، صاحب اليمن، السلطان المؤيد، هزبر الدين ابن الملك المظفر، التركمانى الأصل. مولده ونشأته ووفاته باليمن. ولى الملك بعد وفاة أخيه الأشرف سنة ٦٩٥هـ واتسقت له الأمور. وتوفى فى قصر الشجرة ودفن فى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٤٤٠/١، وفوات الوفيات ١٥٨/١، وابن خلدون ٥١١/٥، وغربال الزمان ومرآة الجنان ٢٦٦/٤، والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٩، وأبو الفداء ٩١/٤، والدرر الكامنة ٩٩/٢، والأعلام ٣٣٦/٢.

الأمر فرق السلطان الفقراء على أرباب الأموال بحسب حالهم.

وفيها كثرت الفلوس، فعلمت كل أوقية بسلس درهم.

وفيها مات ملك تونس الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص[١] ليلة الجمعة رابع عشرى ذى الحجة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر. وبويع أبو عبد الله محمد المعروف بأبى عصيدة بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد[٢].

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

القان كيختو بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان ملك التتار قتيلا، فكانت مدة ملكه نحو أربع سنين.

ومات القان بيدو بن طرغاى بن هولاكو القائم بعد كيختو مقتولا، فكانت مدة ملكه نحو ثمانية أشهر، وقام بعده غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو. ومات الملك المظفر محمد بن المنصور عمر بن على بن رسول ملك اليمن بقلعة تعز[٣] وقد تجاوز ثمانين سنة، منها مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة.

ومات الملك السعيد داود بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن المنصور أرتق ابن إيلغازى بن ألبى تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين، وقام بعده أخوه المنصور غازى.

وتوفى شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن الحسين ابن حماد القدسى الشافعى، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق، وقد انتهت إليه رياسة الفتوى وولى خطابة الجامع الأموى. وتوفى عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن

---

(١) عمر بن يحيى بن عبد الواحد الحفصى الهنتانى، أبو حفص، المستنصر الثانى صاحب تونس، من ملوك الدولة الحفصية. تلقب بالمستنصر با لله توفى بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٧ والدولة الحفصية ٨٧-٩٢ وخلاصة تاريخ تونس ١١١ والأعلام ٥/٦٩.

(٢) محمد بن يحيى الواثق با لله بن محمد المستنصر الأول، أبو عصيدة، أمير المؤمنين المستنصر الثانى أبو حفص عمر بن يحيى سنة ٦٩٤هـ، استمر إلى أن توفى. انظر الخلاصة النقية ٦٨ والدرر الكامنة ٤/٢٨٥ خلاصة تاريخ تونس ١١١ والأعلام ٧/١٣٨.

(٣) قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر، معجم البلدان ٣/٣٤.

عمر بن فرج بن أحمد بن سابور الفاروثى[1] الواسطى الشافعى، عن ثمانين سنة بواسط، وكان قد ولى الخطابة بعد ابن المرحل، وكان إمامًا فى عدة فنون.

وتوفى محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكى الشافعى[2] فقيه الحجاز، بمكة عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الساكن الطوسى المشهدى، بالقاهرة.

* * *

(١) أحمد بن إبراهيم بن عمر، أبو العباس، عز الدين الواسطى الفاروثى مقرئ شافعى كان شيخ العراق فى عصره، ووفاته بواسط، ونسبته إلى فاروث قرية على دجلة. انظر الشذرات ٤٢٥/٥ والأزهرية ٥٣٦/٣ والأعلام ٨٦/١.

(٢) أحمد بن عبد الله بن محمد الطبرى، أبو العباس، محب الدين: حافظ فقيه شافعى، متقن، من أهل مكة مولدًا ووفاة وكان شيخ الحرم فيها. له تصانيف منها «السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين». انظر النجوم الزاهرة ٧٤/٨ وشذرات الذهب ٤٢٥/٥ وطبقات الشافعية ٨/٥ والأعلام ١٥٩/١.

سنة خمس وتسعين وستمائة

فى المحرم: حدث بقرية جبة عسال[1] من قرى دمشق أمر عجيب: وهو أن شابا من أهلها خرج بثور له يسقيه الماء، فلما فرغ الثور من شربه حمد الله، فتعجب الصبى من ذلك، وحكاه فلم يصدق. فلما كان فى اليوم الثانى خرج صاحب الثور به ليسقيه، فشرب وحمد الله بعد فراغه، فمضى به، وكثر ذكر ذلك بالقرية. فخرج به فى اليوم الثالث وقد حضر أهل القرية، فعندما فرغ الثور من شربه سمعه الجميع وهو يحمد الله. فتقدم بعضهم وسأله، فقال الثور بكلام سمعه من حضر: إن الله عز وجل كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدبًا، ولكن بشفاعة النبى ﷺ أبدلها الله تعال بالخصب. وذكر أن النبى ﷺ أمره بتبليغ ذلك إلى الناس. قال الثور فقلت: «يا رسول الله ما علامة صدقى عندهم؟» قال: «أن تموت عقيب الإخبار» ثم مضى الثور إلى موضع مرتفع وسقط ميتًا، فتقاسم أهل القرية شعره للتبرك به، وكفنوه ودفنوه وحضر إلى قلعة الجبل محضر ثابت على قاضى الولاية بهذه الحادثة.

وفى ربيع الأول: قدم البريد بوصول طائفة الأويراتية من التتار ومقدمهم طرغاى زوج بنت هولاكو، وأنهم نحو الثمانية عشر ألف بيت، وقد فروا من غازان ملك التتار وعبروا الفرات يريدون الشام. فكتب إلى نائب الشام أن يبعث إليهم الأمير علم الدين سنجر الدوادارى إلى الرحبة ليلقاهم، فخرج من دمشق، ثم توجه بعده الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق، وخرج الأمير قرا سنقر المنصورى من القاهرة أيضًا ، فوصل دمشق فى ثانى عشريه، ثم تبعه الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب، فأقام بدمشق حتى وصلت أعيان الأويراتية صحبة سنقر الأعسر فى ثالث عشريه. وكانت عدتهم مائة وثلاثة عشر رجلا، ومقدمهم طرغاى، ومن أكابرهم الوص وككباى، فتلقاهم النائب والأمراء واحتفل لقدومهم احتفالاً زائدًا.

ثم سار بهم الأمير قرا سنقر إلى القاهرة يوم الإثنين سابع ربيع الآخر، فلما وصلوا بالغ السلطان فى إكرامهم والإحسان إليهم، وأمر عدة منهم. وبقوا على كفرهم، ودخل شهر رمضان فلم يصم منهم أحد، وصاروا يأكلون الخيل من غير ذبحها، بل يربط الفرس ويضرب على وجهه حتى يموت فيؤكل. فأنف الأمراء من جلوسهم معهم

(١) هى ناحية تشمل عدة قرى بين دمشق وبعلبك. انظر، معجم البلدان ٢/ ٣١.

بباب القلة فى الخدمة، وعظم على الناس إكرامهم، وتزايد بعضهم فى السلطان، وانطلقت الألسنة بذمه حتى أوجب ذلك خلع السلطان فيما بعد.

وأما بقية الأويراتية فإنه كتب إلى سنجر الدواداري أن ينزلهم ببلاد الساحل، فمر بهم على مرج دمشق، وأخرجت الأسواق إليهم فنصبت بالمرج وبمنزلة الصنمين وفى الكسوة، و لم يمكن أحد من الأويرايتة أن يدخل مدينة دمشق. وأنزلوا من أراضى عثليث ممتدين فى بلاد الساحل، وأقام الأمير سنجر عندهم إلى أن حضر السلطان إلى الشام.

وقد هلك منهم عالم كبير، وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة، وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم، وتزوج الناس ببناتهم، وتنافس الأمراء والأجناد وغيرهم فى صبيانهم وبناتهم، ثم انغمس من بقى منهم فى العساكر، فتفرقوا فى الممالك، ودخلوا فى الإسلام واختلطوا بأهل البلاد.

وفى يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى: استقر فى قضاء القضاة بديار مصر تقى الدين محمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشيرى المعروف بابن دقيق العيد[1] الشافعى، بعد وفاة قاضى القضاة ذى الرياستين تقى الدين عبد الرحمن بن قاضى القضاة ذى الرياستين تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز.

وفى هذه السنة: اشتد الغلاء، وبلغ سعر الأردب القمح المصرى إلى مائة وثمانين درهما، والشعير تعدى الأردب منه مائة درهم، والفول بنحو تسعين درهما الأردب. وبلغ الترمس ستين درهما الأردب بعد خمسة دراهم، وأبيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة، وأبيع الفروج بعشرين درهما بعد ثلاثة دراهم. وذبحت فراريج للمرضى ثم وزن لحمها فوقف كل وزن درهم منها بدرهم فضة، وأبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم فضة، وأبيع الرطل منه بأربعة دراهم. وأبيعت سفرجلة بثلاثين درهما، وكل رطل لحم بسبعة دراهم، وكل سبع حبات من بيض الدجاج بدرهم، و لم يزد سعر القمح فى بلاد الصعيد الأعلى على خمسة وسبعين درهما الأردب.

---

(١) محمد بن على بن وهب بن مطيع أبو الفتح، تقى الدين القشيرى، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض من أكابر العلماء بالأصول. مجتهد. أصل أبيه من منفلوط بمصر انتقل إلى قوص، وولد له صاحب الترجمة فى ينبع فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٩١/٤ ومفتاح السعادة ٢١٩/٢ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ خطط مبارك ١٣٥/١٤ والطالع السعيد ٣١٧ وإحكام الأحكام ١٤/١ وشذرات الذهب ٥/٦ والأعلام ٢٨٣/٥.

وهلك معظم الدواب لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء، وهلكت الكلاب والقطاط من الجوع. وانكشف حال كثير من الناس، وشحت الأنفس حتى صار أكابر الأمراء يمنعون من يدخل عليهم من الأعيان عند مد أسمطتهم. وكثر تعزير محتسب القاهرة ومصر لبياعى لحوم الكلاب والميتات، ثم تفاقم الأمر فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشي وبنى آدم، وأكل النساء أولادهن الموتى. ورأى بعض الأمراء بباب داره امرأة لها هيئة حسنة وهى تستعطى، فرق لها وأدخلها داره فإذا هى جميلة، فأحضر لها رغيفا وإناء مملوءًا طعاما أكلته كله و لم تشبع، فقدم إليها مثله فأكلته وشكت الجوع، فما زال يقدم لها وهى تأكل حتى اكتفت، ثم استندت إلى الحائط ونامت، فلما حركوها وجدت ميتة، فأخذوا من كتفيها جرابا فلقوا فيه يد إنسان صغير ورجله، فأخذ الأمير ذلك وصعد به القلعة وأراه السلطان والأمراء.

ثم إن الأسعار انحلت فى شهر رجب، حتى أبيع الأردب القمح بخمسة وثلاثين درهما، والشعير بخمسة وعشرين درهما الأردب.

وأما النيل فإنه توقف، ثم وفى ستة عشر ذراعا وكسر الخليج، فنقص فى يوم عيد الفطر بعد الكسر نقصا فاحشا ثم زاد. فتزايد السعر وساءت ظنون الناس، وكثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس فى الأسواق من شدة الغلاء.

وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة فى كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل فى الميضأة من الغرباء الطرحاء فى كل يوم نحو المائة والخمسين ميتا، ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم، فيشتغل نهاره بهم. ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن، فإنه يدفن الواحد فى ثوب ثم ساعة ما يوضع فى حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن فى الثوب الواحد عدة أموات.

وعجز الناس عن مواراة الأموات فى القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة، ثم تطم بالتراب. وانتدب أناس لحمل الأموات ورميهم فى الحفر، فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم، فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما فى حفرة أو فى النيل إن كان قريبًا منه. وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات فى شباك على الجمال، ويعلقون

الميت بيديه ورجليه من الجانبين، ويرمى فى الحفر بالكيمان من غير غسل ولا كفن، ورمى كثير من الأموات فى الآبار حتى تملأ ثم تردم.

ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقى على الطرقات حتى أكلته الكلاب، وأكل كثيرًا منها بنو آدم أيضًا وحصر فى شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته، فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان، وعظم الموتان فى أعمال مصر كلها حتى خلت القرى.

وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر وهو سادس عشر كانون الأول ولم يقع المطر، فتزايدت الأسعار فى سائر بلاد الشام. وجفت المياه، فكانت الدابة تسقى بدرهم شربة واحدة، ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة، ولم يبق عشب ولا مرعى. وبلغ القمح كل غرارة فى دمشق بمائة وسبعين درهما، والخبز كل رطل وأوقتين بدرهم، واللحم كل رطل بأربعة دراهم ونصف. ثم إن الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى قرأ صحيح البخارى تحت قبة النسر بالجامع الأموى بدمشق فى يوم الأحد تاسع صفر، فسقط المطر فى تلك الليلة واستمر عدة أيام وعقبه ثلج، فسر الناس، إلا أن الأسعار تزايدت، ثم انحطت. واشتد الغلاء بالحجاز، حتى أبيعت الغرارة القمح فى مكة بألف ومائتى درهم.

وفى رجب: وقعت صاعقة على قبة زمزم، فقتلت الشيخ على بن محمد بن عبد السلام مؤذن الحرم وهو يؤذن على سطح القبة.

وفيها قدمت أم الملك العادل سلامش بن السلطان الملك الظاهر بيبرس من بلاد القسطنطينية إلى دمشق فى حادى عشر رمضان ، وسارت إلى القاهرة فى ثامن عشره.

وفيها مات الملك السعيد إيلغازى بن المظفر فخر الدين قرا أرسلان الأرتقى صاحب ماردين، فكانت أيامه قريبًا من ثلاث سنين، وقام من بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازى.

وفى يوم السبت سابع عشر شوال: خرج السلطان من قلعة الجبل بعساكر مصر يريد الشام، واستخلف الأمير شمس الدين كرتيه فى نيابة السلطنة، وولده الملك المجاهد أنص. فدخل دمشق فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، وحمل الأمير بيسرى الجتر على رأسه.

وفيه استقر تقى الدين سليمان فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضًا عن شرف الدين حسن بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسى بحكم وفاته فى ثانى عشرى شوال.

ولما استقر السلطان بدمشق خلع فى سادس عشره على الأمراء وأهل الدولة، وشرع الصاحب فخر الدين الخليلى فى مصادرات أهل دمشق من الولاة والشادين ورسَّم على سنقر الأعسر شاد الدواوين، وعزل أسندمركرجى والى البر، وولى عوضه علاء الدين ابن الجاكى، وألزم الأعسر وسائر المباشرين بأموال جزيلة.

وفى رابع عشريه: قدم الملك المظفر صاحب حماة إلى دمشق، فتلقاه السلطان وأكرمه وخرج عسكر كبير إلى حلب.

وفى يوم الجمعة ثامن عشريه: صلى السلطان بالجامع الأموى، وخلع على خطيبه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

وفى يوم الإثنين ثانى ذى الحجة: عزل الأمير عز الدين أيبك الحموى عن نيابة دمشق، ووقعت الحوطة على خيوله وأمواله، واستقر فى نيابة دمشق الأمير سيف الدين أغرلو العادلى، وعمره نحو الثلاثين سنة، واستقر أيبك الحموى نائب دمشق على إقطاع أغرلو بديار مصر، وخلع عليه.

وفى ثامنه: استقر فى وزارة دمشق عوضًا عن تقى الدين توبة وكيل السلطان شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطاء الأذرعى الحنفى محتسب دمشق.

وفى ثانى عشره: خرج السلطان إلى حمص ليتصيد، فدخلها فى تاسع عشره، وحضر إليه نائب حلب وبقية النواب. وانسلخت هذه السنة والسلطان على جوسية[1] من قرى حمص بمخيمه، وكان قد اشتراها.

وفيها ولى الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد قاضى العسكر نقابة الأشراف بديار مصر، بعد وفاة الشريف عز الدين أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحلبى[2] واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق تقى الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة[3] بعد موت شرف الدين حسن بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر.

---

(١) هى قرية على مسافة ستة فراسخ من حلب، وموقعها بين جبل لبنان وجبل سنير. انظر، معجم البلدان ٢/١٥٤.

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، الشريف أبو العباس عز الدين الحسينى مؤرخ من الحفاظ. كان نقيب الأشراف بالديار المصرية. أصله من حلب ومولده ووفاته بمصر. ويقال له ابن الحلبى. انظر المنهل الصافى وشذرات الذهب ٥/٤٣٠ والتبيان وكشف الظنون ٢٠٢ والأعلام ١/٢٢١.

(٣) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقى الدين. ابن قدامة، المقدسى: فقيه حنبلى، مقدسى الأصل، دمشقى المولد والوفاة كان مسند الشام فى وقته. وله مشاركة فى العربية والفرائض=

وفيها استقر الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر محمد بن عمر بن على فى مملكة اليمن، بعد موت أخيه الأشرف ممهد الدين عمر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الأشرف عمر بن المظفر محمد بن المنصور عمر بن على بن رسول متملك اليمن، وقد قارب سبعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة ذو الرياستين تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العلامى الشامى بالقاهرة عن[.... [1]].

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شرف الدين أبو الفضائل الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن الحسن بن محمد بن قدامة المقدسى بدمشق، عن سبع وخمسين سنة.

وتوفى العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى، عن نحو خمس وستين سنة بدمشق.

وتوفى الصاحب محيى الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله ابن طارق بن سلامة بن النحاس الآمدى الحلبى الحنفى، بدمشق عن إحدى وثمانين سنة، وكانت قد انتهت إليه مشيخة فقه الحنفية، وولى قضاء حلب ثم وزارة دمشق.

وتوفى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عصرون التميمى الموصلى الشافعى، بدمشق عن خمس وثمانين سنة.

وتوفى المقرئ الزاهد شرف الدين أبو الثناء محمد بن أحمد بن مبادر بن ضحاك التاذفى[2] بدمشق عن إحدى وسبعين سنة.

=والحساب، ولى القضاء عشرين سنة. انظر تاريخ الصالحية ٩٨ والدرر الكامنة ١٤٦/٢ والبداية والنهاية ٧٥/١٤ ودول الإسلام ١٧١/٢ والدارس ٥٢/١ والأعلام ١٢٤/٣.

(١)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) نسبة إلى تاذف، وهى قرية من ناحية بزاعة بالشام، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. انظر، معجم البلدان ٨١١/١.

وتوفى السراج أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن الوراق الشاعر، عن نحو سبعين سنة.

وتوفى أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود الشافعى الفقيه الأديب، بمصر.

* * *



سنة ست وتسعين وستمائة

فى ثانى المحرم قدم السلطان من حمص إلى دمشق.

وفى يوم الجمعة رابعه: صلى صلاة الجمعة بالجامع الأموى، وأخذ قصصًا كثيرة رفعت إليه، ورأى بيد رجل قصة فتقدم إليه بنفسه ومشى عدة خطوات حتى أخذ القصة منه بيده.

وفى سابع عشره: أنعم على الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك السعيد بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب بإمرة طبلخاناه بدمشق.

وفى حادى عشريه: قبض على الأمير أسندمر كرجى، واعتقل بقلعة دمشق، وعزل سنقر الأعسر عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير فتح الدين عمر بن محمد ابن صيرة.

وفى بكرة يوم الثلاثاء ثانى عشريه: رحل السلطان من دمشق بعساكره يريد القاهرة، وقد توغرت صدور الأمراء وتواعدوا على الفتك به. فسار إلى أن نزل بالعوجاء قريبًا من الرملة، وحضر الأمراء عنده بالدهليز، فأمر بإحضار الأمير بيسرى فطلب طلبا حثيثًا، فلما حضر لم يقم له على عادته، وأغلظ له فى الكلام ونسبه إلى أنه كاتب التتار، فكانت بينهما مفاوضة، ثم نهض السلطان، وانفض الأمراء وقد حرك منهم ما كان عندهم كامنًا.

فاجتمعوا عند الأمير حسام لاجين النائب وفيهم بيسرى، وسألوه عما كان من السلطان فى حق بيسرى، فقال: «إن مماليك السلطان كتبوا عنك كتبًا إلى التتار، وأحضروها إليه وقالوا إنك كتبتها، ونيته القبض عليك إذا وصل إلى مصر، وأن يقبض علىَّ أيضًا وعلى أكابر الأمراء، ويقدم مماليكه». فأجمعوا عند ذلك على مبادرة السلطان، فركبوا يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم وقت الظهر: وهم لاجين بيسرى وقرا سنقر وقبجاق والحاج بهادر الحاجب فى آخرين، واستصحبوا معهم حمل نقارات[1] وساقوا ملبسين إلى باب الدهليز، وحركت النقارات حربيًا. فركب عدة من العادلية

---

(١) النقارات من الآلات الملكية المختصة بالمواكب العظيمة، وكانت تستخدم فى إصدار الأوامر وفى الإيذان ببدء القتال.

واقتتلوا، فتقدم تكلان العادلى فضربه الأمير لاجين فى وجهه ضربة أخذت منه جانبًا كبيرًا، وجرح تكلان فرس لاجين وقتل الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق العادلى فى خيمته، وقتل الأمير سيف الدين بتخاص العادلى، وقد فر إلى الدهليز فأدركوه بباب الدهليز فقتلوه، وجرحوا عدة من المماليك العادلية. فلم يثبت العادل، وخرج من ظهر الدهليز، وركب فرس النوبة ببغلطاق صدر، وعبر على قنطرة العوجاء يريد دمشق من غير أن يفطن به أحد، ولم يدركه سوى خمسة من مماليكه. وهجم لاجين على الدهليز فلم يجد العادل وبلغه أنه فر، فساق خلفه فلم يدركه ورجع إلى الدهليز، فلما عاينه الأمراء ترجلوا له ومشوا فى ركابه حتى نزل. فكانت مدة كتبغا، منذ جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجاء فى يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة، سنتين وسبعة عشر يوما.

* * *

السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى المعروف بالصغير(١)

كان أولا من جملة مماليك الملك المنصور على بن الملك المعز أيبك، فلما خلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما، من غير مالك شرعى، فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة ثانية، بحكم بيع قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غائب ببلاد الأشكرى. وعرف حين بيعه بشقير، فربى عند قلاوون وقيل له لاجين الصغير، وترقى فى خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية. ثم أمَّره قلاوون واستنابه بدمشق لما ملك، وهو لا يعرف إلا بلاجين الصغير، فشكرت سيرته فى النيابة، وأحبته الرعية لعفته عما فى أيديهم، فلما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق، ثم أفرج عنه وولاه إمرة السلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق. ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانيًا، ففر من داره بدمشق، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل، وأمر بخنقه قدام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بيدرا، وأعيد إلى الخدمة على عادته، واشترك مع بيدرا فى قتل الأشرف خليل(٢) ، كما تقدم ذكره. ثم اختفى خبره

---

(١) انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٩، وابن إياس ١٣٦/١، والنجوم الزاهرة ٨٥/٨، والأعلام ٢٣٨/٥.

(٢) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور من =

مدة، وتنقل فى المدن إلى أن تحدث الأمير زين الدين كتبغا فى أمره، فعفى عنه وأعيد إلى إمرته كما كان. فلما صار زين الدين كتبغا سلطانا، استقر لاجين فى نيابة السلطنة بديار مصر، إلى أن ركب على كتبغا وفر منه، فنزل بالدهليز من العوجاء وقيل من اللجون.

واجتمع الأمراء عنده، وهم بدر الدين بيسرى الشمسى، وشمس الدين قرا سنقر المنصورى، وسيف الدين قبجاق، وسيف الدين بهادر الحاج أمير حاجب، وسيف الدين كرد، وحسام الدين لاجين السلاح دار الرومى أستادار، وبدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، وعز الدين أيبك الخازندار، وجمال الدين أقوش الموصلى، ومبارز الدين أمير شكار، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وسيف الدين سلار، وسيف الدين طغى، وسيف الدين كرجى، وعز الدين طقطاى، وسيف الدين برلطاى فى آخرين، حتى حملت الخزائن على البغال ورمى الدهليز. وساروا فى خدمة لاجين إلى قريب المغرب، ونزلوا قريبًا من يازور[1] وحضروا بأجمعهم بين يدى لاجين واتفقوا على سلطنته، وشرطوا عليه أن يكون معهم كأحدهم، ولا ينفرد برأى دونهم، ولا يبسط أيدى مماليك ولا يقدمهم، وحلفوه على ذلك. فلما حلف قال له الأمير قبجاق المنصورى: «نخشى أنك إذا جلست فى منصب السلطنة تنسى هذا الذى تقرر بيننا وبينك، وتقدم مماليك وتخول مملوكك منكوتمر علينا، فيصيبنا منه ما أصابنا من مماليك كتبغا». وكان منكوتمر مملوك لاجين، وكان يوده ويؤثره، وله عنده مكانة متمكنة من قلبه. فحلف لاجين مرة ثانية أنه لا يفعل ذلك، ولا يخرج عما التزمه وشرطوه عليه، فحلف له الأمراء وأرباب الدولة. وتلقب بالملك المنصور، وركب بشعار السلطنة فى يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم، وبات تلك الليلة ورحل إلى سكرير ومنها إلى غزة يريد الديار المصرية، فلما دخل غزة حمل الأمير بيسرى الجتر على رأسه، فخطب له بغزة والقدس وصفد والكرك ونابلس، وضربت بها البشائر.

وهذا وقد ركب البريد من غزة، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الأمراء. ورسم السلطان لاجين فى غزة بمسامحة أهل مصر والشام بالبواقى، ثم سار منها فى يوم الخميس أول صفر. ونزل ظاهر بلبيس فى ثامنه،

ملوك مصر ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ واستفتح الملك بالجهاد. قتله بعض المماليك غيلة بمصر.

انظر فوات الوفيات ١٥١/١ ودائرة البستانى وابن الوردى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن إياس ٢٢١/١ ووليم موير ٦٢ والأعلام ٣٢١/٢.

(١) هى بليدة بسواحل الرملة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ١٠٢/٤.

وقد خرج إليه أمراء مصر وحلفوا له، ثم سار منها ضحوة وبات مسجد تبر، وركب بكرة يوم الجمعة تاسعه إلى قلعة الجبل. ثم ركب إلى الميدان السلطانى بشعار السلطنة على العادة، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وعليه الخلعة الخليفتية وهى جبة سوداء بزيق [(١)] وأكمام واسعة والتقليد محمول بين يديه، حتى عاد إلى القلعة والخليفة إلى جانبه، وذلك فى يوم الخميس خامس عشره.

وفى يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هى عليه، فسر الناس به، فإن القمح كان أربعين درهما الأردب إلى ما دونها، فأبيع بعشرين، وكان الشعير بثلاثين درهما الأردب، فأبيع بعشرة، وكان الرطل اللحم بدرهم ونصف، فأبيع بدرهم وربع، ودرَّت الأرزاق وكثر الخير.

وفوض السلطان لاجين نيابة السلطنة بديار مصر إلى الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى، واستمر بالصاحب فخر الدين بن الخليلى فى الوزارة، وجعل الأمير سيف الدين سلار أستادارا، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار أمير جاندار، والأمير سيف الدين بهادر الحاج حاجبا، والأمير سيف الدين قبجاق المنصورى نائب الشام، ومنع الوزير من الظلم وأخذ المواريث بغير حق، وألا يطرح البضائع على التجار، فكثر الدعاء له.

وأما كتبغا فإنه قدم قبله إلى دمشق أمير شكاره وهو مجروح، ليعلم الأمير أغرلو نائب دمشق بما وقع، فوصل فى يوم الأربعاء سلخ المحرم، فكثر بدمشق القال والقيل، وألبس أغرلو العسكر السلاح ووقفوا خارج باب النصر. فوصل كتبغا فى أربعة أنفس قبل الغروب وصعد القلعة، وحضر إليه الأمراء والقضاة وجددت له الأيمان، ثم أوقع الحوطة على أموال لاجين. وقدم فى أول صفر الأمير زين الدين غلبك العادلى بطائفة من المماليك العادلية، وجلس شهاب الدين الحنفى وزير الملك العادل كتبغا فى الوزارة بالقلعة، ورتب الأمور وأحوال السلطنة. فاشتهرت بدمشق سلطنة لاجين فى يوم ثالث عشره، وأن البشائر دقت بصفد ونابلس والكرك. فصار كتبغا مقيما بقلعة دمشق لا ينزل منها، وبعث الأمير سيف الدين طقصبا الناصرى فى جماعة لكشف الخبر، فعادوا وأخبروا بصحة سلطنة لاجين. فأمَّر كتبغا جماعة من دمشق، وأبطل عدة مكوس فى يوم الجمعة سادس عشره، وكتب بذلك توقيعًا قرئ بالجامع.

---

(١) الزيق: ما يُكف به جيب القميص، يقال: عمل للجيب زيقا: خاطه به لتقويته، جمع أزياق، وزيقة انظر المعجم الوسيط (زيق).

فبعث الملك المنصور لاجين من مصر الأمير سنقر الأعسر وكان فى خدمته بمصر فوصل إلى ظاهر دمشق فى رابع عشره، وأقام ثلاثة أيام، وفرق عدة كتب على الأمراء وغيرهم وأخذ الأجوبة عنها، وحلف الأمراء. وسار إلى قارا[1] وكان بها عدة أمراء مجردين فحلفهم وحلف عدة من الناس، وكتب بذلك كله إلى مصر. وسار إلى لدّ، فأقام بها فى جماعة كبيرة لحفظ البلاد، ولم يعلم كتبغا بشىء من ذلك.

فلما كان يوم السبت رابع عشريه: وصل الأمير سيف الدين كجكن وعدة من الأمراء كانوا مجردين بالرحبة، فلم يدخلوا دمشق، ونزلوا بميدان الحصا قريبًا من مسجد القدم، فأعلنوا باسم السلطان الملك المنصور لاجين، وراسلوا الأمراء بدمشق فخرجوا إليهم طائفة بعد طائفة. وانحل أمر كتبغا، فتدارك نفسه وقال للأمراء: «السلطان الملك المنصور خوشداشى، وأنا فى خدمته وطاعته، وأنا أكون فى بعض القاعات بالقلعة إلى أن يكاتب السلطان ويرد جوابه بما يقتضيه فى أمرى» فأدخله الأمير جاغان الحسامى مكانًا من القلعة. واجتمع الأمراء بباب الميدان، وحلفوا للملك المنصور وكتبوا إليه بذلك، وحفظ جاغان القلعة ورتب بها من يحفظ كتبغا، وغلقت أبواب دمشق كلها إلا باب النصر، وركب العسكر بالسلاح ظاهر دمشق، وأحاط جماعة بالقلعة خوفا من خروج كتبغا وتحيزه فى جهة أخرج. وكثر كلام الناس واختلفت أقوالهم، وعظم اجتماعهم بظاهر دمشق حتى أنه سقط فى الخندق جماعة لشدة الزحام فيما بين باب النصر وباب القلعة، فمات نحو العشرة.

واستمر الحال على هذا يوم السبت المذكور، ثم دقت البشائر بعد العصر على القلعة وأعلن بالدعاء للملك المنصور، ودعى له على المآذن فى ليلة الأحد، وضربت البشائر على أبواب الأمراء. وفتحت الأبواب فى يوم الأحد، وحضر الأمراء والقضاة بدار السعادة وحلفوا الأمراء بحضور الأمير أغرلو نائب الشام، وحلف هو وأظهر السرور. وركب أغرلو والأمير جاغان البريد إلى مصر، وبلغ ذلك الأمير سنقر الأعسر بلدّ، فنهض إلى دمشق ودخلها يوم الخميس تاسع عشريه، وقد تلقاه الناس وأشعلوا له الشموع، وأتاه الأعيان، ونودى من له مظلمة فعليه بباب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر.

وفى يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول: خطب بدمشق للملك المنصور.

فلما كان يوم الجمعة ثامنه: وصل الأمير حسام الدين الأستادار بعسكر مصر

---

(١) قرية كبيرة على الطريق من حمص إلى دمشق. انظر، معجم البلدان ٤/١٢، ١٣.

ليحلف الأمراء، فحلفوا بدار السعادة فى يوم السبت تاسعه، وقرئ عليهم كتاب الملك المنصور باستقراره فى الملك وجلوسه على تخت الملك بقلعة الجبل، واجتماع الكلمة عليه وركوبه بالتشاريف الخليفتية والتقليد بين يديه من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: وصل الأمير جاغان الحسامى من مصر، وحلف كتبغا يمينًا مستوفاة مغلظة بحضرة الأمير حسام الدين الأستادار، والأمير سيف الدين كجكن، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة على أنه فى طاعة الملك المنصور وموافقته، وقد أخلص النية له ورضى بالمكان الذى عينه له وهو قلعة صرخد[1] وأنه لا يكاتب ولا يشاور ولا يستفسد أحدًا.

وفيه استقر تقى الدين توبة فى وزارة دمشق، واستقر أمين الدين بن هلال فى نظر الخزانة، عوضًا عن تقى الدين توبة، واستقر الشيخ أمين الدين يوسف الرومى فى حسبة دمشق.

وفى سادس عشره: وصل الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب دمشق من مصر، ونزل بدار السعادة على عادة النواب.

وفى ليلة الثلاثاء تاسع عشره: خرج كتبغا من قلعة دمشق إلى قلعة صرخد ومعه مماليكه، وجرد من دمشق معه نحو المائتى فارس ساروا به حتى عبر قلعة صرخد ثم رجعوا، فكانت مدة مفارقته الدهليز من العوجاء إلى أن خلع نفسه بدمشق فى يوم السبت رابع عشرى صفر أربعة وثلاثين يوما، وجهز إليه ابنه أنص وأهله.

ووصل إلى دمشق نحو ستمائة تشريف فرّقت على الأمراء والقضاة والأعيان، ولبسوها يوم الإثنين ثانى شهر ربيع الآخر.

وأفرج الملك المنصور عن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وجعله أحد الأمراء، وعن الأمير سيف الدين برلغى وبعثه إلى دمشق على إمرة بها، وعن الأمير سيف الدين اللقمانى، وعن جماعة من المماليك السلطانية الذين كانوا بدمياط والإسكندرية وبخزانة البنود من القاهرة وبخزانة شمايل. فكان لهم يوم مشهود، فإنه كان فيهم خمسة وعشرون أميرًا، أنعم على جميعهم وخلع عليهم.

وفيها أمّر السلطان لاجين جماعة من مماليكه، فأعطى مملوكه سيف الدين منكوتمر إمرة، ومملكوه علاء الدين أيدغدى شقير إمرة، ومملوكه سيف الدين جاغان إمرة، ومملوكه سيف الدين بهادر المعزى إمرة.

---

(١) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. انظر، معجم البلدان ٣/٤١

وتقدم السلطان إلى الأمير علم الدين الدواداري بعمارة الجامع الطولوني، وعين لذلك عشرين ألف دينار عينا، فعمَّره وعمَّر أوقافه، وأوقف منية أندونة[١] من الأعمال الجيزية عليه، ورتب فيه درس تفسير ودرس حديث نبوي، وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربعة، ودرسًا للطب وشيخ ميعاد[٢] ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن.

وسبب ذلك أنه لما هرب في وقعة بيدرا من بر الجيزة[٣] واختفى بمنارة الجامع الطولوني وكان إذ ذاك مهدورًا لا يوقد به سوى سراج واحد في الليل، ولا يؤذن أحد بمنارته، وإنما يقف شخص على بابه ويؤذن فأقام به مدة لم يظهر خبره، فأراد أن يكون من شكر نعمة الله عليه عمارة هذا الجامع فعُمِّر، وهو الآن بحمد الله عامر بعمارته له.

وفيها كتب السلطان لاجين إلى الأشكري بالقسطنطينية أن يجهز أولاد الملك الظاهر بيبرس إلى القاهرة مكرمين، فجهز الملك المسعود نجم الدين خضر ووالدته وحرمه، وكان الملك العادل بدر الدين سلامش قد مات بالقسطنطينية سنة تسعين وستمائة، فأحضر في تابوت مصبرا، فدفن بقرافة مصر. وقدم الملك السعيد خضر إلى السلطان، وسأل الإذن بالحج، فأذن له وسافر مع الركب.

وفيها نقل الخليفة الحاكم بأمر الله من البرج بقلعة الجبل إلى مناظر الكبش بجوار الجامع الطولوني، وأجرى له ما يكفيه. وبعث إليه الملك المنصور بمال سني، وصار يركب مع السلطان في الموكب.

وفيها قدم من قضاة دمشق وأعيانها جماعة، منهم قاضي القضاة حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن قاضي القضاة تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازي الحنفي الرومي، فولاه السلطان قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي، وعامله من الإكرام بما لم يعامل به أحدًا، وأقر ولده جلال الدين أبا المفاخر على قضاء القضاة الحنفية بدمشق. وقدم أيضا قاضي القضاة إمام الدين عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عبد الكريم القزويني الشامي - أنوشروان [٤] فعرض السلطان عليه قضاء القضاة بديار مصر، فلم يقبل واختار

---

(١) تقع تلك القرية بمديرية الجيزة بمصر. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ٥٩/١٦.

(٢) الميعاد درس ديني للوعظ والإرشاد، والحث على التقوى. انظر القلقشندي، صبح الأعشى ٣٨٠/٣.

(٣) بليدة في غربي فسطاط مصر قبالتها. وهي من أفضل كور مصر. انظر، معجم البلدان ٢٠٠/٢.

(٤) عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، إمام الدين، أبو القاسم الكرخي التميمي القزويني=

دمشق، فولاه قضاء القضاة بدمشق فى رابع جمادى الأولى، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر ابن جماعة فى خطابة جامع دمشق وتدريس القيمرية بها. وقدم أيضًا قاضى القضاة جمال الدين يوسف الزواوى المالكى، فأعيد إلى ولايته بدمشق، وخلع عليه وعلى إمام الدين القزوينى، فعادا إلى دمشق فى ثامن شهر رجب. وقدم أيضًا عز الدين حمزة بن القلانسى، فأكرمه السلطان وخلع عليه، واستعاد له من ورثة الملك المنصور قلاوون، ما كان قد أخذ منه، وعاد إلى دمشق فى خامس عشرى رمضان.

وفيها ظهر بأرض مصر فأر كثير أتلف الزروع، حتى لم يؤخذ منه إلا اليسير. وعزل الأمير فتح الدين عمر بن صبرة عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير سيف الدين جاغان الحسامى فى ثامن عشر رجب.

وفى هذه السنة: طلب السلطان الأمير سنقر الأعسر من دمشق فى شهر رجب، فركب البريد إلى القاهرة. ولما حضر أكرمه السلطان وجعله من أمراء مصر، ثم ولاه الوزارة بديار مصر فى سادس عشريه، وسلمه الصاحب فخر الدين بن الخليلى، فألزمه بمائة ألف دينار وقبض على أتباعه. واشتدت حرمته وعظمت مهابته، فلا يراجع ولا يخاطب إلا جوابا.

وفيها توقف النيل عن الزيادة قبل الوفاء، فتزايد السعر، وبلغ فى ذى القعدة الأردب القمح خمسة وأربعين درهمًا، ثم انحل السعر.

وفى يوم الثلاثاء النصف من ذى القعدة: قبض على الأمير شمس الدين قرا سنقر نائب السلطنة، وعلى جماعة من الأمراء واعتقلوا، وأحيط بموجود قرا سنقر الذى بمصر والشام، وضرب كاتبه شرف الدين يعقوب حتى مات تحت الضرب، وضُيِّق على نوابه ودواوينه. وأراد السلطان إقامة مملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى فى نيابة السلطنة، فعارضه الأمراء وغضبوا من منكوتمر، فشق ذلك عليه وأراد تفريقهم، فبعث طغريل الإيغانى إلى الكشف بالشرقية. وسنقر المساح إلى كشف الغربية، وبيسرى إلى كشف الجيزة، ثم قبض على قرا سنقر النائب والحاج بهادر وعز الدين أيبك الحموى وسنقر شاه الظاهرى والأقوش وعبد الله وكورى والشيخ على، وقيدوا. وولى منكوتمر النيابة من غد مسكهم فى عشرى ذى القعدة واستقر فى نيابة السلطنة.

=الشافعى: فقيه من العلماء، تنعت بقاضى القضاة. ولد بتبريز ثم جاء إلى مصر. فتألم فى الطريق، وتوفى بالقاهرة بعد أسبوع. انظر شذرات الذهب ٤٥١/٥ وهدية العارفين ٧٨٨/١ والأعلام ٤٩/٥.

وفيه ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، فتقنطر عن الفرس وانكسر أحد جانبى يده اليمنى، وتهشم بعض أضلاعه وانصدعت رجله. وخيف عليه، فكسر المجبرون عظم الجانب الآخر من يده حتى يتم لهم الجبر، فإنه قصر عن الجانب الآخر، وكان قد توقف السلطان عن موافقتهم، فقال له الوزير سنقر الأعسر: «أنا حصل لى مثل هذا، فلما احتجت إلى كسر النصف الآخر ضربته بدقماق حديد، فانكسر ثم جبر» وكلمه بجفاء وغلظة واستخفاف من غير أدب. فاحتمل السلطان ذلك منه، وأجاب المجبرين لما قصدوه، وأسر لسنقر الأعسر فى نفسه.

فلما كان فى يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة: قبض عليه، ولم يول أحدا غيره.

وفى هذه السنة: كان الأردب القمح من أربعين درهمًا إلى خمسين، والأردب الشعير بثلاثين، واللحم بدرهمين ونصف الرطل. فنزل القمح إلى عشرين، والشعير إلى عشرة دراهم، واللحم إلى درهم وربع.

وفيها كتب بمسامحة أهل النواحى بما عليهم من بواقى الخراج المنكسرة.

وفى هذه السنة: منع السلطان من لبس الكلفتاه[١] الزركش والطرز الزركش والأقبية الحرير العظيمة الثمن، واقتصد هو وخواصه فى الملبس. وجلس بدار العدل يومين فى الأسبوع لسماع شكوى المتظلمين، وأعرض عن اللهو جملة ومقت من يعانيه، وصام شهرى رجب وشعبان، وتصدق فى السر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة الحنبلى عز الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى[٢] عن خمس وستين سنة بالقاهرة فى صفر.

وتوفى قاضى الحنفية بحلب تاج الدين أبو المعالى عبد القادر بن عزالدين أبى عبد الله محمد بن أبى الكرم بن عبد الرحمن علوى السنجارى، عن ثلاث وسبعين سنة بحلب، وهو معزول.

---

(١) غطاء للرأس.

(٢) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض، أبو حفص، عز الدين الشامى المقدسى الحنبلى المعروف بابن عوض: قاض القضاة بالديار المصرية. أفتى ودرس. توفى بالقاهرة. انظر شذرات الذهب ٤٣٦/٥ ومجلة الكتاب ١٣٠١/٤ والأعلام ٥٢/٥.

وتوفى ضياء الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن عبد القاهر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف بن النصيبى الحلبى وزير حماة، عن ثمان وسبعين سنة بحلب.

وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الظاهرى الحلبى الحنفى[١] شيخ الحديث، عن سبعين سنة، بزاويته خارج القاهرة فى ربيع الأول.

وتوفى عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصرى الحنبلى، بالمدينة النبوية عن إحدى وسبعين سنة، بعدما جاور بها خمسين سنة.

وتوفى الأديب سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن جعفر السامرى[٢] بدمشق عن ست وسبعين سنة، وكان هجَّاء.

وتوفى الشريف الحافظ عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على ابن محمد بن محمد الحسينى، المعروف بابن الحلبى، نقيب الأشراف بديار مصر، فى[....... [٣]] ومولده سنة ست وثلاثين.

* * *

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس، جمال الدين بن الظاهرى: من حفاظ الحديث، حلبى المولد والمنشأ كتب عن ٧٠٠ شيخ، بالشام والجزيرة ومصر. وكان ثقة. توفى بظاهر القاهرة. انظر كشف الظنون ١٦٩٦/٢ وشذرات الذهب ٤٣٥/٥ ودارالكتاب ٨٣/١ والأعلام ٢٢١/١.

(٢) أحمد بن محمد بن على بن جعفر: أديب له شعر أجوده هجوه. أصله من سامراء ونسبته إليها. انتقل إلى الشام بأمواله، فسكنها وحظى عند صاحبها الملك الناصر وامتدحه. انظر فوات الوفيات ٦٥/١،٦٨ والأعلام ٢٢١/١.

(٣)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة سبع وتسعين وستمائة

فيها قدم الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من بلاد الأشكرى إلى القاهرة، بشفاعة أخته امرأة السلطان الملك المنصور لاجين، ومعه أمه وأخوه الملك العادل سلامش وقد مات وصبَّر، فدفن سلامش بالقرافة. وكان السلطان قد احتفل لقدومهم، وأخرج الأمراء إلى لقائهم وبالغ فى إكرامهم، وأجرى على الملك المسعود الرواتب وجهزه للحج.

وفيه توجه الأمير سيف الدين سلار أستادار إلى الكرك، وأحضر ما كان بها من الأموال، وقدم معه الأمير جمال الدين أقش نائب الكرك، فخلع عليه وأعيد إلى نيابته.

وفى حادى عشرى صفر: ركب السلطان، بعدما انقطع لما به من كسر يده نحو الشهرين، ونزل إلى الميدان، ودقت البشائر، وزينت القاهرة ومصر، وكتب بالبشائر إلى الأعمال بذلك. وكان يوم ركوبه من الأيام المشهودة، اجتمع الناس لرؤيته من كل مكان، وأخذ أصحاب الحوانيت من كل شخص أجرة جلوسه نصف درهم فضة، واستأجر الناس البيوت بأموال جزيلة فرحا به، فإنه كان محبًّا إلى الناس. وعاد السلطان من الميدان ، فألبس الأمراء، وفرق الصدقات فى الفقراء، وأفرج عن المحابيس.

وفى هذا الشهر: استدعى السلطان قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، وصى الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقال له: «الملك الناصر ابن أستاذى، وأنا قائم فى السلطنة كالنائب عنه إلى أن يحسن القيام بأمرها، والرأى أن يتوجه إلى الكرك» وأمره بتجهيزه. ثم قال السلطان للملك الناصر محمد بن قلاوون: «لو علمت أنهم يخلوك سلطانا والله تركت الملك لك، لكنهم لا يخلونه لك. وأنا مملوكك ومملوك والدك، أحفظ لك الملك ، وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتحرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك، بشرط أنك تعطينى دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فيها». فقال له الناصر: «فاحلف لى أن تُبقى على نفسى وأنا أروح» فحلف كل منهما على ما أراده الآخر. فخرج الناصر فى أواخر صفر، ومعه الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، والأمير سيف الدين بهادر الحموى، والأمير أرغون الدوادار، وطيدمر جوباش رأس نوبة الجمدارية، فوصل إلى الكرك فى رابع ربيع الأول، فقام لخدمته الأمير جمال الدين أقوش الأشرف نائب الكرك.

وفى يوم الإثنين سادسه: قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، وعلى الأمير شمس الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب، والأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهرى، وسبب ذلك أن منكوتمر فى مدة ضعف السلطان كان هو الذى يعلّم عنه على التواقيع والكتب، وصار يخشى أن يموت السلطان ولم يكن له ولد ذكر، فيجعل بعده فى السلطنة بيسرى، وكان يكره منكوتمر. فحسَّن منكوتمر لمن خيل السلطان من ذلك وأن يعهد لأحد، فاقتضى رأيه أن يجعل الأمير منكوتمر ولى عهده، ويقرن اسمه باسمه فى الخطبة والسكة، واستشار فى ذلك الأمير بيسرى فرده ردًّا خشنًا، وقال: «منكوتمر لا يجىء منه جندى، وقد أمَّرته وجعلته نائب السلطنة، ومشَّيت الأمراء والجيوش فى خدمته فامتثلوه رضاء لك، مع ما تقدم من حلفك ألا تقدم مماليكك على الأمراء ولا تمكنهم منهم، فما قنعت بهذا حتى تريد أن تجعله سلطانا، وهذا لا يوافقك أحد عليه» ونهاه أن يذكر هذا لغيره وخوفه العاقبة، وانصرف عنه، فلشدة محبة السلطان فى منكوتمر أعلمه بما كان من بيسرى، فأسرها فى نفسه وعاداه وأخذ يدبر عليه وعلى الأمراء، ويغرى السلطان به وبهم.

واتفق مجىء الخبر بالحلف بين المغل، وخروج التجريدة إلى سيس، فلما تفرق الأمراء ولم يبق من يخافه منكوتمر توجه إلى الأمير بيسرى. واستمال أستاداره بهاء الدين أرسلان بن بيليك حتى صار من خواصه، ورتبه فيما يقوله. ثم حسَّن منكوتمر للسلطان أن ينتدب بيسرى لكشف جسور الجيزة، فتقدم له بذلك مع أنها غض منه، إذ محله أجلُّ من ذلك، فلم يأب وخرج إلى الجيزة بمماليكه وأتباعه، وصار يحضر الخدمة السلطانية بالقلعة فى يومى الإثنين والخميس، ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشى حسام الدين بلال المغيثى لأجل تقدمه، ويعود إلى الجيزة حتى أتقن عمل الجسور.

فلما تكامل إتقان الجسور استأذن بيسرى السلطان فى عمل ضيافة له، فإذن فى ذلك، فاهتم لها اهتمامًا زائدًا ليحضر إليه السلطان بالجيزة. فأمكنت الفرصة منكوتمر ووجد سبيلا إلى بيسرى، فخدع أرسلان أستادار بيسرى ورتبه فى كلام يقوله السلطان، ووعده بإمرة طبلخاناه. فانخدع أرسلان ودخل مع منكوتمر إلى السلطان، وقال له بأن «بيسرى رتب أنه يقبض عليك إذا حضرت لضيافته» فتخيل السلطان من قوله.

واتفق أن بيسرى بعث إلى منكوتمر يطلب منه الدهليز السلطانى، لينصبه السلطان فى مكان المهم، فبعثه إليه من غير أن يعلم السلطان. فلما مر الدهليز على الجمال من تحت القلعة ليتوجهوا به إلى الجيزة رآه السلطان، فأنكر ذلك وبعث إلى منكوتمر يسأل منه.

فأنكر أن يكون له علم به، وقال: إنما بيسرى استدعى به من مقدم الفراشين، وأخذه مماليكه من الفرش خاناه بغير إذن، وشرع يحتج لصدق ما قاله أرسلان بهذا. فرد السلطان الدهليز إلى الفرش خاناه ، وغلب على ظنه صدق ما نُقل له عن بيسرى.

ولما وقع ذلك أطلع عليه بعض الأمراء الأكابر، فبعث أحدهم وهو الأمير سيف الدين طقجى الأشرفى يعلم بيسرى بما جرى، ويعده بأنه معه هو جماعة من الأمراء، فلم يلتفت إلى قوله. فبعث أرغون أحد مماليك السلطان إلى بيسرى بالخبر على جليته، وحذره من الحضور إلى خدمة السلطان، وأنه إن حضر أن يكون على استعداد. فلما أراده الله حضر بيسرى يوم الإثنين المذكور إلى الخدمة على العادة، فقام له السلطان على عادته وأجلسه بجانبه. فلما قدم السماط لم يأكل بيسرى واعتذر بأنه صائم، فأمر السلطان برفع مجمع من الطعام برسم فطوره فرفع له، وأخذ يحادثه حتى رفع السماط. وخرج الأمراء وقام الأمير بيسرى معهم، فلما مشى عدة خطوات استدعاه السلطان إليه وحدثه طويلا، وكان الحجاب والنقباء يستحثون الأمراء على الخروج. ثم قام بيسرى من عند السطان ومشى خطوات، فاستدعاه السلطان ثانيا فعاد، وحدثه أيضًا حتى علم أن المجلس والدهاليز لم يبق بها أحد سوى مماليك السلطان فقط، فتركه. فقام بيسرى ومشى، فاعترضه سيف الدين طقجى وعلاء الدين أيدغدى شقير، وعدلا به إلى جهة أخرى، وقبض أيدغدى شقير على سيفه وأخذه من وسطه، فنظر إليه طقجى وبكى، وجبذاه إلى القاعة الصالحية فاعتقل بها. فارتجت القلعة، وطار الخبر إلى القاهرة فأغلق باب زويلة وماج الناس، ثم فتح باب زويلة. ووقعت الحوطة على جميع موجوده، وقبض على جماعة من مماليكه ثم أفرج عنهم وأقام بيسرى فى القاعة مكرما، وحملت إليه امرأته وهى والدة أحمد بن السلطان الملك المنصور. فما زال معتقلا حتى مات. ومن العجب أن كلا من السلطان وبيسرى أتى عليه فى هذه من أخص أصحابه: فإن أرسلان ابن بدر الدين بيليك أمير مجلس، وكان بدر الدين هذا مملوما للأمير بيسرى، ورباه بيسرى كالولد حتى كبر، وقدمه على أكابر مماليكه وعمله أستاداره، وبالغ فى الإحسان إليه حتى أنه أعطاه فى يوم واحد سبعين فرسا، وكان هو السبب فى سلب نعَمته كما ذكر. وأرغون كان أخص مماليك السلطان وأقربهم إليه، فأفشى سره إلى بيسرى من حنقه لأن غيره من المماليك أخذ إمرة طبلخاناه وأعطى هو إمرة عشرة، فبقى فى نفسه لذلك إحنة.

ولما قبض على بيسرى والأمراء نفرت القلوب، وأكدت الوحشة موت عشرة أمراء فى خمسة أيام، فاتهم السلطان بأنه سمهم.

وفى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر: أقيمت الخطبة بالمدرسة المعظمية، بفسخ قاسيون خارج دمشق.

وفى سابع عشره: أعيد الصاحب فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلى إلى الوزارة بديار مصر، فتتبع ألزام الأمير سنقر الأعسر، وأحض أستاداره سيف الدين كيكلدى من دمشق وأحاط بموجوده.

وفى جمادى الأولى: قبض السلطان على جماعة من أمراء مصر. وصرف بهاء الدين [.... [1]] الحلى عن نظر الجيش، وأخذ خطه بألف ألف درهم، واستدعى عماد الدين [.... [2]] بن المنذر ناظر الجيش بحلب، واستكتب إلى أن حضر أمين الدين[...][3] بن الرقاقى. وسبب ذلك أن ابن الحلى كان قد استشاره السلطان فى تولية منكوتمر النيابة، فقال له: «إن دولة السعيد ما أخربها إلا كوندك، ودولة الأشرف أخربها بيدرا، ودولة العادل تلفت بسبب مماليكه، ومنكوتمر شاب كبير النفس لا يرجع لأحد، ويخاف من تحكمه وقوع فساد كبير». فسكت عنه السلطان وأعلم منكوتمر بذلك، فأخذ منكوتمر يعاديه حتى أنه لما ولى النيابة ودخل عليه قال له: «يا قاضى! هذا ببركة وعظك للسلطان» فأطرق. وأخذ منكوتمر يغرى السلطان به، ويذكر سعة أمواله بمصر والشام، وأنه كثير اللعب. وكان ابن الحلى يحب بعض المماليك الخاصكية، فترصده منكوتمر حتى علم أنه عنده فأعلم بذلك السلطان، فأرسل إليه الطواشى المقدم فى عدة نقباء، فهجموا على بستانه بالقرب من الميدان وأخذوه والمملوك، فسلم إلى الأمير أقوش الرومى، وقبض على حواشيه وأحيط بموجوده مصرًا وشامًا.

وفيه قدم البريد بأن رجل من قرية جينين بالساحل ماتت امرأته، فلما دفنها وعاد إلى منزله تذكر أنه نسى فى القبر منديلا فيه مبلغ دراهم، فأخذ فقيه القرية ونبش القبر ليأخذ المال، والفقيه على شفير القبر، فإذا بالمرأة جالسة مكتوفة بشعرها ورجلاها أيضًا قد ربطا بشعرها، فحاول حلَّ كتفها فلم يقدر، فأخذ يجهد نفسه فى ذلك، فخسف به وبالمرأة إلى حيث لم يعلم لهما خبر؛ فغشى على فقيه القرية مدة يوم وليلة. فبعث السلطان بخبر هذه الحادثة وما قد كتب به من الشام فيها إلى الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فوقف عليه وأراه الناس ليعتبروا بذلك.

---

(١)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣)ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الخلف بين طقطاى وطائفة نغية حتى قتل منهم كثير من المغل، وانكسر الملك طقطاى، وأن غازان قتل وزيره نيروز وعدة ممن يلوذ به. فاتفق الرأى على أخذ سيس ما دام الخلف بين المغل، وأن يخرج الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ومعه ثلاثة أمراء وعشرة آلاف فارس؛ وكتب لنائب الشام بتجريد الأمير بيبرس الجالق وغيره من أمراء دمشق وصفد وطرابلس، وعرض الجيش. فى[...][١] جمادى الأولى. فلما تجهزوا سار الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى إلى غزاة سيس، ومعه من الأمراء حسام الدين لاجين الرومى الأستادار وشمس الدين أقسنقر كرتاى ومضافيهم، فدخلوا دمشق فى خامس جمادى الآخرة، وخرج معهم منها الأمير بيبرس الجالق العجمى والأمير سيف الدين كجكن والأمير بهاء الدين قرا أرسلان ومضافيهم فى ثامنه، وساروا بعسكر صفد وحمص وبلاد الساحل وطرابلس والملك المظفر تقى الدين محمود صاحب حماة. فلما بلغ مسيرهم متملك سيس بعث إلى السلطان يسأله العفو، فلم يجبه.

ووصلت هذه العساكر إلى حلب، وجهز السلطان الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بمضافيه من القاهرة ليلحق بهم، فأدرك العساكر بحلب. وخرجوا منها بعسكر حلب إلى العمق، وهو عشرة آلاف فارس، فتوجه الأمير بدر الدين بكتاش فى طائفة من عقبة بغراس إلى إسكندرونة، ونازلوا تل حمدون، وتوجه الملك المظفر[٢] صاحب حماة والأمير علم الدين سنجر الدوادراى والأمير شمس الدين أقسنقر كرتاى فى بقية الجيش إلى نهر جهان، ودخلوا جميعًا دربند سيس فى يوم الخميس رابع رجب. وهناك اختلفوا، فأشار الأمير بكتاش بالحصار ومنازلة القلاع، وأشار سنجر الدوادارى بالغارة فقط، وأراد أن يكون مقدم العسكر، ومنع الأمير بكتاش من الحصار ومنازلة القلاع فلم ينازعه. فوافقه بكتاش وقطعوا نهر جهان للغارة، ونزل صاحب حماة على مدينة سيس، وسار الأمير بكتاش إلى أذنة، واجتمعت العساكر جميعها عليها بعد أن قتلوا من ظفروا به من الأرمن وساقوا الأبقار والجواميس. ثم عادوا من أذنة إلى المصيصة بعد الغارة، وأقاموا عليها ثلاثة أيام حتى نصبوا جسرًا مرت عليه العساكر إلى

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) محمود المظفر بن محمد المنصور بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، تولاها بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ وجاءه التقليد بها وبالمعرة وبارين من السلطان المنصور قلاوون فى أوائل سنة ٦٨٤هـ واستمر إلى أن توفى. انظر النجوم الزاهرة ٥٨/٨ وأبو الفداء ٤١/٤ وابن الوردى ٢٣٢/٢ والبداية والنهاية ٥/١٤ وشذرات الذهب ٤٤٢/٥ ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ والأعلام ٢٢٩/٧.

بغراس، ونزلوا بمرج أنطاكية ثلاثة أيام، ثم رحلوا إلى جسر الحديد يريدون العود إلى مصر.

وكان الأمير بكتاش لما نازعه الدوادارى فى التقدمة على العساكر، ومنعه من الحصار، قد كتب إلى الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بذلك ليطالع به السلطان، فكتب بالخبر إلى السلطان. فورد الجواب إلى الأمراء بالإنكار على الدوادارى فى تقدمه على الأمير بكتاش، وكونه اقتصر على الغارة، وأنه لم يخرج إلا على مضافيه، وأن التقدمة على سائر العساكر للأمير بكتاش وأن العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون، وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية.

فعادت العساكر من الروج[1] إلى حلب وأقاموا بها ثمانية أيام، وتوجهوا إلى سيس من عقبة بغراس. وسار كجكن وقرا أرسلان إلى أياس وعادا شبه المنهزم، فإن الأرمن أكمنوا فى البساتين، فأنكر عليهما الأمير بكتاش، فاعتزرا بضيق المسلك والتفاف الأشجار وعدم التمكن من العدو. ثم رحل بكتاش بجميع العساكر إلى تل حمدون، فوجدوها خالية وقد نزح من كان فيها من الأرمن إلى قلعة نجيمة[2] فتسلمها فى سابع رمضان وأقام بها من يحفظها، وسير الأمير بلبان الطباخى نائب حلب عسكرا فملكوا قلعة مرعش فى رمضان أيضًا. وجاء الخبر إلى الأمير بكتاش وهو على تل حمدون بأن واديًا تحت قلعة نجيمة وحميص[3] قد امتلأ بالأرمن، وأن أهل قلعة نجيمة تحميهم، فبعث طائفة من العسكر إليهم فلم ينالوا غرضًا، فسير طائفة ثانية فعادت بغير طائل. فسار الأمراء فى عدة وافرة وقاتلوا أهل نجيمة حتى ردوهم إلى القلعة، وزحفوا على الوادى وقتلوا وأسروا من فيه، ونازلوا قلعة نجيمة ليلة واحدة، وسار العسكر إلى الوطأة، وبقى الأمير بكتاش والملك المظفر فى مقابلة من بالقلعة خشية أن يخرج أهل نجيمة فينالوا من أطراف العسكر، حتى صار العسكر بالوطأة، ثم اجتمعوا بها.

فقدم البريد من السلطان بمنازلة قلعة نجيمة حتى تفتح فعادوا إلى حصارها، واختلف الأمير بكتاش والأمير سنجر الدوادارى على قتالها، فقال الدوادارى: متى نازلها الجيش بأسره لا يعلم من قاتل ممن عجز وتخاذل، والرأى أن يقاتل كل يوم أمير بألفه. وأخذ يدلّ بشجاعته، ويصغر شأن القلعة، وقال: «أنا آخذها فى حجرى» فسلموا له واتفقوا على تقديمه لقتالها قبل كل أحد. فتقدم الدوادارى إليها بألفه حتى لاحف السور،

---

(١) قرية من قرى حلب فى غربيها ، وتقع بين حلب والمعرة. انظر، معجم البلدان ٣٢٨/٢.

(٢) نجيمة: من قرى عثر من جهة اليمن. انظر، معجم البلدان ٢٧٤/٥.

(٣) تقع شرقى تل حمدانة.

فأصابه حجر المنجنيق فقطع مشط رجله، وسقط عن فرسه إلى الأرض، وكاد الأرمن يأخذونه، إلا أن الجماعة بادرت وحملته على جنوبة إلى وطاقه، ولزم الفراش، فعاد إلى حلب، وسار منها إلى القاهرة، وقتل فى هذه النوبة الأمير علم الدين سنجر طقصبا الناصرى. وزحف فى هذا اليوم الأمير كرتاى ونقب سور القلعة وخلص منه ثلاثة أحجار، واستشهد معه ثلاثة عشر رجلا. ثم زحف الأمير بكتاش وصاحب حماة ببقية الجيش طائفة بعد طائفة، وكلٌ منهم يردف الآخر حتى وصلوا إلى السور وعليهم الجنويات، وأخذوا فى النقب وأقاموا الستائر، وتابعوا الحصار أحدا وأربعين يومًا.

وكان قد اجتمع بها من الفلاحين ونساء القرى وأولادهم خلق كثير، فلما قل الماء عندهم أخرجوا مرة مائتى رجل وثلاثمائة امرأة ومائة وخمسين صبيا، فقتل العسكر الرجال واقتسموا النساء والصبيان. ثم أخرجوا مرة أخرى مائة وخمسين رجلا ومائتى امرأة وخمسة وسبعين صبيا، ففعلوا بهم مثل ما فعلوا بمن تقدم. ثم أخرجوا مرة ثالثة طائفة أخرى، فأتوا على جميعهم بالقتل والسبى، حتى لم يتأخر بالقلعة إلا المقاتلة. وقلت المياه عندهم حتى اقتتلوا بالسيوف على الماء، فسألوا الأمان فأمنوا، وأخذت القلعة فى ذى القعدة، وسار من فيها إلى حيث أراد. وأخذ أيضًا أحد عشر حصنا من الأرمن، ومنها النقير[1] وحجر شغلان وسرقندكار وزنجفرة وحميص، وسلم ذلك كله الأمير بكتاش إلى الأمير سيف الدين أسندمر كرجى من إمراء دمشق، وعينه نائبا بها، فلم يزل أسندمر بها حتى قدم التتار، فباع ما فيها أنا آخذعمن الحواصل ونزح عنها، فأخذها الأرمن.

ولما تم هذا الفتح عادت العساكر إلى حلب وكان الشتاء شديدا، فأقاموا بها. وبعث السلطان إليهم الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، والأمير عز الدين طقطاى، والأمير مبارز الدين أوليا بن قرمان، والأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى، فى ثلاثة آلاف فارس من عساكر مصر، فدخلوا دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة، وساروا منها إلى حلب فى عشريه، وأقاموا بها مع العسكر. وبعث متملك سيس إلى السلطان يسأل العفو.

وفى هذه السنة: كان الروك[2] الحسامى، وذلك أن أرض مصر قد قسمت على أربعة وعشرين قيراطا، وأفرد منها للسلطان أربعة قراريط، وجعل للأمراء وبرسم

---

(١) موضع بين هجر والبصرة. انظر، معجم البلدان ٥/٣٠١.

(٢) مصدر الفعل الثلاثى راك، ومعناه مسح أرض الزراعة فى بلد من البلاد، لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال.

الإطلاقات والزيادات عشرة قراريط، وجعل لأجناد الحلقة عشرة قراريط، فأراد السلطان الملك المنصور تغيير ذلك، وأن يجعل للأمراء وأجناد الحلقة أحد عشر قيراطا، ويستجد عسكرا بتسعة قراريط. فندب لروك أراضى مصر الأمير بدر الدين بيليك الفارسى الحاجب، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى المعروف بالبريدى، وانتصب لهذا العمل جماعة من الكتاب، وكان المشار إليه فيهم تاج الدين عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة، وهو من مسالمة[1] القبط، وممن يشار إليه فى معرفة صناعة الكتابة، ويعتمد على قوله ويرجع إليه. فخرج الأمراء للروك، ومعهم الكتاب وولاة الأقاليم فى سادس عشر جمادى الأولى.

وتقدم الأمير منكوتمر نائب السلطنة إلى التاج الطويل بأن يفرد للأمراء والأجناد عشرة قراريط، وأن يجعل القيراط الحادى عشر برسم من يتضرر من قلة عبرة خبزه. وأفرد لخاص السلطان الأعمال الجيزية[2] والإطفيحية[3] والإسكندرية ودمياط[4] ومنفلوط[5] وكفورها، وهو[6] والكوم الأحمر من أعمال القوصية، وغير ذلك، وأفرد للنائب منكوتمر إقطاع عظيم من جملته مرج بنى هميم وكفور، وسمهود[7] وكفورها، وحرجة قوص، ومدينة أدفو[8] وما فى هذه النواحى من الدواليب، وكان متحصلها ينيف على مائة ألف أردب وعشرة آلاف أردب من الغلة، خارجا عن المال العين والقنود والأعسال، والتمر والأغنام والأحطاب. وكان فى خاصّه سبعة وعشرون معصرة لقصب السكر، سوى ما له من المشتريات والمتاجر، وما له ببلاد الشام من الضياع والعقار، وما يرد إليه من التقادم.

---

(١) المسالمة: مفردة مسلمة وهو لفظ يطلق على كل من دخل فى الإسلام حديثا، من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الإسلامية.

(٢) الجيزية أول أعمال الصعيد بالديار المصرية. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٣/٣٨٠.

(٣) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر، معجم البلدان ١/٢١٨.

(٤) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زواية بين بحر الروم الملح والنيل. انظر، معجم البلدان ٢/٤٧٢.

(٥) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٤.

(٦) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر، معجم البلدان ١/١٢٦.

(٧) بلدة بالصعيد الأعلى، من عمل قوص. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ١٧/٢٥.

(٨) بلدة قريبة من فرشوط بمركز نجح حمادى بمديرية قنا الحالية. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ١٢/٥١،٢١.

فلما انتهى الروك فى ثامن رجب فرقت مثالات[1] الأمراء.

وفى تاسعه: فرقت مثالات مقدمى الحلقة.

وفى عاشره: فرقت مثالات أجناد الحلقة. وأقطعت البلاد للأمراء والأجناد دربستا، لم يستثن منها سوى الجوالى والمواريث الحشرية فإنها من جملة الخاص السلطانى، وسوى الرزق الأحباسية، وما عدا ذلك فإنه داخل فى الإقطاع وحولت سنة ست وتسعين إلى سنة سبع وتسعين على العادة.

وتولى تفرقة المثالات على الأمراء والمقدمين السلطان، فبان له فى وجوههم التغير لقلة العبرة، وهم بزيادتهم. فمنعه منكوتمر من فتح هذا الباب، وحذره أنه متى فتح باب الزيادة تعب، ولكن من تضرر من إقطاعه يحيله على منكوتمر، ففعل السلطان ذلك. وتولى تفرقة مثالات الأجناد منكوتمر، فجلس بشباك دار النيابة ووقف الحجاب بين يديه، وأعطى لكل تقدمة مثالا بها، فلم يجسر أحد أن يتكلم خوفا منه، فاستمر على ذلك أيامًا.

وكانت الإقطاعات قد تناقصت عما كانت عليه فى الدولة المنصورية قلاوون، فإن أقلها كان يتحصل منه عشرة آلاف درهم، وأكثرها ينيف على ثلاثين ألفا، فصار أكثرها يبلغ عشرين ألفا، فعمل فى هذا الروك أكثر الإقطاعات يتحصل منه عشرة آلاف، فشق ذلك على الأجناد، وتجمعت طائفة منهم ورموا مثالاتهم، وقالوا: «إننا لم نعتد بمثل هذا، فإما أن تعطونا ما يقوم بكفايتنا، وإلا فخذوا أخبازكم، وإما نخدم الأمراء، أو نقيم بطالين». فحنق منهم منكوتمر وأمر الحجاب فضربوهم، وأخذ سيوفهم وسجنهم، وبالغ فى الفحش، وصار ينظر إلى الأمراء ويقول: «أيما قواد يجىء يشتكى من خبزه ويقول أعرِّف السلطان، فإنى أعرف إيش يقول السلطان، فإما أن يرضى يخدم وإلا فإلى لعنة الله». فعرف الأمراء أنه يعنيهم، فسكتوا على ضغن وبلغ السلطان ذلك عن منكوتمر فأنكر عليه، وأمره الزيادة فى الإقطاعات فلم يفعل، وأقام الأجناد فى السجن مدة أيام ثم أفرج عنهم. فكان هذا الروك أكبر الأسباب فى زوال الدولة.

وفيها أنعم بطبلخاناه الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى نقيب الجيش بعد موته على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير آخور، وكان السلطان قبل ذلك قد أعطاه إمرة عشرة. واستقر سيف الدين كرت أمير آخور فى نيابة طرابلس، بعد وفاة عز الدين أيبك الموصلى.

---

(١) جمع مثال، وهو أول ما يكتب من الوثائق اللازمة لتقرير إقطاع لشخص حديد على الإقطاع. انظر القلشندى، صبح الأعشى ١٣/ ١٥٣.

وفيها عدم الثلج بدمشق، وغارت العيون، وهلك أكثر الزرع وجفت أشجار البساتين.

وفيها بلغ سيف الدين جاغان شاد الدواوين بدمشق أن للأمير عز الدين [......][١] الجناحى نائب غزة وديعة عند رجل، فاستدعى به بعد موت الجناحى وطالبه فقال: «قد أخذ الوديعة قبل موته». فلما أراد عقوبته حضر إليه فخر الدين [....][٢] الإعزازى أحد تجار دمشق، وقال: «إن هذه الوديعة أخذها الجناحى من هذا الرجل وجعلها تحت يدى» وأحضر صندوقا، فوجد الأمير جاغان فيه اثنين وثلاثين ألف دينار ومائتى وأربعة وثلاثين دينارًا عينا، وحوائص وطرزا قيمتها خمسون ألف دينار.

وفيها خرج الأمير سيف الدين حمدان بن صلغاى إلى بلاد الشام فى صورة أنه يستحث العساكر على أخذ سيس، وقد لقنه الأمير منكوتمر أمورًا مكتومة، كان فيها زوال الدولة ومنها أنه يفرج عن الأمير كرجى من قلعة دمشق ويسفره إلى سيس، ويتفق هو وأيدغدى شقير المتوجه قبله صحبة بكتمر السلاح دار مع جماعة من خشداشيته على ما يأتى ذكره.

وفيما أنعم على صمغار بن سنقر بإمرة، وأنعم على كل من [....][٣] بن أيتمش السعدى وسيف الدين طقصبا الظاهرى بإمرة.

وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب، فأكرمه السلطان وألبسه خلعة طرد وحش، وهو أول من ألبس ذلك لآل مهنا، وإنما كانت خلعهم مسمطا[٤] أو كنجيا[٥]. واستأذن مهنا السلطان فى الحج فأذن له.

وفيها قوى أمر منكوتمر، وتحكم تحكمة الملوك فى جميع أمور المملكة، وقصد إخراج طغجى أيضًا من مصر، ففطن طغجى لذلك، فسأل الإذن فى السفر إلى الحج فأذن له، وعمل أمير الركب.

وفيها بعث منكوتمر إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد يعلمه أن تاجرًا قد مات وترك أخا و لم يخلف غيره ممن يرثه، وأراد أن يثبت استحقاقه الإرث بمجرد

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) هو القماش من الحرير الأصفر والأحمر، يكون مزينا بنقش بارز.

(٥) هو قماش منسوج من قطن وحرير.

هذا الإخبار عنه. فلم يوافق قاضى القضاة على ذلك، وترددت الرسل بينهما، فحرج منكوتمر من ذلك، وبعث إليه الأمير كرت الحاجب، فلما دخل كرت وقف بعدما سلم، فقام له القاضى نصف قومة ورد عليه السلام وأجلسه. وأخذ كرت يتلطف به فى إثبات أخوة التاجر بشهادة منكوتمر، فقال له قاضى القضاة: «وماذا ينبنى على شهادة منكوتمر؟»قال له: «يا سيدى ما هو عندكم عدل؟» فقال: «سبحان الله» ثم أنشد:

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «والله متى لم تقم عندى بينة شرعية ثبتت عندى، وإلا فلا حكمت له بشىء باسم الله». فقام كرت وهو يقول: «والله هذا هو الإسلام» وعاد إلى منكوتمر واعتذر إليه بأن «هذا الأمر لابد فيه من اجتماعك بالقاضى إذا جاء إلى دار العدل».

فلما كان يوم الخدمة، ومر القاضى على دار النيابة بالقلعة ومنكوتمر جالس فى الشباك، تسارعت الحجاب واحدا بعد آخر إلى القاضى وهم يقولون: «يا سيدى الأمير ولدك يختار الاجتماع بك لخدمتك». فلم يلتفت إلى أحد منهم، فلما ألحوا عليه قال لهم: «قولوا له ما وجبت طاعتك علىَّ» والتفت إلى من معه من القضاة، وقال: «أشهدكم أنى عزلت نفسى باسم الله، قولوا له يول غيرى». وعاد إلى داره وأغلق بابه، وبعث نقباءه إلى النواب فى الحكم وعقاد الأنكحة يمنعهم من الحكم وعقد الأنكحة.

فلما بلغ السلطان ذلك أنكر على منكوتمر، وبعث إلى القاضى يعتذر إليه ويستدعيه، فأبى واعتذر عن طلوعه، فبعث إليه الشيخ نجم الدين حسين بن محمد بن عبود والطواشى مرشدًا، فما زالا به حتى صعدا به إلى القلعة. فقام إليه السلطان وتلقاه، وعزم عليه أن يجلس فى مرتبته، فبسط منديله وكان خرقة كتان خلقة فوق الحرير قبل أن يجلس، كراهة أن ينظر إليه، ولم يجلس عليه. وما برح السلطان يتلطف به حتى قبل الولاية ثم قال له: «يا سيدى هذا ولدك منكوتمر خاطرك معه، ادعوا له» وكان منكوتمر ممن حضر، فنظر إليه قاضى القضاة ساعة، وصار يفتح يده ويقبضها وهو يقول: «منكوتمر لا يجىء منه شىء» وكررها ثلاث مرات، وقام. فأخذ السلطان الخرقة التى وضعها على المرتبة تبركا بها، وتفرقها الأمراء قطعة قطعة ليدخروها عندهم رجاء بركتها.

وأما حمدان بن صلغاى، فإنه قدم إلى دمشق وعرف الأمير جاغان ما ندب إليه من

مسك الأمير بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبكى نائب صفد وعز الدين طقطاى والأمير بزلار والأمير عزاز، وكان الأمير قبجق نائب الشام قد خرج بالعساكر إلى مساعدة الأمراء على أخذ سيس، ثم سار حمدان إلى حمص، والتقى هناك بالأمير قبقجق وهو عائد إلى دمشق، فتلقاه وأكرمه. ثم توجه إلى حلب، وأوقف النائب على ما جاء فيه من قبض الأمراء الذين عينهم منكوتمر، فبلغهم ذلك فاحترزوا على أنفسهم، ولحقوا بحمص يريدون الأمير قبجق والاتفاق معه.

وفيها أفرج عن ابن الحلى، بعد أن بالغ أقوش الرومى فى عقوبته، فاختفى.

وفيها استقر الأمير بكتمر الحسامى أمير آخور كبيرًا، واستقر علاء الدين طيبرس الخازندارى نقيب الجيش، عوضًا عن بلبان الفاخرى.

وفيها رسم بعمل استيمار[(١)] بجمع أرباب الرواتب والرزق، ليحضروا بتواقيعهم للعرض على منكوتمر، ويقطع من يختار منهم، فلما شرعوا فى الكتابة اشتد قلق الناس، وبلغ السلطان ذلك فمنع منكوتمر منه.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

صدر الدين إبراهيم بن محيى الدين أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوى الدمشقى الفقيه الحنفى، ولد فى سنة تسع وستمائة، وبرع فى الفقه والنحو، وأفتى ودرس وولى قضاء حلب، وقدم بعد عزله إلى القاهرة وأقام بها، ثم ولى حلب ثانيًا، فمات بدمشق فى رمضان. ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقرئ الفقيه الحنبلى[(٢)] عابر الرؤيا، كانت له عجائب فى عبارة الرؤيا وصنف فيها، ومات آخر ذى القعدة.

ومات الأمير عز الدين أيبك الموصلى أحد المماليك المنصورية، وقد تنقلت به الخدم حتى ولى نيابة طرابلس إلى أن مات فى[....][(٣)].

ومات الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى نقيب الجيش، فى رابع عشر ربيع الآخر.

---

(١) أى: مجلس.

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم، أبو العباس شهاب الدين، ابن نعمة النابلسى. الحنبلى: فقيه اشتهر بعلم تعبير الرؤيا، تعلم بنابلس ومصر ودمشق وتوفى بهذه. انظر شذرات ٤٣٧/٥ والأعلام ١٤٧/١.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

ومات الأمير علم الدين سنجر طقصبا، استشهد فى محاصرة قلعة نجيمة فى [......][1].

ومات الأمير علم الدين سنجر أحد الأمراء الناصرية بدمشق فى سابع عشرى جمادى الأولى، وكان شجاعا مقداما، سمع الحديث وعرف بالخير وحدث.

وتوفى شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين أبو محمد عبد اللطيف بن أبى الفتوح نصر بن سعيد بن سعد بن محمد بن ناصر الميهنى، عن ثمان وثمانين سنة.

ومات الأمير سعد الدين كوجبا نائب دار العدل، فى يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى.

ومات موفق الدين محمد بن الحسين بن ثعلب الأدفوى[2] خطيب أدفو، وله نظم ونثر، وفيه كرم وعنده إغضاء وحلم، ومات فى[.... [3]].

ومات جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل الحموى[4] قاضى حماة، وهو أحد الأئمة الأعلام، قدم القاهرة، ومات بحماة فى ثانى عشرى شوال، عن ثلاث وتسعين سنة. ومات الشيخ شمس الدين أبو المعالى محمد بن بكر بن محمد الأيكى الفارسى الشافعى، شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، مات بدمشق فى رابع رمضان عن ست وستين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر التكريتى، أستادار الملك السعيد.

ومات الأمير علم الدين طرطج الصالحى، وهو كاتب له مكارم، وفيه غقدام وشجاعة، وله آثار حميدة.

ومات الأمير طقطاى الأشرفى أحد الأمراء والأكابر.

ومات الأمير شمس الدين سنقر التكريتى، عرف بالمساح، وكان مشهورًا بالشجاعة،

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) محمد بن الحسين بن ثعلب، موفق الدين الثعلبى الأدفوى: طبيب له نظم ونثر وخطب، مولده ووفاته بأدفو. انظر الطالع السعيد ٢٨٦، والوافى بالوفيات ١٢/٣، وخطط مبارك ٥٠/٨، والأعلام ١٠٢/٦.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل، أبو عبد الله المازنى التيمى الحموى، جمال الدين: مؤرخ، من فقهاء الشافعية. مولده ووفاته فى حماة. انظر نكت الهميان ٢٥٠، وبغية الوعاة ٤٤، وابن الوردى ٢٤٤/٢، والوافى بالوفيات ٨٥/٣، ومفرج الكروب، والأعلام ١٣٣/٦.

يخرج كل سنة إلى عكا فتكون له وقائع مع أهلها، وكان يركب بجانب المنصور قلاوون فى المواكب، وكان قلاوون يستشيره فى المهمات، وكان من دون أمراء مصر يركب بالزنارى[١] على فرسه بمفرده، وفيه مكارم.

ومات الفقيه تقى الدين أبو العباس أحمد بن الفقيه علم الدين أبى عبد الله محمد بن رشيق، يوم الخميس رابع عشرى جمادى الآخرة.

وتوفى الشيخ زين الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن الحسن عدى بمصر، وله تربة جليلة بالقرافة.

* * *

(١) هو فى مصطلح الفروسية فى مصر نوع من الأجلال - المفرد جل- يكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدولا على الكفل بحيث لا يرى الذيل.

سنة ثمان وتسعين وستمائة

فى أول المحرم: قدم الخبر بأن التتر على عزم الحركة إلى الشام، فخرجت العساكر، ثم خرج الأمير أقش الأفرم. وتوجه حمدان بن صلغاى وعلاء الدين أيدغدى شقير على البريد لإخراج الأمير قبجق نائب الشام بالعسكر إلى حلب، فوصلا إلى دمشق فى سابعه، فشرع قبجق فى الاهتمام للسفر، وخرج بعسكرها وبالبحرية فى يوم الأربعاء رابع عشره، وتأخر جاغان بدمشق. وعلم قبجق أن الأمر بخلاف ما أشيع من حركة التتار، وإنما القصد عمل مكيدة به وبغيره من الأمراء، فكان ذلك سببا لفراره إلى بلاد التتر.

وملخص ذلك أن الأمير منكوتمر نائب السلطنة ثقلت عليه وطأة الأمراء بديار مصر والشام، فأراد إزاحتهم عنه وإقامة غيرهم من مماليك السلطان ليتمكن من مراده، فما زال بالسلطان حتى قبض على أمراء مصر، ثم أخذ فى التدبير على من ببلاد الشام من الأمراء، فبعث أيدغدى شقير، ثم أردفه بحمدان بن صلغاى وعلى يده ملطفات[1] إلى بلبان الطباخى نائب حلب بالقبض على الأمير بكتمر السلاح دار وهو بجرد على حلب، وعلى الأمير فارس الدين الألبكى الساقى نائب صفد والأمير عز الدين طقطاى والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين عزاز، ومن عجز عن القبض عليه سقاه، وأن يبحث الحسام الأستادار بمفرده على البريد إلى مصر.

وقدم حمدان دمشق وأوقف الأمير جاغان شاد الدواوين على ما جاء فيه، وأمره ألا يمكن قبجق نائب دمشق من الدخول إليها إلا بمرسوم. وخرج حمدان يريد حلب، فصادف الأمير قبجق بالقرب من حمص واجتمع به، فتخيل قبجق من قدومه، وبعث إلى بكتمر السلاح دار وغيره من الأمراء يوصيهم بالاحتراز، وبعث نجابا إلى أصحابه بمصر يستعلم منهم الخبر. فلما قدم حمدان حلب وأوقف الأمير بلبان الطباخى على أمره توقف فيه، فأخذ حمدان وأيدغدى شقير يستحثانه على قبض الأمراء. فاتفق موت الأمير طقطاى، واتهم حمدان بسقيه. فبعث حمدان وأيدغدى إلى منكوتمر بتوقف نائب حلب فى مسك الأمراء، فغضب من ذلك وأراد عزل بلبان عن حلب وتولية أيدغدى شقير عوضه، فخوف من ذلك حتى كف منه. وكتب منكوتمر إلى الأمير بلبان الطباخى نائب

---

(١) أى رسائل.

حلب يستحثه فى مسك الأمراء، وكتب إلى الأمير بكتمر بنيابة طرابلس، وكان ذلك خديعة من منكوتمر قصد بها أنه إذا حضر بكتمر بلبس التشريف يقبض عليه وعلى الأمراء، وقدم الأمير الحسام الأستادارى إلى مصر، فعزم منكوتمر على مسكه، ثم انتظر ما يرد عن الأمراء بحلب.

وبلغ بلبان الطباخى أن أيدغدى شقير قد عين لنيابة حلب، وبلغ قبجق نائب الشام أن خروجه من دمشق إنما كان حيلة عليه، وأن جاغان يستقر فى نيابة دمشق عوضه، فكتما كل منهما ذلك، وأخذ الحسامية فى الإلحاح على نائب حلب فى قبض الأمراء عند حضورهم السماط يوم الموكب، فبعث سرًّا إلى الأمراء يعلمهم ذلك فاستعدوا لأنفسهم، وركبوا فى يوم الموكب على العادة إلا الأمير بكتمر السلاح دار فإنه تأخر واعتذر بعارض فلم يمكن الحسامية القبض على من حضر خوفا من فوات الأمر فيمن تأخروا، واتفقوا على أن ذلك يكون فى موكب الآخر، فبعث الطباخى نائب حلب يعرفهم ذلك، فكتب بكتمر السلاح دار إلى قبجق نائب دمشق وقد بلغه خروجه إلى حمص يعرفه بما هم فيه، فلما كان الموكب الثانى ركب الأمراء ليُقرأ عليهم كتاب السلطان باستقرار الأمير بكتمر فى نيابة طرابلس، وقد احترزوا على أنفسهم، وتأخر بكتمر أيضًا عن الركوب واعتذر بوجع فؤاده، فعزموا على مسك من حضر، ثم أخذ بكتمر من خيمته.

وكانت العادة أنهم يقفون تحت القلعة على خيولهم، فإذا قرئ الكتاب نزلوا وقبلوا الأرض، فبيت الحسامية أن الأمراء إذا نزلوا لتقبيل الأرض داسوهم وأخذوهم باليد. فعندما قرئ الكتاب ترجل نائب حلب على العادة، وتبعه بقية الأمراء وقد أوقفوا مماليكهم على خيولهم ليحموهم، ونزل كل منهم وعنان فرسه فى يده ومماليكه محيطة به، وقبل الأرض ووثب سريعا على فرسه، ومضوا يدًا واحدة.

فانخرم الأمر على الحسامية، وأخذوا يلومون نائب حلب فى كونه لم يقبض عليهم، وهو يهول الأمر عليهم، إلى أن اتفقوا على الإرسال إلى الأمراء ليجتمعوا بدار النيابة فى الليل، وأن يبدءوا بالإرسال إلى بكتمر أمير سلاح. فلما كان بعد عشاء الآخرة توجه الحاجب إلى أمير سلاح يعلمه بأن قصادا قد قدموا من البلاد، فيحضر للمشهورة مع الأمراء، فلم يمكن الحاجب من الاجتماع به، واعتذر بوجع رحله، فمضى الحاجب إلى الأمير كرتاى وابن قرمان، وبلغهما الرسالة، فضحكا وقال كل منهما: «ما أبرد ذقن الأبعد، وذقن من أرسله متى سمعت مشورة تكون ثلث الليل؟ إلى غد نحضر مع الأمراء».

ثم إن الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبكى والأمير سيف الدين عزاز اجتمعوا، وركبوا من ليلتهم يريدون حمص ولقاء الأمير قبجق، فخرج قبجق إلى لقائهم، واتفقوا على العبور إلى بلاد غازان، فأمهلهم قبجق حتى يرد عليه جواب الأمراء من مصر، فنزلوا معه. وقدم جواب قبجق من كرجى وطغجى أنهم عن قريب يقضون الشغل، فليقم بموضعه حتى الخبر، فلم يوافقه الأمراء على الإقامة خوفا من مجىء العساكر إليهم، وساروا ليلة الثلاثاء من ربيع الآخر وقصدوا سلمية.

وكان الأمير قبجق لما قدم عليه الأمراء من حلب قد بعث على البريد الأمير سيف الدين بلغاق بن كونجك الخوارزمى إلى السلطان يعلمه حضور الأمراء إليه، ويسأل الأمان لهم وتطييب خواطرهم. ثم سار الأمير قبجق من حمص ليلة السبت خامس ربيع الأول، وبعث علاء الدين بن الجاكى إلى دمشق يستدعى من الأمير جاغان مالا وخِلَعا من الخزانة للنفقة على الأمراء وتطييب خواطرهم، فامتنع جاغان من ذلك، وكتب يلومه على إغفاله القبض عليهم، وكتب إليه أيضًا أيدغدى شقير وسيف الدين كجكن بالإنكار، وأنه إن لم يقبض عليهم ركبوا عليه وقبضوه، فزاده ذلك نفورًا. وتبين لعسكر دمشق مخالفة قبجق، فتسللوا عنه طائفة بعد طائفة، وعادوا من حمص إلى دمشق، فشكرهم جاغان على مفارقتهم إياه، فبقى قبجق فى قلة من المال والرجال.

وأما أهل حلب، فإن الأمراء لما ساروا فى الليل ركب من بكرة النهار أيدغدى شقير وحمدان بن صلغان والأمراء الحسامية إلى نائب حلب، وبطقوا إلى الأعمال بالقبض على الأمراء، وتوجه أيدغدى شقير فى عسكر إلى جهة الفرات، وسار عسكر إلى جهة حماة، ونهبت أثقال الأمراء. فورد الخبر بوصولهم إلى قبجق نائب دمشق، وأنهم ساروا على طريق سلمية، فقام العزاء والنواح بحلب. وخرج العسكر فى طلبهم نحو الفرات، وأوقع جاغان الحوطة بدمشق على بيت قبجق فى خامس عشره، وتكامل مجىء العسكر الذى كان مع قبجق فى سابع عشره.

وانتهى سيف الدين كجكن وأيدغدى شقير إلى الفرات، فوجدا الأمراء قد قطعوا الفرات إلى رأس عين[1] فورد الخبر إلى حلب بقتل السلطان ونائبه منكوتمر، فركب سيف الدين بلبان البريدى ولحق الأمير قبجق برأس عين وأعلمه بذلك، فظن أنها حيلة عليه و لم يرجع.

---

(١) مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيس. انظر معجم البلدان ١٣/٣، ١٤.

وأما السلطان فإن منكوتمر لم يزل يدبر بشؤم رأيه حتى قتل، وذلك أن الأمير طغجي قدم من الحجاز أول صفر، وقد قرر منكوتمر خروجه إلى نيابة طرابلس، فلما استراح من تعب السفر استدعاه السلطان، وتلطف به فى الخروج إلى طرابلس، فاعتذر بأنه لا يصلح للنيابة. وقام الأمير طغجى فأعلم كرجى وبيبرس الجاشنكير بذلك، فاتفقوا على التحدث مع السلطان فى صرفه عن تسفيره، ودخلوا عليه وما زالوا به حتى أعفاه. فشق ذلك على منكوتمر، وأنكر على كرجى وتجهم له، وتكلم فيه وفى من تحدث معه فى إعفاء طغجى من السفر، وبالغ فى إهانتهم، فحرك ذلك من كرجى كوامن كانت فى نفسه من منكوتمر. وانقطع منكوتمر من الخدمة حنقًا من إعفاء طغجى، فداراه السلطان وبعث إليه قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الرومى ليحضره ، فما زال به حتى حضر بشريطة أن يخرج طغجى من مصر ويمسك كرجى أن يخرج أيضًا.

واتفق مع ذلك وصول قاصد الأمير قبجق نائب دمشق فى السر إلى طغجى وكرجى بما تقدم ذكره، فأوقفوا بيبرس وسلار وغيره ممن يثقون به على ذلك، واتفقوا على الفتك بالسلطان. وشرعوا فى السعى بين الأمراء المماليك المنصورية والأشرفية يستميلونهم، وأخذ كرجى يستميل المماليك أرباب النوب فإنه كان مقدما عليهم، حتى أحكموا أمرهم. هذا ومنكوتمر مقيم على إخراج طغجى، وبعث يأمره أن يتجهز للسفر، وتمادى الحال إلى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر.

ففى ذلك اليوم: أصبح السلطان صائمًا، وأفطر ثم جلس يلعب بالشطرنج وعنده إمامه نجم الدين [....][(١)] بن العسال وقاضى القضاة حسام الدين، فدخل الأمير كرجى على عادته وأعلمه بأنه قد بيت البرجية وغيرهم من المماليك فى أماكنهم وغلق عليهم الأبواب وكان قد رتب قبل دخوله جماعة فى أماكن بالدهاليز فشكره السلطان وأثنى عليه، وقال لقاضى القضاة: «لولا الأمير سيف الدين كرجى ما وصلت إلى السلطنة». فقبل كرجى الأرض وجلس على عادته، ثم قام ليصلح الشمعة فأصلحها، وألقى فوطة خدمة كانت بيده على نمجاه[(٢)] السلطان ليسترها عنه، وكان سلاح دار النوبة تلك الليلة الأمير سيف الدين نغاى الكرمونى السلاح دار قد وافق كرجى على ما هو فيه. ثم قال كرجى للسلطان: «ما يصلى مولانا السلطان العشاء؟» فقال: «نعم» وقام يريد الصلاة، فأخذ السلاح دار النمجاه من تحت الفوطة، وعند ذلك جرد كرجى سيفه

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) خنجر مقوس شبه السيف القصير.

وضرب السلطان على كتفه. فالتفت السلطان يريد بالنمجاه فلم يجدها فقبض على كرجي وألقاه إلى الأرض، فضرب نوغاى رجل السلطان بالمنجاه فقطع رجله. وانقلب السلطان على ظهره، فأخذته السيوف من كل جانب حتى صار كوم لحم،وفر ابن العسال إلى خزانة، وصرخ القاضي حسام الدين: «لا يحل هذا لكم» فهمَّ به كرجي ثم كفه ا لله عنه.

وخرج كرجي وأغلق الباب على المقتول والقاضي، فإذا بالأمير طغجي قد استعد وقعد فى عدة من البرجية بداركاه[١] القلعة ينتظر ما يكون من كرجي. فعندما رآه طغجي قال: «قضيت الشغل؟» قال: «نعم» وأعلمه الخبر. فوقع الصوت فى القلعة بقتل السلطان، وطار من وقته إلى المدينة. فركب الأمير جمال الدين قتَّال السبع فى عدة من الأمراء إلى خارج المدينة، ووقعت الصرخة تحت القلعة فركب أكثر العسكر.

وأما طغجي فإنه استدعى بقية الأمراء المقيمين بالقلعة، وبسط باب القلة. فلم يشعر منكوتمر وهو بدار النيابة إلا بالصرخة قد قامت، وباب القلة قد فتح، والأمراء قد اجتمعت، والشموع توقد، والضجيج يزداد. ففطن منكوتمر بقتل السلطان، وأغلق الأبواب، وألبس مماليكه فصار فى أربعمائة ضارب سيف وأزيد، ولكن ا لله خذله فجاءه الحسام أستادار وعرَّفه من تحت الشباك بقتل السلطان، وتلطف به حتى خرج إليه وسار معه إلى باب القلة، فقبل يد طغجي. فقام إليه طغجي وأجلسه، ثم أمر به أن يمضى إلى الجب فأخذ وأرخى فيه، فقام إليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير عز الدين أيبك الحموى نائب الشام وغيرهما ممن كان بالجب، ولما عاينوه أنكروا ذلك، فقال منكوتمر: «قد غضب على السلطان وحلف أن يحبسني» وقصد بذلك دفعهم عنه لئلا يقتلوه.

فلم يكن غير بعض ساعة إلا وقد أرخيت القفة من رأس الجب، وصاحوا على منكوتمر فقام وجلس بها، وفى ظن أهل الجب أن السلطان قد رضى عنه. فعندما صار برأس الجب وجد كرجي واقعًا فى طائفة من المماليك، فضربه كرجي بلَتٍّ من حديد صرعه، وذبحه عند الجب وانصرف، وذلك أنه لما حضر منكوتمر إلى طغجي لم يكن كرجي حاضرًا، فلما بلغه مجيئه أقبل يريده فأعلم أنه فى الجب، فصاح على الأمراء، فقال: «إيش عمل بى السلطان حتى قتلته؟ وا لله لقد أحسن إلى وكبَّرني وأنشأني، ولو علمت أني إذا قتلت منكوتمر يبقيني بعده وا لله ما قتلته. وما أحوجني أقتله إلا ما كان يقع من منكوتمر» ومضى مسرعا إلى الجب حتى قتله، ونهبت داره.

---

(١) لفظ فارسى معناه الساحة.

وكان منكوتمر عفيفًا عن الأموال، ضابطًا لناموس المملكة متيقظًا، وهو أول من نزل عن إقطاعات الجند التى كانت فى ديوان النيابة، ومتحصلها فى السنة مائة ألف أردب غلة، فتركها لله تعالى. وكان بعيدًا عن اللهو مهيبًا مصممًا، لم يسمع منه قط أنه شتم أحدًا، ولا جرى على لسانه فحش، مع كثرة التحرى ورفع المظالم. إلا أنه كان صبى العقل عظيم الكبر محتقرًا للأمراء، فمقتوه وعلموا أنهم لا يصلون إلى إزاحته إلا بقتل السلطان، فاجتمعوا على قتله حتى كان ما كان.

وكان الذين اتفقوا على قتل السلطان من الأمراء سيف الدين كرجى، وسيف الدين نوغاى، وقرا طرنطاى، وحجك، وأرسلان، وأقوش، وبيليك الرسولى.

وكانت مدة سلطنة لاجين منذ فارق الملك العادل كتبغا الدهليز بمنزلة العوجاء، وحلف الأمراء فى يوم الإثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين، وإلى أن قتل سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما، ومنذ خَلَع كتبغا نفسه بدمشق، واجتمعت الكلمة بمصر والشام على لاجين فى يوم السبت رابع عشرى صفر منها، وإلى أن قتل، سنتين وشهرين غير ثلاثة عشر يوما، وقتل السلطان لاجين وله من العمر نحو الخمسين سنة، وكان أشقر أزرق العين معرق الوجه، طوالا مهيبًا شجاعا مقداما، عاقلا متدينًا يحب العدل، ويميل إلى الخير ويحب أهله، جميل العشرة مع تقشف وقلة أذى. وأبطل عدة مكوس، وقال: «إن عشت لا تركت مكسا ألبتة». وكان يحب مجالسة الفقهاء والعامة ويأكل طعامهم، وكان أكولا. ولم يُعب بشىء سوى انقياده إلى مملوكه ونائبه الأمير منكوتمر، ورجوعه إلى رأيه وموافقته له واتباعه لكل ما يهواه من شدة حبه له، حتى أدى ذلك إلى قتلهما، ثم إلى خراب البلاد بمجىء غازان؛ فإن قبجق ومن معه من الأمراء حملهم بغضهم فى منكوتمر وخوفهم منه على اللحاق بغازان وتحريضه على المسير إلى الشام، حتى كان منه ما يأتى ذكره إن شاء الله.

وكان لاجين منذ قتل الملك الأشرف يستشعر أنه لابد أن يقتل، حتى أنه فى يوم الخميس الذى قتل فى مسائه أحضر إليه بعد العصر بندب فارس ميدانى من السلاح خاناه، فجعل يفتل فردة بعد فردة وهو يقول: «من قَتَل قُتِل» ويكرّر هذا مرارًا، فكان الفأل موكلا بالمنطق، إذ قتل بعد أربع ساعات من كلامه.

ونظير هذا أن الملك الأشرف وقف فى حلقة صيد، والنوبة يومئذ فى حمل السلاح خلفه للاجين هذا فجاء لاجين إلى بدر الدين بكتوت العلائى وله أيضًا النوبة فى حمل السلاح، وقد تقدم إلى مكانه من الحلقة وأعطاه سلاح السلطان، وأمره بالتوجه إلى

السلطان فإنه أمر بذلك. فأخذ بكتوت السلاح وتوجه به إلى الخدمة، ووقف لاجين حيث كان بكتوت واقفًا. فلما جاء بكتوت وجد الأشرف على فرسه، وقد جعل طرف عصاة مقرعته تحت جبهته، واتكأ برأسه عليها وهى ثابتة بحذاء سرجه، وكأنه فى غيبة من شدة الفكر. ثم التفت الأشرف وقال: «يا بكتوت وا لله لقد التفت فرأيت لاجين خلفى وهو يحمل السلاح والسيف فى يده، فتخيّلت أنه يضربنى به، فنظرت إليه وقلت يا شقير أعط السلاح لبكتوت يحمله، وقِفْ أنت مكانه». فقال بكتوت: «أعيذ مولانا السلطان با لله أن يخطر هذا بباله، ولاجين أقل من هذا وأضعف نفسًا أن يقع هذا بباله، فضلا عن أن يقدم عليه. وهو مملوك السلطان، ومملوك مولانا السلطان الشهيد وتربية بيته الشريف». فقال الأشرف: «وا لله ما عرفتك إلا ما خطر لى وتصورته». قال بكتوت: «فخشيت على لاجين كون السلطان تخيل هذا فيه وأردت نصحه، فقلت له فى تلك الليلة: با لله تجنب السلطان ولا تكثر حمل السلاح ولا تنفرد معه» وأخبرته الخبر، فضحك ضحكا كثيرًا وتعجب. فقلت: «وا لله هذا يبكى منه» فقال: «ما ضحكى إلا من إحساسه. وا لله لما نظر إلى وقال يا شقير، كنت على عزم من تجريد سيفه وقتله به». قال بكتوت: «فعجب من ذلك غاية العجب» ومن العجب أيضًا أن الضرب الذى كان فى الملك الأشرف عند قتله وجد مثله سواء فى لاجين لما قتل.

وكان لاجين فى سلطنته كثيرًا ما يقف إذا أراد أن يصلى، ويكشف رأسه ويسأل أن يمد فى عمره حتى يلقى غازان، ثم يقول: «لكن أنا خائف أن يدركنى الأجل قبل لقائه» فكان كذلك.

وكان فى شبابه منهمكا على الخمر، حتى صار وهو بدمشق يعاقر أعيان أهلها وينعم فى مجالس اللهو عليهم، بحيث لما أفرط فى اللهو قال الشجاعى للملك المنصور قلاوون[1] إنه قد أبخس حرمة السلطان بمعاشرته عامة دمشق وانهماكه فى الشرب. فبعث إليه قلاوون على لسان الأمير طرناى نائب السلطنة ينهاه ويهدده، وكتب إليه أيضًا بذلك. وكان ألاجين كثير الحركة، بحيث يغيب فى الصيد الشهر والشهرين ومعه أرباب الملاهى، فلما تسلطن أعرض عن اللهو، وسار أحسن سيرة من العدل

---

(١) المنصور قلاوون، هو أبو بكر محمد سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر، من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام، وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة. انظر بدائع الزهور ١٦٧/١، والبداية والنهاية ١٩٠/١، ١٩١، والنجوم الزاهرة ٣٠/١٠، والأعلام ٦٨/٢.

والإنصاف والعطاء والإنعام، وأحبه الأمراء والأجناد والعامة ، فأفسد ذلك مملوكه منكوتمر بسوء تدبيره.

واتفق أن لاجين لما اختفى هو وقرا سنقر بعد قتل الملك الأشرف، رأى قرا سنقر رؤيا فبعث إلى لاجين ليحضر إليه بسببها، وكان كل منهما يعرف موضع الآخر. فجاءه لاجين فى صندوق حمل إلى دار قرا سنقر بحارة بهاء الدين من القاهرة حيث كان مختفيًا، فتحادثا، ثم قال له قرا سنقر: «يا شقير رأيت رؤيا أنا خائف أن أقصّها فتطمع نفسك وتتغير نيتك وتغدر بى» فحلف له أنه لا يخونه. فقال قرا سنقر: «رأيت كأنك قد ركبت وبين يديك خيول معقودة الأذناب مضفورة المعارف مجللة بالرقاب الذهب على عادة ركوب الملوك، ثم نزلت وجلست على منبر وأنت لابس خلعة الخلافة، واستدعيتنى وأجلستنى على ثالث درجة من المنبر وتحدثت معى قليلا. ثم دفعتنى برجلك فسقطت من المنبر، وانتبهت عند سقوطى. وهذا يدل على قربى منك ورميك لى وأنا والله يا شقير نحس قد خَلَفْتُك، وما أدرى هل تصدق أو لا؟» فضحك لاجين. وكان كذلك، فإنه استناب قرا سنقر لما تسلطن قليلا، ثم كان من أمره ما تقدم ذكره من سجنه له. فكان قرا سنقر كل قليل يبعث إليه برسول وهو سجين، ويقول: «يا أخى اجعل فى نظير بشارتى بما آتاك الله أن تفرج عنى وتنفينى حيث أردت» فيبتسم لاجين، ويقول للرسول: «سلم عليه وقل له إن شاء الله بقى القليل».

واتفق أن لاجين رأى فى المنام كأنه بباب القلة من القلعة وقد جلس فى موضع النائب، والنائب قدامه وقف وشد وسطه، فلما قام من مكانه صعد درجا، وإذا برجل وهو كرجى وقد طعنه برمح فصار كوم رماد. فاستدعى لاجين[١] علاء الدين[....][٢] ابن الأنصارى عابر الرؤيا، وقص رؤياه عليه، فقال: «تدل هذه الرؤيا على أن السلطان يستشهد على يد كرجى». فقال لاجين: «الله المستعان» وأوصاه بكتمان ذلك، وأعطاه خمسين دينارًا وانصرف ابن الأنصارى فإذا قاصد الأمير منكوتمر ينتظره، فلما دخل عليه سأله عن رؤيا السلطان فكتمها عنه، وقال: «شىء يتعلق بالحريم». فقال منكوتمر: «قد رأيت أنا أيضًا كأنى خرجت من الخدمة إلى دار النيابة،

---

(١) المنصور لاجين حسام الدين بن عبد الله المنصورى، من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام، وهو الحادى عشر من ملوك الترك، ويسمى الرك الحسامى، كان مملوكا للمنصور قلاوون وإليه نسبته. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٩، وابن إياس ١٣٦/١، والنجوم الزاهرة ٨٥/٨، والأعلام ٢٣٨/٥.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

فإذا بالدهليز عمود رخام فوقه قاعدة، فجذبت سيفي وضربت رأس العمود فألقيته، ففار من العمود دم عظيم ملأ الدهليز». فعمَّى ابن الأنصارى عليه، وقال: «قد انقطع الكلام برؤية الدم» خوفًا من شره، وانصرف متعجبًا من اتفاق تأويل المنامين فلما كان بعد أحد عشر يومًا من رؤياهما، حضر إليه خادم بورقة فيها أن امرأة السلطان وهى ابنة الملك الظاهر رأت السلطان جالسًا، وإذا بطائر كالعقاب انقض عليه واختطف فخذه الأيسر وطار إلى أعلى الدار، فإذا غراب قد أشرف على الدار وصاح كرجى ثلاث مرات. فقال ابن النصارى: «هذا منام لا يفسر حتى تمضى ثلاث جمع» وأراد بذلك الدفع عن نفسه، فقُتِل لاجين فى الجمعة الثانية من هذا المنام على يد كرجى.

وبعث الأمير علم الدين سنجر الدواداري وراء ابن الأنصارى، واستحكاه عن تأويل رؤيا لاجين، فإنه كان حاضرًا عندما قصها عليه، ثم قام حتى لا يسمع تأويله. فأخبره ابن الأنصارى بما قاله له، وبمنامى منكوتمر وامرأة لاجين. فقال له الأمير علم الدين: «لما قمت من عند السلطان لاجين استدعانى وأخبرنى بما قال لك، وقال عرفت من الذى طعننى بالرمح؟ قلت لا، فأشار إلى كرجى. ثم استدعانى بعد أيام وذكر لى أنه أعلم منكوتمر بأن خاطره ينفر من كرجى، فقال له منكوتمر بحنق: والله لا تبرح تتهاون فى أمرك حتى يقتلوك ويقتلونى وتموت مماليكك فى الحبس، وما لهذا القواد إلا قتله يعنى كرجى وحلف أنه كلما رأى كرجى يود لو ضربه بسيفه، ونهض وهو مصمم على قتله. فحال الله بينهما وبين كرجى، حتى أمضى فيهما على يده ما قدره من قتلهما».

وذلك أن الاتفاق كان قد وقع بين السلطان وبين منكوتمر على مسك كرجى وطغجى وشاورشى فى جماعة من الأمراء وقت الخدمة يوم الإثنين، فعرف منكوتمر ثقاته بذلك. واشتد فكر السلطان واضطراب رأيه فيما قرره مع منكوتمر، فتارة يعزم على إمضائه، وتارة يرجع عنه حتى يرد عليه خبر الأمراء المجردين وهل قبض عليهم أو لا. فلما أصبح استدعى الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، وبعثه إلى منكوتمر يأمره ألا يفعل شيئًا مما قرره مع السلطان حتى يعرفه، فإنه خطر فى نفسه شىء أوجب تأخيره فلما ذكر سلار هذا لمنكوتمر ظن أن السلطان أعلمه بالأمر على وجهه، وأخذ ينكر على السلطان تأخيره ما اتفقا عليه، وشرح له الحال كله ولم يكتمه شيئًا فسكن سلار من حنقه، وأعاد الجواب على السلطان بالسمع والطاعة، وكتم ما أطلعه منكوتمر عليه، ومضى إلى كرجى وطغجى ومن معهما، وأعلمهم بالأمر كله، فشمّروا للحرب، وكان ما كان.

واتفق أيضًا أن فى الليلة التى قتل فيها لاجين ظهر فى السماء نجم له ذنب، يخيل لمن رآه أنه قد وصل إلى الأرض. فلما رآه لاجين تعجب منه، وتمعّر[1] وجهه، وقال لقاضى القضاة حسام الدين، وهو معه: «ترى ما يدل عليه هذا النجم؟» ، فقال: «ما يكون إلا خير». فسكت لاجين، ثم قال له: «يا قاضى حديث كل قاتل مقتول صحيح» وتغير تغيرًا زائدًا. فشرع الحسام يبسطه ويطيب خاطره، وهو يقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[2] وجلس وكررها، فقتل فى مجلسه ذلك.

واتفق أيضًا أنه أحضر إليه فى تلك الليلة بعض السلاح دارية سيفا من الخزانة، فقلبه وأعجب به، فأخذ كرجى يشكر منه، فقال له لاجين: «كأنك تريده» قال: «نعم والله يا خوند» فقال لاجين: «هذا ما يصلح لك» والتفت إلى طغاى وناوله إياه وقال: «خذ هذا اقتل به عدوك» فكان أول ما ضرب به لاجين بعد ساعة فأطار يده.

واتفق أيضًا أن لاجين دفن فى تربة بجانب تربة العادل كتبغا[3] من القرافة، فكان أولاد كتبغا يأتون قبره ويضربونه بالنعال ويسبونه، وأقاموا على هذا مدة يشفون أنفسهم بذلك.

وكان لاجين معظما للشرع وأهله منفذًا لأوامره، ومن ذلك أنه طَلَب أموال الأيتام من الأمراء وكانت تحت أيديهم، ونقلها إلى مودع جديد لمال الأيتام استجده، وكتب توقيعا بأن من مات وله ورثة صغار ينقل ميراثهم إلى مودع الحكم ويتحدث فيه قاضى القضاة الشافعى، فإن كان للميت وصى فيقيم القاضى الشافعى معه عدولا من جهته ورد لاجين عدة أملاك كانت قد أخذت بغير حق إلى ملاكها، منها قرية ضمير من عمل دمشق، وكانت وقف الملك الزاهر على أولاده. ورد على عز الدين بن القلانسى ما أخذ منه فى الأيام المنصورية قلاوون من المال بغير طريق شرعى. ووضع عن أهل بلقس الأشراف ما كان عليهم من المظالم، وهو يبلغ ثلاثين ألف درهم فى كل سنة،

---

(١) غضب فلان فتمعر لونه ووجهه: تغيرَّ وعلته صفرة. وفى الحديث: «فتمعر وجهه» أى تغيرَّ، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون، من قولهم: مكان أمعر، وهو الجدب الذى لا خصب فيه. ومعر وجهه: تغير. والمعمور: المقطب غضبا لله تعالى، وأورد ابن الأثير فى هذه الترجمة قول عمر، رضى الله عنه: «المعرة الأذى» والميم زائدة. انظر: ابن منظور، لسان العرب (معر).

(٢) سورة البقرة آية ١٥٦.

(٣) العادل كتبغا بن عبد الله المنصورى زين الدين الملقب بالملك العادل، من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام. أصله من سيس التتار من عسكر هولاكو. انظر ابن إياس ١٣٣/٨، والنجوم الزاهرة ٥٥/٨، وفوات الوفيات ١٣٨/٢، والأعلام ٢١٩/٥.

وعوض مقطعيه بدل ذلك. ورد وقف قراقوش على الفقراء، وكان قد أقطع منذ سنين، فتسلمه القاضى الشافعى وبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم، وعوض مقطعيه عنه ورد الدار القطبية إلى من وقفت عليه من جهة الملك الكامل، وكانت بيد أحد مقدمى الحلقة وورثته من نحو ستين سنة. وكانت عدة من الإقطاعات بيد الأمراء فردها إلى أربابها، وكانت العساكر من ذلك فى مضرة، لأنهم لا يحصل لهم من دواوين الأمراء كبير شيء، ويبقى الإقطاع فى حِمَى الأمير يأوى إليه كل مفسد وقاطع طريق.

وكان لاجين شجاعا مقدّما على أقرانه فى الفروسية وأعمالها، كثير الوفاء لمعارفه وخدامه، ومنع من لبس الكلفتاه الزركش والطرزكش وملابس الذهب، وشدد فى المنع من المحرمات كلها، وحد فى الخمر بعض أولاد الأمراء، وكان يصوم رجب وشعبان، ويقوم الليل، ويكثر من الصدقات، مع لين الجانب وخفض الجناح.

* * *

تدبير الأمراء بعد قتل الملك المنصور لاجين الأمر

ولما قتل الملك المنصور لاجين ونائبه الأمير منكوتمر اتفق من كان بالقلعة من الأمراء وهم عز الدين أيبك الخازندار المنصورى، وركن الدين بيبرس الجاشنكير[1] وسيف الدين سلار الأستادار، وحسام الدين لاجين الرومى الأستادار الواصل من حلب، وجمال الدين أقش الأفرم، وبدر الدين عبد الله السلاح دار، والأمير كرت الحاجب مع الأمير طغجى وكرجى على مكاتبة الملك الناصر محمد بن قلاوون[2] وإحضاره من الكرك[3] وإقامته فى السلطنة، وأن يكون طغجى نائب السلطنة، وألا يقع أمر من الأمور إلا بموافقة الأمراء عليه وتحالفوا على ذلك فى ليلة الجمعة. فلما طلع النهار فتح باب القلعة، وركب الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع وبقية الأمراء إلى القلعة، وكتبوا إلى الأمير قبجق نائب الشام والأمير بلبان الطباخى نائب حلب بما وقع، وطلبوا

---

(١) بيبرس الجاشنكير المنصورى ركن الدين الملك المظفر: من سلاطين المماليك بمصر والشام، شركسى الأصل على الأرجح. كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه، وتأمر فى أتباعه وصار من كبار الأمراء فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون، ولما تسلطن الناصر محمد بن قلاوون بعد مقتل الأشرف صار بيبرس أستادارا، وتقلبت به الأحوال. انظر النجوم الزاهرة ٣٣٢/٨، والأعلام ٨٠/٢.

(٢) الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى أبو الفتح، من ملوك الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى، وابن الوردى ٣٣٠/٢، وفوات الوفيات ٢٦٣/٢، وابن إياس ١٢٩/١، والدرر الكامنة ١٤٤/٤، ووليم موير ٦٥، والنجوم الزاهرة ١١٥/٨، وديوان صفى الدين الحلى ٥٥،٦٢،٢٤٢، والأعلام ١١/٧.

(٣) قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤.

منهما القبض على أيدغدى شقير وجاغان وحمدان بن صلغاى والأمراء الحسامية. وسار البريد بذلك على يد الأمير بلغاق من أمراء دمشق، وكان قد حضر بكتاب الأمير قبجق فى يوم السبت ثانى عشره بعد قتل لاجين، فأخذ طغجى منه الكتاب.

وجلس طغجى مكان النيابة وبقية الأمراء يمنة ويسرة، ومد السماط السلطانى على العادة. ودار الكلام فى الإرسال إلى الملك الناصر، فقام كرجى وقال: «يا أمراء أنا الذى قتلت السلطان لاجين وأخذت ثأر أستاذى، والملك الناصر صغير ما يصلح، ولا يكون السلطان إلا هذا وأشار لطغجى وأنا أكون نائبه، ومن خالف فدونه» فسكت الأمراء كلهم إلا كرت الحاجب فإنه قال: «يا خوند الذى فعلته أنت قد علمه الأمراء، ومهما رسمت ما ثم من يخالف» وانفضوا، وتأخر الإرسال إلى الملك الناصر.

فبعث طغجى إلى التاج عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة وسأله عن إقطاع النيابة فذكره له، فقال طغجى: «هذا كثير، أنا لا أعطيه لنائب» ورسم أن توفر منه جملة تستقر للخاص. فلما خرج التاج عبد الرحمن الطويل من عنده استدعاه كرجى وسأله عن إقطاع النيابة، فلما ذكره له استقله وقال: «هذا ما يكفينى ولا أرضى به» وعين بلادا يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر، فأخذ التاج يتعجب منهما فى استعجالهما بذلك قبل انعقاد الأمر لهما.

وفى ليلة الأحد: وقع الطائر بنزول الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح بيلبيس بالعسكر المجرد إلى سيس[1] فسر الأمراء بذلك، وكتبوا إليه وإلى من معه بجميع ما وقع واتفاق طغجى وكرجى مفصلا. وصار أهل الدولة قسمين: الأمراء ورأيهم معدوق بما يشير به الأمير بكتاش إذا حضر، وأما طغجى وكرجى وشاورشى والمماليك الأشرفية فإنهم يد واحدة على سلطنة طغجى ونيابة كرجى، وأنهم لا ينزلون إلى لقاء الأمير بكتاش، بل يقيمون مع طغجى بالقلعة حتى يحضر بكتاش بمن معه وكان رأى الأمراء النزول إلى لقائهم.

فلما كان يوم الأحد ثالث عشره: نزل الأمير بكتاش بركة الحاج، وشرع الأمراء بالقلعة فى التجهيز إلى لقائه. فامتنع كرجى من أن ينزل إليه أحد، بل أشار أن ينزل كل أحد إلى بيته، ويطلع الجميع من الغد القلعة، فيلبس طغجى خلعة السلطنة، وانفضوا على ذلك. فعلم الأمراء أنهم ما لم ينزلوا إلى لقاء الأمير بكتاش فاتهم ما دبروه، فلما اجتمعوا بعد العصر أخذوا مع طغجى وكرجى فى تحسين النزول للقاء،

(١) أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

فإن الأمير بكتاش قديم هجرة وأتابك العساكر، وقد أثر فى سبيل الله آثارًا جميلة وملك إحدى عشرة قلعة، وله غائب بالعسكر نحو سنة ونصف، فإن لم يَتَلَقّهم الأمراء صعب عليهم، ولو كان السلطان حيًّا لخرج إلى لقائهم. هذا وطغجى وكرجى يقولان: «لا نزول، وأما أنتم فانزلوا إن اخترتم؟» فلما طال تحاورهم استحيا طغجى من الأمراء وقال لكرجى: «الصواب فيما قاله الأمراء، والرأى أن أركب معهم ومعى مماليك السلطان ونلقى الأمير بكتاش، وتقيم أنت بالقلعة فى طائفة من المماليك، فاتفقوا على ذلك. وعرض طغجى المماليك ومعه كرجى، وعيَّنا أربعمائة تركيب مع طغجى، وأخرجت لهم الخيول من الاسطبل، وأن يقيم مع كرجى بقيتهم بالقلعة، وباتوا على ذلك.

وأما دمشق فإن بلغاق قدم إليها يوم السبت تاسع عشره، وقد بلغه تسحب الأمير قبجق بمن معه إلى جهة الفرات فأخفى أمره وتوجه إلى حلب وأوقف الأمير بلبان الطباخى على الخبر، فقبض الأمير بلبان من وقته على حمدان صلغاى وسجنه بالقلعة، وبعث البريد فى طلب قبجق ومن معه، وكتب يعرفه بقتل لاجين ومنكوتمر. فصدف البريدى أيدغدى شقير وكجكن وبالوج فى الطائفة الحسامية، وقد خرجوا فى طلب قبجق ومن معه، فأنكروا أمره وفتشوه، فإذا فى الكتب التى معه شرح ما وقع بمصر، فخاف أيدغدى شقير من نائب حلب لسوء ما عامله به، ودفع الكتب إلى البريدى وخلاه لسبيله، فمضى إلى قبجق، وتحير أيدغدى فى أمره، ثم قوى عليه كجكن حتى سار به إلى حلب، فلم يتعرض إليه الأمير بلبان النائب بل عزاه وتوجع له.

وقام بدمشق الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى، وقبض على الأمير سيف الدين جاغان الحسامى الشاد، وعلى الأمير حسام الدين لاجين الحسامى والى البر، وقدم الأمير كجكن من حلب فقبض عليه أيضًا، وسلمهم جميعًا لأرجواش نائب القلعة. وتحدث الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى حديث نواب السلطنة، وصار يركب بالعصائب والجاويش، ويجلس بدار السعادة وترفع له القصص على هيئة النواب، وأوقع الحوطة على أبواب الأمراء المقتولين وحواصلهم، وحلف العسكر للملك الناصر. فلم تطل مدته، ومات فى ثانى جمادى الأولى بقولنج[1] وصارت دمشق بغير نائب ولا مشد ولا محتسب.

وكان خبر قيام قرا أرسلان قد ورد إلى الأمراء بمصر، فخرج البريد فى سادس

---

(١) القولنج: مرض معوى مؤلم يكون فى المعى الغليظة ويعسر معه خروج الثفل والريح. انظر محيط المحيط.

عشرى ربيع الآخر باستقرار سيف الدين قطوبك المنصورى فى الشد عوضًا عن جاغان، فعاشر ذلك يوم الأحد خامس جمادى الأولى، عند قدوم البريد إلى دمشق.

وأما قبجق نائب دمشق، فإنه توجه ومعه الأمير بكتمر السلاح دار وفارس الدين ألبكى وسيف الدين عزاز وسيف الدين بزلار يريدون غازان، فمات بزلار قريبًا من سنجار. وتسامع بهم المغل، فركب جنكلى بن البابا أمير ديار بكر من قبل غازان وبالغ فى إكرامهم، وتلقاهم صاحب ماردين وقام بأمرهم. فلحقه بريد نائب حلب بها، وأوقفه على الكتب المتضمنة لقتل لاجين ومنكوتمر، فبكى قبجق والأمراء نادما على سرعة مفارقتهم بلاد الشام، ولم يعجبهم العود، فكتبوا الجواب بالاعتذار.

وكان غازان قد بلغه مجيئهم إليه، فبعث أميرًا يتلقاهم، وسار بهم إلى الأردوا فركب غازان فى موكبه وتلقاهم وأكرمهم، وضرب لهم الخركاوات وأمر لهم بما يصلح لهم. ثم استدعاهم وباسطهم، فلما انصرفوا حَمَل إلى قبجق عشرة آلاف دينار ولبكتمر مثلها، ولعزاز والألبكى ستة آلاف دينار لكل منهما. وأنعم غازان عليهم وعلى من معهم بالخيول وغيرها، وتقدم إلى أمرائه بأن يعمل كل منهم لهم ضيافة، فأقامت الأفراح فى الأردوا بسبب ضيافتهم عدة أيام، وصار قبجق فى غاية المسرة، فإنه أتاه طائفة من أهله وأقاربه، وأما بكتمر فإنه لم تطب نفسه بالإقامة.

ومن غريب الاتفاق أن السلطان الملك المنصور قلاوون جرى مرة عنده أمر تجريد عسكر إلى حلب، فذكر له قبجق هذا أن يُجَرَّد، فقال: «أعوذ با لله أن أجرد قبجق إلى نحو الشام، فإننى ما آمنه أن يدخل البلاد، ويظهر لى من وجهه الميل إلى المغل». ثم التفت قلاوون إلى سنقر المساح، وقال: «إن عشت يا أمير، وخرج قبجق إلى الشام، فستذكر قولى لك، فكان كذلك».

ويقال إنه كان مدة نيابته لدمشق يكاتب غازان، وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طمغا البريد التى يركب بها الأمراء عندهم، فبعثها غازان إليه، وصارت عنده حتى ركب من ماردين فحملها إليه، وكان هو أكبر أسباب قدوم غازان إلى دمشق، كما يأتى ذكره إن شاء ا لله.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيًا

وكان من خبر ذلك أن الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار والأمير علم الدين سنجر الجاولى قدما إلى الكرك، فوجد الملك الناصر يتصيد بالغور، فوجَّها إليه. ودخل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الكرك إلى أم السلطان ليبشرها، فخافت

أن تكون مكيدة من لاجين، وتوقفت فى المسير وابنها إلى مصر، فما زال بها حتى أجابت. ووصل الأميران إلى الملك الناصر فقبلا الأرض بين يديه وأعلماه الخبر، فأتى إلى المدينة وأخذ فى تجهيز أحواله، والبريد يتواتر من مصر باستحثاثه على القدوم إليها، إلى أن هيأ له نائب الكرك ما يليق به، وسار به إلى القاهرة فخرج الأمراء والعساكر إلى لقائه، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بها أحد من الناس فرحا بقدومه، وخرجوا إليه عامة فى يوم السبت رابع جمادى الأولى.

وجلس السلطان الملك الناصر على سرير الملك فى يوم الإثنين سادسه، وجددت له البيعة، وكتب شرف الدين محمد بن فتح الدين القيسرانى عهده عن الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد.

وفيه استقر الأمير سيف الدين سلار فى نيابة السلطنة بديار مصر، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادار، والأمير جمال الدين أقوش الأفرم الداودارى المنصورى نائب دمشق عوضًا عن الأمير قبجق المنصورى، والأمير سيف الدين كرت الحاجب فى نيابة طرابلس، واستقر عوضه حاجبًا سيف الدين قطلوبك وأفرج عن الأمير قرا سنقر، والأمير عز الدين أيبك الحموى، والوزير شمس الدين سنقر الأعسر، واستقر قرا سنقر فى نيابة قلعة الصبيبة، وخلع على سائر أهل الدولة، وكتب إلى الأعمال بذلك، ودقت البشائر وزينت الممالك على العادة.

وفى ثامنه: ركب السلطان بخلعة الخلافة والتقليد بين يديه، وعمره أربع عشرة سنة، وأقر الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى فى الوزارة. وسار الأمير أقش الأفرم على البريد إلى دمشق، فقدمها فى ثانى عشريه، ولبس من الغد التشريف، وقبل عتبة باب القلعة على العادة، ومد السماط بدار السعادة، وأخرج الأمير سيف الدين قطلوبك إلى مصر.

وفى تاسع عشريه: أفرج الأمير أقش الفرم عن جاغان الحسامى وبعثه على البريد إلى مصر، فرده السلطان من طريقه، وجعله أحد أمراء دمشق. وقدم البريد من حلب بدخول قبجق ومن معه إلى بلاد المغل. ووقع بالقاهرة مطر، وسال المقطم إلى القرافة فأفسد عدة ترب، ووصل الماء إلى باب النصر من القاهرة، وأفسد السيل هناك عدة ترب أيضًا.

وصار الأمراء يجتمعون بقلعة الجبل فى يوم الموكب عند السلطان، ويقررون الأمور مع بيبرس وسلار فتصدر الأحوال عنهما، وشرعا فى تقديم حواشيهما وألزامهما.

واستقر الأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، وأنعم على أمير موسى بن الصالح على ابن قلاوون بإمرة، وعلى كل من عز الدين أيدمر الخطيرى وبدر الدين بكتوت الفتاح وعلم الدين سنجر الجاولى وسيف الدين تمر وعز الدين أيدمر النقيب بإمرة. وأنعم على ناصر الدين محمد بن الشيخى والى القاهرة بإمرة، واستقر واليًا بالجيزة وأعمالها مع ولاية القاهرة، وأنعم على كل من لاجين أخى سلار وأقطاى الجمدار وبكتوت القرمانى بإمرة وقبض على الأمير [....][1] العمرى والأقوش وقراقوش الظاهرى ومحمد شاه الأعرج وعد على قراقوش ومحمد شاه من الذنوب قتلهما طغجى وكرجى.

وفى يوم الخميس خامس عشر جمادى الآخرة: ألبس الأمير أقش الأفرم نائب دمشق الأمراء والأعيان الخلع، وفيه قدم طلبه وأثقاله من مصر، فتلقاها والأمراء فى خدمته وعليه التشاريف، ودخل دخولا حسنًا.

وفيه كتب عن السلطان تقليد الملك المظفر تقى الدين محمود بنيابة حماة.

وفى شهر رجب: توجه الأمير كرت الحاجب إلى نيابة طرابلس.

وفى ثانى عشره: قبض بدمشق على الأمير سيف الدين كجكن واعتقل بالقلعة وورد البريد من حلب بمحاربة نغاى وطقطاى، وأنه قتل بينهما من المغل خلق كثير، وأن غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولو بن جنكزخان قتل وزيره نوروز، وأنه تأهب لعبور الشام وبعث فى جمع المغل، وأنه بعث سلامش بن أفال بن بيجو التترى إلى بلاد الروم، على عسكر يبلغ نحو الخمسة وعشرين ألف فارس. فاهتم الأمراء بتجريد العسكر، واتفقوا على تجهيز الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى، والأمير جمال الدين عبد الله السلاح دار، والأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار، ومقدمهم الأمير جمال الدين أقش قتال السبع، وصحبتهم من أمراء الطبلخاناه عشرون أميرًا. وكتب إلى دمشق بتجريد أربعة أمراء مقدمين، فساروا وقدموها فى سابع رجب.

وقدم البريد من دمشق بورود نحو ثلاثين بطسة فى البحر إلى ساحل بيروت، فى كل بطسة[2] منها نحو سبعمائة، وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر، وتحصل إغارتهم على الساحل. فاجتمع الناس لقتالهم، فبعث الله ريحًا كسرت المراكب وألقتها بالشاطئ، فأخذ أهل بيروت منها ما بقى من الغرق، وأسروا ثمانين إفرنجيا، وذلك أخريات شعبان.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) بطسة: والمقصود هنا اتساع البطسة لهذا العدد الكبير من الجند مما يساعد على تصور حجم ذلك النوع من السفن الحربية.

وقويت شوكة البرجية بديار مصر، وصارت لهم الحمايات[1] الكبيرة، وتردد الناس إليهم فى الأشغال. وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير وأمَّر منهم عدة، وصار فى قبالته الأمير سيف الدين الدين سلار ومعه الصالحية والمنصورية، إلا أن البرجية أكثر وأقوى، وشرهوا جميعًا إلى أخذ الإقطاعات، ووقع الحسد بين الطائفتين، وصار بيبرس إذا أمَّر أحدًا من البرجية وقفت أصحاب سلار وطلبت منه أن يؤمر منهم واحدًا. وأخذ الأمير سيف الدين برلغى يشارك بيبرس وسلار فى الأمر والنهى، وقويت شوكته والتف عليه المماليك الأشرفية.

وفى يوم الخميس ثانى عشر شعبان: وصل سلامش بن أفال نائب الروم إلى دمشق، مع الأمير عز الدين[....][2] الزردكاش نائب بهسنا، فى عشرين من أصحابه. فتلقاه عسكر دمشق وأهلها مع النائب وقد اهتم للقائه وبالغ فى التجمل الزائد، فكان يوما بهجًا. وأنزله على الميدان وقام بما يليق به، وأحضر فى ليلة النصف ليرى الوقيد بجامع بنى أمية.

وفى ليلة الإثنين سادس عشره: أركبه البريد هو وأخوه قطقطوا، فقدما إلى قلعة الجبل ومعهما مخلص الدين [....][3] الرومى فأكرمهم الأمراء وقاموا بواجبهم.

وكان من خبر سلامش أن غازان لما بعثه لأخذ بلاد الروم خرج عن طاعته، وحسن فى رأيه الاستبداد بملك الروم فاستخدم عشرة آلاف، وكاتب ابن قرمان أمير التركمان، وكتب إلى الملك المنصور لاجين سلطان مصر يطلب نجدة على قتال غازان على يد مخلص الدين الرومى. فأجيب فى شهر رجب بالشكر والثناء، وكتب إلى دمشق بخروج العسكر لنصرته.

وكان غازان قد وصل إلى بغداد، فبلغه خروج سلامش عن طاعته، فأعرض عن المسير إلى الشام، وجهز العساكر إلى بلاد الروم، وأخرجهم أول جمادى الآخرة وعدتهم نحو الخمسة وثلاثين ألفًا وعليهم بولاى وعاد غازان إلى تبريز، ومعه الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكى وبزلار، وسار بولاى إلى سنجار ونزل على رأس عين، ثم توجه إلى آمد.

---

(١) الحمايات جمع حماية، مكس يفرضه الأمير أو السلطان على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق، وقد أطلق عليها هذا الاسم لقيام الأمير بحماية الشخص الذى يدفع المكس.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وجمع سلامش نحو الستين ألفًا، وامتنع عليه أهل سيواس وهو يحاصرهم، فلما قرب منه بولاى بعساكر غازان فرَّ عنه من كان معه من التتار إلى بولاى فى أول ليلة من رجب، ثم التحق به أيضًا عسكر الروم، وفر التركمان إلى الجبال. ولم يبق مع سلامش إلا نحو الخمسمائة، فانهزم عن سيواس إلى جهة سيس، ووصل بهسنا آخر رجب. فورد خبره إلى دمشق فى خامس شعبان والأمراء بها على عزم الخروج لنجدته، فتوقفت الحركة عن تسيير العساكر. فما كان بعض أيام إلا وسلامش قد وصل إلى دمشق، فخرج إليه عساكر دمشق والتقوه فى موكب عظيم، ووصل صحبته من بهسنا الأمير بدر الدين الزردكاش نائب السلطنة بها.

ثم توجه سلامش وأخوه قطقطوا إلى الأبواب السلطانية، فى يوم الأحد خامس عشر شعبان على خيل البريد، فلما قدم إلى قلعة الجبل أنعم على أخيه قطقطوا بإقطاع، ورتب لمخلص الدين الرومى جارٍ، وخير سلامش بين المقام بالديار المصرية أو الشام أو أن يعود إلى بلاده، فسأل أن يجرد معه جيش ليعود إلى بلاده ويحضر بعياله، ويرجع إلى خدمة السلطان. فوافقه السلطان على ذلك، فركب البريد إلى حلب، ورسم أن يخرج معه الأمير بكتمر الجلمى. فقدم سلامش دمشق فى حادى عشر رمضان، وخرج من الغد ومعه الأمير بدر الدين الزردكاش، ولما وصل إلى حلب جرد معه الأمير بكتمر حسب المرسوم إلى جهة سيس، بعدما مر بحلب وخرج منها بعسكر. ففطن به التتار فقاتلوه، فقتل الأمير بكتمر، وفر سلامش إلى بعض القلاع فقبض عليه وحمل إلى غازان فقتله.

وكان سلامش هذا من أكبر الأسباب فى حركة غازان إلى بلاد الشام: وذلك أنه نهب بعسكر حلب ماردين[1] فى شهر رمضان حتى أخذ ما كان بجامعها، وفعل أفعالا قبيحة، فحرك فعله ما عند غازان وجعله حجة لمسيره.

وفى شعبان: أنعم على الأمير قرا سنقر بنيابة الصبيبة وبانياس، فسار إليهما وتسلمهما فيه.

وفى رمضان: قدم الأمير علاء الدين كجكن إلى القاهرة مقيدًا، هو وحمدان بن صلغاى، وقد وكل بهما مائة فارس من عسكر الشام. فأرسل بحمدان إلى صفد، فكان آخر العهد به. وقدمت رسل صاحب سيس وصاحب القسطنطينية بهدايا فى سادسه.

واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأعسر فى الوزارة عوضًا عن الصاحب فخر الدين

(١) ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قمته قلعة لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا المشهورة. انظر معجم البلدان ٥/٣٩، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

عمر بن الخليلى، فضرب التاج بن سعيد الدولة بالمقارع فأسلم، وكان مستوفيا. واستقر شمس الدين أحمد السروجى فى قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر، عوضًا عن حسام الدين حسن بن أحمد بن الحسن الرومى، فى أول ذى الحجة. ونقل الحسام إلى قضاء الحنفية بدمشق، عوضًا عن والده جلال الدين أحمد بن الحسن.

وفى آخر ذى القعدة: نقل الأمير قرا سنقر من نيابة الصبيبة إلى نيابة حماة، بعد وفاة الملك المظفر تقى الدين. واستناب الأمير بيبرس الجاشنكير فى الأستادارية الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وحكمه فى سائر أمورها، فترك الملك الناصر الاستدعاء لما يريده من مأكل أو مشرب لشدة الحجر عليه، وصار ليس له من المملكة سوى الاسم. وذلك أنهم يجلسونه فى يومى الخميس والإثنين، وتحضر الأمراء الأكابر ويقف الأمير سلار النائب والأمير بيبرس الأستادار، ويعرض سلار عليه ما يريده، ثم يشاور فيه الأمراء ويقول: السلطان قد رسم بكذا، فيمضى ذلك. ثم يخرج الجمع، فيجلس سلار وبيبرس ويتصرفان فى سائر أمور المملكة، ويتفقان على قلة مصروف السلطان.

وقدم البريد بتحرك غازان وجمعه على السير إلى الشام، فكُتب إلى الأمير كزناى والأمير قطلوبك الحاجب بالخروج واللحاق بالأمراء المجردين، فقدموا دمشق فى رابع عشرى ذى الحجة. ووقع العزم على سفر السلطان والأمراء، واستدعيت الجند من بلاد مصر، وألزم الوزير سنقر الأعسر بتجهيز الأموال، فتحسن سعر الخيل والجمال والسلاح وآلات السفر. وانتظر العسكر النفقة فيهم، فاجتمع الأمراء لذلك، فلم يوافق بيبرس وسلار على النفقة خوفا من تلاف المال، وقصدا تأخيرها إلى غزة، فلم ترض بقية الأمراء بذلك، وانفضوا على غير رضى. وخرج السلطان فى رابع عشرى ذى الحجة بالعساكر ونزل خارج القاهرة، واستناب فى غيبته الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار.

ووقع فى هذه السنة بأرض مصر آفة عظيمة من الفار.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيبك الموصلى نائب طرابلس، فى صفر.

ومات نجم الدين أيوب ابن الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[1]، فى رابع عشر ذى الحجة بدمشق.

---

(١) الملك الأفضل نور الدين بن يوسف صلاح الدين بن أيوب صاحب الديار الشامية استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩هـ وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢هـ. انظر=

ومات الأمير جمال الدين أقش المغيثى نائب البيرة بها. وقد أقام فى نيابتها أربعين سنة.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر الجلمى، قتل على سيس.

ومات الأمير بدر الدين بدر الصوافى أحد أمراء الدوادار. أصله من الغرب، فولاه المنصور لاجين دوادارا، وأقامه على تجديد عمارة جامع ابن طولون. واتفق أن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر مرض، فبعث إليه السلطان بدر الدين وقال: «ما بقى يجىء منه شىء» ، فبعد أسبوع مات بدر الدين، وطلع كاتب السر إلى الخدمة وقد عوفى، وعزى السلطان فى الدوادار، فقال السلطان: «لا إله إلا الله كان فى ظن الدوادار أنه يعزينا فى كاتب السر عزانا كاتب السر فيه».

ومات الأمير سيف الدين تمر بغا، وله مسجد بالقرب من الميدان التحتانى بين القاهرة ومصر، وكان كريما. وكان قد توجه مع الملك الناصر إلى الكرك، ثم نقل إلى طرابلس فمات بها.

ومات بحلب من المجردين الأمير سيف الدين البسطى، وأحمد شاه، ومحمد بن سنقر الأقرع، وعين الغزال، وكيكلدى بن السرية ومات بناحية سمنود ـ وكان قد توجه إليها ـ الأمير سيف الدين طقطاى.

ومات شهاب الدين يوسف بن الصاحب محيى الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم ابن هبة الله سالم بن طارق النحاس بن الأسدى الحلبى، فى ثالث عشر ذى الحجة بدمشق، وقد قدم القاهرة مرارًا.

ومات أمين الدين سالم بن محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى، ناظر الدواوين بدمشق، فى ثامن عشرى ذى الحجة، وهو مصروف.

ومات الأمير علم الدين سنجر المسرورى والى القاهرة، وهو المعروف بالخياط.

* * *

=ابن الأثير ١٦٤/١٢، ووفيات الأعيان ٣٧١/١، والأعلام ٢٣/٥.

سنة تسع وتسعين وستمائة

أهلت والسلطان متوجه بعساكر مصر إلى الشام، والإرجاف يقوى بمسير غازان إلى الشام. فرحل السلطان بالعساكر من الريدانية أول يوم من المحرم، والأمراء قد كثر تحاسدهم وتنافسوا بكثرة سعادتهم، فلما وصلوا غزة أقبلوا على الصيد والاجتماع والنزه. فاشتد حنق الطائفة الأويراتية الذين قدموا فى أيام العادل كتبغا، من أجل قتلى من قتل من أمرائهم فى أيام المنصور لاجين، ومن خلع كتبغا وإخراجه إلى صرخد، ومن استبداد البرجية بالأمور. وعزموا على إثارة الفتنة، وصاروا إلى الأمير علاء الدين قطلو برس العادلى وأقاموه كبيرًا لهم، واتفقوا على أن برنطاى أحد المماليك السلطانية وألوص أحد كبراء الأويراتية يهجم كلٌ منهما على الأميرين بيبرس وسلار ويقتله، ويعيدون دولة كتبغا.

فلما رحل السلطان بالعسكر من غزة ونزل تل العجول، ركب الأمراء للخدمة على العادة، وكان بيبرس يتأدب مع سلار ويركب بين يديه، فعندما ترجل الأمراء و لم يبق على فرسه سوى بيبرس وسلار، شهر برنطاى سيفه - وكان ماشيًا فى ركاب بيبرس - وضربه، فوقعت الضربة على كفل الفرس فحلت ظهره، وضرب برنطاى ثانيًا، فوقعت الضربة على الكلفة فقطعتها وجرحت الوجه، فتبادرته السيوف حتى قُتل.

ووقعت الصرخة فى العسكر فركب الجميع، وقصد الأويراتية الدهليز السلطانى يريدون الهجمة على السلطان حتى صاروا فى داخله، وقد ركب الأمراء فى طلبهم، فركب الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار والمماليك السلطانية وفى ظنهم أن القصد قتل السلطان، ونشروا العصائب ووقفوا. وعاد بيبرس وسلار إلى مخيمهما، وأمرا الحجاب والنقباء بجمع العسكر إلى مخيم الأمير سلار النائب، فكان العسكر إذا أتوا ورأوا سنجق السلطان وعصائبه منشورة مضوا إليه وتركوا سلار، فيردهم الحجاب فلا يلتفت منهم أحد، ولا يعود حتى يقف تحت السنجق السلطانى.

فبعث سلار إلى أمير جاندار يقول: «ما هذه الفتنة التى تريدون إثارتها فى هذا الوقت ونحن على لقاء العدو؟ وقد بلغنا أن الأويراتية قد وافقت المماليك السلطانية على قتلنا، وكان هذا برأيك ورأى السلطان، وقد دفع الله عنا. فإن كان الأمراء كذلك فنحن مماليك السلطان ومماليك أبيه الشهيد، ونحن نكون فداء المسلمين، وإن لم يكن الأمر كذلك فابعثوا إلينا غرماءنا».

فلما سمع السلطان هذا بكى، وحلف أنه لم يكن عنده علم بما ذكر، وحلف أمير

جاندار أيضًا وقال: «ولكن لما وقع ما وقع ظنوا أنهم يريدون قتل السلطان وإقامة غيره» ثم قال أمير جاندار: «إنما يريد الأمراء بهذا القول أن تقبض على مماليك السلطان طائفة بعد أخرى حتى تتمكن من مرادها، وإن كان السلطان ومماليكه قد شوشوا على الأمراء فأنا آخذ السلطان ومماليكه وأسير إلى الكرك».

فلما بلغ الأمراء ذلك عزموا أن يركبوا على أمير جاندار، ثم توقفوا حتى بعثوا إلى الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الأتابك. وكان على الجاليش وبينهما مرحلة، فلم يدخل فى شىء من ذلك، وأوصى ألا يتُعرض للسلطان بسوء. فرجع سلار إلى المداراة، وركب حتى أصلح بين أمير جندار والأمراء البرجية، وقبلوا جميعهم الأرض للسلطان وقبضوا على الأويراتية وعاقبوهم، فأقروا بما عزموا عليه من قتل بيبرس وسلار وإعادة دولة العادل كتبغا، فزال ما كان فى أنفس البرجية من موافقة السلطان وأمير جاندار للأويراتية.

وشنق من الغد نحو الخمسين من الأويراتية بثيابهم وكلفاتهم، ونودى عليهم: «هذا جزاء من يقصد إقامة الفتن بين المسلمين ويتجاسر على الملوك». وطلب الأمير قطلوبرس فلم يوجد، وكان قد فر إلى غزة واختفى بها، فنهبت أثقاله كلها، وأنزل بالمصلوبين فى اليوم الرابع فأخذت البرجية تغرى بيبرس، وتوحش بينه وبين سلار بأنه متفق عليه مع مماليك السلطان. فلما بلغ ذلك سلار تلطف مع بيبرس، واتفقا على إرسال طائفة من المماليك السلطانية إلى الكرك فلم يخالفهما السلطان، فأخذا منهم عدة ممن اتهماهم بموافقة الأويراتية وحبساهم بالكرك.

ثم رحل السلطان بعد عدة أيام إلى قرتية[1]، ورسم بالإقامة عليها حتى يعود الرسل بأخبار العدو، وبعثوا القصاد للكشف عن ذلك، وفى هذه المنزلة سالت الأودية، وأتلف السيل كثيرًا من أثقال العسكر، وافتقر عدة منهم لذهاب جمالهم وأثقالهم، وتشاءموا به وتطيروا منه، فكان الأمر كذلك. وعقب هذا السيل خرج جراد سد الأفق بحيث حجز الأبصار عن السماء فزاد تطير العسكر، وخشوا أن يكون منذرًا بقدوم العدو وكسرة العسكر، وتحدث بذلك كل أحد حتى السوقة. ثم وقع الرحيل فى أول ربيع الأول إلى جهة دمشق، فدخلها السلطان يوم الجمعة ثامنه.

ففى يوم السبت تاسعه: قدم الجفل من حلب وغيرها إلى دمشق، وقدم البريد من

---

(١) بلد قرب بيت جبرين من نواحى فلسطين من أعمال بيت المقدس.انظر: معجم البلدان ٤/٣٢٠.

حلب وغيرها بنزول غازان على الفرات، وأنه فى عسكر عظيم إلى الغاية، فأُنفق فى العساكر لكل فارس ما بين ثلاثين دينارًا وأربعين دينارًا. وقد كثر الإرجاف وتتابع وصول الناس فى الجفلة، وشحت أنفس الجند بإخراج النفقة فى شراء ما يحتاجون إليه لغلاء كل ما يباع من ذلك، ولكثرة ما أجرى الله على الألسنة بكسرة العسكر، ولتمكن بعض الجند فى الأمراء البرجية.

وقدم البريد من حلب بمسير جاليش غازان من الفرات وعبوره، وأن أهل الضياع قد جفلوا عن آخرهم، وقدم الأمير أسندمر كرجى متولى فتوحات سيس بعدما أخذ حاصل تل حمدون، وأحضر معه صاحب سيس. فخرج عسكر دمشق، وخرج السلطان بعده بعساكر مصر وقت الزوال من يوم الأحد سابع عشره، وسار إلى حمص فنزل عليها، وبعث العربان لكشف الأخبار. وقد نزل التتر بالقرب من سلمية[1]، ولهج كل أحد بأن العسكر مسكور، وأقام العسكر لابس السلاح ثلاثة أيام، وقد غلت الأسعار.

فلما كان سحر يوم الأربعاء ثامن عشريه: ركب السلطان بالعساكر، وجد فى السير إلى الرابعة من النهار، فظهرت طوالع التتر، فنودى عند ذلك فى العساكر: «أن ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس»، فألقوا رماحهم كلهم على الأرض. ومشوا ساعة، ورتبوا العساكر بمجمع المروج - ويعرف اليوم بوادى الخزندار-وعدتهم بضعة وعشرون ألف فارس، والتتار فى نحو مائة ألف. فوقف الأمير عيسى بن مهنا وسائر العربان رأس الميمنة، ويليهم الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بعساكر حلب وحماة، ووقف فى الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح والأمير أقش قتال السبع وعلم الدين سنجر وطغريل الإيغانى والحاج كرت نائب طرابلس، فى عدة من الأمراء، وكان فى القلب بيبرس وسلار وبرلغى وقطلوبك الحاجب وأيبك الخازندار، فى عدة من الأمراء، وقد جعلوا جناحهم المماليك السلطانية، ووقف حسام الدين لاجين الأستادار مع السلطان على بعد من اللقاء حتى لا يعرف فيقصد، وقدموا خمسمائة مملوك من الزراقين فى مقدمة العساكر.

وفى وقت الترتيب عرض للأمير بيبرس الجاشنكير حدة وإسهال مفرط لم يتمكن منه أن يثبت على الفرس، فركب المحفة واعتزل القتال، وأخذ الأمير سلار النائب معه الحجاب والأمراء والفقهاء، ودار على العساكر كلها والفقهاء تعظ الناس وتقوى

(١) سلمية: هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. انظر: معجم البلدان ٣/٢٤٠.

عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء.

هذا وغازان ثابت لم يتحرك، وقد تقدم إلى أصحابه كلهم ألا يتحرك أحد منهم حتى يحمل هو بنفسه، فيتحركون عند ذلك يدًا واحدة، فبادر عساكر المسلمين للحركة، وأشعل الزراقون النفط، وحملوا على غازان فلم يتحرك، وكان في الظن أن غازان أيضًا يتحرك إلى لقائهم. فمرت خيول العساكر بقوة شوطها فى العدو، ثم لما طال المدى قصرت فى عدوها، وخمد نار النفط. فحمل عند ذلك غازان بمن معه حملة واحدة حتى اختلط بالعساكر، بعدما قدم عشرة آلاف مشاة يرمون بالنشاب حتى أصابت سهامهم خيولا كثيرة، وألقى الفرسان عنها. وكثرت نكاية العرب بالسهام، فولى العرب أولا وتبعهم جيش حلب وحماة، فتمت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان. وصدمت الميسرة ميمنة غازان صدمة فرقت جمعها وهزمتها عن آخرها، وقتلت منها نحو الخمسة آلاف، وكتب بذلك للسلطان ـ وهو معتزل فى طائفة مع حسام الأستادار- فسر بذلك.

وكاد غازان أن يولى الإدبار، واستدعى قبجق نائب دمشق فشجعه قبجق وثبته حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره، فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له، وولى سلار وبكتمر الجوكندار وبرلغي وسائر الأمراء البرجية، وركب غازان أقفيتهم حتى كانت سهامه تصيب خوذة الفارس فتقدح نارًا.

هذا والسلطان معتزل ومعه الحسام، وهو يبكى ويبتهل ويقول: «يا رب لا تجعلنى كعبًا نحسًا على المسلمين»، ويهم أن يفر مع القوم، فيمنعه الحسام ويقول: «ما هى كسرة، لكن المسلمين قد تأخروا»، ولم يبق معه من المماليك غير اثنى عشر مملوكا.

وعادت الميسرة الإسلامية بعد كسرة ميمنة غازان إلى حمص بعد العصر ومعهم الغنائم، فإذا الأمراء البرجية أهل القلب قد انكسروا والمغل فى أعقابهم فبهتوا. وخشى غازان من الكمناء فكف عن اتباع العساكر، وكان ذلك من لطف الله بهم، فلو قد مر فى طلبهم لهلكوا من عند آخرهم.

ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب، وقد غنم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلبًا للنجاة، فاشتد صراخ أهل حمص، وصاحوا بالعسكر: «الله الله فى المسلمين!» وقد كلت الخيول، فمروا إلى بعلبك[1] ونزلوا عليها بكرة يوم الجمعة وقد غلقت أبوابها، فامتاروا منها ومروا فى سيرهم إلى

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرًا. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والروض المعطار ١٠٩، نزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

دمشق فدخلوها يوم السبت أول ربيع الآخر، وقد توجه أكثرهم على الساحل إلى مصر. فما هو إلا أن دخلوا دمشق حتى وقع الصارخ بمجيء غازان، فخرجوا بعد نحو ساعة من قدومهم وتركوا سائر ما لهم، وجعل أهل دمشق فتشتتوا فى سائر الجهات، ومر بالعسكر من العشير والعربان أهوال، وأخذوا أكثر ما معهم نهبًا وسرقة.

وقتل فى هذه الواقعة الأمير كرت نائب طرابلس، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير أيدمر الحلبى، وبلبان التقوى من أمراء طرابلس، وبيبرس الغتمى نائب قلعة المرقب، وأزبك نائب بلاطنس، وبيليك الطيار من أمراء دمشق، ونوكاى التترى، وأقش كرجى الحاجب، وأقش الطروحى حاجب دمشق، ونحو الألف من الأجناد والمماليك وعدم قاضى القضاة حسام الدين بن أحمد الرومى الحنفى قاضى الحنفية بدمشق، وعماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الموقع. وقتل من التتار نحو أربعة عشر ألفًا.

وأما غازان فإنه نزل بعد هزيمة العسكر إلى حمص ـ وقت عشاء الآخرة ـ وبها الخزائن السلطانية وأثقال العسكر، فأخذها من الأمير ناصر الدين محمد بن الصارم، وسار إلى دمشق بعدما امتلأت أيدى أصحابه بأموال جليلة القدر.

هذا وأهل دمشق قد وقع بينهم فى وقت الظهر من يوم السبت أول ربيع الآخر ضجة عظيمة، فخرجت النساء باديات الوجوه، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم، وخرجوا من المدينة. فمات من الزحام فى الأبواب خلق كثير، وانتشر الناس برءوس الجبال وفى القرى، وتوجه كثير منهم إلى جهة مصر.

وفى ليلة الأحد: خرج أرباب السجون، وامتدت الأيدى لعدم من يحمى البلد.

وأصبح من بقى بالمدينة وقد اجتمعوا بمشهد على من الجامع الأموى وبعثوا إلى غازان يسألون الأمان لأهل البلد، فتوجه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية والشريف زين الدين[....][1] بن عدنان والصاحب فخر الدين[....[2]] بن الشيرجى وعز الدين حمزة بن القلانسى فى جمع كبير من الأعيان والفقهاء والقراء إلى غازان فى يوم الإثنين ثالثه بعد الظهر، فلقوه بالنبك وهو سائر، فنزلوا عن دوابهم ومنهم من قبل له الأرض. فوقف غازان بفرسه لهم، ونزل جماعة من التتار عن خيولهم، ووقف الترجمان وتكلم بينهم وبين غازان،

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فسألوا الأمان لأهل دمشق، وقدموا له مآكل كانت معهم فلم يلتفت إليها، وقال: «قد بعثت إليكم الأمان»، وصرفهم، فعادوا إلى المدينة بعد العصر من الجمعة سابع الشهر، ولم يخطب بها فى هذه الجمعة لأحد من الملوك.

وكان قد وصل إلى دمشق فى يوم الخميس سادس الشهر أربعة من التتار من جهة غازان، ومعهم الشريف القمى، وكان قد توجه قبل توجه الجماعة هو وثلاثة من أهل دمشق إلى غازان، فعاد وبيده أمان لأهل دمشق. ثم قدم فى يوم الجمعة سابعه بعد صلاة الجمعة الأمير إسماعيل التترى بجماعة من التتر، ودخل المدينة يوم السبت ليقرأ الفرمان بالجامع فاجتمع الناس، وقرأ بعض العجم الواصلين مع الأمير إسماعيل الفرمان بتأمين الكافة، وعاد إسماعيل إلى منزله بعدما صلى العصر.

وفى يوم الأحد: أخذ أهل دمشق فى جمع الخيل والبغال والأموال، فنزل غازان على دمشق يوم الإثنين عاشره، وعاثت عساكره فى الغوطة وظاهر المدينة تهب وتفسد، ونزل قبجق وبكتمر السلاح دار بمن معهما فى الميدان الأخضر، وامتدت التتر إلى القدس والكرك تنهب وتأسر.

وامتنع الأمير علم الدين سنجر المنصورى المعروف باسم أرجواش بقلعة دمشق، وسب قبجق وبكتمر سبا قبيحًا، وكانا قد تقدما إليه وأشارا عليه بالتسليم.

وفى بكرة يوم الثلاثاء حادى عشره: تقدم الأمير إسماعيل التترى إلى القضاة والأعيان بالحديث مع أرجواش فى تسليم القلعة، وأنه إن امتنع نهب المدينة ووضع السيف فى الكافة. فاجتمع عالم كبير وبعثوا إلى أرجواش فى ذلك فلم يجب، وتكررت الرسل بينهم وبينه إلى أن سبَّهم وجبَّههم، وقال: «قد وقعت إلىّ بطاقة بأن السلطان قد جمع الجيوش بغزة، وهو واصل عن قريب»، فانصرفوا عنه.

وفى ثانى عشره: دخل الأمير قبجق إلى المدينة، وبعث إلى أرجواش فى التسليم فلم يجب.

وفيه كتبت عدة فرمانات إلى أرجواش من قبجق، ومن مقدم من مقدمى التتار ذكر أنه رضيع الملك غازان، ومن شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن على الشيبانى وغيره، فلم يجب، وأخذ الناس فى تحصين الدروب وقد اشتد خوفهم.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: خطب لغازان على منبر دمشق بألقابه، وهى: «السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان»، وصلى

جماعة من المغل الجمعة. فلما انقضت الجمعة صعد الأمير قبجق والأمير إسماعيل سدة المؤذنين، وقرئ على الناس تقليد قبجق بلاد الشام كلها وهى مدينة دمشق وحلب وحماة وحمص وسائر الأعمال، وجعل إليه ولاية القضاة والخطباء وغيرهم. فنثرت على الناس الدنانير والدراهم، وفرحوا بذلك فرحا كثيرًا وجلس شيخ الشيوخ نظام الدين بالمدرسة العادية، وعتب الناس لعدم ترددهم إليه، ووعد بالدخول فى صلح أمورهم مع غازان، وطلب الأموال وتعاظم إلى الغاية، واستخف بقبجق وقال: «خمسمائة من قبجق ما يكونون فى خاتمى». وصار نظام الدين يضع من قلعة دمشق ويستهين بها، ويقول: «لو أردنا أخذها أخذناها من أول يوم»، وكان لا يزال الدبوس على كتفه، ولم يكن فيه من أخلاق المشايخ ما يمدح به، بل أخذ نحو الثلاثين ألف دينار برطيلا، حتى قال فيه علاء الدين بن مظفر بن الكندى الوداعى:

شيخ غازان ما خلا ... أحد من تجرده
وغدا الكل لابسى ... خرقة الفقر من يده

وفى خامس عشره: بدأ التتر فى نهب الصالحية[1]، حتى أخذوا ما بالجامع والمدارس والترب من البسط والقناديل، ونبشوا على الخبايا، فظهر لهم منها شىء كثير حتى كأنهم كانوا يعلمون أماكنها فمضى ابن تيمية فى جمع كبير إلى شيخ الشيوخ وشكوا ذلك، فخرج معهم إلى حى الصالحية فى ثامن عشره ليتبين حقيقة الأمر ففر التتر لما رأوه، والتجأ أهل الصالحية إلى دمشق فى أسوأ حال.

وكان سبب نهب الصالحية أن متملك سيس بذل فيها مالاً عظيمًا، وكان قد قصد خراب دمشق عوضًا عن بلاده، فتعصب الأمير قبجق ولم يمكنه من المدينة ورسم له بالصالحية، فتسلمها متملك سيس وأحرق المساجد والمدارس، وسبى وقتل وأخرب الصالحية، فبلغت عدة من قتل وأسر منها تسعة آلاف وتسعمائة نفس.

ولما فرغوا من الصالحية صار التتر إلى المزة[2] وداريا[3]، ونهبوهما وقتلوا جماعة من أهلهما فخرج ابن تيمية فى يوم الخميس عشريه إلى غازان بتل راهط ليشكو له ما جرى من التتار بعد أمانه، فلم يمكنه الاجتماع به لشغله بالسكر، فاجتمع بالوزيرين سعد الدين ورشيد الدين، فقالا: «لابد من المال»، فانصرف. واشتد الطلب للمال على أهل دمشق، واستمر الحصار، وتعين نصب المنجنيق على القلعة بالجامع، وهيئوا أخشابه

(١) قرية كبيرة مطلة على دمشق، فى خلف جبل قاسون، انظر: معجم البلدان ٣/٢١٨.
(٢) قرية كبيرة بينها وبين دمشق نصف فرسخ. انظر: معجم البلدان ٥/٨٨.
(٣) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر: معجم البلدان ٢/٤٣١،٤٣٢.

ولم يبق إلا نصبه.

فبلغ ذلك أرجواش، فبعث طائفة هجمت على الجامع على حمية وأفسدت ما تهيأ فيه، فأقام التتر منجنيقًا آخر بالجامع واحترزوا عليه. واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه، ولم تقم به صلاة العشاء فى بعض الليالى، ونهب التتر ما حول الجامع من السوق. فانتدب رجل من أهل القلعة لقتل المنجنيقى، ودخل الجامع والمنجنيقى فى ترتيب المنجنيق والمغل حوله، فهجم عليه وضربه بسكين فقتله. وكان معه جماعة تفرقوا فى المغل يريدون قتلهم ففروا، وخلص الرجل بمن معه إلى القلعة سالمًا.

وأخذ أرجواش فى هدم ما حول القلعة من العمائر والبيوت، وصيروها دكا لئلا يستتر العدو فى المنازلة بجدرانها، فأحرق ذلك كله وهدمه من باب النصر إلى باب الفرج، وشمل الحرق دار الحديث الأشرفية وعدة مدارس إلى العادلية، وأحرق أيضًا بظاهر البلد شيء كثير، وأحرق جامع التوبة بالعقيبة وعدة قصور وجواسق وبساتين.

واشتد الأمر فى طلب المال، وغلت الأسعار حتى أبيع القمح بثلاثمائة وستين درهما الغرارة، والشعير بمائة وثمانين درهما، والرطل الخبز بدرهمين، والرطل اللحم باثنى عشر درهما، والرطل الجبن باثني عشر درهما، والرطل الزيت بستة دراهم، وكل أربع بيضات بدرهم، ووزعت الأموال، فقرر على سوق الخواصين مائة وثلاثون ألف درهم، وعلى سوق الرماحين مائة ألف درهم، وعلى سوق علىّ مائة ألف درهم، وعلى سوق النحاسين ستون ألف درهم، وعلى قيسارية الشرب مائة ألف درهم، وعلى سوق الذهبيين ألف وخمسمائة دينار وقرر على أعيان البلد تكملة ثلاثمائة ألف دينار، جبيت من حساب أربعمائة ألف، ورسم على كل طائفة جماعة من المغل، فضربوا الناس وعصروهم، وأذاقوهم الخزى والذل. وكثر مع ذلك القتل والنهب فى ضواحى دمشق، حتى يقال إنه قتل من الجند والفلاحين والعامة نحو المائة ألف إنسان، فقال فى ذلك كمال الدين[....][1] ابن قاضى شهبة:

رمتنا صروف الدهر منها بسبع ... فما أحد منا من السبع سالم
غلاء، وغازان، وغزو، وغارة ... وغدر، وإغبان، وغم ملازم

وقال الشيخ كمال الدين محمد بن على الزملكانى أيضًا:

لهفى على جلق يا سوء ما لقيت ... من كل علج له فى كفره فن
بالطم والرم جاءوا لا عديد لهم ... فالجن بعضهم والحن والبن

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وكان ما حمل لخزانة غازان وحده على يد وجيه الدين بن المنجا مبلغ ثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم، سوى السلاح والثياب والدواب والغلال، وسوى ما نهبته التتار، فإنه كان يخرج إليهم من باب شرقى كل يوم أربعمائة غرارة. ورسم غازان بأخذ الخيول والجمال، فأخرج من المدينة زيادة على عشرين ألف حيوان، وأخذ الأصيل بن النصير الطوسى، منجم غازان وناظر أوقاف التتار، عن أجرة النظر بدمشق مائتى ألف درهم، وأخذ الصفى السنجارى، الذى تولى الاستخراج لنفسه، مائة ألف درهم، وهذا سوى ما استخرج للأمير قبجق والأمراء المغل، وسوى المرتب لغازان فى كل يوم.

فلما انتهت الجباية أقر غازان فى نيابة دمشق الأمير قبجق، وفى نيابة حلب وحماة وحمص الأمير بكتمر السلاح دار، وفى نيابة صفد[1] وطرابلس والساحل الأمير الألبكى. وجعل مع كل واحد عدة من المغل، وأقام مقدمًا عليهم لحماية الشام قطلوشاه، وجرد عشرين ألفا من عسكره مع أربعة من المغل بالأغوار.

ورحل غازان فى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى، وترك على دمشق نائبه قطلوشاه نازلا بالقصر، وأخذ وزيره من أعيان دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله، وعلاء الدين على بن شرف الدين محمد بن القلانسى، وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد سعيد بن الأثير.

فلما كان يوم السبت ثالث عشره: بعد رحيل غازان، أمر التتر الذين بدمشق أن يخرج من كان فى المدرسة العادلية، فكان إذا خرج أحد أخذوا منه ما يقع اختيارهم عليه بعد التفتيش، ثم دخلوا فكسروا أبواب البيوت ونهبوا ما فيها، ووقع النهب فى المدينة فأخذوا نحوًا مما استخرج من الأموال أولا، وأحرقوا كثيرا من الدور والمدارس: فاحترقت دار الحديث الأشرفية وما حولها، ودار الحديث النورية، والعادلية الصغرى وما جاورها والقيمرية وما جاورها إلى دار السعادة وإلى المارستان النورى، ومن المدرسة الدماغية إلى باب الفرج. وأخذوا ما حول القلعة، وركبوا الأسطحة ليرموا بالنشاب على القلعة، فأحرق عند ذلك أرجواش ما حول القلعة وخربه كما تقدم، واستمر قطلوشاه مقدم التتار يحاصر القلعة.

وفى تاسع عشره: قرئ بالجامع كتاب تولية قبجق نيابة الشام، وكتاب بتولية الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين الختنى[2] الوزارة.

وفى حادى عشريه: احترقت المدرسة العادلية.

---

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) نسبة إلى بلدة ختن القريبة من كاشغر بالتركستان انظر: معجم البلدان ٣١٤/٢.

فلما عدى غازان الفرات أشار قبجق وبكتمر السلاح دار على قطلوشاه أن يتحول عن دمشق إلى حلب بمن معه من التتار، وجمع قبجق له مالا من الناس، وسار قطلو شاه فى يوم الإثنين ثانى عشرى جمادى الأولى، وترك طائفة من التتر بدمشق، وخرج قبجق لوداعه، وعاد فى خامس عشريه ونزل بالقصر.

الأبلق ونودى فى سادس عشريه ألا يخرج أحد إلى الجبل والغوطة ولا يغرر بنفسه، ثم نودى بخروج أهل الضياع إلى ضياعهم.

وفى تاسع عشريه: تحول الأمير قبجق إلى المدينة وأقام بها.

وفى يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة: نودى بخروج الناس إلى الصالحية وغيرها، فخرجوا إلى أماكنهم وفتحت الأسواق وأبواب المدينة.

وفى يوم الجمعة رابعه: دقت البشائر بالقلعة.

وفى سابعه: أمر قبجق جماعة من أصحابه، وأمر بإدارة الخمارة بدار ابن جرادة، فظهرت الخمور والفواحش، وضمنت فى كل يوم بألف درهم.

هذا وقد نهبت التتار الأغوار حتى بلغوا إلى القدس، وعبروا غزة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا وعادوا إلى دمشق وقد أسروا خلقًا كثيرًا، فخرج إليهم ابن تيمية، ومازال يحدثهم حتى أفرجوا عن الأسرى، ورحلوا عن دمشق يريدون بلادهم فى ثانى رجب.

وأما السلطان الملك الناصر، فإن العساكر تفرقت عنه وقت الهزيمة، ولم يبق معه إلا بعض خواصه والأميرين زين الدين قراجا وسيف الدين بكتمر الحسامى أمير أخور فى نفر يسير. وبالغ بكتمر مدة السفر إلى مصر فى خدمة السلطان بنفسه وماله، فكان يركبه وينزله، ويشد خيله ويشترى لها العليق ويسقيها، إلى غير ذلك من أنواع الخدمة، حتى قدم إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانى عشر ربيع الآخر.

ثم ترادفت العساكر إلى الديار المصرية شيئًا بعد شىء فى أسوأ حال، وكان ممن قدم معهم الملك العادل كتبغا، وصار يمشى فى خدمة الأمير سلار نائب السلطنة، ويجلس بين يديه ويرمل عليه إذا علّم على المناشير وغيرها. واتفق مع ذلك أنه لما كان كتبغا سلطانا نودى على جوسن[1] للبيع، فبلغ ثمنه على بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم، ثم عرض على كتبغا وقيل له إنه على بيبرس بكذا، فقال: «وهذا يصلح لذاك الخرياطى»؟ وأخذ الجوسن بثمنه. فلما زالت أيامه صار الجوسن لبيبرس بعد لاجين،

---

(١) على هامش ط: لفظ فارسى، ويعنى درع من الجلد الذى يلبس حول الجزء الأوسط من الجسم.

فأراد نكاية كتبغا وأحضر الجوسن وكتبغا عنده، ولبسه وقال له: «يا أمير إيش تقول؟ يصلح هذا لى؟» فلم يفطن كتبغا لما أراد، وقال له: «وا الله يا أمير هذا كأنه فصل لك» فنظر بيبرس إلى الأمراء يشير إليهم، فاشتد عجبهم من تغير الأحوال، فلم يشاهد أعجب من ذلك. وأقيم العزاء فى الناس لمن فقد وكانوا خلقًا كثيرًا.

ثم أخذ السلطان الناصر فى التجهيز للمسير إلى الشام ثانيًا، وشرع الأمراء فى الاهتمام بأمر السفر، وجمعوا صناع السلاح للعمل. وأخذ الوزير فى جمع الأموال للنفقة، وكتب إلى أعمال مصر بطلب الخيل والرماح والسيوف من سائر الوجهين القبلى والبحرى، فبلغ القوس الذى كان يساوى ثلاثمائة درهم إلى ألف درهم، وأخذت خيول الطواحين وبغالها بالأثمان الغالية، وطلبت الجمال والهجن والسلاح ونحو ذلك. فأبيع ما كان بمائة بسبعمائة وبألف، ونودى بحضور الأجناد البطالين، فحضر خلق كثير من الصنائعية، ونزّلوا أسماءهم فى البطالين.وفرقت أخباز المفقودين، ورسم لكل من أمراء الألوف بعشرة من البطالين يقوم بأمرهم، ولكل من الطبلخاناه بخمسة، ولكل من العشراوات برجلين. واستخدم جماعة من الأمراء الغزاة المطوعة احتسابا.

واستدعى مجدى الدين عيسى بن الخشاب نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العساكر، فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز، بأن يؤخذ من كل إنسان دينار، فرسم له سلار بأخذ خط الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فأبى أن يكتب بذلك، فشق هذا على سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء، وشكا إليه قلة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو، وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع، فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام، فقال: «لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما فى ملكهم من ذهب وفضة وحلى نسائهم وأولادهم ورآه، وحلّف كلا منهم أنه لا يملك سوى هذا، كان ذلك غير كاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد. وأما الآن فيبلغنى أن كلا من الأمراء له مال جزيل، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلى، ويعمل الإناء الذى يستنجى منه فى الخلاء من فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر»، وقام عنهم فطُلب ناصر الدين محمد بن الشيخى متولى القاهرة، ورسم له بالنظر فى أموال التجار ومياسير الناس، وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله.

فما أهل جمادى الأولى حتى استجد عسكر كبير، وغصت القاهرة ومص ـ وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن، ونزلوا بالقرافة

وحول جامع ابن طولون وطرف الحسينية. وكان مع ذلك الرخاء في الحبوب وسائر المأكولات، حتى أن القمح كان يباع في غيبة العسكر كل أردب من ستة عشر درهما إلى ثمانية عشر، والشعير بعشرة دراهم الأردب، والفول بثمانية دراهم. فانحط ذلك كله حتى أبيع القمح من عشرة دراهم إلى ثلاثة عشر درهما الأردب، والشعير من ثمانية دراهم إلى عشرة، والفول ما بين ستة دراهم وسبعة دراهم الأردب.

وأراد ابن الشيخي أن يجبى من الناس كلهم بالقاهرة وظواهرها، ويبعث إلى ولاة الأقاليم بالجباية من كل أحد، ويسمى ما يجبى من المال مقرر الخيالة. فاستشنع الأمراء ذلك، فقرر على كل أردب يباع من الغلال خروبة[1] تؤخذ من المشترى، وأحدث نصف السمسرة: وهي عبارة عن أن المنادى إذا باع شيئًا من القماش أو غيره، وأخذ دلالته عن كل مائة درهم درهمين، فإنه يحمل الدرهم الواحد للديوان، فجبى ذلك واستخدم منه نحو مائتى فارس. واعتبر حال التجار وأرباب الأموال، وفرض على كل واحد من مائة دينار إلى عشرة دنانير، فلم يدع تاجرًا ولا متسببًا ولا من يعرف بغنى إلا وأخذ منه، وطلب من تجار الكارم وأعيان التجار مالاً على سبيل القرض، فاجتمع من ذلك مال عظيم، وصار لكل فارس أربعون دينارًا.

وبعثوا إلى كل مقدم ألف نفقة مضافيه، وإلى كلٍّ من نواب الشام نفقة عسكره. فانحط سعر الذهب، حتى صرف الدينار بسبعة عشر درهما، بعد خمسة وعشرين درهما ونصف.

وبينا هم في ذلك إذ ورد الخبر برحيل غازان عن دمشق، وإقامة قبجق نائبًا عنه بها، فسر الناس بذلك. وكان السلطان عند قدومه إلى مصر قد بعث إلى نواب القلاع الملطفات يأمرهم بحفظها، ويعلمهم بما هو فيه من الاهتمام وسرعة الحركة للسفر، فلم يتمكن أصحاب غازان من شيء منها، وكتب السلطان أيضًا إلى قبجق وبكتمر السلاح دار وغيرها يدعوهما إلى الطاعة، فعادت أجوبة قبجق وأصحابه بالامتثال.

وبلغ من تأخر في بلاد الشام من التتار حركة السلطان، فاشتد خوفهم، وخرج قبجق بمن معه يريد مصر في نصف رجب، فسار التتار من دمشق. واستولى الأمير أرجواش على المدينة مع القلعة، وأعاد الخطبة باسم السلطان في يوم الجمعة سابع عشره بعد انقطاعها مائة يوم، وأبطل فيه ما تجدد من المنكرات، وأغلق الخمارات وأراق

---

(١) على هامش ط: جمع ضراريب: وهي قطعة صغيرة من النقود النحاسية وهي في اصطلاح الصاغة: حي حبة الخروب يوزن بها.

الخمور وشق ظروفها على يد ابن تيمية.

وعندما تكملت النفقة على العساكر نودى بالقاهرة ومصر بالسفر، ومن تأخر شنق، ورسم أن يكون سعر الدينار عشرين درهما. وخرج السلطان فى تاسع رجب فسار إلى الصالحية، وقدمت إليه كتب الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكى بقدومهم صحبة عز الدين حمزة بن القلانسى والشريف ابن عدنان، فأقام السلطان بالصالحية.

وسار الأميران سلار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير الأستادار بالعساكر إلى دمشق فى ثانى عشرى رجب، فلقوا الأمير قبجق ومن معه بين غزة وعسقلان[1]، فترجل كل منهم لصاحبه وتباركوا وأنزلوا، ورتب لهم ما يليق بهم، وأمروا بالتوجه إلى السلطان، وسار الأمراء بالعساكر إلى دمشق. فقدم قبجق بمن معه إلى الصالحية فى عاشر شعبان، فركب السلطان إلى لقائهم، وبالغ فى إكرامهم والإحسان إليهم، وأنزلهم، ثم سار بهم إلى قلعة الجبل فقدمها فى رابع عشره.

ودخل الأمير جمال الدين أقش الأفرم إلى دمشق فى يوم السبت عاشر شعبان.

وفى حادى عشره: قدم إليها الأمير قرا سنقر المنصورى نائب حلب بعساكرها، وقد استقر عوضا عن بلبان الطباخى، واستقر الطباخى من أمراء مصر بالخدمة السلطانية على إقطاع آقسنقر كرتاى بعد موته. ودخل الأمير أسندمر كرجى نائب الفتوحات الطرابلسية بعساكرها، وقد استقر عوضا عن الأمير قطلوبك.

وفى ثانى عشره: قدمت ميسرة العساكر المصرية، ومقدمها الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح.

وفى ثالث عشره: قدمت ميمنة العساكر المصرية، مع الأمير حسام الدين لاجين أستادار.

وفى رابع عشره: قدم الأمير سلار النائب والمماليك السلطانية، والملك العادل كتبغا - وقد استقر فى نيابة حماة عوضا عن قرا سنقر المنتقل لنيابة حلب - والأمير كراى المنصورى المستقر فى نيابة صفد.

ونزل الأمير سلار بالميدان، وجلس فى دار العدل بحضور الأمراء والقضاة، وخلع

---

(١) عسقلان: مدينة بالشام بينها وبين فلسطين مرحلة، وهى الآن عامرة بأيدى الروم، وهى على ساحل البحر، فتحها معاوية على صلح سنة ثلاث وعشرين، وعسقلان بينها وبين الرملة ستة فراسخ، وبينها وبين غزة أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ١٢٢/٤، والروض المعطار ٤٢٠، وابن الوردى ٢٥.

على الصاحب عز الدين حمزة بن القلانسى.

وفى خامس عشره: ولى سلار قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة قضاء دمشق، عوضا عن إمام الدين عمر بن سعد الدين الكرجى القزوينى القونوى بعد وفاته.

وفى حادى عشريه: ولى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن صفى الدين الحريرى قضاء الحنفية، وولى الأمير سيف الدين أقبجا المنصورى شد الدواوين، وولى عز الدين أيبك النجيبى بر دمشق، وولى أمين الدين يوسف الرومى، إمام المنصور لاجين، حسبة دمشق، وولى تاج الدين[.... [(١)]] بن الشيرازى نظر الدواوين.

وسير سلار عسكرًا إلى حلب، فطرقها على غفلة، وأوقع بمن فيها من أصحاب غازان وقتلهم، فلم يفلت منهم إلا القليل، ولحقوا بغازان وعرفوه غدر قبجق بهم.

وتوجه الملك العادل كتبغا إلى حماة، بعدما كان يركب فى دمشق بخدمة الأمير سلار، ويجلس بين يديه كما كان يفعل بالقاهرة، فشاهد الناس من ذلك ما فيه أعظم عبرة، وقدم كتبغا حماة فى رابع عشرى شعبان، واستقر كل نائب فى مملكته.

وكان السعر بدمشق غاليا فانحطت الغرارة القمح من ثلاثمائة درهم إلى مائة وخمسين، وأبيع اللحم الضأن بدرهمين الرطل الدمشقى. وتتبع الأمير جمال الدين أقش الأفرم نائب السلطنة بالشام من كان بدمشق من المفسدين، الذين تولوا استخراج المال فى أيام غازان من الناس، والذين دلوا على عورات الناس. فسمر بعضهم، وشنق بعضهم وقطع أيدى جماعة وأرجلهم، ومن المفسدين من قطع لسانه وكحل فمات من يومه.

وخلع سلار على الأمير أرجواش نائب القلعة، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم وطلبت مشايخ قيس ويمن من العشير والعربان، وألزموا بإحضار ما أخذ من العسكر وأهل البلاد فى توجههم إلى مصر وقت الجفلة.

وكان غازان لما أخذ البلاد وعاد إلى الشرق طمع الأرمن فى البلاد التى افتتحها المسلمون، وأخذوا تل حمدون وغيرها.

فلما استقرت الأحوال ببلاد الشام خرج الأميران بيبرس وسلار بعسكر مصر من دمشق يوم السبت ثامن شهر رمضان يريدان مصر، فوصلا قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثالث شوال بعدما ركب السلطان إلى لقائهم، وكان يوما مشهودًا.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وعندما استقر الأمراء، سأل الأمير قبجق أن ينعم عليه بنيابة الشوبك[١]، فأجيب إلى ذلك وخلع عليه. وأنعم على الأمير بكتمر السلاح دار بإمرة مائة بديار مصر، وعلى الأمير فارس الدين ألبكى الساقى بإمرة مائة بدمشق.

وفى عشرى شوال: توجه الأمير أقش الأفرم من دمشق لغزو الدرزية[٢] أهل جبال كسروان، فإن ضررهم اشتد، ونال العسكر عند انهزامها من غازان إلى مصر منهم شدائد ولقيه نائب صفد بعسكره، ونائب حماة ونائب حمص ونائب طرابلس بعساكرهم. فاستعدوا لقتالهم، وامتنعوا بجبلهم وهو صعب المرتقى، وصاروا فى نحو اثنى عشر ألف رام. فزحفت العساكر السلطانية عليهم، فلم تطقهم وجرح كثير منهم، فافترقت العساكر عليهم من عدة جهات، وقاتلوهم ستة أيام قتالا شديدًا إلى الغاية، فلم يثبت أهل الجبال وانهزموا. وصعد العسكر الجبل بعدما قتل منهم وأسر خلقا كثيرًا، ووضع السيف فيهم، فألقوا السلاح ونادوا «الأمان»، فكفوا عن قتالهم. واستدعوا مشايخهم وألزموهم بإحضار جميع ما أخذ من العسكر وقت الهزيمة، فأحضروا من السلاح والقماش شيئًا كثيرًا، وحلفوا أنهم لم يخفوا شيئًا فقرر عليهم الأمير أقش الأفرم مبلغ مائة ألف درهم جبوها، وأخذ عدة من مشايخهم وأكابرهم، وعاد إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذى القعدة، وبعث البريد بالخبر إلى السلطان.

وألزم الأمير أقش الأفرم أهل دمشق بتعليق السلاح فى الحوانيت وملازمة الرمى بالنشاب، ونودى بذلك. وألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فقهاء دمشق بذلك، وجلس لعرض الناس فى حادى عشريه، وعرض الكافة طائفة بعد طائفة من الأشرف والفقهاء وأهل الأسواق، وقدَّم على أهل الأسواق رجالا يلى كل رجل سوقا. وتتبع الناس بديار بكر التتر، فقتلوا منهم خلقا كثيرًا.

و لم تخرج هذه السنة إلا وأهل دمشق فى فقر مدقع، وفى ذلك يقول علاء الدين على بن مظفر الوداعى:

أما دمشق فأهلها قد أصبـ ... بكرية جعلوا التسنن مذهبا
سرًّا وجهرًا أنفقوا أموالهم ... حتى تجلل كل شخص بالعبا

وقال:

---

(١) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. انظر: معجم البلدان ٣/٣٧٠.

(٢) أحد الفرق المغالية من الشيعة.

ما لبست الصوف من عبث لا ولا الخلقان مجانا
إنه زى لمن هو من فقراء الشيخ غازانا

وذهب لأهل مصر مال كثير في حركة غازان، إلا أنهم لسعة أحوالهم لم يبالوا بذلك.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز الشافعى، درس بالكهارية والقطبية من القاهرة، وولى الحسبة، وكان أديبًا فصيحًا جميلا فيه مكارم ومروءة، لطيف المزاج بساما شهمًا جزلا، حج ودخل اليمن مرارا، ومن شعره فى مليح سبح فى النيل وتلطخ بالتراب:

ومترب لولا التراب بجسمه لم تبصر الأبصار منه منظرا
فكأنه بدر عليه سحابة والتراب ليل من سناه أقمرا

وقال:

فى السمر معان لا ترى فى البيض تا الله لقد نصحت فى تعريض
ما الشهد إذا أطعمته كاللبن يكفى فطنا محاسن التعريض

ومات شهاب الدين أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمى الإشبيلى، ولد سنة خمس وعشرين وستمائة. وتفقه على ابن عبد السلام بدمشق، وكان شافعيا، وله قصيدة فى علم الحديث.

ومات الأمير صارم الدين أزبك نائب قلعة بلاطنس، واستشهد فى نوبة غازان على حمص، فى ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير أقش كرجى المطروحى الحاجب.

ومات آقسنقر كرتاى أحد أمراء الألوف.

ومات الأمير بلبان التقوى، أحد أمراء طرابلس.

وتوفى كاتب السر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن محمد ابن الأثير الحلبى، بعدما صرف.

ومات الفقير المعتقد بدر الدين أبو على الحسن بن عضد الدولة أبى الحسن على أخى المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن يوسف بن هود فى شعبان، ومولده بمرسية سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. كان أبوه نائب السلطنة بها عن المتوكل، فتزهد هو وحج وسكن دمشق، وكانت له أحوال عجيبة.

ومات بيبرس الغتمى، نائب حصن المرقب.

ومات بكتاش المنصورى الطيار، أحد أمراء دمشق.

ومات ناصر الدين محمد بن أيدمر الحلبى، أحد أمراء مصر.

ومات نوكاى بن بيان التترى أبو خوند منكبك امرأة الصالح على بن قلاوون، وأبو خوند أردكين امرأة الأشرف خليل.

ومات علاء الدين على ابن الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبرى.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الحلى. وهؤلاء استشهدوا بوقعة حمص، ما بين قتيل فى المعركة ومجروح مات من جراحته بعد ذلك.

ومات الطواشى حسام الدين بلال المغيثى الجلالى، بمنزلة السوادة فى تاسع ربيع الآخر، فدفن بقطيا، ثم نقل إلى تربته بالقرافة، وكان خيرًا دينا.

ومات الأمير سيف الدين جاغان الحسامى، بأرض البلقان.

ومات الأمير علم الدين سنجر الدواداري بحصن الأكراد، فى ثالث رجب.

وتوفى قاضى القضاة إمام الدين عمر بن سعد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزوينى الشافعى، قاضى قضاة دمشق، بالقاهرة فى يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع الآخر.

ومات تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبى عبد الله محمد بن عبد الدائم بن منجا بن على البكرى التيمى القرشى النويرى، فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة، وهو والد الشهاب أحمد النويرى المؤرخ الكاتب.

ومات شمس الدين محمد بن صدر الدين سليمان بن أبى العز وهيب الدمشقى الحنفى، بدمشق فى [......][1].

ومات حسام الدين أبو الفضائل حسن بن تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن حسن بن أنو شروان الرومى، قاضى القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر ودمشق، فقد من الصف على

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

حمص يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول، فلم يعرف له خبر، وعمره نحو السبعين سنة.

ومات الأمير علاء الدين قطلوبرس العادلى مشنوقا بدمشق، ظفر به بعد هروبه.

ومات شرف الدين أبو محمد الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمى، عرف بابن الصيرفى، فى خامس عشرى ذى الحجة، وهو فى عشر التسعين.

* * *

سنة سبعمائة

أهلت هذه السنة وقد ورد الخبر بحركة غازان إلى بلاد الشام، فوقع الاهتمام بالسفر. واستدعى السلطان الوزير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير ناصر الدين محمد ابن الشيخى والى القاهرة وأمرا باستخراج الأموال من الناس، وكتب إلى الشام بذلك. فشرعا فى الاستخراج، وألزم أرباب العقارات، والأغنياء بمال تقرر على كل منهم، وجلسا بدار العدل تحت القلعة حيث الطبلخاناه الآن، والناس تحمل المال أولا بأول، حتى أخذا مائة ألف دينار جبيت من القاهرة ومصر والوجهين القبلى والبحرى، فنزل بالناس ضرر عظيم. وطلب من شهود القاهرة ومصر الجالسين بالحوانيت مبلغ أربعين دينارًا من كل عائد، وعشرين دينارًا من كل شاهد، فقام فى أمرهم قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى حتى أعفوا منه. وانطلقت الألسن بالشام ومصر فى حق أهل الدولة، واستخف العامة بالأجناد، وأكثروا من قولهم للجند: «بالأمس كنتم هاربين واليوم تريدون أخذ أموالنا»، فإن أجابهم الجندى قالوا له: «لم لا كانت هذه الحرمة فى المغل الذين فعلوا بكم كيت وكيت، وهربتم منهم؟» فلما فحش أمر العامة فى تجرئهم على الأجناد، نودى فى القاهرة ومصر: «أى عامى تكلم مع جندى كانت روحه وماله للسلطان».

واستخرج من دمشق أجرة الأملاك والأوقاف لأربعة أشهر، فأخذ ذلك من سائر ما فى المدينة وضواحيها، وأخذ من الضياع عن كل مدى ستة دراهم وثلثا درهم، والمد أربعون ذراعًا فى مثلها، وتكسيره[1] ألف وستمائة ذراع بذراع[2] العمل، وطلب من الفلاحين نظير مغل سنة ثمان وتسعين، وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم.

فنزلت بالناس شدائد، وقطعوا الأشجار المثمرة وباعوها حطبا، حتى أبيع القنطار الحطب الدمشقى بثلاثة دراهم، يخرج منها فى أجرة قطعه درهم ونصف. فخربت الغوطة من ذلك، وفر كثير من الناس إلى مصر.

فلما جبيت الأموال بدمشق استخدم السلطان عدة ثمانمائة من التركمان والأكراد،

---

(١) تكسيره: عملية الضرب فى الحساب. وقد ذكر فى باب مقاييس الأرض الزراعية وغيرها أن كل أربعمائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بفدان وهو أربعة وعشرون.

(٢) المقصود بذراع العمل مقياس معين وقد ذكر فى أرض السواد بالعراق وطوله ثلاثة أشبار.

ودفع لكل واحد ستمائة درهم، فهرب أكثرهم لما علموا بوصول التتار الفرات، وذهب المال و لم يجد نفعا.

واستخدم السلطان بمصر عدة كبيرة من أهل الصنائع ونحوهم. ونزل الأمراء فى الخيم بميدان القبق لعرض العسكر بخيولهم ورماحهم حتى تعتبر أحوالهم، وعرضوا فى كل يوم عشرة مقدمين من الحلقة بمضافيهم فقطعوا يسيرا منهم، ثم أبقوا الجميع لما داجى عليهم المقدمون فى أمر الجند حتى أقروا من هو دخيل فيهم. وأنهوا العرض فى عشرين يومًا، ورميت الإقامات. وهذا وقد امتلأت أرض مصر بالجفلى من البلاد الشامية، ورخصت الأسعار عند قدومهم حتى أبيع القمح بعد عشرين درهما الأردب بخمسة عشر.

وخرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت به الأمراء والعساكر، فسار إلى غزة وأقام بها يومين.

فورد الخبر بمسير غازان بعد عبوره من الفرات إلى نحو أنطاكية، وقد جفل الناس بين يديه. وخلت بلاد حلب وفر قرا سنقر نائبها إلى حماة، وبرز كتبغا نائب حماة ظاهرها فى ثانى عشرى ربيع الأول، ووصل إليهم عساكر مصر والشام فأقاموا خارج حماة.

وأمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة، فوقع الرحيل إلى العوجاء[١]. وأصاب العسكر فيها شدائد من الأمطار التى توالت أحدًا وأربعين يومًا حتى عدم فيها الواصل واشتد الغلاء. وأضعف البرد الدواب والغلمان، وبلغ الحمل التبن إلى أربعين درهما والعليقة الشعير ثلاثة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم، واللحم كل رطل بثلاثة دراهم. وعقب المطر سيل عظيم أتلف معظم الأثقال، ومات جماعة من الغلمان وأربعة من الجند لشدة البرد. ثم وقع الرحيل فى الأوحال العظيمة.

فقدم البريد من حلب بأن غازان توجه من جبال أنطاكية إلى جبال السماق[٢] وأنه عاد على قرون[٣] حماة وشيزر[٤]، فنهب وسبى عالما عظيما، وأخذ مالا كبيرًا من

---

(١) العوجاء: نهر بين أرسوف والرملة من أرض فلسطين من السواحل. انظر معجم البلدان ١٦٧/٤.

(٢) جبل السماق: هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع. انظر: معجم البلدان ١٠٢/٢.

(٣) قرون: انظر معجم البلدان ٣٣٥/٤.

(٤) شيزر: مدينة بالشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣٨٢/٣، والروض المعطار ٣٥٢.

المواشى وغيرها، وأنه قصد التوجه إلى دمشق، فأرسل الله عليه ثلوجا وأمطارًا لم يعهد مثلها، ووقع فى خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفى فرس، وبقى معظم عساكره بغير خيول، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضا، وأن غازان خاض الفرات فى حادى عشر جمادى الأولى، فسر الناس سرورًا عظيما.

وسار الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار بمضافيه، والأمير بهاء الدين يعقوبا بمضافيه، إلى حلب فى ألفى فارس، لتكون السمعة وتطمئن أهل البلاد. وعاد السلطان ببقية العساكر إلى مصر سلخ ربيع الآخر. واستقر الأمير سيف الدين بدخاص فى نيابة صفد، عوضا عن كراى لاستعفائه منها، وأنعم على كراى بإقطاع الأمير بلبان الطباخى بعد موته، واستقر بلبان الجوكندار حاجب دمشق شاد الدواوين بها. فقدم العسكر إلى دمشق فى سابع جمادى الأولى، وقدم السلطان قلعة الجبل فى يوم الإثنين حادى عشره.

وكان الناس لما بلغهم بدمشق عود السلطان إلى مصر اشتد خوفهم، وخرج معظمهم يريدون القاهرة، ونودى بدمشق فى تاسع جمادى الأولى: «من أقام بدمشق بعد هذا النداء فدمه فى عنقه، ومن عجز عن السفر فليتحصن بقلعة دمشق»، فخرج بقية الناس على وحوههم. وغلت الأسعار بدمشق حتى أبيعت الغرارة القمح بثلاثمائة درهم، والرطل اللحم بتسعة دراهم، فلما خرج الجفل نزلت الغرارة إلى مائتى درهم.

وفى جمادى الآخرة: كثر الإرجاف بعود التتر، وقد خلت البلاد الشامية من أهلها ونزحوا إلى مصر.

وفى رجب: كانت وقعة أهل الذمة: وهى أنهم كانوا قد تزايد ترفهم بالقاهرة ومصر، وتفننوا فى ركوب الخيل المسومة والبغلات الرائعة بالحلى الفاخرة، ولبسوا الثياب السرية، وولوا الأعمال الجليلة. فاتفق قدوم وزير ملك المغرب يريد الحج، واجتمع بالسلطان والأمراء، وبينا هو تحت القلعة إذا برجل راكب فرسا وحوله عدة من الناس مشاة فى ركابه، يتضرعون له ويسألونه ويقبلون رجليه، وهو معرض عنهم لا يعبأ بهم بل ينهرهم ويصيح فى غلمانه بطردهم. فقيل للمغربى إن هذا الراكب نصرانى فشق عليه، واجتمع بالأميرين بيبرس وسلار وحدثهما بما رآه، وأنكر ذلك وبكى بكاء كثيرًا، وشنع فى أمر النصارى وقال: «كيف ترجون النصر والنصارى تركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض، وتذل المسلمين وتشبههم فى خدمتكم؟»

وأطال القول فى الإنكار وما يلزم ولاة الأمور من إهانة أهل الذمة وتغيير زيهم. فأثر كلامه فى نفوس الأمراء، فرسم أن يعقد مجلس بحضور الحكام، واستدعيت القضاة والفقهاء، وطلب بطرك النصارى، وبرز مرسوم السلطان بحمل أهل الذمة على ما يقتضيه الشرع المحمدى. فاجتمع القضاة بالمدرسة الصالحية بين القصرين، وندب لذلك من بينهم قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى، وطلب بطرك النصارى، وجماعة من أساقفتهم وأكابر قسيسيهم وأعيان ملتهم، وديان اليهود وأكابر ملتهم، وسئلوا عما أقروا عليه فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عقد الذمة، فلم يأتوا عن ذلك بجواب. وطال الكلام معهم إلى أن استقر الحال على أن النصارى تتميز بلبلس العمائم الزرق، واليهود بلبس العمائم الصفر، ومنعوا من ركوب الخيل والبغال، ومن كل ما منعهم منه الشارع ﷺ، وألزموا بما شرطه عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فالتزموا ذلك وأشهد عليه البطرك أنه حرم على جميع النصرانية مخالفة ذلك والعدول عنه، وقال رئيس اليهود ودانهم: «أوقعت الكلمة على سائر اليهود فى مخالفة ذلك والخروج عنه» وانفض المجلس، وطولع السلطان والأمراء بما وقع، فكتب إلى أعمال مصر والشام به.

ولما كان يوم خميس العهد وهو العشرون من شهر رجب: جمع النصارى واليهود بالقاهرة ومصر وظواهرها، ورسم ألا يستخدم أحد منهم بديوان السلطان ولا بدواوين الأمراء، وألا يركبوا خيلاً ولا بغالا، وأن يلتزموا سائر ما شرط عليهم. ونودى بذلك فى القاهرة ومصر، وهدد من خالفه بسفك دمه. فانحصر النصارى من ذلك، وسعوا بالأموال فى إبطال ما تقرر، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير فى إمضاء ما ذكر قياما محمودًا، وصمم تصميما زائدًا. فاضطر الحال بالنصارى إلى الإذعان، وأسلم أمين الملك عبد الله بن العنام مستوفى الصحبة وخلق كثير، حرصا منهم على بقاء رياستهم، وأنفة من لبس العمائم الزرق وركوب الحمير. وخرج البريد بحمل النصارى واليهود فيما بين دمقلة[١] من النوبة[٢] والفرات على ما تقدم ذكره.

وامتدت أيدى العامة إلى كنائس اليهود والنصارى، فهدموها بفتوى الشيخ الفقيه

---

(١) دمقلة: فى غربى النيل على ضفته، وهى قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها، وبين دمقلة وعمل مصر أربعون يومًا، وتسير من دمقلة فى حبال وشعاب حتى تنتهى إلى صورا وهو آخر بلادهم. انظر معجم البلدان ٤٧٠/٢، والروض المعطار ٢٣٦، والإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٢٧٥/٥، والبكرى ٥٩.

(٢) النوبة: بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر. انظر: معجم البلدان ٣٠٩/٥.

نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة. فطلب الأمراء القضاة والفقهاء للنظر فى أمر الكنائس، فصرح ابن الرفعة بوجوب هدمها، وامتنع من ذلك قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد، واحتج بأنه إذا قامت البينة بأنها أحدثت فى الإسلام تهدم، وإلا فلا يتعرض لها، ووافقه البقية على هذا وانفضوا.

وكان أهل الإسكندرية لما ورد عليهم مرسوم السلطان فى أمر الذمة ثاروا بالنصارى وهدموا لهم كنيستين، وهدموا دور اليهود والنصارى التى تعلو على دور جيرانهم المسلمين، وحطوا مساطب حوانيتهم حتى صارت أسفل من حوانيت المسلمين. وهدم بالفيوم أيضًا كنيستان.

وقدم البريد فى أمر الذمة إلى دمشق يوم الإثنين سابع شعبان، فاجتمع القضاة والأعيان عند الأمير أقش الأفرم وقرئ عليهم مرسوم السلطان بذلك، فنودى فى خامس عشريه أن يلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر، وهددوا على المخالفة. فالتزم النصارى واليهود بسائر مملكة مصر والشام ما أمروا به، وصبغوا عمائمهم إلا أهل الكرك، فإن الأمير جمال الدين أقش الأفرم الأشرفى النائب بها رأى إبقاءهم على حالتهم، واعتذر بأن أكثر أهل الكرك نصارى، فلم يغير أهل الكرك والشوبك من النصارى العمائم البيض.

وبقيت الكنائس بأرض مصر مدة سنة مغلقة حتى قدمت رسل الأشكرى ملك الفرنج تشفع فى فتحها، ففتحت كنيسة المعلقة بمدينة مصر، وكنيسة ميكائيل الملكية ثم قدمت رسل ملوك أخر، ففتحت كنيسة حارة[١] وزويلة، وكنيسة نقولا[٢].

وفيها فنيت أبقار أرض مصر: وذلك أنه وقع فيها وباء من أخريات السنة الماضية، وتزايد الأمر حتى تعطلت الدواليب ووقفت أحوال السواقى، وتضرر الناس من ذلك. وكان لرجل من أهل أشمون طناح ألف وأحد وعشرون رأسا من البقر، مات منها ألف وثلاثة أرؤس وبقى له ثمانية عشر رأسا لا غير. واضطر الناس لتعويض البقر بالجمال والحمير، وبلغ الثور ألف درهم.

وفيها استقر الأمير أسندمر كرجى فى نيابة طرابلس، لاستعفاء الأمير قطلوبك المنصورى.

وفيها اختلف عربان البحيرة، واقتتلت طائفتا جابر وبرديس[٣] حتى فنى بينهما بشر كثير، واستظهرت برديس.

---

(١) كنيسة حارة: حارة زويلة بالقاهرة كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة.

(٢) إحدى الكنائس الخمس التى كانت للمسيحين الملكانيين.

(٣) باب من أبواب أمراء العربان.

فخرج الأمير بيبرس الدوادار فى عشرين أميرًا من الطبلخاناه إلى تروجة، فانهزم العرب منهم، فتبعوهم إلى الليونة[1] وأخذوا جمالهم وأغنامهم، واستدعوا أكابرهم ووفقوا بينهم وعادوا.

وفيها خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر فى عدة مائة من المماليك السلطانية إلى الوجه القبلى لحسم العربان، وقد كان كثر عيثهم وفسادهم، ومنع كثير منهم الخراج لما كان من الاشتغال بحركات غازان. فأوقع الوزير شمس الدين بكثير من بلاد الصعيد الكبسات، وقتل جماعات من المفسدين، وأخذ سائر الخيول التى ببلاد الصعيد، فلم يدع بها فرسا لفلاح ولا بدوى ولا قاض ولا فقيه ولا كاتب، وتتبع السلاح الذى مع الفلاحين والعربان فأخذه عن آخره، وأخذ الجمال. وعاد من قوص إلى القاهرة، ومعه ألف وستون فرسا، وثمانمائة وسبعون جملا، وألف وستمائة رمح، وألف ومائتا سيف، وسبعمائة درقة، وستة آلاف رأس من الغنم، فسكن ما كان بالبلاد من الشر، وذلت الفلاحون، وأعطوا الخراج.

واتفق أن بعض النصارى فتح كنيسة، فاجتمع العامة ووقفوا إلى الأمير سلار النائب، وشكوا النصارى أنهم فتحوا كنيسة بغير إذن، وأن فيهم من امتنع من لبس العمامة الزرقاء واحتمى بالأمراء. فنودى بالقاهرة ومصر أن من امتنع من النصارى من لبس العمامة الزرقاء نهب وحل ماله وحريمه، وألا يستخدم نصرانى عند أمير ولا فى شىء من الأشغال السلطانية ولا فيما فيه نفع. فامتدت أيدى العامة إلى اليهود والنصارى، وكادوا يقتلونهم من كثرة الصفع فى رقابهم بالأكف والنعال، فامتنع الكثير منهم من المشى فى الأسواق خوفا على نفسه.

وقدمت رسل غازان إلى الفرات، فورد البريد بذلك، فخرج إليهم الأمير سيف الدين كراى على البريد لإحضارهم، فقدموا دمشق يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى القعدة، وهم نحو العشرين رجلا، فأنزلوا بقلعتها. وحمل ثلاثة منهم إلى مصر فى ثامن عشريه، وهم كمال الدين موسى بن يونس[2] قاضى الموصل وناصر الدين على خواجا ورفيقه،

---

(١) وهى من قرى مريوط.

(٢) موسى بن يونس بن محمد بن معنة بن مالك العقيلى، كمال الدين، أبو الفتح الموصلى: فيلسوف، علامة بالرياضيات والحكمة والأصول، عارف بالموسيقى والأدب والسير. مولده ووفاته بالموصل. تعلم بها وبالمدرسة النظامية ببغداد. من كتبه «كشف المشكلات» فى تفسير القرآن وكتاب «مفردات ألفاظ القانون» لابن سينا. انظر وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ومفتاح السعادة ٢١٤/٢ وطبقات السبكى ١٥٨/٥-١٦٢، وروض المناظر ١٣٥/١٢، وشذرات الذهب ٢٠٦/٥، والبداية والنهاية ١٥٨/١٣، ومرآت الجنان ١٠١/٤، والأعلام ٣٣٢/٧.

فوصلوا إلى القاهرة ليلة الإثنين خامس ذى الحجة، وأكرموا غاية الإكرام.

فلما كان وقت العصر من يوم الثلاثاء سادس عشره: واجتمع الأمراء والعسكر بقلعة الجبل، وألبست المماليك السلطانية الكلفيات الزركش والطرز الزركش على أفخر الملابس، وجلس السلطان بعد العشاء الآخرة وبين يديه ألف شمعة تعد، وقد وقفت المماليك من باب القلعة من باب الإيوان صفين. وأحضرت الرسل فسلموا وقام قاضى الموصل وعلى رأسه طرحة، فخطب خطبة بليغة وجيزة فى معنى الصلح، ودعا للسلطان ولغازان وللأمراء وأخرج كتابا من غازان مختومًا فلم يفتح.

وأخرج بالرسل إلى مكانهم إلى ليلة الخميس، ففتح الكتاب الذى من عند غازان وهو فى قطع نصف البغدادى، فإذا هو بالخط المغلى، فعرب وقرئ من الغد بحضرة أهل الدولة فإذا هو يتضمن أن عساكر مصر دخلت فى العام الماضى أطراف بلاده وأفسدت، فأنف من ذلك وقدم إلى الشام وهزم العساكر، ثم عاد فلم يخرج إليه أحد، فرجع إبقاء على البلاد لئلا تخرب، وأنه مستعد للحرب، ودعا إلى الصلح، فكتب جوابه، وجهز الأمير شمس الدين محمد بن التيتى وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن السكرى خطيب جامع الحاكم والأمير حسام الدين أزدمر المجيرى، للسفر بالجواب مع الرسل الواصلين من عند غازان.

وكان فى هذا العام: سائر أقطار الأرض مشتغلة بالحرب، فكان الملك المسعود علاء الدين سنجر - عتيق شمس الدين أيتامش، عتيق السلطان غياث الدين - وهو ملك دله بالهند، قد حارب قوما فى السنة الماضية، فأتوا فى هذه السنة إلى دله ونهبوا وأسروا، وخرج عليه طائفة التتر فحاربهم حروبا عظيمة وهزمهم. وقام بأرض الحبشة فى السنة الماضية رجل يقال له أبو عبد الله محمد يدعو إلى الإسلام، فاجتمع عليه نحو المائتى ألف رجل. وحارب الأمحرى فى هذه السنة حروبا كثيرة. وكان ببلاد اليمن بين ملكها الملك المؤيد هزبر الدين وبين الزيدية عدة حروب.

وفيها ثقلت وطأة الأمير الوزير سنقر الأعسر على الأمراء، لشدة تعاظمه وكثرة شمعه وتزايد كبره ووفور حرمته وقوة مهابته، ولما كان من ضربه للتاج بن سعيد الدولة مستوفى الدولة بالمقارع حتى أسلم، وتغريمه مالا كبيرًا، وكان من ألزام الأمير الجاشنكير وفيه حمق ورقاعة زائدة. فلما فعل به الوزير ما فعل تخلى عن المباشرة وانقطع بزاوية الشيخ نصر المنبجى خارج باب النصر، حتى تحدث الشيخ نصر مع الأمير بيبرس فى إعفائه من المباشر فأجابه، وكان له فيه اعتقاد ولكلامه عنده قبول.

فأحب الأمراء إخراج الوزير من الوزارة، وكانت فى الناس بقايا من حشمة، فأحبوا مراعاته والتجمل معه، وعينوه لكشف القلاع الشامية وإصلاح أمرها وترتيب سائر أحوالها وتفقد حواصلها، وكانت حينئذ عامرة بالرجال والأموال والسلاح، فسار لذلك.

وفيها تزوج السلطان بخوند أردكين بنت نوكاى امرأة أخيه الملك الأشرف، وعمل له مهم عظيم أنعم فيه على سائر أهل الدولة بالخلع وغيرها.

وبلغ النيل فى هذه السنة سبعة عشر ذراعا وخمسة عشر أصبعا، وكانت سنة مقبلة رخية الأسعار.

وحج فيها الأمير بكتمر الجوكندار، وأنفق فى حجته خمسة وثمانين ألف دينار، وصنع معروفًا كثيرًا: من جملته أنه جهز سبعة مراكب فى بحر القلزم قد شحنها بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى ونحو ذلك، فوجد بالينبع أنه قد وصل منها ثلاثة مراكب، فعمل ما فيها أكواما ونادى فى الحج من كان محتاجا إلى مئونة أو حلوى فليحضر، فأتاه المحتاجون فلم يرد منهم أحدًا، وفرق ما بقى على الناس ممن لم يحضر لغناه، وأعطى أهل الينبع، ووصلت بقية المراكب إلى جدة، ففعل بمكة كذلك، وفرق على سائر أهلها والفقراء بها وعلى حاج الشام.

وفى هذه السنة أيضًا كانت ملوك الأقطار كلها شباب لم يبلغوا الثلاثين سنة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى، وهو أحد من ولى نيابة دمشق فى الأيام الظاهرية، وقد استقر بها أميرًا حتى مات فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الأول.

ومات الأمير عز الدين أيبك كرجى الظاهرى، أحد أمراء الألوف بدمشق، فى عاشر ذى القعدة.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الطباخى، نائب حلب فى غرة صفر بغزة، وهو عائد من التجريدة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشريفى نائب قلعة الصلت وبر الكرك والشوبك، وكان مهيبا.

ومات الأمير عز الدين محمد بن أبى الهيجاء الهمذانى الأربلى، متولى نظر دمشق، بطريق مصر وهو عائد منها، عن ثمانين سنة، وكان عالما بالأدب والتاريخ مشكور السيرة.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبى بكر أبى العلاء الكلاباذى البخارى الفرضى[1] الحنفى، فى أول ربيع الأول بدمشق، وقد قدم القاهرة، وكان فاضلا.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن قدس الأرمنتى، إمام المدرسة الظاهرية بين القصرين، وله شعر منه:

احفظ لسانك لا أقول فإن أقل … فنصيحة تخفى على الجلاس

وأعيذ نفسى من هجائك فالذى … يهجى يكون معظما فى الناس

وقال:

قد قلت إذ لج فى معاتبتى … وظن أن الملال من قبلى

خدك ذا الأشعرى حنفنى … وكان من أحمد المذاهب لى

حسنك مازال شافعى أبدًا … يا مالكى كيف صرت معتزلى

وكان مقربا فاضلا

* * *

(١) محمود بن أبى بكر بن أبى العلاء بن على البخارى ثم الكلاباذى، أبو العلاء، شمس الدين: فرضى، من المفتين العلماء بالحديث. ولد وتعلم ببخارى وبغداد والشام ومصر، وتوفى بماردين. من كتبه «ضوء السراج» فى شرح الفرائض السراجية. نسبته إلى كلاباذ محلة فى بخارى. انظر تاريخ علماء بغداد ٢١٣-٢١٥ وكشف الظنون ١٢٤٩ وشذرات الذهب ٤٥٧/٥ الجواهر المضية ٢/ ١٦٣، ٣٤٣. والأعلام ١٦٦/٧.

سنة إحدى وسبعمائة

فى المحرم: عادت رسل غازان مع الرسل السلطان بجوابه.

وفى عاشره: استقر فى الوزارة الأمير عز الدين أيبك البغدادى المنصورى، عوضا عن سنقر الأعسر وهو غائب بالشام. واستقر الأمير بيبرس التاجى أحد الأمراء البرجية فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الشيخى، ونقل ابن الشيخى إلى ولاية الجيزة فى عشريه.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد فى هذا اليوم.

وفيه توجه الأمير أسندمر كرجى إلى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير قطلوبك بحكم استعفائه، فقدم دمشق فى حادى عشر المحرم.

وفى شهر المحرم: أيضا استقر الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار شاد الدواوين بدمشق، عوضا عن الأمير سيف الدين أقجبا، ونقل أقجبا إلى نيابة السلطنة بدمشق، عوضا عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقى. وظهر بالقاهرة رجل ادعى أنه المهدى، فعزر ثم خلى عنه.

وفيها مات الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد[1] فى ثامن عشر جمادى الأولى، بمناظر الكبش، فغسله الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلى شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وحضر الأمراء والناس جنازته، وصلى عليه بجامع ابن طولون، ودفن بجوار المشهد النفيسى. وكانت خلافته بمصر أربعين سنة. وترك من الأولاد أبا الربيع سليمان ولى عهده، وإبراهيم بن أبى عبد الله محمد المستمسك بن الحاكم أحمد. فأقيم بعده أبو الربيع وعمره عشرون سنة، ولقب المستكفى بالله، وكتب تقليده وقرئ بحضرة السلطان فى يوم الأحد عشرى جمادى الأولى، وكان يوما شهودًا. وخطب له على

---

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع الخليفة المستكفى بالله، ابن الحاكم بأمر الله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد، وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ بعهد منه. استمرت خلافته ٣٩ سنة وشهرين و١٣يوما، ولم يكن له منها غير مراسمها. انظر: المختصر لأبى الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٧ وابن إياس ١٤٤/١ وابن الوردى ٣١٧/٢ والدرر الكامنة ١٤١/٢، والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٠، والأعلام ١٢١/٣.

عادة أبيه، واستمر يركب مع السلطان فى اللعب بـالكرة ويخرج معه للصيد، وصارا كأخوين، وكان الحاكم قد عهد بالخلافة إلى ابنه الأمير أبى عبد الله محمد ولقبه المستمسك بالله، وجعل أبا الربيع من بعده. فمات المستمسك، واشتد حزن أبيه الحاكم عليه، فعهد لابنه إبراهيم بن محمد المستمسك من بعده. فلما مات الحاكم لم يقدم بعده إلا أبا الربيع، وترك إبراهيم.

وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلى، وتعدى شرهم فى قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعايش بأسيوط[(١)] ومنفلوط[(٢)] فرائض جبوها شبه الجالية. واستخفُّوا بالولاة ومنعوا الخراج، وتسمُّوا بأسماء الأمراء، وجعلوا لهم كبيرين أحدهما سمُّوه بيبرس والآخر سلار، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم. فاستدعى الأمراءُ القضاةَ والفقهاءَ، واستفتوهم فى قتالهم، فأفتوهم بجواز ذلك. فاتّفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخذ الطرق عليهم، لئلا يمتنعوا بالجبال والمفاوز فيفوت الغرض فيهم، فاستدعوا الأمير ناصر محمد بن الشيخى متولى الجيزية - وغيره من ولاة العمل، وتقدموا إليه بمنع الناس بأسرهم من السفر إلى الصعيد فى البر والبحر، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك، فاشتد حرصهم.

وأشاع الأمراء أنهم يريدون السفر إلى الشام، وكتبت أوراق الأمراء المسافرين، وهم عشرون مقدمًا بمضافيهم، وعينوا أربعة أقسام: قسم يتوجه فى البر الغربى من النيل، وقسم فى البر الشرقى، وقسم يركب النيل، وقسم يمضى فى الطريق السالكة. وتوجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر - وقد قدم من الشام بعد عزله من الوزارة، واستقراره فى جملة الأمراء المقدمين - إلى جهة الواح فى خمسة أمراء، وقرر أن يتأخر مع السلطان أربعة أمراء من المقدمين، وتقدم إلى كل من تعين لجهة أن يضع السيف فى الكبير والصغير والجليل والحقير، ولا يبقوا شيخًا ولا صبيًّا، ويحتاطوا على سائر الأموال.

وسار الأمير سلار فى رابع جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء فى البر الغربى، وسار الأمير بيبرس بمن معه فى الحاجر فى البر الغربى على طريق الواحات، وسار الأمير بكتاش أمير سلاح بمن معه إلى الفيوم[(٣)] وسار الأمير بكتمر الجوكندار بمن معه فى البر

---

(١) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة آهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أخميم صاعدًا من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٢) منفلوط: بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر: معجم البلدان ٥/٢١٤.

(٣) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى=

الشرقى، وسار قتّال السبع وبيبرس الدوادار وبلبان الغلشى وعرب الشرقية إلى السويس والطور، وسار الأمير قبجق ومن معه إلى عقبة السيل، وسار طقصبا والى قوص بعرب الطاعة وأخذ عليهم المفازات.

وضرب الأمراء على الوجه القبلى حلقة كحلقة الصيد، وقد عَميت أخبارهم على أهل الصعيد، فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها، ووضعوا السيف فى الجيزية بالبرّ الغربى والإطفيحية من الشرق، فلم يتركوا أحدًا حتى قتلوه، ووسّطوا نحو عشرة آلاف رجل، وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبُّوا حريمه، فإذا ادعى أحد أنه حضرى قيل له قل: «دقيق»، فإن قال بقاف العرب قتل.

ووقع الرعب فى قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء، وأخذوهم من كل جهة فرُّوا إليها، وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا مَنْ بجانبى النيل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى. واختفى كثير منهم بمغائر الجبال، فأوقدت عليم النيران حتى هلكوا عن آخرهم، وأسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزروع، وحصل من أموالهم شىء عظيم جدًّا تفرقته الأيدى. وأحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم، من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس واثنين وثلاثين ألف جمل، وثمانية آلاف رأس من البقر، غير ما أرصد فى المعاصر، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملا ما بين سيوف ورماح، ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلاً. وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين، والمعز بدرهم الرأس، والجزة الصوف بنصف درهم، والكساء بخمسة دراهم، والرطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشترى الغلال من كثرتها، فإن البلاد طُرقت وأهلها آمنون، وقد كسروا الخراج.

ثم عاد العسكر فى سادس عشر رجب، وقد خلت البلاد بحيث كان الرجل يمشى فلا يجد فى طريقه أحدًا، وينزل بالقرية فلا يرى إلا النساء والصبيان والصغار، فأفرجوا عن المأسورين وأعادوهم لحفظ البلاد. وكان الزرع فى هذه السنة بالوجه القبلى عظيما إلى الغاية، تحصل منه ما لم يقدر قدره كثرة.

وفيها قدم البريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد بن القلانسى إلى دمشق،

=قطر مصر كلها من القرى، وقيل سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يؤتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحى لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٤/١٨٤، والروض المعطار ٤٤٥، الاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ١/٢٤٥، وابن الوردى ٢٣.

وصحبته شرف الدين[....][١] بن الأثير، فى تاسع عشرى جمادى الأولى من بلاد التتر، وكانا قد أخذا لما دخل التتر إلى بلاد الشام، ففرا ولقيا مشقة زائدة فى طريقهما.

وفيها ورد البريد من حلب بأن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتمى لغازان، فرسم بخروج العسكر لمحاربته، وخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح والأمير عز الدين أيبك الخازندار بمضافيهما من الأمراء والمفاردة [...][٢] فى رمضان وساروا إلى حماة، فتوجه معهم العادل كتبغا فى خامس عشرى شوال، وقدموا حلب فى أول ذى القعدة ورحلوا منها فى ثالثه، ودخلوا دربند بغراس فى سابعه. وانتشروا فى بلاد سيس، فحرقوا المزروع وانتهبوا ما قدروا عليه، وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئا كثيرًا من جُفَّال الأرمن، وعادوا من الدربند إلى مرج أنطاكية. فقدموا حلب فى تاسع عشره، ونزلوا حماة فى سابع عشريه، وقد ابتدأ بالعادل كتبغا مرض.

وفيها قدم البريد من طرابلس بأن الفرنج أنشئوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجزيرة أَرْواد، وعمَّروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم، وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب، فرُسم للوزير بعمارة أربعة شوانى حربية، فشُرع فى ذلك.

وفيها ضرب عنق فتح الدين أحمد البَقَقى الحموى على الزندقة، فى يوم الإثنين رابع عشر ربيع الأول، وكانت البينة قد قامت عليه قبل ذلك بما يوجب قتله، من النقض بالقرآن وبالرسول، وتحليل المحرمات والاستهانة بالعلماء والقدح فيهم، وغير ذلك.

وفيها أخرج الأمير بكتمر الحسامى من الأمير أخورية من حنق الأمراء عليه، فإنه أكثر الكلام مع السلطان، وكان غرضهم أن السلطان لا يتعرَّف به أحد. فأقام الأمير بكتمر معطلاً مدة حتى وفاة مُغُلْطاى التقوى، أحد أمراء دمشق بها، فأُخرج على إقطاعه واستقر عوضه أمير أخور علم الدين سنجر الصالحى.

وفيها قدم البريد من حماة بوقوع مطر فيما بينها وبين حصن الأكراد، عَقِبه قِطَعُ بَرَدٍ كبار فى صورة الآدميين من ذكر وأنثى، وفيه شبه صورة القرود، وعمل بذلك مشروح. وكثر بدمشق الجراد، وأكل أوراق الأشجار وفواكهها.

وفيها أضيف إلى بدر الدين محمد بن جماعة[٣] قاضى القضاة بدمشق مشيخةُ الشيوخ

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض من العلماء بالحديث وعلوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس ثم القضاء بمصر فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. توفى بمصر. انظر فوات=

بها، بعد موت الفخر يوسف بن حمويه.

وفيها حجَّ الأمير بيبرس الجاشنكير ومعه ثلاثون أميرًا ساروا ركبًا بمفردهم، ومن ورائهم بقية الحاجِّ فى ركبين، وأمير الحاج الأمير بيبرس المنصورى الدوادار. وخرج بيبرس الجاشنكير من القاهرة أول ذى القعدة، فحضر إليه بمكة الشريفان عطيفة[(١)] وأبو الغيث من أولاد أبى نمى، وشَكَيَا من أخيهما أسد الدين رميثة[(٢)] وأخيه عز الدين حميضة[(٣)] أنهما وثبا بعد وفاة أبيهم عليهما، واعتقلاهما ففرَّا من الاعتقال. فقُبض على رُميثة وحُميضة، وحُملا إلى القاهرة، واستقر عوضهما فى إمارة مكة عطيفة وأبو الغيث.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

مسند العصر شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد المؤيد الأَبَرْقَوْهِى[(٤)]، بمكة فى العشرين من ذى الحجة، عن سبع وثمانين سنة، ومولده سنة خمس عشرة وستمائة بأَبَرْقُوْه من شيراز.

ومات الحافظ شرف الدين أبو الحسين على ابن الإمام عبد الله محمد بن أبى

=الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ١٦٣/١٤ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ والأعلام ٢٩٧/٥، ٢٩٨.

(١) عطيفة بن أبى نمى محمد بن على الحسنى بن الحسن: من أمراء مكة. ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى سنة ٧٣٨هـ فقبض عليه وحمل إلى مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ والأعلام ٢٣٧/٤.

(٢) رميثة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين وقيل اسمه منجد: شريف من أمراء مكة. وليها مشتركًا مع أخيه حميضة ثم اختلفا فاقتتلا. انفرد بالأمر سنة ٧٣٨-٧٤٥ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١٠، والأعلام ٣٣/٣.

(٣) حميضة بن أبى نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى العلوى الهاشمى: شريف من أمراء مكة وليها سنة ٧٠١هـ مشتركا هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلا إلى أن قتل حميضة غيلة. انظر الدرر الكامنة ٧٨/٢ وابن الوردى ٢٦٩/٢، والأعلام ٢٨٥/٢.

(٤) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد، أبو المعانى شهاب الدين، الأبرقوهى: عالم بالحديث والقراءات من أهل أبرقوه بأصبهان ولد بها، ونشأ فى همذان وعاش بمصر، وتوفى بمكة. له «معجم شيوخه» مرتب على الحروف. انظر شذرات ٤/٦ وتاريخ علماء بغداد ٢٠ والأعلام ٩٦/١.

الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن اليونينى، فى يوم الخميس حادى عشرى رمضان ببعلبك، ومولده فى حادى عشر رجب سنة إحدى وعشرين وستمائة ببعلبك.

ومات الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصورى نائبُ قلعة دمشق، فى ثانى عشرى ذى الحجة.

ومات ضياء الدين أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية بدمشق، فى يوم الثلاثاء عشرى ذى القعدة، وهو أبو قطب الدين موسى وفخر الدين[...(١)].

ومات فتح الدين أحمد بن محمد[...](٢) البققى الحموى مقتولا بسيف الشرع، فى رابع عشرى ربيع الأول، ورفع رأسه على رمح، وسحب بدنه إلى باب زويلة فصُلب هناك، وسبب ذلك أنه كان ذكيًا حادَّ الخاطر له معرفة بالأدب والعلوم القديمة، فحُفِظت عنه سقطات: منها أنه قال: «لو كان لصاحب مقامات الحريرى حظ لتليت مقاماته فى المحاريب»، وأنه كان ينكر على من يصوم شهر رمضان ولا يصوم هو، وأنه كان إذا تناول حاجة من الرَّف صعد بقدميه على الربعة، وكان مع ذلك جريئًا بلسانه، مستخفًّا بالقضاة يطنز بهم ويستجهلهم، حتى أنه بحث مع قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد مرة وكأنه لم يجبه، فقام وهو يقول: «وقف الهوى» يريد قول أبى الشيص الخزاعى:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى　　　متأخرٌ عنه ولا متقدَّمُ

يعنى أن القاضى انقطع. فقال ابن دقيق العيد للفتح بن سيد الناس: «يا فتح الدين عقبى هذا الرجل إلى التلف»، فلم يتأخر ذلك سوى عشرين يومًا، وقُتل فى الحادى والعشرين منه. وذلك أنه أكثر من الوقيعة فى حقِّ زين الدين على بن مخلوف قاضى قضاة المالكية وتنقَّصه وسبَّه، فلما بلغه ذلك عنه اشتدَّ حنقه وقام فى أمره، فتقرَّب الناس إليه بالشهادة على ابن البققى، فاستدعاه وأحضر الشهود فشهدوا وحُكم بقتله، وأراد من ابن دقيق العيد تنفيذ ما حكم به فتوقف. وقام فى مساعدة ابن البققى ناصر الدين محمد بن الشيخى وجماعةٌ من الكتَّاب، وأرادوا إثبات جنّه ليُعفى من القتل، فصمم ابن مخلوف على قتله، واجتمع بالسلطان ومعه قاضى القضاة شمسُ الدين السروجى الحنفى، ومازالا به حتى أذن فى قتله. فنزلا إلى المدرسة الصالحية بين

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

القصرين ومعهما ابن الشيخى والحاجب، وأُحضر ابن البققى من السجن فى الحديد لُيقتل، فصار يصيح ويقول: «أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ويتشهد؟»، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وضُرب عنقه وطيف برأسه على رمح، وعُلّق جسده على باب زويلة. وفيه يقول شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الأعزازى يحرّض على قتله، وكتب بها إلى ابن دقيق العيد:

قل للإمام العادل المرتضى — وكاشف المشكل والمبهم
لا تمهل الكافر واعمل بما — قد جاء فى الكافر عن مسلم

ومن شعر ابن البققى ما كتب به إلى القاضى المالكى من السجن، وهو من جملة حماقاته:

يا لابسًا لى حلةً من مكره — بسلاسة نعمت كلمس الأرقم[1]
اعتدَّ لى زردًا تَضَايق نسجه — وعلىَّ خرق عيونها بالأسهم

فلما وقف عليهما القاضى المالكى، قال: «نرجو أن الله لا يمهله لذلك».

ومن شعره أيضًا:

جبلت على حبِّى لها وألِفْته — ولابد أن ألقى به الله معلنا
ولم يخل قلبى من هواها بقدر ما — أقول وقلبى خاليًا فتمكّنا

ومات جمال الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أبى الحوافز رئيس الأطباء فى مستهل صفر، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة.

ومات الأمير علاء الدين على التقوى، أحدُ أمراء دمشق بها.

ومات الشريف أبو نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب، أميرُ مكة، فى يوم الأحد رابع صفر، وقد أقام فى الإمارة أربعين سنة، وقدم القاهرة مرارًا، وكان يقال لولا أنه زيدى لصلح للخلافة لحسن صفاته.

ومات مجد الدين يوسف بن محمد بن على بن القباقيبى الأنصارى، موقّع طرابلس، وله شعر وترسُّل.

ومات الأمير عز الدين النجيبى والى البرّ بدمشق، فى سادس عشر ربيع الأول بدمشق.

---

(١) الأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها. جمعها أراقم. انظر المعجم الوجيز ٢٧٤.

ومات شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثـير، فـى سـابع عشـر ذى القعـدة بدمشق، وكان يكتب الإنشاء بها.

ومات بدمشق شيخ الخانكاة السميساطية، وهو شيخ الشيوخ شرف الدين أبى بكـر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد[...][1] ابن حمويه، فى يـوم الإثنـين سـابع عشـر ربيـع الأول، واستقرَّ عوضه قاضى القضاة بدرُ الدين محمد بن جماعة باتفاق الصوفية.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى التقوى المنصورى أحدُ أمراء دمشق بها، فـى رابـع عشرى رجب، فأنعم بخبزه على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير أخور.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة اثنتين وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز، ومعه الشريفان حميضة ورميثة فى الحديد، فسجنا.

وفى ثامنه: قدمت رسل غازان بكتابه، فأعيدوا بالجواب. وجهز الأمير حسام الدين أزدمر المجيرى، شمس الدين محمد التيتى، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن السكرى، إلى غازان فى عاشر ربيع الأول. فمضوا واجتمعوا به، فمنعهم من العود بسبب الوقعة الآتى ذكرها، ولازالوا مقيمين حتى هلك غازان، فعادوا فى أيام خدا بندا.

وفى محرم: تنجزت عمارة الشوانى، وجهزت بالمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش القارى العلائى والى البهنسا. واجتمع الناس لمشاهدة لعبهم فى البحر، فركب أقوش فى الشينى الكبير وانحدر تجاه المقياس، فانقلب بمن فيه يوم السبت ثانى عشره.

وكان قد نزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك، واجتمع من العالم ما لا يحصيهم إلا الله تعالى، وبلغ كراء المركب الذى يحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم، امتلأ البران من بولاق إلى الصناعة بالناس، حتى لم يوجد موضع قدم خال.

ووقف العسكر على بر بستان الخشاب، وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة. وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب، فلعب الأول والثانى والثالث، وأعجب الناس بذلك إعجابًا زائدًا، لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب. ثم تقدم الرابع وفيه أقوش، فما هو إلا أن خرج من منية الصناعة بمصر وتوسط النيل، إذا بالريح حركه، فمال به ميلة واحدة انقلب وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كانوا فيه من الصفو، وتلاحق الناس بالشينى وأخرجوا ما سقط منه فى الماء، فلم يعدم منه سوى أقوش، وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة، وانفض الجمع.

وبعد ثلاثة أيام أخرج الشينى، فإذا امرأة الرئيس وابنها وهى ترضعه فى قيد الحياة، فاشتد العجب من سلامتها طول هذه الأيام، ووقع العمل فى إعادته حتى تنجز، ونـدب الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصورى للسفر عوضا عن أقوش القارى فسار إلى طرابلس بالشوانى، واستجد منها ستين مقاتلا من المماليك سوى البحرية والمطوعة.

وتوجه كهرداش إلى جزيرة أرواد، وهى بقرب أنطرسوس، وصبحهم فى غفلة وأحاط بهم وقاتلهم ساعة، فنصره الله عليهم وقتل منهم كثيرًا، وسألوا الأمان فأخذوا أسرى فى يوم الجمعة ثامن عشرى صفر. واستولى كهرداش على سائر ما عندهم، وعاد إلى طرابلس وأخرج الخمس من الغنائم لتحمل إلى السلطان، وقسم ما بقى فكانت عدة الأسرى مائتين وثمانين. فلما قدم البريد من طرابلس بذلك دقت البشائر بالقلعة، وفى يوم دق البشائر قدم الأمير بدر الدين بكتاش من غزاة سيس.

وفى هذه السنة: توفى قاضى القضاة تقى الدين أبو محمد بن على بن وهب بن مطيع ابن أبى الطاعة القشيرى المنفلوطى المالكى المصرى بن دقيق العيد، وكان مولده فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

ولما مات تقى الدين محمد بن دقيق العيد، خرج البريد إلى دمشق بطلب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فقدمها فى سابع عشر صفر، وخُرج به منها فى تاسع عشره. فوصل ابن جماعة إلى القاهرة وخلع عليه يوم السبت رابع ربيع الأول، واستقر فى قضاء القضاة، وولى قضاء دمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن[....][1] ابن صصرى، واستقر بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق، عوضا عن أرجواش، واستقر عوضه فى شد الدواوين بدمشق الأمير بيبرس التلاوى.

وفى رابع جمادى الآخرة: ظهر فى النيل دابة لونها كلون الجاموس بغير شعر، وأذناها كأذن الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، ويغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك، ورقبتها مثل ثخن التليس المحشو تبنا، وفمها وشفتاها مثل الكربال[2]، ولها أربعة أنياب، اثنان فوق اثنين، فى طول نحو شبر وعرض أصبعين، وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها شبران ونصف، ومن ركبتيها إلى حافرها مثل أظافر الجمل، وعرض ظهرها قدر ذراعين ونصف، ومن فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما، وفى بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر له زفرة السمك، وطعمه مثل لحم الجمل، وثخانة جلدها أربعة أصابع لا تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله، فكان ينقل من الجمل إلى جمل وقد حشى تبنا حتى وصل إلى قلعة الجبل.

وقدم البريد من حلب بأن غازان على عزم الحركة إلى الشام، فوقع الاتفاق على

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) الكربال مندفُ، جمع كرابيل. انظر: المعجم الوسيط (كربل).

خروج العسكر، وعين من الأمراء بيبرس الجاشنكير وطغريل الإيغانى وكراى المنصورى وبيبرس الدوادار وسنقر شاه المنصورى وحسام الدين لاجين الرومى أستادار، بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد، فساروا فى ثامن عشر رجب.

وتواترت الأخبار بنزول غازان على الفرات، ووصل عسكره الرحبة وأراد منازلتها بنفسه. وكان النائب بها الأمير علم الدين سنجر الغتمى، فلاطفه وخرج إليه بالإقامات، وقال له: «هذا المكان قريب المأخذ، والملك يقصد المدن الكبائر، فإذا ملكت البلاد التى هى أمامك فنحن لا نمتنع عليك»، حتى كف عنه ورجع عابرًا الفرات، بعد أن أخذ ولده ومملوكه رهنا على الوفاء. وبعث غازان قطلو شاه من أصحابه على عساكر عظيمة إلى الشام تبلغ ثمانين ألفا، وكتب إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق يرغبه فى طاعته.

وأما العسكر السلطانى فقد دخل الأمير بيبرس الجاشنكير إلى دمشق بمن معه فى نصف شعبان، وكتب يستحث السلطان على الخروج. وأقبل الناس من حلب وحماة إلى دمشق خائفين من التتر، فاستعد أهل دمشق للفرار ولم يبق إلا خروجهم، فنودى بها من خرج حل ماله ودمه. وخرج الأمير بهادرآص والأمير قطوبك المنصورى وأنص الجمدار على عسكر إلى حماة، ولحق بهم عسكر طرابلس وحمص، فاجتمعوا على حماة عند العادل كتبغا.

وبلغ التتر ذلك، فبعثوا طائفة كبيرة إلى القريتين فأوقعوا بالتركمان، فتوجه إليهم أسندمر كرجى نائب طرابلس وبهادرآص وكجكن وغرلوا العادلى وتمر الساقى وأنص الجمدار ومحمد بن قرا سنقر، فى ألف وخمسمائة فارس. فطرقوهم بمنزلة عرض فى حادى عشر شعبان على غفلة، وافترقوا عليهم أربع فرق، وقاتلوهم قتالا شديدًا من نصف النهار إلى العصر حتى أفنوهم، وكانوا فيما يقال نحو أربعة آلاف. وأنقذوا التراكمين بحريمهم وأولادهم، وهم نحو ستة آلاف أسير، ولم يفقد من العسكر إلا الأمير أنص الجمدار المنصورى، ومحمد بن باشقرد الناصرى، وستة وخمسين من الأجناد. وعاد من انهزم إلى قطلوشاه، وقد أسر العسكر مائة وثمانين من التتر. وكتب إلى السلطان بذلك، ودقت البشائر بدمشق، وكان قد خرج السلطان من قلعة الجبل فى ثالث شعبان، ومعه الخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان فى عسكر كثير، واستناب بديار مصر عز الدين أيبك البغدادى.

وكان التتر الذين عادوا منهزمين إلى قطلوشاه قد أخبروا أن السلطان لم يخرج من

الديار المصرية، وأن ليس بالشام غير العسكر الشامى، فجد قطلوشاه فى السير بجموع التتر حتى نزل على قرون حماة فى ثالث عشريه، فاندفعت العساكر بين يديه إلى دمشق، وركب العادل كتبغا فى محفة لضعفه، فاجتمع الكل بدمشق. واختلف رأيهم فى الخروج إلى لقاء العدو أو انتظار قدوم السلطان، ثم خشوا من مفاجأة العدو، فنادوا بالرحيل وركبوا أول رمضان. فاضطربت دمشق بأهلها، وأخذوا فى الرحيل منها على وجوههم، واشتروا الحمار بستمائة درهم والجمل بألف درهم، وترك كثير منهم حرمه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة فلم يأت الليل إلا والنوادب فى سائر نواحى المدينة. وسار العسكر مخفا إلى لقاء العدو، وبات الناس بدمشق فى الجامع يضجون بالدعاء إلى الله، فلما أصبحوا رحل التتر عن دمشق بعد أن نزلوا بالغوطة.

وبلغ الأمراء قدوم السلطان فتوجهوا إليه من مرج راهط، فلقوه على عقبة شجورا فى يوم السبت ثانى رمضان، وقبلوا له الأرض. فورد عند لقائهم به الخبر بوصول التتر فى خمسين ألفا مع قطلوشاه نائب غازان. فلبس العسكر بأجمعه السلاح، واتفقوا على المحاربة بشقحب تحت جبل غباغب[1]، وكان قطلوشاه قد وقف على أعلى النهر. فوقف فى القلب السلطان وبجانبه الخليفة والأمير سلار النائب والأمير بيبرس الجاشنكير، وعز الدين أيبك الخازندار وسيف الدين بكتمر أمير جاندار وجمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام وبرلغى وأيبك الحموى، وبكتمر البوبكرى وقطلوبك ونوغاى السلاح دار وأغرلوا الزينى، وفى الميمنة الحسام لاجين أستادار ومبارز الدين سوار[...][2] أمير شكار، ويعقوبا الشهرزورى ومبارز الدين أوليا بن قرمان، وفى الجناح الأيمن الأمير قبجق بعساكر حماة والعربان، وفى الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير السلاح والأمير قرا سنقر بعساكر حلب والأمير بدخاص نائب صفد، وطغريل الإيغانى وبكتمر السلاح دار وبيبرس الدوادار، بمضافيهم.

ومشى السلطان والخليفة بجانبه، ومعهما القراء يتلون القرآن ويحثون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة، وصار السلطان يقف، ويقول الخليفة: «يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم، قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم» ﷺ، والناس فى بكاء شديد، ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض، وتواصى بيبرس وسلار على الثبات فى الجهاد. وعاد السلطان إلى موقفه، ووقف الغلمان والجمال وراء العسكر صفا واحدا، وقيل لهم: «من خرج من الأجناد عن المصاف فاقتلوه، ولكم سلاحه وفرسه».

---

(١) جبل غباغب وهى قرية فى أول عمل حوران من نواحى دمشق بينهما ست فراسخ انظر: معجم البلدان ج٨٧١/٣.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فلما تم الترتيب زحفت كراديس التتار كقطع الليل، بعد الظهر من يوم السبت المذكور، وأقبل قطلوشاه بمن معه من التوامين[١] وحملوا على الميمنة وقاتلوها، فثبتت لهم وقاتلتهم قتالا شديدا، وقتل الحسام لاجين أستادار وأوليا بن قرمان وسنقر الكافرى، وأيدمر الشمسى القشاش وأقوش الشمسى الحاجب والحسام على بن باخل، نحو الألف فارس. فأدركهم الأمراء من القلب ومن الميسرة، وصاح سلار: «هلك وا لله أهل الإسلام»، وصرخ فى بيبرس والبرجية فأتوه وصدم بهم قطلوشاه، وأبلى ذلك اليوم هو وبيبرس بلاء عظيما، إلى أن كشفا التتار عن المسلمين.

وكان جوبان بن تداون وقرمجى بن الناق، وهما من توامين التتار، قد ساقا تقوية لبولاى وهو خلف المسلمين، فلما عاينا الكسرة على قطلوشاه أتياه ووقفا فى وجه سلار وبيبرس. فخرج من أمراء السلطان أسندمر وقطلوبك وقبجق والمماليك السلطانية إعانة لبيبرس وسلار، فتمكنوا من العدو وهزموه، فمال التتر على برلغى حتى مزقوه واستمر الحرب بين سلار ومن معه وبين قطلوشاه، وكل منهما ثابت لقرنه.

وكانت الأمراء لما قتلت بالميمنة انهزم من كان معهم، ومرت التتر خلفهم، فجفل الناس وظنوا أنها كسرة. وأقبل السواد الأعظم على الخزائن السلطانية فكسروها، ونهبوا ما بها من الأموال، وجفل النساء والأطفال، وكانوا قد خرجوا من دمشق عند خروج الأمراء منها وكشف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور، وضج ذاك الجمع العظيم بالدعاء، وقد كادت العقول أن تطيش وتذهب عند مشاهدة الهزيمة، فلم ير شىء أعظم منظرًا من ذلك الوقت إلى أن وقف كل من الطائفتين عن القتال.

ومال قطلوشاه بمن معه إلى جبل قريب منه، وصعد عليه وفى نفسه أنه انتصر، وأن بولاى فى أثر المنهزمين يطلبهم. فلما صعد الجبل نظر السهل والوعر كله عساكر، والميسرة السلطانية ثابتة وأعلامها تخفق، فبهت وتحير واستمر بموضعه حتى كمل معه جمعه، وأتاه من كان خلف المنهزمين من الميمنة السلطانية، ومعهم عدة من المسلمين قد أسروهم، منهم الأمير عز الدين أيدمر نقيب المماليك السلطانية. فأحضره قطلوشاه وسأله: «من أين أنت؟» ، فقال: «من أمراء مصر»، وأخبره بقدوم السلطان، و لم يعلم قطلوشاه بقدوم السلطان بعساكر مصر إلا منه. فجمع قطلوشاه أصحابه وشاورهم فيما يفعل، وإذا بكوسات السلطان والأمراء والبوقات قد رجفت بحسها الأرض وأزعجت القلوب، فلم يثبت بولاى أحد مقدمى التتر، وخرج من تجاه قطلوشاه فى نحو العشرين ألفا، ونزل من الجبل بعد المغرب وفر هاربا.

---

(١) على هامش ط: المراد الفرقة التى تبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل.

وبات السلطان وسائر العساكر على ظهور خيولها والطبول تضرب، وتلاحق به من انهزم شيئًا بعد شيء، وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات الحربية. وأحاط عسكر السلطان بالجبل الذى بات عليه التتار، وصار بيبرس وسلار وقبجق والأمراء الأكابر فى طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يرصونهم ويرتبونهم، ويكثرون من التأكيد عليهم فى التيقظ وأخذ الأهبة. فما طلع الفجر يوم الأحد إلا وقد اجتمع شمل عساكر السلطان، ووقف كل أحد فى مصافه مع أصحابه، والجفل والأثقال قد وقفوا على بعد، وكانت رؤيتهم تذهل، وثبتوا على ذلك حتى ارتفعت الشمس.

وشرع قطلوشاه فى ترتيب من معه، ونزلوا مشاة وفرسان وقاتلوا العساكر. فبرزت المماليك السلطانية بمقدميها إلى قطلوشاه وجوبان، وعملوا فيهم عملا عظيما: تارة يرمونهم بالسهام، وتارة يهاجمونهم، واشتغل الأمراء بقتال من فى جهتهم، وصاروا يتناولون القتال أميرا بعد أمير. وألحت المماليك السلطانية فى القتال واستقتلوا، حتى أن فيهم من قتل تحته الثلاثة أرؤس من الخيل. ومازال الأمراء على ذلك حتى انتصف نهار يوم الأحد، وصعد قطلوشاه الجبل، وقد قتل منه نحو ثمانين رجلا، وجرح الكثير واشتد عطشهم.

واتفق أن بعض من أسروه نزل إلى السلطان وعرفه أن التتار قد أجمعوا على النزول فى السحر ومصادمة الجيش، وأنهم فى شدة من العطش. فاقتضى الرأى أن يفرج لهم عند نزولهم، ثم يركب الجيش أقفيتهم.

فلما باتوا على ذلك وأصبح نهار يوم الإثنين، ركب التتار فى الرابعة ونزلوا من الجبل، فلم يتعرض لهم أحد. وساروا إلى النهر فاقتحموه، وعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين، وأيدهم بنصره حتى حصدوا رءوس التتار عن أبدانهم، ومروا فى أثرهم إلى وقت العصر وعادوا إلى السلطان. فسرّحت الطيور بالنصر إلى غزة ومنع المنهزمون من التوجه إلى مصر، وتتبع من نهب الخزائن السلطانية والاحتفاظ به. وعين الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح للمسير بالبشارة إلى مصر، وسار من وقته، وكتب إلى دمشق وسائر القلاع بالبشارة.

ثم ركب السلطان فى يوم الإثنين من مكان الواقعة، وبات ليلته بالكسوة، وأصبح يوم الثلاثاء خامس الشهر وقد خرج إليه أهل دمشق، فسار إليها ـ ومعه الخليفة ـ فى عالم من الفرسان والعامة والأعيان والنساء والصبيان، لا يحصيهم إلا من خلقهم

سبحانه، وهم يضجون بالدعاء والهناء. وتساقطت عبرات الناس، ودقت البشائر، وكان يوما لم يشاهد مثله، إلى أن نزل السلطان بالقصر الأبلق، ونزل الخليفة بالتربة الناصرية، وقد زينت المدينة.

واستمر الأمراء فى أثر التتار إلى القريتين، وقد كلت خيول التتر وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم، واستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة، حتى إن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقا كثيرا، وغنموا عدة غنائم، وقتل الواحد من العسكر العشرين من التتر فما فوقها. وأدركت عربان البلاد التتار وأخذوا فى كيدهم: فيجىء منهم الاثنان والثلاثة إلى العدة الكثيرة من التتار كأنهم يسيرون بهم فى البر من طريق قريبة إلى الليل، ثم يدعونهم وينصرفون، فتتحير التتر فى البرية وتصبح فتموت عطشا. وفيهم من فر إلى غوطة دمشق، فتتبعتهم الناس وقتلوا منهم خلقا كثيرًا.

وخرج والى البر حتى جمع من استشهد من المسلمين، ودفنهم فى موضع واحد بغير غسل ولا كفن، وبنى عليهم قبة. وتتبع نائب غزة من انهزم من العسكر وأخذهم وفتشهم، فظفر منهم بجماعة معهم الأكياس المال بختمها. ووقف الأمير علم الدين سنجر الجاولى بطريق دمشق ومعه الخزان وشهود الخزانة، وأخذ الغلمان فظفر منهم بشىء كثير مما نهبوه، وعوقب جماعة بسبب ذلك. ومازال الأمر يشتد فى الطلب، حتى تحصل أكثر ما نهب من الخزائن، ولم يفقد منه إلا القليل.

وشمل السلطان الأمراء بالخلع والأنعام، وحضر الأمير سيف الدين برلغى ـ وقد انهزم فيمن انهزم ـ فلم يأذن له السلطان فى الدخول عليه، وقال: «بأى وجه يدخل على أو ينظر فى وجهى؟» ، فمازال به الأمراء حتى رضى عنه وأذن فى دخوله، فقبل الأرض. وقُبض على رجل من أمراء حلب كان قد انتمى إلى التتار وصار يدلهم على الطرقات، فسمر على جمل وشهر بدمشق وضواحيها. واستمر الناس طول شهر رمضان فى مسرات تتجدد، وصلى السلطان صلاة عيد الفطر، وخرج من دمشق فى ثالث شوال يريد مصر.

وأما التتار فإنه قتل أكثرهم، حتى لم يعبر قطلوشاه الفرات إلا فى قليل من أصحابه. ووصل خبر كسرته إلى همذان فوقعت الصرخات فى بلادهم، وخرج أهل توريز وغيرها إلى القدس، واستعلام خبر من فقد منهم، فأقامت النياحة فى توريز شهرين على القتلى. وبلغ الخبر غازان فاغتم غمًّا عظيمًا ــ وخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت، واحتجب حتى عن الخواتين ــ فإنه لم يصل إليه من كل عشرة

واحد، فارتج الأردوا بمن فيه. ثم جلس غازان وأوقف قطلوشاه وجوبان وسوتاى ومن كان معهم من الأمراء، وأنكر على قطلوشاه وأمر بقتله، فمازالوا به حتى عفى عنه من القتل، وأبعده من قدامه حتى صار على مسافة كبيرة بحيث يراه، وقام إليه - وقد مسكه الحجاب - سائر من حضر وهم خلق كثير جدا، وصار كل منهم يبصق فى وجهه حتى بصق الجميع، ثم أبعده عنه إلى كيلان. وضرب غازان بولاى عدة عصى، وأهانه. وقد ذكر الشعراء وقعة التتر هذه فأكثروا.

وسار السلطان من دمشق فى يوم الثلاثاء من شوال ، ووصل إلى القاهرة ودخلها فى ثالث والعشرين منه. وكان قد قدم بكتوت الفتاح إلى القاهرة يوم الإثنين ثامن شهر رمضان، فرسم بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسة من القلعة، وكتب بإحصار سائر مغانى العرب من أعمال مصر كلها.

واستمرت الزينة من بعد وصول الأمير بكتوت الفتاح بكتاب البشارة إلى أن قدم السلطان، وبعد ذلك بأيام، وكان قبل قدوم بكتوت الفتاح قد وقعت بطاقة من قطيا بخبر البشارة، وتأخر الفتاح لوجع يده، فقلق الناس وغلقت الأسواق، وأبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، والراوية الماء بأربعة درهم. فلما قدم خرج الناس إلى لقائه، وكان يوما عظيما وتفاخر الناس فى الزينة ونصبوا القلاع، واقتسمت أستادارية الأمراء شارع القاهرة إلى القلعة، ورتبوا ما يخص كل واحد منهم وعملوا به قلعة، بحيث نودى من استعمل صانعا فى غير عمل القلاع كانت عليه جناية للسلطان، وتحسن سعر الخشب والقصب وآلات النجارة.

وتفاخروا فى تزيين القلاع، وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة على قدوم السلطان وعلى الزينة، فإن الناس أخرجوا الحلى والجواهر واللآلى وأنواع الحرير فَزَيّنوا بذلك. ولم ينسلخ شهر رمضان حتى تهيأ أمر القلاع، وعمل ناصر الدين محمد بن الشيخى الوالى قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجد والهزل، ونصب عدة أحواض ملأها بالسكر والليمون، وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر.

فقدم السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، وقد خرج الناس إلى لقائه، وبلغ كراء البيت الذى يمر عليه من خمسين درهما إلى مائة درهم. فلما وصل السلطان باب النصر ترجل سائر الأمراء، وأول من ترجل منهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، وأخذ سلاح السلطان. فأمره السلطان أن يركب لكبر سنه ويحمل السلاح خلفه، فامتنع ومشى، وحمل الأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار القبة والطير، وحمل

الأمير بكتمر أمير جاندار العصى، والأمير سنجر الجمقدار الدبوس. ومشى كل أمير فى منزلته، وفرش كل منهم الشقق من قلعته إلى قلعة غيره، فكان السلطان إذا تجاوز قلعة فرشت القلعة المجاورة لها الشقق حتى يمشى عليها بفرسه مشيا هينا، لأجل مشى الأمراء بين يديه، وكلما رأى قلعة أمير أمسك عن المشى حتى يعاينها ويعرف ما اشتملت عليه هو والأمراء. هذا والأسرى من التتار بين يديه مقيدون، ورءوس من قتل منهم معلقة فى رقابهم، وألف رأس على ألف رمح، وعدة الأسرى ألف وستمائة فى أعناقها ألف وستمائة رأس، وطبولهم قدامهم مخرقة.

وكانت القلاع التى نصبت قلعة الأمير ناصر الدين محمد بن الشيخى بجوار باب النصر، وتليها قلعة الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، وبعده[...][1] ابن أيتمش السعدى، ثم الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وبعده الأمير طغريل الإيغانى، ثم بهادر اليوسفى، ثم سودى، ثم بيليك الخطيرى، ثم برلغى، ثم مبارز الدين أمير شكار ، ثم أيبك الخازندار، ثم سنقر الأعسر، ثم بيبرس الدوادار، ثم سنقر الكمالى، ثم موسى بن الملك الصالح، ثم سيف الدين آل ملك، ثم علم الدين الصوابى، ثم جمال الدين الطشلاقى، ثم سيف الدين آدم، ثم الأمير سلار النائب، ثم بيبرس الجاشنكير، ثم بكتاش أمير سلاح، ثم الطواشى مرشد الخازندار ـ وقلعته على باب المدرسة المنصورية ـ وبعده بكتمر أمير جندار، ثم أيبك البغدادى نائب الغيبة، ثم ابن أمير سلاح، ثم بكتوت الفتاحى، ثم تباكر التغريلى، ثم قلى السلحدار، ثم بكتمر السلاح دار، ثم لاجين زيرباج الجاشنكير، ثم طيبرس الخازندارى نقيب الجيش، ثم بلبان طرنا، وبعده سنقر العلائى، ثم بهاء الدين يعقوبا، ثم الأبو بكرى، ثم بهادر العزى، وكوكاى بعده، ثم قرا لاجين، ثم كراى المنصورى، ثم جمال الدين أقوش قتال السبع ـ وقلعته على باب زويلة. واتصلت القلاع من باب زويلة إلى باب السلسلة، وإلى باب القلعة وباب القلة، فكانت عدتها سبعين قلعة.

وعندما وصل السلطان إلى باب المارستان نزل وصعد إلى قبر أبيه، وقرأ القراء قدامه. ثم ركب إلى باب زويلة، ووقف حتى أركب الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح خلفه وبيده السلاح. وسار على الشقق الحرير إلى داخل القلعة، والتهانى فى دور السلطان والأمراء وغيرهم، وكان يومًا عظيما إلى الغاية.

فلما استقر السلطان بالقلعة أنعم على الأمير برلغى بثلاثين ألف درهم واستقر أمير

---

(١)ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

الركب، وقدم له الأمراء شيئًا كثيرًا وكتب على يده: «إلى أبى الغيث وأخيه أميرى مكة ألا يمكنوا من الأذان بحى على خير العمل، ولا يتقدم فى الحرم إمام زيدى، وألا يربط الحاج حتى يقبضوا على ما كان فى الكعبة مما سموه العروة الوثقى، ولا يمكن أحد من مس المسمار الذى كان فى الكعبة». وكان يحصل من التعلق بالعروة الوثقى ومن التسلق إلى المسمار عدة مفاسد قبيحة، فترك ذلك كله بسفارة الأمير بيبرس، وترك الأذان بحى على خير العمل من مكة، ولم يتقدم من حينئذ إمام زيدى للصلاة بالحرم.

وفى هذه السنة: بنابلس صام الحنابلة شهر رمضان على عادتهم بالاحتياط، واستكمل الشافعية وغيرهم شعبان وصاموا. فلما أتم الحنابلة ثلاثين يومًا أفطروا، وعيدوا وصلوا صلاة العيد ولم ير الهلال. فصام الشافعية والجمهور ذلك النهار، وأصبحوا فأفطروا وعيدوا وصلوا صلاة العيد. فأنكر نائب الشام على متولى نابلس كيف لم يجتمع الناس على يوم واحد، ولم يسمع بمثل هذه الواقعة.

واتفق أيضًا أن أهل مدينة غرناطة بالأندلس صاموا شهر رمضان ستة وعشرين يومًا، وذلك أن الغيوم تراكمت عندهم عدة أشهر قبل رمضان، فلما كانت ليلة السابع والعشرين طلعوا المأذنة ليقدوها على العادة، فإذا الغيوم قد أقلعت وظهر الهلال، فأفطروا.

وفيها سخط الأمير بيبرس الجاشنكير على كاتبه المعلم المناوى من أجل فراره إلى غزة فى وقت الواقعة، وطلب أبا الفضائل أكرم النصرانى كاتب الحوائج خاناه وألزمه حتى أسلم، وخلع عليه وأقره فى ديوانه، فزادت رتبته حتى صار إلى ما يأتى ذكره إن شاء الله، وعرف بكريم الدين الكبير.

وفيها قام الأمير بيبرس الجاشنكير فى إبطال عيد الشهيد بمصر: وذلك أن النصارى كان عندهم تابوت فيه أصبع يزعمون أنه أصبع بعض شهدائهم، وأن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه التابوت، فتجتمع نصارى أرض مصر من سائر الجهات إلى ناحية شبرا، ويخرج أهل القاهرة ومصر، وتركب النصارى الخيول للعب، ويمتلئ البر بالخيم، والبحر بالمراكب المشحونة بالناس، ولا يبقى صاحب غناء ولا لهو حتى يحضر، وتتبرج زوانى سائر البلاد. ويباع فى ذلك اليوم من الخمر بنحو مائة ألف درهم، حتى إنه فى سنة باع رجل نصرانى بمائتين وعشرين ألف درهم خمرًا، فكان أهل شبرا يوفون الخراج من ثمن الخمر، وتثور فى هذا اليوم الفتن ويقتل عدة قتلى، فأمر الأمير بيبرس بإبطال ذلك، وألا يرمى التابوت فى النيل، وأخرج الحجاب والوالى حتى منعوا الناس من الاجتماع، بعد

أن كتب إلى جميع الولاة بالنداء ألا يخرج أحد إلى عمل عيد الشهيد. فشق ذلك على النصارى، واجتمعوا مع الأقباط الذين أظهروا الإسلام، وصاروا إلى التاج بن سعيد الدولة لتمكنه من الأمير بيبرس، فصار إليه وخيَّله من انكسار الخراج بإبطال العيد ومن عدم طلوع النيل، فلم يلتفت إليه وصمم على إبطاله، فبطل.

وفيها جهز صاحب سيس مراكب إلى نحو قبرص فيها بضائع قيمتها قريب من مائة ألف دينار، فألقاها الريح على مينة دمياط، فأخذت برمتها.

وفيها قدم الخبر بقحط ببلاد تقطاى[١] مدة ثلاث سنين، ثم أعقبه موتان فى الخيل والغنم حتى فنيت و لم يبق عندهم ما يؤكل، فباعوا أولادهم وأقاربهم للتجار، فقدموا بهم إلى مصر وغيرها.

وفيها كانت الزلزلة العظيمة: وذلك أنه حصل بالقاهرة ومصر فى مدة نصب القلاع والزينة من الفساد فى الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه، من خامس شهر رمضان إلى أن قلعت فى أواخر شوال.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة: عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها، وسمع للحيطان قعقعة وللسقوف أصوات شديدة، وصار الماشى يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء أطبقت على الأرض، فخرجوا فى الطرقات رجالا ونساء، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل، وتساقطت الدور وتشققت الجدران، وتهدمت مآذن الجوامع والمدارس، ووضع كثير من النساء الحوامل ما فى بطونهن، وخرجت رياح عاصفة، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التى كانت بالشاطئ قدر رمية سهم، وعاد الماء عنها فصارت على اليبس وتقطعت مراسيها، واقتلع الريح المراكب السائرة فى وسط الماء، وحذفها إلى الشاطئ.

وفقد للناس من الأموال شىء كثير: فإنهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعوا على شىء مما فيها، فدخلها أهل الدعارة وأخذوا ما أحبوا. وصار الناس إلى خارج القاهرة، وبات أكثرهم خارج باب البحر، ونصبوا الخيم من بولاق إلى الروضة.

و لم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم، أو تشعث بعضها، وسقطت الزروب[٢] التى بأعلى الدور، و لم تبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب ونحوه. وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد، يدعون الله إلى وقت صلاة الجمعة.

---

(١) بلاد تقطاى والمقصود هنا مملكة القفجاق التترية وكان على عرشها تقطاى بن نلايقا.

(٢) زرب الماء ونحوه زربا: سال، الزرب المدخل، وهو حظيرة الغنم، والحفرة يكمن فيها العبائد جمع زروب. انظر: المعجم الوسيط (زرب).

وتواترت الأخبار من الغربية بسقوط جميع دور مدينة سخا، حتى لم يبق بها جدار قائم وصارت كوما، وأن ضيعتين بالشرقية خربتا حتى صارتا كوما.

وقدم الخبر من الإسكندرية بأن المنار انشق وسقط من أعلاه نحو الأربعين شرفة، وأن البحر هاج وألقى الريح العاصف موجه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الإفرنجية على البر، وسقط جانب كبير من السور، وهلك خلق كثير.

وقدم الخبر من الوجه القبلى بأن فى اليوم المذكور هبت ريح سوداء مظلمة حتى لم ير أحد أحدا قدر ساعة، ثم ماجت الأرض وتشققت وظهر من تحتها رمل أبيض، وفى بعض المواضع رمل أحمر، وكشطت الريح مواضع من الأرض فظهرت عمائر قد ركبها السافى، وخربت مدينة قوص، وأن رجلا كان يحلب بقرة فارتفع فى وقت الزلزلة وبيده المحلب، وارتفعت البقرة حتى سكنت الزلزلة، ثم انحط إلى مكانه من غير أن يتبدد شىء من اللبن الذى فى المحلب.

وقدم الخبر من البحيرة أن دمنهور لوحش لم يبق بها بيت عامر.

وخرب من المواضع المشهورة جامع عمرو بن العاص بمصر، فالتزم الأمير سلار النائب بعمارته. وخربت أكثر سوارى[١] الجامع الحاكمى بالقاهرة وسقطت مأذنتاه، فالتزم الأمير بيبرس الجاشنكير بعمارته وخرب الجامع الأزهر، فالتزم الأمير سلار بعمارته أيضًا، وشاركه فيه الأمير سنقر الأعسر. وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة فعمر من الخاص السلطانى، وتولى عمارته الأمير علم الدين سنجر. وخربت مأذنة المنصورية، فعمرت من الوقف على يد الأمير سيف الدين كهرداش الزراق. وسقطت مأذنة جامع الفكاهين. وكتب بعمارة ما تهدم بالإسكندرية، فوجد قد انهدم من السور ست وأربعون بدنة، وسبعة عشر برجا فعمرت.

وقدم البريد من صفد[٢] أنه فى يوم الزلزلة سقط جانب كبير من قلعة صفد، وأن البحر من جهة عكا انحسر قدر فرسخين وانتقل عن موضعه إلى البر، فظهر فى موضع الماء أشياء كثيرة فى قعر البحر من أصناف التجارة، وتشققت جدر جامع بنى أمية بدمشق.

---

(١) سوارى: الجمع سوار وهى عند الملاحين: عمود من الخشب ينصب عليه الشراع. انظر المعجم الوسيط (سور).

(٢) صفد: مدينة فى حبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٣/٤١٢.

واستمرت الزلزلة خمس درج، إلا أن الأرض أقامت عشرين يوما ترجف، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى. وكان الزمان صيفا، فتولى بعد ذلك سموم شديدة الحر عدة أيام. واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة فى رمِّ ما تشعث وبنى ما هدم، وغلت أصناف العمارة لكثرة طلبها، فإن القاهرة ومصر صارت بحيث إذا رآها الإنسان يتخيل أن العدو أغار عليها وخربها، فكان فى ذلك لطف من الله بعباده، فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة، وفيهم من أقلع عن ذلك لكثرة توارد الأخبار من بلاد الفرنج وسائر الأقطار بما كان من هذه الزلزلة.

واتفق فيها من الأمر العجيب أن الأمير بيبرس الجاشنكير لما رم ما تشعت من الزلزلة بالجامع الحاكمى، وجد فى ركن من المأذنة كف إنسان بزنده قد لف فى قطن وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هى، والكف طرى. ونبشت دكان لبان مما سقط فى الزلزلة، فإذا أخشابها قد تصلبت على اللبان وهو حى، وعنده جرة لبن يتقوت منها مدة أيام، فأخرج حيا لم يمسه سوء.

وفى هذه السنة: استقر فى نيابة صفد الأمير سنقر شاه المنصورى، عوضًا عن بدخاص، وأنعم على بدخاص بإمرة بديار مصر. ونقل قبجق من نيابة الشوبك إلى نيابة حماة، عوضا عن العادل كتبغا بعد موته. واستقر بلبان الجوكندار فى نيابة حمص، بعد موت سيف الدين البكى. ثم استعفى بلبان، فولى عز الدين أيبك الحموى نائب قلعة دمشق عوضه، واستقر عوضه فى نيابة قلعة دمشق بيبرس التلاوى.

وبلغ النيل ثمانية عشر ذراعًا.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم السكندرى الشافعى، فى رابع عشرى شوال بدمشق، ومولده بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وستمائة، وكان مشهورًا بالعلم والديانة، ناب فى خطابة جامع بنى أمية، وباشر الحكم مدة بدمشق ودرس بها، وأفاد زمانًا.

ومات كمال الدين أحمد بن أبى الفتح بن محمود بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان المعروف بابن العطار، أحد كتاب الدرج بدمشق، فى رابع عشرى ذى القعدة، ومولده سنة ست وعشرين وستمائة، وكان كثير التلاوة للقرآن محبًّا لسماع

الحديث وحدث، وكان صدرًا كبيرًا فاضلا له نظم ونثر، وأقام يكتب الدرج أربعين سنة.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى، بالقاهرة فى [....][1].

ومات الأمير فارس الدين البكى الساقى، أحد مماليك الظاهر بيبرس، تنقل فى الخدم حتى صار من أمراء مصر، ثم اعتقل إلى أن أفرج عنه المنصور قلاوون وأنعم عليه بإمرة، ثم ولاه نيابة صفد فأقام بها عشر سنين، وفر مع قبجق إلى غازان وتزوج أخته، ثم قدم مع غازان ولحق بالسلطان، فولاه نيابة حمص[2] حتى مات بها يوم الثلاثاء ثامن ذى القعدة. وكان مليح الشكل، ما جلس قط بغير خف، وإذا ركب ونزل حل جمداره شاشه، فإذا أراد الركوب لفه مرة واحدة كيف جاءت ويركب ولا يعيد لفة الشاش مرتين أبدًا.

واستشهد بوقعة شقحب عز الدين أيدمر العزى نقيب المماليك السلطانية، وهو من مماليك عز الدين أيدمر نائب دمشق، وكان كثير الهزل، وإليه تنسب سويقة العزى خارج القاهرة.

ومات الأمير أيدمر الشمسى القشاش، وكان قد ولى الغربية والشرقية جميعًا، واشتدت مهابته، وكان يعذب أهل الفساد بأنواع قبيحة من العذاب منها أنه كان يغرس خازوقًا ويجعل محدده قائمًا، وبجانبه صار كبير يعلق فيه الرجل، ثم يرسله فيسقط على الخازوق فيدخل فيه ويخرج من بدنه، ولم يجرؤ أحد من الفلاحين بالغربية والشرقية فى أيامه أن يلبس مئزرًا أسود، ولا يركب فرسًا ولا يتقلد سيفًا، ولا يحمل عصا محلية بحديد، وعمل بها الجسور والترع وأتقنها، وأنشأ جسرًا بين ملقة صندفا وأرض سمنود[3] عرف بالشقفى، فرآه بعد أن استشهد بمدة قاضى المحلة فى النوم، فقال له: «سامحنى الله وغفر لى بعمارة حسر الشقفى»، وكان قد فلج واستعفى من الولاية

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجل من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. وافتتحها أبو عبيدة الجراح صلحًا سنة أربع عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه. انظر معجم البلدان ٣٠٢/٢، والروض المعطار ١٩٨، ١٩٠.

(٣) سمنود بلد من نواحى مصر جهة دمياط مدينة أزلية على ضفة النيل بينها وبين المحلة ميدان تضاف إليها كورة فيقال كورة السمنودية. انظر: معجم البلدان ٢٥٤/٣.

ولزم بيته، وخرج لغزوة شقحب فى محفة إلى وقت القتال، فلبس سلاحه وركب وهو فى غاية الألم، فقيل له: «إنك لا تقدر»، فقال: «والله لمثل هذا اليوم أنتظر، وإلا إيش بتخلص القشاش من ربه بغير هذا؟» وحمل على العدو وقاتل فقتل، ورئى فيه ست جراحات.

ومات الأمير حسام الدين أوليا بن قرمان، أحد الأمراء الظاهرية، وهو ابن أخت قرمان ـ وعرف بابن قرمان ـ وكان شجاعًا.

ومات الأمير عز الدين أيبك أستادار.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الرفا المنصورى.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشمسى الحاجب.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الدكاجكى، أحد الأمراء بحماة.

ومات صلاح الدين بن الكامل.

ومات علاء الدين بن الجاكى.

ومات الشيخ نجم الدين أيوب الكردى، وكان قد قدم إلى دمشق سنة سبع وثمانين وستمائة فى طائفة من الأكراد[1]، واعتقده الأمراء وحملوا إليه المال فكان يتصدق به، ثم قدم إلى القاهرة، وخرج مع السلطان وقاتل بشقحب حتى قتل.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الشمسى الحاجب.

ومات سنقر الكافرى، أحد الأمراء.

ومات سنقر شاه أستادار الجانق.

ومات حسام الدين على بن باخل، أحد أمراء العشراوات.

ومات لاجين الرومى المنصورى أستادار المنصور قلاوون، ويعرف بالحسام أستادار، وكان دينا خيرًا حشمًا، سمع الحديث.

ومات الأمير شمس الدين سنقر العنتابى بدمشق، ليلة الجمعة ثانى عشر ذى القعدة.

ومات العادل كتبغا بحماة ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى وهو فى سن الكهولة، وكان دينا خيرًا، أسمر اللون قصيرًا دقيق الصوت قصير العنق، شجاعا سليم الباطن

---

(١) كرد بلفظ واحد الأكراد اسم لقبيلة. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٠.

متواضعًا، وهو من جنس المغل، وكان قد طال مرضه واسترخى حتى لم يقدر على حركة يديه ورجليه، وترك أولادًا. فولى نيابة حماة بعده الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى، وقد نقل إليها من نيابة الشوبك.

ومات الشيخ تقى الدين محمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى المعروف بابن دقيق العيد فى يوم الجمعة حادى عشر صفر، عن سبع وسبعين سنة، وهو على قضاء القضاة، ومولده فى خامس عشرى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

* * *

سنة ثلاث وسبعمائة

فيها انتدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة، وأنفقوا فيها مالا جزيلا.

وقدم الأمير برلغى الأشرفى من الحجاز، وشكى من قلة مهابة الشريفين أبى الغيث وعطيفة وكثرة طمع العبيد فى المجاورين بمكة. فأفرج عن الشريفين حميضة ورميثة من السجن، وأحضرا إلى المجلس السلطانى وخلع عليهما بكلفتاى زركش، فلم يلبسها حميضة إلا بعد التمنع والتهديد بالعود إلى الحبس. وأجلسا فوق جميع الأمراء، ونزلا إلى منازلهما وحمل إليهما سائر ما يحتاجان إليه، وهاداهما الأمراء، وأجريت لهما الرواتب والجرايات والكسوات، وركبا مع السلطان فى الميدان، ولعب حميضة مع السلطان بالكرة.

وفيها سارت العساكر من القاهرة للغارة على بلاد سيس، وعليهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، ومعه الأمير علم الدين سنجر الصوابى والأمير شمس الدين سنقر شاه المنصورى ومضافيهم، وكتب إلى طرابلس وحماة وصفد وحلب بخروج العساكر إليها. فوصل الأمير بدر الدين بكتاش إلى دمشق فى ثانى عشر رمضان، وخرج منها بعسكر دمشق، فسار إلى حلب وأتته عساكر البلاد، فمرض وأقام بحلب، وسار ابنه بالعساكر، وحرقوا مزارع سيس وخربوا الضياع وأسروا أهلها، ونازلوا تل حمدون وقد امتنع بقلعتها جماعة كثيرة من الأرمن، فقاتلوهم حتى فتحت بالأمان، وأخذوا منها ستة ملوك من ملوك الأرمن. فشق ذلك على تكفور ملك سيس، وقصد نكاية الملوك على تسليمهم قلعة تل حمدون بالأمان، وكتب إلى نائب حلب بأن ملوك القلاع هم الذين كانوا يمنعون من حمل الخراج، فلا تفرجوا عن أحد منهم، فليس عندى من يزن المال سواهم. فأمر النائب بقتلهم، فضربت رقاب الملوك الخمسة، وأسلم منهم صاحب قلعة نجيمة والتزم بأخذ سيس، فحمل إلى مصر وكتب صحبته بعود العساكر بالغنائم، فسر الأمراء والسلطان بذلك، وأكرم صاحب قلعة نجيمة، وكتب بعود العساكر.

وقدم البريد بموت الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب حمص، فكتب بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق باستقراره فى نيابة حمص، وتوجه إليها فى ثامن عشرى جمادى الأولى، وولى عوضه نيابة قلعة دمشق بهادر السنجرى.

وفيها وقع موتان فى الخيول ببلاد الشام، فمات من حلب ودمشق نحو الثمانين ألف فرس، وفشا الموتان فى خيول مصر أيضًا، فهلك كثير منها. ووقع ببلاد الساحل جراد كثير، وفيها ارتفعت أسعار الغلال بمصر، وبلغ الأردب القمح أربعين درهما لتقاصر زيادة النيل، ثم انحط السعر عن قليل وأبيع بخمسة وعشرين درهما.

وفيها سار الأمير بدر الدين جنغلى بن شمس الدين البابا أحد مقدمى التتار وافدًا إلى الأبواب السلطانية بأهله وأتباعه، فلما قدم البريد بمسيره كتب إلى نائب حلب، فتلقاه وبالغ فى إكرامه، وتلقاه نائب دمشق ودخل به فى حادى عشر ذى القعدة. ومازالت الإقامات تتلقاه حتى قدم إلى القاهرة، فخرج الأمير بيبرس الجاشنكير إلى لقائه ومعه الأمراء إلى قبة النصر، وصعد به إلى أن قبل الأرض بين يدى السلطان فى ثالث ذى الحجة، وأنزل فى دار بقلعة الجبل.

وفيها أخرج الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى على إمرة بصفد، وأنعم على جنغلى بإمرته - وهى طبلخاناه، وكتب له بزيادة مائة ألف درهم. ثم نقل إلى إمرة مائة، وأنعم على أمير علىّ من ألزامه بإمرة عشرة، وعلى نيروز من ألزامه بتقدمة ألف، وبعث الأمراء إليه بالهدايا.

وفيها قدم رسول ملك الفرنج الريدراكون البرشلونى بهدية جليلة القدر للسلطان وللأمراء، وسأل فتح كنائس النصارى فأجيب إلى ذلك، وفتحت كنيسة اليعاقبة بحارة زويلة وكنيسة الملكيين بالبندقانيين. وجهز جوابه مع فخر الدين عثمان أستادار الأمير عز الدين الأفرم، فاقترض نحو الستين ألف درهم، وبالغ فى التجمل. فلما كان وقت السفر دفع الرسل ملطفا من ملكهم إلى السلطان يسأل فى فك رجل ممن أسر بجزيرة أرواد، فأفرج عنه وسار معهم إلى الإسكندرية، فبعث بعض الأسرى يعرف السلطان بأن: «هذا الذى أفرج عنه ابن ملك كبير، ولو أردتم فيه مركبا ملآن بالذهب لحمله إليكم فى فكه»، فكتب برده فعاد من الإسكندرية وقيد على ما كان. وركب الرسل البحر، حتى إذا أبعدوا عن الإسكندرية أنزلوا الأمير فخر الدين عثمان فى قارب وأمروه بالعود، وأخذوا كل ما معه. فألقاه الريح على ساحل الإسكندرية، وحمل إلى مصر، فشكا إلى الأمراء أن الذى أخذ له دين عليه، فلم يلتفت أحد إليه، وكتب إلى الإسكندرية بإيقاع الحوطة على من يرد من فرنج برشلونة.

وفيها كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين.

وفيها نقل السلطان أمه من التربة المجاورة للمشهد النفيسى إلى التربة الناصرية بين

القصرين، وموضع هذه المدرسة الناصرية كان دارًا عرفت أخيرًا بالأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، فاشتراها الملك العادل كتبغا وشرع فى بنائها مدرسة، وعمل بوابتها من أنقاض مدينة عكا، وهى بوابة كنيسة بها. فلما حضرت هذه البوابة إلى القاهرة ـ مع الأمير علم الدين الدوادارى، متولى تخريب عكا وصور وعثليث وغيرها من القلاع التى فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون ـ أخذها الأمير بيدرا، وقُتل وهى على حالها، فعملها كتبغا على هذه المدرسة. وخلع كتبغا قبل أن تكمل، فاشتراها السلطان على يد قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وأتمها، وعمل لها الأوقاف الجليلة: ومن جملتها قيسارية[١] أمير على بخط الشرابشيين[٢]، والربع المعروف بالدهشة[٣] قريبا من باب زويلة، وحوانيت بباب الزهومة[٤]، والحمام المعروفة بالفخرية بجوار المدرسة السيفية[٥]، ودار أم السلطان، وحمامى الشيخ خضر بظاهر القاهرة، بخط بستان ابن صيرم والجامع الظاهرى، ودار الطعم خارج مدينة دمشق. ورتب بها قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف مدرس المالكية، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى مدرس الحنفية، وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرانى مدرس الحنابلة، وصدر الدين محمد بن المرحل مدرس الشافعية.

وفيها ولد للسلطان من زوجته أردكين الأشرفية ابن سماه عليا، ولقبه بالملك المنصور، وعمل له مهما أراد أن يستمر سبعة أيام، فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعمل يوما واحدًا وفيها شرع الأمير سلار النائب فى التجهيز إلى الحجاز.

وفيها تشاجر الوزير عز الدين أيبك البغدادى وناصر الدين محمد بن الشيخى متولى الجيزة، وسببها تعاظم ابن الشيخى على الوزير، وانحصار الأقباط منه لوفور حرمته

---

(١) قيسارية عرفت هذه القيسارة بذلك الاسم نسبة إلى الأمير على ابن السلطان المنصور قلاوون. انظر المواعظ والاعتبار.

(٢) الشرابشيين عرف هذا الموضع نسبة إلى بائع الشرابيش فى السوق الذى عرف بسوق الشرابيش. انظر المواعظ والاعتبار ٩٩/٢.

(٣) الدهشة هذا الموضع غير الموضع المعروف باسم الدهيشة الذى عمره السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن قلاوون. انظر المواعظ والاعتبار ٢١٢/٢.

(٤) الزهومة يطلق هذا الوصف على كثير من المواضع بالقاهرة منها خط باب الزهومة وسوق باب الزهومة وهو نفسه أحد أبواب القصر الكبير الشرقى فى عهد الفاطميين. انظر المواعظ والاعتبار ٤٣٥/١، ٣٥/٢،٩٧.

(٥) مدرسة السيفية سميت هذه المدرسة، حسبما جاء فى خطط المقريزى إلى سيف الإسلام طغتكين أحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبى وهو الذى فتح اليمن فى عهد أخيه سنة ٥٧٧هـ.

وشدة ضبطه، فاتفقوا مع الوزير على أن يحققوا فى جهته وجهات مماليكه من الأموال الديوانية مبلغًا كثيرًا، فتحدث الوزير فى ذلك مع الأمير سلار النائب، لعلمه بكراهته فى ابن الشيخى. فطلب ابن الشيخى والدواوين وحضر الأمراء، وانتدب لمحاققته التاج الطويل مستوفى الدولة. وأفحش التاج الطويل فى مخاطبته، وهو يخرج مما يلزم به بحجج يظهرها، ثم اشتد حنقه وقام على قدميه وقال: «وحق نعمة مولانا السلطان! هؤلاء الأقباط أكلوا الأموال، وإن تسلمتهم لآخذن منهم للسلطان ثلاثمائة ألف دينار أكتب بها خطى». فقال له التاج: «صرت أنت تأمر وتنهى يا ناصر الدين، ولو طلعت رأسك إلى السماء كنت عندى ضامنا بتقارير مكتتبة عليك كسائر الضمّان». فغضب الأمير بيبرس الجاشنكير، وقال للتاج: «والك ما كفى كذبكم حتى تجعل أميرًا مثل ضامن؟ وا لله ما يأكل مال السلطان غيركم»، وأمر بإقامته من المجلس. وقال الأمير بيبرس لابن الشيخى: «إيش قلت؟ تحمل من جهة هؤلاء ما قلت؟»، قال: «نعم!»، فرسم للوزير والحجاب بجمع الدواوين وتسليمهم له وانفضوا، فلم يبت أحد من الكتاب عنده، فا خلا ناظرى الدولة وهما تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى، وشهاب الدين غازى بن الواسطى، وألزمهم بعمل حساب الدولة لثلاث سنين وضيق عليهم، وأهان التاج الطويل ونكل به. وأخذ التاج بن سعيد الدولة فى مساعدة ابن الشيخى، وصار يأتيه فى الليل ويرتبه، فظهر فى جهة الكتاب شىء كثير، فشكره بيبرس وعرف الأمراء بذلك، فرسموا له بعقوبة الكتاب واستخراج المال منهم، فقام الشهاب بن الواسطى فى الحط على ابن الشيخى قياما زائدًا، وقال: «يا أمراء! هذا ما يحل، وما بلغ قدر هذا الرجل بالأمس وهو فى دكان يخيط الأقباع[1]، ثم فقير دائر يستعطى، ثم ضامن فى ساحل الغلة، قد صار فى حفدة ومماليك، وعمل ولاية القاهرة بأقبح سيرة». فبلغ ذلك ابن الشيخى فأوقع الحوطة عليه، وسأل الأمير بيبرس فيه فسلمه له، فلما دخل عليه مع الرسل أخرق به وأمر أن يعرى من ثيابه، فمازال به الحاضرون حتى عفا عنه من خلع ثيابه، وضربه تحت رجليه ثلاث ضربات. ثم خاف العاقبة فأكرم ابن الوسطى وتلطف به وبالكتاب، وحمل منهم ثلاثمائة ألف درهم، وأفرج عنهم بعد مشاورة الأمير بيبرس. فشق ذلك على الوزير، وسعى فى السفر إلى الحجاز مع الأمير سلار، فأجيب إلى ذلك.

وسعى ابن الشيخى بالأمير بكتمر أمير جندار والأمير برلغى وينجار، ووعدهم أنه يؤجرهم البلاد والدواليب ويقوم عنهم بكلفها، وأهدى إليهم حتى ملأ أعين أعدائه

---

(١) جمع قبع، وهو ما يغطى به الرأس من الثوب.

وأصدقائه، وعمل للأمير سلار من آلات السفر شيئا كثيرًا، ومازال يسعى بحاشية سلار، وهو يمتنع من إجابتهم، ويردهم أقبح رد لبغضه فيه حتى خدعوه وأجاب. فاستقر ابن الشيخى فى الوزارة يوم الإثنين تاسع عشر شوال، بغير رضا سلار، إلا أنه لم يجد بدا من ولايته. ونزل فى موكب عظيم إلى داره بجوار المشهد الحسينى من القاهرة، وتعاظم على الناس تعاظما زائدًا.

وفيها سار الأمير سلار النائب إلى الحجاز، ومعه نحو الثلاثين أميرًا: منهم سنقر الكمالى الحاجب، وعلم الدين سنجر الجاولى، وسنقر الأعسر، وكورى، وسودى، وبكتوت القرمانى، وبكتوت الشجاعى، والطواشى شهاب الدين مرشد. وتأخر الأمير سلار، بعد خروج الركب مع الأمير سيف الدين أناق الحسامى أمير الركب، وبعث إلى الحجاز فى البحر عشرة آلاف أردب غلة وبعث سنقر الأعسر ألف أردب، وبعث سائر الأمراء القمح للتفرقة فى أهل الحرمين، فعم النفع بهم.

وفيها ورد الخبر بموت غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك المغل، فى ثالث عشر شوال بنواحى الرى، من مرض حاد، وكانت مدته ثمان سنين وعشرة أشهر. وقام بعده أخوه خدا بندا بن أرغون، وجلس على تخت الملك فى ثالث عشرى ذى الحجة، وتلقب بغياث الدين محمد، وكتب إلى السلطان بجلوسه، وطلبه للصلح وإخماد الفتنة، وسير إليه رسله. وفيها توجه الوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى إلى الإسكندرية، وألزم المباشرين بعمل الحساب. وكان متحصل الإسكندرية لا ينال ديوان السلطان منه إلا القليل، فإن الأمراء بيبرس وسلار وبرلغى والجوكندار ما منهم إلا من له بها نائب يتحدث فى المتجر. فقام نائب الإسكندرية، ومنع الوزير من التحدث حتى يحضر الأمير سلار من الحجاز، فاتفق وصول مركب بمتجر للفرنج بلغ موجبه أربعين ألف دينار.

وفيها خرج السلطان إلى البحيرة للصيد، وقد عبأ له الوزير الإقامات. ونزل السلطان بتروجة، واستدعى شهاب الدين أحمد بن عبادة، الذى أقامه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وصى السلطان وكيلا على جباية أموال أملاك السلطان ونائبا عنه لاشتغاله بوظيفة القضاء. وطلب السلطان منه دراهم يشترى بها هدية من الإسكندرية، فلم يجد عنده من مال السلطان ما يكفيه، فبعثه ليقترض من تجار الإسكندرية مبلغا. فاجتمع ابن عبادة بالوزير، وشكا له ما فيه السلطان من الضيق والحاجة، وأنه حضر ليقترض له من التجار ما يشترى به هدية لجواريه ونسائه. فقال له ابن الشيخى: «ارجع، وأنا غدا عند السلطان بألفى دينار». فعاد ابن عبادة، وأعلم

السلطان بذلك، فسر سرورًا كبيرًا. وقدم الوزير بالمبلغ وقدمه للسلطان. فاستروح السلطان معه بالكلام، وشكا إليه ما هو فيه من ضيق مع الأمراء، فوعده بأن مصير الأمر إليه، وقوى قلبه وشجعه على الفتك بالأمراء، وهون عليه أمرهم، وقام وقد حفظ عليه الجمدارية ما قاله فى حق الأمراء. وعاد السلطان إلى القلعة، وقدم الوزير من الإسكندرية بمال كثير وكساو جليلة، وشكا إلى الأمير بيبرس نائب الإسكندرية.

وقدم الخبر من الأردو بأنه قد جرد مقدم اسمه قبرتو ليقيم بديار بكر، عوض جنكلى ابن البابا المهاجر إلى الإسلام. فكتب نائب الشام مطالعة بذلك، وفيها:

أتى من بلاد المشركين مقدم ... تعالن لما أن دعوه قبرتوا
وإنى لأرجو أن يجىء عقيبها ... بشير لنا أن اللعين قبر توا

وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وستة عشر أصبعا، بعدما توقف، وتحسنت الغلال.

* * *

ومات فى هذه السنة

عز الدين أيبك الحموى، وكان من مماليك المنصور نائب حماة، فطلبه منه الملك الظاهر بيبرس هو وأبو خرص فيسرهما إليه فأمرهما، ثم ولى الأشرف خليل أيبك هذا نيابة دمشق بعد سنجر الشجاعى، وعزله العادل كتبغا بغرلوا. ولى صرخد[1] ثم حمص، وبها مات فى تاسع عشر شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير بيبرس التلاوى فى تاسع شهر رجب، وكان يلى شد دمشق ـ وفيه ظلم وعسف ـ مدة سنة وسبعة وأربعين يومًا، منها أيام مرضه حتى هلك سبعة أشهر، واستقر عوضه فى وظيفة الشد قيران الدوادارى.

ومات القان إبل خان معز الدين غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولوى ابن جنكزخان، ببلاد قزوين[2] فى ثانى عشر شوال، وحمل إلى تربته خارج توريز. وكان جلوسه على تخت الملك فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأسلم فى سنة أربع وتسعين وستمائة، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رءوس الناس، ففشا الإسلام بذلك

---

(١) صرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. انظر معجم البلدان ٣/٤٠١.

(٢) بلاد قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخًا وحصن قزوين كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل. انظر معجم البلدان ٤/٣٤٢، والروض المعطار ٤٦٥.

فى التتار، وأظهر غازان العدل، وتسمى بمحمود، وملك العراقين وخراسان وفارس والجزيرة والروم، وتسمى بالقان، وأفرد نفسه بالذكر فى الخطبة، وضرب السكة باسمه دون القان الأكبر، وطرد نائبه من بلاده، ولم يسبقه أحد من آبائه إلى هذا، فاقتدى به من جاء بعده، وكان أجل ملوك بيت هولاكو، إلا أنه كان يبخل بالنسبة إليهم.

ومات شمس الدين سلمان إبراهيم بن إسماعيل الملطى الدمشقى الحنفى أحد نواب الحكم بدمشق والقاهرة، وكان دينًا مباركا.

ومات علاء الدين على بن عبد الرحيم بن مراجل الدمشقى، والد الصاحب تقى الدين سليمان بن مراجل، فى سادس عشر ذى القعدة بدمشق، وقدم إلى القاهرة سنة إحدى وسبعمائة، وكان ماهرًا فى الحساب، أديبًا فاضلا.

ومات زين الدين عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيع بن الحسن الفارقى الشافعى، فى حادى عشرى صفر بدمشق، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وقد درس الفقه، وخطب بجامع بنى أمية قبل موته بتسعة أشهر، فولى الخطابة بعده صدر الدين محمد بن الوكيل المعروف بابن المرحل، فلم ترض الناس به، فولى شرف الدين[.....][1] القزارى.

ومات فتح الدين أبو محمد عبد الله بن الصاحب عز الدين محمد بن أحمد بن خالد ابن محمد القيسرانى[2] بالقاهرة يوم الجمعة خامس عشرى شهر ربيع الآخر، ومولده فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وقد وزر جده الموفق خالد للملك العادل نور الدين محمود بن زنكى[3] وولى الفتح هذا وزارة دمشق، ثم صرف عنها، وقدم إلى القاهرة، وباشر توقيع الدست بقلعة الجبل، وعنى بالعلم، وله تصانيف ونظم حسن.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد القرشى المخزومى، أبو محمد فتح الدين بن القيسرانى: من علماء الوزراء شاعر أديب من بيت رياسة. أصله من قيسارية الشام. ولد فى دمشق وولى بها الوزارة فى أيام السعيد بن الظاهر ستة أشهر وانتقل إلى مصر فتوفى بالقاهرة. له كتاب فى «الصحابة» و«أربعون حديثا» أخرجها لنفسه وله نظم فى «ديوان». انظر البداية والنهاية١٤:٣١ والدرر الكامنة ٢:٢٨٤، والنجوم الزاهرة ٨:٢١٣ والأعلام ١٢٥/٤.

(٣) محمود بن زنكى [عماد الدين] بن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وهو أعدل ملوك زمانه وأحلهم وأفضلهم كان من المماليك [حده من موالى السلجوقيين]. ولد فى حلب. انظر ابن الأثير ١٥١/١١ وابن خلدون ٢٥٣/٥ وابن خلكان ٨٧/٢، والإسلام والحضارة العربية ٢٨٩/١، ومرآة الزمان ٣٠٥/٨، والنجوم الزاهرة ٧١/٦، وكتاب الروضتين ٢٢٧/١، والأعلام ١٧٠/٧.

ومات نصير بن أحمد بن على المناوى المعروف بالنصير الحمامى، الأديب البارع، فـى [.....][1].

ومات الشريف أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغنـى بـن سـرور بـن سـلامة المنوفـى، أحد أصحاب الشيخ أبى الحجاج الأقصرى - ويقال إنه شريف حسنى - فى ليلة الإثنـين خامس عشر ذى الحجة بمصر، عن مائة وعشرين سنة، وهـو صحيـح الأعضـاء سـليم الحواس رصين العقل، وله ديوان شعر.

ومات الأمير بكتمر السلاح دار الظاهرى فى [......][2].

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة أربع وسبعمائة

فى مستهل المحرم: قدم البريد بوصول الأمير سيف الدين قَطَايا بن سيغرا أمير بنى كلاب فى عدة من مشايخ العرب، ثم قدم فأكرمه السلطان والأمراء، وأعيدوا إلى حلب. وكان من خبر قطايا أنه لما خرج عن طاعة السلطان، وعاث فى أعمال حلب وأفسد، طلبه عساكر حلب، ففر إلى بلاد الشرق، وأقام مع المغل، فأكرموه مدة حياة الملك محمود غازان حتى مات، فلم يجد بعدئذ ما كان يعهده، فترامى على نائب حلب، ومازال يستعطفه فى أن يأذن له فى العود بعد الشفاعة له إلى السلطان، فأجاب سؤاله وكاتب فيه، فعفى عن ذنبه وأعيدت له إقطاعاته بحلب.

وقدم البريد بوقوع الفتنة بين الأمراء أسند مركرجى نائب طرابلس، والأمير بالوج الحسامى من أمرائها، من أجل أن أسندمر استخدم فى ديوانه سامريًا كاتبًا يقال له أبو السرور، فزاد تحكمه، وأخذ يتجر لمخدومه فى عدة بضائع، وركب الخيول المسومة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة، وتصرف فى عامة الأمور بطرابلس حتى كثرت أمواله وَسَعَاداته، وتزايد شره وضرره، وكثرت شكاية الناس منه. فقام الأمير بالوج فى ذلك وتحدث مع أمراء طرابلس فى إزالته عن المسلمين، وَوَاعَدَهم على نصرته ومعَاوَنتـهِ إياهم. ثم قام فى يوم الموكب للنائب أسندمُر، وذكر له ما أصاب الناس من كاتبه السامرى، وما هم فيه من الضرر، فرد عليه ردًا غير جيد، وجبهه بالتكذيب فيما نقله، وأغلظ عليه حتى اشتد غضب الأمير بالوج منه - وكان قوى النفس شرس الأخلاق - وحلف بالأيمان المغلظة ليضربن رقبة السامرى، وقام من مجلس النائب. فكتب فيه النائب أسندمر يشكو منه شكوى طويلة عريضة، فأعيد جوابه بالقبض على الأمير بالوج وحبسه، فأخذ سيفه وسجنه، فاشتدت عند ذلك وطأة السامرى على الناس، فتجردوا له وكتبوا فيه محاضر بقوادح حفظت عنه، وأثبتوها بدمشق. فكتب الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام فيه، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير فى ذلك. وكتب بحمل السامره إلى دمشق وتسليمه للقاضى المالكى. والإفراج عن بالوج، فأفرج عنه وأنعم عليه، وقيد السامرى وسلمه للبريد، فسار به إلى حمص، فاتفق قتله بها، واتهم أسندمر أنه دس عليه من ضرب عنقه حتى لا يتمكن منه، فحملت رأسه إلى دمشق.

وفيها حكم قاضى المالكية بإراقة دم شمس الدين محمد بن الباجريقى[1] ففر من دمشق وقدم الأمير سلار من الحجاز فى نصف صفر، وقد فعل فى الحجاز أفعالا جميلة منها: أنه كتب أسماء المجاورين بمكة وأوفى عنهم جميع ما كان عليم من الديون لأربابها، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مئونة سنة، ووصلت مراكبه إلى جدة سالمة، ففرق ما فيها على سائر أهل مكة جليلهم وحقيرهم، وكتب سائر الفقراء وجميع الأشراف، وحمل إليهم الدنانير والدراهم والغلة بقدر كفاية كل منهم سنة، فلم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير عبد أو حر شريف أو غير شريف إلا وعمه ذلك، ثم استدعى الزيلع[2] وفرق فيهم الذهب والفضة والغلال والسكر والحلوى حتى عم سائرهم، وبعث مباشريه إلى جدة، ففعلوا فيها كما فعل هو بمكة. وحمل ما بقى إلى المدينة النبوية، فما بلغ وادى بنى سالم وجد العرب قد أخذوا عدة جمال من الحجاج، فتبعهم وأخذ منهم خمسين رجلا، فأفتاه الفقهاء بأنهم محاربون، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وعم أهل المدينة بالعطايا كما عم أهل مكة، فكان الناس بالحرمين يقولون: «يا سلار! كفاك الله هم النار» ولم يسمع عن أحد فعل من الخير كما فعل.

وقدم البريد من حلب بحضور جماعة من المغل وافدين إلى بلاد الإسلام، نحو مائتى فارس بنسائهم وأولادهم، وفيهم عدة من أقارب غازان وبعض أولاد سنقر الأشقر، فكتب بإكرامهم، فقدموا إلى القاهرة فى جمادى الأولى وقدم معهم أخوا سلار، وهما فخر الدين داود، وسيف الدين جبا، وقدمت أيضا أم سلار. فرتبت لهم الرواتب، وأعطوا الإقطاعات، وفرق جماعة منهم على الأمراء. وأنشأ سلار لأمه دارا بإسطبل الجوق الذى عمله العادل كتبغا ميدانا، ثم عرف بحكر الخازن، ورقى أخويه وأعطاهم الإمريات وقدم الأمير حسام الدين أَزْدَمُر المُجيرى، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن معرف بن السكرى، من بلاد الشرق إلى دمشق فى رابع عشرى شعبان، ودخلا القاهرة أول رمضان، ومعهما كتاب خر بندا وهديته، فتضمن كتابه جلوسه على تخت الملك بعد أخيه محمود غازان، وخاطب السلطان بالأخوة،

---

(١) الباجريقى: نسبة إلى بلدة باجريق بالعراق الأعلى، بين البقعاء ونصيبين. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والباجريقى هذا كان فى الأصل فقيها بالمدارس، ثم تزهد وصحب الفقراء، وصار له أتباع، وقد ظل يعانى من أنواع النفى والتشريد بسبب أقواله وآرائه حتى وفاته سنة ٧٢٤ هـ. انظر الدرر الكامنة ٤/ ١٢، ١٤.

(٢) الزيلعى: نسبة إلى زيلع قرية على البحر بناحية الحبشة. انظر معجم البلدان ٩٦٦/٢، ٩٦٧. ولب اللباب ١٢٩.

وسأل إخماد الفتن، وطلب الصلح، وقال فى آخر كلامه: عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه. فأجيب وجهزت له الهدية، وأكرم رسوله، وسفر معه علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بلبان القلنجقى أحد مقدمى الحلقة، والصدر سليمان المالكى المرتقى أحد العدول[١]، فتوجهوا فى أول ذى القعدة، وعاد علاء الدين وسليمان المالكى فى رمضان سنة خمس وسبعمائة. وقدم بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلى من بلاد غازان إلى دمشق فى ثالث عشرى جمادى الآخرة.

وقدم رسل الملك طقطاى صاحب سراى وبر القبجاق فى أول ربيع الأول، وأنزلوا بمناظر الكبش، وأجريت لهم الرواتب. ثم حضروا بهديتهم وكتاب ملكهم، وهو يتضمن الركوب لحرب غازان ليكون فى المساعدة عليه، فأجيب بأن الله قد كفاهم أمر غازان، وأن أخاه خَرْبَنْدا قد أذعن للصلح، وجهزت له هدية خرج بها مع الرسل الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى إلى الإسكندرية، وساروا فى البحر.

وقدم عدة من التجار وشكوا من المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف بن عمر بن على ابن رسول ملك اليمن، وكان مع ذلك قد قطع الهدية التى كانت تحمل من اليمن ومبلغها ستة آلاف دينار، يشترى بها أصناف وتسير إلى قلعة الإسماعيلية مع هدية تختص بالسلطان. وكان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول حملها مدة أربعين سنة، ثم حملها ابنه الأشرف، فلما خرج عليه هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن المنصور بن على رسول قطع الجهتين[٢] واستخف بسلطان مصر، فكتب إليه بالإنكار والتهديد، وسير إليه مع ناصر الدين الطورى وشمس الدين ومحمد بن عدلان، ومعهما كتاب الخليفة أيضا بالإنكار عليه والتهديد، وأمره أن يحمل المقرر على العادة.

وقدم أياى ملك دمقلة[٣] من بلاد النوبة بهدية ما بين جمال وأبقار ورقيق وشب وسنبادج[٤]، وطلب عسكرًا، فأنزل بدار الضيافة وعين معه الأمير سيف الدين طقصبا والى قوص وجماعة الوافدية[٥]، وعدة من أجناده الحلقة نحو ثلاثمائة فارس، ومن أجناد

---

(١) العدول: جمع عدل، والعدل: ما قام فى النفوس أنه مستقيم، وهو ضدد الجور. عدل الحاكم فى الحكم يعدل عدلاً وهو عادل من قوم عدول وعدل. وهو فى مصطلح الفقهاء والمحدثين الرجل صحيح الرواية. انظر لسان العرب. عدل.

(٢) على هامش ط: الجهة هى الضريبة أو الجزية المقررة.

(٣) دمقلة: مدينة كبيرة فى بلاد النوبة. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٠.

(٤) على هامش ط: هى مادة حجرية للجلاء.

(٥) الوفد: الراكبان المكرمون. قال الأصمعى وافد فلا يفد وافدة إذا خرج إلى ملك أو أمير. قال ابن سيده وافد عليه وإليه يفد وافدا ووفودا ووفاد وأفاد. الوافدية: والمراد هنا الغريب الوافد إلى جديد. انظر: لسان العرب ٤٨٨١.

الولاة بالوجه القبلى ومن العربان جماعة كبيرة. فاجتمعوا من البر والبحر بقوص، وسار بهم طقصبا مع أياى ملك النوبة.

وفيها بعث الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار[١] إلى القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله[٢] كاتب السر أن يكتب نائب الشام كتابًا، فقال: «لابد من مشاورة السلطان أو النائب»، فغضب بيبرس واستدعاه، فلما جاءه لم يكترث به، وقال له: «كيف أقول لك - والك - اكتب ما تكتب؟» فقال: «تأدب يا أمير ولا تقول والك» فقام بيبرس وضربه على رأسه ثلاث ضربات، فخرج من عنده إلى الأمير سلار النائب، وعرفه ما جرى عليه، فأقره عنده. واجتمع بالأمراء وقت الخدمة، وعرف الأمير بيبرس الجشنكير الخبر فشق عليه وعلى بقية الأمراء ذلك، واتفقوا على بيبرس الدوادار فأخذ سيفه وعوق من بكرة النهار إلى الظهر، وعنف تعنيفًا زائدًا، وعزل من الدوادارية، واستقر عوضه الأمير أيد مر.

وقدم البريد من دمشق بأن تقى الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق فى الصخرة التى بمسجد النارنج. بجوار مصلى دمشق، وأن الأثر الذى بها هو قدم النبى ﷺ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز، وأنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة فى سادس عشر رجب، وقد أنكر عليه الناس ما فعله فأجيب إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة، وإن كان الأمر بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله. وقدم أيدغدى الشهرزورى رسولا من جهة أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن جماعة المرينى ملك المغرب، بهدية جليلة، وقدم معه ركب المغاربة يريدون الحج، وكان قد انقطع من بلاد المغرب منذ سنين.

---

(١) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عامًا. وكان من مماليك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، ثم صار «دوادار» السلطان وناظر الأحباس، فنائبا للسلطنة فى الديار المصرية، ولاه ذلك الناصر محمد بن قلاوون، وكان يجله، ثم غضب عليه فحبسه إلى أن مات. وقيل: أطلقه بعد حبسه بمدة. له تصانيف، منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة - خ» أجزاء منه، وهو كبير مرتب على السنين يقع فى ١١ مجلدا، و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية - خ» فى تاريخ السلاطين المماليك من سنة ٦٤٧ إلى ٧٢١ هـ. انظر: ديوان الإسلام - خ - والنجوم الزاهرة ٩: ٢٦٣، والدرر الكامنة ١: ٥٠٩ وآداب اللغة ٣: ١٨٦ ودائرة المعارف الإسلامية ٤: ٣٦٩ والفهرس التمهيدى ٣٦٤ و ٣٩٩.

(٢) عبد الوهاب بن فضل الله العمرى القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف، والملك الناصر، وسيف الدين تنكز. ونقله الملك الناصر إل كتابة السر فى دمشق، فتوفى بها. انظر فوات الوفيات ٢/٢٢ والدرر الكامنة ٢/٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٩/٢٤٠ والأعلام ٤/ ١٨٥.

فجهزهم أبو يعقوب، وبعث معهم مصحفا جليلا غشاه بالذهب المرصع بالجوهر الرائع، ووقفه فى الحرم. فأكرم أيدغدى وأنزل بالميدان، وأجريت عليه الرواتب، وكان أيدغدى هذا لما قبض على يعقوب فى الأيام الظاهرية فر فى جماعة من الأكراد إلى برقة[1]، وقدم على أبى يعقوب بهدية. فقربه وقدمه حتى صار فى منزلة وزير، وحسنت سيرته عندهم إلى أن بعثه أبو يعقوب بالهدية ليحج.

وفيها بنى الأمير موسى بن الصالح على بن قلاون على ابنة الأمير سلار النائب مملوك أبيه الصالح. وعمل مهم عظيم جدا، وجهزت ابنة سلار بمائة وستين ألف دينار، ومشى فى زفته الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء، وحمل كل منهم التقادم من الشمع وغيره. فحمل الأمراء إليه ثلاثمائة وثلاثين قنطارا من الشمع.

وفيها أوقع بالوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى: وسببه أن الأمير سلار النائب لما قدم من الحجاز عرفه الجمدارية اجتماعه بالسلطان على تروجة ومسارته له وحمله مبلغ ألفى دينار، وأنه فاوضه فى أمر الأمراء، وشجعه عليهم، وأن السلطان كلما احتاج إلى شىء استدعى به منه، فيحمله إليه. فشق ذلك على سلار، وحرك منه ما فى نفسه من كراهته له. وكان الأمير بيبرس الجاشنكير قد عزم على الحج فأراد مبادرة ابن الشيخى قبل سفر بيبرس لئلا يوقع به فى غيبته، فشق ذلك عليه، فاستشار الأمير علم الدين

---

(١) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهى مرج أفيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وفيها آثار للأول كثيرة، ومن حمرة تربتها تحمر ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها، وعلى ستة أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة، وتصلح السائمة فى نواحيها، وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من أغنامها لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها، وبرقة أول منبر ينزلها القادم من ديار مصر إلى القيروان، ولها كور عامرة، وهى فى بقعة فسيحة وأرضها حمراء خلوقية كما تقدم وبحمرة ثياب أهلها يعرف أهلها، والصادر عنها والوارد عليها كثير، وهى برية بحرية، وكان من غلاتها فيما سلف القطن الطيب، وبها ديار لدباغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوجلة، وتتجهز منها المراكب إلى الإسكندرية وأهل مصر بالصوف والعسل، ويخرج منها التربة المنسوبة إليها يتعالج الناس بها مع الزيت للجرب والحكة ولها رائحة كريهة كرائحة الكبريت. ويذكر أن فى بعض جوانب برقة وآثارها القديمة دارًا منقورة فى حجر صلد عليها باب من حجر صلد وذلك من أغرب ما يكون فى الدنيا لا تدخل الذرة بين العضادة والباب ولا ينفتح الباب إلا للداخل ولا يقدر أحد على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر، ويقال إنه كان مفتحًا لا قفل له ودخلها رجل ليراها فرأى دارًا منقورة فى حجر صلد وفيها من عظام الناس كثير فهاله ذلك، فلما أراد الخروج وجد الباب قد انغلق فلم يقدر على فتحه فأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث ففتح الباب فخرج الرحل انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨٨، والروض المعطار ٩١. والأستبصار ١٤٣ والإدريسى ٣١/٩٨.، والبكرى ٤.

سنجر الجاولى فى أمره، فاتفقا على إقامة شخص من الأقباط يرافعه ويحقق فى جهته مال السلطان. وندب لذلك من وقع الاختيار عليه. فكتب أوراقا، وجلس الأمراء فى الخدمة، فعرفهم سلار ما بلغه عن الوزير ومماليكه وحط عليه. فقال الأمراء بأجمعهم: «متى ظهر فى قبله شيء قطع جلده بالمقارع»، واستدعى. فلما حضر قال له سلار: «اسمع ما يقول هذا الرجل من أنك أخذت مال السلطان وخنته، وقد عرفت الشرط»، وأشار للرجل بمحاققته. فقال ابن الشيخى لشؤم بخته: «ومن هذا القطعة[1] النحس حتى أتكلم معه، أو يسمع منه فى حق مثلى ما يقوله». فاشتد عند ذلك غضب سلار، وقال له: «يا قواد يا قطعة نحس إيش أنت حتى تكبر نفسك وإذا حضر واحد يعرفنا خيانتك تخرق به قدامنا، أما لنا حرمة عندك؟» وأمر الحاجب فضربه على رأسه إلى أن خرب شاشه. وسلمه إلى شاد الدواوين وأمره بمعاقبته ومعاقبة مماليكه كبك وبكتوت وغيره، فأخذ سيفه فى آخر يوم من شعبان ومضى به هو ومماليكه وشاور عليه من الغد، فأمر بمطالبته بالحمل، فأخذ فى تحصيل المال ولا يمر به يوم إلا ويخرق به عز الدين أيبك الشجاعى شاد الدواوين وينكل به، لما كان نفسه من تكبره عليه ومشيه فى ركابه هو ووالى القاهرة عند قربه من داره. ثم إنه جلس بالصناعة[2] فى مصر، واستدعاه من القلعة، فنزل راكبا حمارًا وشق به أسواق مصر إلى الصناعة، فثار به أهل مصر يريدون رجمه، وسبوه. ثم أعاده، ولم يزل على ذلك إلى يوم الأربعاء ثانى عشر رمضان فاستدعى سعد الدين محمد بن عطايا ناظر البيوت واستقر فى الوزارة.

وجلس والأمير علم الدين سنجر الجاولى قائم بين يديه يؤخر ما يوقع عليه من الأوراق، وكان ابن عطايا قبل هذا بثلاثة أيام قد رؤى قائما بين يدى الجاولى يقرأ عليه ورقة حساب. واستمر ابن الشيخى إلى ليلة عيد الفطر، وبيبرس الجاشنكير لا يتحدث فى أمره بشيء، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئا من أموره قال له: «مهما رسم نائب السلطان افعله». هذا وقد ثقل عليه فى أمر ابن الشيخى زوجته بنت بهادر رأس نوبة وولداها جركتمر وأمير على وأخوهما خليل، وكانوا من خواص الأمير بيبرس، وهو يعدهم بخلاصه إلى أن اجتمع والأمراء عند النائب، فتحدث معه فى خلاصه، فعرفه ما كان منه مع السلطان على تروجة، فأمسك عنه وقام.

وفيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية فى أول ذى القعدة، ومعه علاء الدين أيدغدى الشهرزورى رسول ملك المغرب، والأمير بيبرس المنصورى

---

(١) على هامش ط: القطعة هنا الرجل المحتقر.

(٢) المقصود بالصناعة إحدى دور صناعة السفن المعروفة بالقاهرة فى العصور الوسطى. انظر: خطط المقريزى ١٨٩/٢، ١٩٧.

الدوادار، والأمير بهاء الدين يعقوب في جماعة كثيرة من الأمراء. وكان قد خرج الركب في عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أيبك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر بيبرس إلى البركة، فكثر الحجاج، وقسموا ثلاث ركوب: ركب مع الأمير بيبرس المنصوري، وركب مع الأمير يعقوبا، وركب مع أيبك؛ وعندما سار الأمير بيبرس الجاشنكير رسم النائب سلار لشاد الدواوين فضرب ابن الشيخي في يومه بالمقارع، واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة في سابعه.

وفيها سار الشريفان حميضة[1] ورميثة[2] من القاهرة مع الأمير عز الدين أيدمر الكوكندي إلى مكة، فقبض الأمير بيبرس الجاشنكير على الشريفين أبي الغيث وعطيفة[3]، وولى مكانهما حميضة ورميثة.

وفيها: وجد الحاج عدة مشاق: منها قلة الماء وغلاء السعر وهبوب سمائهم محرقة هلك منها خلق كثير من جفاف قرب الماء. وأخذا الحاج من وادى النار على طريق أخرى، فتاهوا وهلك منهم عالم كبير. وبلغ الشعير كل وية بأربعين درهما، والدقيق كل وبية بستين.

وفيها: قدم الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح بمن معه من غزاة سيس وفيها أجدب الشام من الغور[4] إلى العريش، وجفت المياه، ونزح الناس عن أوطانهم من العطش

---

(١) حميضة بن أبي نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى العلوى الهاشمى شريف من أمراء مكة، وليها سنة ٧٠١ هـ مشتركا هو وأخوه رميثة ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلا إلى أن كتل حميضة غيلة في وادى نخلة. انظر: الدرر الكامنة ٧٨/٢ وغربال الزمان وابن الوردى ٢٦٩/٢ والبدر الطالع ٢٣٨/١ والأعلام ٣٨٥/٢.

(٢) رميثة بن أبي نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى، أبو عرادة، ويلقب أسد: شريف من أمراء مكة. وليها مشتركا مع أخيه حميضة، ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع، وانفرد بالأمر سنة ٧٣٨ - ٧٤٥ هـ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفى بمكة. انظر: شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ وخلاصة الكلام ٢٨ - ٣٠ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١٠ والأعلام ٣٣/٣.

(٣) عطيفة بن أبي نمى محمد بن الحسن بن على الحسنى: من أمراء مكة، ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ، وعزله سنة ٧٠٤ وأعيد سنة ٧١٩ فأحسن السيرة ولم يتعرض لأموال الناس، واستمر إلى سنة ٧٣٨ فقبض عليه وحمل إلى مصر. فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر: الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠ ، ٣١ والأعلام ٢٣٧/٤.

(٤) غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس ولذلك سمى الغور. وفي الروض الغور: غور تهامة. وهو أيضًا قرية عظيمة بينها وبين بلخ ثلاثة فراسخ. ومن بيسان إلى طبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين، وسائر مياه الشام تنحدر=

وخلا من الصفقة(١) القبلية ألفان وثمانمائة قرية.

وفيها: ظهر فى معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا، فأخفاها الضامن وحملها إلى بعض الملوك، فدفع له فيها مائة وعشرين ألف درهم فأبى بيعها، فأخذها منه وبعث بها إلى السلطان، فمات الضامن غما.

وفيها: توجه شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فى ذى الحجة من دمشق ومعه

=وتجتمع فتكون بحرًا زاخرًا أوله من بحيرة طبرية، وجميع الأنهار تنصب إليه مثل نهر اليرموك وأنهار بيسان وما ينصب من حبال بيت المقدس وحبل قبر إبراهيم عليه السلام، وجميع ما ينصب أيضًا من نابلس يجتمع الكل حتى يقع فى بحيرة زغر وتسمى بحيرة سادوم وعامورا، وهما كانتا مدينتى قوم لوط عليه السلام فغرقهما الله تعالى، ومكانهما بحيرة ميتة لأنها ما فيها شىء له روح ولا حوت ولا دابة، وماؤها حارّ كريه الرائحة، وفيه سفن صغار تحمل الغلات وصنوف الثمر إلى أريحا وسائر أعمال الغور، وطول هذه البحيرة ستون ميلاً فى عرض اثنى عشر ميلاً، وهذه البحيرة الميتة تُرى من أعلى بيت المقدس، وإليها ينتهى ماء بحيرة طبرية، وهو الأردن، فإذا انتهى إلى البحيرة الميتة خرقها وانتهى إلى وسطها، وهو نهر عظيم لا يدرى أين غوصه من غير أن يزيد فى البحيرة الميتة. ومن البحيرة الميتة تخرج الأحجار التى تستعمل لوضع الحصى، وهو نوعان ذكر وأنثى: فالذكر للرجال والأنثى للنساء، وأكثر نبات بلاد الغور النيل وأهلها سمر إلى السواد. انظر: معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(١) الصفقة: والصَّفْقُ والصَّفَقُ: الجانبُ والناحية. قال:

لا يَكْدَحُ النَّاسُ لَهُنَّ صَفْقا وَجاءَ أهل ذلك الصَّفَقِ، أى أهل ذلك الجانب. وَصَفْق الجبل: صفحه وناحيته، قال أبو صَعْتَرَةَ البَوْلانِى:

وَمَا نُطْفَةٌ فى رأس نِيقٍ تَمنعت ... بعنقاء م صعب حمتها صُفُوقُها

وَصَفَقَ عينه أى ردها وغمضها

وصافقت الناقة: نامت على جانب مرة وعلى جانب أخرى، فاعلت من الصَّفْقِ الذى هو الجانب. وتَصَفَّقَ الرجل: تقلب وتردد من جانب إلى جانب، قال القُطامىُّ:

وَأَبَيْنَ شَيْمَتَهُنَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... وأبى تَقَلُّبُ دَهْرِكِ الْمُتَصَفِّقِ

وتصفقت الناقة إذا انقلبت ظهرا لبطن عند المخاض. وتصفق فلان للأمر أى تعرض له، قال رُؤْبَةُ:

لَمَّا رَأَيْتُ الشَّرَّ قَدْ تَأَلَّقا ... وفِتْنَةً تَرْمِى بِمَنْ تَصَفَّقا

هَنًا وَهَنًا عَنْ قِذافٍ أَخْلَقا

قال شَميرٌ: تَصَفَّقَ أى تعرض وتردد. والْمُصَافِقُ مِنَ الإبل: الذى ينام على جنبه مرة وعلى الآخر مرة، وإذا مخضت الناقة صافقت، قال الشاعر يصف الدجاجة وبيضها:

وَحَامِلَةٍ وَلَيْسَتْ بِحَيَّةٍ ... إذا مَخَضَتْ يَوْمًا بِهِ لَمْ تُصافِقِ

صفق الفرس: خداه. وصفق الجبل: وجهه فى أعلاه. وهو فوق الحضيض. انظر لسان العرب (صفق) ٢٤٦٤، ٢٤٦٥.

الأمير بهاء الدين قراقوش المنصورى، إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا. فجمعت العساكر لقتالهم.

وفيها: قام بأمر المدينة النبوية الشريف ناصر الدين أبو عامر منصور، بعد موت أبيه الأمير عز الدين أبى سفر جماز بن شيحة فى ربيع الآخر. وبلغ النيل سبعة عشر ذراعا. وثمانية عشر إصبعا.

* * *

ومات فى هذه السنة

زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، فى ليلة الخميس ثامن صفر، وكان فقيها شافعيا فاضلا متدينا، رئيسا وافر الحرمة محبا لأهل الخير ومات فتح الدين أحمد بن محمد بن سلطان القوصى الشافعى، وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها، فى حادى عشر المحرم.

ومات شمس الدين أحمد بن على بن هبة الله بن السديد الإسنائى، خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وبقوص، فى رجب؛ وكان قد انتهت إليه رياسة الصعيد، وبنى بقوص مدرسة؛ وكان قوى النفس كثير العطاء مهيبا ممدوحًا، يبذل فى بقاء رياسته الآلاف، فيقال إنه بذل فى نيابة الحكم بقوص ثمانين ألف درهم، فسار إلى مصر ومات بها.

ومات الأمير بيبرس الموفقى المنصورى أحد أمراء دمشق بها، فى يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الآخرة، مخنوقا وهو سكران.

ومات الأمير الشريف عز الدين جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية وقد أضر، وقام بالإمرة الأمير ناصر الدين منصور بن جماز.

ومات بهاء الدين عبد الحسن بن الصاحب محيى الدين محمد بن أحمد بن هبة الله، ويعرف بأبى جرادة، مات بالقاهرة، وكان سخيا مباركا فاضلا، حدث عن يوسف بن خليل[1] وغيره.

ومات علم الدين عبد الكريم بن على بن عمر الانصارى المعروف بالعلم

---

(١) يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله، أبو الحجاج، شمس الدين الدمشقى ثم الحلبى: محدث، حنبلى. ولد وتفقه بدمشق. وقام برحلة إلى بغداد وأصبهان ومصر، وتفرد فى وقته بأشياء كثيرة عن الأصبهانيين. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ٢٤٤/٢ وشذرات الذهب ٢٤٣/٥ ودار الكتب ١٣٦/٨ والأعلام ٢٢٩/٨.

العراقى[١] الفقيه الشافعى، مدرس التفسير بالقبة المنصورية، يوم الثلاثاء سادس صفر عن بضع وثمانين سنة، وكان عالم مصر.

ومات تاج الدين على بن أحمد بن عبد المحسن الحسينى العراقى الإسكندرانى شيخ الإسكندرية، الإمام المحدث، فى ذى الحجة، تفرد بالرواية عن جماعة، ورحل الناس إليه، وكان فقيها عالما.

ومات نجم الدين عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن الكاتب بن أبى الطيب الدمشقى، ناظر المارستان النورى بدمشق وناظر الخزانة ووكيل بيت المال بها، ليلة الثلاثاء نصف جمادى الآخرة، وكان فقيها مدرسا مشكورا فى ولاياته.

ومات أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بمكة فى المحرم، وسمع الحديث بمكة، وانتهيت إليه مشيخة الحديث بها.

ومات شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبى سعيد بن التيتى الآمدى، أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل.

ومات الأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار، أحد الوافدية من الروم فى الأيام الظاهرية، وكان كريما شجاعا متدينا.

ومات الأمير سيف الدين بهادر سمر مقتولا بأيدى عرب الشام.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد - ويقال ديباى - الشيخى تحت العقوبة فى سابع ذى القعدة، وأخرج على جنوية إلى القرافة، فدفن بها، وكان فيه مكارم وعصبة ومروءة ويكتب الخط المليح، ويعرف صناعة الحساب، مع الظلم والعسف والتكبر، وأحدث مظالم عديدة، وأصله من بلاد ماردين، وقدم مع شمس الدين محمد بن التيتى إلى دمشق، وسار منها إلى القاهرة مجردًا فقيرا يمشى على قدميه، وتعيش فى خياطة الأقباع ببعض أسواق القاهرة مدة، ثم تزيا بزى الأجناد وخدم مع الشادين، ولازم الوقوف فى خدمة الحسام برناق شاد الكيالة زمانًا حتى عرف دخل المباشرة وخرجها، فتلطف مع بعض مقطعى الكيالة وأوعدهم حتى ضمن ساحل الغلة ببولاق، فشدد فيه حتى فاض معه جملة، وخدم الصاحب فخر الدين بن الخليلى، وهادى الأمراء إلى أن

---

(١) عبد الكريم بن على بن عمر الأنصارى، علم الدين ابن بنت العراقى: مفسر فقيه كف بصره فى أواخر عمره أصله من وادى آش بالأندلس ومولده ووفاته بمصر. له مختصر فى أصول الفقه ومختصر فى تفسير القرآن. انظر: مفتاح السعادة ٢٢١/٢ ونكت الهميان ١٩٥ والدرر الكامنة ٣٩٩/٢ وكشف الظنون ١٤٧٧ والأعلام ٥٣/٤.

ولى شد الدواوين بإمرة عشرة، وانتقل منها إلى شد الجيزية وولاية القاهرة وجمع بينهما، فصار من أمراء الطبلخاناه، وولى الوزارة، فكان فيها حتفه.

ومات الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشهاب أبى على الحسين بن شمس الدين أبى عبد الله محمد الأرموى نقيب الأشراف فى تاسع عشر شوال، وولى نقابة الأشراف بعده الشريف بدر الدين بن عز الدين، وقتله بدمشق أبو السرور السامرى كاتب الأمير سيف الدين أسندمر كرجى نائب طرابلس.

* * *

سنة خمس وسبعمائة

فى أول المحرم: باشر جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى[1] نيابة الحكم بدمشق، عن نجم الدين أحمد بن صصرى.

وفى ثانيه: سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها لقتال أهل جبال كسروان، ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرجالة شنق. فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال، ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم، ومزقهم بعدما قاتلهم أحد عشر يوما، قتل فيها الملك الأوحد شادى بن الملك الزاهر داود[2] وأربعة من الجند، وملك الجبل عنوة، ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة رجل، وغنمت العساكر منهم مالا عظيما، وعاد إلى دمشق فى رابع عشر صفر.

وقدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان أبو الغيث وعطيفة، فرتب لهما ما يكفيهما وصارا يركبان مع الأمراء وقدم الحاج، ورُسِمَ بتجهيز الهدية إلى ملك الغرب، وصحبتها عشرون إكديشًا من أكاديش التتر، وعشرون أسيرًا منهم وشىء من طبولهم وقسيهم، وخرج بها - مع أيدغدى الشهرزورى - علاء الدين أيدغدى التسليلى الشمسى مملوك سنقر الأشقر، والأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى. واستقرّ أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرّقاقى فى نظر الشام، عوضًا عن شهاب الدين بن ميسر. وعزل شمس الدين محمد بن عثمان بن الحريرى عن قضاء الحنفية بدمشق، وكتب باستقرار شمس الدين الأذرعى عوضًا عنه وسبب عزل

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبى دلف العجلى: قاض، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤م، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ. ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ. ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه تلخيص المفتاح. انظر: مفتاح السعادة ١٦٨/١ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداية والنهاية ١٨٥/١٤ وكشف الظنون ٤٧٣ والنجوم الزاهرة ٣١٨/٩ ومرآة الجنان ٣٠١/٤ والوافى بالوفيات ٢٤٢/٣ والدرر الكامنة ٣/٤ والأعلام ١٩٢/٦.

(٢) داود بن يوسف بن أيوب، أبو سليمان، الملقب بالملك الزاهر: أمير من الأيوبيين، وهو ابن السلطان صلاح الدين، كان صاحب قلعة البيرة مولده فى القاهرة، ووفاته فى البيرة. انظر: وفيات الأعيان ١٧٦/١ والأعلام ٣٣٦/٢.

الحريرى أنه وجد بخطه أن الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية لم ير الناس بعد السلف الصالح مثله، فاتفق أن البريدى لما توجه بتقليد الأذرعى ظن أنه للحريرى، وقدم دمشق والنائب قد خرج إلى الصيد، فأعطى التقليد للحريرى، فقام إلى المدرسة الظاهرية وحكم، وكان ابن الأذرعى يظنها له، فيئس واغتم لذلك. ثم قرئ التقليد بحضرة الناس، فإذا هو باسم الأذرعى، فقام الحريرى خجلا، واستدعى الأذرعى فجلس وحكم.

وفيها: أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية فيما يفعلونه: من دخولهم فى النيران المشتعلة، وأكلهم الحيات ولبسهم الأطواق الحديد فى أعناقهم، وتقلدهم بالسلاس على مناكبهم، وعمل الأساور الحديد فى أيديهم، ولفهم شعورهم وتلبيدها. وقام فى ذلك قيامًا عظيما بدمشق، وحضر فى جماعة إلى النائب، وعرفه أن هذه الطائفة مبتدعة، فجمع له ولهم الناس من أهل العلم، فكان يومًا مشهودًا كادت أن تقوم فيه فتنة، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيئات.

وفيها أقطع السلطان فى جمادى الآخرة جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين بن معبد البعلبكى، وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخرى. وحسام الدين لاجين، وعز الدين خطاب العراقى، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها، فزرعها لهم الجبلية، ورفعت أيدى الرفضة عنها.

وفيها أخر متملك سيس الحمل الجارى به العادة، فبعث إليه نائب حلب أستاداره قشتمر الشمسى أحد مقدمى حلب على عسكر نحو الألفين، وفيهم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارسى والأمير فتح الدين صبرة المهمندار، والأمير قشتمر النجيبى، وقشتمر المظفرى، فى ذى الحجة من السنة الماضية. فشنوا الغارات على بلاد سيس، ونهبوا وحرقوا كثيرًا من الضياع، وسبوا النساء والأطفال فى المحرم. وكان قد وصل إلى سيس طائفة من التتار فى طلب المال، فركب التتار مع صاحب سيس، وملكوا رأس الدربند، فركب العسكر لقتالهم وقد انحصروا، فرمى التتار عليهم بالنشاب والأرمن بالحجارة، فقتل جماعة وأسر من الأمراء ابن صبرة، وقشتمر النجيبى، وقشتمر المظفرى، فى آخرين من أهل حلب، وخلص قشتمر مقدم العسكر، وآقسنقر الفارسى. وتوجه التتار بالأسرى إلى خربندا بالأردن، فرسم عليهم: وبلغ نائب حلب خبر الكسرة، فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فرسم بخروج الأمير بكتاش أمير سلاح، وبيبرس الدوادار وأقوش الموصلى قتال السبع، والدكن السلاح دار، فساروا من القاهرة فى نصف شعبان على أربعة آلاف فارس. فبعث متملك سيس الحمل، واعتذر بأن القتال لم يكن

منه وإنما كان من التتر، ووعده بالتحيل فى إحضار الأمراء المأسورين، فرجع الأمير بكتاش بمن معه من غزة.

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحكمى الظاهرى، وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران مشد الدواوين، واستقر حاجبا بدمشق عوضًا عن الأمير بكتمر الحسامى، ونقل بكتمر من الحجوبية إلى شد الدواوين، وقبض على قيران وصودر.

وفيها قدم رسول ملك قسطنطينية[١]، ومعه رسول الكرج[٢]، بهدايا وكتاب يتضمن الشفاعة فى فتح الكنيسة المصلبة بالقدس لزيارة الكرج لها، وأن الكرج تكون فى طاعة السلطان وعونا له متى احتاج إليهم. فكتب بفتح الكنيسة ففتحت، وأعيد الرسول بالجواب.

وفيها توقفت الأحوال بالقاهرة، لكثرة الفلوس وما دخل فيها من الخفاف الوزن، وارتفع سعر القمح من عشرين درهما الأردب إلى أربعين. فرسم بضرب فلوس جدد، وعملت الفلوس الخفاف بدرهمين ونصف الرطل، فمشت الأحوال.

وفيها قام شمس الدين محمد بن عدلان بالقاهرة، وأنكر على تقى الدين أحمد بن

---

(١) على هامش ط: كان إمبراطور الدولة البيزنطية تلك السنة الموافقة لعام ١٣٠٥ ميلادية أندرونيق الثانى.

(٢) الكرج: بفتح الكاف والراء المفتوحة وبالجيم المعجمة، أول حصن من معاقل الجبل، فمن همذان إلى نهاوند مرحلتان، ومن نهاوند إلى الكرج مرحلتان، ولم تكن فى أيام الأعاجم مدينة مشهورة، وإنما كانت فى عداد القرى العظام، وهذا الحصن هو حصن أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى أحد أكابر قواد المأمون وهو الذى فيه مادحه:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولّت الدنيا على إثره
كل من فى الأرض من عرب ... بين باديه إلى حضره
مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يوم مفتخره

فقال له المأمون: قد جعلنا نستعير المكارم منك، فقال: يا أمير المؤمنين قول زور وكلام غرور، أصدق منه ابن أخت لى حيث يقول:

دعينى أجوب الأرض فى طلب الغنى ... فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسمُ

انظر: معجم البلدان ٤٤٦/٤، والروض المعطار، قارن بابن حوقل: ٣١٣ وفيه تفصيلات هامة، والمقدسى: ٣٩٤، وابن الوردى: ٤٩، والمعلومات الإخبارية عن معجم ما استعجم ٤: ١١٢٤، وانظر ضبط اللفظة ابن خلكان ٤: ٧٩.

تيمية [(١)] فتوى رآها فى مسألة الاستواء[(٢)] ومسألة خلق القرآن[(٣)]، واجتمع بالقضاة فى

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله أبى القسم الخضر بن على بن عبد الله، شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس بن أبى المحاسن شهاب الدين بن أبى البركات مجد الدين الحرانى الأصل والمولد، الدمشقى الدار والوفاة، الحنبلى، المعروف بابن تيمية، الإمام العلامة، الحافظ الحجة، فريد دهره، ووحيد عصره. مولده بحران فى يوم الإثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم دمشق مع والده سنة تسع وستين، وسمع الحديث من أحمد بن عبدة الدائم، ومجد الدين بن عساكر، وابن أبى اليسر، وأكثر عن أصحاب حنبل، وأبى حفص بن طبرزد، وغيرهم. وقرأ واشتغل وانتفى، وبرع فى علوم الحديث، وانتهت إليه الرئاسة فى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه. ودرس وأفتى، وتصدر للإقراء والإفادة عدة سنين، وفسر، وصنف التصانيف المفيدة. وكان صحيح الذهن، ذكيا، إماما متبحرا فى علوم الديانة، موصوفا بالكرم، مقتصدا فى المأكل والملبس، وكان عارفا بالفقه، واختلافات العلماء، والأصوليين، والنحو، إماما فى التفسير وما يتعلق به، عارفا باللغة، إماما فى المعقول والمنقول، حافظا للحديث، مميزا بين صحيحه وسقيمه. أثنى عليه جماعة من أعيان علماء عصره، مثل الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد، والقاضى شهاب الدين الخويى، والشيخ شهاب الدين بن النحاس. قال القاضى كمال الدين بن الزملكانى: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، ثم جرت له محن فى مسألة الطلاق الثلاث، وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، وحب للناس القيام عليه، وحبس مرات بالقاهرة والإسكندرية ودمشق، وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق، مع أنه حصل له فى تعظيم من الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأطلق وتوجه إلى دمشق فأقام بها إلى أن ورد مرسوم شريف من السلطان فى شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة بأن يجعل فى قلعة دمشق فى قاعة حسنة، فأقام فيها مدة مشغولا بالتصنيف، ثم بعد مدة منع من الكتابة والمطالعة، وأخرجوا ما عنده من الكتب، ولم يتركوا عنده دواة ولا قلما ولا ورقة. ومما وقع له قبل حبسه أنه بحث مع بعض الفقهاء، فكتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعرى، ثم أخذ خطه بما نصه: أنا أعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم ظنه المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول فى النزول كالقول فى الاستواء، وكتبه أحمد بن تيمية، ثم أشهدوا عليه جماعة أنه تاب مما ينافى ذلك مختارا، وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم. انتهى. ولم يزل الشيخ تقى الدين - المذكور - محتفظا به فى قلعة دمشق إلى أن توفى بها فى ليلة الإثنين العشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ودفن من الغد بمقابر الصوفية، وحضر جنازته خلق كثير. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى: شيعه نحو من خمسين ألفا، وحمل على الرؤوس، انتهى. ومصنفاته تزيد على مائتى مصنف، استوعبها الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك فى تاريخه الوافى بالوفيات، رحمه الله تعالى. وانظر أيضا: فوات الوفيات ٧٥/١، ٨٠، هدية العارفين ١٠٥/١ والمنهل الصافى ٣٥٨/١.

(٢) المقصود بذلك استواء الله على العرش.

(٣) كلام الله صفة أزلية قديمة قائمة بذاته عز وجل منافية للسكوت والآنة كما فى الحواس ليست من جنس الأصوات والحروف بل بها هو سبحانه آمر ناه يدل عليها بالعبارات أو الكتابة أو=

.. ..

=الإشارة. فتلك الصفة واحدة فى ذاتها، وإن اختلفت العبارات الدالة عليها، كما إذا ذكر الله عز وجل بألسنة مختلفة، فالصفة: هى الأمر القائم بالغير، فهو جنس فى التعريف أو كالجنس بناء على النزاع فى المفهومات الاصطلاحية هل هى حدود أو رسوم. الأول: مبنى على أنه وإن كان أمرا اصطلاحيا طارئا على المعنى اللغوى للكلام، حيث أن الكلام فى اللغة القول. يقال: أتى بكلام طيب، أى قول، إلا أنه ليس وراء ما اصطلح عليه المصطلح أمر آخر. فذلك الذى ذكر فى تعريف تلك الصفة هو ذاتياتها بحسب الاصطلاح. الثانى: مبنى على أن قبل المعنى الاصطلاحى معنى وضع الواضع اللفظ ليدل عليه. فذلك المعنى ثان بعد أول، فهو عارض والتعريف بالعوارض رسم. أما بعض المحققين فقد فقد بأنها رسوم، لأن الاطلاع على ذاتيات ,أو تلك الصفات غير ممكن. والحد ما تركب من الذاتيات: الجنس والفصل. وحيث إن الذاتيات لم يطلع عليها فلا تكون إلا رسوما، لأنها بخواص هذه الصفات فحسب وذلك لأن الخواص مأخوذة فى تعريف الصفات: حيث أخذ فى تعريف صفة الكلام أنها تتعلق دلالة. وفى تعريف صفة القدرة أنها تتعلق تعلق تأثير. وعلى ذلك: فصفة يشمل الصفة القديمة والحادثة. قديمة: فصل أو لا كالفصل مخرج لغير الصفة القديمة. وهو الصفة الحادثة. أما الأقوال فى القديم والأزلى فهى ثلاثة: الأول: القديم الذى لا ابتداء لوجوده. والأزلى ما لا أول له عدميا أو وجوديا. فكل قديم أزلى ولا عكس. الثانى: القديم هو القائم بنفسه الذى لا أول لوجوده والأزلى ما لا أول له عدميا كان أو وجوديا، قائما بنفسه أو غيره. الثالث: القديم والأزلى: ما لا أول له، عدميا كان أو وجوديا قائما بنفسه أو لا. فعلى الأولى: الصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية: وذلك بخلاف ذات الله عز وجل والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقدم والأزلية. وعلى الثانى: الصفات مطلقا لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية بخلاف ذاته فإنها توصف بكل منهما. وعلى الثالث: كل من الذات والصفات مطلقا يوصف بالقدم والأزلية. فالقديم فى التعريف صحيح على الرأى الأول والثالث وذلك بخلافه على الثانى قائمة بذاته. وأيضا فللقيام معنيان: قيام: بمعنى التبعية فى التميز كما فى العرض بالنسبة لجوهره وليس قيام صفة الله عز وجل بذاته على هذا النحو حيث لا تحيز للذات حتى تتبعها الصفة فيه. وقيام بمعنى آخر هو اختصاص الناعت بالمنعوت وهو المراد بقيام الصفة بذاته عز وجل. ليس بحرف ولا صوت، لأنه معنى نفسى، وتلك أعراض مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض، إذ امتنع المتكلم بالحرف الثانى بدون انقضاء الحرف الأول بدهى، خلافا لمذهب الحنابلة والحشوية والكرامية القائلين بأن كلامه منتظم من كلمات قائمة بذاته عز وجل قديم عند الحنابلة حادث عند الكرامية. منافية للسكوت والآفة، السكوت: عدم التكلم مع القدرة عليه. والآفة: عدم مطاوعة الآلة، إما بحسب الفطرة كما فى الخرس، أو من جهة ضعفها كما فى الطفولية. ولقائل أن يقول: هذا إنما يصدق على الكلام اللفظى دون النفسى، حيث السكوت والخرس إنما ينافيان التلفظ ويجاب بأن المراد بالسكوت والآفة الباطنيان، بألا يريد فى نفسه الكلام، أو لا يقدر عليه. ويتلخص فى أنه كما أن الكلام لفظى ونفسى، كذلك ضده وهو السكوت والخرس: لفظى وباطنى، والمراد الثانى منهما حيث. أريد بالكلام الكلام النفسى، فا لله منزه عن الاتصاف بالخرس والآفة. هو بها آمر ناه، فهو صفة واحدة تتكثر بحسب التعلقات. فالكلام باعتبار تعلقه بشىء خبرا، وبآخر أمرا أو نهيا. وبهذا=

.. ..

=يخرج العلم والقدرة. وهكذا سائر الصفات الوجودية غير الكلام لأنه لا أمر ولا نهى بواحدة منها. أما غير الأشاعرة فيقولون: الكلام هو اللفظ المنتظم من الحروف والأصوات وينفون الصفة النفسية. وهم فى ذلك قد انقسمو إلى فريقين. الفريق الأول: كلامه ألفاظ قائمة بذاته وهى قديمة. وهم بعض الحنابلة أو حادثة وهم الكرامية. والفريق الثانى: يقول كلام الله ألفاظ قائمة بالغير وهم المعتزلة فالحنابلة يعرفونه: بأنه المؤلف من الكلمات القديمة القائمة بذاته تعالى. والكرامية يعرفونه: بأنه هو المؤلف من الكلمات الحادثة القائمة بذاته تعالى. وحيث إن المعتزلة لم يعرفوه بالصفة النفسية فليس عندهم سوى الألفاظ وهى حادثة، لأنها مرتبة، ويستحيل قيام الحادث بالقديم. فهم يقولون: إن كلامه عز وجل ألفاظ قائمة بغيره. فهم يتجوزون بمتكلم عن موجد وخالق للكلام. وعليه فالمعتزلة. لا يثبتون كلاما لله، لا نفسيا - كما أثبته الأشاعرة - ولا لفظيا قديما لأن الألفاظ مرتبة والترتيب حادث. ولا لفظيا حادثا كما قالت الكرامية، بل يثبتون كلاما لا على أنه متصف به، بل على أنه مخلوق قائم بغيره. فالكلام عند المعتزلة هو المؤلف من الكلمات المسموعة الحادثة القائمة بغير الذات وهم بذلك خالفوا جميع الفرق. أما أدلة الأشاعرة: استدلت الأشاعرة على قدم كلام الله عز وجل، وكونه نفسيا بوجوه: الدليل الأول من جهة اللغة: من أن الكلام عندهم صفة نفسية قديمة قائمة بذاته تعالى. فالمتكلم فى اللغة من قام به الكلام، ولا من أوجده فى غيره - كما قالت المعتزلة - لامتناع إثبات المشتق للشيء من غير قيام مأخذ الاشتقاق به: إذ من أوجد الحركة فى جسم لا يسمى متحركا لغة، فلا يسمى الله متكلما بخلق الكلام فى غيره كما قالت المعتزلة: من أن المتكلم من أوجد الكلام فى غيره. أما باقى الفرق: من حنابلة وحشوية وأشاعرة وكرامية، لا يتنافى مدعاهم مع مدلول متكلم فى اللغة على رأى العضد: لأنهم جميعا يقولون: المتكلم من قام به الكلام، فلهذا نحتاج فى إثبات مدعى الأشاعرة الخاص وهو الصفة النفسية. إلى إبطال قدم اللفظ وقيامه بذاته عز وجل وهو ظاهر البطلان. لأنه جعل المرتب الذى تقدم بعض أجزائه وتأخر البعض قديمًا، فعض إلى المتناقض لاستدعاء الترتيب أولية وحدوثا. واستدعاء الوصف بالقدم عدم أوليته.وأما بطلان قيام الحادث بذات الله عز وجل فظاهر أيضا. فلم يبق لكونه متكلما - مع ملاحظة اللغة، وبطلان قيام لفظ قديم أو حادث بذاته عز وجل - سوى أن له صفة نفسية. وهو مدعى الأشاعرة. فإن قيل: من جهة المعتزلة: لو كان المتكلم من قام به الكلام لما صح إطلاقه حقيقة على المتكلم الأفاظ قائمة بغيره. فهم ألفا بالكلام الحسى: لأنه لا بقاء له، ولا اجتماع لأجزائه حتى يقوم بشيء قلنا: صحة الإطلاق مبنية على أن المعتبر فى اسم الفاعل وجود المعنى لا بقاؤه، لاسيما فى الأعراض السيالة، كالمتحرك والمتكلم. وإن قيل من جهة الحنابلة ومن تابعهم: إن المنتظم من الحروف قد لا يكون مرتب الأجزاء بل دفعيا كالقائم بنفس الحافظ. كالحاصل على الورقة من طابع فيه نقش. قلنا: الكلام فى المنتظم من الحروف المسموعة لا فى الصورة المرسومة أو المنقوشة بأشكال الكتابة، لأنها ليست كلاما على الحقيقة. والترتيب المستدعى للحدوث لازم للمنتظم من الحروف المسموعة.

الثانى من ناحية العقل: لو لم يتصف الله عز وجل بالكلام لاتصف بضده وهو محال فبطل ما أدى إليه وهو عدم الاتصاف، وإذا بطل هذا ثبت نقيضه وهو الاتصاف. أما الملازمة: فدليلها أن=

.. ..

=القابل للشيء إنما يتصف به أو بعده، وا لله عز وجل قابل لأنه حى وأما بطلان التالى: فلأن ضد هذه الصفة نقص وكل نقص عليه محال لأنه يستلزم احتياجه عز وجل إلى من يكلمه، بأن يدفع هذا النقص عنه، وهو بين البطلان. وأيضا: لو اتصف بالنقص لكان بعض المخلوقين أكمل منه لسلامة كثير منهم عن تلك النقائص. وقد اعترض على هذا الدليل من ناحيتين على الملازمة: بأن اتصاف الذات بصفة أو ضدها متوقف على تصور تلك الذات بالكنه، وحقيقة ذات ا لله عز وجل ليست معلومة لنا بالكنه حتى نعلم ما تقبله مما لا تقبله. وعلى بطلان التالى بإبطال دليله وهو ألا نسلم أن الضد نقص لأنكم بنيتموه على الكمال والنقص فى الشاهد ولا يلزم من كون الصفة نقصا فى حق الشاهد، أن يكون كذلك فى حق الغائب، لأنه قياس مع الفارق، لأن الزوجة والولد كمال فى حق الشاهد، نقص فى حق الغائب. الثالث: كلام المتكلم إما أن يكون اسما للمنتظم من الحروف والأصوات الدالة بالوضع، وإما أن يكون اسما للمعنى القائم بالنفس، فإن كان الأول فلا يخلو إما أن يكون لكلام ا لله عز وجل معنى فى نفسه أم لا، فإن لم يكن له معنى فلا يكون آمرا ولا ناهيا، لأن من قال لغيره: افعل كذا، ولا تفعل كذا، ولم يكن لعبادته معنى فى نفسه لا يكون أمرا ولا ناهيا، بل يكون عابثا. وإن كان له معنى فى نفسه فذلك هو الذى يراد ثبوته ويعتبر عنه بكلام النفس. وإن كان الثانى وهو أن الكلام اسم للمعنى القائم بالنفس فذلك هو المطلوب، غير أنه لا يخرج عن كونه قديما أو حادثا، لا جائز أن يكون حادثا، وإلا كان ا لله عز وجل محلا للحوادث، وهو محال للأدلة التى أقيمت على ذلك. فلم يبق إلا أن يكون قديمًا. وهذا الدليل وإن أثبت معنى نفسيا وأبطل كون الكلام ألفاظا قائمة بذاته عز وجل فلم يثبت به أن هذا المعنى النفسى غير العلم والإرادة، فللمعتزلة أن يعترضوا عليه من هذه الجهة. الكلام على أدلة المعتزلة». وقبل أن نشرع فيها نمهد لذلك فنقول: إن ما تقوله المعتزلة فى كلام ا لله عز وجل . وهو خلق الأصوات والحروف الدالة على المعانى المقصودة، وكونها حادثة قائمة بغير ذاته عز وجل، نقول به نحن، ولا خلاف بيننا وبينهم فى ذلك فأمر، وما نقوله نحن ونثبته من كلام النفس المغاير لسائر الصفات هم ينكرون ثبوته، ولو سلموا، لم ينفوا قدمه الذى تدعيه فى كلامه عز وجل فصار محل النزاع بيننا وبينهم إثبات المعنى النفسى ونفيه. وإذا فالأدلة الدالة على حدوث الألفاظ إنما تفيدهم بالنسبة للحنابلة القائلين بقدم الألفاظ. وأما بالنسبة إلينا فيكون نصبا للدليل فى غير محل الخلاف وأما ما دل على حدوث القرآن مطلقا بلا تقييد باللفظى أو النفسى فحيث يمكن حمله على حدوث الألفاظ، لا يكون لهم فيه حجة علينا، ولا يعطيهم فائدة وجدوى بالقياس إلينا، إلا أن يدللوا على عدم المعنى الزائد على العلم والإرادة، وحينئذ يفيدهم هذا لأنه على هذا التقدير ينحصر القرآن فى هذه الألفاظ والعبارات، ولا سبيل لهم إلى هذا البرهان، فلا تكون لهم أيضا فى تلك الأدلة المطلقة. لكننا نذكر أدلتهم ثم نجيب عنها فنقول: لقد ذهبت هذه الطائفة على نفس الكلام النفسى القديم واستدلت بأدلة معقولة ومنقولة. أما أدلتهم المعقولة فدليلان: الدليل الأول: لو كان كلامه عز وجل نفسيا قديما للزم وجود أمر بلا مأمور ونهى بدون منهى، وهكذا بقية الأنواع، والتالى باطل فبطل المقدم. أما دليل الملازمة: هو أن للكلام النفسى أنواعًا: أمرًا ونهيا، وأخبار، وغير ذلك، وهى قديمة، إذ الأنواع كالجنس فى القدم والحدوث. والقطعى بأنه لا مأمور ولا منهى فى الأزل. وأما بطلان التالى=

.. ..

=فواضح لما يلزم عليه من الصفة وهو محال على الله والجواب عن هـذا الدليل: هـو أنكـم بنيتمـوه علـى أن للكلام القديم فى الأزل أنواعا وهو غير مجمع عليه من الأشاعرة، فقد خالف ابن سعيد فى ذلك وقال إنه فى الأزل واحد، وإنما يصير متصفا بالأنواع المذكـورة فيمـا لا يـزال. فـإن قيـل: عـدم تنوعـه فـى الأزال إلى الخمسة يستدعى وجود الجنس بدون واحد من أنواعه، وذلك محال: لأنه لا وجود للجنس إلا فى واحد منها. قلنا: ذلك مسلم فى أنواع حقيقته لا تكون باعتبار التعلق، أما الأنواع التى تكون بحسب التعلق فغير مسلم. وما معنا من هذا القبيل، فهى أنواع اعتبارية تحصل بحسب تعلقـه بالأشياء فجاز أن يوجد جنسها بدونها أو معها. وعليه فالكلام الأزلى ليس جنسا حقيقيا، بل هـو أمـر واحـد تعرض له الإضافات، وله أسماء بحسب كل إضافة نوعيـة. فـإذا تعلق بـالفعل علـى وجـه يثـاب عليـه الفاعل ويعاقب عليه التارك يسمى إقرار. وهكذا الأربعة الباقية. فليست لـه أنـواع وليـس هـو جنسـا على الحقيقة. وهناك جواب آخر عن الدليل: وهو إما ذكر من استدعاء الأمر والنهى مخاطبا وإن سلم فى الأمر والنهى اللفظتين إلا أنه غير مسلم فى الأمر والنهى النفسـيتين إذ يكفـى فيهمـا مخـاطب ولـو تنزيلا. وأيضا يجاب عن هذا الدليل بجواب ثالث: وهو إنما يلزم السـنة لـو خوطـب المعلـوم وأمـر فـى عدمه، أما على تقدير وجوده بأن يكون الطلب ممن سيوجد كما فى طلب الرجل تعلم ولده الذى لم يوجد، وكما فى خطاب النبى ﷺ إلى كل مكلف يولد إلى يوم القيامة فلا سنة. فحاصل هـذا الدليـل أنه مبنى عند الخصم على التنوع، ومن الأشاعرة مـن لا يسلمه كـابن سعيد. وعلـى فـرض التسـليم فاستدعاء المأمور فى اللفظى دون النفسى. وعلـى تسـليم استدعاء النفسـى مخاطبـا فـإن أريـد وجـود المخاطب بالفعل فى الأزل فذلك لاستدعاء غير مسلم. وإن أريد وجود المخاطب وجودا عقليـا علـى معنى أنه يتعلق بالمعدوم فى حال العدم خطاب يفهمه بالامتثـال بـه بعـد وجـوده مستجمعا لشـروط التكلف فالاستدعاء مسلم والعبث ممنوع. الدليل الثانى: لو كان كلامه عز وجل قديما لاستوت نسبته إلى جميع المتعلقات ولكن استواء نسبته إلى جميع المتعلقات بـاطل. فبطـل مـا أدى إليـه. بيـان الملازمـة: أن الكلام كالعلم فى أن تعلقه بمتعلقاته يكون لذاته، وكما أن علمه يتعلق بجميع ما يصح تعلقه به فكذلـك كلامه يتعلق بكل ما يصح تعلقه به حيث أن الأشاعرة القائلين بالكـلام النفسى نفوا أن يكون للفعل فى ذاته حسن أو قبح بل حسنه وقبحه من الشرع فلو أمـر بمـا نهـى عنـه. أو نهـى عمـا أمـر بـه. لا نقلـب الحسن قبيحا والقبيح حسنا، وعلى ما ذكر يلزم تعلق أمر، ونهيه بالأقفـال كلهـا. وأمـا بطـلان التـالى فواضح لما يلزم عليه من كون الفعل مأمورا به منهيا عنـه وهـو محـال لأن الأمـر يسـتدعى تحصيـل الفعـل ليثاب عليه. والنهى يقتضى ترك الفعل ليثاب على الترك. فنتيجة الأمر الإثابة على الفعـل. ونتيجـة النهـى عدم الإثابة على الفعل بل العقاب عليه وبين الإثابة والإثابة تناقض. وبين الإثابة والعقاب تنافر أيضا. لأنه جمع بين الشىء والأخص من نقيضه وكلاهما محال والجواب عن هذا الدليل أن الشـىء القديـم الصـالح للأمور المتعددة قد يتعلق ببعض من تلك الأمـور دون بعـض. كـالقدرة فإنهـا تتعلـق ببعـض مـا تتعلـق به الإرادة دون مالم تتعلق به. فإن قيل مخصص القدرة هو الإرادة. فلابد للكلام أيضا من مخصص. ويعود الكلام إليه فيلزم التسلسل. قلنا: تعلق الكـلام ببعض دون بعض آخر كتعلق الإرادة لذاتهـا ببعـض مـا يصلح تعلقها به دون بعض فلا تسلسل. أما الأدلة النقلية فمن وجوه: الوجه الأول: القرآن ذكر وهو محدث=

.. ..

=لقوله عز وجل ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ وقوله عز وجل ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ مع قوله ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فإنهما يدلان على أن الذكر محدث وهو القرآن فيكون محدثا ويكون معنى الإتيان ما يأتيهم من طائفة من القرآن نازلة تذكرهم أكمل تذكير وتبين لهم أتم تبيين. وقوله عز وجل: من ربهم لابتداء الغاية متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وآيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه. وهو عربي لقوله تعالى ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ والعربي هو اللفظ لاشتراك اللغات في المعنى ومنزل على النبي عليه الصلاة والسلام بشهادة النص والإجماع ولا خفاء في امتناع نزول المعنى القديم القائم بذات الله عز وجل بخلاف اللفظ فإنه وإن كان عرضا لا يزول عن محله لكن قد ينزل بنزول الجسم الحاصل له، وقد روى أن الله عز وجل أنزل القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا فحفظته الحفظة ثم نزل منها بلسان جبريل عليه السلام إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام شيئا فشيئا بحسب المصالح، فإن قيل: المكتوب في المصحف هو الصور والأشكال لا اللفظ ولا المعنى. قلنا: بل اللفظ لأن الكتابة تصويرا للفظ بحروف هجائية. نعم المثبت في المصحف هو الصور والأشكال. فإن قيل: القديم دائم فيكون مقارنا للتحدى ضرورة فلا يكون ذلك من خواص الحوادث. قلنا: معناه أن يدعو العرب إلى المعارضة والإتيان بالمثل وذلك لا يتصور في الصفة القديمة. الوجه الثاني: قوله عز وجل: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ إذ معناه إذا أردنا شيئا قلنا له كن فيكون. فقوله كن وهو قسم من أقسام الكلام متأخر عن الإرادة الواقعة في الاستقبال لكونه جزءا له. فيكون حاصلا قبل وجود الشيء بقرينة الفاء الدالة على الترتيب بلا مهلة وكلاهما يوجب الحدوث. وبخاصة إذا كان ذلك الشيء حادثا واقعا في الاستقبال. وأما التقدم على الكائن الحادث بمدة يسيرة فظاهر أيضا دلالته على الحدوث فإن قيل: وقوع كلمة كن عقيب إرادة تكوين الأشياء على ما تعطيه كلمة الجزاء وإن دل على حدوثها لكن عموم لفظ شيئا من حيث وقوعه في سياق النفي معنى أي ليس لشيء مما نقصد إيجاده وإحداثه كما في قوله : «وإنما لكل امرئ ما نوى» يقتضي قدمها إذ لو كانت حادثة لوقعت بكلمة كن أخرى سابقة ويتسلسل. وإن جعلتم هذا الكلام لا على حقيقته بل مجازا عن سرعة الإيجاز فلا دلالة فيه على حدوث كن. قلنا: حقيقته أن ليس قولنا لشئ من الأشياء عن تكوينه إلا هذا القول وهو لا يقتضي ثبوت هذا القول كل شيء. الوجه الثالث: قوله عز وجل ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ وإذ ظرف زمان ماض فيكون قوله الواقع في هذا الظرف مختصا بزمان معين محدث أما المختص بالحال والاستقبال فظاهر وأما المختص بالماضي فلأن الانتقال في الحال أو الاستقبال ينافي القدم لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه. الوجه الرابع: قوله عز وجل: ﴿كتاب أحكم آياته ثم فصلت﴾ فإنه يدل على أن القرآن مركب من الآيات التي هي أجزاء متعاقبة فيكون حادثا. وقال ابن عباس رضوان الله عنه: «أحكمت» أي لم ينسخ بكتاب كما نسخت والشرائع به «ثم فصلت» بينت بالأحكام والحلال والحرام. وكذا قوله عز وجل ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ يدل على أن كلامه عز وجل قد يكون عربيا تارة وعبريا أخرى، وذلك دليل حدوثه. ودلالة الآية الكريمة على أن كلام الله تعالى قد لا يكون عربيا ظاهرة: فإن الذوق السليم يفهم من التخصيص ذلك. وأما دلالته على أنه قد يكون عبريا تارة أخرى فيضم إليه أن التوراة أيضا كلامه بالاتفاق على أن المراد قد يكون عبريا فإن المقصود ههنا مجرد الدلالة على التغير=

.. ..

=الوجه الخامس: قوله عز وجل: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ فإنه يدل على أن كلامه مسموع فيكون حادثا: لأن المسموع لا يكون إلا حرفا وصوتا. الوجه السادس: أن القرآن معجز إجماعا ويجب مقارنة المعجز للدعوى حتى يكون تصديقا للمدعى فى دعواه فيكون حادثا مع حدوثها. وإن لم يكن مقارنا لها حادثا معها، بل يكون قديما سابقا عليها. فلا اختصاص له به وتصديقه. الوجه السابع: أن القرآن موصوف بكونه منزلا وتنزيلا، وذلك يوجب حدوثه: لاستحالة الانتقال بالإنزال والتنزيل على صفاته القديمة القائمة بذاته تعالى، إذ لا خفاء فى امتناع نزول المعنى القديم القائم بذاته عز وجل بخلاف اللفظ فإنه وإن كان عرضا لا يزول عن محله، لكن قد ينزل الجسم الحامل له فيوصف اللفظ بذلك بالنزول ولو مجازا. الوجه الثامن: قوله ﷺ فى دعائه «يا رب القرآن العظيم ويا رب طه ويس» فالقرآن مربوب كلا وبعضا والمربوب محدث اتفاقا. الوجه التاسع: أنه عز وجل أخبر بلفظ الماضى نحو «وإنا أنزلنا» «وإنا أرسلنا» ولا شك أنه لا إرسال ولا إنزال فى الأزل، فلو كان كلامه قديما لكان كذبا: لأنه إخبار بالواقع فى الماضى ولا يصور ما هو ماض بالقياس إلى الأزل. لوحه العاشر: النسخ حق بإجماع الأمة ووقع فى القرآن وهو رفع أو انتهاء ولا شىء منهما يتصور فى القديم لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه وللحنابلة أن يقولوا معنى نسخ القرآن رفع حكمه لا ذاته فلا يلزم حدوث ذاته وقد جعل الإمام الرازى هذين الدليلين فى الأربعين من الأدلة العقلية. واختار السيد الشريف أنهما من الأدلة النقلية، والحق وما اختاره. قد أجاب الأشاعرة: عن جميع هذه الأدلة بأنها إن دلت على شىء من الحدوث. فإنما تدل على حدوث اللفظ. ونحن فى تحرير محل الخلاف أوضحنا أن لا نزاع بين الأشاعرة وغيرهم من الطوائف فى حدوث اللفظ وإنما النزاع بينهم فى الكلام النفسى القديم فيجمع الأدلة التى ذكرت أدلة فى غير محل النزاع على أن هذه الأدلة وإن أثبتت حدوث الكلام اللفظى فهى ترد دعوى الحنابلة والحشوية. والعضد، حيث ذهبوا إلى قدم اللفظ مع قيامه بذات الله عز وجل. الأشاعرة يوافقون المعتزلة فى إقامة الأدلة المذكورة فى وجه هؤلاء ومن الوجوه التى استدل بها المعتزلة على أن كلام الله عز وجل ليس بأزلى قولهم لو كان أزليا للزم الكذب فى أخباره. والكذب فى أخباره محال لأن الأخبار بطريق المضى كثير فى كلام الله عز وجل كقوله: ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾ وقال ﴿وعصى فرعون الرسول﴾ وصدقه تقتضى سبق وقوع النسبة. ولا يتصور السبق على الأزلى فتعين الكذب. ودليل بطلان الثانى فلإجماع العقلاء على أن الكذب نقص لما فيه من العجز والعبث. الجواب عن هذا الدليل: بأن أخبار الله عز وجل لا تتصف فى الأزل بالماضى والحال والمستقبل لعدم الزمان. وإنما تتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات. فيقال قام بذات الله عز وجل إخبار عن إرسال نوح مطلقا، وذلك الإخبار موجود أزلا باق أبدا. قبل الإرسال كانت العبارة الدالة عليه «إنا نرسل» وبعد الإرسال «إنا أرسلنا» فالتعبير فى لفظ الخبر فى الإخبار القائم بالذات. كما تقول فى علمه عز وجل: أنه قائم بذاته أزلا، العلم بأن نوحا مرسل. وهذا العلم باق أبد فقبل وجوده عرف أنه سيوجد ويرسل. وبعد وجوده علم أنه وجد وأرسل والتغير فى المعلوم لا فى العلم. أقوى دليل استدلت به المعتزلة قولهم قد اتفق على أن القرآن الكريم اسم لما نقل إلينا بين دفتى المصاحف تواترا. فهو مكتوب فى المصاحف مقروء بالألسن مسموع بالآذان ولا شك أن هذه أمور تدل=

.. ..

=على حدوثه. الجواب عن هذا الدليل: أن القرآن الذى هو كلام الله عز وجل المكتوب فى المصاحف بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه المحفوظ فى القلوب المسموع بحروف ملفوظة غير حال فى المصاحف والقلوب والألسنة والآذان بل هو معنى قديم قائم بذاته عز وجل يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وصور وأشكال. فالمرسوم بسمة الحوادث: إنما هو اللفظ الدال على المعنى القديم. ويقرب ما ذكرناه ما يقال: النار جوهر محرق يذكر باللفظ ويكتب بالقلم. ولا يلزم من ذلك كون حقيقة النار صوتا وحرفا، وذلك لأن للشىء وجود فى الأعيان ووجودا فى الأذهان والمراد به الوجود العلمى. بحيث لا يقول المعتزلة بالوجود الذهنى. ووجودا فى العبارة ووجودا فى الكتابة والكتابة تدل على العبارة والعبارة تدل على ما فى الأذهان وما فى الأذهان يدل على ما فى الأعيان. فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم، نحو القرآن غير مخلوق. فالمراد حقيقته الموجودة فى الخارج، والمراد بحقيقته الموجودة فى الخارج، أن اللفظ فى هذه الصورة ذاته من غير ملاحظة ما يدل عليه، إذ هو من قبيل وصف الشىء بما هو حاله حقيقة. ذلك بخلاف ما يوصف بما هو من لوازم الحادث لأنه لابد فيه من ملاحظة ما يزال عليه حتى يظهر صحة الوصف به لعلاقة الدالية والمدلولية. حيث يوصف بما هو من لوازم المحدثات، فالمراد به الألفاظ المنظومة وذلك كما فى قولنا قرأت نصف القرآن الكريم أو المخيلة كما فى قولنا حفظت القرآن الكريم، أو الأشكال المنقوشة كما يقال: يحرم المحدث مس القرآن قد يعترض على ما ذكر. بأنه مناف لما ذكره علماء الأصول من أن القرآن الكريم هو المكتوب فى المصاحف، وأنه اسم للنظم والمعنى جميعا. الجواب عن غرضهم لما لم يكن متعلقا بالمعنى الأزلى بل هو متعلق بالألفاظ لأنها أدلة الأحكام الشرعية. عرفوه بأنه المكتوب فى المصاحف. المنقول بالتواتر وجعلوه اسما للنظم من حيث الدلالة على المعنى لا مجرد المعنى. ينظر نص كلام شيخنا عبد الفضيل طلبة فى الرؤية. قد اختلف المتكلمون فى وصف كلام الله تعالى فى الأزل بكونه أمرًا ونهيا، وخبرًا واستخبارًا. فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى إلى انقسامه فى الأزل بحسب الاعتبار إلى هذه الأقسام الخمسة بسبب المتعلقات، بناء على أن التعلق أزلى عنده، وإن كان واحدًا فى ذاته فباعتبار تعلقه بشىء على وجه مخصوص يكون خبرًا، وباعتبار تعلقه بوجه مخصوص بشىء آخر يكون أمرًا وهكذا باقى الأقسام، فإن اعترض بأن كلام الله تعالى على هذه الصفة إذا كان واحدًا يكون غير معقول فإن قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة﴾ مع قوله: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾، كيف يتحدان فى الأزل لفظا أو معنى حتى يتكثر بالاعتبارات. فالحق أن الأمر مشكل إذا كان الكلام النفسى عين المدلول الوضعى للكلام اللفظى. وأما إذا كان التعبير باللفظى عن النفسى من قبيل التعبير بالأثر عن المؤثر فلا إشكال. وذهب ابن سعيد القطان من الأشاعرة، وطائفة من المتقدمين إلى أنه يوصف بهذه الأقسام فيما لا يزال حيث إن التعلق عندهم حادث. وقد اعترض عليه بأنها أنواعه لا أقسامه فلا يوجد بدونها، إذ الجنس لا يوجد إلا فى ضمن شىء من أنواعه. وأجيب: بمنع ذلك فى أنواع تحصل بحسب التعلق. ومعنى ذلك أنها ليست أنواعا حقيقية له متى يلزم ما ذكرتم، بل هى أنواع اعتبارية حاصلة له بحسب التعلق، وعلى ذلك يجوز أن يوجد الجنس بدون تلك الأنواع ومعها أيضًا. وعليه فلا إشكال. وبعض الأصحاب ذهب إلى القول بأن لكلام الله القائم بذاته تعالى خمس صفات مختلفة. وذهب جماعة إلى=

.. ..

أن الكلام حقيقة فى المعنى القديم مجاز فى النظم المخصوص. واعترض عليه: بأنه لو كان حقيقة فى المعنى القديم مجازًا فى النظم المخصوص - يصح نفيه عنه؛ بأن يقال: النظم المعجز كلام الله تعالى؛ إذ من أمارات المجاز صحة نفى إطلاق اللفظ على هذا المعنى المجازى. والإجماع على خلافه: بل النفى كفر اتفاقًا فيما عدا البسملة فى أوائل السور. فإن نافيها لا يكفر لقوة الشبهة فى جانب كل من المثبت والنافى؛ ولذلك قال ابن الحاجب «فى مختصره»: وقوة الشبه من الجانبين منعت التكفير. والحق فى الإطلاق أن كلام الله تعالى اسم مشترك بين الكلام النفسى القديم وبين اللفظى الحادث. ومعنى الإضافة لله تعالى على المعنى الأول كونه صفة له. وعلى الثانى، كونه من تأليفاته فلا يصح النفى أصلا؛ لأنه حقيقة فيها. ولقد رأى بعض المتكلمين أن يكون ذلك المشترك لفظيًا اتحد لفظه وتعدد معناه ووصفه. وعليه، فاسم الكلام موضوع للنفسى بوضع، واللفظى بوضع آخره، ورأى بعض آخر كونه مشتركًا معنويًا مشككا اتحد لفظه ومعناه ووصفه وتعددت أفراده، فهو مع وحدة لفظه موضوع لقدر مشترك، وهو متعلق التكلم أعم من كون ذلك التعلق لفظيًا أو نفيسًا. وأما كونه مشككا؛ فلأنه فى اللفظى. فثبت أنه مشترك، وانتفى كونه مجازًا. واختلف أهل السنة فى جواز سماع كلام الله تعالى. فذهب الأشعرى إلى أن ذات الكلام النفسى يسمع. وهذا ما اختاره كثير من المحققين؛ كالإمام الغزالى وغيره. وذهب الشيخ أبو منصور الماتريدى، وأبو إسحق الإسفراينى إلى عدم سماعه، فلا يسمع إلا ما يدل عليه من الأصوات والحروف، وقد أقام كل واحد من الطرفين دليلاً على مدعاه.

أما دليل الأشعرى: فهو قياس سماع الكلام النفسى الذى ليس بحرف ولا صوتٍ على رؤية ما ليس بلون ولا فى جهةٍ. وهذا القياس ألزم به مخالفيه من أهل السنة؛ لاتفاقهم جميعًا على جواز الرؤية، ووقوعها فى الآخرة، وتبعه فى ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى. وأما دليل الماتريدى وأبو إسحاق الإسفراينى: فهو أن العادة تحيل سماع ما ليس بصوت، ويشهد لهما ظاهر قوله تعالى: ﴿نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين﴾، إلا أنه لا يتحقق ما يصلح أن يكون محلاً للخلاف بينهما وبين الأشعرى؛ لأنه إما أن يفرض الكلام فى الاستحالة عقلا، فلا يتأتى إنكار إمكان أن يخلق للقوة السامعة إدراك الكلام النفسى، أو يفرض فى الاستحالة عادة، ولا يتأتى إنكار إمكان ذلك خرقًا للعادة. بل قد ساق صاحب التبصرة من عبارة الماتريدى فى كتاب التوحيد ما يقتضى جواز سماع ما ليس بصوتٍ. فحقيقة الخلاف؛ إنما هو فى الواقع لموسى - عليه السلام - فأنكر الماتريدى سماعه الكلام النفسى. والذى سمعه - عليه السلام - إنما هو اللفظ الدال على كلامه تعالى. وعند الأشعرى: أن موسى - عليه السلام - سمع الكلام النفسى الذى ليس بصوتٍ ولا حرفٍ؛ ولذلك اختص باسم الكليم، بدليل قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾، والحمل على الإسناد الحقيقى ممكن، ولا موجب للعدول عنه. وبأن الخصم قائل برؤية ذاته من غير كيفٍ ولا انحصار. فهو لا محالة يقول بإمكان سماع كلامه من غير لفظ يدل عليه. وعلى هذا يظهر وجه اختصاص موسى - عليه السلام - باسم الكليم؛ لأنه لو كان موسى - عليه السلام - قد سمع لفظًا كغيره لم يكن لتسميته بالكليم وجه. وقال الماتريدى: إن الذى سمعه موسى - عليه الصلاة والسلام - صوتًا دالاً على كلام الله تعالى، واختص باسم الكليم؛ لأن سماعه الصوت على وجه فيه خرق للعادة؛ لأنه سماع بغير واسطة الكتاب والملك. ولقد أخرج أحمد وغيره عن وهب: أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لما اشتد عليه الهول نودى من الشجرة فقيل: «يا موسى»=

النائب آل الأمر فيه إلى أن كتب ابن تيمية خطه وأشهد عليه أنه شافعي المذهب يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي، وأنه أشعرى الاعتقاد. فنودى بدمشق من ذكر عقيدة ابن تيمية شنق، فاشتد حينئذ ابن عدلان، وقام معه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى. وحرض الأمراء عليه. ومازال بهم حتى خرج الأمير ركن الدين العمرى الحاجب على البريد بحمله وحمل أخيه شرف الدين عبد الرحمن إلى القاهرة. وطلب الأمير ركن الدين نجم الدين أحمد بن صصرى، ووجيه الدين بن المنجا، وتقى الدين شقير، وأولاد ابن الصائغ؛ فأحضرهم يوم الخميس ثانى عشر رمضان، فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل، وحضر الأمراء، فادعى ابن عدلان على ابن تيمية، فلم يجبه وقام يخطب، فصاح عليه القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى: «نحن أحضرناك للدعوى عليك، ما أحضرناك خطيبا» وألزمه بالجواب. فقال له: «أنت عدوى لا يجوز حكمك على» فأمر باعتقاله، فأخذ وسجن بحارة الديلم من القاهرة هو وأخوه.

وخلع على ابن صصرى، وأعيد إلى دمشق، ومعه كتاب ليقرأ على الجامع بالمنع من الكلام فى العقائد والنهى عن اعتقاد شىء من فتاوى ابن تيمية، وأن يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك، وتثبت على قضاة الممالك، وتقرأ على المنابر، ففعل ذلك بدمشق.

وفيها قطع خبر الأمير الكبير بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى: وسبب ذلك أنه مرض وقد أناف على الثمانين «فخاف أستاداره بكتمر الفارسى من موته، وأن يطالب من ديوان[1] السلطان بتفاوت الإقطاع فى مدة إمرته وهى ستون سنة، وأن يلزم بالتقاوى السلطانية[2]، وحسن لولده ناصر الدين محمد أن يمضى إلى الأمير بيبرس وسلار على لسان أبيه، بأن يتحدثا مع السلطان بأنه قديم هجرة وله خدمة فى البيت المنصورى، وقد أسن وعجز عن الركوب، ولا يحل له أكل هذا الإقطاع بغير استحقاق، ويسألاه فى إخراجه عنه وكتابة مسموح[3] لأولاده ومباشريه بما يخص السلطان من تفاوت الإقطاعات والانتقالات من تاريخ إمرته إلى خروج الإقطاع عنه، وخيله أنه متى لم يفعل ذلك حتى يموت والده لم يبق لهم من بعده وجود، ويحتاج إلى الاستدانة ليوفى الديوان السلطانى مستحقه. فانفعل لذلك، وبلغ ما رتبه الأستادار عن أبيه إلى بيبرس

---

(١) على هامش ط: كانت وظيفة هذا الديوان محاسبة الأمير المعزول أو المنقول عن إقطاعه - أو ورثته من بعده عند وفاته - على ما تحصل من ذلك الإقطاع من مال خراجى.

(٢) المقصود بالتقاوى السلطانية هنا ما كان يجمع للسلطان من مختلف الأقاليم برسم التقاوى. انظر: خطط المقريزى ٩١/١.

(٣) على هامش ط: المقصود به ما يسمح به السلطان لورثة أحد أمرائه بعد وفاته.

وسلار، فتألما وبكيا، ودخلا به إلى السلطان، فأعاد ناصر الدين محمد له الرسالة بحضور الأمراء، فأجيب، وكتب المسموح، ونصه: «رسم بالأمر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالى المولوى الأميرى البدرى بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها، من غير طلب تفاوت ولا تقاو، ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالى وخراجى وغيره، مسامحة وإنعامًا عليه، لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة، مسامحة لا رد فيها ولا رجوع عنها بحيث لا يطالب بشىءقل ولا جل، لما مضى من الزمان وإلى يوم تاريخه، لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله» وتوجه إليه الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب، والأمير بدر الدين محمد بن الوزيرى (بذلك). وسبق ولده ودخل عليه ومعه بكتمر أستاداره، وحدثاه فى أنه قد ضعف عن الحركة، وأن الإقطاع يستكثر عليه، فقال: «أرجو أن يمن الله بالعافية، وأن أموت على ظهر فرسى فى الجهاد» فذكرا له ما يتخوفانه بعد موته من المغرم، فلم يلتفت لكلامهما. وقدم الحاجب وابن الوزيرى بالمسموح، فقال لهما: «لا تطيلا فى الكلام، فإنه اختلط وفسد عقله» فدخلا وعرفاه ما قاله عنه ولده من طلب الإعفاء من الخدمة، فإنه نزل عن الإقطاع، وقدما له المسموح، وبلغاه سلام السلطان والأمراء، وأنه لم يفعل هذا إلا حسب سؤاله، وقد رتب له خمسة آلاف درهم فى الشهر. فغضب عند ذلك وقال: «قطع السلطان خبزى؟» قالا: «نعم!» وعرفاه ما كان من ولده، فالتفت إليه وقال: «أنت سألت فى ذلك؟» قال: «نعم!»، فسبه، وقال للأميرين: «قولا للسلطان والأمراء ما كنت أستحق أن يقطع خبزى قبل الموت، وهم يعلمون ما فعلته معهم، وكنت أؤمل أن أموت فى الغزاة، وما برحت أخرج كل سنة لعل أن يدركنى أجلى، فما قدر الله». ثم أعرض عنهم، وقاموا عنه، فمات من مرضه هذا. واستقر إقطاعه فى الخاص السلطانى، وأضيفت أجناده إلى الحلقة، وذلك فى ذى الحجة.

وفيها قدمت هدية الملك المؤيد هزبر الدين دواد صاحب اليمن، فوجدت قيمتها أقل من العادة، فكتب بالإنكار عليه والتهديد، وسير مع بدر الدين محمد الطورى أحد مقدمى الحلقة، فلم يعبأ به الملك المؤيد، ولا أجاب عن الكتاب بشىء.

وفيها استسقى أهل دمشق لقلة الغيث، فسقوا بعد ذلك.

* * *

ومات فى هذه السنة

خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى الفقيه الشافعى المقرئ النحوى المحدث، فى شوال عن خمس وسبعين سنة.

ومات مجد الدين سالم بن أبى الهيجاء بن جميل الأذرعى قاضى نابلس، بالقاهرة فى ثانى عشر صفر، بعدما باشر قضاء نابلس أربعين سنة، وصرف عنها وقدم بأهله إلى القاهرة فمات بها.

ومات الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف ابن الخضر بن موسى الدمياطى(١) الفقيه الشافعى المحدث آخر الحفاظ، فى خامس عشر ذى القعدة، من غير مرض، عن اثنتين وتسعين سنة.

ومات قاضى القضاة بحلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعى بها، فى أوائل جمادى الأولى، وكان فاضلا مشكور السيرة.

ومات محمد بن عبد المنعم بن شهاب الدين بن المؤدب بمصر، حدث عن ابن باقا.

ومات الفقيه العابد المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد الحرانى الحنبلى، ومولده بحران سنة ثمانى عشرة وستمائة، سمع من ابن روزبة والمؤتمن ابن قميرة، وسمع بمصر من ابن الجميزى وغيره، وتفرد بأشياء، وكان فيه دعابة، وتلا بمكة ألف ختمة.

ومات شرف الدين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الجذامى الإسكندرانى.

ومات الأوحد تقى الدين بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان، أحد أمراء دمشق، فى ثانى صفر على قتال الكسروين، وكان فاضلا خبيرًا بالأمور.

ومات المعمرة أم الفضل زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعردية بمصر فى ذى القعدة، حدثت عن ابن الزبيدى وأحمد بن عبد الواحد البخارى وغيره، وتفردت بأشياء.

* * *

(١) عبد المؤمن بن خلف الدمياطى، أبو محمد، شرف الدين: حافظ للحديث، من أكابر الشافعية. ولد بدمياط. وتنقل فى البلاد، وتوفى فجأة فى القاهرة. انظر: فوات الوفيات ١٧/٢ والرسالة المستطرفة ١٠٣ والبداية والنهاية ٤٠/١٤ وطبقات الشافعية ١٠/٤ وشذرات الذهب ١٢/٦ والدرر الكامنة ٤١٧/٢ والتيمورية ١٠١/٣ والأعلام ١٧٠/٤.

سنة ست وسبعمائة

فيها توحش ما بين الأميرين علم الدين سنجر البروانى وسيف الدين الطشلاقى على باب القلة من القلعة بحضرة الأمراء، من أجل استحقاقهما فى الإقطاعات، فإنهما تباعلا[1]، ونزل الطشلاقى على إقطاع البروانى.

وكان كل منهما فيه كبر وظلم وعسف، والبروانى من خواص الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والطشلاقى من ألزام الأمير سلار النائب لأنه خشداشه، وكلاهما مملوك الصالح على بن قلاوون. فاشتد الطشلاقى على البروانى وسفه عليه، فقام البروانى إلى الأمير بيبرس فشكا منه، فاستدعى به وعنفه، فأساء فى الرد وأفحش فى حق البروانى، وقال: «أنت واحد منفى وافدى، تجعل نفسك مثل مماليك السلطان؟». فاستشاط بيبرس غضبًا، وقام ليضربه، فجرد سيفه يريد ضرب بيبرس، فقامت قيامة بيبرس، وأخذ سيفه وأومأ ليضربه، فترامى عليه من حضره وأمسكه عنه، وأخرجوا الطشلاقى بعدما كادت مماليك بيبرس أن تقتله. وللوقت طلب بيبرس الأمير سنقر الكمالى الحاجب، وأمره بإخراج الطشلاقى إلى دمشق، فخشى من النائب سلار ودخل عليه وأخبره الخبر فوجد العلم عنده، وأمره بالعود إلى بيبرس وملاطفته فى العفو عن الطشلاقى، وأنه يلزم داره حتى يرضى عنه. فعاد إلى بيبرس، وعندما أخذ يبلغه رسالة سلار صرخ فيه، وحلف إن بات الطشلاقى الليلة فى القاهرة عملت فتنة كبيرة. فعاد الحاجب وبلغ سلار ذلك، فلم يسعه إلا السكوت، وأخرج الطشلاقى من وقته، وأمر الحاجب بتأخيره فى بلبيس ليراجع بيبرس فيه. وعندما احتمعا من الغد فى الخدمة بدأه بيبرس بما كان من الطشلاقى فى حقه من الإساءة، وسلار يسكن غضبه فلا يسكن بل يشتد، فأمسك على حقد؛ وتوجه الطشلاقى إلى الشام.

وفيها قدم البريد من حماة بمحضر ثابت على القاضى أن ضيعة تعرف ببارين بين جبلين، فسمع للجبلين فى الليل قعقعة عظيمة، فتسارع الناس فى الصباح إليها، فإذا أحد الجبلين قد قطع الوادى وانتقل منه قدر نصفه إلى الجبل الآخر، والمياه فيما بين الجبلين تجرى فى الوادى؛ فلم يسقط من الجبل المنتقل شيء من الحجارة، ومقدار النصف الذى انتقل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع، ومسافة الوادى الذى قطعه هذا الجبل مائة ذراع؛ وأن قاضى حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك، وكتب به محضرا فكان هذا من غرائب الاتفاق.

---

(١) تباعلا: المعنى أنهما تجالسا للحديث فيما بينهما من أمر. انظر: لسان العرب.

وفيها قدم الخبر من بلاد المغرب بقتل السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى صاحب تلمسان فى ذى القعدة من السنة الخالية على يد خدمه، وأن ابنه أبا سالم قام من بعده، فثاروا به بعد أسبوع، وأقاموا عوضه حفيده أبا عامر ثابت.

وفيها ابتدأت الوحشة بين الأميرين بيبرس وسلار: وسببها أن التاج بن سعيد الدولة الكاتب كان متمكنًا من بيبرس مستوليا على سائر أموره، فمكنه من الدولة حتى صارت أمور الأموال الديوانية المتعلقة بالوزارة والأستادارية لا يلتفت فيها إلى كلام غيره، واستعان معه أكرم بن بشير أحد أقاربه، فتقربا إلى بيبرس بتحصيل الأموال من المشتروات، وأضافا له جهة النطرون. وكان التاج صديقًا لابن الشيخى، وهو الذى قدمه إلى الوزارة، فلما قتل شق عليه، واتهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى بأنه السبب فى ذلك، وأنه الذى أغرى به الأمير سلار، لما كان يعلم من عداوة الجاولى لابن الشيخى ومصادقته للصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، وهو الذى عينه للوزارة بقصد إنكاء التاج بن سعيد الدولة. فأخذ التاج فى العمل على الجاولى، وهو يومئذ ينوب عن بيبرس الجاشنكير فى الأستادارية، وندب لمرافعته رجل من الأقباط، وصار كل قليل يقول عنه لبيبرس إنه نهب الأموال، وأخذ رواتب كثيرة لنفسه وحواشيه، وقد وقفت أحوال الدولة من ذلك، والوزير ابن عطايا لا يدرى صناعة الكتابة، وإنما أشار الجاولى على سلار بوزارته ليتمكن من أغراضه، وإن بعض كتاب الحوائج خاناه كتب أوراقا بمال كبير فى جهة الجاولى، وأكثر من هذا القول وما أشبهه، إلى أن تقرر ذلك فى نفس بيبرس وتغير على الجاولى، وحدث سلار فى أمره، وأنه أخذ جملة مال مستكثرة. وكان سلار صديقًا للجاولى شديد المحبة له من قديم؛ حتى أن كلا منهما عمر مدرسة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش مجاورة لمدرسة الآخر، وعمل لنفسه مدفنًا بحذاء مدفن الآخر. فدافع سلار عن الجاولى، وقال لبيبرس: «بالله لا تسمع للديوان! فإنهم مناحيس يريدون الفتن». فتمادى بيبرس فى الحط على الجاولى وسبه، وقال: «لابد أن أخلص منه المال». فلما افترقا أعلم سلار الجاولى بتغير بيبرس عليه، فقال له: «هذا من التاج بن سعيد الدولة»، فأشار عليه بالدخول إلى بيبرس ومخادعته بلين القول له، عساه ينخدع ويمسك عما يريده. فامتثل ذلك وصار إليه وخضع له وتذلل، فاشتد فى الحرج وبالغ فى السب والتهديد، ولم يلتفت إلى قوله، فقام يتعثر فى أذياله إلى سلار وأخبره، فغضب من ذلك. وعند خروج الجاولى من عند بيبرس دخل عليه ابن سعيد الدولة بأوراق قد رتبها بما فى جهة الجاولى، وقرأها عليه، وأحضر معه أكرم بن بشير ليحاقق الجاولى على ما فى الأوراق، فقوى بيبرس قلب بن بشير على المحافظة. ولما كان الغد، وخرج الأمراء من الخدمة السلطانية، وجلسوا عند

النائب سلار، وفيهم الجاولى والوزير، أمر بيبرس بإحضار ابن بشير الكاتب، فلما جاء قال له: «أنت قلت إن مال السلطان ضائع، وإن هذا - يعنى الجاولى - أخذ منه أشياء، وإن الوزير وافقه على ذلك، وإن أحوال الدولة قد وقفت، وإنك ترافعهما وتحقق مال السلطان فى جهتهما فتكلم الآن معهما، ولا تقل إلا الصحيح». فنهض عند ذلك قائما، وأخرج الأوراق، وحاقق الوزير على فصول تلزم الجاولى، فأجاب الجاولى عنها فصلا .. فصلا، وابن بشير يرد عليه. وقال فى كلامه: «أنت أمير ما تدرى فصول الكتابة»؛ وطال الكلام، وانفض المجلس على أقبح صورة، وقد وقع التنافر بين بيبرس وسلار بسبب قيام كل منهما فى نصرة صاحبه.

وكان من عادة بيبرس أن يركب لسلار عند ركوبه وينزل عند نزوله، فمن يومئذ لم يركب معه، وبقى كل منهما يركب فى حاشيته وحده، وتوقع الناس الفتنة. فبعث الأمير سلار بسنقر الكمالى الحاجب إلى بيبرس ليتلطف به ويعرفه «إن الجاولى قد علمت ما بينى وبينه من الأخوة: بحيث أن كلا منا عمل الآخر وصيه على أولاده بعد موته»، ويتضرع له حتى يعفو عنه. فمضى إليه وبالغ معه فى الكلام، وهو يشتد إلى أن قال: «لا أرجع عنه حتى آخذ منه مال السلطان وأضربه بالمقارع». وبعث إليه: «إن لم تحمل المال ضربتك بالمقارع حتى تموت مثل الغير» يعنى ابن الشيخى، وبعث إلى الوزير بذلك أيضًا، ورسم عليهما حتى يحملا المال. فلما بلغ الكمالى ذلك لسلار قامت قيامته، إلا أنه كان كثير المداراة عاقلا. وأخذ الجاولى فى بيع خيله وقماشه وأمتعته بباب القلة على الأمراء، فشق عليهم ما نزل به وشروا مبيعه بأضعاف ثمنه، ليردوه إليه إذا صلح حاله مع الأمير بيبرس، تقربًا لخاطر الأمير سلار.

وتمادى الحال عدة أيام وبيبرس وسلار لا يجتمعان، واستعد الأمراء البرجية ألزام بيبرس، وصاروا يركبون بالسلاح من تحت ثيابهم خوفا من وقوع الفتنة، وترقب الناس الشر فى كل يوم، وتحدثوا به. فركب الأمراء الأكابر: أقوش قتال السبع، وبيبرس الدودار، وبرلغى، وأيبك الخازندار، وسنقر الكمالى، وبكتوت الفتاح، فى آخرين إلى الأمير بيبرس الجاشنكير، وتحدثوا معه فى تسكين الشر وإخماد الفتنة. ومازالوا به حتى رفع الترسيم عن الجاولى بشرط أن يخرج إلى الشام بطالا، وقاموا من عنده إلى الأمير سلار، ومازالوا به حتى وافق على سفر الجاولى، فسافر من يومه بعد ما قطع خبزه، ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بإمرة طبلخاناه.

وفيها أفرج عن الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا بعدما حمل نحو الثمانين ألف درهم، واصطلح بيبرس وسلار، ثم تحدثا فى أمر الوزارة ومن يصلح لها، فعين سلار

التاج بن سعيد الدولة، فقال بيبرس: «إنه لا يوافق، فقد عرضتها عليه وامتنع منها»، فقال سلار: «دعنى وإياه»، فقال: «دونك»، وتفرقا. فبعث سلار إلى التاج أحضره، فلما دخل عليه عبس فى وجهه وصاح بانزعاج: «هاتوا خلعة الوزارة»، فأحضروها، وأشار إلى التاج بلبسها فتمنع، وصرخ فيه وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه. فخاف الإخراق به لما يعلمه من بغض سلار له، ولبس التشريف فى يوم الخميس خامس عشر المحرم، وقبل يد الأمير سلار فبش له ووصاه، وخرج من دار النيابة بالقلعة إلى قاعة الصاحب بها، وبين يديه النقباء والحجاب، وأخرجت له دواة الوزارة والبغلة، فعلم على الأوراق وصرف الأمور إلى بعد العصر، ونزل إلى داره. وبلغ ذلك الأمير بيبرس فسر به، لأنه كان من غرضه.

وأصبح الناس يوم الجمعة إلى دار الوزير تاج الدين أبى الفتوح بن سعيد الدولة ينتظرون ركوبه، فلم يخرج إلى أن علا النهار، و خرج غلامه وقال: «يا جماعة! القاضى عزل نفسه وتوجه إلى زاوية الشيخ نصر المنبجى»، فتفرقوا، وكان لما نزل إلى داره توجه ليلا إلى الشيخ نصر، وكان خصيصا به، وله مكانة عند الأمير بيبرس، وبعث بتشريف الوزارة إلى الخزانة السلطانية بالقلعة، وأقام عند الشيخ نصر مستجيرًا به، فكتب الشيخ نصر إلى بيبرس يشفع فيه، ويقول له إنه قد استعفى من الوزارة وقال إنه لا يباشرها أبدًا، ويقصد أن يقيم فى الزاوية مع الفقراء يعبد الله فأخذ بيبرس الورقة ودخل على سلار، فلما وقف عليها قال: «قد أعفيناه، فأحضره حتى نستشيره فيمن يلى الوزارة»، فأحضره بيبرس إليه فاعتذر، وأشار بوزارة ضياء الدين أبى بكر بن عبد الله بن أحمد النسائى ناظر الدواوين، فاستدعى وخلع عليه فى يوم الإثنين تاسع عشره. فباشر ضياء الدين الوزارة، وليس له منها سوى الاسم، وصار التاج يدبر الأمور، ولا يصرف شىء إلا بخطه، ولا يفعل أمر إلا بحكمه.

وفى سادس صفر: خلع على التاج بن سعيد الدولة، واستقر مشيرًا وناظرا على الوزارة وسائر النظار مصرًا وشاما، ومنفردًا بنظر البيوتات والأشغال المتعلقة بالأستادارية ونظر الصحبة ونظر الجيوش، وكتب له توقيع لم يكتب لمتعمم مثله. وصار يجلس بجانب الأمير سلار نائب السلطنة، فوق كل متعمم من الكتاب، ونفذ حكمه ومضى قلمه فى سائر أمور الدولة، فألان الوزير جانبه له وخفض جناحه بكل ممكن. واستقر عز الدين أيدمر الخطيرى أستادارا عوضًا عن سنجر الجاولى.

وفيها قدم الرسل الذين توجهوا إلى الملك طقطاى صاحب بلاد الشمال: وهم الأمير بلبان الصرخدى ورفقته، ومعهم نامون رسول طقطاى بهدية سنية، وكتاب

يتضمن أن عسكر مصر تسير إلى بر الفرات ليسير معهم ويأخذ بلاد غازان، ويكون لكل منهما ما يصل إليه من البلاد. فأكرم الرسول وجهزت له الهدايا، وأجيب بأن الصلح قد وقع مع خربندا ولا يليق نقضه، فإن حدث غير ذلك عمل بمقتضاه. وسير إليه الأمير بدر الدين بكمش الظاهرى، وفخر الدين أياز الشمسى أمير آخور، وسنقر الأشقر، وأحد مقدمى الحلقة.

وفيها نقل شهاب الدين غازى بن أحمد بن الواسطى من نظر الدولة، ومعه تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى، إلى نظر حلب. وسبب ذلك أنه كان يعادى التاج بن سعيد الدولة، بحيث إنه كان سببًا فى ضرب سنقر الأعسر له بالمقارع أيام وزارته حتى أسلم. وكان طويل اللسان، يعرف بالتركى، ويداخل الأمراء، فإذا دخل ابن سعيد الدولة إلى بيت أمير وهو هناك لا يقوم له ولا يلتفت إليه. فلما تحدث ابن سعيد الدولة فى أمور المملكة ثقل عليه ابن الواسطى، وما زال بالأمير بيبرس إلى أن كتب توقيعه بنظر حلب، وبعث إليه. فقام لما جاءه التوقيع. وقال: «والله لقد كنت قانعًا بجهنم عوضًا عن موافقة ابن تعيس الدولة»، وسار إليها.

وفيها نقل الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى من شد الدواوين بدمشق إلى الحجوبية، على عادته فى ثامن ذى الحجة، واستقر عوضه فى الشد الأمير جمال الدين أقوش الرستمى والى القاهرة بالصفة القبلية، بعدما التزم بثمانى مائة ألف درهم فى أربع سنين.

وفيها قدم البريد من دمشق بقدوم رجل من بلاد التتر يقال له الشيخ براق، فى تاسع جمادى الأولى، ومعه جماعة من الفقراء نحو المائة: لهم هيئة عجيبة، وعلى رءوسهم كلاوت لباد مقصصة بعمائم فوقها، وفيها قرون من لباد شبه قرون الجاموس فيها أجراس، ولحاهم محلقة دون شواربهم، ولبسهم لبابيد بيضاء، وقد تقلدوا بحبال منظومة بكعاب البقر، وكل منهم مكسور الثنية العليا، وشيخهم من أبناء الأربعين سنة، وفيه إقدام وجرأة وقوة نفس وله صولة، ومعه طبلخاناه تدق له نوبة، وله محتسب على جماعته يؤدب كل من ترك شيئًا من سنته بضرب عشرين عصا تحت رجليه، وهو ومن معه ملازمون التعبد والصلاة، وأنه قيل له عن زيه، فقال: «أردت أن أكون مسخرة الفقراء» وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سبعًا ضاريا، فركب على ظهر السبع ومشى به، فجل فى عين غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار، وأنه عندما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه، وكان هناك نعامة قد تفاقم شرها ولم يقدر أحد على الدنو منها، فأمر النائب بإرسالها عليه، فتوجهت بنحوه

فوثب عليها وركبها، فطارت به في الميدان قدر خمسين ذرعًا في الهواء حتى دنا من النائب فقال له: «أطير بها إلى فوق شيئًا آخر؟»، قال: «لا!» وأنه أنعم عليه وهاداه الناس. فكتب بمنعه من القدوم إلى مصر، فسار إلى القدس ورجع إلى بلاده؛ وفيهم يقول السراج من موشحة طويلة أولها:

جتنا عجم من جوا الروم صور تحير فيها الأفكار
لهم قرون مثل الثيران إبليس يصيح منهم زنهار

وفيها عاد الأمير طقصبا ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص، بعد غيبتهم تسعة أشهر، ومقاساة أهوال في محاربة السودان وقلة الزاد.

وفيها منع الأميران بيبرس وسلار المراكب من عبور الخليج المعروف بالحاكى خارج القاهرة، لكثرة ما كان يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات، وتبرج النساء في المراكب وجلوسهن مع الرجال مكشوفات الوجوه بكوافى الذهب على رءووسهن، وتعاطيهن الخمر، وكانت تثور الفتن بسبب ذلك، وتقتل القتلى العديدة. فلم يدخل الخليج إلا مركب فيها متجر، وأما مراكب النزهة فامتنعت، وعد ذلك من أحسن الأفعال.

وفيها كملت عمارة الجامع الذى أنشأه الأمير جمال الدين أقوش الأفرم بسفح جبل قاسيون[1]، وخطب به القاضى شمس الدين بن العز الحنفى، يوم الجمعة رابع عشرى شوال.

وفيها ولى قضاء الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن على بن الشيخ صفى الدين أبى القاسم محمد البصروى، في تاسع عشرى ذى القعدة، عوضًا عن شهاب الدين أحمد الأذرعى.

وفيها قدمت رسل صاحب سيس بالحمل، بعدما أطلق مائتين وسبعين أسيرًا من المسلمين، قدموا حلب.

وفيها ولى جلال الدين محمد القزوينى خطابة دمشق، بعد وفاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى فى شوال.

وفيها أفرج الأمير سلار عن شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فى آخر يوم من رمضان، بعدما جمع القضاة والفقهاء، وبعثوا إليه ليحضر من الاعتقال فامتنع، وترددت إليه الرسل مرارًا فلم يحضر، وانفضوا من عند سلار. فاستدعى بأخويه شرف الدين عبد

---

(١) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق. انظر: معجم البلدان ٢٩٥/٤.

ا لله وزين الدين عبد الرحمن، وجرى بينهما وبين القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى كلام كثير. ثم اجتمع شرف الدين والمالكى ثانيًا عند الأمير سلار، وحضر ابن عدلان، وتفرقوا عن غير شىء.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن عبد الكافى بن عبد الوهاب البلينى[١] الشافعى، أحد نواب القضاة الشافعية خارج القاهرة، وكان صالحا دينًا فاضلا.

ومات الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا الأذرعى الحنفى الدمشقى، محتسب دمشق ووزيرها.

ومات الأمير عز الدين أيبك الطويل الخازندار المنصورى، فى حادى عشر ربيع الأول بدمشق، وكان كثير البر دينا.

ومات الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى، أصله من مماليك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، وصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فترقى فى الخدم حتى صار من أكبر الأمراء، وخرج إلى الغزاة غير مرة، وعرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأى وكثرة المعروف، ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى، زوأشار بعود الناصر محمد بن قلاوون فأعيد، ومات بعدما استرجع إقطاعه بالقاهرة فى ربيع الأول، عن ثمانين سنة، وهو آخر الصالحية، وإليه ينسب قصر أمير سلاح بالقاهرة.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصورى، ولى نيابة قلعة صفد وشد الدواوين بدمشق ثم نيابة قلعتها، ومات وهو نائب حمص بها وكان خيرا.

ومات الشيخ سيف الدين الرجيحى بن سابق بن هلال ابن الشيخ يونس اليونسى شيخ الفقراء اليونسية[٢] قدم من العراق، فصارت له حرمة وافرة فى الأيام المنصورية قلاوون حتى مات، وله أتباع كثيرة، فخلفه ابنه حسام الدين فضل.

ومات الطواشى شمس الدين صواب السهيلى بالكرك عن مائة سنة، وكان له بر ومعروف.

---

(١) البلينى: نسبة إلى بلدة البلينا التابعة لمديرية جرجا الحالية. انظر: الخطط التوفيقية ٨٢/٩.

(٢) هذه الطائفة من الروافض، ومؤسسها هو يونس بن عبد الرحمن القمى. انظر:خطط المقريزى ٣٤٥/٢.

ومات ضياء الدين عبد العزيز محمد بن على الطوسى[١] الشافعى، بدمشق فى تاسع عشرى جمادى الأولى، وله شرح الحاوى فى الفقه، وشرح مختصر ابن الحاجب، ودرس مدة بدمشق.

ومات بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلى العمرى، أخو كاتبى السر شرف الدين عبد الوهاب ومحى الدين يحيى، وقد جاوز سبعين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى خطيب دمشق، فجأة فى ثامن شوال، وكان صالحا معتقدًا.

ومات محمد بن عبد العظيم بن على بن سالم القاضى جمال الدين أبو بكر بن السفطى الشافعى، ولد سنة ثمان عشرة وستمائة، وناب فى الحكم بالقاهرة أربعين سنة، ثم تعفف عن الحكم، ومات بالقاهرة ليلة الإثنين جمادى عشر شعبان.

ومات الأمير فارس الدين أصلم الردادى فى رابع ذى القعدة بدمشق. وفى نصف ذى القعدة مات الأمير سيف الدين كاوركا المنصورى.

ومات الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورى بالقاهرة، فى سابع عشر ذى الحجة. ومات الطواشى عز الدين دينار العزيزى الخازندار الظاهرى، يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول، وكان خيرًا دينار محبا لأهل الخير، وكان دوادار الملك الناصر وناظر أوقاف الملك الظاهر.

ومات ملك المغرب أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة، وثب عليه سعادة الخصى أحد مواليه فى بعض حجره، وقد خضب رجليه بالحناء وهو مستلق على قفاه، فطعنه طعنات قطع بها أمعاءه، وخرج فأدرك وقتل، فمات السلطان آخر يوم الأربعاء سابع ذى القعدة، وأقيم بعده أبو ثابت عامر ابن الأمير أبى عامر بن السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق[٢]، فكانت مدته إحدى وعشرين سنة.

* * *

---

(١) عبد العزيز بن محمد بن على الطوسى، ضياء الدين، أبو محمد: من فقهاء الشافعية. أصله من طوس. سكن دمشق، ودرس وتوفى بها. له «مصباح الحاوى ومفتاح الفتاوى». انظر: السبكى ٦/ ١٢٥ والدارس ٤٧١/١ والكتبخانه ٢ /٢٥٦ والأعلام ٢٦/٤.

(٢) عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المرينى، السلطان أبو ثابت: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى. أقام بطنجة، فمرض ومات بها. ودفن فى رباط الفتح. انظر: الاستقصا ٤٤ والحلل الموشية ١٣٣ وجذوة الاقتباس ٢٧٥ والدرر الكامنة ٢٣٥/٢ والأعلام ٢٥٣/٣.

سنة سبع وسبعمائة

فيها ورد الخبر بأن الملك المؤيد هزبر الدين داود ملك اليمن كثر ظلمه للتجار، وأخذ أموالهم، وترك إرسال الهدية إلى مصر على العادة بعد أن عزم على تجهيزها، وقصد أن يبعث الأموال إلى مكة ليقدم اسمه على اسم سلطان مصر فى الدعاء. فكتب إليه من قبل السلطان ومن قبل الخليفة أبى الربيع سليمان بالإنذار والإرهاب، وجهزا على يد نجاب ورسم لكل من الأمراء المقدمين بعمارة مركب يقال لها جلبة، وعمارة قياسة[1] لطيفة يقال لها فلوة برسم حمل الأزواد وغيرها، وتفسير ذلك إلى الطور على الظهر ليرمى على بحر القلزم، لغزو بلاد اليمن. فاشترك كل أمير مقدم ألف ومضافيه فى عمل جلبة وفلوة، وندب لعملها الأمير عز الدين أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين، وسافر إلى قوص.

وفيها ضجر السلطان من تحكم الأميرين بيبرس وسلار عليه، ومنعه من التصرف، وضيق يده؛ وشكا ذلك لخاصكيته. واستدعى الأمير بكتمر الجوكندار أمير جاندار فى خفية، وأعلمه بما عزم عليه من القيام على الأميرين، فقرر الأمير أن القلعة إذا أغلقت فى الليل، وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة، و لبست مماليك السلطان السلاح، وركبت الخيول من الإسطبل، وسارت إلى إسطبلات الأمراء، ودقت كوسات السلطان بالقلعة دقا حربيا ليجتمع تحت القلعة من هو فى طاعة السلطان، ويجبهم بكتمر الجوكندار فى عدة على بيتى بيبرس وسلار بالقلعة، ويأخذونهما. وكان لكل من بيرس وسلار أعين عند السلطان، فبلغهما ذلك فاحترسا، وأمرا الأمير سيف الدين بلبان الدمشقى والى القلعة - وكان حصيصًا بهما - أن يوهم أنه أغلق باب القلعة، ويطرف أقفالها، ويعبر بالمفاتيح على العادة، ففعل ذلك. وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم، وانتظروا بكتمر الجوكندار أن يحضر إليهم فلم يحضر، وبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس وسلار، قد حلف لها على القيام معهما. فلما طلع النهار ظن السلطان أن بكتمر قد غدر به، وترقب المكروه من الأمراء.

وأما بكتمر فإن بيبرس وسلار لما بلغهما الخبر خرجا إلى دار النيابة بالقلعة، وعزم بيبرس أن يهجم على بكتمر ويقتله، فمنعه سلار لما كان عنده من التثبت والتؤدة، وأشار بالإرسال إليه ليحضر حتى تبطل حركة السلطان. فلما أتاه الرسول تحير وقصد

---

(١) على هامش ط: القياسة - والجمع قيابيس - سفينة تستعمل للإبحار فى المياه القليلة العمق، كشواطئ البحار، وتكون عادة عريضة المساحة، قليلة الارتفاع، بطيئة السير.

الامتناع، ولبس مماليكه السلاح، ثم منعهم وخرج، فعنفه سلار ولامه على ما قصد. فأنكر وحلف لهم على أنه معهم، وأقام إلى الصباح، ودخل مع الأمراء إلى الخدمة عند الأمير سلار. ووقف ألزام بيبرس وسلار على خيولهم بباب الإسطبل مترقبين خروج المماليك السلطانية، و لم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة السلطان، وتشاوروا. وقد أشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان، أو إخراجه إلى الكرك، فلم تفتح الأسواق، وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة، وبقي الأمراء نهارهم مجتمعين، وبعثوا بالاحتراس على السلطان خوفا من نزوله من باب السر. وألبسوا عدة مماليك، وأوقفوهم مع الأمير سيف الدين سمك أخي سلار على باب الإسطبل.

فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حس وحركة من قيام المماليك السلطانية ولبسهم السلاح، لينزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل، وتوقعوا الحرب، فمنعهم السلطان من ذلك، وأراد سمك إقامة الحرمة، فرمى بالنشاب وضرب الطبل، فوقع سهم بالرفرف[1] السلطاني. واستمر الحال على ذلك إلى آذان العصر من الغد، فبعث السلطان إلى الأمراء يقول: «ما سبب الركوب على باب إسطبلي؟ إن كان غرضكم في الملك فهل أنا متطلع إليه؟ فخذوه وابعثوني أي موضع أردتم». فردوا الجواب مع الأمير بيبرس الدوادار والأمير عز الدين أيبك الخازندار والأمير برلغي الأشرفي، بأن «السبب هو من عند السلطان من المماليك الذين يحرضونه على الأمراء»، فعتبهم على ما هو فيه، وأنكر أن يكون أحد من مماليكه ذكر له شيئًا عن الأمراء.

وفي عودهم من عند السلطان وقعت ضجة بالقلعة سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر، فلما رأوا السلطان قد وقف بالرفرف، وحواشي بيبرس وسلار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرين، حنقوا من هذا وصرخوا، ثم حملوا يدًا واحدة على الأمراء بباب الإسطبل، وهم يقولون: «يا ناصر! يا منصور!». فأراد سمك قتالهم،فمنعه من معه من الأمراء. وبلغ ذلك بيبرس وسلار، فأرسل الأمير سيف الدين تخاص المنصوري في عدة مماليك إلى العامة فضربوهم بالدبابيس ليتفرقوا؛ فاشتد صياحهم، «يا ناصر! يا منصور!»، وتكاثر جمعهم ودعاؤهم للسلطان، وصاروا يقولون: «الله يخون من يخون ابن قلاوون»، وحملت طائفة منهم على بتخاص ورجمته طائفة أخرى، فجرد السيف ليضعه فيهم، ثم خشي العاقبة وأخذ يلاطفهم، وقال: «طيبوا خواطركم، فإن السلطان قد طاب خاطره على الأمراء»، ومازال بهم حتى تفرقوا وعاد.

فبعث الأمراء ثانيًا إلى السلطان بأنهم مماليكه وفي طاعته، ولابد من إخراج الشباب

---

(١) الرفرف السلطاني موضع بطرف القلعة الجنوبي. انظر: خطط المقريزي، ٢/٢١٢.

الذين يرمون الفتن، فامتنع من ذلك واشتد، فمازال به بيبرس الدوادار وبرلغى حتى أخرج بهم إلى الأمراء، وهم يبلغا الترجمانى وأيدمر المرتد وخاص ترك. فهددهم بيبرس وسلار ووبخاهم وقصدا تقييدهم، فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر السلطان، وأخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد. ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبلوا الأرض، ثم قبلوا يده، فأفيضت عليهم الخلع، وعلى الأمير بيبرس وسلار فى ثالثه.

ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب فى أمرائه إلى الجبل الأحمر: حتى تطمئن قلوب العامة ويعلموا أن الفتنة خمدت، فأجاب وخرجوا. وبات السلطان فى قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه، وركب من الغد بالأمراء إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر، وعاد بعدما قال بيبرس وسلار: «إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار» وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس وحادثه، فتذكر غدره به، وشق عليه ذلك. فتلطفوا به فى أمره فقال: «وا لله ما بقيت لى عين تنظر إليه، ومتى أقام فى مصر لا جلست على كرسى الملك أبدًا»؛ فأخرج من وقته إلى قلعة الصبيبة فى خامس عشره، واستقر عوضه أمير جاندار بدر الدين بكتوت الفتاح، فلما مات سنقر شاه نائب صفد استقر عوضه بكتمر الجوكندار. وتوجه الأمير كراى المنصورى إلى بلدة أدفو بالصعيد، وهو حنق على الأمير بيبرس الجاشنكير.

وفيها عمر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانكاه الركنية موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، ووقف عليها أوقافا جليلة، فمات قبل فتحها، وأغلقها الملك الناصر مدة، ثم أمر بفتحها ففتحت، ورتب فيها عدة من الصوفية. وبنى بيبرس أيضًا تربة بها، فاستمرت مغلقة إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة. وأنشأ الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق جامعًا بصالحية دمشق، وبعث يسأل فى أرض يوقفها عليه، فأجيب بأنه يعين ما يختار.

وقدم البريد من حلب بوصول الأمير فتح الدين بن صبرة، وقد خلص من بلاد التتار، ومعه جماعة ممن أسر من الأجناد فى نوبة سيس؛ فأعيد له إقطاعه على عادته.

وورد كتاب الأمير كراى المنصورى بالشكوى من والى قوص، ومن غده قدم كتاب متولى قوص بأن كراى ظلم فلاحيه بأدفو[1]، وأخذ دوابهم، وعمل زادًا كبيرًا ليتوجه إلى بلاد السودان؛ فكتب لكراى بالحضور سريعًا، وكتب لوالى قوص بالاحتراس على كراى وأخذ الطرقات من كل جانب.

وفيها أحضرت خاصكية السلطان من القدس، وذلك أن الأمير أقوش الأفرم نائب

(١) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى؛ بين أسوان وقوص. انظر: معجم البلدان ٢١٨/١.

الشام بعث إلى الأميرين بيبرس وسلار يلومهما على ما وقع من نفى خاصكية السلطان ويشير بردهم، وأنه متى لم يرسم بردهم حضر بنفسه وأعادهم. فلم يسعهما إلا إحضارهم، وأنعم على كل من يلبغا التركمانى وألطنبغا الصالحى وبلبان الزراق بإمرة عشرة. واستقر شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة فى نظر المارستان المنصورى. وقدم الأمير كراى من الصعيد فتمارض فى بيته، ولم يطلع إلى القلعة، ثم سأل الإعفاء من الإمرة، وأن يقيم بالقدس بطالا[1]، واعتذر بكثرة أمراضه، فأجيب إلى ذلك، وولى نظر القدس والخيل بحارٍ يقوم بكفايته، وتوجه من القاهرة؛ فأنعم بإقطاعه على الأمير سيف الدين بتخاص المنصورى.

وفيها وقع الاهتمام بالسفر إلى اليمن، وعول الأمير سلار على أن يتوجه إليها بنفسه: وذلك أنه خشى من أن السلطان يدبر عليه حيلة أخرى، وقد لا يتهيأ له إفسادها فيؤخذ، ومع ذلك فإنه شق عليه ما صار فيه الأمير بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خواشداشيته البرجية، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء، واشتدت شوكة بيبرس بهم، وعظمت مهابته وانبسطت يده فى التحكم، بحيث إنه أخرج الجاولى بغير اختيار سلار، وانفرد بالركوب فى جمع عظيم. وقد قصد البرجية فى نوبة بكتمر الجوكندار أن يخرج السلطان إلى الكرك، ويسلطن بيبرس لولا ما كان من صنع سلار بسياسة وتدبير حتى وقع الصلح مع السلطان. فخاف سلار عواقب الأمور مع السلطان ومع بيبرس، وتحيل فى الخلاص من ذلك بأنه يحج فى جماعة من ألزامه وأتباعه، ثم يسير إلى اليمن ويتملكها ويتمنع[2] بها. ففطن بيبرس بهذا، ودس إليه من الأمراء من ثنى عزمه عن ذلك. وشرع فى الاهتمام بعمل المراكب حتى تنجزت، وجهزت الأسلحة والأمتعة؛ ثم اقتضى الرأى تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن، فكتب بحضور شاد الدواوين فقدم وهو مريض، ومازال منقطعا بداره حتى مات، وعين الأمير سيف الدين نوغاى القبجاقى أمير الركب، وخرج بالحاج على العادة.

وقدم البريد من حلب بقتل هيتوم متملك سيس على يد بعض أمراء المغل: وذلك أن هيتوم كان يحمل القطعية إلى المغل كما يحملها إلى مصر، ويحضر إليه كل سنة أمير من أمرائهم حتى يتسلم الحمل؛ فحضر إليه من أمراء المغل برلغوا، وقد أسلم وحسن إسلامه، فعزم على بناء جامع بسيس يعلن فيه بالآذان، كما تجهر هناك النصارى بضرب النواقيس. فشق ذلك على هيتوم، وكتب إلى خربندا بأن برلغوا يريد اللحاق بأهل مصر،

(١) على هامش ط: البطال معناه الأمير الذى يزول عنه إقطاعه بعزله عن وظيفته ونفيه.

(٢) المراد يحتمى بها. انظر: محيط المحيط.

وبناء جامع بسيس. فبعث خربندا بالإنكار على برلغوا، وتهدده وألزمه بالحضور، فغضب برلغوا من هيتوم، وصنع طعامًا ودعاه، ولم يكن عنده علم بأن برلغوا اطلع على شكواه منه لخربندا، فحضر وهو آمن فى جماعة من أكابر الأرمن وإخوان له. فعندما مدوا أيديهم إلى الطعام أخذتهم السيوف من كل جانب، فقتلوا عن آخرهم، ولم ينج سوى أخوه ليفون فى نفر قليل، فلحق بخربندا وأعلمه بقتل برلغوا لأخيه هيتوم وأمرائه، وقدم عليه أيضًا برلغوا، فقتله بقتله هيتوم، وولى ليفون مملكة سيس وسيرة إليها.

وفيها بعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب الشام عدة عسكر إلى الرحبة[1]، مع الأمير علاء الدين أيدغدى شقير مملوك منكوتمر، وردفه بالأمير قطلوبك الكبير، ثم بالأمير بهادر آص.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعًا وإحدى وعشرين إصبعًا: وهب فى برمهات الموافق لشوال من جهة الغرب ريح عند إدراك الغلال، فهافت وحف أكثرها، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير، ومنها ما كان أقل من بذاره. فتميز سعر الغلة، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهما، ثم انحط.

وفيها استقر الأمير بيبرس العلائى الحاجب فى نيابة غزة، عوضًا عن الأمير أقجبار.

وفيها سار من دمشق إلى الرحبة عسكر عليه الأمير علاء الدين أيدغدى الشقيرى، والأمير سيف قطلوبك والأمير بهادر آص.

وفى العشرين من رجب: توجه الأمير جمال الدين أقوش نائب الشام لزيارة القدس، ومعه جماعة من أعيان دمشق، وعاد فى تاسع شعبان.

وفى سابع عشرين رجب: توجه ركب العمار إلى مكة، صحبة الأمير عز الدين الكوكندى، وكان معهم الشيخ نجم الدين بن عبود، والشيخ نجم الدين بن الرفعة.

وفيها خرج الأمير شرف الدين أحمد بن قيصر التركمانى والأمير بدر الدين بيليك المحسنى برقا[2] فى شوال.

وفيها قدم الأمير مهنا بن عيسى، فأكرمه السلطان وأخلع عليه، فتحدث فى خلاص شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فأجيب، وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجه منه. ونزل ابن تيمية بدار الأمير سلار النائب، وعقد له مجلس حضره ابن الرفعة والتاجى وابن عدلان والنمراوى وجماعة الفقهاء، ولم تحضره القضاة، وناظروا

---

(١) قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة. انظر: معجم البلدان ٣٣/٣.

(٢) المقصود إقليم برقة المعروف. انظر: معجم البلدان ٥٦٩/١.

ابن تيمية ثم انفضوا، ثم عقد له بعد سفر مهنا بن عيسى مجلس آخر بالصالحية. ثم قام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء[١]، وشيخ سعيد السعداء، وجمعوا فوق الخمسمائة رجل، وساروا إلى القلعة وتبعهم العامة، وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم فى مشايخ الطريقة؛ فرد أمرهم إلى القاضى الشافعى، فدفعه إلى تقى الدين على ابن الزواوى المالكى، فحكم بسفر ابن تيمية إلى الشام، فسار على البريد وحبس بها.

وفيها بنى الأمير أسندمر نائب طرابلس قلعة مكان حصن صنجيل، وبنى الأمير قراسنقر نائب حلب قلعة حارم التى خربها هولاكو.

* * *

ومات فى هذه السنة

الأمير عز الدين أيدمر السنانى بدمشق، وله شعر جيد ومعرفة بتعبير المنامات، ومن شعره:

تَخِذ النسيم الحبيب رسولا   دنف حكاه رقةً ونحولا
تجرى العيون من العيون صبابة   فيسيل فى أثر الغريق سيولا
ويقول من حسد له يا ليتنى   كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومات الأمير سيف الدين بيبغا الناصرى فى شعبان، وترك مالا كبيرًا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس الجالق[٢] العجمى أحد البرجية الصالحية[٣]، و كبير الأمراء بدمشق، عن نحو الثمانين سنة، فى نصف جمادى الأولى بمدينة الرملة[٤]، وكان

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الإسكندرى متصوف شاذلى، من العلماء. له تصانيف منها (الحكم العطائية) توفى بالقاهرة. انظر: الدرر الكامنة ٢٧٣/١ والرحلة العياشية ٣٥٧/١ وكشف الظنون ٦٧٥ وخطط مبارك ٦٩/٧ والفهرس التمهيدى والأعلام ٢٢٢/١.

(٢) على هامش ط: الجالق لفظ تركى معناه الفرس الحاد المزاج الكثير اللعب.

(٣) نسبة إلى الملك الصالح أيوب.

(٤) الرملة: بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين، وهى مدينة مسورة ولها اثنا عشر بابًا: باب القدس، وباب عسقلان، وباب يافا، وباب يازور، وباب نابلس، ولها أربعة أسواق متصلة من هذه الأبواب إلى وسطها وهناك مسجد جامعها، فمن باب يافا يدخل فى سوق القماحين حتى يتصل بمسجد جامعها، وهى سوق حسنة يباع فيها أنواع السلع، ويتصل بباب القدس سوق القطانين إلى سوق المشاطين الكبار إلى العطارين إلى المسجد الجامع، ويتصل سوق الخشابين من باب يازور ثم سوق الجزارين ثم السقائين إلى المسجد الجامع، ويتصل سوق الخشابين من باب يازور بآخر من=

دينا له ثروة وفيه خير: كان يقرض الأجناد عند تجردهم، ويمهلهم حتى يتيسر لهم، فعدم له فى ذلك مال كبير.

ومات شمس الدين خضر بن الحلبى المعروف بشلحونة والى القاهرة، وكان أبوه خازندار السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق، وقدم الخضر إلى القاهرة، واستقر فى ولايتها فى الأيام الظاهرية بيبرس والأيام المنصورية قلاوون، ثم نقله الأشرف خليل بن قلاوون إلى شد الدواوين، وكان ناهضًا أمينًا فى جميع ما يليه، مع المعرفة والديانة والمروءة، وكان إذا أراد أن يضرب أحدًا قال «شلحونه»، فعرف بذلك.

ومات خطلو شاه نائب التتر؛ وكان مقدمهم يوم شقحب؛ وكان كافرًا فاجرًا.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى البيسرى، أحد أمراء دمشق، ليلة الإثنين ثانى جمادى الأولى، وكانت له مروءة وشجاعة.

ومات الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم المماليك، وكانت له سطوة ومهابة.

ومات الشيخ عمر بن يعقوب بن أحمد السعودى، فى يوم الأربعاء ثانى رجب، وكان رجلا صالحا معتقدًا.

ومات الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا - ومولده فى تاسع شعبان سنة أربعين وستمائة، وجده لأمه الوزير شرف الدين صاعد الفائزى - فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة.

ومات شرف الدين محمد بن فتح عبد الله بن فتح الدين عبد الله بن محمد بن محمد ابن أحمد بن خالد القيسرانى، أحد موقعى الإنشاء بالقاهرة، فى أول شعبان.

ومات أبو عبد الله بن مطرف الأندلسى، بمكة فى رمضان عن نيف وتسعين سنة، وقد جاور بها ستين سنة، وصار شيخ الحرم، فحمل الشريف حميضة نعشه.

ومات الشيخ عثمان بن جوشن السعودى.

=أسواقها: سوق الأكافين وسوق الصيافلة ثم سوق السراجين إلى المسجد الجامع، ويقال إن الرملة أربعة آلاف ضيعة، وبين الرملة وإيليا ثمانية عشر ميلاً فى صحار ووهاد. وبمدينة الرملة نزل صالح النبى عليه السلام ومن آمن معه بعد أن أهلك قومه حين عقروا الناقة، وقيل لما رأى أنها دار قد سخط الله عليها ارتحل هو ومن معه وأهلوا بالحج حتى وردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فقبورهم فى غربى الكعبة بين دار الندوة والحجر. انظر: معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، وصبح الأعشى ٩٩/٤، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥.

ومات الشيخ عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ظافر الشيرازى المصرى، فى خامس ربيع الأول، ومولده فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة.

ومات قاضى القضاة جمال الدين أبو بكر محمد بن العظيم بن على بن سالم بن السقطى الشافعى، فى ليلة الإثنين حادى عشر شعبان؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وأخرج له التقى الأسعردى مشيخة.

* * *

سنة ثمان وسبعمائة

فى أولها قدم مبشرو الحاج بأن الأمير نوغاى حارب العبيد بمكة: وذلك أنهم كثر تخطفهم أموال التجار، وأخذهم من الناس بالغصب ما أرادوا، فلما وقف بعضهم على تاجر ليأخذ قماشه منعه، فضربه ضربا مبرحا، فثار الناس وتصايحوا. فبعث نوغاى مماليكه إلى العبيد، فأمسكوا بعضهم وفر باقيهم بعدما جرحوا، فركب الشريف حميضة بالأشراف والعبيد للحرب، وركب نوغاى بمن معه، ونادى ألا يخرج أحد من الحاج وليحفظ متاعه، وساق فإذا طائفة من السرويين[1] قد فروا من الخوف إلى الجبل. فقتل منهم جماعة ظنا أنهم من العبيد، فكف حميضة عن القتال؛ وما زال الناس بنوغاى حتى أمسك عن الشر.

وقدم البريد من حلب بأن طائفة من المغل قدموا إلى الفرات، فخرج العسكر إليهم، فلما ساروا سقط الطائر من قلعة كركر بنزول المغل عليها ونهب التركمان وأخذهم، فكتب إلى العسكر المجرد بنجدتهم، فكسبوا المغل فى الليل وقتلوهم، واستردوا ما أخذوه من كركر، وأسروا منهم ستين رجلا، وغنموا عدة خيول.

وفيها أفرج عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من البرج بالقلعة، وأسكن بدار الأمير عز الدين الأفرم بمصر، فى ربيع الأول.

وفى ثالث ربيع الآخر: فوضيت الخطابة بجامع قلعة الجبل لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضًا عن الشيخ شمس الدين محمد الجزرى.

وفيها وصلت رسل سيس بالحمل على العادة، ومن جملته طشت ذهب مرصع بالجوهر.

وفيها عدى السلطان إلى بر الجيزة، وأقام يتصدى نحو عشرين يومًا، وعاد وقد ضاق صدره واشتد حنقه، وصار فى غاية الحصر من تحكم بيبرس وسلار عليه، وعدم تصرفه ومنعه من كل ما يريد حتى إنه ما يصل إلى ما يشتهى أكله لقلة المرتب، فلولا ما كان يتحصل له من أوقاف أبيه لما وجد سبيلا إلى بلوغ بعض أغراضه. فأخذ فى العمل لنفسه. وأظهر أنه يريد الحج بعياله، وحدث بيبرس وسلار فى ذلك يوم النصف

---

(١) السرويى: من هم أهل رية سرو، وهى قرية كبيرة مما يلى مكة. انظر معجم البلدان ٨٦/٣، ٨٧.

من رمضان، فوافقاه عليه. وأعجب البرجية سفره لينالوا أغراضهم، وشرعوا فى تجهيزه، وكتبوا إلى دمشق والكرك وغيره برمى الإقامات، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير، فتهيأ ذلك. وأحضر الأمراء تقادمهم وتأنقوا فيها، فقلبها السلطان وشكرهم على ذلك؛ وركب فى خامس عشرى رمضان يريد السفر، ونزل من القلعة ومعه الأمراء؛ وخرج العامة وتباكوا حوله، وتأسفوا على فراقه، ودعوا له إلى أن نزل بركة الحاج. وتعين للسفر معه من الأمراء عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار عوضًا عن الجاولى، وسيف الدين آل ملك الجوكندار. وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس، وسيف الدين بلبان أمير جاندار، وعز الدين أيبك الرومى السلاح دار، وركن الدين بيبرس الأحمدى، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وسيف الدين يقطاى الساقى، وشمس الدين سنقر السعدى النقيب، ومن المماليك خمسة وسبعون نفرًا. وودعه بيبرس وسلار فيمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من غير أن يترجلوا له، وعاد الأمراء.ورحل السلطان من ليلته، وعرج إلى جهة الصالحية وعيد بها، وسار إلى الكرك ومعه رحل الخاص مائة وخمسون فرسًا، فقدمها يوم الأحد عاشر شوال. فاحتفل الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك بقدومه، وقام بما يليق به، وزين القلعة والمدينة، وفتح باب السر ومد الجسر، وكان له مدة لم يمد، وقد سار خشبه، فلما عبرت الدواب عليه، وأتى السلطان فى آخرهم انكسر الجسر تحت رجلى فرسه بعد ما تعدى يديه الجسر، فكاد يسقط إلى الخندق لولا أنهم جبدوا العنان حتى خرج من الجسر وهو سالم؛ وسقط الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، وجماعة لم يمت منهم سوى رجل واحد.

وعندما استقر السلطان بقلعة الكرك عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك، وترك السلطنة ليستريح خاطره؛ فشق عليهم ذلك، وبكوا وقبلوا له الأرض يتضرعون إليه فى ترك هذا الخاطر، وكشفوا رءوسهم فلم يرجع إليهم، وقال السلطان للخطيرى: «قد أخذ بيبرس الجاشنكير السلطنة ولابد»، ثم استدعى علاء الدين على بن أحمد بن سعيد بن الأثير، وكان قد توجه معه، وكتب إلى الأمراء بالسلام عليهم، وأنه رجع عن الحج وأقام بالكرك وترك السلطة، ويسأل الإنعام عليه بالكرك والشوبك، وأعطاه للأمراء وأمرهم بالعود، وأعطاهم الهجن - وعدتها خمسمائة هجين - والجمال والمال الذى قدمه له الأمراء؛ فساروا إلى القاهرة.

واستولى السلطان على ما كان فى الكرك من المال، وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار، وقيل بل وجد سبعة وعشرين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم. واستدعى أهل الكرك، فحلفهم له الأمير جمال الدين نائب الكرك، وأمرهم فحملوا له أحجارا كثيرة إلى القلعة، فلم يبق أحد حتى حمل إليه الحجارة من الوادى. فلما حصل

نائب الكرك والناس فى الوادى لنقل الحجارة، بعث السلطان إلى النائب أن يتوجه إلى مصر وينقل ماله بالكرك، وبين له أن أهل القلعة لا سبيل إلى مجاورتهم له بها ولا إقامتهم بالمدينة، «فإنى أعلم كيف باعوا الملك السعيد بن الظاهر بالمال لطرنطاى، وقد مكنت حريمهم وأولادهم من النزول إليهم». فامتثل النائب الأمر وأخذ حريمه، وقدم للسلطان ما كان له من الغلال وهى شىء كثير فقبلها، وأخذ أهل القلعة حريمهم وتفرقوا فى البلاد.

وأقام السلطان الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى فى نيابة قلعة الكرك، فصار هو وأخوه الحاج أرقطاى وأرغون الدوادار مقيمين على علو القلعة، وبعث إلى العرب الشوبك بأن يكونوا فى الخدمة برسم الصيد. وكان حريم السلطان قد توجه إلى الحجاز من القاهرة فى سابع عشر شوال، فلما دخل السلطان إلى الكرك بعث فى طلبهم، فأدركهم وهم على عقبة أيلة مع الأمير جمال الدين خضر بن نوكيه، فقدم بهم إلى الكرك.

ووصل الأمراء إلى قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشرى شوال، واجتمعوا عند الأمير سلار النائب بدار النيابة من القلعة، وقرئ كتاب السلطان عليهم فبهتوا، ثم اشتوروا فيمن يقوم بالملك، فاختار أكابر الأمراء سلار لقلعة وتودده، واختار البرجية بيبرس؛ فلم يجب سلار إلى ذلك، وخاف البرجية لئلا يجيب، فقاموا وانفض المجلس. وخلا كل من أصحاب بيرس وسلار بصاحبه، وحسن له القيام بالسلطنة، وخوفه عاقية تركها، وأنه متى ولى غيره لا يوافقوه بل يقاتلوه. وبات البرجية تغلى مراجلهم خوفا من ولاية سلار، وسعى بعضهم إلى بعض، وكانوا أكثر جمعًا من أصحاب سلار، وأعدوا السلاح وتأهبوا للحرب، فبلغ ذلك سلار فخشى سوء العاقبة، واستدعى الأمراء إخوته وحفدته ومن ينتمى إليه، وقرر مع عقلائهم سرا موافقته على ما يشير به - وكان مطاعا فيهم - فأجابوه، ثم خرج إلى شباك النيابة.

* * *

السلطان الملك المظفر
ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصورى[١]

جلس على تخت الملك فى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة، وذلك أنه لما أصبح يوم السبت جلس الأمير سلار النائب بشباك دار النيابة، وحضر

---

(١) بيبرس الجاشنكير المنصورى ركن الدين الملك المظفر من سلاطين المماليك بمصر والشام شركسى الأصل على الأرجح كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه انظر: النجوم الزاهرة ٢٣٢/٨ ، ٢٧٦ والأعلام ٧٩/٢ ، ٨٠.

بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء واشتوروا فيمن يلى السلطنة. فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدوادارى والأمير أيبك الخازندار، وهم أكابر المنصورية: «ينبغى استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم بما وقع» فخرج الطلب لهم وحضروا، فقرئ عليهم كتاب السلطان، وشهد عند قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى الأميران عز الدين الخطيرى والحاج آل ملك، ومن كان معهم من الأمراء، بنزول الملك الناصر عن المملكة وترك سلطنة مصر والشام، فأثبت ذلك. وأعيد الكلام فيمن يصلح، فأشار الأمراء الأكابر بالأمير سلار، فقال: «نعم! على شرط أن كل ما أشير به لا تخالفوه» وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته، وألا يخالفوه فى شىء. فقلق البرجية ولم تبق إلا إقامتهم الفتنة، فكفهم الله عن ذلك وانقضى الحلف. فقال سلار: «والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك، ولا يصلح له إلا أخى هذا» وأشار إلى بيبرس الجاشنكير، ونهض قائما إليه؛ فتسارع البرجية وقالوا بأجمعهم: «صدق الأمير» وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كرها، وصاحوا بالجاوشية فصرخوا باسمه. وكان فرس النوبة عند الشباك. فألبسوه تشريف الخلافة: وهى فرجية أطلس أسود وطرحة، وتقلد بسيفين على العادة. ومشى سلار والناس بين يديه من دار النيابة بعد العصر حتى ركب، وعبر باب القلعة إلى الإيوان؛ وجلس على التخت، ولقب بالملك المظفر، وصار يبكى بحيث يراه الناس. ثم قام إلى القصر، وتفرق الناس بعدما ظنوا كل ظن من وقوع الحرب بين السلارية والبيبرسية. فكانت مدة سلطنة الملك الناصر هذه عشر سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما.

ولما استقر الملك المظفر فى مملكة مصر اجتمع الأمراء بالخدمة على العادة فى يوم الإثنين خامس عشريه؛ فأظهر التغمم بما صار إليه، وخلع على الأمير سلار خلعة النيابة على عادته، بعدما استعفى وطلب أن يكون من جملة الأمراء، حتى قال له: «إن لم تكن أنت نائبًا فلا أعمل أنا السلطنة»، وقامت عليه الأمراء. ثم كتب إلى الأعمال باستقرار الملك المظفر فى السلطنة، وتوجه الأمير بيبرس الأحمدى إلى حلب، والأمير بلاط إلى حماة، والأمير عز الدين أيبك البغدادى وزير بغداد وسيف الدين ساطى إلى دمشق على البريد.

وطلب التاج بن سعيد الدولة، وعرضت عليه الوزارة؛ فامتنع منها وصمم، وأشار باستمرار الصاحب ضياء الدين النشائى، فخلع عليه وعلى التاج. واستمر ابن سعيد الدولة فى نظر الجيش، والإشارة فى أمر الوزارة والتوقيع، ونزلا. وقد عظم أمر التاج حتى كانت تعرض عليه أجوبة النواب، ولا يكتب السلطان على شىء ما لم يره خطه،

فشق ذلك على شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر، وخيل السلطان من حدوث الفساد بسبب ذلك، فمنعه من الوقوف على الأجوبة والكتابة عليها، وأمضى له ماعدا ذلك.

وكتب للملك الناصر تقليد بنيابة الكرك ومنشور بإقطاع مائة فارس، وجهز إليه وقرن بهما كتاب الملك المظفر: «بأنى أجبت سؤالك فيما اخترته، وقد حكم الأمراء على فلم تمكن مخالفتهم، وأنا نائبك» وخرج بها الأمير الحاج آل ملك فلما وصل إليه أظهر البشر، وأمر الحراس أن يصيحوا باسم الملك المظفر، وخطب له يوم الجمعة أيضًا على منبر الكرك، وأنعم على البريدى وأعاده؛ فسر المظفر بذلك.

وقدم البريد من ممالك الشام بالطاعة وحلفهم، ماعدا الأفرم نائب دمشق. فإنه لما قدم عليه وزير بغداد بالخبر قال: «بئس والله ما فعله الملك الناصر بنفسه!، وبئس ما فعله بيبرس! وأنا لا أحلف لبيبرس - وقد حلفت للملك الناصر - حتى أبعث إلى الناصر» ثم سير جماعة إلى الكرك على البريد بكتابه، فأعاد الناصر الجواب بالشكر والثناء، وأنه قد ترك الملك، فليحلف لمن يولونه، وقدم البريدى بذلك إلى دمشق فى يوم الخميس خامس عشر ذى القعدة، فاجتمع الناس من الغد بالجامع وقرئ تقليد الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام على عادته، وخلع على محيى الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر، وأنعم على الأمير برلغى بإقطاع السلطان قبل سلطنته، وأنعم بإقطاع برلغى على بتخاص، وبإقطاع بتخاص على الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك. وخطب للملك المظفر، ونودى بدمشق فزينت، وعاد وزير بغداد وساطى إلى القاهرة.

فركب الملك المظفر بشعار السلطنة بعدما جُدِّدت له الولاية بالسلطنة من الخليفة، وخلع على أرباب الدولة ما بين صاحب سَيفٍ وربِّ قلم، فبلغت عدة الخلع إلى ألف ومائتى خلعة. وكتب له تقليد السلطنة من إنشاء علاء الدين على بن عبد الظاهر، ونزل من قلعة الجبل بكرة يوم السبت سابع عشره، وسير بالميدان الأسود ومعه الأمراء وعليه التشريف: وهو فرجية سوداء بطرز ذهب وشاش أسود ملمع بقطع ذهب ولفته مدمورة، والسيفان على عاتقيه، والوزير ضياء الدين قدامه على فرس، والتقليد على رأسه فى كيس حرير أسود، بعدما قرئ بالقلعة على الأمراء.

وورد الخبر بأن متملك قبرس[1] اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين قطعة لغزو دمياط، فجمع السلطان الأمراء وشاورهم، فاتفقوا على عمل جسر ماد من القاهرة إلى دمياط خوفًا من نزول الفرنج أيام النيل، وندب لذلك الأمير جمال الدين

(١) على هامش ط: كان ملك قبرس تلك السنة هذى لوسيجنان.

أقوش الرومى الحسامى، وأمر ألا يراعى أحدًا من الأمراء فى تأخير رجال بلاده، ورسم للأمراء أن يخرج كل منهم الرجال والأبقار، وكتب إلى الولاة بالمساعدة والعمل، وأن يخرج كل وال برجاله. وكان أقوش مهابا عبوسا قليل الكلام، له حرمة فى قلوب الناس؛ فلم يصل إلى فارس كور حتى وجد ولاة العمل قد نصبوا الخيم وأحضروا الرجال، فاستدعى المهندسين ورتب العمل. فاستقر الحال على ثلاثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل، وأحضر إليه نواب جميع الأمراء. فكان يركب دائما لتفقد العمل واستحثاث الرجال، بحيث إنه فقد بعض الأيام شاد الأمير بدر الدين الفتاح ورجاله، فلما أتاه بعد طلبه ضربه نحو الخمسمائة عصاة. فلم يغب عنه بعد ذلك أحد، ونكل بكثير من مشايخ العربان. وضربهم بالمقارع وخزم آنافهم وقطع آذانهم، ولم يكد يسلم منه أحد من أجناد الأمراء ومشدى البلاد، وما زال يجتهد فى العمل حتى نجز فى أقل من شهر، وكان ابتداؤه من قلوب وآخره بدمياط، يسير عليه الراكب يومين، وعرضه من أعلاه أربع قصبات، ومن أسفله ست قصبات، يمشى ستة فرساى صفار واحدًا. وعم النفع به، فإن النيل كان فى أيام الزيادة يعلو حتى تنقطع الطرقات ويمتنع الوصول إلى دمياط. وحضر بعد فراغه الأمير أقوش إلى القاهرة، وخلع عليه وشكرت همته.

ووقع الاتفاق على عمل جسر آخر بطريق الإسكندرية، وندب لعمله الأمير سيف الدين الحرمكى، فعمر قناطر الجيزة إلى آخر الرمل تحت الهرمين، وكانت تهدمت، فعم النفع بعمارتها.

وورد الخبر بأن الخوارزمى والتليلى عادا من بلاد المغرب بهدية جليلة، وركب معهم الحاج، فخرج عليهم العربان وأخذوا سائر ما معهم حتى صاروا عراة. فخرج جماعة من الأجناد والمماليك إلى الإسكندرية ليتلقوا الرسل والحجاج، وساروا ومعهم نائب الإسكندرية إلى سوسة[1] فلقوهم بها وأحسنوا إليهم وإلى الحاج. وساروا بهم إلى القاهرة.

---

(١) سوسة: من بلاد إفريقية، وإليها تنسب الثياب الريقة السوسية، ويقال لها البيضاء، ومنها ركب أسد بن الفرات البحر غازيًا إلى صقلية فى الزمان الأول. وهى مدينة قديمة فيها آثار للأول، وهى على ساحل البحر، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب، وهو من أغرب البنيان، فيه أقباء معقودة بحجر النشف الذى يطفو فوق الماء المجلوب من بركان صقلية، وداخل المدينة هيكل عظيم يسميه البحريون الفنطاس، وهو أول ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلية وغيرها. وبين سوسة وحصن هرقلية ثمانية عشر ميلاً، وسوسة عامرة بالناس كثيرة المساجد، والمسافرون إليها قاصدون وعنها صادرون وبها المتاع الذى لا يوجد فى غيرها وأسواقها عامرة، ومياههم من المواجل، وعليها سور من حجر حصين. وكان بين أهلها وبين أهل المهدية فى القديم مشاحنة مشهورة، ومن المداعبات كان=

وفيها كثرت مرافعة أهل الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء فى شيخهم كريم الدين عبد الكريم الآملى، فقام عليه الشيخ نصر المنجنى قياما عظيما حتى صرف بقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

وفيها أطلقت حماة لنائبها الأمير سيف الدين قبجق، فعزل وولى.

وفيها صرف أمين الدين أبو بكر بن الرقاقى من نظر دمشق، وعاد إلى القاهرة.

* * *

ومات فى هذه السنة

علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبى الوحش بن أبى حليقة، رئيس الأطباء بمصر والشام، وترك مائى ألف دينار، وقيل ثلاثمائة ألف.

ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ظافر البرلسى ناظر بيت المال، فى خامس صفر بالقاهرة، وولى نظر بيت المال عوضه نور الدين الزواوى النائب المالكى.

ومات محيى الدين أحمد بن أبى الفتح بن باتكين، وكان يعانى الخدم الديوانية، وله شعر حسن وفضيلة، وعنده مفاكهة ومحاضرة جميلة، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، وعمى قبل موته، ومات بالقاهرة.

ومات الشهاب أحمد بن صادق القوصى، فى حادى عشر صفر بقوص، وكان فقيها شافعيا يوقع عن قاضى، وفيه تحرز وعنده يقظة.

ومات الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى، فى ليلة الجمعة سابع ذى القعدة، وقد حمل من قوص إلى القاهرة، بسبب قيامه فى هدم الكنائس حتى هدم العامة من قوص ثلاثة عشرة كنيسة، فعوق بالمسجد أياما ثم خلى عنه، فأقام بجامع عمرو بن العاص حتى مات، وبيعت ثيابه التى مات فيها بخمسين دينارًا، تفرقها أهل الزوايا.

ومات عثمان الحلبونى الصعيدى ببرزة خارج دمشق، وكانت له أحوال ومكاشفات.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة الطائى السوادى، فى يوم الثلاثاء

لا تلمنى على الدناءة إنى تونسى وحزت يومًا بسوسه

فيقال له: أى البلدين أعظم دناءة؟ والبيت المشهور إنما هو: وقد سكنت الجزيرة. وبالصين أيضا مدينة سوسة، وهى مشهورة مذكورة. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٩٠. والروض المعطار ٣٣١.

رابع عشرى ذى القعدة عن سبع وأربعين سنة، ودفن بالقرافة.

ومات ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد أبى السرور بن أبى النصر السامرى الدمشقى، أسلم فى الأيام المنصورية قلاوون، وتنقل فى الخدم الديوانية ولى نظر الجيش بدمشق، ثم انقطع فى داره حتى مات فى حادى عشرى رمضان، ومولده اثنتين وعشرين وستمائة، وكان جميلا لينًا متواضعًا محبا لأهل الخير، مواظبًا على الصلوات بجامع بنى أمية، فيه بر وصدقات مع العفة.

ومات شهاب الدين بن على الحسبنى، حدث بمصر عن ابن المقير وابن رواج والشاوى، ومات بها.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين، فى محرم بمصر. ومات الأمير علاء الدين الطبرس المنصورى والى باب القلعة الملقب بالمجنون، والمنسوب إليه العمارة فوق قنطرة المجنونة على الخليج الكبير خارج القاهرة، وكان عفيفا دينا، له أحكام قراقوشية مع تسلط على النساء، وكان يخرج أيام المواسم إلى القرافة وينكل بهن، فامتنعن من الخروج فى زمانه إلا لأمر مهم، مثل الحمام وغيره.

ومات الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس، فى خامس رجب بمصر، ومات ولده قبله بيوم.

ومات الشيخ المعتقد أحمد بن أبى القاسم المراغى، فى ليلة السبت ثانى المحرم بمصر.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الرشيدى أستادار النائب سلار، فى تاسع عشر شوال، وكان عاقلا له ثراء واسع وجاه عريض.

ومات ملك المغرب أبو ثابت عامر بن الأمير أبى عامر بن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، فى ثامن صفر، فبويع أخوه الربيع بن أبى عامر.

* * *

سنة تسع وسبعمائة

فيها قدم علاء الدين التليلى وأيدغدى من بلاد المغرب، ومعهما الشيخ أبو زكريا الليحانى متولى طرابلس الغرب وأبو إدريس عبد الحق المرينى يريدان الحج، فكانت غيبة النليلى ورفيقه ثلاث سنين وثلاثة أشهر فنزل اللحيانى بمناظر الكبش ورتب له ما يليق به.

وفيها بنى الأمير برغلى على ابنة السلطان، وعمل مهم عظيم خلع فيه على سائر الأمراء. وعزل الأمير بيبرس العلائى من نيابة عزة، واستقر عوضه بلبان البدرى. وكتب إلى دمشق بإبطال المقرر على الخمور بساحل الشام، وإراقتها وتعويض الجند بدلها. وقدم شمس الدين محمد بن عدلان من اليمن، وقد مات رفيقه سنقر السعدى.

وقدم الخبر بأن الملك الناصر كثير الركوب للصيد ببلاد الكرك فى مماليكه، فتخيل الملك المظفر من ذلك وخشى عاقبته. واتفق أنه قدم الخبر أيضًا بحركة خربندا للسير إلى بلاد الشام، فكتب إلى الملك الناصر بحركة خربندا، وقد دعت الحاجة إلى المال فيرسل ما أخذه معه من مال مصر، وما استولى عليه من حاصل الكرك، ومن عنده من المماليك ولا يدع عنده منهم سوى عشرة برسم الخدمة، ويرسل الخيول التى قادها من مصر، ومتى لم يفعل خرجت إليه العساكر حتى تخرب الكرك عليه. ورأى الناصر أن المغالطة أولى، وكتب الجواب: «المملوك محمد بن قلاوون يقبل الأرض، وينهى أنه ما قصد الإقامة إلا طلبا للسلامة، وإن مولانا السلطان هو الذى ربانى، وما أعرف لى والدًا غيره، وكل ما أنا فيه فمنه وعلى يديه، والقدر الذى أخذته من الكرك لأجل ما لا بد لى فيه من الكلف والنفقة. وقد امتثلت المرسوم الشريف وأرسلت نصف المبلغ الذى تأخر عندى امتثالا لأمر مولانا السلطان، وأما الخيل فقد مات بعضها، ولم يبق إلا ما أكبه؛ والمماليك فلم أترك عندى إلا من اختار أن يقيم معى، ممن هو مقطوع العلائق من الأهل والولد، فكيف يحل لى أن أخرجهم؟ وما بقى إلا إحسان مولانا السلطان». وكتب الناصر بأعلى الكتاب: «الملكى المظفرى»، وخلع على مغلطاى ودفع إليه الكتاب، وحمل معه مائتى ألف درهم، وأعاده وقد حمله مشافهة بمعنى جوابه، فقنع السلطان المظفر بيبرس بذلك.

وفيها قدم السلطان البرجية وأمر منهم جماعة كبيرة، وأراد أن يؤمر جماعة الأمير سلار فلم يوافق على ذلك، وحلف بأيمان مغلظة أنه لا يمكن أحدًا منهم أن يتأمر.

وفيها تفاوض كاتب السر شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله والتاج بن سعيد الدولة: وسبب ذلك أن التاج تزايد تحكمه فى الدولة، بحيث إنه لم يكتب لأحد توقيع برزقه أو براتب أو استخدم فى وظيفة حتى يكتب عليه، ثم شارك كاتب السر فى معرفة أجوبة النواب وغيرهم، فامتنع ابن فضل الله من ذلك، ورد عليه الجواب، وفيه «ولا كرامة أن يكون مطلعا على أسرار المملكة». ثم حدث ابن فضل الله الأمير سلار النائب فى ذلك، وقبح عنده أن يطلع رجل قبطى على أسرار المملكة وأخبار العدو وأنه لا يوافق على ذلك بوجه. فشق على سلار ما قصد التاج، وقام فى مساعدة ابن فضل الله، وما زال بالسلطان إلى أن منع التاج من الاطلاع على شىء من أمر ديوان الإنشاء، فاشتد غضبه وباين ابن فضل الله.

وقد قام البريد بإبطال سائر الخمارات، فسر السلطان بهذا، وعزم على أن يفعل مثل ذلك بديار مصر. وندب لذلك الأمير سيف الدين الشيخى أحد البرجية، وتقدم إليه ألا يراعى أحدًا من خشداشيته، ولا يدع بيتا بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمرًا إلا ويكبسه ويكسر ما فيه. وكان الشيخى فيه شدة وقوة نفس، فطلب والى القاهرة ومقدميها وأصحاب الأرباع[١]، وسألهم عن مواضع الخمر فلم يجيبوه، وأخفوا سائر المواضع، وضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على عصر العنب أو من عنده خمر، وكتب أسماءهم، فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار، وأخذ فى كبس البيوت: فكان الرجل لا يشعر إلا به فى مماليكه، وقد هجم عليه ومعه النجارون والبناءون لتفقد مطامير[٢] الخمر وإخراجها، فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها. فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد، وافتضح كثير من المستورين، ونهب من بيوتهم أشياء، لكثرة ما كان يجتمع من العامة، ولفرار صاحب البيت خوفًا على نفسه، وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم. وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض، وتشفى جماعة من أعاديهم بذلك. وكبست أيضًا دور اليهود والنصارى، وأريق ما فيها من الخمور وتعدى الأمر دون الأمراء، فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم، ومنها دار الأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى أحد أمراء الألوف من البرجية. فأزال

---

(١) على هامش ط: الأرباع جمع ربع، والمقصود بأصحاب الأرباع خفراء الليل فى أقسام البلد الآهلة بالسكان.

(٢) المطامير: حفر تحفر فى الأرض توسع أسافلها تخبأ فيها الحبوب، والمطمورة: وهى حفيرة تحت الأرض، أو مكان تحت الأرض قد هيئ خفيا يطمر فيها الطعام والمال، أى يخبأ، وقد طمرتها أى ملأتها. وطمر فى الأرض طمورا: ذهب. وطمر إذا تغيب واستخفى، وطمر الفرس والأخيل يطمر فى طيرانه. انظر: قاموس المحيط، ولسان العرب ٢٧٠٢.

ا لله بذلك فسادا كبيرًا، ووقع أيضًا بسببه من نهب الأموال فساد كبير؛ فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكف عنه.

وفي ربيع الأول: خسف جميع جرم القمر. وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر، فبرز الدهليز السلطانى إلى الريدانية.

وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثى[١] فى قضاء الحنابلة بالقاهرة، بعد موت القاضى شرف الدين عبد الغنى بن عبد ا لله الحرانى، فى ثالث ربيع الآخر.

وفيها فشا بالناس أمراض حادة، وعم الوباء؛ وطلبت الأدوية والأطباء، وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى، حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم، والرطل البطيخ بدرهم؛ وكان الرجل الواحد من العطارين يبيع فى كل يوم بثلاثمئة درهم إلى مائتى درهم.

وفيها توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى، وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهما، والأردب الشعير والفول بعشرين درهما. ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار، فإنه تقدم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده مباشرة سنة، وباع ما عداه قليلا قليلا. وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا، وخرج بهم الخطيب نور الدين على بن محمد بن الحسن بن على القسطلانى فاستسقى، وكان يومًا مشهودًا، فنودى من الغد بثلاثة أصابع، ثم توقف. وانتهت زيادة النيل فى سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعًا. واتفق أنه نقص فى أيام النسىء، وجاء النوروز ولم يوف النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت، وهو ثامن عشرى ربيع الأول. وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه، وهو يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى، وذلك بعد اليأس منه. وانحط مع ذلك السعر بعد الوفاء، وغنت عامة مصر: «سلطاننا ركين[٢]، ونائبنا دقين[٣]، يجينا الماء منين. جيبوا لنا الأعرج[٤]، يجى الما ويدحرج».

---

(١) مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى، سعد الدين العراقى ثم المصرى: فقيه حنبلى. نسبته إلى (الحارثية) من قرى غربى بغداد. ولد ونشأ بمصر، وسكن دمشق فولى بها مشيخة الحديث النورية، ثم عاد إلى مصر، فدرس بجامع طولون، وولى القضاء سنة ٧٠٩ إلى أن توفى. انظر: الدرر الكامنة ٣٤٧/٤ وحسن المحاضرة ٢٠٢/١ والكتبخانة ٢٩٥/٣ وشذرات الذهب ٢٨/٦ والأعلام ٢١٦/٧.

(٢) المقصود بلفظ ركين، السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير.

(٣) المقصود بلفظ دقين الأمير سلار النائب.

(٤) المقصود بالأعرج الناصر محمد بن قلاوون.

وفيها قدم البريد من حلب بأن الأمير سرتاى استنابه الملك خربندا بديار بكر، وأنه حارب طقطاى، فقتل طقطاى، وعزم على المسير إلى حلب. فخرج الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير وعدة الطبلخاناه والعشراوات فى ألفى فارس، وساروا فى جماد الأولى إلى حلب. وكتب الأمير سلار للأمير جمال الدين أقوش بأربعة آلاف غرارة من القمح وثمانين ألف درهم من ماله بدمشق، معونة له ولمن معه.

وفيها ابتدأ اضطراب دولة السلطان الملك المظفر: وذلك أنه كثر توهمه من الملك الناصر، وخيله الأمراء وحذروا السلطان منه. وحسنوا له القبض عليه، فجبن بيبرس عن ذلك، ثم مازالوا به حتى بعث الأمير مغلطاى إلى الملك الناصر، ليأخذ منه الخيل والمماليك التى عنده. وتغلظ مغلطاى فى القول، فغضب الملك الناصر من ذلك غضبًا شديدًا، وقال له: «أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس، وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندى أو مملوك لى، ويكرر الطلب؟ ارجع إليه، وقل له والله لئن لم يتركنى وإلا دخلت بلاد التتر، وأعلمتهم أنى قد تركت ملك أبى وأخى وملكى لمملوكى، وهو يتبعنى ويطلب منى ما أخذته». فجافاه مغلطاى وخشن فى القول، بحيث اشتد غضب الملك الناصر وصاح به: «ويلك! وصلنا إلى هنا؟» وأمر أن يجر ويرمى من سور القلعة. فثار به المماليك يسبونه ويلعنونه، وأخرجوه إلى السور، فلم يزل الأمير أرغون الدوادار والأمير طغاى إلى أن عفا عنه الناصر وحبسه، ثم أخرجه ماشيا إلى الغور، وامتعض مغلطاى عند ذلك مما حل به.

وكتب الناصر ملطفات إلى نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد، وإلى أمراء مصر ممن يثق به، بما كان فيه من ضيق اليد وقلة الحرمة، وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر، وقنع بالإقامة فى الكرك، وأن السلطان الملك المظفر فى كل قليل يرسل يطالبه بالمال ثم بالخيل ثم بالمماليك، وقال لهم: «أنتم مماليك أبى وربيتمونى. فإما أن تردوه عنى وإلا أسير إلى بلاد التتار» وتلطف فى مخاطبتهم غاية التلطف، وسير إليهم العربان بها فأوصلوها إلى أربابها. وكتب الأمير قبجق المنصورى نائب حماة الجواب: «بأنى مع الأمير قرا سنقر نائب حلب» وكتب الأمير قراسنقر الجواب: «بأنى مملوك السلطان فى كل ما يرسم به» وسأل أن يتوجه إليه أحد المماليك السلطانية، فبعث الناصر مملوكه أيتمش المحمدى، وكتب معه ملطفًا إلى الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى، والأمير بكتمر الحسامى الحاجب، بدمشق. وأما بكتمر الجوكندار نائب صفد فإنه طرد القاصد ولم يجتمع له.

وقدم أيتمش دمشق فى خفية، ونزل عند بعض مماليك الأمير قطلوبك، ودفع إليه الملطف. فلما أوصله إلى قطلوبك أنكر عليه، وأمره بالاحتفاظ على أيتمش ليوصله إلى الأفرم نائب الشام، ويتقرب إليه بذلك. فترك أيتمش راحلته التى قدم عليها عندما بلغه ذلك، ومضى إلى دار الأمير سيف الدين بهادر آص فى الليل واستأذن عليه فأذن له، فعرّفه ما كان من الأمير قطلوبك، فطمن خاطره وأنزله عنده وقام بحقه، وأركبه من الغد معه إلى الموكب. وقد سبق قطلوبك وعرف النائب قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهربه ليلا، فقلق الأفرم من ذلك، وألزم والى المدينة بتحصيل المملوك، فقال بهادر آص: «هذا المملوك عندى»، وأشار إليه، فنزل عن الفرس وسلم على الأفرم وسار معه فى الموكب إلى دار السعادة، وقال بحضرة الأمراء: السلطان الملك الناصر يسلم عليكم، ويقول ما منكم أحد إلا وأكل خبز الشهيد والده وخبزه، وما منكم إلا من إنعامه عليه. وأنتم تربية الشهيد والده، وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة فيها. فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرفوه». فلم يتم هذا القول حتى صاح عز الدين أيدمر الكوكندى الزراق أحد أمراء دمشق «وابن أستاذاه! ، وبكى. فغضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه، ثم قال لأيتمش: «قل له - يعنى الملك الناصر - كيف تجىء إلى الشام، أو إلى غير الشام، كأن الشام ومصر الآن تحت حكمك؟ أنا لما أرسل إلينا السلطان الملك أن أحلف له ما حلفت حتى سيرت أقول له: كيف يكون ذلك وابن أستاذنا باق؟ فأرسل يقول: أنا ما تقدمت عليه حتى خلع ابن أستاذنا نفسه، وكتب خطه وأشهد عليه بنزول عن الملك، فعند ذلك حلفت له. ثم فى هذا الوقت تقول من يردنى عن الشام؟» وأمر به فسلم إلى أستاداره الطنقش. فلما كان الليل استدعاه، ودفع إليه خمسين دينارًا وقال له: «قل له لا يذكر الخروج من الكرك، وأنا أكتب إلى الملك المظفر وأرجعه عن طلب الخيل والمماليك»، وخلى عنه ليعود إلى الكرك. فقدم أيتمش على الملك الناصر وحدثه بما جرى له فأعاده على البرية ومعه أركتمر وعثمان الهجان، ليجتمع بقرا سنقر نائب حلب، ويواعده على المسير إلى دمشق. وسار الملك الناصر من الكرك إلى بركة زيزاء.

وأما الملك المظفر فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس الأمير علاء الدين مغلطاى أيتعلى المقدم ذكره قلق، واستدعى الأمير سلار النائب، وعرفه ذلك. وكانت البرجية قد أغروا المظفر بسلار، واتهموه بأنه قد باطن الملك الناصر، وأشاروا عليه بقبضه وخوفوه منه. فبلغ ذلك سلار، فخاف من البرجية لكثرتهم وقوتهم، وأخذ فى مداراتهم. وكان أشدهم عليه الأمير سيف الدين بيكور، فبعث إليه - وكان قد شكا له من انكسار خراجه - ستة آلاف أردب غلة وألف دينار مصرية، فكف عنه، وهادى خواص السلطان، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة طلبًا للسلامة منهم. ثم حضر سلار عند المظفر

وتكلما فيما هم فيه، فاقتضى الرأى تجهيز قاصد للملك الناصر بتهديده ليفرج عن أيتغلى. وبينا هم فى ذلك قدم البريد من عند نائب دمشق بأن الملك الناصر سار من الكرك إلى البرج الأبيض[١]، ولم يعرف مقصده، فكتب إليه بالكشف عن مقصده، وحفظ الطرقات عليه.

هذا وقد اشتهر بالقاهرة حركة الملك الناصر وخروجه من الكرك، فتحرك الأمير سيف الدين نوغاى القبجاقى - وكان شجاعا مقداما حاد المزاج قوى النفس، ومن ألزام الأمير سلار النائب - وواعده جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان الملك المظفر بيبرس إذا ركب ويقتله. فلما نزل إلى بركة الجب استجمع نوغاى بمن وافقه يريدون الفتك بالسلطان فى عوده من البركة، وتقرب نوغاى من السلطان قليلا قليلا، وقد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر، ففطن به خواص السلطان وتحلقوا حوله، فلم يجد نوغاى سبيلا إلى ما عزم عليه.

وعاد السلطان إلى القلعة، فعرفه ألزامه ما فهموه عن نوغاى، وحسنوا له القبض عليه وتقريره على من معه. فاستدعى السلطان الأمير سلار وأعلمه الخبر - وكان قد باطن نوغاى أيضا - فحذره من ذلك، وخوفه عاقبة الأخذ بالظن، وأن فيه فساد قلوب الجميع، وليس إلا الإغضاء فقط، وقام عنه، فأخذه البرجية فى الإغراء بسلار، وأنه ولابد قد باطن نوغاى، ومتى لم يقبض عليه فسد الحال. فبلغ نوغاى ما هم فيه من الحديث فى القبض عليه، فواعد أصحابه على اللحاق بالملك الناصر، وخرج هو والأمير علاء الدين مغلطاى القازانى، والأمير سيف الدين طقطاى الساقى، ونحو ستين مملوكا، وقت المغرب عند باب القلعة من ليلة الخميس خامس عشرى جمادى الآخرة.

وعرف السلطان بذلك من الإسطبل، ففتح باب القلة، وطلب الأمير سلار وشاوره، فأشار بتجهيز الأمراء فى طلبهم، وعين أخاه علاء الدين سمك وقطز بن الفارقانى فى عدة من حاشيته وخمسمائة مملوك، وساروا من وقتهم غير مجدين فى طلبهم، وصار بين الفريقين مرحلة واحدة، إذا رحل هؤلاء نزل هؤلاء. فلما وصل نوغاى إلى قطيا وجد الحمل قد تجهز إلى القاهرة، وهو مبلغ عشرين ألف درهم، فأخذه وأخذ خيل الوالى وخيول العرب، وسار إلى غزة ومضى إلى الكرك، فنزل الأمراء بعده غزة، وعادوا إلى القاهرة. وقد اشتد خوف الملك المظفر وكثر خياله[٢]، فقبض على جماعة تزيد عدتهم على ثلاثمائة مملوك، وأخرج أخبازهم وأخباز المتوجهين إلى الكرك لمماليكه.

---

(١) هو مركز من مراكز الطريق البريدى بين غزة ودمشق. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٢٨٠/١٤.

(٢) المقصود هنا هو أن السلطان قد كثر تخيله أى توهمه وسوء ظنه ممن حوله.

وبلغ الملك الناصر قدوم نوغاى ومن معه وهو فى الصيد، فأمر بإحضارهم فأتوه، وقبلوا له الأرض وهنأوه بالعافية، فسر بهم. وساروا معه إلى زيزاء، ومضى إلى زرع[1] يريد دمشق، ثم رجع إلى الكرك. فشق على الملك المظفر ذلك، ودار به البرجية وشوشوا فكره بكثرة إيهامهم وتخيلهم له بمخاطرة العسكر عليه، وما زالوا به حتى أخرج الأمير بينجار، والأمير صارم الدين الجرمكى، فى عدة من الأمراء مجردين؛ وأخرج الأمير أقوش الرومى بجماعته إلى طريق السويس، ليمنع من عساه يتوجه من الأمراء والمماليك إلى الملك الناصر، وقبض على أحد عشر مملوكا، وقصد أن يقبض على آخرين فاستوحش الأمير سيف الدين أيطرا وفر، فأدركه الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة، وأحضره فحبس، وعند إحضاره طلع الأمير سيف الدين الدكز السلاح دار بملطف من الملك الناصر استجلا به إليه، فكثر قلق الملك المظفر، وزاد توهمه ونفرت مع ذلك قلوب جماعة من الأمراء والمماليك، وخشوا على أنفسهم، واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويرانية، وتواعدوا على الحرب، وخرج منهم مائة وعشرون فارسا بالسلاح، وساروا إلى الملك الناصر. فخرج إليهم الأمير بينجار والصارم الجرمكى، فقاتلهم المماليك، وجرح الجرمكى بسيف فى فخذه سقط إلى الأرض، ومضى المماليك على حمية إلى الكرك. فعظم الخطب على السلطان، واجتمع إليه البرجية، وقالوا له: «هذا الفساد كله من الأمير سلار، ومتى لم تقبض عليه خرج الأمر من يدك»، فلم يوافق على ذلك، واتفق الرأى على تجريد العساكر.

وفى يوم السبت ثانى رجب: مات التاج بن سعيد الدولة، واستقر ابن أخته كريم الدين أكرم الكبير فى وظائفه، وتكبر على الأمراء واستقرت فيه الأحوال، حتى كتب على ما يعرف وما لا يعرف.

وأما أيتمش المحمدى فإنه سار إلى حماة، واجتمع بالأمير قبجق نائبها، فأحال قبجق الأمر على الأمير قرا سنقر نائب حلب، وأنه معه حيث كان. فسار أيتمش إلى حلب، واجتمع بقرا سنقر، فأكرمه ووافق على قيام الملك الناصر، ودخل فى طاعته، ووعده على السير إلى دمشق أول شعبان. وكتب قرا سنقر إلى الأفرم نائب يحثه دمشق على طاعة الملك الناصر ويرغبه، وأشار بمكاتبة الملك الناصر للأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد، والأمير كراى المنصورى بالقدس، ونائب طرابلس، وأعاد أيتمش ومن معه إلى الملك الناصر، فسر بذلك. وكان نوغاى منذ قدم لا يبرح يحرضه على المسير إلى دمشق، فلما قدم عليه خبر قرا سنقر اشتد بأسه وقوى عزمه على الحركة، إلا أنه ثقل عليه أمر

---

(١) هى أحد أعمال حوران. انظر: معجم البلدان ٦٢١/١.

نوغاى من مخاشنته له فى المخاطبة، وجفاه القول بحيث إنه قال له: «ليس لى بك حاجة! ارجع إلى حيث شئت!» فترك نوغاى الخدمة وانقطع إلى أن قدم أيتمش من حلب، فدخل بينه وبين السلطان حتى أزال ما بينهما، وأسر له السلطان ذلك حتى قتله بعد عوده إلى الملك كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إن الملك الناصر بعث أيتمش أيضًا إلى صفد، فتلطف حتى اجتمع بناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار نائب صفد، وجمع بينه وبين أبيه ليلا فى مقابر صفد، فعتبه أيتمش على ما كان من رده قاصد الملك الناصر، فاعتذر بالخوف من بيبرس وسلار، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط. فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة، وأنه على ميعاد النواب إلى المضى إلى الشام، فأعاد أيتمش جوابه على الملك الناصر فسر به.

وسار من القاهرة عشرة من الأمراء المقدمين فى يوم السبت تاسع رجب منهم: الأمير سيف الدين برلغى الأشرفى. والأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب الكرك، والأمير عز الدين أيبك البغدادى، والأمير سيف الدين طغريل الإيغانى، والأمير سيف الدين تناكر، ومعهم نحو ثلاثين أميرًا من الطبلخاناه، بعدما أنفق فيهم السلطان الملك المظفر، فأخذ برلغى عشرة آلاف دينار، وكل من المقدمين ألفى دينار، وكل من الطبلخاناه ألف دينار، وكل من مقدمى الحلقة ألف درهم، وكل من أجناد الكرك خمسمائة درهم، ونزلوا تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة، لورود الخبر بعود الملك الناصر إلى الكرك. ثم ورد الخبر ثانيًا بمسيره، فتجهز العسكر فى أربعة آلاف فارس، وخرج برلغى ونائب الكرك ومن تقدم ذكره، وساروا فى العشرين من شعبان إلى العباسة. فورد البريد من عند الأفرم نائب دمشق بقدوم أيتمش المحمدى عليه من قبل الملك الناصر، وبما شافهه به من الجواب، وأنه بعث الأمير علاء الدين أيدغدى الحسامى والأمير سيف الدين جوبان لكشف الأخبار، وأشار بتأخير العسكر، فكتب بإقامتهم على العباسة. فقدم أيدغدى شقير وجوبان على الملك الناصر، وعرفاه أنهما قدما لكشف حاله، وحلفا له على القيام بنصرته، ورجعا إلى دمشق، فعرفا الأفرم أن الناصر مقيم ليتصيد، فخاف أن يطرق دمشق بغتة، فجرد إليه ثمانية أمراء بمضافيهم: منهم الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب، والأمير سيف الدين جوبان، والأمير كجكن، والأمير علم الدين الجاولى، ليقيموا على الطرقات لحفظها على من يخرج إلى الملك الناصر. وكتب الأفرم إلى الملك المظفر يحثه على إخراج العسكر المصرى، ليجتمع مع عسكر دمشق على قتال الملك الناصر، وأنه قد جدد اليمين له، وحلف أمراء دمشق أنهم لا

يخونون الملك المظفر ولا ينصرون الملك الناصر، وأن نائب حلب وغيره من النواب قد دخلوا فى طاعة الملك الناصر. فلما قرأ الملك المظفر كتاب نائب الشام اضطرب وزاد قلقه.

فورد كتاب الأمير برلغى من العباسة بأن مماليك الأمير جمال الدين أقوش الرومى تجمعوا عليه وقتلوه، وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر، وأنهم لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه فى جماعة من مماليك الأمراء، وقد فسد الحال، والرأى أن يخرج السلطان بنفسه. فأخرج المظفر تجريدة أخرى فيها عدة من الأمراء، وهم بشاش وبكتوت الفتاح وكثير من البرجية، وبعث إلى برلغى ألفى دينار، ووعده بأنه عازم على التوجه إليه بنفسه. فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك، وبقدوم التجريدة إليه عزم على الرحيل من الغد إلى جهة الكرك. فلما كان الليل رحل كثير ممن معه يريدون الملك الناصر، فكتب إلى السلطان بأن نصف العسكر قد صار عليه، وحرضه على الخروج بنفسه. فلم يطلع الفجر إلا والأمير سيف الدين بهادر جكى قد وصل بكتاب الأمير برلغى على البريد إلى السلطان، فلما قضى صلاة الصبح تقدم إليه وأعلمه برحيل أكثر العسكر إلى الملك الناصر، وناوله الكتاب، فلما قرأه تبسم وقال: «سلم على برلغى، وقل له لا تخش من شىء، فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية، وجدد لنا عهدًا، وقد قرئ على المنابر، وجددنا اليمين على الأمراء، وما بقى أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين، فإنه قد أكد فى كتابة العقد». ثم دفع المظفر إليه العهد الخليفتى، وقال: «امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند، ثم يرسله لى، فإذا فرغ من قراءته يرحل بالعساكر إلى الشام»، وجهز له أيضا ألفى دينار أخرى، وكتب جوابه بنظير المشافهة. فعاد بهادر إلى برلغى، فلما قرئ عليه الكتاب وانتهى إلى قوله: «وإن أمير المؤمنين ولانى تولية جديدة، وكتب لى عهدًا، وجدّد لى بيعة ثانية»، فتح برلغى العهد فإذا أوله: «إنه من سليمان»، فقال: «ولسليمان الريح»، ثم التفت إلى بهادر وقال له: «قل له يا بادر الذقن! والله ما معى أحد يلتفت إلى الخليفة»، ثم قام وهو مغضب.

وكان سبب تجديد العهد أن نائب دمشق لما ورد كتابه بأنه حلف أمراء الشام ثانيًا، وبعث صدر الدين محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد الشهير بابن المرحل[(١)] برسالة إلى السلطان، صار صدر الدين يجتمع عنده هو وابن عدلان، ويشغل السلطان وقته

---

(١) محمد بن عمر بن مكى، أبو عبد الله صدر الدين «ابن المرحل» المعروف بابن الوكيل: شاعر، من العلماء بالفقه. ولد بدمياط، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها. وأقام مدة فى حلب. وتوفى بالقاهرة. انظر فوات الوفيات ٢٥٣/٢ والدرر الكامنة ١١٥/٤ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/٩ والنعيمى ٢٧/١ والبداية والنهاية ٨٠/١٤ والفهرس التمهيدى ١٩١ والأعلام ٣١٤/٦.

بهما. فأشارا عليه بتجديد البيعة، وكتابة عهد يقرأ على المنابر، وتحليف الأمراء، فإن ذلك يثبت قواعد الملك؛ ففعل ذلك وحلف الأمراء بحضرة الخليفة، وكتب له عهد جديد عن الخليفة أبى الربيع، ونسخته: «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين أبى الربيع سليمان بن أحمد العباسى[١] لأمراء المسلمين وجيوشها. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢] وإنى رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائبا عنى لملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وأقمته مقام نفسى لدينه وكفايته وأهليته، ورضيته للمؤمنين، وعزلت من كان قبله بعد علمى بنزوله عن الملك، ورأيت ذلك متعيّنا على، وحمت بذلك الحاكم الأربعة. واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر. وقد استخرتُ الله تعالى؛ ووليت عليكم الملك المظفر؛ فمن أطاعه فقد أطاعنى، ومن عصاه فقد عصانى، ومن عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمى ﷺ. وبلغنى أن الملك الناصر بن الملك المنصور شق العصا على المسلمين، وفرق كلمتهم وشتت شملهم، وأطمع عدوهم فيهم، وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبى الحريم والأولاد وسفك الدماء، وتلك دماء قد صانها الله من ذلك. وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك، وأدفع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم هذا الأمر العظيم، وأقاتله حتى يفىء إلى أمر الله تعالى. وقد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى - اللواء الشريف فقد اجتمعت الحكام على وجوب دفعة وقتاله إن استمر على ذلك، وأنا مستصحب معى لذلك السلطان الملك المظفر، فجهزوا أرواحكم والسلام». وقد قرئ على منابر الجوامع بالقاهرة فى الجامع الأزهر وبجامع الحاكم، وقت الخطبة فى يوم الجمعة؛ فلما بلغ القارئ إلى ذكر الملك الناصر صاحوا: «لا! ما نريده!»، ووقع فى القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك.

وفيه قدم الأمير بهادر آص من دمشق على البريد يحث السلطان على الخروج بنفسه، فإن النواب قد مالوا كلهم مع الملك الناصر؛ فأجاب بأنه لا يخرج، واحتج بكراهيته للفتنة وسفك الدماء، وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر، فإن قبلوا وإلا

---

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع، الخليفة المستكفى بالله، ابن الحاكم بأمر الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد، وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١ هـ، بعهد منه، أقام فى قوص إلى أن توفى بها. استمرت خلافته ٣٩ سنة وشهرين و١٣ يوما، ولم يكن له منها غير مراسمها. انظر المختصر لأبى الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٨٧/١٤ وابن إياس ١٤٤/١ والدرر الكامنة ٢ ١٤١١ والنجوم الزاهرة ١٦٩/١٠ والأعلام ١٢١/٣.

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

ترك الملك. ثم قدم الأمير بلاط بكتاب الأمير برلغى أن جميع من خرج من أمراء الطبلخاناه لحقوا بالملك الناصر، وتبعهم خلق كثير، ولم يتأخر غير برلغى وجمال الدين أقوش نائب الكرك وأيبك البغدادى وتناكر والفتاح لا غير، وذلك لأنهم خواص السلطان.

وأما الملك الناصر فإنه سار فى أول شعبان بمن معه يريد دمشق، فدخل فى طاعته الأمير قطلوبك الحاج بهادر الحلبى وبكتمر الحاجب والجاولى، وكتبوا إليه بذلك، وأنه يتأنى فى المسير إلى دمشق من غير سرعة حتى يتبين ما عند بقية أمراء دمشق. ثم كتبوا إلى الأفرم نائب دمشق بأنه لا سبيل إلى محاربة الملك الناصر، وأرادوا بذلك إما أن يخرج الأفرم إليهم فيقبضوه، أو يسير عن دمشق إلى جهة أخرى فتأتيهم بقية الجيش. وكان كذلك: فإنه لما قدم كتابهم عليه بدمشق شاع بين الناس سير الملك الناصر من الكرك، فثارت العوام وصاحوا: «نصره الله». وركب الأجناد إلى النائب، فاستدعى من بقى من الأمراء والقضاة، ونادى: «معاشر أهل الشام! ما لكم سلطان إلا الملك المظفر» فصرخ الناس بأسرهم: «لا! لا! ما لنا سلطان إلا الملك الناصر».

وتسلل العسكر من دمشق طائفة بعد طائفة إلى الملك الناصر، وانفرط الأمر من الأفرم. فاجتمع الأمير بيبرس العلائى والأمير بيبرس المجنون بمن معهما على الوثوب بالأفرم وقبضه، فلم يثبت عندما بلغه ذلك، واستدعى علاء الدين بن صبح وكان من خواصه، وتوجه ليلا إلى جهة الشقيف. فركب الأمير قطلوبك والأمير الحاج بهادر عندما سمعا الخبر، وتوجها إلى الملك الناصر فسر بهما، وأنعم على كل منهما بعشرة آلاف درهم. ثم قدم إليه أيضا الجاولى وجوبان، وسار بمن معه حتى نزل الكسوة، فخرج إليه بقية الأمراء والأبضاد، وقد عمل له سائر شعائر السلطنة من الصناجق الخليفتية والسلطانية والعصائب والجتر والغاشية. فحلف العساكر، وسار فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان من الكسوة يريد المدينة، فدخلها بعدما زينت زينة عظيمة. وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صغار المكاتب، فبلغ كراء البيت من البيوت التى من ميدان الحصا إلى القلعة للتفرج على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم. وفرشت الأرض بشقاق الحرير الملونة، وحمل الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى الغاشية، وحمل الأمير الحاج بهادر الجتر. وترجل الأمراء والعساكر بأجمعهم، حتى إذا وصل باب القلعة خرج متولى القلعة وقبل الأرض، فتوجه السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق من الميدان. وكان عليه عند دخوله عباءة بيضاء فيها خطوط سود، تحتها فرو سنجاب.

وفى وقت نزوله قدم مملوك قرا سنقر من حلب لكشف الخبر، وذكر أن قرا سنقر خرج من حلب، وقبجق خرج من حماة؛ فخلع عليه، وكتب إليهما بسرعة القدوم. وكتب إلى الأفرام أمان، وتوجه به علم الدين الجاولى؛ فلم يثق بذلك، وطلب يمين السلطان له، فحلف السلطان وبعث إليه بنسخة الحلف صحبة الأمير الحاج أرقطاى الجمدار، فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبح، فركب السلطان إلى لقائه، حتى إذا قرب منه نزل كل منهما عن فرسه. فأعظم الأفرم نزول السلطان له، وقبل الأرض، وكان قد لبس كاملية[1] وشد وسطه وتوشح بنصفية[2]، يعنى أنه حضر بهيئة البطال من الإمرة، وكفنه تحت إبطه وعندما شاهده الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد: «يا مولانا السلطان! بتربة والدك الشهيد لا تؤذيه، ولا تغير عليه!»، فبكى سائر من حضر. وبالغ السلطان فى إكرامه، وخلع عليه وأركبه، وأقره على نيابة دمشق، فكثر الدعاء له؛ وسار الناصر إلى القصر. فلما كان الغد أحضر الأفرم خيلا وجمالا وثيابا بمائتى ألف درهم، تقدمة للسلطان.

وفى يوم الجمعة ثانى عشريه: خطب بدمشق للملك الناصر، وصليت الجمعة بالميدان، فكان يوما مشهودا.

وفيه قدم الأمير قرا سنقر نائب حلب، والأمير قبجق نائب حماة والأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس، وتمر الساقى نائب حمص. فركب السلطان إلى لقائهم فى ثامن عشريه، وترحل لقرا سنقر وعانقه، وشكر الأمراء وأثنى عليهم. ثم قدم الأمير كراى المنصورى من القدس، وبكتمر الجوكندار نائب صفد. وقدم كل من النواب والأمراء تقدمه على قدر حاله، ما بين ثياب أطلس وحوائص ذهب وكلفتاه زركش، وخيول مسرجة، وأصناف الجواهر والخلع والأقبية والتشاريف. وكان أجلهم تقدمة الأمير قطلوبك المنصورى، فإنه قدم عشرة أرؤس خيل مسرجة ملجمة، عنق كل فرس كيس فيه ألف دينار وعليه مملوك، وأربع قطر بغال، وعدة بخاتى، وغير ذلك.

وشرع الملك الناصر فى النفقة على الأمراء والعساكر الواردة مع النواب، فلما انتهى أمر النفقة قدم السلطان بين يدية الأمير كراى المنصورى على عسكر ليسير إلى غزة، فسار إليها، وصار كراى يمد فى كل يوم سماطا عظيما للمقيمين والواردين، وأنفق فى ذلك أموالا جزيلة من حصاله. واجتمع عليه بغزة عالم كبير، وهو يقوم بكلفهم ويعدهم عن السلطان بما يرضيهم.

---

(١) على هامش ط: نوع من الملابس الخارجية كالعباءة.

(٢) على هامش ط: النصفية جمعها نصافى. قماش من نسيج الحرير والكتان.

وقع الخبر إلى القاهرة فى خامس عشرى شعبان باستيلاء الملك الناصر على دمشق بغير قتال؛ فقلق الملك المظفر، واضطربت الدولة، وخرجت عساكر مصر شيئًا بعد شىء تريد اللحاق بالملك الناصر، حتى لم يتأخر عند الملك المظفر بديار مصر إلا خواصه والزامه. و لم يتأخرعند الأمير برلغى من الأمراء والأجناد سوى خواص الملك المظفر، فتشاور مع جماعته، فاقتضى رأيه ورأى الأمير أقوش نائب الكرك اللحاق بالملك الناصر أيضًا؛ فلم يوافق على ذلك البرجية، وعاد الأمير أيبك البغدادى وبكتوت الفتاح وقجمار وبقية البرجية إلى القاهرة، وصاروا مع الملك المظفر. وسار برلغى ونائب الكرك إلى الملك الناصر فيمن بقى من الأمراء والعساكر، فاضطربت القاهرة.

وكان الملك المظفر قد أمر فى مستهل رمضان سبعة وعشرين أميرا، ما بين طبلخاناه وعشراوات: منهم من مماليكه صنقيجى وصديق وطومان، وقرمان، وغرلوا وبهادر وطرنطاى المحمدى، وبكتمر الساقى وقراجا الحسامى وبهادر قبجق، ولاجين أيتغلى وانكبار وطاشتمر أخو بتخاص، ومن ألزامه جركتمر بن بهادر رأس نوبة وحسن بن الردادى؛ وشقوا القاهرة على العادة، فصاحت بهم العامة: «يا فرحة لا تمت».

أخرج المظفر أيضا عدة من المماليك إلى بلاد الصعيد، وظن أن ينشئ له دولة. فلما بلغه مسير برلغى ونائب الكرك إلى الملك الناصر سقط فى يده، وعلم زوال أمره، فإن برلغى كان زوج ابنته ومن خواصه، بحيث أنعم عليه فى هذه الحركة بنيف وأربعين ألف دينار. وقيل سبعين ألف دينار. وظهر عليه اختلال الحال، وأخذ خواصه فى تعنيفه على إبقاء سلار النائب، وأن جميع هذا الفساد منه. وكان كذلك: فإنه لما فاتته السلطنة، وقام فيها بيبرس، حسده ودبر عليه، وبيبرس فى غفلة عنه، وكان سليم الباطن لا يظن أنه يخونه.

وقبض فى ليلة الجمعة ثانى عشره على جماعة من العوام، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسب الملك المظفر، فما زادهم ذلك إلا طغيانًا؛ وفى كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور إلى الأمير سلار. فلما أكثر البرجية من الإغراء بسلار قال لهم المظفر: «إن كان فى خاطركم شىء فدونكم وإياه إذا جاء إلى الخدمة، وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط». فأجمعوا على قبض سلار إذا عبر يوم الإثنين خامس عشره إلى الخدمة. فبلغه ذلك فتأخر عن حضور الخدمة، واحترس على نفسه وأظهر أنه قد وعك، فبعث الملك المظفر يسلم عليه ويستدعيه ليأخذ رأيه، فاعتذر بأنه لا يطيق الحركة لعجزه عنها.

فلما كان من الغد يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان، استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم، واستشارهم فيما يفعل. فأشار الأمير بيبرس الدودار والأمير بهادر آص بنزوله

عن الملك، والإشهاد بذلك كما فعل الملك الناصر، «وتسير إليه تستعطفه، وتخرج إلى الإطفيحية بمن تثق به، وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر». فأعجبه ذلك، وقام ليجهز أمره وبعث ركن الدين بيبرس الدوادرى إلى الملك الناصر يسأله إحدى ثلاث: إما الكرك وأعمالها، أو حماة وبلادها، أو صهيون ومضافاتها.

ثم اضطرب المظفر آخر النهار، ودخل الخزائن، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب، وخرج فى يومه من باب الإسطبل فى مماليكه وعدتهم سبعمائة فارس، ومعه الأمير عز الدين أيدمر الخطير الأستادار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح. والأمير سيف الدين قجماس، والأمير سيف الدين تناكر، فى بقية ألزامه من البرجية. وكأنما نودى فى الناس بأنه قد خرج هاربا، فاجتمع الناس وقد برز من باب الإسطبل، وصاحوا به وتبعوه وهم يصيحون عليه، وزادوا فى الصياح حتى خرجوا عن الحد، ورماه بعضهم بالحجارة. فشق ذلك على مماليكه، وهموا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم، فمنعهم من ذلك، وأمرهم بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنهم، فأخرج كل من المماليك حفنة مال ونثرها. فلم تلتفت العامة لذلك وتركوه، وأخذوا فى العدو خلف العسكر، وهم يسبون ويصيحون، فشهر المماليك حينئذ سيوفهم، ورجعوا إلى العوام فانهزموا عنهم. وأصبح الحراس بقلعة الجبل يوم الأربعاء سابع عشره يصيحون باسم الملك الناصر. بإشارة الأمير سلار، فإنه أقام بالقلعة.

وفى يوم الجمعة تاسع عشره: خطب على منابر القاهرة ومصر باسم الملك الناصر، وأسقط اسم الملك المظفر، فكانت أيامه فى السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما، فكان كما قيل:

أعجلتها النوى فما نلت منها طائلا غير نظرة من بعيد

* * *

عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبى المعالى محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك مرة ثالثة

وذلك أنه لما عزم على المسير إلى ديارمصر، خرج من دمشق فى الثانية من نهار يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان – وهى الساعة التى خلع فيها الملك المظفر بيبرس نفسه من الملك – وسار يريد مصر.

وعندما فر المظفر بيبرس جلس الأمير سلار فى شباك النيابة، وجمع من بقى من الأمراء، واهتم بحفظ القلعة، وأفرج عن المحابيس بها. وركب سلار ونادى فى الناس: «ادعوا لسلطانكم الملك الناصر»، وكتب إلى الملك الناصر بنزول بيبرس عن السلطنة

وفراره، وسير بذلك أصلم الدوادار وبهادر آص إلى الملك الناصر برسالة المظفر أنه قد نزل عن السلطنة، ويسأل إما الكرك أو حماة أو صهيون. فاتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضا، وقدوم الأمير سيف الدين ساطى السلاح دار فى طائفة من الأمراء، وقدوم العربان والتركمان. وقدم الأمير مهنا بجماعة من عرب آل فضل، فركب السلطان إلى لقائه، وقدم برلغى ونائب الكرك، فسر السلطان بذلك سرورا كبيرا. وكتب الناصر إلى المظفر أمانا مع بيبرس الدوادار وبهادر آص، وقدما فى حادى عشرى رمضان إلى الأمير سلار، فجهز الأمان إلى المظفر.

ولما تكاملت العساكر بغزة سار الناصر يريد مصر، فقدم أصلم مملوك سلار بالنمجاة، ووصل أرسلان الدوادار، فسر بذلك. ولم يزل الناصر سائرا إلى أن نزل بركة الحاج، وقد جهز إليه الأمير سلار الطلب السلطانى والأمراء والعساكر سلخ رمضان، وخرج الأمير سلار إلى لقائه. وصلى السلطان صلاة العيد بالدهليز فى يوم الأربعاء مستهل شوال، وأنشده الشعرا مدائحهم، فمن ذلك ما أنشده شمس الدين محمد بن على بن موسى الراعى أبياتا منها:

الملك عاد إلى حماه كما بدا ... ومحمد بالنصر سر محمدا
وإيابه كالسيف عاد لغمده ... ومعاده كالورد عاوده الندى
الحق مرتجع إلى أربابه ... من كف غاصبه وإن طال المدا

وعمل الأمير سلار سماطا عظيما بلغت النفقة عليه اثنى عشر ألف درهم، جلس عليه السلطان: فلما انقضى السماط عزم السلطان على المبيت والركوب بكرة يوم الخميس. فبلغه أن الأمير برلغى والأمير أقوش نائب الكرك قد اتفقا مع البرجية على الهجوم عليه وقتله، فبعث إلى الأمراء يعلمهم بما بلغه، ويأمرهم بالركوب فركبوا، وركب فى مماليكه ودقت الكوسات. وسار الناصر وقت الظهر من يوم الأربعاء، وقد احتفت به مماليه كى لا يصل إليه أحد من الأمراء، وسار إلى القلعة، وخرج الناس بأجمعهم لمشاهدته. فلما بلغ بين العروستين ترجل سلار وسائر الأمراء، ومشوا إلى باب السر من القلعة، وقد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السلاح حتى عبر السلطان من الباب إلى القلعة، وأمر الأمراء بالانصراف إلى منازلهم، وعين جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمروا على ظهور خيولهم حول القلعة طول الليل، فباتوا على ذلك.

وأصبح الناصر من الغد يوم الخميس ثانيه جالسا على تخت الملك وسرير السلطنة، وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء، فقرأ محمد بن على

ابن موسى الراعى: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير**﴾[١]، ثم دعا. ولما تقدم الخليفة وسلم، نظر إليه السلطان وقال له: «كيف تحضر تسلم على خارجى، هل كنت أنا خارجيا وبيبرس كان من سلالة بنى العباس؟»، فتغير وجه الخليفة ولم ينطق. ثم التفت السلطان إلى القاضى علاء الدين على بن عبد الظاهر الموقع، وكان هو الذى كتب عهد المظفر عن الخليفة، وقال له: «يا أسود الوجه»، فقال ابن عبد الظاهر من غير توقف: «يا خوند! أبلق خير من أسود؟»، فقال السلطان: «ويلك! حتى ألا تترك رنكه أيضا، يعنى أن ابن عبد الظاهر ممن ينتمى إلى الأمير سلار، وكان رنك سلار أبيض وأسود» ثم التفت السلطان إلى قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة، وقال: «يا قاضى! كنت تفتى المسلمين بقتالى؟» فقال: «معاذ الله! إنما تكون الفتوى على مقتضى كلام المستفتى». ثم حضر صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل، وقبل يد السلطان فقال له كنت تقول «ما للصبى وما للملك يكلفه؟». فحلف بالله ما قال هذا، وإنما الأعداء أرادوا إتلافه فزادوا فى قصيدته هذا البيت. والعفو من شيم الملوك، فعفا عنه؛ وكان ابن المرحل قد مدح المظفر بيبرس بقصيدة عرض فيها بالناصر، من جملتها:

ما للصبى وما للملك يكفله	شأن الصبى لغير الملك مألوف

ثم استأذن شمس الدين محمد بن عدلان، فقال السلطان للدوادار: «قل له أنت أفتيت أنه خارجى وقتاله جائز، مالك عنده دخول؛ ولكن عرفه هو وابن المرحل أنه يكفيهما ما قال الشارمساحى فيهما». وكان من خبر ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد ابن عبد الدائم الشارمساحى مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة عرض فيها بهجو الملك المظفر بيبرس وصحته لابن عدلان وابن المرحل، منها:

ولى المظفر لما فاته الظفر	وناصر الحق وافى وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا	كادت على عصبة الإسلام تنتشر
فقل لبيبرس إن الدهر ألبسه	أثواب عارية فى طولها قصر
لما تولى الخير عن أمم	لم يحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا
وكيف تمشى به الأحوال فى زمن	لا النيل وفى ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته	وابن المرحل قل لى كيف ينتصر

وكان المطر لم يقع فى هذه السنة، وقصر النيل، وارتفع السعر.

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦.

واتفق في يوم جلوس السلطان، أن الأمراء لما اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان أشار الأفرم نائب الشام لمنشر يقال له مسعود أحضره معه من دمشق، فقام وأنشد أبياتا لبعض عوام القاهرة، قالها عند توجه الملك الناصر من مصر إلى الكرك، منها:

أحبة قلبي إنني لوحيد   وأريد لقاكم والمزار بعيد
كفى حزنا أني مقيم ببلدة   ومن شف قلبي بالفراق فريد
أجول بطرفي في الديار فلا أرى   وجوه أحبائي الذين أريد

نق فتواجد الأفرم وبكى، وحسر عن رأسه، ووضع الكلفتاه على الأرض، فأنكر الأمراء ذلك، وتناول الأمير قرا سنقر الكلفتاه بيده ووضعها على رأسه. وخرج السلطان فقام الجميع، وصرخت الجاويشية، فقبل الحاضرون الأرض.

وفيه قدم الأمير سلار من المماليك والخيول وتعابى القماش ما قيمته مائتا ألف درهم، فقبل السلطان شيئًا ورد الباقي. وسأل سلار الإعفاء من نيابة السلطنة، وأن ينعم عليه بالشوبك؛ فأجيب إلى ذلك. وحلف سلار أنه متى طلب حضر، وخلع عليه، وخرج عصر يوم الجمعة ثالثه مسافرًا، فكانت نيابته إحدى عشرة سنة، وتوجه معه الأمير نظام الدين آدم، واستقر ابنه على بالقاهرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفي خامسه: قدم رسول المظفر بيبرس بكتابه يسأل الأمان. وفيه استقر قرا سنقر في نيابة دمشق عوضا عن الأفرم، وقبجق في نيابة حلب. والحاج بهادر الحلبي في نيابة طرابلس عوضا عن أسندمر كرجي، وقطلوبك المنصوري في نيابة صفد عوضا عن بكتمر الجوكندار، وأسندمر كرجي في نيابة حلب حماة عوضا عن قبجق، وسنقر الكمالي حاجب الحجاب بديار مصر على عادته، وقرا لاجين أمير مجلس على عادته، وبيبرس الدودار على عادته - وأضيف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس - في خامس ذي القعدة، واستقر الأفرم في نيابة صرخد بمائة فارس. وطلب شهاب الدين بن عبادة، ورسم له بتجهيز الخلع والتشاريف لسائر أمراء الشام ومصر فجهزت، وخلع عليهم كلهم في يوم الإثنين سادسه، وركبوا فكان يوما مشهودا.

وفي يوم الأحد ثاني عشره: استقر فخر الدين عمر بن الخليلي في الوزارة، وصرف ضياء الدين أبو بكر النشائي، وعوق بالقلعة أياما، ثم أفرج عنه ولم يحمل مالا.

وفي يوم الخميس سادس عشره: حضر الأمراء الخدمة على العادة، وقد قرر السلطان مع مماليكه القبض على الأمراء، وأن كل عشرة يقبضون أميرا ممن عينه لهم، بحيث تكون العشرة عند دخول الأمير محتفة به، فإذا رفع السماط واستدعى السلطان

أمير جاندار قبض كل جماعة على من عين لهم. فلما حصل الأمراء فى الخدمة أحاط بهم المماليك، ففهموا القصد، وجلسوا على السماط، فلم يتناول أحد منهم لقمة. وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار، فتقدم إليه وقبض المماليك على الأمراء المعينين، وعدتهم اثنان وعشرون أميرا، فلم يتحرك أحد لقبضهم من خشداشيتهم، وبهت الجميع. ولم يفلت ممن عير سوى جركتمر بن بهادر رأس نوبة، فإنه لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأمه رعف، وخرج من غير أن يشعر به أحد، واختفى عند الأمير قرا سنقر وكان زوج ابنته، فشفع فيه حتى عفى السلطان عنه. وكان الأمراء المقبوض عليهم: تناكر، وأيبك البغدادى، والعتابى؛ وبلبان التقوى، وقجماس، وصاروجا، وبيبرس عبد الله، وبيدمر، ومنكوبرس. وأشقتمر، والسيواسى، والكمالى الصغير، وحسن الردادى، وبلاط، وتمربغا، وقيران، ونوغاى الحموى، والحاج بيليك المظفرى، وفطقطوا، والغتمى، وأكبار، وتتمة الاثنين وعشرين.

وجرد عدد من الأمراء إلى دمشق، فأول من سافر علاء الدين مغلطاى المسعودى،وجبا أخو سلار، وطرنطاى البغدادى، وأيدغدى التليلى، وبهادر الحموى، وبلبان الدمشقى، وأيدغدى الزراق، وكهرداش الزراق، وبكتمر الأستادار، وأيدمر الإسماعيلى، وأقطاى الجمدار، وبوزبا الساقى وبيبرس الشجاعى، وكورى السلاح دار، وأقطوان الأشرافى، وبهادر الجوكندار، وبلبان الشمسى، وعدة من أمراء الشعراوات، فلما وصلوا إلى حلب رسم بإقامة ستة من أمراء الطبلخاناه وعود البقية.

وفى ثالث عشريه: استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر، عوضا عن سلار.

وفى خامس عشريه: أحضر الأمير بيبرس الدودار الأموال من عند الملك المظفر بيبرس. وفيه أمر السلطان اثنين وثلاثين أميرا من مماليكه منهم تنكز الحسامى، وطغاى، وكستاى، وقجليس، وخاص ترك، وخلط قرا، وأركتمر، وأيدمر الشيخى، وأيدمر الساقى، وبيبرس أمير آخور، وطاجار، وخضر بن نوكاى، وبهادر قبجق، والحاج رقطاى، وأخوه أيتمس المحمدى، وأرغون الدوادار الذى صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر، وسنقر المرزوقى، وبلبان الجاشنكير، وأسنبغا، وبيبغا الملكى، وأمير على بن قطلوبك، ونوروز أخو جنكلى، والجاى الحسامى، وطيبغا حاجى، ومغلطاى العزى صهر نوغاى، وقرمشى الزينى، وبكتمر قبجق، وبيغر الصالحى، ومغلطاى البهائى، وسنقر السلاح دار، ومنكلى بغا. وركبوا جميعا بالشرابيش، وشقوا القاهرة، وقد أوقدت الحوانيت كلها إلى الرميلة وسوق الخيل، ورصت المغانى وأرباب الملاهى فى

عدة أماكن، ونثرت عليهم الدراهم، فكان يوما مشهودا. وكان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه، ومنهم أرمراء عشراوات.

وفيه قبض على الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح أمير جاندار، بعدما حضرا من عند الملك المظفر وخلع عليهما. وفيه كتب إلى ولاة الأعمال بالحوطة على موجود الأمراء المقبوض عليهم، وطلب السلطان مباشرتهم.

وفيه سفر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندرية، وكتب بالإفراج عن المعتقلين بها، وهم: الأقوش المنصورى قاتل الشجاعى، والشيخ على التترى، ومنكلى التترى، وشاورشى بن قنغر الذى أثار فتنة الشجاعى، وكتبغا، وغازى وموسى أخوا حمدان بن صلغاى، فلما حضروا خلع عليهم، وأنعم عليهم بإمريات فى الشام وأحضر شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية إلى السلطان، فبالغ فى إكرامه.

وأما المظفر بيبرس فإنه لما فارق قلعة الجبل أقام بإطفيح[1] يومين، واتفق رأيه ورأى أيدمر الخطيرى وبكتوت الفتاح على المسير إلى برقة والإقامة بها، فلما بلغ المماليك هذا عزموا على مفارقتهم، فلما رحلوا من إطفيح رجع المماليك شيئا بعد شىء إلى القاهرة، فما بلغ الملك المظفر إلى إخميم حتى فارقه أكثر من كان معه، فانثنى رأيه عن برقة. وتركه الخطيرى والفتاح وعادا إلى القاهرة، فتبعهما كثير من المماليك المظفرية وهو يراهم. وبينما هو سائر قدم عليه الأميران بيبرس الدوادار وبهادر آص من عند الملك الناصر ليتوجه إلى صهيون، بعد أن يدفع ما أخذه من المال بأجمعه إلى بيبرس، فسار به بيبرس فى النيل، وقدم بهادر آص فى البر بالمظفر ومعه كاتبه كريم الدين أكرم. وسأل المظفر يمين السلطان مع من يثق به، فحلف له السلطان بحضرة الأمراء، وبعث إليه بذلك مع أيتمش المحمدى، فلما قدم عليه أيتمش بالغ فى إكرامه، وتحير فيما يفعله، وكتب الجواب بالطاعة، وأنه يتوجه إليه ناحية السويس[2]، وأن كريم الدين يحضره بالخزانة والحواصل التى أخذها فلم يعجب السلطان ذلك، وعزم على إخراج تجريدة إلى غزة ليردوه، وأطلع على ذلك بكتمر الجوكندار النائب وقرا سنقر نائب دمشق والحاج بهادر نائب طرابلس.

---

(١) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٢) بليدة على ساحل بحر القلزم من نواحى مصر، وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٢٨٦/٣

فلما كان يوم الخميس الذى قبض فيه على الأمراء جلس بعض المماليك الأشرفية، فلما خرج الأمراء من الخدمة قال أولئك الأشرفية: «وأى ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم، وهذا الذى قتل أستاذنا الملك الأشرف، ودمه إلى الآن على سيفه ما خرج أثره، قد صار اليوم حاكم المملكة» - يعنى قرا سنقر. فنقل هذا لقرا سنقر، فخاف على نفسه، وأخذ فى التعمل على الخلاص من مصر، والتزم للسلطان أنه يتوجه و يحصل المظفر بيبرس هو والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج التجريدة، فإن فى بعث الأمراء لذلك شناعة، فمشى ذلك على السلطان، ورسم بسفرهما. فخرج قرا سنقر هو وسائر النواب إلى ممالكهم، فعوق السلطان أسندمر كرجى نائب حماة عن السفر، وسار البقية.

ثم جهز السلطان أسندمر كرجى لإحضار المظفر مقيدًا، فاتفق دخول قرا سنقر والأمراء إلى غزة قبل المظفر، فلما بلغهم قربه ركب قرا سنقر وسائر النواب والأمراء ولقوة شرقى غزة، وقد تقى معه عدة من مماليكه وقد تأهبوا للحرب، فلبس الأمراء السلاح ليقاتلوهم. فأنكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال، وقال: «أنا كنت ملكا وحولى أضعافكم، ولى عصبة كثيرة من الأمراء، وما اخترت سفك الدماء»، وما زال حتى كفوا عن القتال، وساق بنفسه حتى صار مع الأمراء، وأسلم نفسه إليهم، فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة، وأخذوا سلاح مماليكه ووكلوا بهم من يحفظهم، وأصبحوا من الغد عائدين به معهم إلى مصر. فأدركهم أسندمر كرجى بالخطارة[1]، فأنزل فى الوقت المظفر عن فرسه وقيده بقيد أحضره معه، فبكى وتحدرت دموعه على شيبته. فشق ذلك على قرا سنقر وألقى الكلفتاه عن رأسه إلى الأرض، وقال: «لعن الله الدنيا! فياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم». فترجلت الأمراء، وأخذوا كلوتته ووضعوها على رأسه. هذا مع أن قرا سنقر كان أكبر الأسباب فى زوال دولة المظفر، وهو الذى حسن للملك الناصر حتى كان ما كان.

ثم عاد قراسنقر والحاج بهادر إلى جهة الشام، وأخذ بهادر يلوم قرا سنقر على مخالفة رأيه، فإنه كان قد أشار على قراسنقر فى الليل بعد القبض على المظفر بأن يخلى عنه حتى يصل إلى صهيون، ويتوجه كل منهما إلى محل ولايته، ويخيفا الناصر بأنه متى تغير عما كان قد وافق الأمراء عليه بدمشق قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك. فلم يوافق قراسنقر على ذلك، وظن أن الملك الناصر لا يستحيل عليه ولا على المظفر، فلما رأى ما حل بالمظفر ندم على مخالفة بهادر. وبينا هما فى ذلك إذ بعث أسندمر كرجى

(١) الخطارة إحدى مراكز البريد بين مصر والشام فى العصور الوسطى، وموقعها بين السعيدية والصالحية الحالية. انظر صبح الأعشى ٣٧٧/١٤.

إلى قراسنقر بمرسوم السلطان أن يحضر صحبة المظفر إلى القلعة، وكان عزمه أن يقبض عليه أيضا، ففطن قراسنقر بذلك وامتنع من التوجه إلى مصر، واعتذر بأن العشير قد جمعوا ويخاف على دمشق منهم، وجد فى المسير، وعرف أنه ترك الرأى فى مخالفة بهادر.

وقدم أسندمر بالملك المظفر فى ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذى القعدة، فلما مثل المظفر بين يدى السلطان قبل الأرض، فأجلسه وعنفه بما فعل به، وذكره بما كان منه وعدد ذنوبه، وقال: «تذكر وقد صحت على وقت كذا بسبب فلان، ورددت شفاعتى فى حق فلان، واستدعيت نفقة فى وقت كذا من الخزانة فمنعتها، وطلبت فى وقت حلوى بلوز وسكر فمنعتنى. ويلك! وزدت فى أمرى حتى منعتنى شهوة نفسى»، والمظفر ساكت. فلما فرغ كلام السلطان قال له: «يا مولانا السلطان كل ما قلت فعلته، و لم تبق إلا مراحم السلطان. وإيش يقول المملوك لأستاذه». فقال له: «يا ركن الدين أنا اليوم أستاذك، وأمس تقول لما طلبت أوز مشوى إيش يعمل بالأوز، الأكل هو عشرون مرة فى النهار». ثم أمر السلطان به إلى مكان، وكان ذلك ليلة الخميس، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة. ثم جاء السلطان وأمر به فقتل، وأنزل على جنوية إلى الإسطبل، وغسل به فى ليلة الجمعة خامس عشرة، ودفن خلف القلعة.

وقدم كريم الدين أكرم بن العلم بن السديد كاتب الملك المظفر بالمال والحواصل، فقربه السلطان وأدناه وأثنى عليه، ووعده بكل جميل إن أظهره على ذخائر بيبرس، ونزل إلى داره. فبذل كريم الدين جهده فى تتبع أموال بيبرس، وخدم طغاى وكستاى وأرغون الدوادار، وبذل لهم مالا كثيرا حتى صاروا أكبر أعوانه وأنصاره، لا يبرحون فى الثناء عليه مع السلطان. وقدم من كان مع بيبرس من المماليك وعدتهم ثلاثمائة، ومعهم الخيل والهجن والسلاح، ومبلغ مائتى ألف درهم وعشرين ألف دينار، وستون بقجة من أنواع الثياب. فقبض السلطان الجميع. وفرق المماليك على الأمراء، واختص منهم بكتمر الساقى الآتى ذكره وما صار إليه، واختص أيضا طوغان الساقى وقبائر وبلبك فى آخرين. واستدعى السلطان القضاة، وأقام عندهم البينة بأن جمع مماليك بيبرس وسلار وسائر ما وقفاه من الضياع والأملاك اشترى من مال بيت المال. فلما ثبت ذلك ندب السلطان الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك وكريم الدين أكرم لبيع تركة بيبرس، وإحضار نصف ما يتحصل فإنه للسلطان، ودفع النصف الآخر لابنة بيبرس – امرأة الأمير برلغى الأشرفى – فإنه لم يترك سواها. فشدد كريم الدين الطلب على امرأة بيبرس حتى أخذ منها جواهر عظيمة القدر وذخائر نفيسة جدا، وحمل منها

إلى السلطان، وأهدى إلى الأمراء الخاصكية[١] القائمين بأمره والعناية به، وادخر لنفسه. وباع موجود بيبرس، وكان شيئا كثيرا: فوجد له ثمانين بذله ثياب، ما بين أقبية وبغالطيق للبسه، وستين سروالا، وثمانين قميصا. وصار كريم الدين يتردد إلى بيت الشهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان المتحدث فى أملاكه، وهو حينئذ عظيم الدولة المتحدث فى سائر أمور المملكة، ويقرب إليه بما يحب. وطلب الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى مباشرى الأمراء المقبوض عليهم، وطالبهم بالأموال.

وأما قرا سنقر والنواب فإنه سقط فى أيديهم، وداخل كلا منهم الخوف على نفسه من السلطان، واتفقوا على ألا يحضر أحد منهم إلى السلطان إن استدعاه، فلم يفدهم ذلك. وكان من خبرهم ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما فات السلطان قرا سنقر لم ير القبض على أسندمر كرجى، وخلع عليه وولاه نيابة حماة، وسار إليها. وندب الأمير علم الدين سنجر الخازن لمساعدة الصاحب فخر الدين على حوطات الأمراء.

ثم ركب السلطان إلى الميدان فى موكب عظيم، واجتمع الناس لرؤيته، واستأجروا الحوانيت والدور بمال كبير، فكان يوما مشهودا.

وفى أول ذى الحجة: دخل الأمير قرا سنقر دمشق. وفيه سار الأمير أرغون الدوادار على البريد إلى الشوبك بتشريف سلار، وأنعم عليه بمائة فارس، وأخرجت له بلاد من خاص الكرك زيادة على ما بيده من الشوبك، وكتب له به منشور.

وفيه وسط تحت القلعة سبعة من مماليك أقوش الرومى، بسبب أنهم تولوا قتله وأخذوا ماله، وصاروا إلى الكرك كما تقدم.

وفيه منع الأويراتية من الدخول إلى الخدمة السلطانية: وسببه أنهم كانوا مستخدمين عند الأمراء، فلما خامروا على أستاذيهم وفروا إلى السلطان بالكرك ظنوا أنهم قد اتخذوا عنده بذلك يدا، فصاروا بعد عوده إلى السلطنة يمشون فى خدمة السلطان ويقفون فوق المماليك السلطانية، فشق ذلك على المماليك، وأغروا السلطان بهم حتى تنكر لهم، وأكثروا من ذمهم والعيب عليهم بكونهم خامروا على أستاذيهم وأنهم لا خير فيهم، إلى أن منعهم السلطان.

وفيه كتب لقرا سنقر نائب دمشق بمحاربة العشير وقتلهم، وكانت بنو هلال وبنو أسد قد كثرت حروبهم وعظم فسادهم لاختلال أمر الدولة، فبعث إليهم قرا سنقر

(١) هى إحدى فرق المماليك السلطانية.

تجريدة أحضرت روءساءهم، وقرر عليهم ثلاثمائة ألف درهم، وحبس رهائنهم، وبعث يسأل الإنعام عليه بمبلغ، فأنعم عليه. وأعيد الشيخ كريم الدين عبد الكريم الآملى إلى مشيخة سعيد السعداء، وعزل عنها بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر عوضه جمال الدين محمد بن تقى الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على بن القسطلانى فى خطابة القلعة، وكان قد عزل منها ابن جماعة أيضا لتغير السلطان عليه. وأنعم على الأمير نوغاى القبجاقى بإمرة دمشق عوضا عن قطلوبك، وسار إليها. وكتب بقطع خبز الأمير قطلوبك الأوشاقى والطنقش أستادار الأفرم وعلاء الدين على بن صبيح مقدمى الجبلية وحملهم إلى مصر.

وفيه قبض على الأمير برلغى الأشرفى وطغلق السلاح دار ومغلطاى الفارقانى، وكتب لقرا سنقر بالقبض على نوغاى وبيبرس العلمى، فقبض عليهما وسجنا بقلعة دمشق. وأحيط بسائر ما لهما.

وفيها كانت حرب بالمدينة النبوية: وذلك أن الشريف مقبل بن جماز بن شيحة أمير المدينة تنافس مع أخيه منصور، فتركه وقدم إلى القاهرة، فولاه الملك المظفر نصف الإمرة بنجد، واستخلف ابنه كبيشة. ففر كبيشة عنها وملكها مقبل، فعاد كبيشة بجمع كبير وحاربه وقتله، واستقر منصور بمفرده.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر ضياء الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصاري البخارى، القرطبى المتحد، القنائى المولد والوفاة، فى رابع ذى القعدة، وكان رئيسا ببلده.

ومات الشيخ الصالح المعمر أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحمامى البغدادى، بمكة فى جمادى الآخرة.

ومات نبيه الدين حسن ابن حسين بن جبريل ابن نصر الأنصارى الأسعردى، بالقاهرة فى أول جمادى الآخرة، ولى حسبة القاهرة، لما استقر ضياء الدين أبو بكر النشائى وزيرا تولى هو نظر الدولة، مات بمصر عن سبع وسبعين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن أبى الفتح البعلى الفقيه الحنبلى، فى المحرم بمصر، وكان بارعا فى الفقه والنحو.

ومات الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصورى فى ربيع الأول؛ ودفن خارج باب النصر، بعدما استعفى من الإمرة ولزم داره حتى مات ومات الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس القمولى[١] الشافعى، بقوص فى جمادى الأولى؛ وكان صالحا عالما بالفقه والتفسير والحديث.

ومات قاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحرانى الحنبلى، ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول، ودفن بالقرافة، ومولده بحران[٢] سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى، بالقاهرة فى عاشر رمضان.

ومات الأمير عز الدين أيبك الخازندار، بالقاهرة فى سابع رمضان.

ومات الأمير عز الدين عبد العزيز بن شرف الدين محمد القيسرانى، كاتب الدرج ومدرس المدرسة الفخرية بالقاهرة، يوم الخميس عاشر صفر.

ومات الأمير سيف الدين قيران شاد الدواوين بدمشق، بعد عزله.

ومات الأمير علاء الدين أ قطوان الدوادارى بدمشق أيضا.

ومات الأمير علاء الدين على بن معين الدين سليمان البرواناه نائب دار العدل، بقلعة الجبل، وقدمت أخته بعد موته فشاهدته ميتا،ثم دفن.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الرستمى شاد الدواودين، بدمشق فى يوم الأحد ثانى عشرى جمادى الأولى.

ومات متملك تونس الأمير أبو عبد الله المعروف بأبى عصيدة ابن يحيى الواثق بن محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى عاشر ربيع الآخر، وكانت مدته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، وولى بعده الأمير أبو بكر بن أبى زيد عبد الرحمن ابن أبى بكر بن يحيى بن عبد الواحد المدعو بالشهيد، لأنه قتل ظلما بعد ستة عشر يوما، وبويع بعده أيضا الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم[٣].

---

(١) نسبة إلى بلدة قمولة وهى: قرية بأرض مصر كالمدينة جامعة متحضرة مكتفية بكل نعمة، وفيها أنواع من الفواكه وضروب من التمور والعنب، قال بعضهم: وزنت منه حبة فوجدت زنتها اثنى عشر درهمًا، وفيها من الدلاع وأنواع الموز ما يجل عن المقدار المعهود، وكذلك الرمان والسفرجل والاحباص وسائر الفواكه، وكل شيء من ذلك كثير يباع بأيسر الأثمان، وبشمال هذه المدينة جبل يقال إن فيه كنوزًا ومطالب وطلابًا إلى الآن. انظر: الروض المعطار.٤٧٣.

(٢) هى مدينة عظيمة مشهورة من حزيرة أقور، وهى قصبة ديار مصر، بينها وبين الرها وبين الرقة يومان، وهى على طريق الموصل والشام والروم. انظر معجم البلدان ٢/٢٣٥.

(٣) خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد، أبو البقاء: أمير من آل حفص =

ومات التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة، فى يوم السبت ثانى رجب، وكان عند المظفر بيبرس بمكانة عظيمة قرره مشيرا، فكانت تحمل إليه فوط العلامة، فيمضى منها ما يختاره ويكتب عليه عرض، فإذا رأى السلطان خطه علم وإلا فلا، وكذلك كتب البريد، ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه الأفرم نائب الشام يهدده بقطع رأسه، فامتنع، وكان مشهورا بالأمانة والعفة، مهيبا له حرمة، لا يخالط أحدا ولا يقبل هدية.

* * *

أصحاب إفريقية الشمالية - ولى بعد وفاة أبيه سنة ٧٠٠ هـ فى بجاية. كانت ولايته بتونس سنتين وثلاثة عشر يوما. انظر: الخلاصة النقية ٦٨ وابن خلدون ٣٢١/٦ والعبر ١٠٥/١ والكامل ٣٠٢ والأعلام ٣٠٠/٢.

سنة عشر وسبعمائة

أهل المحرم: فوردت رسل سيس بهدية، منها طشت ذهب وإبريق بلور مرصع بالجوهر، وكتاب يتضمن الهناء بالعود إلى الملك، فأجيب بالشكر.

وصرف قاضى القضاء بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الشافعى، وولى بعده القضاء بديار مصر جمال الدين أبو الربيع سليمان بن مجد الدين أبى حفص عمر بن شرف الدين أبى الغنائم سالم بن عمرو بن عثمان الأذرعى الشهير بالزرعى الشافعى[1]، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى صفر.

وعزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى[2] الحنفى فى رابع ربيع الأول، فأقام بعد عزله ستة أيام ومات واستدعى شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الحسن بن عبد الوهاب بن أبى عمر الأنصار الدمشقى المعروف بابن الحريرى الحنفى من دمشق إلى القاهرة، واستقر فى قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر فى رابع ربيع الآخر.

وعزل الأمير علاء الدين كشتغدى البهادرى من شد الدواوين، واستقر عوضه بلبان المحسنى، ثم عزل بلبان بعد أيام بعلم الدين سنجر الخازن. واستقر شمس الدين غبريال فى نظر الدواوين، وعزل شاورشى بن قنغر من ولاية القاهرة.

وفى ربيع الأول قبض السلطان على إخوة سلار وحاشيته، فقبض علاء الدين سمك

---

(١) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاضى القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب ولد بأذرعات (قرب دمشق) وتعلم بدمشق وولى قضاء أزرع ثلاث عشرة سنة، فنسب إليها ثم ناب فى الحكم بدمشق سبع سنين. وانتقل إلى مصر فناب فى الحكم سبعا أيضا ثم ولى القضاء استقلالا نحو سنة. وعاد إلى دمشق، فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة وعزل من القضاء لخصومة بينه وبين قاضى الحنابلة فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر، وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ وطبقات السبكى ١٠٥/٦ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ وشذرات الذهب ١٠٧/٦ أو النجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣٠/٣.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى، أبو العباس، شمس الدين فقيه، كان حنبليا وتحول حنفيا. وأشخص من دمشق إلى مصر، فولى الحكم الشرعى فيها مدة ونعت بقاضى القضاة. وعزل قبل موته بأيام. وأسىء إليه فمات قهرا. ودفن بقرب الشافعى، بالقاهرة. انظر: البداية والنهاية ٦٠/١٤ والجواهر المضيئة ٥٣/١ والدر الكامنة ١/ ٩١ والطبقات السنية ٣٠٠/١ والأعلام ٨٦/١.

وجبا وداود وأمير على وساطى. وقبض على الأمير طشتمر الجوكندار وكورى السلاح دار وسيف الدين الطشلاقى وقلغاى، وتتمة ستة عشر أميرا. وكتب إلى نائب دمشق ونائب طرابلس بالقبض على الأمراء الذين أفرج عنهم عندما قدم السلطان من الكرك: وهم ألطنبغا وأشقتمر وعبد الله والأقوش المنصورى والشيخ على التترى وبينجار التترى وموسى وغازى وأخوا حمدان بن صلغاى وطرنطاى المحمدى وأقطوان الأشرفى، فقبض عليهم خوفا من شرهم وإقامتهم الفتن. وكتب إلى نائب حلب بالقبض على فخر الدين أياز نائب قلعة الروم، فقبض عليه، وأخذ ماله فكان ألف ألف درهم، حملت إلى السلطان.

واستقر نجم الدين محمد بن عثمان البصروى فى وزارة دمشق، وسار من القاهرة فى سابع صفر. واستقر الأمير بكتمر الحسامى الحاجب فى نيابة غزة، عوضا عن بلبان البدرى، وسار فى سابع عشرى المحرم. وندب الأمير بدر الدين القرمانى لكشف القلاع الشامية، فسار ومعه أمين الدين عبد الله بن الغنام. وقبض السلطان على قطقطوا،والشيخ على وضروط مماليك سلار، وأمر جماعة من المماليك منهم بيبغا الأشرفى وسيف الدين جغطاى وطيبغا الشمسى وبكتمر قبجق وبهادر السعيدى الكركرى وطشتمر أخو بتخاص والعمرى وقطلوبغا وأزدمر وملكتمر الشمسى وفردز الكمالى وبيدوا وقرا وأيدمر الدوادار وبهادر النقيب.

وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا ملك العرب فى جمادى الأولى، فأكرمه السلطان وخلع عليه، فسأل فى أشياء منها: ولاة حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على، فأجابه السلطان إلى ذلك، ووعده بحماة عوضا عن أسندمر كرجى، ومنها الشفاعة فى عز الدين أيدمر الشيخى، فعفا عنه السلطان وأخرجه إلى قوص، ومنها الشفاعة فى الأمير برلغى الأشرفي - وكان فى الأصل قد كسبه مهنا من التتر، وأهداه للملك المنصور قلاوون، فرتبه عند ابنه الملك الأشرف خليل - فعدد السلطان ذنوبه، وما زال به مهنا حتى خفف عن برلغى، وأذن للناس فى الدخول عليه، ووعده بالإفراج عنه بعد شهر، فرضى منها بذلك، وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء.

ولما فرغ السلطان من أمر المظفر بيبرس لم يبق عنده أهم من سلار، فندب إليه الأمير ناصر الدين محمد بن أمير سلاح بكتاش الفخرى، وكتب على يده كتابا بحضوره، فاعتذر عن الحضور بوجع فى فؤاده، وأنه يحضر إذا زال عنه. فتخيل السلطان من تأخيره، وخاف أن يتوجه إلى التتر؛ فكتب إلى قرا سنقر نائب الشام وإلى أسندمر نائب

طرابلس بأخذ الطريق على سلار لئلا يتوجه إلى التتار، وبعث الأمير بيبرس الدوادار وعلم الدين سنجر الجاولى إلى سلار، وأكد عليهما فى إحضاره، وأن يضمنا له على السلطان أنه يريد إقامته عنده ليستشيره فى أمور المملكة؛ فقدما عليه وبلغاه عن السلطان ما قال، فوعد بأنه يحضر، وكتب الجواب بذلك؛ فلما رجعا اشتد قلق السلطان وكثر خياله.

وأما سلار فإنه تحير فى أمره، واستشار أصحابه فاختلفوا عليه فمنهم من أشار بتوجهه إلى السلطان، ومنهم من أشار بتوجهه إلى قطر من الأقطار، إما إلى التتار أو إلى اليمن أو برقة. فعول سلار على المسير إلى اليمن؛ ثم أجمع على الحضور إلى السلطان، وخرج من الشوبك وعنده ممن سافر معه من مصر أربعمائة وستون فارسا، وسار إلى القاهرة؛ فقدم وقبض عليه فى سلخ ربيع الآخر، وسجن بالقعة.

وفيها عزل صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل من وظائفه بدمشق، من أجل أنه قبض عليه بصالحية دمشق وعنده جماعة يعاقرونه الخمر.

وفيها ضيق على الأمير برلغى بعد سفر الأمير مهنا، وأخرج حريمه من عنده ومنع من الوصول إليه، ومن أن يدخل إليه بأكل أو شرب فلما أشفى برلغى على الموت قتل، بعدما يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع؛ ومات ليلة الأربعاء ثانى رجب.

وفيها قتل الأمير سلار أيضا بقلعة الجبل، فى رابع عشرى جمادى الأولى، وأحيط بماله وكان شيئا كثيرا. ولما وصل طلبه فرقه السلطان على الأمراء، ثم ماتت أمه بعد أيام. وكان سلار عاقلا له رأى وحزم، وأصله لما كسبه المنصور قلاوون من التتر

وقدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب؛ وأن عماد الدين إسماعيل لما ورد عليه التقليد بنيابة حماة سار إليها من دمشق. فمنعه أسندمر كرجى، فأقام بين حماة وحمص ينتظر مرسوم السلطان. فاتفق موت قبجق، فسار أسندمر من حماة إلى حلب، وكتب يسأل السلطان نيابتها؛ فغضب السلطان من أسندمر، وأسر ذلك فى نفسه.

وفيها عزل الأمير بكتمر الحاجب عن نيابة غزة، وأحضر إلى القاهرة؛ وولى نيابة غزة الأمير قطلقتمر.

وفيها عزل الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى من الوزارة، والأمير علم الدين سنجر الخازن من شد الدواوين؛ واستقر الأمير بكتمر الحاجب فى الوزارة فى حادى عشر رمضان، واستقر فخر الدين أياز أستادار سنقر الأعسر فى شد الدواوين. واتفق أن أياز هذا استخدمه الأمير سلار النائب استاداره بعد موت عز الدين أيدمر الرشيدى، فلم

يزل حتى قبض على سلار وأحيط بماله، ورسم على أياز مع سائر مباشريه، وسلموا لعلم الدين سنجر الخازن مشد الدواوين فى المصادرة، ليستخرج منهم المال؛ فحمل أياز للخازن ألف دينار، وللصاحب فخر الدين ألف دينار، فرد الخازن المال وقبله الصاحب. فلم يمض سوى أيام حتى عزل الصاحب والخازن، وسلما لأياز ليستخرج المال منهما؛ فبعث إليه الخازن ألف دينار فردها، وقال لقاصده: «سلم عليه، وقل له ما لنا عنده شىء، وطيب خاطره»، وبعث إليه الصاحب فخر الدين ألف دينار فأخذها، وقال لقاصده: «عرفه أنى أخذت وديعتى التى كان أخذها منى» ثم إن الأمير بكتمر الجوكندار شفع فيهما، فأفرج السلطان عنهما.

وفيها قدم مملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة بعد خروج أسندمر منها. وقدم رسول الأشكرى ورسل ملك الكرج بهدايا سنية فى رجب، وسألوا فتح الكنيسة المصلبة بالقدس. فكتب الجواب بأن هذه الكنيسة غلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر، وبنى فيها مسجد، ولا يمكن نقض ذلك؛ ورسم أن تفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التى بالقاهرة وكنيسة اليهود، وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء.

وفيها كتب بعزل نجم الدين البصرى عن وزارة دمشق، وولاية شرف الدين حمزة القلانسى عوضه. وقدم البريد بوفاة الحاج بهادر الحلبى نائب طرابلس، فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس، فسار إليها. وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحا زائدا، فإنه كان يخشاه ويخشى شره.

والتفت السلطان إلى أسندمر كرجى نائب حلب، وأخرج تجريدة من القاهرة فيها من الأمراء كراى المنصورى وهو مقدم العسكر، وسنقر الكمالى حاجب الحجاب، وأيبك الرومى، وبينجار، وكجكن، وبهادر آص، وفى عدة من مضافيهم أمراء الطبلخاناه والعشراوات ومقدمى الحلقة؛ وأظهر أنهم قد توجهوا لغزو سيس. وكتب السلطان لأسندمر كرجى بتجهيز آلات الحصار على العادة، والاهتمام فى هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من مصر؛ وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر. وسار الأمير كراى من القاهرة مستهل ذى القعدة، بعدما أخلع عليه، وأسر إليه السلطان ما يعتمده فى أمر كرجى.

وفيها عدى السلطان النيل إلى الجيزة، ونزل تحت الأهرام ليتصيد. فمات ولده على ابن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه، وله من العمر ست سنين، فى ليلة الأحد حادى عشر رجب؛ ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين، بعدما حضر الأمير علم الدين سنجر الجاولى

لتجهيزه. واشتد حزن أمه عليه، ووقفت على القبة ماخصها من إرث الملك الأشرف خليل، ورتبت عند قبره القراء.

وفيهاعظم شأن شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان، وضرب أكابر العنبر(١) بالمقارع، مثل عز الدين بن حالومة وشمس الدين بن الحكيم: وسبب ذلك أن السلطان كان قد وهبه قبل توجهه إلى الكرك مملوكا جميل الصورة، فصار يشتمل على المذكورين ويعاشرهم على ما لا ينبغى، فحنق ابن عبادة من ذلك وأوقع بهم. وضرب ابن عبادة أيضا شهاب الدين أحمد النويرى صاحب التاريخ بالمقارع: وذلك أنه كان استنابه فى المدرسة الناصرية والمنصورية وغيرهما، وجعله يدخل على السلطان ويطالعه بالأمور، فاغتر بذلك وبسط القول فى ابن عبادة. فلم يعجب السلطان منه وقيعته فى ابن عبادة، وعرف ابن عبادة ما قاله فى حقه، وسلمه إليه ومكنه منه، فضربه بالمقارع ضربا مبرحا وصادره، فلم يشكر النويرى أحد على ما كان منه.

وفيها توحش خاطر الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بمصر من السلطان، وخاف منه، واتفق بكتمر مع الأمير بتخاص المنصورى على إقامة الأمير مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح على بن قلاوون فى السلطنة، والاستعانة بالمظفرية، وبعثوا إليه بذلك فوافقهم. وشرع النائب فى استمالة الأمراء، ومواعدة المماليك المظفرية الذين بخدمة الأمراء، على أن كل طائفة تقبض على الأمير التى هى بخدمته فى يوم عينه لهم، ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة، وقد نزل هناك الأمير موسى. فدبروا ذلك حتى انتظم الأمر، ولم يبق إلا وقوعه، فأراد بيبرس الجمدار أحد المظفرية الذين انتظموا فى سلك هذا العقد أن يتخذ يدا عند السلطان، وعرف خوشداشيته قياتمر الخاصكى بما وقع الاتفاق عليه، فبلغ الخبر إلى السلطان، وكان فى الليل، فلم يتمهل السلطان، وطلب أمير موسى إلى عنده، وكان يسكن بالقاهرة، فلما نزل إليه الطلب هرب. واستدعى السلطان الأمير بكتمر النائب، وبعث أيضا فى طلب بتخاص، وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة، فلما دخل إليه بكتمر أكرمه وأجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص، فسقط فى يد بكتمر، وعلم بأنه قد هلك، فقيد بتخاص وسجن، وأقام السلطان فى انتظار أمير موسى، فعاد إليه الجاولى ونائب الكرك وأخبراه بفراره، فاشتد غضبه عليهما. وما طلع النهار حتى أحضر السلطان الأمراء، وعرفهم ما كان قد تقرر من إقامة أمير موسى وموافقة بتخاص له، ولم يذكر بكتمر النائب. وألزم السلطان الأمير كشتغدى البهادرى والى القاهرة بالنداء عليه، ومن أحضره من الجند فله إمرته، وإن كان من العامة أخذ ألف دينار. فنزل كشتغدى ومعه الأمير فخر الدين أياز

---

(١) المقصود بالعنبريين تجار العنبر المستعمل فى الحلى. انظر خطط المقريزى ٢/١٠٢.

شاد الدواوين وأيدغدى شقير وسودى وعدة من المماليك، وألزم سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفية حتى يظهر أمير موسى، وقبض على حواشي موسى وجماعته وعاقب كثيرًا منهم. فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة، ثم قبض عليه من بيت أستادار الفارقاني من حارة الوزيرية بالقاهرة، وحمل إلى القلعة فسجن بها. ونزل الأمراء إلى دورهم، وخلى عن الأمير بكتمر النائب أيضا، ورسم بشمير أستادار الفارقاني، ثم عفى عنه وسار إلى داره.

وتتبع السلطان المماليك المظفرية فقبض عليهم، وفيهم بيبرس الذى نم عليهم وعملوا فى الحديد. وأنزلوا ليسمروا تحت القلعة، وقد حضر نساؤهم وأولادهم، وجاء الناس من كل موضع، فكثر البكاء والصراخ عليهم رحمة لهم، والسلطان ينظر، فأخذته الرحمة وعفا عنهم، فتركوا و لم يقتل أحد منهم.

وأما العسكر فإنه لما وصل إلى حمص أقام بها على ما قرره السلطان مع الأمير كراى، حتى قدم عليه الأمير منكوتمر الطباخي بكتب السلطان لكراى ولكرجى نائب حلب بما يتعمدانه من المراسيم. وقد كتب السلطان معه أيضا مطلقات[1] إلى أمراء حلب بقبض كرجى، وحمله مشافهات لكراى وغيره، فقضى منكوتمر شغله من كراى بحمص، وسار إلى حلب. فرحل كراى فى أثره، وجد فى السير إلى حلب جريدة من غير أثقال، فقطع من حمص إلى حلب فى يوم ونصف، ووقف بمن معه تحت قلعتها عند ثلث الليل الأخير، وصاح «يال على»، وهى الإشارة التى رتبها السلطان بينه وبين نائب القلعة فنزل النائب عند ذلك من القلعة بجميع رجالها، وقد استعدوا للحرب، وزحف ومعه الأمير كراى على دار النيابة، ولحق بهم أمراء حلب وعسكرها. فسلم كرجى و لم يقاتل، فأخذ وقيد وسجن بالقلعة، وأحيط بموجوده، وسار منكوتمر الطباخي على البريد بذلك إلى السلطان. ثم حمل أسندمر كرجى إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأيبك الرومى، فخاف قرا سنقر عند ذلك على نفسه، وسأل أن ينقل من دمشق إلى نيابة حلب، ليبعد عن السلطان، فأجيب إلى ذلك، وكتب تقليده وجهز إليه فى أخريات ذى الحجة.

وفيها استقر كريم الدين وأبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد ابن أخت التاج بن سعيد الدولة فى نظر الخاص ووكالة السلطان، بعد موت شهاب الدين أحمد بن عبادة، فى يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى.

---

(١) المطلقات جمع مطلق، وهى ما يرسله السلطان من رسائل عامة إلى نوابه بمصر ونيابات الشام. انظر صبح الأعشى ٢١٨/٧.

وفيها قدم أسندمر كرجى، فاعتقل بالقلعة، وبعث يسأل عن ذنبه عنده، فأعاد جوابه: «ما لك ذنب إلا أنك قلت لما ودعتك عند سفرك، أوصيك يا خوند لا تترك فى دولتك كبشا كبيرًا، وأنشئ مماليكك، و لم يبق عندى كبش كبير غيرك».

وفيها قبض على طوغان نائب البيرة، وحمل إلى السلطان فحبسه أياما، ثم ولاه شد الدواوين بدمشق. وخرج الأمير أرغون الدوادار على البريد بتقليد قرا سنقر حلب، وأسر إليه القبض عليه إن أمكن ذلك.

وفيها قدم الشريف منصور أحمد بن جماز من المدينة النبوية بتقادم، فأنعم عليه بإعادة ما خرج لأخيه مقبل.

وفيها استعفى الطواشى شهاب الدين مرشد الخازندار من الإمرة، فأعفى.

واتفق فى هذه السنة أمر غريب قلما عهد مثله: وهو موت سلطان مصر، وقاضيها إمام الحنفية فى عصره، ومفسرها، والمتكلم على القلوب، وواعظها، وشيخ شيوخها وإمام الشافعية وعالمهم، ومحتسبها، وناظر جيوشها، وأديبها فقتل السلطان الملك المظفر بيبرس فى ذى القعدة. وتوفى القضاة إمام الحنفية فى عصره شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى المصرى، عن ثلاث وسبعين سنة، فى يوم الخميس ثالث عشرى رجب؛ ومولده سنة سبع - وقيل سنة تسع - وثلاثين وستمائة، وأخذ الفقه عن صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب[1] وغيره، ودفن بالقرافة، وله على كتاب الهداية شرح جليل لكنه لم يكمل، وله اعتراضات على التقى ابن تيمية.

ومات الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن على[2] بن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم ابن إبراهيم بن عباس الأنصارى البخارى المعروف بابن الرفعة الفقيه الشافعى المصرى، فى ليلة الجمعة ثامن عشر رجب، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة. وتوفى الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوى، فى تاسع ذى القعدة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطا الله صاحب الكلام الرائق الفائق، فى ثالث عشر جمادى الآخرة.

ومات شيخ الوعاظ نجم الدين العنبرى، فى سادس شعبان، ومات شيخ الشيوخ

---

(١) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم. انظر الدارس ٥٤٣/١ والبداية والنهاية ٢٨١/١٣ وشذرات الذهب ٣٥٧/٥ ومرآة الجنان ١٨٨/٤ والأعلام ١٣٨/٣.

(٢) أحمد بن محمد بن على الأنصارى، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة: فقيه شافعى من فضلاء مصر. كان محتسب القاهرة وناب فى الحكم. انظر البدر الطالع ١١٥/١ وطبقات الشافعية ١٧٧/٥ والدرر الكامنة ٢٨٤/١، وحسن المحاضرة ١٧٦/١ والأعلام ٢٢٢/١

خانكاه السعداء كريم الدين أبو القاسم عبد الكريم بن الحسين أبى بكر الآملى الطبرى، فى تاسع شوال، وولى بعده علاء الدين على بن إسماعيل القونوى(١).

ومات القاضى بدر الدين حسن بن نصر الأسعردى المحتسب، فى مستهل جمادى الآخرة.

ومات القاضى بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على بن المظفر بن الحلى ناظر الجيوش، فى ليلة العاشر من شوال.

ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعى(٢) الموصلى فى ثامن عشرى جمادى الآخرة، ومولده بالموصل سنة سبع وأربعين وستمائة، وكان كثير المجون والشعر البديع، وله كتاب طيف الخيال، لم يصنف مثله فى معناه.

ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو الربيع بن أبى عامر بن السلطان أبى يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن عبد الحق المرينى، فى آخر جمادى الآخرة، وبويع بعده أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق.

ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع بن راضى العزازى(٣) التاجر، عن بضع وسبعين بالقاهرة فى تاسع عشرى المحرم، وله ديوان شعر كبير ومات فخر الدين إسماعيل بن عبد القوى بن الحسن حيدرة الحميرى الإسنائى المعروف بالإمام الفقيه الشافعى، بعدما كف بصره، بمدينة قوص.

ومات شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة وكيل الخاص، فى ليلة الأحد سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة؛ ودفن بالقرافة؛ وولى بعده كريم الدين أكرم.

---

(١) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى، أبو الحسن، علاء الدين: فقيه، من الشافعية. ولد بقونية، ونزل بدمشق سنة ٦٩٣ هـ. وانتقل إلى القاهرة، فتصوف، وتلقى علوم الأدب والفقه. ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧ هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. انظر: بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤٧/١٤ والدرر الكامنة ٢٤/٣ ودار الكتب ٥٢١/١ والأعلام ٢٦٤/٤

(٢) محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعى الموصلى، شمس الدين: طبيب رمدى (كحال) من الشعراء. أصله من الموصل، ومولده بها. نشأ وتوفى فى القاهرة. وكانت له دكان كحل فى داخل باب الفتوح. له كتب منها «طيف الخيال». فى أرجوزة خيال الظل. انظر فوات الوفيات ١٩٠/٢ والفهرس التمهيدى ٢٨٢ والدرر الكامنة ٤٣٤/٣ وآداب اللغة ١٢١/٣ والنجوم الزاهرة ٢١٥/٩ والوافى بالوفيات ٥١/٣ والأعلام ١٢٠/٦.

(٣) أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز، شهاب الدين العزازى شاعر مصرى. كان بزازا فى القاهرة، بقيسارية جركس. له موشحات وألغاز و«ديوان شعر». غير كامل. انظر آداب اللغة ١٢١/٣ وفوات الوفيات ٤٨/١ والدرر الكامنة ١٩٣/١ والفهرس التمهيدى ٣٠٣ والأعلام ١٦٤/١

ومات أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقاقى ناظر الدواوين بديار مصر، ليلة الأحد ثالث عشرى جمادى الأولى؛ ودفن بالقرافة؛ وكان دينا خيرا كثيرا الإحسان، ولى نظر بيت المال ونظر البيوت ونظر الدولة بمصر والشام.

ومات عز الدين الحسن بن الحارث بن الحسين بن يحيى بن خليفة بن نجا بن حسن ابن محمد من ولد الحارث بن مسكين، أحد أعيان الفقهاء الشافعية بمصر ليلة السبت ثامن جمادى الأولى.

ومات الشريف أبو عبد الله محمد بن على بن أبى طالب، عرف بالشريف عطوف الحسينى الموسى العطار، ليلة الخميس خامس جمادى الآخرة، ودفن خارج باب النصر، وقل حديثه.

ومات الأمير سيف الدين بلبان البيدغانى نائب بغراس، متقولا بيد مماليكه.

ومات الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى نائب طرابلس، فى ربيع الآخر.

ومات الشيخ الصالح عبد الله بن ريحان التقوى السمسار[١] بمصر، حدث عن ابن المقير وابن رواح وغيره.

ومات بهاء الدين على بن الفقيه عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبى المصرى، الصدر المعمر المعروف بابن القيم، فى ذى القعدة، وقد تعين للوزارة، ومولده سنة ثلاث عشرة وستمائة، وكان سليم العقل والحواس.

ومات الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب حلب، فى جمادى الأولى.

ومات الشيخ علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب التاجى، فى سادس ذى القعدة.

ومات بدر الدين أبو البركات عبد اللطيف ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى[٢]، يوم الأحد ثامن عشرى جمادى الآخرة بالقاهرة؛ ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وستمائة، وولى قضاء العسكر.

ومات الخطيب بهاء الدين عبد الرحمن بن عماد الدين على بن السكرى فى حياة أبيه، ليلة السبت حادى عشر رجب بمصر.

---

(١) السمسار: بالسين الوسيط بين البائع والمشترى. انظر محيط المحيط.

(٢) عبد اللطيف بن محمد بن الحسين بن رزين، أبو البركات بدر الدين العامرى الحموى ثم المصرى: فقيه شافعى من المشتغلين بالحديث. حموى الأصل. سمع بمصر والشام، وناب فى القضاء وأفتى، وخطب بالأزهر ودرس. وتوفى بالقاهرة انظر شذرات الذهب ٢٦/٦ والتيمورية ٢٤١/٢ والدرر ٤٠٩/٢ والأعلام ٦٠/٤.

ومات الأمير سيف الدين قشتمر الشمسى، بدمشق.

ومات الطواشى شهاب الدين مرشد الخازندار المنصورى، بالقاهرة فى ليلة الخميس ثالث ذى القعدة، وكان خيرًا، وانفرد بالرواية عن جماعة، وولد سنة ثلاث عشر وستمائة، ومات ولم تتغير حواسه.

ومات الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع الموصلى أمير علم، بمصر فى تاسع رجب.
ومات خضر بن الخليفة أبى الربيع سليمان، فى ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير برلغى الأشرفى فى سجن القلعة، بعدما يبست أعضاؤه وجف لسانه من الجوع فى ليلة الأربعاء ثامن رجب.

ومات الأمير حسام الدين طرنطاى البغدادى.

ومات الأمير علاء الدين ألطنبغا الجمدار.

ومات الأمير سيف الدين أرغون الجمقدار.

ومات قطب الدين محمود بن مسعود بن مفلح الشيرازى[1] صاحب التصانيف، رمضان.

ومات الأمير سيف سلار فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى، وكان من التتار الأويراتية، وصار إلى الملك الصالح على بن قلاوون، وبقى بعد موته فى خدمة الملك المنصور قلاوون حتى مات، ثم دخل فى خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وحظى عنده، فلما قتل حظى عند لاجين لمودة كانت بينهما، وترقى إلى أن صار نائب السلطنة بديار مصر، وكان من أخباره ما تقدم ذكره، إلى أن قدم من الشوبك، فترك فى السجن حتى مات جوعا، وتولى الأمير علم الدين سنجر الجاولى دفنه بتربته على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش، وكان سلار أسمر، لطيف القد أسيل الخد، لحيته فى حنكه سوداء، ظريفا فى لبسه، اقترح أشياء نسبت إليه إلى يوم؛ وبلغ من السعادة إلى مبلغ عظيم: فكان يدخل إليه من أجر أملاكه فى كل يوم ألف دينار مصرية، ومن إقطاعاته وضماناته وحماياته تتمة مائة ألف درهم فى اليوم، عنها حينئذ زيادة على خمسة

---

(١) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسى، قطب الدين الشيرازى: قاض، عالم بالعقليات، ولد بشيراز، وكان أبوه طبيبا فيها، فقرأ عليه، ثم قصد نصير الدين الطوسى وقرأ عليه. ودخل الروم فولى قضاء سيواس وملطية. وزار الشام. ثم سكن تبريز، وتوفى بها. انظر بغية الوعاة ٣٨٩ والدرر الكامنة ٣٣٩/٤ وابن الوردى ٢٥٩/٢ ومفتاح السعادة ١٦٤/١ وتاريخ علماء بغداد ٢١٩ وفهرست الكتبخانة ١٨٦/١ والفهرس التمهيدى ٥٠٩، ٥٢٩ والأعلام ١٨٧/٧، ١٨٨.

آلاف دينار مصرية، وكان إقطاعه أربعين إمرة طبلخاناه، وكان عاقلا متأنيا داهيا قليل الظلم، واشتملت تركته على ثلاثمائة ألف ألف دينار وزيادة: فوجد له في يوم ياقوت أحمر زنة رطلين ونصف، وبلخش زنة رطلين ونصف، وزمرد تسعة عشر رطلا، وستة صناديق فيها جواهر، ومن الماس وعين الهر ثلاثمائة قطعة، ولؤلؤ زنة ما بين مثقال كل حبة إلى درهم عدة ألف ومائة وخمسين حبة، عين مصرى مبلغ مائتى ألف و أربعة وأربعين ألف دينار، وفضة دراهم مبلغ أربع مائة ألف و أحد وسبعين ألف درهم، ووجد له أيضا في يوم فصوص مختلفة زنة رطلين، وذهب عين مصرى مبلغ خمسة وخمسين ألف دينار، ودراهم فضة ألف ألف درهم، وحلى ذهب أربع قناطير، وآلات ما بين طاسات ونحوها ستة قناطير فضة، ووجد في يوم ذهب مصرى مبلغ خمسة وأربعين ألف دينار، ودراهم فضة مبلغ ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف درهم، وفضيات ثلاثة قناطير، ووجد في يوم ذهب عين ألف ألف دينار، وفضة ثلاثمائة ألف درهم، ووجد له ثلاثمائة قباء من حرير بفرو قاقم[١]، وثلاثمائة قباء حرير بسنجاب[٢]، وأربعمائة قباء بغير فرو، وسروج ذهب مائة سرج، ووجد له ثمانية صناديق لم يعلم فيها، حملت مع ما تقدم إلى السلطان، ووجد له ألف تفصيلة ما بين طرد وحش وعمل الدار[٣]، ووجد له خام ست عشر نوبة، ووصل معه من الشوبك مبلغ خمسين ألف دينار ذهبًا، وأربعمائة ألف درهم وسبعين ألف درهم، وثلاثمائة خلعة ملوّنة وخَرْكاه بغشاء حرير أحمر معدنى مبطن بحرير أزرق مَرْوِى[٤]، وسِتْر بابها زركش، ووُجد له ثلاثمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال، وعشرون قطار جمال، ومن الغنم والبقر والجوارى والمماليك والعقار شيء كثير جدا، ووجد له فى موضع بين حائطين عدة أكياس لم يدر ما فيها ولا كم عدّتها، ووجد له فى المرحاض شبه فسقية، كُشف عنها فإذا هى مملوءة ذهبًا؛ ووجد له من القمح والشعير والفول ونحوها ثلاثمائة ألف أردب، وذلك سوى ما أخذ من أخوته ومباشريه وحواشيه وأسبابه[٥]، فإنهم صودروا جميعا حتى مُقَدّم شونه وجباة أملاكه، فاجتمع من ذلك ما لا يدخل تحت حصر لكثرته، والله يؤتى ملكه من يشاء.

* * *

---

(١) القاقم حيوان برى يشبه الفأرة، إلا أنه أطول منها، وموطنه بلاد الشمال، وله فروة تكون ناصعة البياض فى الشتاء.

(٢) السنجاب حيوان يشبه اليربوع.

(٣) على هامش ط: المقصود بالدار هنا دار الطراز.

(٤) الحرير المروى: هو المصنوع بمدينة مرو عاصمة خراسان، وكان يطلق على جميع الأقمشة الخراسانية أيضا.

(٥) على هامش ط: الأسباب جمع سبب، ومعناها الخلصاء والأصدقاء من المحيطين بشخص من الناس.



سنة إحدى عشر وسبعمائة

فى مستهل المحرم: وصل الأمير أرغون الدوادار إلى دمشق، فاحترس منـه الأمـير قـرا سنقر على نفسه، وبعث إليه عدة من مماليكـه يتلقونـه ويمنعـون أحـدًا ممـن قـدم معـه أن ينفرد. مخافة أن يكون معه من الملطفات للأمراء ما فيه ضرر. ثـم ركـب إليـه قـرا سـنقر ولقيه بميدان الحصا ظاهر المدينة، وأنزله عنده بـدار السعادة، ووكـل بخدمتـه مـن ثقاتـه جماعة. فلما كان الغد أخرج لـه أرغـون تقليـد نيابـة حلـب، فقبّله وقبّـل الأرض علـى العادة، وأخذ فى التهيؤ للسفر، و لم يَدَع أرغون ينفرد عنه، بحيث إنه أراد زيـارة أمـاكن بدمشق فركب معه بنفسه حتى قضى أربه وعاد.

وكثر تحدّث الناس بدمشق فى مجىء أرغون، وأنه يريد قبض قرا سنقر، وأن قرا سنقر قد حضره، فهمَّ الأمراء بالركوب على قرا سنقر وأخْذِه، ثم خشوا العاقبة، وأنه لم يصل إليهم مرسوم السلطان بذلك، فكفوا عنه. وصار الأمير بيبرس العلائـى يركـب بمماليكـه فى الليل، ويطوف حول القلعة على هيئة الحرس. وبلغ ذلك قرا سنقر، فاستدعى الأمراء كلهم إلى عند الأمير أرغون، وقال لهم: «إنه قد بلغنى أن بعض الأمراء يركب فى الليل، ويطوف بالقلعة خشية أن أخرج هاربًا، وما فَعَل هذا إلا برأيكم ولابد أن يكـون علمـه عندك يا أمير أرغون. فإن كان قد حضر معك مرسوم بالقبض علىّ فما يحتاج إلى فتنـة، فإنى طائع للسلطان وهذا سيفى خُذْه»، وحـلّ سيفه. فقـال لـه أرغـون: «لم أحضـر إلا بتقليد الأمير نيابة حلب حسب سؤالك، وحاش لله أن يكون السلطان يرى الأمير بهـذه العين»، وأبكز أرغون أيضًا أن يكون عنده علم بركوب الأمير بيبرس العلائـى فـى الليـل حول السور، فوعد قرا سنقر أنه يتوجه غدًا إلى حلب، وانفض المجلس.

ثم إن قراسنقر بعث إلى الأمراء ألا يركـب أحـد منهـم لوداعـه ولا يخرج مـن بيتـه، واستعد وقدم أثقاله أولا فى الليل. فلما أصبح ركب يوم الرابـع مـن المحـرم فـى مماليكـه وعدتهم ستمائة فـارس، وركـب أرغـون بجانبـه وبهـادر آص فـى جماعـة قليلـة. وسـار قراسنقر، فقدم عليه الخبر أن الأمير سنقر الكمالى الحاجب قد تـأخر فـى حلـب بجماعـة من عسكر مصر، فعرج عن الطريـق حتـى إذا قـارب حلـب نـزل، وقـال لأرغـون: «لا أدخل حلـب وبهـا أحـد مـن عسـكر مصـر»، فبعـث أرغـون إلى سـنقر الكمـالى يـأمره بالخروج من حلب فلما رحل عنها سنقر الكمالى دخل إليها قراسنقر فى نصف المحـرم،

ولبس التشريف وقرئ تقليده على العادة، وأعاد الأمير أرغون وقد أنعم عليه. فوصل أرغون إلى دمشق، وقلد الأمير سيف الدين كراى المنصورى نيابة دمشق فى يوم الخميس حادى عشريه، وألبه التشريف على العادة، وقرئ تقليده، وركب الموكب. ثم أنعم كراى على أرغون بألف دينار سوى الخيل والخلعة وغير ذلك، وأعاده إلى مصر، فشكره السلطان على ما كان من حسن تأنيه وإخماد الفتنة. وقدم الأمير سنقر الكمالى بالعسكر أيضا، فخلع عليه وأجلس بالإيوان.

وفى صفر: توجه الأمير طوغان المنصورى إلى دمشق متوليًا شاد الدواوين، عوضا عن فخر الدين أياز، فقدمها فى ثامن عشره، وقبض على أياز وألزمه بثلاثمائة ألف درهم. وولى الأمير ركن الدين بيبرس العلائى نيابة حمص.

وفيها عزل الصاحب عز الدين حمزة القلانسى[١] وزير دمشق، وعوق حتى حمل أربعين ألفا انساقت باقيا على ضمان الجهات، ثم أفرج عنه وقدم القاهرة، فأنعم عليه ورسم بإعادة ما حمله إلى دمشق واستعاده.

وفيها عزل الأمير بكتمر الحسامى عن الوزارة، واستقر أمين الدين عبد الله بن الغنام ناظر الدواوين عوضه فى الوزارة. وأنعم على الأمير بكتمر بإمرة، عوضا عن سنقر الكمالى، وولى حاجبا، وذلك فى سادس ربيع الآخر.

وفى يوم الإثنين حادى عشريه: أعيد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف جمال الدين سليمان بن عمر الزرعى واستقر الزرعى فى قضاء العسكر وتدريس الجامع الحاكمى، ورسم له أن يجلس بين الحنفى والحنبلى بدار العدل.

وفى مستهل جمادى الأولى: اسنقر الأمير علم الدين سنجر الجاولى فى نيابة غزة، وقبض على الأمير قطلو قتمر نائب غزة.

وقدم الخبر من سيس بأن فرنج جزيرة المصطكى[٢] أسروا رسل السلطان إلى الملك طقطاى، ومن معهم من رسل طقطاى وعدتهم ستون رجلا، وأنه بعث فى فدائهم

---

(١) حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة التميمى الدمشقى، الصاحب عز الدين أبو يعلى ابن القلانسى: رئيس الشام فى عصره. مولده ووفاته بدمشق. ولى وكالة السلطان والوزارة بها. أعرض عن المناصب تنزها. وصودر. انظر القلائد الجوهرية ٨٥ والدرر الكامنة ٧٥/٢ والدارس ٩٦/١ والأعلام ٢٧٧/٢.

(٢) هذه الجزيرة واقعة فى بحر الأرخبيل اليونانى، وهى على مسافة قريبة من جزيرة النقربنت. انظر صبح الأعشى ٣٧٢/٥.

ستين ألف دينار ليتخذ بذلك يدا عند السلطان، فلم يمكنوه منهم. فكتب إلى الإسكندرية ودمياط بالحوطة على تجار الفرنج واعتقالهم كلهم، فأحيط بحواصلهم وحبسوا بأجمعهم. وحضر أحد تجار الجنوية فضمن إحضار الرسل وما معهم، فمكن من السفر.

وفيها عزم السلطان على إنشاء جامع، فاستشار الفخر ناظر الجيش فأشار بعمارته على ساحل مصر، وعين موضع الجامع الجديد، وكان بستانا يعرف بالحاج طيبرس وشونا وغير ذلك، فاستبدل بالأرض على رأى الحنابلة، فإنها كانت وقفا. ونزل السلطان حتى رتبه، وأقام الفخر على عمارته.

وفيها قبض على الأمير بكتمر[1] الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر، فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، وقبض معه على عدة أمراء، منهم صهره ألكتمر الجمدار، وأيدغدى العثمانى، ومنكوتمر الطباخى، وبدر الدين أيدمر الشمسى، وأيدمر الشيخى، وسجنوا إلا الطباخى، فإنه قتل فى وقته. ثم استدعى السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى، وخلع عليه وولاه النيابة عوضا عن بكتمر الجوكندار فى يوم السبت ثامن عشره.

وفيها أمر أن يجدد السلطان الجلوس بدار العدل فى كل ثنين، فدار النقباء على القضاة وغيرهم من أهل الدولة. وجلس السلطان فى يوم الإثنين عشريه، ونودى فى الناس من له ظلامة فليرفع قصته بدار العدل، فخاف الأمراء وغيرهم، وأدوا ما عليهم من الحقوق من غير شكوى، ورفع الناس قصصهم فقرأها الموقعون على السلطان بدار العدل، ووقع عليها بين يديه، وحكم بين الناس، وأنصف المظلوم، واستمر الجلوس فى كل يوم إثنين.

وفيها صرف السلطان قاضى القضاة زين الدين أبا الحسن على بن مخلوف، بسبب مفاوضة فى مكتوب، ثم أعاده بعد أيام فى سادس رجب، وخلع عليه.

وفيها استدعى السلطان القضاة، وولى كريم الدين أكرم عبد الكريم الكبير وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر السلطنة بحضورهم، وخلع عليه. فكان أول سعادته أن السلطان اشترى من الفرنج جواهر وغيرها، فبلغ ثمنها ستة عشر ألف دينار، وأحالهم بها على كريم الدين، فذكر الفرنج أنهم بعد ثلاثة أيام يسافرون فحلفه السلطان ألا يؤخرهم عن الثلاثة أيام، فنزل إلى داره وهو محصور لعدم المال عنده، واستشار الأمير

---

(١) على هامش ط: كان سبب القبض على الأمير بكتمر أنه شرع فى التدبير لخلع السلطان الناصر، وأنه أراد السلطنة لنفسه.

علاء الدين بن هلال الدولة والصلاح الشرابيشى، فحسب له أخذ حاصل المارستان المنصورى والاقتراض من تجار الكارم بقية المبلغ - وكانت تجار الكارم بمصر حينئذ فى عدة وافرة، ولهم أموال عظيمة. ومضى من الأجل يومان، وأصبح فى اليوم الثالث آخر الأجل فأتاه الفرنج وقت الظهر لقبض المال، فاشتد قلقه وأبطأ عليه حضور الكارم. وبينا هو فى ذلك إذ أتاه تجار الكارم، فنظر بعضهم إلى واحد من الفرنج له عنده مبلغ عشرين ألف دينار قراضا، فسأل التجار الفرنج عن سبب جلوسهم على باب كريم الدين، فقالوا: «لنا عليه حوالة من قبل السلطان بمال، وقد وعدنا بقبضه اليوم». فطالبهم الكارمى بماله من مبلغ القراض، فوعدوه بأدائه. وبلغ ذلك كريم الدين، فسر به سرورا زائدا وكتمه، وأمر بالكارم والفرنج فدخلوا عليه، فلم يعرف الكارم بشىء من أمره، ولا أنه طلبهم ليقترض منهم مالا، بل قال: ما بالكم من الفرنج؟»، فعرّفعوه أمر القراض الذى عند الإفرنجى، فقال لهم: «مهما كان عند الإفرنجى هو عندى». ففرح الفرنج بذلك، وأحالوا الكارمى على كريم الدين بستة عشر ألف دينار، وهى التى وجبت عليه بحوالة السلطان، ودفعوا أربعة آلاف تتمة عشرين ألف دينار للكارمى. وقام الفرنج وقد خلص كريم الدين من تبعهم بغير مال، والتزم للكارمى بالمبلغ، فمضى هو وبقية التجار من غير أن يقترض منهم شيئا، فعد هذا من غرائب الاتفاق.

وفيها قبض على الأمير قطلوبك نائب صفد. وأنعم على الصاحب نجم الدين البصروى بإمرة.

وفيها قرر على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس، وهى التى كانت تسمى مقرر الخيالة، فلما ورد المرسوم بذلك على الأمير كراى نائب دمشق أعسف بالناس فى الطلب، وضرب جماعة وأخذ مالا كبيرا، فتجمع الناس مع الخطيب جلال الدين محمد القزوينى، وكبروا ورفعوا المصاحف والأعلام، ووقفوا للنائب، فأمله بهم فضربوا وطردوا طردا قبيحا، فكثر عليه الدعاء، فلم يمهل بعدها غير تسعة أيام.

وقدم أرغون الدوادار من مصر إلى دمشق يوم الأربعاء ثانى عشرى جمادى الأولى على البريد، وعلى يده مراسيم للأمراء بالقبض على الأمير سيف الدين كراى، ووصل أيضا فى هذا اليوم مملوك كراى، وصحبته تشريف وحياصة وسيف لمخدومه، واتفق قدوم رسل التتر. فأوصل الأمير أرغون الكتب إلى الأمراء، وأصبح كراى يوم الخميس فركب الموكب، ونزل وقد احتفل لأجل لبس التشريف، ولقدوم الرسل. فلما فرغ الأكل، وانصرفت الرسل، أحاط الأمراء بكراى وأخرجوا مرسوم السلطان بمسكه،

فقبض عليه وهو بتشريفه[١]، وحمل مقيدًا إلى الكرك، فسجن بها. وكان القبض عليه فى يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الأولى، وقبض فى غده على قطلوبك نائب صفد، وسجن بالكرك. واستقر فى نيابة دمشق عوض الأمير كراى الكبير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه فى مستهل جمادى الآخرة، فقدمها فى رابع عشره.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بهادر آص فى نيابة صفد، وأرسل تشريفه صحبة الأمير جمال الدين أقوش، وقد توجه إليها. ورسم للأمير بدر الدين بكتوت القرمانى بشد الدواوين بدمشق، وكتب على يده مساحة بما قرره كراى. وتوجه بكتوت مع الأمير جمال الدين أقوش إلى دمشق، فقدمها فى رابع عشر جمادى الآخرة، وقرئت المسامحة على منبر الجامع، فسر الناس بذلك. وقبض بدمشق على الأمير بكتوت الشجاعى، وسيف الدين جنقار الساقى، وحملا إلى الكرك.

وفيها نقل الأمير بكتمر الجوكندار النائب والأمير أسندمر كرجى من سجن الإسكندرية إلى سجن الكرك؛ فاجتمع بالكرك من الأمراء المعتقلين بكتمر الجوكندار، وأسندمر كرجى، وكراى المنصورى، وقطلوبك المنصورى نائب صفد، وبيبرس العلائى، فى آخرين.

وفيها استقر الأمير سيف الدين بيبغا الأشرفى فى نيابة الكرك، عوضا عن الأمير أيتمش المحمدى؛ وكان السلطان قد استنابه بها لما خرج منها إلى دمشق.

وفيها وصل الأمير سليمان بن مهنا إلى القاهرة، ومعه عدة من التتر مقيدين، أسرهم فى الغارة على التتر؛ فأنعم عليه بمائة ألف درهم.

وفيها قدم البريد من حلب بأن خربندا ملك التتر قتل جماعة من خواصه، وقتل خواصه.

وفيها أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب، أقامها له الشيخ أبو يحيى زكريا ابن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن حفص عمر اللحيانى[٢]، لما جهزه السلطان إليها بالصناجق وبعدة من الأجناد؛ وكان ذلك فى شهر رجب، وكان الأجناد قد قدموا مع بيبرس، بعدما قدمها أبو يحيى من مصر فى جمادى الأولى.

---

(١) ملابس التشريفة، هى الشاس والكلوتة. انظر: النهج السديد ٣/٢٠٣.

(٢) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانفى، أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونس. وصار إلى الملك سنة ٦٨٠. ثم رحل من تونس إلى الإسكندرية وزار القاهرة واستمر فى البلاد المصرية إلى أن توفى بالإسكندرية. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٢٦٨ وابن خلدون ٦/٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبداية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٦.

وفي ثامن عشر رمضان: كتب باستقرار الأمير بلبان في نيابة قلعة دمشق، عوضا عن بهادر السنجرلي. ورسم لبهادر بنيابة قلعة البيرة.

وفي سادس شوال: قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام، وعلى التاج عبد الرحمن الطويل، وقرر عليهما مال، فحملاه وهما معوقان بالقلعة، من غير أن يلي أحد. ثم أفرج عنهما يوم الخميس حادى عشريه، وخلع عليهما، واستقرا على عادتهما. فمات التاج في ذي القعدة، واستقر عوضه في نظر الدولة تقي الدين أسعد ابن أمين الملك المعروف بكاتب برلغي، وولي التاج إسحاق والموفق هبة الله وظيفة مستوفي الدولة، وكانا كتابا لسلار.

وفيها توجه السلطان إلى بلاد الصعيد. ورسم بنقض الإيوان الأشرفي بقلعة الجبل، فنقض وجدد، فلما عاد السلطان جلس فيه على العادة.

وفيها وصل كرنبس ملك النوبة بالقود المقرر عليه، بعد قتل أخيه. وقدمت رسل الملك المؤيد هزبر الدين دواد ملك اليمن، بهدية ومائتى جمل ومائتى جمال وخيول ووحوش وطيور، ففرق ذلك على الأمراء الأكابر والأصاغر.

وفيها استقر علاء الدين على بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير في كتاب السر، عوضا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى، في يوم الأحد سابع ذى الحجة، ونقل شرف الدين إلى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أخيه محيى الدين يحيى. وكان ابن الأثير قد توجه من مصر مع السلطان، هو وجمال الدين إبراهيم بن المغربي، فلما أقام بالكرك خيرهما، فاختارا الإقامة عنده، فلما عاد إلى ملك مصر رعى لهما ذلك، وأقر ابن الأثير في كتابة السر، وابن المغربي في رياسة الأطباء.

وفيها أخذ الأمير قرا سنقر في التدبير لنفسه، خوفا من القبض عليه كما قبض على غيره، واصطنع العربان وهاداهم، وصحب سليمان بن مهنا وأخاه، وأنعم عليه وعلى أخيه موسى، حتى صار الجميع من أنصاره، وقدم عليه الأمير مهنا إلى حلب، وأقام عنده أياما، وأفضى إليه بسره، وأنه خائف من السلطان، وأوقفه على كتاب السلطان بالقبض على مهنا، وأنه لم يوافق على ذلك، فغضب الأمير مهنا، وأخذ يسكن ما بقرا سنقر، وانصرف وقد اشتد غضبه. وبعث قرا سنقر يسأل السلطان في الإذن له بالسفر إلى الحج، فأذن له في الحج، وقد سر أنه بخروجه من حلب يقدر على أخذه، وبعث إليه بألفى دينار وخلعة. وكتب السلطان إلى الأمير مهنا يطلب منه فرسا عينه، وأن يحضر إلى مصر لزيارته - وكان قد بلغه اجتماع مهنا بقرا سنقر. فدبر أمرا يعمله معه أيضا - ، فبعث مهنا الفرس وأعاد الجواب. وجهز قرا سنقر حاله. وخرج من حلب

فى نصف شوال، ومعه أربعمائة مملوك، واستناب الأمير شهاب الدين قرطاى، وترك عدة من مماليكه بحلب لحفظ حواصله.

فلما قدم البريد بمسيره من حلب كتب لقرطاى بالاحتراس، وألا يمكن قرا سنقر من حلب إذا عاد، ويحتج عليه بإحضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك، وكتب إلى نائب دمشق ونائب غزة ونائب الكرك وإلى بنى عقبة بأخذ الطريق على قرا سنقر؛ فقدم البريد بأنه سلك البرية على صرخد إلى زيزاء. ثم كثر وهمه واشتد خوفه من السلطان، لورود الخبر من ثقاته بمصر بما عزم عليه السلطان، وما كتب به، فعاد من غير الطريق التى سلكها. ففات أهل الكرك القبض عليه، وكتبوا بالخبر إلى السلطان، فشق عليه ذلك، وكتب بكشف أخباره، وكتب إلى حلب بمنعه منها ومنع مماليكه من الخروج إليه، «وإن وجدت فرصة تقبض عليه».

فقدم قرا سنقر ظاهر حلب قبل قدوم ما كتب به السلطان. فمنعه قرطاى من الدخول، وعوق من بحلب من مماليكه عن الخروج إليه، فسقط فى يده ورحل، وكتب إلى الأمير مهنا بما جرى له، فكتب مهنا إلى قرطاى بأن يخرج حواصل قرا سنقر إليه، وإلا هجم على مدينة حلب وأخذ ماله قهرًا. فخاف قرطاى من ذلك، وجهز كتابه إلى السلطان فى طى كتابه، وبعث بشىء من حواصل قرا سنقر إليه مع الأمير عز الدين فرج بن قرا سنقر. وانصرف قرا سنقر عن حلب وقصد البرية، ثم جهز ولده فرج ونائبه عبدون إلى الديار المصرية، وكذلك جملة من أمواله، فقدم فرج أواخر ذى الحجة، وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرة، وأقام بالقاهرة مع أخيه علاء الدين على بن قرا سنقر.

وقدم سليمان بن مهنا إلى قرا سنقر، وأخذه حتى أنزله فى بيت أمه، واستجار بها من السلطان فأجارته. وأتاه الأمير مهنا وأولاده، وقام له بما يليق به، وكتب يعرف السلطان بنزول قرا سنقر فى أبياته، وأنه استجار بأم سليمان فأجارته، وسأل العفو عنه، وبعث بذلك أحد أولاده. فأجاب السلطان سؤاله، وكتب إليه أن يخير قرا سنقر فى بلد من البلاد حتى يوليه.

فلما سافر ابن مهنا من مصر أخرج السلطان تجريدة فيها من الأمراء حسام الدين قرا لاجين الأستادار، حسام الدين لاجين الجاشنكير، وعلاء الدين مغلطاى المسعودى، وشمس الدين الدكز الأشرفى، ولاجين العمرى، فى مضافيهم من الطبلخاناه والعشراوات. ثم أردفهم السلطان بتجريدة أخرى، فيها الأمير سيف الدين قلى السلاح دار، وسيف الدين وآل ملك، وجنكلى بن البابا، وأمير حسين بن جندر، فى جماعة

من الخاصكية مثل أرغون الدوادار، وأرقطاى، وأيتمش، وجغطاى، والجاى الساقى، وطقطاى الساقى. وكتب السلطان لنائب دمشق بتجريد كجكن وكتبغا الحاجب بمضافيهما؛ وجعل مقدم هذه العساكر قرا لاجين الأستادار، وصاحب السر والمشورة أرغون الدوادار؛ فساروا من دمشق يريدون جهة مهنا.

فاستعد قرا سنقر، وكتب إلى الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب طرابلس يستدعيه إليه، فأجابه بالموافقة، ووعده بالحضور إليه. وكتب الأفرم إلى صهره الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش بدمشق يأمره باستفساد من قدر عليه ولحاقه به وبقرا سنقر، وجهز إليه خمسة آلاف دينار ليفرقها فيمن يستميله؛ ونزل العسكر السلطانى حمص.

فأرادا قرا سنقر مخادعة السلطان ليتسع له المجال، وكتب إليه مع مملوكه؛ وكتب إليه مهنا مع ولده بالدعاء والشكر، وأن قرا سنقر قد اختار صرخد؛ وسألا يمين السلطان بالوفاء، وإخراج ما لقرا سنقر بحلب من المال وتمكينه منه. فمر ابن مهنا ومملوك قرا سنقر على حمص، وعرفا الأمير قرا لاجين وأرغون الدوادار بدخول قرا سنقر فى الطاعة، وأنه عين صرخد. فمشى ذلك عليهما، وكتبا معهما إلى السلطان بمعنى ذلك. فانخدع السلطان أيضا، وكتب تقليد قرا سنقر بنيابة صرخد، ورسم أن يتوجه به إليه أيتمش المحمدى، وكتب لأيتمش بأن يوصل الملطف إلى مهنا سرا، وأن طقطاى يتوجه إلى حلب، ويخرج ما لقرا سنقر بها من المال، ويسيره إليه. وأنعم السلطان على مملوك قرا سنقر بألف دينار، ووعده أنه متى قام على أستاذه حتى يعود إلى الطاعة أنعم عليه بإمرة، وأخرجه على البريد هو وابن مهنا. فسارا إلى حمص، ودفعا كتب السلطان إلى الأمراء؛ وسارا بأيتمش إلى قرا سنقر فسر به وأنزله، واحتج بأنه لا يتوجه إلى صرخد حتى يأتيه ما له فى حلب؛ فتحيل أيتمش حتى أوصل ملطف السلطان إلى مهنا، فأطلع عليه قرا سنقر.

وبيناهم فى ذلك إذ قدمت أموال قرا سنقر التى كانت بحلب إليه، فإن طقطاى توجه إليها وبعث إلى قرا سقر بما كان له فيها. فما هو إلا أن وصل ماله بحلب، إذا بالأفرم قد قدم عليه أيضا من الغد، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه وستة عشراوات فى جماعة من التركمان. وقدم الزردكاش، ومعه الأمير بلبان الدمشقى والى القلعة، وبيبرس الحسامى؛ فسر قرا سنقر بقدومهم. ولما استقر بهم المنزل استدعوا أيتمش، وعددوا عليه من قتله السلطان من الأمراء، وأنهم قد خافوا على أنفسهم، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر، وركبوا بأجمعهم. فعاد أيتمش إلى الأمراء بحمص، وعرفهم الخبر، فركبوا عائدين إلى مصر بغير طائل؛ ووقعت الحوطة على أموال الأفرم ومن تبعه.

وفيها أفرج عن الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، وأنعم عليه بخبز الجاولى.

وفيها ولى شمس الدين غبريال كاتب قرا سنقر نظر الجامع الأموى بدمشق والأوقاف، عوضا عن شرف الدين ابن صصرى، وكان غبريال لما خرج قرا سنقر من حلب قدم إلى مصر وسعى حتى ولى ذلك.

وفى ثالث ذى الحجة: قدمت تقدمة اليمن على العادة، فقبلت.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير بدر الدين بكتوت الخازندارى - عرف بأمير شكار - نائب الإسكندرية، وكانت وفاته بعد عزله، فى ثامن عشرى رجب بالقاهرة، وأصله من مماليك الأمير بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر فى الأيام الظاهرية، وتنقل حتى اشتهر فى الأيام العادلية كتبغا وصار أمير شكار، ثم ولى الإسكندرية وكثر ماله، واختص ببيبرس وسلار، فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة حضر وحسن للسلطان حفر خليج الإسكندرية ليستمر الماء فيه دائما، فندب معه الأمير بدر الدين محمد بن كيدغوى المعروف بابن الوزيرى، وفرض العمل على سائر الأمراء، فأخرج كل منهم أستاداره ورجاله، وركب ولاة الأقاليم. ووقع العمل من رجب سنة عشر وسبعمائة، فكان فيه نحو الأربعين ألف راجل تعمل، وقد قسم بالأقصاب على الأمراء والولاة، وحفر كل أحظ ما حد له، فكان قياس العمل من فم البحر إلى شنبار[1] ثمانية آلاف قصبة، ومثلها إلى الإسكندرية. وكان الخليج الأصلى من حد شنبار يدخل الماء، فجعل فم هذا البحريرمى إليه، وعمل عمقه ست قصبات فى عرض ثمانى قصبات. فلما وصل الحفر إلى حد الخليج الأول حفر بمقدار الخليج المستجد، وجعل بحرًا واحدًا، وركب عليه القناطر. ووجد فى الخليج من الرصاص المبنى تحت الصهاريج شيء كثير، فأنعم به على بكتوت هذا. فلما فرغ أنشأ الناس عليه أراضى وسواقى، واستجدت عليه قرية عرفت بالناصرية، فبلغ ما أنشئ عليه زيادة على مائة ألف فدان ونحو ستمائة ساقية وأربعين قرية، وسارت فيه المراكب الكبار، واستغنى أهل الثغر عن خزن الماء فى الصهاريج، وعمر عليه نحو ألف غيط، وعمرت به عدة بلاد. وتحول الناس حتى سكنوا ما عمر من الأراضى على الخليج، فصار بعدما كان سباخا سواقى القصب والقلقاس والسمسم وغيره. فلما تم ذلك أنشأ بكتوت من ماله جسرا، أقام فيه نحو ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو

---

(١) موقع هذا البلد بمنتصف المسافة بين فوهة هذه القناة الكبرى عند العطف الحالية ومنتهاها عند الإسكندرية. انظر: الأنصار ٩٣/٥.

ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو الثلاثين قنطرة بناها بالحجارة والكلس، وعمل أساسه رصاصا، وأنشأ بجانبه خانا وحانوتا، وعمل فيه خفراء، وأجرى لهم رزقة، فبلغت النفقة عليه نحو شتين ألف دينار. وأعانه على ذلك أنه هدم قصرا قديما خارج الإسكندرية وأخذ حجره، ووجد في أساسه سربا من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح، فحصل منهه جملة عظيمة من الرصاص. ثم إنه شجر ما بينه وبين صهره، فسعى به إلى السلطان وأغراه بأمواله، وكتب أمين الدين عبد الله بن الغنام - وهو مستوفى الدولة - عليه أوراقا بمبلغ مائة ألف دينار، فطلب إلى القاهرة. ولما قرئت عليه الأوراق قال: «قبلوا الأرض بين يد السلطان وعرفوه عن مملوكه أنه إن كان راضيا عنه فكل ما كتب كذب، وإن كان غير راض فكل ما كتب صحيح». وكان قد وعك في سفره من الإسكندرية، فمات بعد ليال في ثامن عشر رجب وأخذ، له مال عظيم جدا، وكان من أعيان الأمراء وكرمائهم وشجعانهم مع الذكاء والمروءة والعصبية، وله مسجد خارج باب زويلة، وله عدة أوقاف على جهات بر.

ومات الأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهرى، مات بدمشق.

ومات الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الحسين بن الحنبلى التميمى، وهو معزول، ليلة عيد الفطر، ودفن بالقرافة، ومولد، في سنة أربعين وستمائة، وكان كريما جوادا.

ومات مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن الخشاب المخزومى الشافعى، وكيل بيت المال، في ثامن ربيع الأول بالقاهرة، دفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء، وولى الحسبة فى الأيام المنصورية قلاوون، وصحب الشجاعى، وأضاف له قلاوون وكالة بيت المال ووكالة السلطان وعدة مباشرات، فعظمت مهابته، وعيب عليه بجونه وعزله وكثرة اجتماعه بالشجاعى ومعاشرته له، وكان الوزير ابن الخليلى يبكته بذلك، وكان لا يكتب فى آخر كتبه سوى: «حسبنا الله» فقط، من غير «ونعم الوكيل»، وسئل أن يكتب «ونعم الوكيل» فأبى.

ومات قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى الحنبلى، فى يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة، ودفن بالقرافة، وسمع وخرج وصنف، وصار من الأئمة الحفاظ، وكتب على سنن أبى دادو قطعة.

ومات الشيخ صالح محمد العربان، فى ثامن عشر رجب.

ومات شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد الزرعى، فى

يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يكتب فى التوقيع، وله معرفة بالإنساء، ويبلغ الغاية فى جودة الكتابة، وانتفع الناس بالكتابة عليه، وكان فاضلا شجاعا مقدامًا لِسنا متكلما، يرمى فى دينه بالعظائم، ويعرف عدة لغات، وله نظم ونثر.

ومات الطبيب شرف الدين عبد الله بن أحمد بن أبى الحوافر رئيس الأطباء، فى ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال، ودفن بالقرافة، وكان دينا فاضلا رضى الأخلاق ماهرا فى علم الطب.

ومات التاج عبد الرحمن الطويل القبطى الأسلمى، ناظر الدواوين، فى ثانى عشرى ذى القعدة، وقد انتهيت إليه معرفة الكتابة الديوانية، وكان إسلامه فى الأيام الأشرفية، وله صدقات كثيرة.

ومات القاضى محيى الدين محمد بن قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، ليلة الخميس حادى عشر ذى الحجة، وكان ينوب عن أخيه بالقاهر فى الحكم، ورسم له باستقلال بوظيفة القضاء بعد أبيه، فمات فى حياته، وكان من النجباء.

ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المكرم بن على، فى ثالث عشرى المحرم، عن بضع وثمانين سنة، ودفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء الشافعية ورؤساء القاهرة وأماثل كتاب الإنشاء، ومن رواة الحديث. ومات شمس الدين محمد ابن يوسف الجزرى[1] الشافعى خطيب جامع ابن طولون، وكان يعرف بالموجب، وكان عارفا بالفقه والأصول، ودرس بالمعزية بمصر.

وفيها قتل متملك تونس الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى جمادى الأولى، فكانت مدته نحو عامين، وقدم الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى من طرابلس، فملك تونس بعده.

* * *

(١) محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود، أبو عبد الله شمس الدين الجزرى: خطيب من فقهاء الشافعية. كان أبوه صيرفيا بالجزيرة، فولد ونشأ بها. وسافر إلى مصر، فأقام بقوص ثم بالقاهرة وتوفى فيها. انظر: الدرر الكامنة ٢٩٩/٤ وبغية الوعاة ١٢٠ وشذرات الذهب ٤٢/٦ والكتبخانة ٢٥١/٢ والأعلام ١٥١/٧.

سنة اثنتى عشر وسبعمائة

فيها انتهت عمارة الجامع الجديد الناصرى بساحل مصر، فنزل السلطان إليه، ورتب فيه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعية خطيبا، ورتب فيه أربعين صوفيا فى سطحه، وأربعين صوفيا بداخله ورتب لكل منهم الخبز واللحم فى اليوم. ومبلغ خمسة عشر درهما فى الشهر، وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازى ووقف السلطان عليه قيسارية العنبر بالقاهرة، وعمر له ربعا وحماما، وأقام له خطيبا. وأول صلاة صليت به ظهر يوم الخميس ثامن صفر، بإمامة الفقيه تاج الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ مرهف، وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة. فحكر الناس حوله، وبنوا الدور وغيرها.

وقدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء إلى بلاد التتر، وأنهم بعثوا بأولادهم وحريمهم إلى مصر. وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا إلى الرحبة انقطع كثير ممن تبعهم من المماليك والتركمان، فبعث قرا سنقر ولده الأمير فرج، وبعث الأفرم ولده موسى مع بعض من يوثق به، وأمرا بتقبيل الأرض بين يدى السلطان، وأن يبلغاه أن الأمراء ما حملهم على دخول بلاد العدو إلا الخوف، وأن الأولاد والحريم وداعه، فليفعل السلطان معهم ما يليق به، فقدما إلى القاهرة، وبقيا فى الخدمة. وسار الأمراء إلى ماردين، وكتبوا إلى خربندا بقدومهم، فبعث أكابر المغل إلى لقائهم، وتقدم إلى ولاة الأعمال بخدمتهم والقيام لهم بما يليق بهم. فلما قاربوا الأرد وركب خربندا وتلقاهم، وترجل لهم لما ترجلوا له، وبالغ فى إكرامهم وسار بهم إلى مخيمه، وأجلسهم معه على التخت، وضرب لكل منهم خركاه، ورتب لهم الرواتب السنية. ثم استدعاهم بعد يومين، واختلا بقرا سنقر، فحسن له عبور الشام، وضمن له تسليم البلاد بغير قتال، ثم خلا بالأفرم فحسن له أيضا أخذ الشام، إلا أنه خيله من قوة السلطان وكثرة عساكره. فأقطع خربندا مراغة[1] لقرا سنقر، وأقطع همذان للأفرم، واستمروا هكذا.

وفى يوم الأحد عاشر ربيع الأول: قبض السلطان على القاضى فخر الدين محمد ابن فضل الله ناظر الجيش، وعلى ولده شمس الدين: وسبب ذلك مفاوضة حصلت بينه وبين

---

(١) مراغة: تقع بلدة مراغة بإقليم آذربيجان نزل عليها التتر سنة ثمان عشرة وستمائة وحاصروها أيامًا وقتلوا أهلها وفتحوها عنوة ووضعوا السيف فى أهلها وقتلوا منهما ما يخرج عن الأحصاء وسبوا وحرقوا وفعلوا من المنكرات ما يطول ذكره. انظر: معجم البلدان ٤/٤٧٦، الروض المعطار ٥٣٥.

وبين فخر الدين أياز الشمسى مشد الدواوين، اشتط فيها القاضى على الفخر أياز الشمسى وأهانه، فاجتمع أياز بالدواوين وعرفهم ماله من الأموال والدواليب[١] فى أعمال مصر، واجتمع بالسلطان وأغراه به، والتزم له أن يستخلص منه ألف درهم فأعجبه ذلك ومكنه منه، فاشتد بأسه حينئذ، وجلس على باب القلعة، وفتح مع الفخر باب شر، وأغلظ فى القول بحضرة الأمراء إلى أن قال له: «أنت كسرت معاملات[٢] السلطان وخربت بلاده، وأخذت أراضى الخاص عملتها لك رزقا»؛ ثم نهض وقال: «أنا با لله وبالسلطان»، ودخل والفخر خلفه حتى وقفا بين يدى السلطان، فبسط أياز لسانه، وحانق الفخر على عدة فصول حتى غضب السلطان، قال له: «تسلمه وخذ مالى منه»، فأخذه إلى قاعة الصاحب[٣] وكتب أياز إلى الأعمال بالحوطة على مواشيه وزراعاته وسواقى أقصابه وغير ذلك وأحيط بموجوده فى القاهرة ومصر، وتتبعت حواشيه، فلم يطق الفخر ما هو فيه من البلاء مع أياز، وبعث إلى طغاى وكستاى وإلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى أمير جاندار، فتحدثوا فى أمره مع السلطان على أن ينقل إلى بيبرس الأحمدى، وأنه يحمل جميع ماله ولا يدع منه شيئا؛ فتسلمه بيبرس أمير جاندار من أياز.

وفيها كتب بطلب قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق على البريد، فحضر واستقر عوضا عن الفخر فى نظر الجيش. وتمكن أياز من حاشية الفخر، وضرب جماعة منهم بالمقارع، وأخذ سائر موجودهم، وحمل الفخر نحو الخمسمائة ألف درهم. ثم أفرج السلطان عنه وعن ولده وخلع عليهما، فى يوم الأربعاء خامس عشرى ربيع الآخر؛ واستقر الفخر عوضا عن معين الدين هبة الله ابن حشيش صاحب ديوان الجيش. ولم يوفق ابن شيخ السلامية وارتبك فى المباشرة، بحيث إن السلطان كان إذا سأله عن كشف بلد ليعرف حالها يتأخر قدر ساعة، ثم يجيب بغير الغرض؛ فتبين جهله بمعرفة جيش مصر.

وفى حادى عشرى ربيع الأول: ولى قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن عبد الله المقدسى، عوضا عن سعد الدين مسعود الحارثى.

---

(١) على هامش ط: الدواليب جمع دولاب، ومعناها معاصر قصب السكر وأشباهها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية، كمصانع غزل الحرير والسواقى المائية.

(٢) المقصود بالمعاملات الأشغال التجارية الخاصة بالسلطان وبالمعاملات أيضا المكوس والضرائب المستحدثة، وكانت تسمى الحقوق. انظر: نهاية الأرب ٩١/٣٠.

(٣) المقصود بقاعة الصاحب دار الوزارة. انظر: خطط المقريزى ٢٢٣/٢.

وفى سادس ربيع الآخر: أمر السلطان ممن مماليكه ستة وأربعين أميرا منهم طبلخاناه تسعة، وعشراوات سبعة عشر، وألوف عشرون؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش، وكان يوما عظيما.

وفيها قدم العسكر المجرد إلى الشام فى يوم الإثنين ثانى ربيع الآخر، وطلع الأمراء إلى القلعة، فقبض على عدة من الأمراء لميلهم إلى قرا سنقر: منهم جمال الدين أقوش نائب الكرك - وكان قد حضر من دمشق، وخلع عليه - وبيبرس المنصورى نائب السلطنة بمصر، وسنقر الكمالى، ولاجين الجاشنكير، وبينجار، والدكز الأشرفى، ومغلطاى المسعودى، وسجنوا.

وفيها استقر سودون الجمدار نائبا بحلب فى ربيع الأول، وتمر الساقى المنصورى فى نيابة طرابلس فى ربيع الآخر.

وفيها كتب بطلب فضل أخى مهنا وولده أبى بكر، وسير إليه تقليد الإمرة عوضا عن مهنا، وأن مهنا لا يقيم بالبلاد، وخرج بذلك الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار.

وفيها قبض أيضا فى رابع ربيع الأول على بيبرس العلمى بحمص، وعلى الأمير بيبرس المجنون. والأمير علم الدين سنجر البروانى، والأمير طوغان المنصورى، وبيبرس التاجى، وقيدوا وحملوا من دمشق إلى الكرك، فسجنوا بها لميلهم مع قرا سنقر.

وفيها استقر الأمير تنكز الناصرى فى نيابة دمشق، عوضا عن الأمير جمال الدين نائب الكرك، مستهل ربيع الآخر، وسار على البريد يوم الجمعة سابعه، فدخلها يوم الخميس عشرى ربيع الآخر؛ ورسم له ألا يستبد بشىء إلا بعد الاتفاق مع الأمير سيف الدين أرقطاى، والأمير حسام الدين طرنطاى البشمقدار.

وفى سادس عشر ربيع الآخر: أمر السلطان فى يوم واحد ستة وأربعين أمير منهم طبلخاناه تسعة وعشرون، وعشرارات سبعة عشر، وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع.

وفى يوم الاثنين أول جمادى الأولى: استقر الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى نائب السلطنة، عوضا عن بيبرس الدوادار المنصورى. ورسم بنيابة صفد لبلبان طرنا أمير جاندار، عوضا عن بهادر آص، وأن يرجع بهادر إلى دمشق أميرا على عادته، فسافر إليها.

وفيه ركب السلطان إلى بر الجيزة، وأمر طقتمر الدمشقى، وقطلوبغا الفخرى المعروف بالفول المقشر، وطشتمر البدرى حمص أخضر.

وفيها هدم السلطان الرفرف الذى أنشأه أخوه الأشرف خليل على يد الشجاعى.

وفيها ورد الخبر فى أول رجب بحركة خربندا وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه، وإقامته عنده، وتقوية عزمه على أخذ الشام. وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة، فقوى عزمه على تجريد العساكر، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان، فعاد إلى القلعة، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات. وعرض السلطان العسكر، وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب، وأنفق فيهم الأموال. وابتدأ العرض من خامس ربيع الآخر، وكمل فى أول جمادى الأولى، فكان السلطان يعرض فى كل يوم أميرين بنفسه من مقدمي الألوف، ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد، وترحلوا شيئا بعد شيء. من أول رمضان إلى ثامن عشريه، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر.

وخرج السلطان فى ثانى شوال، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة، ورحل فى يوم الثلاثاء ثالثه، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدى. فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة، وعودهم إلى بلادهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان، ففرق السلطان العساكر فى قانون[1] وعسقلان[2]، وعزم على الحج. ودخل السلطان دمشق فى تاسع عشره، وخرج منها ثانى ذى القعدة إلى الكرك، وكان قد أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال، وكلف الصاحب أمين الدين بن الغنام بجمع المال اللازم. ودخل السلطان الكرك فى ثامن ذى القعدة، وتوجه إلى الحجاز فى أربعين أميرا.

وفيها خرج الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، ودخل دمشق وأقام بها بعد توجه السلطان ليحصل الأموال، فأوقع الحوطة على الوزير والمباشرين، وطالب محيى الدين بن فضل الله بمال كبير عمل به أوراقا، وأغلظ عليه وأحاط بموجوده، وتتبع حواشيه؛ وصادر أمين الدين أكثر الناس.

وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نقل من لاية البهسنا إلى ولاية القاهرة، وأقام الأمير أيتمش المحمدى نائب الغيبة الحرمة، ومنع الأكابر من الهجرة وأنصف الضعفاء منهم. وحج بالركب المصرى الأمير مظفر الدين قيدان الرومى.

---

(١) منزل بين دمشق وبعلبك. انظر: معجم البلدان ٣٠١/٤.

(٢) عسقلان: هى مدينة بالشام، بينها وبين فلسطين مرحلة، وهى الآن عامرة بأيدى الروم، وهى على ساحل البحر، فتحها معاوية على صلح سنة ثلاث وعشرين. وعسقلان بينها وبين الرملة ستة فراسخ، وأسواقها مفروشة بالرخام، وفيها عين ماء لإبراهيم عليه السلام، وبينها وبين غزة أربعة فراسخ. وعسقلان مدينة حسنة ذات سورين وليس لها من خارجها بساتين ولا شجر بها، وتغلب عليها الروم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وهى معدودة فى أرض فلسطين. انظر: معجم البلدان ١٢٢/٤، والروض المعطار ٤٢٠.

وفيها استقر فى نيابة قلعة دمشق عز الدين أيبك الجمالى، عوضا عن بلبان البدرى، ثم كتب بأن يكون بلبان شريكا له، فباشرا جميعا.

وفيها قدمت هدية الأشكرى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

ضياء الدين أحمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن القرشى الإسنائى المعروف بابن الخطيب. الفقيه الشافعى، وكانت وفاته ببلدة أدفو[1] فى شوال، وهو فى الطريق إلى الحج، فحمل إلى إسنا فدفن بها.

ومات تاج الدين أحمد بن محمد بن أبى نصر الشيرازى، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها، فى رجب عن بضع وخمسين سنة.

ومات عماد الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسى الفقيه الحنبلى، فى جمادى الآخره بمصر، ومولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات زين الدين حسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغمارى الفقيه أبو محمد المالكى، سبط زيادة بن عمران، وكانت وفاته فى شوال بمصر، قرأ القرآن، وكان خيرا فاضلا.

ومات نور الدين على بن نصر الله بن عمر القرشى - المعروف بابن الصواف - الخطيب الفقيه الشافعى، فى رجب بمصر. ومات أبو الحسن على بن محمد بن هارون ابن محمد بن هارون الثعلبى الدمشقى - قارئ المواعيد - الفاضل الصالح، فى ربيع الآخر بمصر عن ست وثمانين سنة، ومات نور الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحيم ابن عبد عز الدين بن عبد الله بن رواحة الأنصارى الحموى بحماة، وكان فاضلا دينا، ومات الملك المنصور نجم الدين غازى بن المنصور ناصر الدين أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمر تاس بن إيلغازى بن أرتق الأرتقى، صاحب ماردين، فى تاسع رجب، وكانت إمرته نحو عشرين سنة، وكان مهابا، فقام بعده ابنه الملك العادل على، وأقام سبعة عشر يوما، ثم ملك أخو الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور.

ومات الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، يوم الإثنين ثانى عشر رجب بالقاهرة، عن نيف

---

(١) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر: معجم البلدان ١٢٦/١.

وسبعين سنة، وقد حدث، وماتت امرأته ابنة عمه الملك المغيث بعده، فخرجت الجنازتان معا، وكان قد حج، وقدم القاهرة من طريق القدس بعدما زاره، ومولده بالكرك في عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان دينا متواضعا فاضلا. ومات الأمير علم الدين سنجر الصالحى أمير آخور بدمشق، عن مال كبير جدا، ومات شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل القدسى فى خامس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يباشر التوقيع فى الإنشاء، ويكتب الخط المليح، ويقول الشعر، ويغلب عليه الهجاء، مع تفننه فى علوم كثيرة.

ومات تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى، فى يوم الثلاثاء، سابع عشر ربيع الآخر، وباشر نظر النظار بديار مصر ستين سنة، وعرضت عليه الوزارة غير مرة فأباها، وكان أمينا كثير الخير، ولم ينكب قط، وعاش مائة وتسع سنين، وعزل قبل موته.

ومات قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعى الحنفى بدمشق، وهو معزول.

ومات الشيخ عمر بن الشيخ أبىعبد الله بن النعمان، بمصر يوم الأربعاء خامس عشرى رمضان.

ومات شهاب الدين غازى بن أحمد الواسطى بحلب، فى ثامن عشر ربيع الآخر، وولى نظر الدواوين بمصر مدة، ثم نقل إلى نظر حلب، وولى نظر دمشق ونظر الصحبة، وكتب بديوان الإنشاء مدة.

ومات الفقيه نجم الدين أبو عبد الله محمد بن الفقيه جمال الدين عبد العزيز بن أحمد ابن عمر بن جعفر بن اللهيب، فى خامس عشر جمادى الآخرة.

ومات بطرابلس الأمير علاء الدين مغلطاى البهائى، وقد رسم بالقبض عليه، فمات قبل وصول البريد بيوم.

* * *

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم الأمير سيف الدين قجليس من الحجاز إلى القاهرة مبشرا بعود السلطان.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: قدم السلطان من الحجاز إلى دمشق، بعد دخوله إلى المدينة النبوية، وتوجهه على الكرك وكان دخوله إلى دمشق يوما مشهودا، بلغت فيه أجر البيوت مبلغا زائدا، حتى إن بيتا أخذت أجرته للنظر إلى السلطان فى مدة من بكرة النهار إلى الظهر ستمائة درهم. وعبر السلطان وهو على ناقة وعليه لشت[1] من ملابس العرب بلثام، وبيده حربة، ولعب يوم السبت فى الميدان بالكرة. ثم أخذ فى الإنعام على بعض رجال دولته، فولى شمس الدين عبد الله بن غبريال بن سعيد نظر دمشق على قاعدة الوزراء، وكان ناظر البيوت؛ ونقل الأمير بدر الدين بكتوت القرمانى من شد الدواوين بدمشق إلى نيابة الرحبة، عوضا عن بدر الدين موسى الأزكشى. وخلع السلطان على الأمراء الذين كانوا صحبته بالحجاز، وعدتهم نحو الأربعين أميرا، وأفرج عن المصادرين، وأعاد الفخر إلى نظر الجيش بديار مصر، وأعاد قطب الدين موسى بن شيخ السلامية إلى نظر الجيش بدمشق.

وصار السلطان إلى مصر فى سابع عشريه، بعد أن أقام بدمشق خمسة عشر يوما، وصلى بالجامع الأموى الجمعة مرتين. وقدم قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشر صفر، وكان يوما مشهودا.

وفيها نقل الأمير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى التركمانى[2] من ولاية الجيزة إلى شد الدواوين، واستقر فخر الدين أياز الشمسى فى شد الدواوين بدمشق، عوضا عن القرمانى؛ واستقر كريم الدين أكرم بن الخطيرى - كاتب الحميدى - المعروف بكريم الدين الصغير، فى نظر الدواوين، رفيقا لتقى الدين أسعد كاتب برلغى ابن أمين الملك مستوفى الحاشية.

---

(١) على هامش ط: البشت والبشت وجمعه بشوت. العباءة من الصوف بلونه الطبيعى.

(٢) محمد بن عيسى، بدر الدين، بن التركمانى: بانى جامع المقياس بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام، ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر: البداية والنهاية ١٨١/١٤ والدرر الكامنة ١٣٢/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

وفيها ابتدأ السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة، فاختطه من باب الإسطبل إلى نحو باب القرافة، ووزع عمله على الأمراء، فنقلت جمالهم الطين إليه حتى امتلأ، وغرس فيه النخل والأشجار، وحفرت فيه الآبار، وركبت عليها السواقى، وأدير عليه سور من حجر، وبنى خارجه حوض ماء للسبيل. فلما فرغت عمارته لعب السلطان فيه مع الأمراء بالكرة، وخلع عليهم وشملهم الإنعام الكثير.

وفيها اجتمع القضاة فى حادى عشر ربيع الآخر بالمدارس الصالحية بين القصرين للنظر فى الشهود، وأقيم منهم جماعة.

وفيها عمل السلطان أيضا أربع سواقى على النيل تنقل الماء وترميمه على الماء الجارى من النيل إلى السور حتى يصل إلى القلعة، ورم السور وأزال شعثه، فكثر الماء بقلعة الجبل، وزاد البئر الظاهرى المجاور لزاوية تقى الدين رجب. بأن عمل عليه نقالة إلى بئر الإسطبل، واهتم بعمل مصالح الجسور التى بالنواحى والترع.

وفيها قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام فى يوم الخميس سابع عشرى جمادى الأولى، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم، وذلك بسعى كريم الدين الكبير وبدر الدين بن التركمانى. وأغرق السلطان به، وقيل له إنه أخذ مالا كثيرا من المصادرين بمصر والشام.

وفيها أبطلت الوزارة، فلم يل أحد بعد أمين الدين، ونقل كريم الدين أكرم الصغير من ديوان الجيش إلى نظر الدولة، شريكا للتقى أسعد بن أمين الملك كاتب برلغى كما تقدم، واستقر شرف الدين الخيرى كاتب سلار، والتاج إسحاق، الموفق أخو الخيرى، مستوفى الدولة. فانفرد كريم الدين الكبير بالتمكن من السلطان، وصارت الأمور كلها منوطة به، وركب بجنيبين[١]، وخلع عليه أطلس بطرز زركش، وأشهد على السطان أنه ولاه جميع ما ولاه الله تعالى، وكاتبه الملوك المجاورة مثل ما كاتبوا السلطان.

وفيها أخذ كريم الدين الكبير مع السلطان فى العمل على الوزير، وأغراه بالأسعد غبريال كاتب نائب السلطنة، وأنه كثير الظلم، وأنه نقل إلى أستاذه أمورا تضر الدولة، وأغراه بالعلم كبيبه كاتب منكلى بغا. وما زال كريم الدين الكبير بالسلطان حتى سلم الأسعد إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة، ليخلص منه المال، وسلم العلم كبيبه إليه أيضا، وضربا قدام السلطان، وضرب معهما أمين الدين بن الغنام بالعصى، إلا غبريال فإنه ضرب بالمقارع. وأوقعت الحوطة على موجود غبريال، وسلم

---

(١) على هامش ط: مفرد هذا اللفظ حنيب. والجمع حنائب وهى الخيول المسرحة التى كان من اللازم قيادتها وراء السلاطين خاصة فى المواكب والحروب، لاحتمال الحاجة إليها.

هو وأمين الدين إلى شاد الدواوين، ورسم لمجد الدين سالم أن يتولى بيع موجودهما وحمله إلى بيت المال، فأقام البيع نحو شهر. وحمل من أمين الدين نحو ثلاثمائة ألف درهم من ثمن المبيع، ولم يوجد له نقد ألبته؛ ثم أفرج عنه. وأما غبريال فإن الخازن والى القاهرة عاقبه حتى هلك بعد أسبوع. وما زال أمين الدين ملازما لداره إلى يوم السبت تاسع عشرى ذى الحجة، فاستدعى وأخلع عليه، واستقر ناظر النظار عوضا عن الصاحب ضياء الدين النشائى، ونقل النشائى إلى نظر الخزانة، عوضا عن سعد الدين الحسن بن عبد الرحمن الأقفهسى بعد وفاته.

ولما استقر أمين الدين فى نظر النظار، ودخل عليه مجد الدين سالم ليهنه، والمجلس غاص بالناس، نظر أمين الدين إلى الحاضرين، وقال: «هذا القاضى مجد الدين تفضل فى حقى. حيث كان يتولى أمرى فى بيع حواصلى، وباع حتى زبادى المطبخ». فالتفت إليه المجد على الفور، وكان مقداما جريئا، وقال له: «يا مولانا إنى والله تفضلت عليك، وأحسنت إليك غاية الإحسان، وخدمتك أتم خدمة، وبعت من زبادى ونحاس وفرش بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم، وما تحدثنا فى ظهور درهم ولا دينار، بل سكتنا، ونحن سكوت إلى الآن». فلم يجب أمين الدين سوى بقول «حسبنا الله».

وفيها ولى السلطان الأمير بدر الدين محمد بن كندغدى بن الوزيرى نيابة دار العدل وشد الأوقاف، بسبب قصة رفعت فى الأوقاف. وكان ابن الوزيرى أمينا حاد الخلق عارفا بالأمور. فباشر الأوقاف فى داره يوم الثامن من ربيع الأول.

وجلس ابن الوزيرى بدار العدل فى يوم السبت خامس عشرى ربيع الأول، وجلس القضاة الأربعة بين يديه بدار العدل، ورفعت إليه القصص، وصرف الأمور، وطلب سائر مباشرى الأوقاف وألزمهم بعمل الحساب مدة عشرين سنة بالأوقاف، وطلب موادع الحكم وتشدد عليهم. فقلق القضاة من ذلك، وسألوه الإغضاء عن ذلك؛ فتمادى فى الطلب، وأخرق بعدة من المباشرين، وضربهم لفساد حسابهم. فقام قاضى بدر الدين محمد بن جماعة فى العمل عليه - وكان عارفا بالسعى، وله فى ذلك أياد وتراتيب - ووافق رفاقه وصار إلى القاضى كريم الدين الكبير بنفسه، وترامى عليه، ثم اجتمع بالفخر ناظر الجيش، وبعلاء الدين كاتب السر، وبعدة من الخاصكية، وما زال بهم حتى خيلوا السلطان من ابن الوزيرى أنه شرس الأخلاق، وله أغراض فاسدة، وقصده إهانة القضاة، وأهل العلم وحط أقدارهم، وقد كثر الدعاء على السلطان بسببه. فلما تكاثر ذكر ذلك لدى السلطان، وبلغه عدة حكايات عنه، ومنعه من التحدث فى الأوقاف، ومن حينئذ بدت عداوة ابن جماعة لفتح الدين محمد بن سيد

الناس، واشتد الأمر بينهما إلى أن بلغ السلطان ذلك وتسلط الشهاب أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى الشاعر على ابن جماعة، وهجاه بعدة قصائد بعثها إليه، ورتب هو وابن سيد الناس القصيدة التى أولها:

«ترى يسمع السلطان شكوى المدارس»، وعدتها ستون بيتا، فحبسه ابن جماعة بسببها، لأنه أقذع فيها، وشهرها فى الناس إلى أن قرئت على السلطان، فقام أيدغدى شقير فى حقه، وأخرجه من السجن.

وفى يوم السبت ثانى جمادى الأولى: استقر صدر الدين بن المرحل فى تدريس الزاوية المجدية بالجامع العتيق، عوضا عن جلالى الدين على بن عبد الله العسلوجى بحكم عزله.

وفى يوم الثلاثاء رابعة: أوفى النيل، وهو آخر أيام النسىء قبل المفرد[١] ثم قدم المفرد بعد الوفاء فى يوم الخميس سادسه.

وفيها عمل الروك بالبلاد الشامية، وندب له الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة، وابن معبد، ومعين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام، مع مباشرى ديوان الجيوش بمصر. فتوجه الجاولى إلى دمشق، وأمام مع الأمير تنكر النائب إلى أن عملت أوراق بعبرة البلاد ومنحصلها، وما فيها من إقطاع ووقف وملك. وكمل ذلك فى ذى الحجة، ونقلت سنة اثنتى عشرة إلى سنة ثلاث عشرة، وجهزت الأوراق إلى السلطان فقرئت عليه؛ فكتب السلطان مثالات جديدة لأمراء دمشق وأجنادها، ووفر عدة إقطاعات وبلاد أدخلها فى ديوان الخاص، وزاد إقطاع النيا، وكتب بلك مناشير سار بها على البريد الأمير سيف الدين قجليس حتى فرقها على أربابها وعاد.

وفيها توجهت تجريدة إلى مكة صحبة الأمير سيف الدين طقصاى الناصرى والى قوص، وسيف الدين بيدوا، وعلاء الدين أيدغدى الخوارزمى، وصاروجا الحسامى، وتوجه دمشق سيف الدين بلبان البدرى مع الركب، وأضيف إليهم عدة من الأجناد، وذلك بسبب حميضة بن أبى نمى، فإنه كثر ظلمه.

وفيها قبض على الأميرين عز الدين أيبك الرومى المنصورى، وركن الدين بيبرس الأحمدى أمير جاندار، فى رابع عشرى رمضان. وبسبب ذلك مفاوضة جرت بين الأمير علاء الدين أيدغدى شقير وبين أيبك الرومى بحضرة الأمراء على باب القلعة، فى انتقال إقطاعات بينهما خرجا فيها عن الحد. فخرج الأمير طغاى وهما فى ذلك -

---

(١) على هامش ط: المقصود بلفظ المفرد غاية ارتفاع النيل.

وكان يعنى بأيدغدى حتى قربه من السلطان - فشق عليه استطالة أيبك من أجل أنه من أمراء البرجية وشجعانهم، وممن عرف بالعفة. فلما كانت خدمة العصر بلغ السلطان ما كان بينهما، فرسم بحملهما إلى ديوان السلطان، ومن تعين عليه شيء قام به، وأسر ما أغراه به طغاى في نفسه. ثم قبض السلطان عليه وعلى الأحمدى، وبعث إلى الأحمدى مع قجليس «بأنك وحشداشك اتفقتما على أنه يتسلطن»، فبكى وسأل الله إن كان ما نقل عنهما حقا أني يقسى قلب السلطان عليهما، وإن كان كذبا أن يحننه عليهما. فلما أعاد قجليس هذا على السلطان رق له، وأمر به ففك قيده، وأحضر وأعطى سيفه، وخلع عليه من ساعته، وذلك فى رابع عشرى شوال.

وفيها أرسل السلطان صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل على البريد إلى الأمير مهنا ليرده إلى الطاعة، فإنه حصل منه حيف على التجار، وقطع أولاده وعربانه الطرقات فاجتمع به ابن المرحل قريبا من العراق، وما زال به يعده برد إقطاعه ويرغبه إلى أن أذعن، وبعث معه بابنه موسى، وجهز القود على العادة صحبة ولده سليم. فقدم ابن المرحل بموسى بن مهنا فى ربيع الآخر، وأنزل موسى فى القاعة الأشرفية بالقلعة وأكرم إكراما زائدا؛ ثم قدم القود، و أعيدت الإمرة لمهنا، وزيد إقطاعه مبلغ مائى ألف درهم؛ وأعيد إقطاع فضل إليه على عاداته قبل الإمرة.

وفيها توجه السلطان إلى الصيد فى ثامن عشرى رجب، ونزل تحت الأهرام بالجيزة، وأظهر أنه يريد الصيد والقصد أحد العربان؛ فإنه كثر قطعهم الطريق، وكسروا الخراج. وبعث السلطان عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات، فضبط البرين على العزبان؛ ثم رحل من منزلة الأهرام بالجيزة، وسار إلى فرجوط(١). وعاد السلطان إلى القلعة فى يوم السبت عاشر رمضان، وقد أخذ كثيرا من العربان؛ وبعثهم مقيدين فى المراكب إلى القاهرة، فسجنوا واستعملوا فى الجسور، وقبض على مقداد بن شماس - وكان قد عظم ماله حتى بلغ عدد جواريه أربعمائة جارية، وعدة أولاده ثمانون ولدا - وقتل عدة كثيرة من العربان، وعاد. فحبس (السلطان) مقدادا مدة ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بمال وغلال، وكتب برد أهله وأولاده وعبيده إليه، وأنزله بالناصرية التى أنشأها خليج الإسكندرية، فأقام مقداد هناك، وأنشأ للبيوت والسواقى والدواليب، وعمر تلك الجهات، وبقى عقبه من بعده بها.

وفيها ابتدئ بعمل القصر الأبلق على الإسطبل فى أول السنة، فكمل فى سابع عشر

---

(١) الراجح أنها بلدة فرشوط - أو برشوط - التابعة لمركز نجع حمادى بمديرية قنا الحالية. انظر: معجم البلدان ٨٨٦/٣.

رجب. وقصد السلطان أن يحاكى به قصر الملك الظاهر بيبرس بظاهر دمشق، واستدعى له الصناع من دمشق، وجمع صناع مصر، فكمل، وأنشأ بجانبه جنينة. وعمل السلطان عنده سماطا للأمراء، وخلع عليهم، وحمل إلى كل أمير مائة ألف دينار، وإلى كل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم، ولكل مقدم حلقة خمسمائة درهم فكان جملة ما فرق فى هذا المهم خمسمائة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم. وصار السلطان يجلس فيه سائر الأيام، ما عدا يومى الإثنين والخميس فإنه يجلس فيهما بالإيوان.

وفيها أخرب السلطان مناظر اللوق بالميدان الظاهرى، وعملها بستانا، وأحضر إليه سائر أصناف الزراعات، واستدعى حولة الشام والمطعمين، فجاء من أبدع البساتين، وعرف أهل جزيرة الفيل منه صناعة تطعيم الشجر، واغتنوا بها.

وفيها ركب السلطان إلى الجيزة، وندب بدر الدين بن التركمانى لعمل جسورها وقناطرها، واستدعى المهندسين. فأنشأ ابن التركمانى لكل بلد جسرا متقنا وعمل جسرا من البحر إلى أمدنيار، وخرج العسكر جميعه والأمراء بمضافيهم للعمل فى ذلك، فكان مهما عظيما، وصار السلطان يركب إليه كل قليل حتى كمل، وعمرت القناطر من حجارة الهرم الصغير، ومن حجارة القناطر الظاهرة[1] التى تعرف بالأربعين قنطرة.

وأكثر السلطان من العمائر، وولى آقسنقر أمير آخور شاد العمائر، وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية، وأفرد للعمائر ديوانا بلغ مصروفه فى كل يوم اثنى عشر ألف درهم إلى ثمانية آلاف، وهى أقل ما كان يصرف فى اليوم الواحد. وأنشأ السلطان دار البقر التى كانت برسم بقر السواقى السلطانية، بباب القلعة بجوار إسطبل الطويل، وندب لذلك كريم الدين الكبير، فأنفق عليها ما ينيف على ألف ألف درهم وأنشأ دارا للأمير سيف الدين طاش تمر «حمص أخضر» بحدرة البقر، واشترى له بستان ابن المغربى بجزيرة الفيل بتسعين ألف درهم. فامتدت أيدى الناس إلى العمارة، وكأنما نودى فى الناس ألا يبقى أحد حتى يعمر، وذلك أن الناس على دين ملكهم. وأنعم السلطان على الأمير سيف الدين طغاى بدار الملك المنصور قلاوون بالقاهرة.

وفيها ابتدأ الناس بعمارة ناحية اللوق خارج المقس، وعمارة أراضى بستان الخشاب فيما بين اللوق ومنشاة المهرانى على النيل.

وفيها قدم البريد بإجراء الأمير علم الدين سنجر الجاولى عين ماء إلى الخليل، وأنه عمر بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام عمائر حسنة وجعل عليها أوقافا.

---

(١) المقصود بها قناطر الجيزة. انظر: خطط المقريزى ١٤٦/٢.

وفيها تسحب علاء الدين على بن الأمير بدر الدين بن المحسنى إلى بلاد الغرب فى نحو المائتين، وخرج الطلب خلفهم خمسة أيام فلم يدركوا.

وفيها قدم البريد من حلب بقلة الماء بها، وقد عين أهلها مواضع يساق فيها الماء حتى يرمى إلى نهر الساجور[١] فيصير نهرا يجرى فى المدينة، وأن قياسه من نهر قويق[٢] إلى الساجور أربعة وأربعون ألف ذراع طولا فى عمق ذراعين، وأنه كتب تقدير المصروف على ذلك ثلاثمائة ألف درهم؛ فأنعم من مال السلطان الخاص بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم، ورسم لنائب حلب سيف الدين سودى أن يقوم من ماله بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم؛ فوقع العمل فى ذلك.

وفيها قدم البريد أيضا بامتناع مهنا من الحضور. وذلك أن السلطان لما حضر ولداه سليمان وموسى أنعم عليهما إنعاما كثيرا، وبعث إليه بعد مجىء القود بهدية، واستدعاه وحلفه. وضمن سليمان وموسى إحضار أبيهما إلى مصر، وسافرا؛ ثم خرج بعدهما الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار بكتاب ليحلفه ويعده ويتلطف به ليحضر، فأوصله الكتاب ورغبه فى الحضور، فامتنع من اليمين والحضور. فاشتد حنق السلطان منه، ورسم أن يخرج من عسكر مصر ألفا فارس مع الأمير قجليس، ومن عسكر دمشق ألف فارس مع الأمير سيف الدين أرقطاى. واستدعى السلطان فضل بن عيسى، وأعاد إليه الإمرة عوضا عن مهنا، وكتب إلى عرب بنى كلاب وآل مرى وآل فضل وآل على بالركوب مع العساكر، وأخذ مهنا وأولاده وإخراجهم من البلاد؛ فوقع الشروع فى التجهز للسفر.

وفيها سمل السلطان عينى علاء الدين على بن سعد الدين الفارقى الموقع، وكحلا بسبب التزوير فى المراسيم وأخذه على ذلك جملة من المال.

وفى سادس عشرى ذى القعدة: قدمت رسل الملك أزبك صاحب سراى، ورسل الأشكرى[٣]، فأنزلوا بمناظر الكبش.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر أبو بكر بن محمد - وقيل عمر - بن تقى الدين المشيع المقصاتى الجزرى؛

---

(١) اسم نهر بمنبج. انظر: معجم البلدان ٣/١٧٠.

(٢) نهر مدينة حلب مخرجه من قرية تدعى سبتات. انظر: معجم البلدان ٤/٤١٧.

(٣) على هامش ط: المقصود بالأشكرى إمبراطور الدولة البيزنطية وكان الإمبراطور فى هذه السنة أندرنيق الثانى باليولوج.

ولد بجزيرة ابن عمر، وعمل صناعة المقصات، ثم ولى وظائف بدمشق؛ ومات بدمشق عن بضع وثمانين سنة، فى ليلة السبت حادى عشرى جمادى الآخرة؛ وقرأ الناس القراءات بمصر والشام نحو خمسين سنة، وقرأ على الشيخ عبد الصمد وغيره، وروى عن ابن الكواشى تفسيره، وكان عارفا بالقراءات دينا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس المحمدى العديمى، فى ذى القعدة بحلب؛ حدث عن جماعة.

ومات عز الدين عبد العزيز بن منصور التاجى الكولمى، بالإسكندرية فى رمضان؛ كان أبوه يهوديا من حلب يعرف بالحموى، فأسلم وسافر ابنه عبد العزيز هذا بماله وهو نحو خمسمائة ألف ألف درهم إلى بغداد، وعبر الهند، وقدم مصر سنة أربع وسبعمائة ببضاعة قيمتها أربعمائة ألف دينار؛ وكان فيه خير وبر، وله صدقات.

ومات فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوزرى الحافظ، بمكة فى ربيع الآخر، وكان إماما فى الحديث والقراءات، وحاوز عدة سنين.

ومات عماد الدين أبو الحسين على بن فخر الدين عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكرى الشافعى، خطيب الجامع الحاكمى بالقاهرة، ودرس المشهد الحسينى بها، فى سادس عشرى صفر يوم الجمعة؛ ومولده فى خامس عشرى المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة؛ وهو الذى توجه فى الرسالة إلى غازان؛ فولى خطابة الجامع الحاكمى وتدريس منازل العز بعده القاضى تاج الدين المناوى الشافعى؛ وولى تدريس المشهد الحسينى صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل.

ومات مجد الدين محمد بن حمزة بن معد الفرجوطى بمدينة فرجوط، وله شعر.

ومات قطب الدين يوسف بن أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر العوفى الأسفردى، خطيب جامع الصالح خارج باب زويلة، فجأة ليلة السبت عشرى رجب؛ واستقر عوضه الشيخ زين الدين عمر بن يونس الكتانى.

ومات الشيخ تاج الدين محمد بن على بن همام العسقلانى، إمام جامع الصالح، ليلة السبت حادى عشرى شعبان؛ ومولده فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وستمائة؛ واستقر عوضه ابنه تقى الدين محمد.

ومات الأمير جمال الدين آقوش الكنجى متولى قلاع الإسماعيلية بقلعة مصياب[1]،

---

(١) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر: معجم البلدان ١٤٤/٥.

وكان قد وليها من الأيام الظاهرية، وعزل فى الأيام المنصورية، ثم أعيد وعزل فى الأيام الأشرفية، ثم أعيد، وكان مطاعا فيهم بحيث إنه إذا أمر بقتل نفسه يبادر لذلك.

ومات صدر الدين محمد بن البارنبارى يوم الإثنين عشرى شعبان.

ومات الشيخ نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عماد الدين يحيى بن الرفعة، مرتفع يوم الإثنين ثامن عشرى ربيع الآخر.

ومات جمال الدين بن المجد مستوفى ديوان المماليك فى حادى عشر ذى الحجة، واستقر عوضه أمين الدين بن الخطاب.

ومات الشيخ أمين الدين بن الصعبى، يوم الأحد عشرى ذى الحجة.

ومات الفقيه زكى الدين البهنسى، فى شهر رمضان.

ومات الشيخ الرشيد، فى سلخ رجب برباط الأفرم، وكان يلى مشيخته

* * *

سنة أربع عشر وسبعمائة

مستهل المحرم: وافقه حادى عشرى برمودة.

فيه اخضر ماء النيل، وتغير لونه تغيرا زائدا عن العادة، وتغير طعمه وريحه أيضا، وجرت العادة أن يكون فى هذه الأيام فى غاية الصفاء.

وفى نصف المحرم: اتفق أنه كان للنصارى مجتمع بالكنيسة المعلقة بمصر، واستعاروا من قناديل الجامع العتيق جملة. فقام فى إنكار ذلك الشيخ نور الدين على بن عبد الوارث البكرى، وجمع من البكرية وغيرهم خلائق، وتوجه إلى المعلقة وهجم على النصارى وهم فى مجتمعهم وقناديلهم وشموعهم تزهر، فأخرق بهم وأطفأ الشموع وأنزل القناديل. وعاد البكرى إلى الجامع، وقصد القومة، فاحتجوا أن الخطيب القسطلانى هو الذى أمر بإرسال القناديل إلى الكنيسة، فأنكر على الخطيب فعله. وجمع البكرى الناس معه على ذلك، وقصد الإخراق بالخطيب، فاختفى منه وتوجه إلى الفخر ناظر الجيش وعرفه بما وقع، وأن كريم الدين أكرم هو الذى أشار بعارية القناديل فلم يسعه إلا موافقته. فلما كان الغد عرف الفخر السلطان بما كان، وعلم البكرى أن ذلك قد كان بإشارة كريم الدين، فسار بجمعه إلى القلعة واجتمع بالنائب وأكابر الأمراء، وشنع فى القول وبالغ فى الإنكار، وطلب الاجتماع بالسلطان. فأحضر السلطان القضاة والفقهاء وطلب البكرى، فذكر البكرى من الآيات والأحاديث التى تتضمن معاداة النصارى، وأخذ يحط عليهم، ثم أشار إلى السلطان بكلام فيه جفاء وغلظة حتى غضب منه عند قوله: «أفضل المعروف كلمة حق عند سلطان جائر. وأنت وليت القبط المسالمة، وحكمتهم فى دولتك وفى المسلمين، وأضعت أموال المسلمين فى العمائر والإطلاقات التى لا تجوز»، إلى غير ذلك، فقال السلطان له: «ويلك! أنا جائر؟». فقال: «نعم! أنت سلطت الأقباط على المسلمين، وقويت دينهم». فلم يتمالك السلطان نفسه عند ذلك، وأخذ السيف وهم بضربه. فأمسك الأمير طغاى يده، فالتفت السلطان إلى قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف، وقال: «هكذا يا قاضى يتجرأ على؟ إيش يجب أفعل به؟ قل لى!»، وصاح به. فقال له ابن مخلوف: «ما قال شيئا ينكر عليه فيه، ولا يجب عليه شىء، فإنه نقل حديثا صحيحا». فصرخ السلطان فيه وقال: «قم عنى!». فقام من فوره وخرج. فقال صدر الدين بن المرحل - وكان حاضرا - لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى: «يا مولانا! هذا الرجل تجرأ على السلطان، وقد

قال الله تعالى أمرا لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1]. فقال ابن جماعة للسلطان: «قد تجرأ و لم تبق إلا مراحم مولانا السلطان». فانزعج السلطان انزعاجا عظيما، ونهض عن الكرسى، وقصد ضرب البكرى بالسيف، فتقدم إليه طغاى وأرغون فى بقية الأمراء، وما زالوا به حتى أمسك عنه، وأمر بقطع لسانه. فأخرج البكرى إلى الرحبة، وطرح إلى الأرض، والأمير طغاى يشير إليه أن يستغيث، فصرخ البكرى وقال: «إنا فى جيرة رسول الله»، وكررها مرارًا حتى رق له الأمراء، فأشار إليهم طغاى بالشفاعة فيه، فنهضوا بأجمعهم وما زالوا بالسلطان حتى رسم بإطلاقه وخروجه من مصر. وأنكر الأمير أيدمر الخطيرى كون البكرى قوى نفسه أولا فى مخاطبة السلطان، ثم إنه ذل بعد ذلك، ونسب إلى أنه لم يكن قيامه خالصا لله.

وفيه قدم الركب من الحجاز، وقد كثرت الشكوى من الأمير بلبان الشمسى أمير الركب، وأنه كثير الطمع مفرط فى أمر الحاج سيئ السيرة، فقبض عليه.

وفيه أفرج عن الأمير برلغى صهر المظفر بيبرس.

وفيه قدم البريد من دمشق بأنه قد اجتمع على الناس بواق كثيرة من ضمانات ومقررات على أهل البلاد، وقد تضرروا منها. فكتب مثال بمسامحة أهل الشام بالبواقى لاستقبال سنة ثمان وتسعين وستمائة وإلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسير إلى دمشق فقرئ بها على منبر الجامع فى يوم الجمعة عاشر المحرم، وتلاه مثال آخر بإبطال المقرر على السجون، وإعفاء الفلاحين من السخر، وإبطال مقرر الأقصاب، ومقرر ضمان القواسين، ورسوم الشد والولاية. فأبطل ذلك كله من جميع ممالك البلاد الشامية بأسرها.

وفيه كتب لنواب حلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحدا منهم لا يكاتب السلطان، وإنما يكاتب الأمير تنكر نائب الشام، ويكون هو المكاتب فى أمرهم للسلطان. فشق ذلك على النواب، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طرنا نائب صفد ينكر ذلك، فكاتب فيه تنكز السلطان حتى عزل فى صفر، واستقر عوضه الأمير بلبان البدرى، وحمل طرنا فى القيد إلى مصر، وسجن بالقلعة.

وفيها استقر الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب فى نيابة حلب، بعد وفاة الأمير سيف الدين سودى فى نصف رجب. وقدم زين الدين قراجا الخزندارى والخاص ترك من بلاد طقطاى، وأخبرا بموته؛ وهو طقطاى بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن جوجى

---

(١) سورة طه آية ٤٤.

ابن جنكز خان ملك التتار ببلاد الشمال، أقام فى الملك مدة ثلاث وعشرين سنة، وكان يعبد الأصنام على دين البخشية[١]، وملك بعده أزبك خان بن طغرل بن منكوتمر بن طغان.

وفيها اهتم السلطان بعمارة جسور نواحى أرض مصر وترعها وندب الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى الشرقية، والأمير علاء الدين أيدغدى شقير إلى البهنساوية، والأمير شرف الدين حسين بن حيدر إلى أسيوط ومنلفوط والأمير سيف الدين آقول الحاجب إلى الغربية، والأمير سيف الدين قلى أمير سلاح إلى الطحاوية[٢]وبلاد الأشمونين[٣]، والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا إلى القليوبية، والأمير علاء الدين التليلى إلى البحيرة[٤]، والأمير بدر الدين بكتوت الشمسى إلى الفيوم[٥]، والأمير سيف الدين بهادر المعزى إلى إخميم، والأمير بهاء الدين أصلم إلى قوص.

وفيها قدم الأمراء المجردون إلى الحجاز: وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا صحبة الحاج من السنة الماضية فر الشريف حميضة نحو اليمن، وأقام بحلى بنى يعقوب: فلما انقضى الموسم وخرج الحاج أقام الأمير طقصبا المغربى بالمعسكر حتى رتب الشريف أبا الغيث فى إمارة مكة، ولم يزل مقيما معه مدة شهرين بعد انقضاء الحج. ولم تمطر تلك السنة بمكة، وقل الجلب، فكثرت كلف العسكر، واحتاج طقصبا إلى السفر. فأشهد عليه أبو الغيث أنه أذن له فى السفر، وكتب بذلك إلى السلطان. فلم يكن بعد توجه العسكر من مكة غير قليل حتى جمع حميضة وقدم، ففر منه أبو الغيث إلى هذيل بوادى نخلة، وملك (حميضة) منه مكة، وبعث حميضة إلى السلطان القود اثنى عشر فرسا وكتابا، وهو يترفق ويبذل الطاعة ويعتذر؛ فلم يقبل منه العذر، وحبس رسوله.

وفيها توجه الأمير قجلس لقبض مال سودى نائب حلب وكشف أخبار مهنا، فأشار تنكز نائب الشام بإخراج مهنا من البلاد وأن عسكر الشام يكفيه، فبطل أمر التجريدة من مصر. وجرد من الشام الحاج أرقطاى وكجكن، ومن حماة ألف فارس مع عسكر طرابلس وحلب، وخرج طلب قجليس من القاهرة ليكون مقدم العساكر، فاجتمعت عنده العساكر والعربان بحلب. وبلغ ذلك مهنا فأجمع على الرحيل، وسارت إليه

---

(١) على هامش ط: البخشية لفظ مغولى، ومعناه الكهنة البوذيون، والمقصود به هنا طائفة تدين بالرهبانية والفقر والسحر.

(٢) هى كورة من كورة الصعيد. انظر: صبح الأعشى ٣٩٤/٣.

(٣) هى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر: معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٤) البحيرة: كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر. انظر: معجم البلدان ٣٥١/١.

(٥) ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام. انظر: معجم البلدان ٢٨٦/٤.

العساكر، فلما قاربته رحل وهى فى إثره إلى عانة والحديثة[1] من العراق، فجفلت أهل البلاد. وبلغ ذلك جوبان نائب خربندا ملك التتار، فظن أن السلطان قد نقض الصلح ويريد أخذ العراق، فانزعج لذلك إلى أن بلغه مجىء العسكر بسبب العرب، وأنه لم يتعد عانة ولا تعرض لزرع البلاد ولا كرومها، فسكن ما به. ورجع العسكر عن عانة إلى ضيعة تعرف بالعنقاء[2] من ضياع مهنا، وأخذ ما كان بها من المغل، وسار كذلك إلى ضياع مهنا حتى وصل الرحبة، وقد حمل الغلال إليها. فبعث السلطان إلى قجليس بعود العساكر إلى بلادها، وإقامته على سلمية[3] إلى أن يخزن مغلها بقلعة حلب، فاعتمد ذلك وأقام حتى استغل سلمية، وعاد قجليس إلى القاهرة فأخلع عليه.

وفيها خرج عسكر من القاهرة فى أول ذى القعدة: فيه من الأمراء سيف الدين بكتمر البوبكرى السلاح دار وإليه تقدمه العسكر وقلى السلاح دار، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وركن الدين بيبرس الحاجب، وبكتمر البوبكرى الجمدار، وبدر الدين محمد بن الوزيرى، وأيتمش المحمدى، بمضافيهم من الأمراء ومقدمى الحلقة والأجناد. وكتب لنائب الشام الأمير تنكز بالمسير معهم بعسكر دمشق، وأن يكون المقدم على جميع العساكر، وكتب بخروج عساكر حماة وحلب وطرابلس، وأشيع أن ذلك لغزو سيس. فوصل عسكر مصر إلى دمشق فى عشريه، وأقام بها حتى انقضت السنة.

واتفقت حادثة غريبة بالقاهرة: وهو أن رجلا من سكان الحسينية يقال له على بن السارق ركب فى يوم الجمعة فرسا وبيده سيفه، وشق القاهرة فما وجد بها يهوديا ولا نصرانيا إلا ضربه، فجرح جماعة، وقطع أيدى جماعة، وشج جماعة، ثم أمسك خارج باب زويلة، وضرب عنقه.

* * *

ومات فيها ممن له ذكر

رشيد الدين إسماعيل بن عثمان الدمشقى الحنفى، بمصر فى رجب عن إحدى

---

(١) الحديثة: كورة من كور الموصل، قال اليعقوبى: الحديثة مدينة عامرة آهلة على شاطئ دجلة لها فرض وأسواق، وهى كورة من كور النوصل لها عمارات وقرى، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، ولها غلات واسعة وخصب وهى شرقى دجلة، وبها مصب نهر الزاب الكبير، ومنها إلى الموصل مرحلة. وكان محمد بن مروان بن الحكم لما ولى الجزيرة أيام عبد الملك بن مروان بناها وصير فيها جندًا ونقل إليها قومًا من العرب من البلصرة وغيرها، والأزد أكثرهم، وكان بنيانها سنة اثنتين وسبعين. ولما اختط هرثمة الموصل وأسكنها العرب أتى الحديثة وكانت قرية بها بيعتان وأبيات للنصارى فمصرها وأسكنها قومًا من العرب، فسميت الحديثة لأنها بعد الموصل. انظر: معجم البلدان ٢/٢٣٠، والروض المعطار ١٨٩، ١٩٠.

(٢) العنقاء: موضع بنواحى البحرين. انظر: معجم البلدان ٤/١٠٦٢.

(٣) سلمية: هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة. بينهما مسيرة يومين. انظر: معجم البلدان ١/٢٤٠، واليعقوبى ٣٢٤، ونزهة المشتاق ١٩٦، والروض المعطار ٣٢٠.

وتسعين سنة، أخذ القراءات عن السخاوى، وأفتى ودرس، وقدم القاهرة من سنة سبعمائة فى الجفل.

ومات بدمشق العدل نجم الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد - عرف جده بالقابونى - السعدى الأنصارى الدمشقى، فى ليلة الجمعة أول محرم، ومولده سنة ستين وستمائة، وسمع من أبى اليسر فى آخرين، وحدث عن أبى عبد الله ابن أمين الدين سليمان الموصلى، و روى عنه شيخنا العماد بن كثير، وقال كان رجلا جيدا يشهد على القضاة، وباشر استيفاء الأوقاف.

ومات الشريف أمين الدين أبو الفضل جعفر بن محمد بن عدلان بن الحسن الحسينى، نقيب الأشراف بدمشق، فى ليلة الخميس ثالث رجب، ومولده أول رجب سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان حسن السيرة عفيفا، وولى نظر الدواوين بدمشق أيضا.

ومات الأمير سودى نائب حلب فى نصف رجب، ووجد له من الذهب العين مبلغ أربعين ألف دينار، واشتملت تركته على ألف ألف درهم، حملت إلى القاهرة، وكان كريما حشما مشكور السيرة.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد بن خطاب الباجى[1]، بمصر ليلة الجمعة سادس ذى القعدة، عن ثلاث وثمانين سنة، وكان من أئمة الفقهاء الشافعية، درس وصنف وأفتى.

ومات جمال الدين عطية بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن محمد بن عطية اللخمى الإسكندرانى، عن ثمانين سنة بالإسكندرية، ومات شرف الدين يعقوب بن فخر الدين مظفر بن أحمد مزهر الحلى، ناظرحلب ودمشق، فى ثامن عشرى شعبان، عن ست وثمانين سنة بحلب، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، ولم تبق مملكة بالشام إلا باشرها، وكانت له مروءة.

ومات الأمير سيف الدين كهرداش المنصورى بدمشق.

ومات عماد الدين إسماعيل بن الملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز بن المعظم

---

(١) على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، علاء الدين الباجى: عالم بالأصول والمنطق والحساب. من أهل مصر. مغربى الأصل. ولى وكالة بيت المال بالكرك، وناب فى الحكم بالقاهرة، ونسبت إليه مقالة فاختفى مدة. وتقشف فى أواخر حياته. له كتب فى الفرائض. انظر: مفتاح السعادة ٢٢٤/٢ وفوات الوفيات ٧٥/٢ والدر الكامنة ١٠١/٣ والكتبخانة ٢٥٨/٧ والشافعية ٢٢٧/٦ والأعلام ٤/ ٣٣٤.

عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، بحماة فى ثامن عشرى ربيع الآخر.

ومات الأمير سيف الدين ملكتمر الناصرى المعروف بالدم الأسود بدمشق، وكان ظالما.

ومات الأمير فخر الدين أقجبا الظاهرى بدمشق، وكان خيرا، ومات الشيخ تقى الدين رجب بن أشترك العجمى، صاحب زاوية تقى الدين تحت قلعة الجبل، فى ثامن رجب، وكان له أتباع ومريدون، وله حرمة ووجاهة عند أهل الدولة، ومات الشيخ شرف الدين أبو الهدى أحمد بن قطب الدين محمد بن أحمد بن القسطلانى بالقاهرة، ومولده بمكة فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة، وكان ورعا دينا، ومات الشيخ المعمر محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن المعروف بحياك الله الموصلى، فى يوم الخميس تاسع ربيع الأول، بزاويته من سويقة الريش خارج القاهرة، عن مائة وستين سنة، وكان قد سئل عن مولده، فقال إنه قدم إلى القاهرة فى أيام المعز أيبك، وعمره يومئذ خمس وثمانون سنة، ومات سليم الحواس جيد القوة. ومات صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن الخشاب، وكيل بيت المال، يوم الإثنين تاسع شعبان، وولى عوضه مجد الدين حرمى، ومات القاضى سعد الدين محمد بن فخر الدين عبد المجيد بن صفى الدين عبد الله الأقفهسى، ناظر الخزانة، يوم الجمعة ثامن عشرى ذى الحجة فجأة، واستقر عوضه الصاحب ضياء الدين النشائى. ومات القاضى شمس الدين عبد الله بن الفخر ناظر الجيش يوم السبت ثالث عشر شعبان، وكان ناظر ديوان المماليك وأبوه غائب بالقدس، فقدم بعد موته ليلة رابع عشريه، فقررت جامكيته باسم ابنه، واستنيب عنه، ومات القاضى تقى الدين بن الفائزى، ليلة الجمعة ثانى عشرى صفر. ومات الشيخ عمر الدمامينى فى ثانى عشرى ذى القعدة. وقتل بدمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرى رجب موسى بن سمعان النصرانى، كاتب الأمير قطلوبك الجاشنكير بحران، وذلك أنه نصر مسلما، وكواه على يده مثال صليب، فحكم قاضى القضاة جمال الدين المالكى بقتله، فقتل.

* * *

سنة خمس عشر وسبعمائة

فى أول المحرم: سار العسكر من دمشق إلى حلب، وعليه الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، وقد استصحب معه قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى وشرف الدين ابن فضل الله، وجماعة من الموقعين، وكان تنكز بزى الملوك من العصائب والكوسات، ولم تجر عادة نائب قبله بذلك، وتبعه عسكر صفد وحمص حماة وطرابلس. فلما مر الأمير تنكز بحماة أعرض عن صاحبها لكونه لم يتلقه من بعد، ولم يأكل ما أعده له من الطعام، وسار تنكز إلى حلب فجرد منها الأمير قرطاى والأمير ملكتمر الجمدار إلى ملطية[1]، وكان فى الظن أن المسير إلى سيس.

وسبب غزو ملطية أن السلطان بعث فداوية من أهل مصياب لقتل قرا سنقر، فصار هناك رجل من الأكراد يقال له مندوه يدل على قصاد السلطان أخذ منهم جماعة، فشق

---

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهى المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سورًا محكمًا، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامى ويجرى فى بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة بين طرسوس والمصيصة. وكان فتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهرى، وجهه إليها عياض بن غنم من سميساط، ففتحها ورتب فيها رابطة من المسلمين، ثم شحنها معاوية، فكانت فى طريق الصوائف، ثم انتقل عنها أهلها أيام ابن الزبير فقصدها الروم ثم تركتها فنزلها قوم من الأرمن والنبط ثم أناخ الروم عليها، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة قصدها الطاغية، والجزيرة يومئذ مفتونة فأناخ عليها، فلما جهد أهلها سألوه الأمان فوثق لهم، فرحلوا وحملوا ما تيسر لهم وألقوا كثيرًا مما ثقل عليهم فى الآبار والمجارى، ثم خرجوا وشيعهم الروم حتى بلغوا مأمنهم، وتوجوا نحو الجزيرة، وهدم الروم ملطية، فلم تزل كذلك حتى وجه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام على الجزيرة وثغورها، ومعه الحسن بن قحطبة، ومعهم سبعون ألفًا، فعسكروا على ملطية وأتموا بناءها، وكان للحسن فى ذلك أثر جميل، وبنى مسجدها وبنى للجند الساكنين بها لكل عرافة بيتين سفليين وغرفتين فوقهما وإصطبلاً، والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً، وبناها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى ثاقب يدفع فى الفرات، ورتب المنصور فيها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة، وزاد فى أعطياتهم عشرة دنانير لكل رجل ومعونة مائة دينار، وغزتها الروم أيام الرشيد فلم يقدروا عليها. وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة أقبل طاغية الروم قسطنطين بن الليون فنزل على ملطية فقاتلوه قتالاً شديدًا، فألح عليهم حتى نزلوا على أمان، فهدم المدينة والمسجد الجامع ودار الإمارة، وغزتها الروم أيام الرشيد فلم يقدروا عليها. انظر: معجم البلدان ١٩٢/٥، والروض المعطار ٥٤٥.

ذلك على السلطان، وأخذ فى العمل عليه. فبلغه أنه صار يجنى خراج مطلية، وكان نائبها من جهة جوبان يقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين، فخاف من مندوه أن يأخذ منه نيابة ملطية، فما زال السلطان يتحيل حتى كاتبه ميزامير. وقرر معه أن يسلم البلد لعساكره. فجهز السلطان العساكر، وورى أنها تقصد سيس حتى نزلت بحلب، وسارت العساكر منها مع الأمير تنكز على عينتاب إلى أن وصل الدربند، فألبس الجميع السلاح وسلك الدربند إلى أن نزل على ملطية يوم الثلاثاء ثالث عشريه، وحاصرها ثلاثة أيام. فاتفق الأمير ميزامير مع أعيان ملطية على تسليمها، وخرج فى عدة من الأعيان إلى الأمير تنكز، فأمنهم وألبسهم التشاريف السلطانية المجهزة من القاهرة، وأعطى الأمير ميزامير سنجقا سلطانيا، ونودى فى العسكر ألا يدخل أحد إلى المدينة. وسار الأمير ميزامير ومعه الأمير بيبرس الحاجب والأمير أركتمر حتى نزل بداره، وقبض على مندوه الكردى وسلم إلى الأمير قلى، وتكاثر العسكر ودخلوا إلى المدينة ونهبوها. وقتلوا عدة من أهلها. فشق ذلك على الأمير تنكز، وركب معه الأمراء، ووقف على الأبواب وأخذ النهوب من العسكر، ورحل من الغد وهو رابع عشرى المحرم بالعسكر، وترك نائب حلب مقيما عليها لهدم أسوارها. ففر مندوه قبل الدخول إلى الدربند. وفات أمره. فلما قطعوا الدربند أحضرت الأموال التى نهبت والأسرى، فسلم من فيهم من المسلمين إلى أهله، وأفرد الأرمن.

فلما فتحت ملطية سار الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة، فقدم يوم الخميس ثالث صفر، ودقت البشائر بذلك. وتبعه الأمير تنكز بالعساكر - ومعه الأمير ميزامير وولده - حتى نزل عينتاب ثم دابق[1]، فوجد بها تسعة عشر ألف نول تعمل الصوف، وتجلب كلها إلى حلب. ثم سار تنكز، فقدم دمشق فى سادس عشر ربيع الأول، وسير ميزامير وابنه فى ثلاثين رجلا مع العسكر المصرى إلى القاهرة فقدموا فى خامس ربيع الآخر.

وفيها قبض على الأميرين علاء الدين أيدغدى شقير، وجمال الدين بكتمر الحسامى الحاجب، فى أول ربيع الآخر، فقتل شقير من يومه لأنه اتهم بأنه يريد الفتك بالسلطان، وأخذ لبكتمر الحاجب مائة ألف دينار، وسجن. وكان قد قبض على الأمير بهادر المعزى فى عاشر المحرم، وقبض أيضا بعد القبض على شقير على الأمير طغاى، وقبض على تمر الساقى نائب طرابلس وحمل إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير بهادر آص وحمل إلى الكرك. واستقر الأمير سيف الدين كستاى الناصرى فى نيابة طرابلس.

---

(١) دابق: مدينة فى أقاصى فارس يذكر ويؤنث، وهو مذكور فى حديث مسلم بن الحجاج: ينزل الروم بدابق أو الأعماق، أو ما هذا معناه قال عياض: بفتح الباء جاء فى كتاب مسلم. انظر: معجم البلدان ٧٢/٤، الروض المعطار ٢٣١.

وأفرج في مستهل ربيع الآخر عن داود وجبا أخوى الأمير سلار، وأفرج عن الأمير سيف الدين قجماس المنصورى أحد البرجية. وأخرج الأمير بدر الدين محمد الوزيرى عن مصر ليقيم بدمشق، في يوم السبت سلخ ربيع الآخر، وأنعم عليه بما خص السلطان من خمس ملطية، وهو نحو الخمسين ألف درهم.

وفى ثامن عشرى رجب: أفرج عن الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه، وأمر فى ثامن عشرى شهر رجب، ثم أنعم عليه فى ثالث عشر شعبان بإقطاع الأمير حسام الدين لاجين أستادار بعد موته.

وفيه قدم محمد بن عيسى[1] أخو الأمير مهنا، واعتذر عن أخيه مهنا، وقدم فرسا أصيلا للسلطان، فقدمت الفرس للسلطان فى شعبان، وعرفت ببنت الكرتا، بلغ ثمنها وكلفتها ستمائة ألف درهم. فكتب السلطان إلى مهنا بالرجوع إلى البلاد، وخلع على محمد بن عيسى، ثم بعث إلى مهنا باثنى عشر ألف دينار، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم، وكتب له بضيعة من الخاص على سبيل الملك.

وفى يوم الجمعة عشرى جمادى الأولى: - وتاسع عشرى مسرى: كان وفاء النيل، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثانى عشريه: عزل علاء الدين القطزى من ولاية مصر، وولى بعده ابن أمير حاجب، نقل إليها من ولاية الشرقية.

وفى ثالث جمادى الآخرة: حضر الشريف أسد الدين أبو غرارة رميثة ابن أبى نمى، من مكة فارا من أخيه حميضة، وأخبر أنه قطع اسم السلطان من الخطبة بمكة، وخطب لصاحب اليمن. فجرد السلطان معه الأمير سيف الدين طيدمر، والأمير نجم الدين ذمرخان بن قرمان، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة وأجناد الأمراء.

وفيها قدم الأمير سيف الدين الخاص تركى وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاى، ومعهم رسل الملك أزبك القائم بعد طقطاى، وأخبروا بإسلامه ومعهم هدية. فأكرم السلطان الرسل، وكتب جوابه، وسفرهم، وبعث معهم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى بهدية.

وفيها قدم البريد من حلب بقدوم والدة صاحب ماردين تريد الحج، فرسم للنواب بخدمتها والقيام بما يليق بها.

---

(١) محمد بن عيسى بن مهنا، شمس الدين: أمير العرب فى بادية الشام، ورئيس آل فضل. مات فى سلمية عن نيف وستين سنة. انظر: النجوم الزاهرة ٢٦١/٩ والدرر الكامنة ١٣١/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

وفيها قدم البريد بخروج سليمان بن مهنا عن الطاعة، ونهبه القريتين، وتوجهه نحو العراق من أجل خروج إقطاعه عنه. فكتب إلى مهنا فى ذلك، فأجاب بأنه خارج عن طاعته.

وفيها قدمت رسل صاحب اليمن، وهما بدر الدين حسن بن أبى المنجا، والطوشى جمال الدين فيروز، وقد خرج عليهما عرب صحراء عيذاب[1]، وأخذوا منهما الهدية. فجرد السلطان من الأمراء علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، وسيف الدين ساطى السلاح دار، وصارم الدين أزبك الجرمكى، وعز الدين أيدمر الدوادار، علاء الدين على بن قرا سنقر، وعلم الدين سنجر الدنيسرى، فى عدة من الأجناد ومقدمى الحلقة، وأمروا بالتوجه إلى دمقلة بالنوبة، فساروا فى أول شوال.

وفى العشر الأخير من شعبان: وقع الشروع فى روك[2] أرض مصر وسبب ذلك أن السلطان استكثر أخباز المماليك أصحاب بيبرس الجاشنكير وسلار النائب وبقية البرجية، وكان الخبز الواحد ما بين ألف مثقال فى السنة إلى ثمانمائة مثقال، وخشى السلطان من وقوع الفتنة بأخذ أخبازهم. فقرر السلطان مع الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد وإخراج الأمراء إلى الأعمال فتعين الأمير بدر الدين جنكلى ابن البابا للغربية، ومعه آقول الحاجب ومكين الدين إبراهيم بن قروينة؛ وللشرقية الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى، ومعه أيتمش المحمدى وأمين الدين قرموط، وللمنوفية

---

(١) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة، والماء العذب إليها مسيرة يوم، وهى محط السفن من جدة من التجار وغيرها، وهى تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط فى البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا فى موضعين. ومرسى عيذاب مأوى لجماعة بنى يونس، والفجور فيهم فاش لا ينكره منهم منكر، ولا يكترى منه بيت إلا يشترط نفقة صاحبة البيت وإجراء الخلوة بها، وهم يأخذون من التجار عُشورًا، وفيها قبالة الكلب، وهو كلب كان هناك للأمير فى القديم. ومن عيذاب تسير القوافل إلى مدينة سواكن. ولأهل عيذاب فى الحجاج ظلم الطواغيت فإنهم يشحنون مراكبهم حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة فى الكراء حتى يستوفى صاحب المركب حقه فى طريق واحد، ولا يبالى بما يصنع البحر ويقولون: علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح، وهذا مثل متعارف عندهم. قالوا: والأولى لمن يمكنه ألا يراها، وأن يكون طريقه على الشام إلى العراق. انظر: معجم البلدان ٤/١٧١، ونزهة المشتاق٤٩، وابن الوردى ٣٦، والروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤.

(٢) على هامش ط: الروك لفظ جرى فى مصطلح الإدارة المالية فى مصر والشام فى العصور الوسطى، للدلالة على عملية قياس الأراضى ومسحها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها مرة كل ثلاثين سنة تقريبا.

والبحيرة بلبان الصرخدى والقلنجى وابن طرنطاى وبيبرس الجمدار، وللصعيد التليلى والمرتينى.

وفيها توجه السلطان فى شعبان إلى بلاد الصعيد، وقدم فى يوم الخميس ثامن عشر شوال.

وفيها توجه من حلب ستمائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين قرطاى للغارة على بلاد ماردين(١) ودنيسر(٢) لقلة مراعاة صاحب ماردين لما يرسم به. فشن قرطاى الغارة على بلاد ماردين يومين، فصادف قراوول التتار قد قدم إلى ماردين على عادته كل سنة لجباية القطيعة، وهم فى ألفى فارس، فحاربهم قرطاى وقتل منهم ستمائة رجل، وأسر مائتين وستين، وقدم بالرءوس والأسرى إلى حلب، ومعهم عدة خيول. فلما قدم البريد سر السلطان سرورا زائدا، وبعث بالتشريف لنائب حلب ولقرطاى.

وقدم الخبر من مكة بقتل أبى الغيث فى حرب مع أخيه حميضة، وأن العسكر المجرد إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه، فانهزم حميضة وسار يريد بلاد خربندا، فتلقاه خربندا وأكرمه، وأقام حميضة عنده شهرا، وحسن له إرسال طائفة من المغل إلى بلاد الحجاز ليملكها، ويخطب له على منابرها. وقدم العسكر المجرد إلى الحجاز فى ثامن عشرى رجب، وكان السلطان قد أنعم على محمد بن مانع بإمرة مهنا، فشنَّ الغارات وأخذ جمال مهنا وطرده. فسار مهنا أيضًا إلى خربندا، فسرّ به وأنعم عليه. وجرد خربندا مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس، وسار حميضة بهم فى رجب يريد مكة. وأخذ خربندا فى جمع العساكر لعبور بلاد الشام، فقدر الله موته، فخاف مهنا من الإقامة بالعراق، فسار من بغداد وبلغ محمد بن عيسى أخا مهنا سير الشريف حميضة بعسكر المغل إلى مكة، فشق عليه استيلاؤهم على الحجاز، فلما علم بموت خربندا، وخروج أخيه مهنا من بغداد، سار فى عربانه وكبس سكر حميضة ليلا ووضع فيهم السيف، وهو يصيح باسم الملك الناصر، فقتل أكثرهم. ونجا حميضة، ووقع فى الأسر من المغل أربعمائة رجل، وغنم العرب منهم مالا كثيرا وخيولا وجمالا. وكتب

---

(١) ما ردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قمته قلعة لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة.

(٢) بلدة عظيمة من نواحى الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان. انظر: معجم البلدان ٤٧٨/٢. وجاءت فى الروض المعطار دنيصر: من الموصل إلى نصيبين إلى مدينة دنيصر، وهى مدينة فى بسيط من الأرض فسيح وحولها باستين الرياحين والخضر تسقى بالسوانى، وكأنها بادية ولا سور لها، وهى مشحونة بشرًا، ولها أسواق حفيلة والأرزاق بها واسعة، وهى مخطر لأهل بلاد الشام وبلاد الروم التى لطاعة الأمير مسعود، وبها المرافق الكثيرة. انظر: الروض المعطار ٢٥٠.

وخيولا وجمالا. وكتب بذلك إلى السلطان فسر به، وأعاد الإمرة إلى مهنا، واستدعى محمد بن عيسى، فقدم إلى مصر وشمله من إنعام السلطان شيء كثير.

وفيها وصل إلى السلطان مهرة تعرف ببنت الكرتا، كان قد بذل فيها نحو مائتى ألف وتسعين ألف درهم، وضيعة من بلاد حماة، ويقال إنها بلغت كلفها على السلطان ستمائة ألف درهم.

وفيها وعك السلطان أياما، فلما عوفى ودخل الحمام حلق رأسه كله، فلم يبق أحد من الأمراء والمماليك الناصرية حتى حلق رأسه. ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوائب الشعر، واستمر إلى اليوم وجلس السلطان يوم عيد النحر بعد عافيته، وأفرج عن أهل السجون، وطلع الناس للهناء، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فكان يوما مشهودا.

وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذى بناه أبوه الملك المنصور، وجدده أخوه الملك الأشرف، ثم أنشأ إيوانا جليلا، وعمل به قبة عالية متسعة ورخمه رخاما عظيما، وجعل قدامه دركاة[1] فسيحة، فجاء من أجل المبانى الملوكية وأعظمها.

وأما الأمراء الذين توجهوا إلى روك أعمال مصر، فإن كلا منهم لما نزل بأول عمله استدعى مشايخ البلاد ودللاءها[2] وقياسيها وعدولها وسجلات كل بلد. وعرف متحصلها ومقدار فدنها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجندى من العين والغلة والدجاج والخراف والبرسيم، والكشك والعدس والكعك، ثم قاس تلك الناحية، وكتب بذلك عدة نسخ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله. وعادوا بعد خمسة وسبعين يوما بالأوراق، فتسلمها الفخر ناظر الجيش، ثم طلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الأسعد بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلغى - وسائر مستوفى الدولة، وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطانى التى عينها لهم، وعلى إقطاعات الأمراء، وأضاف على عبرة كل بلد ما كان فلاحيها من الضيافة المقررة، وما فى كل بلد من الجوالى وكانت الجوالى قبل ذلك إلى وقت الروك ديوانا مفردا يختص بالسلطان، فأضيف جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها.

---

(١) على هامش ط: الدركاة. وجمعه دركاوات - لفظ فارسى معناه الفضاء أو الممر المؤدى لمدخل بناء من الأبنية الكبرى.

(٢) على هامش ط: مفرد هذا اللفظ دليل وهو الشخص من أهل الناحية يقوم بتعيين أسماء المزارعين للأراضى المزروعة. وفى لسان العرب: الدليل ما يستدل به. والدليل الدلال. وقد دله على الطريق يدله دللدتن ودللدتن ودللولتن، والفتح أعلاه. والدليل والدليلى الذى يدلك. لسان العرب ١٤١٤.

وأبطلت عدة جهات من المكوس منها ساحل الغلة، وكانت هذه الجهة مقطعة لأربعمائة من أجناد الحلقة سوى الأمراء، ومتحصلها فى السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، وإقطاع الجندى منها من عشرة آلاف درهم فى السنة إلى ثلاثة آلاف، وللأمراء من أربعين ألف إلى عشرة آلاف، واقتنى منها المباشرون أموالا عظيمة، فإنها أعظم الجهات الديوانية، وأجل معاملات مصر، وكان الناس منها فى أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم، فإن أمرها كان يدور ما بين ظلم نواتيه المراكب والكيالين والمشدين والكتاب، وكان المقرر على كل أردب مبلغ درهمين للسلطان، ويلحقه نصف درهم آخر سوى ما ينهب وكان له ديوان فى بولاق خارج المقس، وقبله كان خص يعرف بخص الكيالة، فلما ولى ابن الشيخى شد هذه الجهة - قبل أن يلى الوزارة - عمر مكان الخص مقعدا وجلس فيه، وكان فى هذه الجهة نحو الستين رجلا ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جنديا، وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه.

ومن المكوس التى أبطلها السلطان الناصر أيضا نصف السمسرة الذى أحدثه ابن الشيخى فى وزارته، وهو أن من باع شيئا فإن دلالته على كل مائة درهم درهمين، يؤخذ منهما درهم للسلطان، فصار الدلال يحسب حسابه، ويخلص درهمه قبل درهم السلطان. ومنها رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية، وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين، فيجبيها المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش، وعليها جند مستقطعة وأمراء، وكان فيها من الظلم والعسف والفساد وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف. ومنها مقرر الحوائص والبغال، وهى تجبى من المدينة وسائر معاملات مصر كلها من الوجهين القبلى والبحرى، فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل فى كل قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة ثلاثمائة درهم، وعن ثمن بغل خمسمائة درهم، وكان عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم. ومنها مقرر السجون، وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يغرمه، وعلى هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضمان، وكانت تجبى من سائر السجون. ومنها مقر طرح الفراريج، ولها ضمان فى سائر نواحى الإقليم، فتطرح على الناس فى النواحى الفراريج وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأرامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه، وعليها عدة مقطعين ومرتبات، ولكل إقليم ضامن مفرد، ولا يقدر أحد أن يشترى فروجا فما فوقه إلا من الضامن. ومنها مقرر الفرسان، وهى شىء يستهديه الولاة والمقدمون من سائر الأقاليم، فيجىء من ذلك مال عظيم، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظالم. ومنها مقرر

الأقصاب والمعاصر، وهو ما يجبى من مزارعى الأقصاب وأرباب المعاصر ورحال المعصرة. ومنها رسم الأفراح، هى تجبى من سائر البلاد، وهى جهة بذاتها لا يعرف لها أصل. ومنها حماية المراكب، وهى تجبى من سائر المراكب التى فى النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية، ويجبى من المسافرين فى المراكب سواء إن كانوا أغنياء أو فقراء. ومنها حقوق القينات، وهى ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر وضمان تجيب[١] بمصر. و منها شد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة، فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم فى الخانات، وكانت جهة قبيحة شنعة. ومنها متوفر الجراريف، و تجبى من المهندسين والولاة بسائر الأقاليم، وعليها عدة من الأجناد. ومنها مقرر المشاعلية، وهى ما يؤخذ عن تنظيف أسربة البيوت والحمامات والمسامط وغيرها، وحمل ما يخرج منها من الوسخ إلى الكيمان، فإذا امتلأ سرب مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار، فمتى لم يوافقه صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبذل له ما طلب. ومنها ثمن العبى[٢] التى كانت تستأدى من البلاد. ومنها مقرر الأتبان التى كانت تؤخذ لمعاصر الأقصاب بغير ثمن. ومنها زكاة الرجالة بالديار المصرية.وأبطل السلطان أيضا وظيفتى النظر والاستيفاء من سائر الأعمال

فى كل بلد ناظر ومستوف وعدة مباشرين ، فرسم ألا يستخدم أحد فى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وما كان للسلطان فيه مال يكون فى كل إقليم ناظر وأمين حكم لا غير. ورفع السلطان سائر المباشرين. ورسم بالمسامحة بالبواقى الديوانية والإقطاعية من سائر النواحى إلى آخر سنة أربع وسبعمائة. وجعل المال الهلالى لاستقبال صفر سنة ست عشرة، والمال الخراجى لاستقبال ثلث مغل سنة خمس عشرة وسبعمائة.

وأفرد السلطان لخاصة الجيزية وأعمالها وبلاد هو والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وعدة بلاد. وأحرجت الجوالى من الخاص، و فرقت فى البلاد. وأفردت جهات المكس كلها، وأضيف للوزارة. وأفردت للحاشية بلاد، ولجوامك المباشرين بلاد، ولأرباب الرواتب جهات. وارتجعت عدة بلاد كانت اشتريت، وأدخلت فى الإقطاعات. واعتد فى سائر البلاد بما كان يهديه الفلاح، وحسب من جملة الإقطاع.

---

(١) المقصود بهذا اللفظ خطة من خطط الفسطاط كانت تسكنها سلالة قبيلة تجب. انظر: خطط المقريزى١/٢٩٧.

(٢) العبى: جمع عامى للفظ عباءة - أو عباية - والصحيح عباءات. انظر: محيط المحيط. والعبايه ضرب من الأكسية واسع فى خطوط سود كبار، والجمع عباء. وفى الحديث: ولبساهم العباء. لسان العرب ٢٧٩١.

فلما فرغ العمل من ذلك نودى فى الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات، وكتبت المراسيم إلى النواحى به، فسر الناس سرورا كبيرا.

وجلس السلطان بالإيوان الذى أنشأه لتفرقة المثالات فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة، بعدما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا ورسم أن يفرق كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما. فكان المقدم يقف بمضافيه، ويستدعى السلطان المقدمين كل أحد باسمه، فإذا تقدم المطلوب سأله السلطان: «من أين أنت؟ ومملوك من؟»، حتى لا يخفى عليه شىء من أمره، ثم يعطيه مثالا على ما قسم له من غير تأمل، وأنبأ السلطان فى العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمراء الجيش.

وكان الأمراء عند العرض قد جلس أكابرهم بخدمته على العادة، وإذا أخذوا فى شكر جندى عاكسهم وأعطاه دون ما كان فى أملهم له، وأراد بذلك ألا يتكلم أحد فى المجلس. فلما فطنوا لذلك أمسكوا عن الكلام والشكر، بحيث لم يتكلم أحد بعدها إلا جوابا له عما يسأل السلطان عنه منهم. وفعل فى عرض المماليك مثل عرض الأجناد، فكان المملوك إذا تقدم إليه سأله عن اسم تاجره وعن أصله وفرعه، وكم حضر من مصاف[1]، وكم رأى بيكارا، وأى قطعة حاصر، فإن أجابه بصدق أنصفه. وكان السلطان يخير الشيخ المسن بين الإقطاع والرواتب، فيعطيه ما يختار، ولم يقطع فى العرض العاجز عن الحركة، بل كان يرتب له ما يقوم به عوضا عن إقطاعه.

واتفق له فى العرض أشياء: منها أنه تقدم إليه شاب تام الخلقة فى وجهه أثر شبه ضربة سيف، فأعجبه وناوله مثالا بإقطاع جيد، وقال له: «فى أى مصف وقع فى وجهك هذا السيف؟». فقال لقلة سعادته: «يا خوند! هذا ما هو أثر سيف، وإنما وقعت من سلم. فصار فى وجهى هذا الأثر»، فتبسم وتركه. فقال الفخر ناظر الجيش: «يا خوند! ما بقى يصلح له هذا الخبز!». فقال السلطان «لا! قد صدقنى وقال الحق، وأخذ رزقه، فلو قال أصبت فى المصف الفلانى من الذى يكذبه؟»، فدعت الأمراء له، وانصرف الشاب بالمثال. وتقدم إليه رجل ذميم الشكل، وله إقطاع ثقيل عبرة ثمانمائة دينار. فأعطاه مثالا وانصرف. فإذا به عبرة نصف ما كان معه. فعاد وقبل الأرض. فسأله السلطان عن حاجته. فقال: «الله يحفظ السلطان! فإنه غلط فى حقى، فإن إقطاعى كانت عبرته ثمانمائة دينار، وهذا أربعمائة». فقال السلطان: «بل الغلط كان فى إقطاعك الأول»، فمضى بما قسم له. فلما انتهت تفرقة المثالات فى آخر المحرم سنة ست عشرة توفر منها نحو مائتى مثال.

---

(١) المصاف جمع مصف، وهو الموقف فى الحرب وموضع الصف فى القتال. انظر: محيط المحيط.

ثم أخذ السلطان فى عرض طباق[1] المماليك، ووفر جوامك عدة منهم ورواتبهم، وأعطاهم الإقطاعات. وأفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد، وقرر لكل ثلاثة آلاف درهم فى السنة. وارتجع السلطان ما كانت البرجية قد اشترته من أراضى الجيزة وغيرها، وارتجع ما كان لبيبرس وبرلغى والجوكندار وغيرهم من المتاجر، وأضاف ذلك للخاص.

وبالغ السلطان فى إقامة أيام العرض. وعرف النائب وأكابر الأمراء أنه «من رد مثالا أو تضرر أو شكا ضرب وحبس وقطع خبزه، وأن أحدا من الأمراء لا يتكلم مع السلطان فى أمر جندى ولا مملوك»، فلم يجسر أحد أن يخالف ما رسم به.

وغبن فى هذا العرض أكثر الأجناد، فإنهم أخذوا إقطاعات دون التى كانت معهم، وقصد الأمراء التحدث فى ذلك مع السلطان، والنائب أرغون ينهاهم عنه. فقدر الله أن السلطان نزل إلى البركة لصيد الكركى، وجلس فى البستان المنصورى ليستريح، فدخل بعض المرقدارية - وكان يقال له عزيز - ومن عاداته الهزل قدام السلطان والمزح معه، فأخذ يهزل على عادته قدام السلطان والأمراء جلوس، وهناك ساقية والسلطان ينظر إليها. فتمادى عزيز لشؤم بخته فى الهزل إلى أن قال: «وجدت جندى من جند الروك الناصرى وهو راكب إكديش، وخرجه ومخلاة فرسه ورمحه على كتفه»، وأراد أن يتم الكلام. فاشتد غضب السلطان. وصاح فى المماليك: «عروه ثيابه»، فللحال خلعت عنه الثياب، وربط مع قواديس الساقية، وضربت الأبقار حتى أسرعت فى الدوران، وعزيز تارة ينغمر فى الماء وتارة يظهر، وهو يستغيث وقد عاين الموت، والسلطان يزداد غضبا. فلم تجسر الأمراء على الشفاعة فيه حتى مضى نحو ساعتين، وانقطع حسه، فتقدم إليه الأمير طغاى والأمير قطلوبغا الفخرى وقالا: «ياخوند! هذا المسكين لم يرد إلا أن يضحك السلطان، ويطيب خاطره، ولم يرد غير ذلك»، وما زالا به حتى أخرج الرجل وقد أشفى على الموت، ورسم بنفيه من أرض مصر، فحمد الله سبحانه وتعالى الأمراء على سكوتهم وتركهم الشفاعة فى تغيير مثالات الأجناد.

وفى هذه السنة: ظهر ببلاد الصعيد فأر عظيم يخرج عن الإحصاء، بحيث إن مباشرى ناحية أم القصور من بلاد منفلوط قتلوا فى أيام قلائل من الفأر مبلغ ثلاثمائة وسبعة عشر أردبا ينقص ثلث أردب، واعتبروا أردبا فجاء عدة ثمانية آلاف وأربعمائة فأر، وكل ويبة ألف وأربعمائة فأر.

---

(١) الطباق جمع طبقة، وهى ثكنات الجيش المملوكى بالقلعة حيث كانت كل طبقة تضم أبناء الجنس الواحد من المماليك. انظر: خطط المقريزى٢/٢١٣.

وفيها وقعت نار فى البرج المنصورى من قلعة الجبل وطباق الجمدارية، فأحرقت شيئا كثيرا، وذلك فى تاسع عشرى شعبان.

وفيها غلقت كنائس اليهود والنصارى بأجمعها فى مصر والقاهرة، فى يوم السبت سابع عشرى شوال فلما كان يوم الثلاثاء العشرين من ذى الحجة فتحت الكنيسة المعلقة وخلع على بطرك النصارى.

وفيها حج الأمير سيف الدين أرغون النائب، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، مع الركب، وكان أمير الركب عز الدين أيدمر الكوكندى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن الأرمنتى المعروف بابن الأسعد، يوم الجمعة رابع عشرى رمضان، وكان فقيها شافعيا مشكور السيرة.

ومات جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن بريق بن برعس أبو الطاهر القوصى الفقيه الحنفى، كان متصدرا بجامع أحمد بن طولون، وله فضيلة فى الفقه والقراءات والعربية، وصنف وحدث، وله شعر منه:

أقول له ودمعى ليس يرقا ... ولى من عبرتى إحدى الوسائل
حرمت الطيف منك ففاض دمعى ... وطرفى فيك محرم وسائل

ومات تقى الدين سليمان بن حمزة بن عمر بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى الحنبلى[1]، قاضى الحنابلة، بدمشق فى حادى عشرى ذى القعدة، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكان فاضلا واسع الرواية، له معجم فى مجلدين، وتخرج به جماعة من الفقهاء، مع الدين والتواضع.

ومات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى، بالقاهرة ليلة الحادى والعشرين من صفر، عن ست وتسعين سنة، ودفن بالقرافة، ومولده سنة تسع وثلاثين وستمائة، وناب فى الحكم بالحسينية خارج القاهرة، ثم ولى قضاء الإسكندرية، وهو أول من درس بالمدرسة المنكوتمرية بالقاهرة.

ومات السيد الإمام العلامة ركن الدين أبو محمد الحسين بن شرف الدين شاه

---

(١) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقى الدين، ابن قدامة، المقدسى: فقيه حنبلى، مقدسى الأصل، دمشقى المولد والوفاة. كان مسند الشام فى وقته. ولى القضاء عشرين سنة. انظر: الكامل لابن الأثير ١٣٥/٤ والأعلام ١٢٤/٣.

الحسينى العلوى الأسترابادى، عالم الموصل ومدرس الشافعية، وشارح المختصر لابن الحاجب ومقدمى ابن الحاجب والحاوى فى المذهب، وله سبعون سنة، وأخذ عن النصير الطوسى، وتقدم عند التتار وتوفرت حرمته، وبرع فى علوم المعقولات، وكان يجيد الفقه وغيره.

ومات شرف الدين محمد بن نصر الله القلانسى التميمى الدمشقى، فى ثانى عشر المحرم بدمشق ومولده بها سنة ست وأربعين وستمائة، وكان أحد الأعيان الأخيار.

ومات الشيخ صفى الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموى - المعروف بالهندى الأرموى - الفقيه الشافعى، فى تاسع عشرى صفر بدمشق، ومولده ثالث ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة، وله تصانيف مفيدة، وقدم من الهند إلى مصر بعد حجه، وسار إلى الروم فأقام بها إحدى عشرة سنة، وسكن دمشق من سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع بها ودرس، وكان إماما عالما دينا.

وملت شرف الدين محمد بن تميم الإسكندرانى كاتب الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن بها، وكان إماما فى الإنشاء، وله نظم.

ومات عز الدين موسى بن على بن أبى طالب الشريف أبو الفتح الموسوى الحنفى العدل، فى سابع ذى الحجة بمصر، وانفرد بالرواية عن ابن الصلاح والسخاوى، ورحل الناس إليه.

ومات الأمير عز الدين حسين بن عمر بن محمد بن صبرة، فى تاسع عشر رجب بطرابلس، وولى حاجبا بدمشق مدة، وكان مشكورا.

ومات الشريف أبو الغيث بن أبى نمى.

ومات الأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى، أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين، وكان شجاعا مقداما عجولا، أحمق متكبرا واسطة سوء، قتل فى أول ربيع الأول.

ومات حسام الدين قرا لاجين المنصورى الأستادار، ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان، وكان جوادًا خيرًا سليم الباطن، وأنعم بإقطاعه على الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى، وتوفرت الأستادارية ومات الأمير سيف الدين جيرجين الخازن تحت العقوبة، يوم السبت عاشر ربيع الآخر.

ومات الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أبى بكر محمد الأزكشى، بدمشق فى ثامن شعبان، وكان شجاعا شهما.

ومات الملك خربندا بن أبغا بن أرغون فى سادس شوال، وتسمى بمحمد، وكان رافضيا، قتل أهل السنة، وكان منهمكا فى شرب الخمر متشاغلا باللهو، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهده إليه، وكان محولا بإحدى عينيه، عادلا فى رعيته، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهرا.

ومات الأمير سيف الدين كستاى الناصرى نائب طرابلس بها، وكان جسورا قوى النفس معجبا بنفسه شديد الكبر، إلا أنه باشر طرابلس بعفة وحرمة مدة شهرين، ثم طلب من الناس التقادم وأخذها.

ومات الأمير بدر الدين بن الملك المغيث، فى ثانى شعبان.

مات بهاء الدين بن المحلى، فى خامس شعبان.

ومات الشيخ جمال الدين محمد بن المهدوى المالكى بمصر.

ومات الفقيه شرف الدين بن محيى الدين بن الفقيه نجيب الدين، فى تاسع رجب.

ومات الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله بن المهتار الكاتب، بدمشق فى سادس عشرى ذى الحجة، انفرد برواية علوم الحديث بسماعه من مؤلفه ابن الصلاح، وبرواية الزهد لأحمد بن حنبل،وشيوخه كثيرة، ومولده فى رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ مرهف، إمام الجامع الجديد الناصرى خارج مصر، ليلة الأربعاء خامس عشر رجب.

ومات الشيخ المقرئ أمين الدين بن الصواف، المتصدر بجامع عمرو، بمصر ليلة الجمعة ثانى عشرى شعبان.

ومات الشيخ ابن أبى مفصلة، ليلة الأحد سادس عشر رمضان.

ومات الشيخ زين الدين المهدوى، يوم الخميس تاسع رجب.

ومات الطواشى شبل الدولة كافور الأقطوانى الصالحى، شاد الخزانة السلطانية، ليلة الإثنين رابع عشر ذى القعدة.

ومات فتح الدين بن زين الدين بن وجيه الدين بن عبد السلام، فى سابع عشرى ذى القعدة.

* * *

سنة ست عشر وسبعمائة

فى المحرم: قدم البريد من حلب بموت خربندا، وجلوس ولده أبى سعيد بعده.

وفى يوم السبت ثالث عشريه: سمع بالقاهرة هدة عظيمة شبه الصاعقة، وتبعها رعد ومطر كثير وبرد، وغرقت بلبيس[1] لكثرة المطر.

وفى ثامن صفر: استقر شمس الدين محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع فى قضاء الحنابلة بدمشق، وجهز له توقيعه من القاهرة، فلم يغير زيه، واستمر يحمل ما يشتريه من السوق بنفسه، ويجلس على ثوب يبسطه بيده فى مجلس الحكم، ويحمل نعله بيده.

وفى أول ربيع الأول: فوضت إمرة العرب بالشام إلى الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى بن مهنا.

وفيه قدم البريد بوقوع المطر فى قارا وحمص وبعلبك، وفى بلاد حلب وإعزاز وحارم، بخلاف المعهود، وعقبه برد قدر النارنج، فيها ما زنته ثلاث أواق دمشقية، هلك بها من الناس والأغنام والدواب شيء كثير. وخربت عدة ضياع، وتلف من التركمان وأهل الضياع خلق كثير. وعقب هذا المطر نزول سمك كثير ما بين صغار وكبار بالحياة، تناوله أهل الضياع واشتووه وأكلوه. وسقط بالمعرة وسرمين عقيب هذا المطر ضفادع كثيرة فى غاية الكبر، منها ميت ومنها بالحياة ثم نزل ثلج عظيم طم القرى وسد الطرقات والأودية، وامتنع السفر حتى بعث النواب الرجال من البلاد والجبال مع الولاة بالمساحى[2]، وعملوا فيها حتى فتحت الطرقات.

وفى سادس عشرى جمادى الأولى: استقر قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى فى مشيخة الشيوخ بدمشق، عوضا عن شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البكاشغرى.

فيها رأى السلطان أن يقدم برشنبو النوبى، وهو ابن أخت داود ملك النوبة، فجهز

---

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان ٤٧٩/١.

(٢) المساحى: جمع مسحة وهى المغراف من الحديد والميم زائدة لأنه من السحو الكشف والإزالة وفى حديث خيبر: فخرجوا بمساحهم ومكاتلهم المقصود هنا: آلة تستعمل فى سحى الطين وجرفه وإزالته من الطريق. انظر: القاموسى المحيط، ولسان العرب (مسح).

صحبته الأمير عز الدين أيبك على عسكر. فلما بلغ ذلك كرنبس ملك النوبة بعث ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز يسأل السلطان فى أمره، فاعتقل كنز الدولة. ووصل العسكر إلى دمقلة، وقد فر كرنبس وأخوه أبرام، فقبض عليهما وحملا إلى القاهرة، فاعتقلا. وملك عبد الله برشنبو دمقلة، ورجع العسكر فى جمادى الأولى سنة سبع عشرة. وأفرج عن كنز الدولة، فسار إلى دمقلة وجمع الناس وحارب برشنبو، فخذله جماعته حتى قتل، وملك كنز الدولة. فلما بلغ السلطان ذلك أطلق أبرام وبعثة إلى النوبة، ووعده إن بعث إليه بكنز الدولة مقيدا أفرج عن أخيه كرنبس. فلما وصل أبرام خرج إليه كنز الدولة طائعا، فقبض عليه ليرسله، فمات أبرام بعد ثلاثة أيام من قبضه، فاجتمع أهل النوبة على كنز الدولة وملكوه البلاد.

وفيها أخذ عرب برية عيذاب رسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم، فبعث السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس، عليهم الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس، فى العشرين من شوال، فساروا إلى قوص، ومضوا منها فى أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب، ومضوا إلى سواكن[1] حتى التقوا بطائفة يقال لها حى الهلبكسة، وهم نحو الألفى راكب على الهجن بحراب ومزاريق، فى خلق من المشاة عرايا الأبدان، فلم يثبتوا لدق الطبول ورمى النشاب، وانهزموا بعد ما قتل منهم عدد كبير. وسار العسكر إلى ناحية الأبواب، ثم مضوا إلى دمقلة، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، وكانت غيبتهم ثمانية أشهر. وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلطاى بن أمير مجلس مقدم عسكرهم، فأخرج إلى دمشق.

وفيها أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب، ونهبوا إلى قرب قلعة كمختا فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيرا منهم، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم، وغنموا ما كان معهم، فقدمت الأسرى إلى القاهرة فى صفر سنة سبع عشرة.

وفيها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وإسنا وأرمنت[2]، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال. ثم أمطرت السماء، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير، ودب الوباء إلى الأشمونين.

وفيها أفرج عن الأمير بكتمر الحسامى الحاجب. وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث عشر شوال بنيابة صفد، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم، فسار على البريد ودخلها فى آخر ذى الحجة. وكان بكتمر فى مدة اعتقاله مكرما لم يفقد غير ركوب الخيل، وبعث إليه السلطان بجارية حبلت منه فى الاعتقال، وولدت ولدا سماه ناصر الدين محمدًا،

---

(١) بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب. انظر: معجم البلدان ٢٧٦/٢.

(٢) كورة بصعيد مصر بينها وبين قوص مرحلتان. انظر: معجم البلدان ١٥٩/١.

فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياما.

وفيها ولى الأمير سيف الدين أرقطاى نيابة حمص فى تاسع رجب، عوضا عن شهاب الدين قرطاى بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس فى جمادى الآخرة.

وفيها أخوجت قطيا عن الأجناد، وأضيفت إلى الخاص، وخرج إليها ناظر وشاد. وعوض الأجناد بجهات فى القاهرة بعد عرضهم على السلطان، وأعطى كل منهم نظير ما كان له.

وفيها توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد.

وفيها أفرج عن الأمير كراى المنصورى والأمير سنقر الكمالى من سجن الكرك، وقدما إلى القاهرة فسجنا بالقلعة ومعهما نساؤهما.

وفيها قدمت رسل أزبك، ورسل ملك الكرج، ورسل طغاى قريب أزبك بهدايا؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا. فاجتمع هذه السنة ثمانية رسل وهم رسل جوبان، وأبى سعيد، وأزبك، وطغاى، وصاحب برشلونة، وصاحب إسطنبول، وصاحب النوبة، وملك الكرج؛ وكلهم يبذل الطاعة، و لم يتفق فى الدولة التركية مثل ذلك، وأكثر ما اجتمع فى الأيام الظاهرية خمسة رسل.

وفيها سافر فى الرسلية إلى بلاد أزبك الأمير علاء الدين أيدعدى الخوارزمى مملوك يازى، ومعه حسين بن صاروا أحد مقدمى الحلقة، بالهدية فى آخر المحرم وهى مائتا عدة كاملة، ما بين جوشن وخوذة وبركستوان، وخلعة كاملة التحتانى أطلس أحمر مزركش، وشاش كافورى(١) وبلغطاق فوقانى مفرج مقصب محقق(٢) بطرز ذهب، وكلفتاه ذهب، وحياصة ذهب، وفرس مسرجة ملجمة بذهب مرصع، وجتر، وسيف بحلية ذهب، وسار معهم بطرك الملكية.

وفيها قدمت أم الأمير بكتمر الساقى.

وفيها تغير السلطان على الأمير سيف الدين طغاى، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه، ثم رضى عنه وخلع عليه.

وفيها صرف بهادر الإبراهيمى من نقابة المماليك، وبقى على إمرته وولى عوضه دقماق نقابة المماليك.

وفيها مرضت زوجة الأمير طغاى، فعادها السلطان مرارًا، فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها، وعمل كريم الدين لها مهما عظيما.

---

(١) على هامش ط: المقصود بالكافور كل ما يشبه فى بياضه خشب الكافور.

(٢) على هامش ط: المقصود به القماش المزدحم بالتحلية من خيوط الذهب أو الفضة.

وفيها سار السلطان إلى الصيد فى يوم الجمعة سابع شعبان، وتوجه إلى بلاد الصعيد. وعاد إلى قلعة الجبل يوم الإثنين تاسع عشر رمضان، وأعطى الأمراء دستورا، ونزل تحت الأهرام.

وفيها توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم.

وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى - فى ثامن عشر مسرى - بعد أن بلغ فى يوم الثلاثاء أربع عشرة إصبعا من ستة عشر ذراعا. فانقطع الجسر المجاور للقناطر الأربعين بالجيزة، فنقص عدة أصابع؛ وجمع لسده خلق كثير، غرق منهم نحو ثلاثين رجلا فى ساعة واحدة انطبق عليهم الجسر. ثم جمع من مصر رجال كثيرة، وكتفوا وأنزلوا فى مركب وعدتهم سبعون رجلا، فانقلبت بهم المركب فغرقوا بأجمعهم فى يوم السبت سابع عشره. ثم زاد النيل حتى أوفى.

وفيها قطعت أرزاق المرتزقة من أرباب الرواتب لاستقبال المحرم، وعوضوا على جهات أجودها نستراواة، فصارت سنتهم ثمانية أشهر. وتولى ذلك الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا، والسعيد مستوفى الرواتب. ومنع شهر المحرم، وصولح من له راتب بثلث المدة - وهى شهران وثلثا شهر - ، وأحيلوا على المطابخ، وثمنت عليهم قطارة[1]، فحصل من كل دينار سدسه. ونزل بالناس من ذلك شدة، وحصلت ذلة للحرم والأيتام؛ وسماهما الناس سعد الذابح وسعد بلع، وشافهوهما بكل مكروه.

وفيها قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة فى تاسع عشر جمادى الأولى، ونزل بمناظر الكبش؛ وحمل تقدمته فى غده، وسار فى تاسع عشر جمادى الآخرة.

وفيها لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة فى يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيد صاحب حماة.

وفيها استقر الصاحب أمين الدين بن الغنام ناظر الدواوين بمفرده فى خامس عشر رجب، بعد موت التقى أسعد كاتب برلغى.

وفيها سافر الفخر ناظر الجيش وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى القدس، وقدم ابن جماعة فى تاسع عشرى رمضان.

وفيه استقر العلم أبو شاكر بن سعيد الدولة فى نظر البيوت، واستقر كريم الدين

---

(١) على هامش ط: المقصود جمال متتابعة فى نسق واحد.

أكرم الصغير فى نظر الدواوين، شريكا لأمين الدين، فى يوم الأحد أول ذى القعدة. وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى الحجاز.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

عز الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن ميسر المصرى، بدمشق فى ليلة الإثنين أول رجب، ومولده بمصر فى حادى عشرى رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان فاضلا جليل القدر ولى نظر الدواوين بمصر، وولى نظر الشام وطرابلس وإسكندرية، ثم تغيرت حالته وانحطت رتبته، واستقر فى نظر أوقاف دمشق مع الحسبة، وكان عاقلا خبيرًا بالولايات، وفيه لين وسكون ومروءة وسماح لمن تحت يده من المباشرين. ومات صدر الدين أبو الفداء إسماعيل بن يوسف بن أبى اليسر مكتوم بن أحمد القيسى السويدى الدمشقى، فى ليلة السبت ثالث عشرى شوال بدمشق، كان فقيها مقرئا محدثا، درس وانفرد بالرواية عن جماعة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الأفرم أحد مماليك المنصور قلاوون، وكان نائب دمشق، فى ثالث عشرى المحرم بهمذان.

ومات الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى[1] البغدادى الحنبلى، فى رجب ببلد الخليل عليه السلام، أقام بالقاهرة مدة، وامتحن بها.

ومات شمس الدين عبد القادر بن يوسف بن مظفر الخطيرى الدمشقى، فى جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة، حدث، وولى نظر الخزانة بدمشق وكذلك نظر الجامع الأموى والمارستان النورى بها، وكان دينا صينا.

ومات الكاتب علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم الكندى[2] - عرف بكاتب ابن

---

(١) سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى الصرصرى، أبو الربيع، نجم الدين: فقيه حنبلى، من العلماء. ولد بقرية طوف - أو طوفا - من أعمال صرصر: فى العراق ودخل بغداد سنة ٦٩١هـ. ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤هـ. وزار مصر، وجاور بالحرمين، وتوفى فى بلد الخليل بفلسطين. له بغية السائل فى أمهات المسائل فى أصوال الدين. انظر: الكتبخانة ٤١١/١ وشذرات الذهب ٣٩/٦ والدرر الكامنه ١٥٤/٢ ومخطوطات الدار ٤٩/١ والأعلام ١٢٨/٣.

(٢) على بن المظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى، علاء الدين، ويقال له ابن عرفة: أديب متفنن شاعر، عارف بالحديث والقراءات من أهل الإسكندرية أقام بدمشق وتوفى فيها. له «التذكرة الكندية» خمسون جزءا، و«ديوان شعر». فى ثلاثة مجلات. انظر: فوات الوفيات ٨٧/٢ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٨ ولسان الميزان ٢٦٣/٤ والدرر الكامنة ١٣٠/٣ والنجوم الزاهرة ٢٣٥/٩ والأعلام ٢٣/٥.

ابن وداعة - الأديب البارع المقرئ ومات الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن مكى - المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل - فى يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة بالقاهرة، ومولده بدمياط فى شوال سنة خمس وستين وستمائة، واستقر بعده فى تدريس الزاوية بجامع عمرو شهاب الدين بن الأنصارى، وفى تدريس المجدية شمس الدين محمد بن اللبان. وقتل بالكرك من الأمراء سيف الدين أسندمر كرجى، وسيف الدين بينجار المنصورى، وبكتوت الشجاعى، وبيبرس العلمى، وبيبرس المجنون، وقطلوبك الكبير، وبكتمر الجوكندار نائب السلطنة، وبلبان طرنا، خنقوا فى ليلة واحدة.

ومات بطرابلس نائبها الأمير سيف الدين كستاى الناصرى، فى تاسع جمادى الآخرة، واستقر عوضه الأمير شهاب الدين قرطاى الصالحى نائب حمص، وولى حمص أرقطاى الجمدار.

ومات الأمير سيف الدين طقتمر الدمشقى طنبغا الشمسى، أحد أمراء مصر، وكان حشما عاقلا.

ومات الصاحب ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن شهاب النشائى، وزير مصر، فى يوم الإثنين تاسع عشرى رمضان، وكان قد ولى التدريس بالمدرسة التى بجوار الشافعى بالقرافة، ومشيخه الميعاد بالجامع الطولونى، ونظر الأحباس ونظر الخزانة، وكان مشكور السيرة، فقيها فاضلا إماما فى الفرائض مشاركا فى علم الحديث، كثير الصدقة، وقال بعض الشعراء يرثيه

إن بكى الناس بالمدامع حمرا ... فهو شىء يقال من حناء
فاختم الدست بالنشائى فإنى ... لأرى الختم دائما بالنشاء

وكان فى وزارته غير نافذ الأمر، و قال فيه أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى من أبيات:

زقوا منصب الوزارة حتى ... لزقوها وقتنا بالنشاء

وولى بعده نظر الخزانة تقى الدين أحمد بن قاضى القضاة عز الدين عمر بن عبد الله الحنبلى.

ومات تقى الدين أسعد الأحوال بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلغى - ناظر الدواوين، فى ليلة الإثنين ثامن شهر رجب، فاستقر بعده الصاحب أمين الدين بن الغنام، والتقى هذا هو الذى كان سبب الروك، بتحسينه عمل ذلك للسلطان، وهو

الذى أدخل جهات المكوس فى ديوان الوزارة وجعلها برسم المطبخ، وفرق جوالى الذمة فى الإقطاعات بعدما كانت قلما مفردا، فما زال رجال الدولة بالسلطان حتى تنكر عليه وسبه ولعنه وهدده بالقتل، فأثر فيه الخوف ولزم فراشه حتى مات، وكان من الظلمة اللئام، واستسلمه الأمير برلغى، ولم يوجد له بعد موته، شىء سوى دواة وأثاث لم تبلغ قيمته مائتى درهم.

ومات ناصر الدين أبو بكر بن عمر بن السلار - بتشديد اللام بعد السين المهملة - فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر المحرم، ومولده ليلة الإثنين تاسع عشر رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة بدمشق، وكان أديبا بارعا بديع الكتابة، وتفتن فى عدة فضائل، وهو من بيت إمارة، ومن شعره:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ... هى الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان من نسل آدم ... وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ومات الطواشىظهير الدين مختار المنصورى - المعروف بالبلبيسى - الخازندار، بدمشق فى عاشر شعبان، وكان يقرأ القرآن، وفيه شجاعة وشهامة، وفرق ماله على عتقائه قبل موته، ووقف أملاكه على تربته.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدى بن الوزيرى، بدمشق فى سادس عشر شعبان.

وماتت المسندة المعمرة ست الوزراء أم محمد، وتدعى وزيرة، ابنة عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية، بدمشق فى ثامن عشر شعبان، ومولدها فى سنة أربع وعشرين وستمائة، وحدثت بصحيح البخارى فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل، سنة خمس وسبعمائة.

ومات القاضى فخر الدين على ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فى يوم الثلاثاء عشرى رمضان، ومولده بقوص سنة تسع وخمسين وستمائة، وانقطع بعد أبيه للاشغال، ودرس بالكهاربة[1] من القاهرة.

ومات الكاتب المجود نجم الدين موسى بن على بن محمد بن البصير[2] الدمشقى، بها

---

(١) كانت مدرسة الكهاربة هذه بجوار حارة الجودرية والقماحين. انظر: المقريزى، المواعظ والاعتبار ٤١/٢.

(٢) موسى بن على بن محمد الحلبى أصلا، الحموى مولدا، ثم الدمشقى، نجم الدين المعروف بابن البصيص: شيخ الخطاطين فى زمانه بدمشق. ووفاته فيها. له شعر على طريقة الصوفية. أقام يعلم الناس الكتابة خمسين سنة. انظر البداية والنهاية ٧٩/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/٩ والدرر الكامنة ٣٧٦/٤ والأعلام ٣٢٥/٧.

فى عاشر ذى القعدة، وولد سنة إحدى وخمسين وستمائة، وكان شيخ الكتابة بدمشق.

ومات نجاد بن أحمد بن حجى أمير آل مرا، وحضر ثابت بن عساف بن أحمد بن حجى إلى القاهرة، واستقر عوضه. وقتل سيف الدين خاص بك، فى يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى، ضربت عنقه، وكان ممن فر إلى بلاد المغرب وقبض عليه.

ومات الشيخ نور الدين الكنانى المقرئ، ليلة الأربعاء عشرى جمادة الأولى بروضة مصر.

مات سراج الدين عمر الأسعردى، فى يوم الأربعاء ثالث رجب.

ومات الطواشى شبل الدولة كافور الطيبرسى - الشهير بالعاجى - يوم الخميس ثامن عشر رجب.

ومات جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، يوم الثلاثاء رابع عشرى رجب.

ومات شهاب الدين أحمد بن العسقلانى، إمام جامع المنشاة، يوم الأربعاء سلخ رجب.

ومات شرف الدين محمد بن عبد الحميد - المتصدر بجامع عمرو - بمصر يوم الأحد تاسع عشر شعبان، ومولده سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان معتقدا.

* * *

سنة سبع عشر وسبعمائة

أول المحرم: قدم طيبغا الحموى مبشرا بسلامة الحاج، ووصل القاضى كريم الدين ناظر الخاص من القدس يوم الإثنين سادسه. وقدم الأمير سيف الدين أرغون النائب من الحجاز يوم الثلاثاء سابعه.

وفيه مرضت امرأة الأمير سيف الدين طغاى وماتت، فأكثر زوجها من الصدقة، وفرق بداره التى كانت للملك المنصور قلاوون بالقاهرة مالا على الفقراء، و هلك فى الزحام اثنا عشر شخصا وبهيمة كانت تحت أحدهم.

وفى حادى عشرى صفر: شنع الناس بموت القاضى كريم الدين، فركب فى سادس عشريه وصعد إلى مصر، فزينت له وأوقدت الشموع.

وفيه قدم البريد بمحضر ثابت على قاضى بعلبك بنزول مطر فى يوم الثلاثاء سابع صفر ببعلبك، عقبه سيل عظيم أتلف شيئا كثيرا، وهدم قطعة من السور، وغرق المدينة، وتلف بها شىء كثير، ومات ألف وخمسمائة إنسان سوى من مات تحت الردم، وانهدم منه بستانا، وثلاثة عشر جامعا ومدرسة ومسجدًا، وسبعة عشر فرنا، وأحد عشر طاحونا، وهدم برجا من السور ارتفاعه ثمانية وثلاثون ذراعا ودوره من أسفله ثلاثة عشر ذراعا، ذهب جميعه.

وفى ثالث عشر جمادى الأولى – وهو يوم السبت تاسع عشرى أبيب –: قدم المفرد إلى مصر وعلق الستر، فنقص النيل فى ليلة الأحد ثلاثة أصابع، فخلق المقياس يوم الأحد، وفتح الخليج مع النقص، ثم رد النيل وزاد إصبعين نودى بهما يوم الأربعاء ثالث مسرى. واستمرت الزيادة، فكان ينادى فى اليوم بتسعة أصابع وما دونها حتى بلغت الزيادة فى يوم الأحد رابع عشرى توت – وهو ثالث رجب – ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع، وفسد من ذلك عدة مواضع لقلة الاعتناء بالجسور.

وفى بكرة يوم الخميس رابع جمادى الأولى: سار السلطان ومعه خمسون أميرا، وكريم الدين الكبير ناظر الخاص. والفخر ناظر الجيش، وعلاء الدين بن الأثير كاتب السر، بعدما فرق فى كل واحد فرسا مسرجا وهجينين، وبعضهم ثلاثة هجن. وكتب السلطان إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة القدس، فتوجه إلى القدس، ودخل إلى الكرك، وعاد فى رابع جمادى الآخرة، فكانت غيبته أربعين يوما.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى ومعه الأمير سيف الدين بهادر آص، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، من سجن الكرك، فخلع السلطان عليهما، وأنعم على بهادر بإمرة فى دمشق؛ ولزم بيبرس داره، ثم أنعم عليه بتقدمه ألف على عادته.

وفيه صرف أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر الدواوين، ونزل بتربته من القرافة، واستقر التاج إسحاق بن القماط والموفق هبة الله مستوفى الأمير سلار فى نظر الدواوين عوضه نقلا من استيفاء الدولة؛ واستقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الكارم ودار القند(١) فى ثالث عشريه، وخلع على الثلاثة فى يوم السبت خامس عشريه.

وفى رابع رجب: تقطعت جسور منية الشيرج وقليوب، وغرقت ليلة خامسه، وفر أهلها وتلفت أموالهم وغلالهم. فركب متولى القاهرة وغلق سائر الحوانيت والأسواق، وأخذ الناس والعسكر والأمراء لتدارك ما بقى من الجسور.

وفيه قدم الأمير محمد بن عيسى ومعه ابن أخيه موسى بن مهنا، فأنعم عليهما.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: صرف قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى عن قضاء مصر خاصة، واستقر عوضه سراج الدين عمر بن محمود بن أبى بكر الحنفى قاضى الحسينية، فجلس سراج الدين للحكم فى يوم الثلاثاء تاسع عشره، ومات ليلة الثانى والعشرين من رمضان، وعاد ابن الحريرى إلى قضاء مصر. وكان سبب عزله أنه بالغ فى الحط على الكتاب من النصارى والمسالمة، وأحرق بجماعة منهم وضربهم؛ وكان إذا رأى نصرانيا راكبا أنزله وأهانه وإذا رأى عليه ثيابا سرية نكل به، فضاق ذرعهم به، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين الكبير.

فلما أخذ السلطان دار الأمير سلار ودور أخوته وقطعتة من الميدان، وأنشأ الأمير سيف الدين بكتمر الساقى المظفرى قصرا فى موضع ذلك على بركة الفيل. أراد السلطان أن يدخل فيه قطعة من أرض بركة الفيل، وهى فى أوقاف الملك الظاهر بيبرس على أولاده، فأراد استبدال ما يحتاج إليه منها بموضع آخر، وأراد من ابن الحريرى الحكم بذلك كما هو مذهبه فأبى، وجرت بينه وبين السلطان مفاوضة قال فيها: «لا سبيل إلى هذا، ولا يجوز الاستبدال فى مذهبى»، ونهض قائما، وقد اشتد حنق السلطان

---

(١) القند والقندة والقندد كله: عصارات قصب السكر إذا جامدا. قال ابن مقبل:

أشاقك ركبن ذو بنات ونسوة ... بكرمان يعتفن السويق المقنادا

والقند عسل قصب السكر. انظر محيط المحيط. ولسان العرب. مادة (قند).

منه. فسعى السراج عند كريم الدين الكبير فى قضاء مصر. ووعد بأنه يحكم بذلك، فأجيب وحكم بالاستبدال وصار ابن الحريرى على قضاء الحنفية بالقاهرة فقط، فمرض السراج عقيبها إلى أن مات فى ثالث عشرى رمضان، فعد ذلك من بركة الحريرى، وأعيد إليه قضاء مصر.

وفى أواخر شعبان: عدى جماعة من الططر الفرات، وقدم دمشق فى سادس رمضان منهم أمير كبير اسمه طاطاى فى مائة فارس بنسائهم وأولادهم، ودخلوا القاهرة فى شوال.

وفى رمضان: عادت الرسل من عند أزبك، وهم أيدغدى الخوارزمى ومن معه، وصحبته رسل إزبك.

وفيه قدم البريد بأنه ظهر فى سابع عشر ذى القعدة رجل من أهل قرية قرطياوس من أعمال جبلة[1] زعم أنه محمد بن الحسن المهدى، وأنه بينا هو قائم يحرث إذ جاءه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه وأدخل فى جسده روح محمد بن الحسن، فاجتمع عليه من النصيرية القائلين بإلهية على بن أبى طالب نحو الخمسة آلاف، وأمرهم بالسجود له فسجدوا، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات وصرح بأن لا إله إلا على ولا حجاب إلا محمد، ورفع الرايات الحمر، وشمعة كبيرة تقد بالهار ويحملها شاب أمرد زعم أنه إبراهيم بن أدهم، وأنه أحياه، وسمى أخاه المقداد بن الأسود الكندى[2]، وسمى آخر جبريل، وصار يقول له: «اطلع إليه وقل كذا وكذا»، يشير إلى البارى سبحانه وتعالى، وهو بزعمه على بن أبى طالب، فيخرج المسمى جبريل ويغيب قليلا، ثم يأتى ويقول: «افعل رأيك». ثم جمع هذا الدعى أصحابه و هجم على جبلة يوم الجمعة العشرين منه، فقتل وسبى وأعلن بكفره، وسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما. فجرد إليه نائب طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاى الأمير بدر الدين بيليك العثمانى المنصورى على ألف فارس فقاتلهم إلى أن قتل الدعى، وكانت مدة خروجه إلى قتله خمسة أيام.

وفيه قدم كتاب المجد إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامى بإذعان الملك أبى سعيد

---

(١) انظر معجم البلدان ١٠٤/٢.

(٢) هو المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندى البهرانى الحضرى، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس فى سبيل الله. انظر تهذيب ٢٨٥/١٠ وصفة الصفوة ١٦٧/١ وحيلة ١٧٢/١ وذيل الميذل ١٠ ومجمع الزوائد ٣٠٦/٩ والأعلام ٢٨٢/٧.

ابن خربندا، ووزيره خواجا على شاه، والأمير جوبان، والأمراء أكابر المغل للصلح، ومعه هدية من جهة خواجا رشيد الدين، فجهزت إلى أبى سعيد هدية جليلة من جملتها فرس وسيف وقرقل.

وفيه أفرج عن الشريف منصور بن جماز أمير المدينة النبوية، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب، وأعيد إلى ولايته عوضا عن أخيه ودى بن جماز، وسار منصور إلى المدينة ومعه عز الدين أيدمر الكوندكى.

وفيه قدم البريد من حلب بخروج ريح فى يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول وقت العصر سوداء مظلمة تمادت تلك الليلة، ومن الغد عقبها برق ورعد عظيم ومطر غزير وبرد كبار، وجاء سيل لم يعهد مثله، فأخذ كل ما مر به من شجر وغيره؛ وتكون عمود من نار متصل اقتلع كنيسة كبيرة من عهد الروم، ومشى بها رمية سهم، ثم فرقها الريح حجرا.

وفيه قدم الخبر بعود حميضة من العراق إلى مكة، ومعه نحو الخمسين من المغل، فمنعه أخوه رميثة من الدخول إلا بإذن السلطان، فكتب بمنعه من ذلك ما لم يقدم إلى مصر.

وفيه قبض على الأمير أقبغا الحسنى، وضرب وأخرج إلى دمشق على إمرة، من أجل أنه شرب الخمر، ووسط خازن داره، وقطعت ألسنة جماعة من أصحابه، وكحل جماعة منهم.

وفيه قدم الشريف رميثة أمير مكة فارًا من أخيه حميضة. وأنه ملك مكة وخطب لأبى سعيد بن خربندا وأخذ أموال التجار؛ فرسم بتجريد الأمير صارم الدين أزبك الجرمكى، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى فى ثلاثمائة فارس من أجناد الأمراء، مع الركب إلى مكة.

وفيه عزل الأمير ركن الدين بيبرس أمير آخور من الحجوبية، واستقر عوضه الأمير سيف الدين ألماس، وكان ألماس تركيا غتميا لا يعرف باللسان العربى.

وفيها أخرج إلى الشام الأمير عز الدين أيدمر الدوادار، وعلاء الدين على الساقى، وعلاء الدين مغلطاى السنجرى، وطغاى الطباخى، وشرف الدين قيران الحسامى أمير علم. وأنعم عليهم بإمريات وإقطاعات بها.

وفيه قدم مندوه الكردى الفار من أسره بملطية بعدما أمن، فأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفيه حاصر الأمير سنجر الجاولى غزة قلعة سلع[١] - ومعه نحو العشرة آلاف فارس - مدة عشرين يوما إلى أن أخذها، وقتل من أهلها ستين رجلا من العرب المفسدين، وغنم العسكر منها شيئا كثيرًا، ورتب الجاولى بها رجالا وعاد إلى غزة.

وفى جمادى الأول استقر فخر الدين أحمد بن تاج الدين سلامة السكندرى المالكى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن جمال الدين محمد بن سليمان بن سومر الزواوى بعد موته، فسار فخر الدين إليها من القاهرة، وقدمها فى عشريه.

وفيه كان روك المملكة الطرابلسية على يد شرف الدين يعقوب ناظر حلب، فاستقر أمرها لاستقبال رمضان سنة عشر وسبعمائة الهلالى، ومن الخراجى لاستقبال مغل سنة سبع عشرة. وتو بهذا الروك إقطاعات ستة أمراء طبلخاناه، وثلاثة إقطاعات أمراء عشروات، وأبطل منها رسوم الأفراح، ورسوم السجون، وغير ذلك من المكوس التى كان مبلغها فى كل سنة مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم، وقدم شرف الدين بأوراق الروك إلى القاهرة.

وفيه قدم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى وحسين بن صاروا وبطرك الملكية من بلاد أزبك، ومعهم عدة من رسل أزبك: وهم شرنك وبغرطاى وقرطقا وعمر القرمى، ورسل الأشكرى صاحب قسطنطينية، وهم خادمه وكبير بيته ميخائيل وكاشمانوس وتادروس، ومعهم الهدايا: فدية أزبك ثلاث سناقر وستة مماليك وزردية وخوذة فولاذ وسيف؛ فأكرموا وأعيدوا مع الأمير سيف الدين أطرجى والأمير سيف الدين بيرم خجا، بهدية قيمتها عشرة آلاف دينار.

وفيه سافر السلطان إلى الصيد بالبحيرة، وأقام أياما وعاد. وفيه أعطى السلطان زين الدين قراجا التركمانى النازل بالبركة إمرة.

وفيه استقر الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبى فى كتابة السر بدمشق، بعد موت شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى. واستقر الأمير سيف الدين ألجاى دَوَادَارًا، بعد موت بهاء الدين أرسلان.

وفيه طلق السلطان زوجته خوندا أردركين ابنة الأمير سيف الدين نوكاى. وفيه أنعم على الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلى السلاح دار، بعد موته. وحج بالركب الأمير سيف الدين بجليس، ومعه من الأمراء شرف الدين أمير بن جندر وعرلوا الجوكندار، وسيف الدين ألجاى الساقى، وسيف الدين طقصبا

---

(١) حصن بوادى موسى عليه السلام، قرب بيت المقدس.

الظاهرى، وشمس الدين سنقر المرزوقى، وحج أيضا الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد، فى عدة من عرب آل فضل، بلغت عدتهم نحو اثنى عشر ألف راحلة.

وفيه تمزقت جماعة الثائر بجبلة، وكان قد قام فى النصيرية[1] وادعى أنه المهدى، وأن دين النصيرية حق، وأن الملائكة تنصره. فركب العسكر وقاتلوه فقتل، ورسم أن يبنى بقرى النصيرية فى كل قرية مسجد، وتعمل له أرض لعمل مصالحه، وأن يمنع النصيرية من الخطاب - وهو أن الصبى إذا بلغ الحلم عملت له وليمة، فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبى أربعين يمينا على كتمان ما يودع من الذهب، ثم يعلمونه مذهبهم وهو إلهية على بن أبى طالب، وأن الخمر حلال، وأن تناسخ الأرواح حق، وأن العالم قديم، والبعث بعد الموت باطل، وإنكار الجنة والنار، وأن الصلوات خمس وهى إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، ولا غسل من جنابة، بل ذكر هذه الخمسة يغنى عن الغسل وعن الوضوء، وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم فى كتبهم، وأن إلههم على بن أبى طالب خلق السموات والأرض، وهو الرب، وأن محمدًا هو الحجاب وسلمان هو الباب.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدى الطيبى، بطرابلس فى سادس عشرى رمضان، عن تسع وستين سنة، كان أديبا فاضلا؛ باشر الإنشاء مدة، ونقل إلى طرابلس فى توقيعها إلى أن مات، ومن شعره:

هجرت الخمر لما صح عندى ... بأن الخمر آفة كل طاعة

ولم ترَ مقلتى فى الخمر شيئا ... سوى أن تجمع الأحباب ساعة

ومات الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصرى، يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان، فوجد له مال جزيل: منه أربعون حياصة ذهبا، وأربعون كلفتاه زركش، ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وإليه تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشاة المهرانى.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى كاتب السر، يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق، ومولده سابع ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة، حدث عن ابن عبد السلام، وبرع فى الأدب، وكان دينا عاقلا وقورا، ناهضا ثقة أمينا مشكورا. مليح الخط جيد الإنشاء، فولى بعده شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان

---

(١) فرقة من غلاة الشيعة، وتنسب إلى مؤسسها محمد بن نصر النميرى البعدى.

الحلبى أحد كتاب الدرج بديار مصر، نقل إليها من القاهرة، فقدم دمشق ثامن عشرى شوال.

ومات فخر الدين عثمان بن بلبان بن مقاتل[1] معيد المدرسة المنصورية بين القصرين، وكان فاضلا، حدث وروى وحصل وكتب وخرج، ومات عن اثنتين وخمسين سنة.

ومات علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر السعدى[2]، أحد أعيان كتاب الإنشاء، يوم الخميس رابع رمضان، وكان عالى الهمة صاحب مكارم، وتمكن من الأمير سلار أيام نيابته، فإنه كان موقعه.

ومات زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف الصنهاجي المراكشى الإسكندارنى، فى أول يوم من ذى الحجة.

ومات جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الربيع سليمان بن سومر الزواوى المالكى قاضى دمشق، فى تاسع جمادى الأولى بها، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة، وقدم الإسكندرية وهو شاب، وتفقه بها حتى برع فى مذهب مالك، وأكثر من سماع الحديث، فسمع من ابن رواج والسبط وأبى عبد الله المرينى وأبى العباس القرطبى وابن عبد السلام وأبى محمد بن برطلة، وولى قضاء المالكية بدمشق ثلاثين سنة، بصرامة وقوة فى الأحكام وشدة فى إراقة دماء الملحدين والزنادقة والمخالفين، إلى أن اعتل بالرعشة نحو عشرين سنة، ومازال إلى يعلته أن عجز عن الكلام، فصرف. ومات بعد عزله بعشرين يوما، وبعد أن علم بالعزل بسبعة أيام.

ومات الصدر شرف الدين محمد بن الجمال إبراهيم بن الشرف عبد الرحمن بن صصرى الدمشقى، يوم الجمعة سابع ذى الحجة بمكة، وعمره خمس وثلاثون سنة، فدفن بالمعلاة، وكان حسن الأخلاق.

ومات بطرابلس عماد الدين محمد بن صفى الدين محمد بن شرف الدين يعقوب النويرى، صاحب ديوان طرابلس.

---

(١) عثمان بن بلبان بن عبد الله الرومى فخر الدين المقاتلى، الكفتى الدمشقى: محدث من شيوخ الذهبى. مولده بدمشق، ووفاته بالقاهرة له جزء فيه خمسة أحاديث. انظر: الدرر الكامنة ٤٣٩/٢ وتذكرة الحفاظ ٢٨٩/٤ ومخطوطات الدار ٢١٢/١ والشذرات ٦ م ٤٦ والأعلام ٢٠٤/٤.

(٢) على بن محمد بن عبد الظاهر، علاء الدين السعدة. فاضل، من القضاة. له «مراتع الغزلان» «وتشريف الأيام والعصور» فى سيرة الملك المنصور قلاوون. انظر: كشف الظنون ١٦٥٠ و١٧٥٨ والأعلام ٣٣٤/٤.

ومات الأمير سيف الدين قلنى السلاح دار.

ومات الأمير شمس الدين الذكر السلاح دار - صهر علم الدين سنجر الشجاعى- وهو فى الحبس.

ومات الأمير سيف الدين ألكتمر - صهر الجوكندار - بالحبس أيضًا.

ومات الخطيب عماد الدين ابن بنت المخلص، فى حادى عشرى المحرم.

ومات قاضى القضاة نجم الدين الحنفى الملطى، يوم الإثنين رابع ربيع الأول.

وفيه خلع نفسه الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص ملك تونس، وولى ابنه أبا عبد الله محمد المعروف بأبى ضربة فى آخر ربيع الآخر، وكانت مدته ست سنين.

* * *

المحتويات